من تفسير وتأملات

الآباء الأولين

أعمال الرسل

٢٠٠٣

الجزء الأول

الأصحاحات ١ - ١٢

القمص تادرس يعقوب ملطي

كنيسة الشهيد مار جرجس باسبورتنج

بسم الآب والابن والروح القدس

الله الواحد، آمين

اسم الكتاب: أعمال الرسل.

المؤلف: القمص تادرس يعقوب ملطي.

الطبعة: الأولى ٢٠٠٣.

الناشر: كنيسة الشهيد مار جرجس باسبورتنج.

الجمع التصويري: ماجدة حنا باستيت إن آيلاند، وصفوت فرج بأورانج كاليفورنيا.

المطبعة: الأنبا رويس (الأوفست)، بالعباسية القاهرة.

الكنز المخفي!

قدم **القديس يوحنا الذهبي الفم** رئيس أساقفة القسطنطينية سلسلة من العظات على سفر أعمال الرسل في السنة الثانية أو الثالثة من سيامته، افتتحها بقوله: [جعلت من هذه القصة (قصة أعمال الرسل) موضوعي، حتى أقدم ما لا تعرفوه عنها، **فلا يبقى مثل هذا الكنز مخفيًا عن البصر**. فإنها بالحق تنفعنا ليس بأقل من الأناجيل، إذ هي مشحونة بالحكمة المسيحية والتعليم الصحيح، خاصة فيما يخص الروح القدس. ليتنا لا نعبر عليها سريعًا، بل نفحصها بدقةٍ. نرى ما نطق به المسيح من نبوات في الأناجيل يتحقق على مستوى الواقع. ونلاحظ في الوقائع ذاتها الشهادة البهية للحق المشرق فيها، والتغيير القدير الذي حلَّ بالتلاميذ حيث حلَّ الروح عليهم.]

إن كانت الأناجيل تسحب قلوبنا بالشوق نحو الالتقاء بالسيد المسيح المصلوب، الملك الروحي (إنجيل متى)، وخادم البشرية (إنجيل مرقس)، وصديقها (إنجيل لوقا)، ابن الله الوحيد الجنس القادر وحده أن يخبرنا عن الآب ويكشف لنا الأسرار الإلهية (إنجيل يوحنا)، فقد **جاء سفر الأعمال ليقدم لنا روحه القدوس الذي قاد البشرية في أورشليم واليهودية والسامرة وإلى أقصى الأرض**. نراه يلهب القلوب ويجتذبها نحو المخلص، يعمل في الرسل، كما في الشعوب، ليشكِّل كنيسة المسيح الحاملة أيقونة عريسها السماوي، ويهيئها للعرس الأبدي.

إلهنا الصالح قادر أن يعمل بروحه الناري حتى يبقى سفر الأعمال مفتوحًا على الدوام، فتصير الأرض وملؤها للرب ومسيحه، ويتمتع الكل بقلوب متسعة لا تكف عن الشهادة لإنجيل الخلاص بروح الحب الباذل، فيكمل السفر بمجيء السيد المسيح على السحاب، ليضم كنيسته إلى مجده الأبدي.

ليفتح روح الله القدوس كنز هذا السفر حتى تغتني كل نفس بالخيرات السماوية، وتفيض على من حولها، فيحمل الكل السمات السماوية الفائقة.

مقدمة في

سفر أعمال الرسل

يقدم لنا هذا السفر قصة الكنيسة في بدء انطلاقها بعد صعود السيد المسيح وحلول روحه القدوس ولقرابة ثلاثين عامًا. قدمها الإنجيلي لوقا ملهمًا بالروح القدوس، ليكشف لنا عن الكنيسة في العصر الرسولي: سرّ مولدها ونموها وعبادتها وشهادتها للسيد المسيح وقوتها بعمل الروح القدس، ويكشف عن تحقيق ما سبق فوعد به السيد تلاميذه: "ها أنا معكم كل الأيام وإلي انقضاء الدهر". وأيضًا وعده الإلهي: "لكنكم ستنالون قوة متى حلّ الروح القدس عليكم، وتكونون لي شهودًا في أورشليم وفي كل اليهودية والسامرة وإلى أقصى الأرض" (أع ١: ٨).

سفر أعمال الرسل هو **سفر كنيسة المسيح في عصر الرسل**، التي قبلت إنجيله، ومارسته عمليًا في حياتها اليومية كما في العبادة والكرازة.

هو **إنجيل الروح القدس** الذي أنعم على الكنيسة بالوجود في يوم العنصرة، واستلم كنيسة المسيح ليقودها ويجتذب إليها النفوس فتتمتع بالمخلص، واهبًا إياها قدسية الحياة المستمرة.

هو **سفر انفتاح الكنيسة بالحب على العالم لتخدمه وتغسل قدميه**.

هو **سفر الكنيسة الفقيرة الغنية**، تفتقر مع عريسها وتغتني به.

هو **سفر القوة الداخلية** التي لا تضعف ولا تشيخ.

هو **سفر الكنيسة المقدسة** التي لا تطيق الشر لكنها تترفق بالخطاة.

الإنجيل العملي

افتتحه لوقا الإنجيلي بقوله: "الكلام الأول أنشأته يا ثاوفيلس عن جميع ما ابتدأ يسوع يفعله ويعلم به" (أع ١:١). وكأن الأناجيل الأربعة هي "**الكلام الأول**" الخاص بأعمال السيد وتعليمه، وهذا السفر هو **تكملة لهذا الكلام**، فما ابتدأ به السيد حين كان حاضرًا بالجسد على أرضنا يكمله الآن بروحه القدوس وحضوره السري في وسط كنيسته. هكذا يكشف السفر عن حقيقة إنجيلية هامة، وهي أن السيد المسيح الصاعد إلى السماء حي، حاضر، وعامل، ومتكلم في كنيسته، ويبقى هكذا إلى يوم ظهوره الأخير حيث تكمُل كنيسته، وتتمتع بشركة مجده. سفر الأعمال هو **إنجيل حي يشهد عن حضور المسيح عاملاً ومتكلمًا في كنيسته ومن خلالها ولحسابها**.

v توجد تعاليم واردة هنا ما كنا نستطيع أن نعرفها بالتأكيد كما نحن عليه الآن لو لم يوجد هذا السفر؛ كان يبقي تاج خلاصنا مخفيًا من جهة الحياة العملية كما التعليم.

القديس يوحنا الذهبي الفم

سفر أعمال الروح القدس

يقدم لنا هذا السفر أعمال الروح القدس، المعزي، الذي وعد به السيد تلاميذه. إذ نراه وراء تاريخ الكنيسة، فهو القائد الحقيقي والمرشد والمعلم القادر أن يجتذب النفوس لتختبر عمل السيد المسيح الخلاصي. يُشرق على الكنيسة بنوره، فيملأها وسط الضيقات ببهاءٍ إلهيٍ خفي جذَّاب، ويعمل بناره المتقدة، فيلهب القلوب بنار الحب الإلهي. إنه النهر الإلهي الذي ينساب من السماء ليقيم علي الأرض مدينة الله، الفردوس الإلهي المثمر، عوض البرية القاحلة بالجفاف الروحي.

v الأناجيل هي تاريخ ما فعله المسيح وما قاله، وسفر الأعمال **ما قاله المعزي الآخر وما فعله**. لكن هذا الروح صنع أمورًا كثيرة، وردت في الأناجيل أيضًا، والمسيح لا يزال يعمل في سفر الأعمال في البشر كما عمل في الأناجيل. فقط عمل الروح هناك في الهيكل، والآن يعمل خلال الرسل. هناك عمل، إذ جاء إلى رحم البتول وشكَّل الهيكل، والآن يعمل في نفوس الرسل. هناك جاء على شكل حمامة، وهنا على شكل نارٍ.

القديس يوحنا الذهبي الفم

سفر كنيسة المسيح المصلوب المتهللة

يكشف لنا هذا السفر عن طبيعة كنيسة المسيح المصلوب منذ نشأتها، فقد تشكلت بالروح القدس وسط الأنين والضيق، لتحمل شركة الآلام والصلب مع عريسها المتألم. لكن حضوره في وسطها يحول الأنين إلي فرحٍ مجيدٍ، والضيق إلي تعزياتٍ سماويةٍ، فتحيا مسبحة لله وسط أتون الاضطهادات.

v يليق بالمسيحي أن يكون "هلليويا" من رأسه إلى قدمه.

v لنفرح ونشكر، ليس لأننا صرنا مسيحيين، وإنما لأننا صرنا المسيح! أتدرك ذلك؟ أتفهم النعمة العظيمة التي يهبنا الله إياها؟ قف في خشية وفرح. لقد صرنا المسيح!

v "من يخرج باكيًا، حاملاً البذور للغرس، يعود بتراتيل الفرح، حاملاً السنابل معه" (مز ١٢٦: ٦).

هذا المزمور الذي يتحدث إلى روح الذين هم مصممون على الاستمرار في الرحلة الروحية إلى الله، يناسبنا تمامًا ليعنيننا في أوقات الحزن والكآبة. هذا العالم دون شك هو وادي الدموع الذي فيه يزرع الإنسان وهو باكٍ.

إنه يسندك لتستمر في إيمانك.

على أي الأحوال، إن شرحت ما يعنيه هذا السفر بالبذور التي نغرسها الآن، فهي الأعمال الصالحة التي خلقها الله لكل واحدٍ منا لكي نفعلها (أف ٢: ١٠)، وقد خطط لنا أن نمارسها بقوة روحه في وسط أتعاب هذه الحياة المضطربة.

من يتعلم أن يمارس عمل الله في هذا العالم - وادي الدموع والأتعاب هذا - يصير متهللاً مثل المزارع المجتهد الذي يغرس البذور حتى في موت الشتاء، فهل تقدر الرياح الباردة والجو القاسي أن يمنعها عن العمل؟ حتمًا لا!

هكذا يليق بنا أن نتطلع إلى متاعب هذه الحياة كما هي. تُلقي الملاهي في طريقنا بواسطة الشرير، بقصد أن ننحرف عن الأعمال الصالحة التي خُلقنا لكي نعملها. تطلعوا ماذا يقول المرتل: "من يخرج باكيًا..." بالحق يجد علة للبكاء، يجد كل واحدٍ منا ذلك. ومع هذا يلزمنا أن نسير، ممارسين أعمال الله الصالحة في طريقنا.

يا لبؤسنا إن كنا قد دُعينا للعمل بجدية فقط لكي نبكي دون التطلع إلى أية ثمرة لعملنا. يا لبؤسنا إن كنا لا نجد أحدًا يمسح دموعنا.

لكننا نعرف أن الروح القدس يعمل لكي نستمر في الغرس وسط دموعنا، لأن الروح يعدنا خلال المرتل أننا نعود مندهشين بالفرح! نحمل ثمر تعبنا كتقدمة له.

القديس أغسطينوس

وضع السفر بين أسفار العهد الجديد

حتى نهاية القرن الأول وبداية القرن الثاني كان يُنظر إلى هذا السفر كتكملة للإنجيل بحسب معلمنا لوقا. وقد جاءت بداية السفر متناسقة مع نهاية الإنجيل. غير أنه بعد تسجيل الإنجيل بحسب القديس يوحنا جمعت الكنيسة الأناجيل الأربعة معًا، وصار هذا السفر هو الرابطة بين الأناجيل كلها ورسائل الرسل، فكما تكشف الرسائل عن كتابات الرسل، جاء السفر يكشف عن أعمالهم بروح الله القدوس، أو أعمال المسيح فيهم وبهم ولحسابهم. سفر الأعمال هو حلقة الوصل بين الأناجيل ورسائل الرسل، فإنه ما كان يمكننا التمتّع بفهم هذه الرسائل كما ينبغي ما لم تُقرأ خلال خلفيّة هذا السفر. هذا والسفر يساهم بطريقة حيويّة في دراسة الربط بين تعليم السيّد المسيح والتعليم الرسولي.

جاء هذا السفر في بعض المخطوطات بعد رسائل القديس بولس، بكونه يقدم الأحداث الخاصة بخدمة القديس بولس والتي وردت في رسائله.

فيما يلي مقارنة بين هذا السفر والأناجيل المقدّسة.

١. تقدم لنا الأناجيل السيّد المسيح بكونه المسيّا المخلّص، وجاء سفر الأعمال ليُظهر أن المسيّا حاضر في كنيسته التي تترقّب مجيئه.

٢. قدّمت لنا الأناجيل ما ابتدأ يسوع يفعله من أجلنا، وجاء سفر أعمال الرسل يعلن أنه لا يزال بروحه القدّوس في كنيسته.

٣. تُحدّثنا الأناجيل المقدّسة عن المخلّص المصلوب القائم من الأموات، ويصوّره لنا سفر الأعمال أنه الصاعد إلى السماء والممجّد، هو رب الكنيسة وقائدها.

٤. في الأناجيل المقدّسة نسمع تعاليم السيّد المسيح التي تقودنا للخلاص بدمه، وفي الأعمال نتلامس مع عمله الخلاصي في كنيسته المقدّسة لاجتذاب الأمم إلى المجد.

كاتب السفر

لم يذكر كاتب السفر اسمه، لكن يؤكد التقليد الكنسي أن كاتبه هو لوقا الإنجيلي، يدعم ذلك الشواهد الداخلية في السفر والخارجية:

الشهادات الداخلية

١. يعلن الكاتب انه رفيق الرسول بولس في أسفاره حتى سفره الأخير إلي روما (أع١٦: ١٠-٤٠ ؛ ٢٠: ٥-٦؛ ٢١: ١-٨؛ ٢٧: ١-٢٨: ١٦).

٢. يتشابه مع انجيل لوقا من جهة الشخص المُوجه له السفر (لو ١: ١-٤؛ أع١: ١)، وهو ثاوفيلس، غالبًا من أشراف الإسكندرية. كما يتشابهان في اللغة والأسلوب.

٣. وحدة الفكر في السفرين، نذكر على سبيل المثال:

- يشتركان في الدوافع الأساسية: الاهتمام بالجانب التاريخي، وأيضًا الجغرافي، وتأكيد دور الروح القدس في خدمة المسيح (انجيل لوقا) وفي خدمة الرسل (أعمال الرسل).
- الاهتمام بخلاص العالم كله (لو ٢: ٣٢؛ أع ١٠: ٣٤).
- الاهتمام بخدمة المرأة (لو ٧: ٣٧-٣٨؛ أع ٩: ٣٦).
- الاهتمام بالصلاة (لو ١١: ١٣؛ أع ١: ٢٤).
- ذكرت كلمة النعمة (Xapic) في إنجيل لوقا ٩ مرات، وسفر الأعمال ١٧ مرة، بينما لم ترد في إنجيل متى أو مرقس.
- الاهتمام بمغفرة الخطايا (لو ٢:٣٨؛ أع ٥: ٣١).
- لا يحملان روح التعصب تجاه الحكومات الأجنبية (لو ٢٠: ٢٠-٢٦؛ أع ١٦: ٣٦-٣٩).
- استخدام مصطلحات طبية دقيقة، واهتمام السفرين بالمرضى، والعناية بهم، ومعجزات الشفاء، حيث أن الكاتب هو لوقا الطبيب.

الشهادات الخارجية

١. وثيقة ترجع إلى حوالي عام ١٦٠ م، عبارة عن مقدمة لإنجيل لوقا، وقد أضافت أن لوقا كاتب سفر الأعمال، كُتبت هذه الوثيقة ضد مرقيون Anti-Marcionite.

٢. **القانون الموراتوري** للأسفار المقدسة (ما بين ١٧٠ و٢٠٠ م) يضع سفر "**أعمال جميع الرسل**" ضمن الأسفار القانونية (لأن مرقيون كان يحسب القديس بولس وحده رسولاً دون غيره).

٣. يقول **القديس إيرينيؤس** إن لوقا "زميل بولس" هو كاتب الإنجيل والأعمال.

٤. جاء في **إكليمنضس السكندري** (حوالي ١٩٠ م): [يشهد لوقا في سفر الأعمال أن بولس قال لرجال أثينا: "أنا أرى أنكم متدينون في كل شيء".]

٥. جاء أيضًا في **القديس إكليمنضس السكندري**: [معروف أن لوقا هو الذي كتب بقلمه أعمال الرسل.]

٦. جاء في **العلامة ترتليان** (حوالي سنة ٢٠٠ م)، في حديثه عن حلول الروح القدس على الرسل في العلية وهم يصلون أنها حقيقة واردة في "**تسجيل لوقا**"، أي في سفر الأعمال.

٧. جاء في **يوسابيوس القيصري**: [لوقا من جهة جنسه مواطن من إنطاكية، مهنته طبيب، اشترك أساسًا مع بولس، ومع بقية الرسل، ولكن بصورة أقل. وترك لنا أمثلة لشفاء النفوس التي اكتسبها وذلك في سفرين ملهمين: الإنجيل وأعمال الرسل.]

٨. اقتباس كثير من الآباء والكتابات منذ القرن الأول من هذا السفر وقد خصّص الخوري بولس الفغالي فصلاً كاملاً عن اقتباسات الآباء الأوّلين من سفر الأعمال، مثل **القديس إكليمنضس الروماني، ورسالة برناباس، والديداكية**، والراعي **لهرماس**، ورسالة **الشهيد إغناطيوس** إلى ماغنزيا، **والقديس بوليكربس أسقف سميرنا، واستشهاد بوليكاربوس، والرسالة إلى ديوغنيتس**، ومخطوطة **وصايا رؤساء الآباء الاثني عشر، والشهيد يوستين، وأعمال بولس** (حوالي سنة ١٦٠م)، وخطاب من جنوب الغال سنة ١٧٧ ورد في **يوسابيوس**.

اسم السفر

حمل هذا السفر أسماء كثيرة، منها:

١. أعمال الرسل apostolwn praxeiv twn كما جاء في Gestae Res وفي نسخة Codex Bezae.

٢. أعمال الرسل القديسين praxeiv twn agiwn apostolwn كما جاء في النسخة الإسكندرانية Codex Alexandrinus، ونسخ أخرى، وفي كثير من كتابات الآباء اليونانيين واللاتين.

٣. دعاه البعض "الإنجيل الخامس"، ودعاه Oecumenius "إنجيل الروح القدس".

٤. دعاه **القديس يوحنا الذهبي الفم** "الكتاب biblion to"، و"الدليل على القيامة apodeixiv anastasewv".

تاريخ كتابة السفر

يظن البعض أن السفر قد كُتب في الإسكندرية، لكن غالبية الدارسين يرون أنه كُتب في روما أثناء سجن الرسول بولس بعد وصول القديس لوقا إليها مع القديس بولس (أع ٢٨: ١٦).

يرى كثير من الدارسين أن سفر الأعمال كُتب حوالي سنة ٦٣م حيث نهاية ما ورد في السفر. في هذه الفترة بدأت حرب شنعاء ضد المسيحيين، وربما استشهد القديس لوقا بعد فترة وجيزة. وإذ أُحرقت روما وتعرض المسيحيون للذبح والحرق تأخر ظهور إنجيل لوقا وسفر الأعمال (ككتابٍ واحدٍ)، ولم يظهر إلا بعد الحرب السبعينية (حرق الهيكل علي يد تيطس) وهدوء الموقف واستعادة الكنيسة شيئًا من الحرية.

يبرّر بعض الدارسين كتابة السفر قبل عام ٦٤م بالآتي:

١. يظهر اهتمام القدّيس لوقا في إنجيله بأورشليم أكثر من الإنجيليّين متى ومرقس، فقد دُعي "راوي الرحلات Travel-narrative (لو٩: ٥١-١٦: ١٥). حيث ركّز على تحرّكات يسوع المسيح نحو أورشليم. ويظهر اهتمامه بالمدينة المقدّسة في عرضه للقصص الخاصة بالقيامة. فقد ركّز على أورشليم. فلو أنّه سجّل السفر بعد أحداث خراب أورشليم عام ٧٠م لما تجاهل هذا الحدث.

٢. إذ يسجّل السفر ما عانته الكنيسة الأولى من متاعب ما كان يمكن تجاهل الاضطهاد الذي أثاره نيرون عام ٦٤م، حيث استشهدت أعداد كبيرة من المسيحيّين من بينهم القدّيس بطرس وبولس. حتمًا سُجّل هذا السفر قبل ثورة نيرون العارمة، خاصة وأن السفر روى استشهاد كل من يعقوب بن زبدي واستفانوس، فلماذا لم يشر إلى استشهاد القدّيسين بطرس وبولس؟

٣. يقدّم لنا السفر طبيعة اللاهوت المسيحي في صورته البدائيّة كما يناسب بدء عصر الرسل. فلغة السفر اللاهوتيّة تكشف إلى حد ما عن تاريخ كتابته، مثل دعوة المسيحيّين "تلاميذ" والإشارة إلى يوم الأحد بأول الأسبوع، كما جاء الوصف لكثير من الأحداث تكشف أن الكاتب شاهد عيان له علاقة قويّة بالرسل ويعيش في جوّ الكنيسة في عصر الرسل.

٤. اتجاه الدولة نحو الكنيسة: يلاحظ في السفر أن الحكّام الرومان والقادة لم يثيروا اضطهادات ضد الكنيسة، وإن وُجدت فهي بوازع من اليهود. وفي بعض المواقف وقف الحكّام في صف بعض الرسل مثل القدّيس بولس حيث أنقذوا حياته من الخطط التي وضعها اليهود لقتله. هذا الاتّجاه كان سائدًا قبل اضطهاد نيرون للكنيسة عام ٦٤م.

٥. لم يشر سفر الأعمال إلى رسائل القدّيس بولس وغيره من الرسل ممّا يظهر أنّه كتب قبل جمع هذه الرسائل.

غاية السفر

١. سجل لنا الإنجيلي غاية كتابة الإنجيل، وهو تحقيق ما ابتدأ يسوع أن يعمله ويعلم به إلى يوم صعوده (لو ١:١-٤)، وجاء هذا السفر يحمل ذات الهدف منذ لحظة صعوده إلى قرابة ثلاثين عامًا ليحقق **عمل السيد المسيح خلال كنيسته بعد صعوده**. أي تحقيق سفر أعمال المسيح بروحه القدوس في كنيسته الشاهدة له. فهو العامل فيها، وهو الذي أرسل إليها روحه القدوس.

V يبدو أعمال الرسل أنه يروي قصة غير مزخرفة تصف ببساطة طفولة الكنيسة الحديثة الولادة، لكن إذ نتحقق أن كاتبها لوقا الطبيب يمتدحه الإنجيل، نرى أن كل كلماته هي دواء للنفس المريضة.

القديس جيروم

٢. **تحقيق الوعد الإلهي الخاص بانتشار المسيحية في أورشليم واليهودية والسامرة وإلى أقصى الأرض** (أع ١: ٨)، أي انفتاح باب الإيمان لجميع الأمم، وهذا يحسبه الرب معجزة المعجزات التي صنعها ربنا يسوع بروحه القدوس خلال تلاميذه ورسله. العامل الأساسي في نشر الإيمان هو حلول الروح القدس الذي قدم للتلاميذ موهبة التكلم بالألسنة ليجتذب الأمم ويُبكم أفواه المتعصبين من اليهود، كما سندهم بعمل الآيات والمعجزات باسم يسوع المسيح، وقام بتوجيههم وجذب النفوس إلي الكلمة.

إلى فترة طويلة لم يكن من السهل على اليهود أن يتقبلوا دعوة الأمم للإيمان، خاصة إن دخلوا مباشرة دون تهودهم. هذا ما نلمسه من بعض كتابات الآباء وحوارهم مع اليهود، مثل كتابات **العلامة ترتليان**، الذي أبرز نبوات العهد القديم في قبول الأمم مثل ما جاء في المزمور: "أنا

اليوم ولدتك. اسألني فأعطيك الأمم ميراثك" (مز ٢: ٧؛ ٨)؛ وأيضًا "في كل الأرض خرج منطقهم، وإلى أقصي المسكونة كلماتهم" (مز ١٩: ٤)

هذا وقد اشتركت القوات السمائية في العمل، فظهرت خدمة الملائكة بقوة لحساب انتشار ملكوت الله خلال الكنيسة.

لقد أعلن السيد لتلاميذه أنهم يُقدمون لملوك وولاة ويُحاكمون أمام مجامع (مت ١٠: ١٨)، هذا كله لن يقف عائقًا للكرازة في العالم كله (مت ٢٤: ١٤).

٣. **سفر تاريخي لاهوتي**: ينقل لنا الفكر اللاهوتي خلال أحداث تاريخية، معلنًا في بساطة أن السيد المسيح هو محور التاريخ، وأن تاريخ الخلاص جزء لا يتجزأ من التاريخ العام.

سجل لنا هذا السفر **أعمال بعض الرسل** مثل القديسين بطرس ويوحنا وبولس وغيرهم. لكنه ركز على عمل الروح القدس فيهم كقائدٍ ومدبرٍ لحياة الكنيسة الأولى، وعن عمله لكي تمتد الكرازة إلى أقصى المسكونة. لهذا ما أن وصل القديس بولس إلى روما، وشهد للسيد المسيح في عاصمة الدولة الرومانية التي كانت تسود العالم، حتى انتهى السفر دون إشارة إلى استشهاد القديس بولس في أيام نيرون. لأن غاية السفر هي أن البشارة بالخلاص قد بلغت بكل جرأة حتى قصر الإمبراطور.

يكشف هذا السفر عن استمرار قصد الله من التاريخ، فإن كانت أحداث الخلاص التي تمّت بالمسيح يسوع مخلّص العالم دخلت التاريخ كأحداث تاريخيّة، لكنّها يبقى هذا العمل الإلهي الفائق حسب "مشورة اللَّه المحتومة وعلمه السابق" (٢: ٢٣). هكذا أيضًا أحداث الكرازة المسجّلة في سفر الأعمال، هي أحداث تاريخيّة ووقائع زمنيّة، لكنّها تبقى شاهدة على استمرار تنفيذ خطّة اللَّه في العالم حتى تتحقّق كنيسة المسيح بكمالها، فتتأهّل للميراث الأبدي وشركة المجد. أحداثها هي تحقيق لنبوّات وردت في العهد القديم يقوم الروح القدس نفسه بتحقيقها عبر الأزمنة إلى يوم مجيء الرب الأخير.

٤. **إنجيل الروح**: إذ كثيرًا ما يشير هذا السفر إلى الروح القدس، فواضح أن غاية السفر ليس الكشف عن المتاعب التي واجهتها الكنيسة في بدء انطلاقها، وإنّما تأكيد أن اللَّه بروحه القدّوس هو الموجّه لكل حركة في تاريخها. فنمو الكنيسة لم يتحقّق خلال مجهودات الرسل الذاتيةومواجهتهم للمصاعب، إذ بحسب الفكر البشري كان يستحيل قبول العالم للإيمان، لكنّه هو ثمرة تحرّك اللَّه نفسه محب البشر، العامل في حياة الرسل كما الشعب... يعطي الروح

القدس الرعاة قوة للكرازة، ويهبهم مواهب للرعاية. هو عطية الله لأولاده في المعمودية، يهب حكمة روحية، ويقدم كلمة وقت الضيق (٦: ١٠)؛ مواهبه لا تقتني بمال (أي بالسيمونية أعمال ٨). كما يظهر **قوة الروح القدس في مواجهة المقاومين** من اليهود، وفي وقوف التلاميذ والرسل أمام ولاة وملوك والسلطات. إنه حصن الكنيسة المحيط بها، وسرّ قوّتها ومجدها. وكما جاء في سفر زكريّا: "وأنا يقول الرب أكون لها سور نارٍ من حولها، وأكون مجدًا في وسطها" (زك ٢: ٥).

٥. **دفاع عن رسولية القديس بولس رسول الأمم**. فقد تعرضت شخصيته للنقد الشديد، وأُتهم بمقاومة موسى "الناموس"، وأنكرت بعض الجماعات رسوليته. إنه وثيقة دفاعية، توفق بين الفكرين البولسي والبطرسي إن صح التعبير، بين الرغبة في كسب الأمم وبين الالتزام بحفظ الناموس.

تشابه الرسولان: فكلاهما ابرأ معوقين (أع ٣؛ ١٤)، وشفيا المرضى بطرق غريبة (أع٥؛ ١٩)، وحُسبا ساحرين (أع ٨؛ ١٣)، وأعادا إنسانا للحياة (أع٩؛ ٢٠)، وخرجا من السجن بطريقة معجزية (أع ١٢، ١٦)، وقاما بثلاث رحلات تبشيرية. هذا التماثل بين الشخصيّتين قُدّم بطريقة رائعة ومثيرة بهدف تأكيد أن القدّيس بولس كان رسولاً على ذات المستوى مع القدّيس بطرس.

أبرز السفر مواقف لبطرس الرسول في خدمته للأمم، ومواقف للرسول بولس فيها يحرص ألا يكسر الناموس (أع ١٦؛ ١٨).

٦. **وثيقة لاهوتية تعليمية**: يحوى ١٨ مقالاً أو خطابا يمثلون رُبع السفر، أغلبها تقدم صورة حية لتعليم الكنيسة الأولى وفكرها اللاهوتي. يمكننا القول أن سفر أعمال الرسل قدّم بذار قانون الإيمان المسيحي، خاصة الإيمان بعمل اللَّه الخلاصي، والتعرّف على الآب والروح القدس يسوع المسيح والروح القدس، وعملهم في حياة الكنيسة كما في حياة المؤمن كعضو حيّ في الكنيسة. غير أنّه لا يمكننا القول بأن ما ورد في السفر هو المنهج الكامل لكل تعاليم الكنيسة. فمع تناغم ما ورد في السفر مع رسائل الرسل، إلاّ أن الرسائل قدّمت في شيء من التوسّع العقائد الإيمانيّة والتعاليم المسيحيّة والسلوك اللائق بالمؤمن في حياته الخاصة وبيته والكنيسة والمجتمع الذي يعيش فيه.

٧. **مرشد للكنيسة**: يقدم هذا السفر الخطوط الرئيسية لكنيسة السيد المسيح، كمرشدٍ لها عبر الأجيال، حتى تنمو بلا انحراف، وسط الضيق.

٨. لم يكن يشغل ذهن الإنجيلي لوقا تسجيل تاريخ الكنيسة الأولى، أو عرض لتاريخ الرسل وأعمالهم المجيدة، لكن **غايته كرازيّة**. فالسفر عمل تبشيري ينادي بالخلاص لكل إنسان أين كان موقعه، وأيّا كانت ظروفه. فالسيّد المسيح نفسه يقدّم بروحه القدّوس الخلاص للجميع دون تفرقة عنصريّة. يقدّم إنجيله لليهودي كما لليوناني والروماني... للرجل كما للمرأة، للولاة والحكّام وقوّاد الجيش كما للفقراء وعامة الشعب، للأغنياء كما للفقراء.

سمات السفر

١. الدقة التاريخية مع العرض في شيء من التفصيل بحيوية.

٢. البلاغة الأدبية العالية في اليونانية.

٣. سفر موضوعي، يقدم عمل الله الفائق خلال حقائق واقعية، مع عدم تجاهل الضعف البشري حتى بالنسبة للقيادات الكنسية (أع ١٥: ٣٩).

٤. قلب هذا السفر وعموده الفقري هو "**تكونون لي شهودًا**" (١: ٨) وقد وردت كلمة "يشهد" أكثر من ٣٠ مرّة. ما تشهد به الكنيسة هو أنه باسمه وحده يتحقّق الخلاص للعالم (٤: ٢١). يلزم أن تصدر هذه الشهادة عن القلب، لأنّه من فضلة القلب يتكلّم اللسان (مت ١٢: ٣٤). هكذا لم يكن ممكنًا تحقيق هذه الشهادة إلاّ بحلول الروح القدس في الكنيسة، فيحمله المؤمن في قلبه ويتمتّع بما يخبره به عن السيّد المسيح خلال حياته الجديدة المقامة. فالشاهد الحقيقي هو الروح القدس الساكن في القلب والعامل فيه وبه. الروح أيضًا هو العامل في قلوب السامعين ليجتذبها لا للمؤمن المتكلّم بل للَّه المخلِّص الساكن فيه.

٥. هذا السفر هو **سفر القوّة**: "تنالون قوّة" (١: ٨)، تتحدّى قوّات الظلمة وفساد العالم وخطط الشرّ، ليُعلن النور في حياة المؤمنين.

الكرازة في العالم

رأينا في إنجيل يوحنا (١٤: ١٢) السيد المسيح يعد بأن من يؤمن به يعمل الأعمال التي يعملها السيد نفسه وأعظم منها. وأما سرّ عظمتها فهي أنها تتم باسمه بعد صعوده وتحقق غاية مجيئه، انتشار الكرازة بين الأمم بصورة فائقة لم تتم أثناء خدمة السيد علي الأرض. وقد جاء سفر الأعمال يعلن تحقيق هذا الوعد الإلهي، لا كتاريخٍ يسجله لنا الإنجيلي لوقا بوحي الروح

القدس، وإنما كبدء انطلاقة حية لكي ينفتح باب الرجاء أمام الكنيسة لتعمل عبر الأجيال، متكئة علي هذا الوعد، حتى تصير الأرض وملؤها للرب ولمسيحه.

v الآن قد تحققت تمامًا كل هذه الأمور بكل دقة، بل ونرى في هذا السفر أنه تحقق ما هو أكثر كما أخبرهم (السيد المسيح) حين كان معهم. بجانب هذا نرى الرسل أنفسهم يسرعون في طريقهم **كمن هم محمولين على أجنحة فوق البر والبحر**. هؤلاء الذين كانوا قبلاً جبناء وبلا فهم صاروا فجأة أشخاصًا غير ما كانوا عليه؛ صاروا أناسًا يحتقرون الغنى، ويسمون فوق المجد (الباطل) والهوى والشهوات، وباختصار فوق كل النزعات.

علاوة على هذا، صاروا يعملون بروح الإجماع، فلا وجود للحسد كما كان قبلاً، ولا للشوق القديم نحو التعالي، بل تحققت فيهم كل الفضائل في لمساتها الأخيرة؛ تشرق المحبة فيهم جميعًا ببهاءٍ فائقٍ، هذه التي أمرهم بها الرب قائلاً: "بهذا يعرف الجميع إنكم تلاميذي، إن كان لكم حب بعض لبعض" (يو ١٣: ٣٥).

القديس يوحنا الذهبي الفم

عنصرة كل الدهور

مع كل قداس للموعوظين في كل أحدٍ أو في أيام الأسبوع، تلتزم الكنيسة بقراءة فصلٍ من سفر أعمال الرسل "الأبركسيس"، ليس لأنه يذكرنا بانطلاقة الكنيسة في العنصرة وتكوين الجماعات المسيحية الكنسية الأولى وفكرها وحياتها في الرب، وإنما يمثل مرآة عملية للكنيسة الأصلية، تكشف اليوم عن مفاهيم الكنيسة في أحداث العنصرة، فتمارس العنصرة عبر كل الدهور.

سفر أعمال الرسل ووديعة البشارة

يكشف سفر الأعمال عن وديعة البشارة المفرحة، التي تسلمها الرسل والتزموا بها هم والأساقفة والقسوس والشمامسة، بل والشعب. يجدون لذة داخلية وفرحًا فائقًا بتسليم هذه الوديعة وسط مضايقات العدو واضطهاده لاسم يسوع وكنيسته. هكذا تشعر الكنيسة أن رسالتها الأولى هي تلمذة الأمم للتمتع ببهجة خلاص الله وأن يكونوا هم بدورهم شهودًا له حتى تبلغ البشارة إلى أقصى الأرض. هذا الالتزام المفرح تحققه الكنيسة على مستوى الجماعات المقدسة كما على مستوى كل عضوٍ فيها شخصيًا.

يسوع المسيح في سفر الأعمال

١. اسم يسوع المسيح

يقول **القديس باسيليوس الكبير** إن اسم "**يسوع المسيح**" هو ملخص الإيمان كله. فهو اعتراف به كابن للآب، وهو من مسح بالروح القدس. فالاسم يضم الآب والروح ويعلن ألوهية الرب، أي يضم أسماء أقانيم الثالوث فيه.

v النقطة التي ركز عليها المسيح جدًا هي أن يُعرف أنه جاء من عند الآب، فقد كان هدف الكاتب الرئيسي أن يعلن أن المسيح قام من بين الأموات، وصعد إلى السماء وأنه عاد إلى الله (الآب) وجاء من عنده.

القديس يوحنا الذهبي الفم

٢. يسوع المسيح حاضر في كنيسته

يبدأ سفر الأعمال بصعود السيد المسيح إلى السماء، ووقوف التلاميذ في دهشة أمام هذا المنظر، مع أنهم كانوا عاجزين عن العبور معه بأجسادهم إلى حيث هو صاعد. وظهر لهما ملاكان مجيدان ليبشرانهم بأنه كما صعد من المشارق ليحمل قلوبهم إلى سمواته، سيأتي من المشارق ليحملهم مع كافة مؤمني العهد القديم والجديد إلى حضن الآب، يشاركون العريس مجده الأبدي! وانتهى السفر بالرسول بولس الأسير في روما يشهد في العاصمة بيسوع المسيح مخلص العالم. أما بين الأصحاحين فكأن قائد موكب الكنيسة على الأرض هو الروح القدس الذي يعلن حضور المسيح في الكنيسة التي تشاركه آلامه وتختبر عربون مجده. وكأن السيد الذي صعد إلى السماء جسديًا هو حاضر في كنيسته التي تكمل آلامه حتى ينعم العالم كله بالخلاص خلال كرازة الكنيسة بعريسها، وقبولها الاضطهاد بمسرة قلبٍ.

٣. يسوع الرب والمسيح

غاية حلول الروح القدس هو التمتع بعمل الثالوث القدوس. فبعد حلوله يتحدث القديس بطرس عن أن الله قد برهن بآيات وقوات أن يسوع الذي قتله اليهود هو المسيح الذي تنبا عنه داود أنه قائم من الأموات وجالس عن يمين كرسي مجده في السماوات (أع ٢: ٢٢-٣٥). وختم عظته هكذا: "الله جعل يسوع، هذا الذي صلبتموه أنتم، **ربًا ومسيحًا**" (٢: ٣٦).

هكذا يؤكد الروح القدس أن قتل المسيح على الخشبة ليس غضبًا إلهيًا عليه بل إعلان لربوبيته، حيث يبيد الموت عنا، ويملك في القلوب كربٍ وملكٍ سماوي. كانت كرازة الرسل في الهيكل والبيوت هي البشارة بيسوع المسيح (٥: ٤٢). وكأن غاية الرسل المُضطهدين هو بث روح الفرح بمجيء المسيح الذي طالما اشتهى الآباء والأنبياء رؤيته والالتقاء معه.

جاء لقب "**المسيح**" ليس لقبًا سياسيًا وطنيًا بل لقب سماوي يمس خلاص العالم كله (٣: ٢١). ففي السامرة كان فيلبس "يكرز لهم **بالمسيح**" (٨: ٥-٨). وفي تسالونيكي كان الرسول بولس يحاجج اليهود "أن هذا هو **المسيح** يسوع الذي أن أنادي لكم به" (١٧: ٣). وفي كورنثوس كان الرسول بولس "يشهد لليهود **بالمسيح** يسوع" (١٨: ٥)، وهكذا في أخائية (١٨: ٢٨) وفي قيصرية (٢٦: ٢٣).

٤. يسوع القدوس البار (٣: ١٤- ١٥)

ارتبط اسم يسوع بالقدوس والبار: "لا تدع **قدوسك** يرى فسادًا" (٢: ٢٧). "فأنبأوا بمجيء **البار** الذي أنتم صرتم مسلميه وقاتليه" (٧: ٥٢)

أراد اليهود الخلاص منه بتسليمه للأمم وقتله وهو القدوس البار، من يحمله فيه يحمل قداسته وبرَّه. وكما يقول الرسول بولس: "**صار لنا برًا وقداسة**" هكذا قدم لنا فهمًا جديدًا للقداسة والبرّ لا يقدر الناموس بحرفيته أن يحققه.

٥. يسوع العبد والخادم

"إن إله إبراهيم واسحق ويعقوب، إله آبائنا، مجد **فتاه** (أو عبده) يسوع الذي أسلمتموه أنتم. أنكرتموه... أنكرتم القدوس البار... رئيس الحياة قتلتموه" (٣: ١٣-١٥).

"أقام الله **فتاه** (عبده) أرسله يباركم يرد كل واحدٍ منكم من شروره" (٣: ٢٦).

في طلبة الكنيسة بعد إطلاق القديسين بطرس ويوحنا من السجن: "لتُجر آيات وعجائب باسم **فتاك** (عبدك) القدوس يسوع" (٤: ٣٠).

لقد سبق فقدم لنا إشعياء النبي الكثير من تسابيح العبد المتألم (إش ٥٣). إنه الخادم الحقيقي الذي مسحه الآب ليعلن الحب الإلهي الباذل والعملي، "هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد، لكي لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية" (يو ٣: ١٦).

٦. المسيح والدعوة للتوبة

جاء السفر كله دعوة للتوبة *metanoia* (٢: ٣٧-٤٠)، ففي المسيح وحده أمكن بروحه القدوس تغيير الاتجاه الداخلي وتجديد الطبيعة، لكي ما يعطي المؤمن وجهه لله أبيه، ويقدر أن يعطي القفا للشر مهما كانت اغراءاته.

٧. اسم يسوع المسيح والمعمودية

في هذا السفر نلاحظ أن التوبة يرافقها نوال **العماد باسم يسوع المسيح** الذي فيه ننال الميلاد الجديد، والشركة في جسد المسيح لنحمل صورته، ويمكننا بالروح القدس الساكن فينا أن نجدد العهد الذي تمتع به موسى في سيناء. هذا الذي قتلوه هو إله سيناء الذي طالما يعتزون به. وقد قام، لا لحاجة خاصة به، بل لكي نُدفن في المعمودية ونقوم معه، ونختبر قوة قيامته في حياتنا اليومية. هذه شهادة عملية لقيامته: "ونحن شهود له بهذه الأمور والروح القدس أيضًا الذي أعطاه الله للذين يطيعونه" (٥: ٣٢).

في اختصار، الكرازة بالمسيح المصلوب القائم من الأموات ليس موضوع مناقشات جدلية فلسفية، لكنها خبرة القيامة، وتحول إلى أشخاص أحياء، كأعضاء في جسده القائم من الأموات، الجسد الواحد، لنحيا بروحٍ واحدٍ ونفسٍ واحدةٍ. بهذا تتحول حياتنا إلى حياة فصحية، عيد لا ينقطع، وفرح دائم بالمسيح فصحنا الحقيقي!

الروح القدس في سفر الأعمال

يُدعى سفر الأعمال "**سفر الروح القدس**"، فقد بدأ السفر بوعد السيد المسيح لتلاميذه بحلول الروح القدس عليهم ليهبهم قوة الشهادة له في أورشليم واليهودية والسامرة وإلى أقصى الأرض. وجاء السفر كله يعلن قيادة الروح القدس للكنيسة بكل وسيلة لتحقيق هذا الوعد الإلهي.

إن تطلعنا إلى الكتاب المقدس ككل نرى الروح القدس دائم العمل منذ الخلقة وإلى مجيء السيد المسيح الأخير ليقدم للإنسان كل الإمكانيات، ويهيئه للدخول في الأمجاد الأبدية. ويمكننا الكشف عن عمله الإلهي في المراحل التاريخية الأربع التالية:

١. عمل الروح قبل خلقة آدم وحواء.

٢. عمل الروح بعد السقوط (زمن الإعداد لمجيء المسيح).

٣. عمل الروح في زمن المسيح.

٤. عمل الروح في زمن كنيسة العهد الجديد.

لم يتوقف معلمنا لوقا البشير عن الكشف عن عمل الروح غير المنقطع خلال الثلاث المراحل الأخيرة.

أ. عمل الروح قبل خلقة آدم وحواء: يبدأ سفر التكوين بالحديث عن الروح القدس الذي كان يرف على وجه المياه حيث كانت الأرض خالية وخاوية، بلا شكل ولا جمال ولا نفع، ليقيم من هذه الأرض عالمًا جميلاً رائعًا، يمثل قصرًا ملوكيًا يعيش فيه آدم وحواء كملكٍ وملكةٍ في قصرهما، تعمل كل الطبيعة بكل إمكانياتها وجمالها لسعادتهما. هذا الروح عينه يبقى يعمل عبر كل الزمن ليقيم من كل مؤمنٍ عالمًا جميلاً، بل عروسًا مقدسة مهيأة للعرس السماوي الفريد المفرح.

ب. عمل الروح القدس بعد سقوط الإنسان: ركز الرسل في أحاديثهم الواردة في هذا السفر على دور الروح القدس في تهيئة شعب الله لقبول عمل السيد المسيح الخلاصي. ففي أول حديث للقديس بطرس بعد الصعود يقول: "ينبغي أن يتم هذا المكتوب الذي **سبق الروح القدس فقاله** بفم داود" (١:١٦). فالروح القدس كان يقود رجال الله ليتنبأوا عن أحداث الخلاص، لكي يتمتع العالم كله بالحياة الجديدة. كانت الفترة من سقوط الإنسان إلى مجيء السيد المسيح فترة إعداد للبشرية لقبول السيد، خاصة خلال النبوات، فلا نعجب إن قال موسى النبي لتلميذه يشوع: "يا ليت كل شعب الرب كانوا أنبياء إذا جعل الرب روحه عليهم" (عد ١١:٢٩). لقد غار يشوع على الشيخين ألداد وميداد لأنهما تنبأ في المحلة وليس داخل الخيمة، أما موسى النبي فاشتهى أن يعمل الروح القدس في حياة الشيوخ القادة كما في الشعب دون حدود مكانية.

ج. عمل الروح القدس في زمن المسيح: الروح القدس الذي لم يكف عن أن يعمل، خاصة في الأنبياء، لتهيئة الشعب لقبول المخلص، عمل أيضًا في زمن السيد المسيح. فيذكر لوقا البشير كيف هيأ الروح القدس القديس يوحنا ليكون السابق للسيد المسيح: "ومن بطن أمه **يمتلئ من الروح القدس**... لكي يهيئ للرب شعبًا مستعدًا" (لو ١:١٥، ١٧). كما كشف عن دور الروح القدس في تجسد الكلمة المخلص: "**الروح القدس يحل عليكِ**، وقوة العلي تظللكِ، فلذلك أيضًا القدوس المولود منكِ يُدعى ابن الله" (لو ١:٣٥).

د. عمل الروح القدس في زمن الكنيسة: جاء سفر الأعمال يكشف بفيضٍ عظيمٍ عن تحقيق الوعد الإلهي: "**ومتى جاء المعزى الذي سأرسله أنا إليكم من الآب، روح الحق الذي من عند الآب ينبثق، فهو يشهد لي**" (يو ١٥:٢٦)".

منذ العنصرة والروح القدس يقود بنفسه الكنيسة خلال الكهنة كما من خلال الشعب، ليكون لكل عضوٍ دور حيٌ للشهادة السيد المسيح. لقد انطلق بالكنيسة يدشن الشهادة للسيد المسيح في أورشليم فاليهودية والسامرة ثم إلى الأمم، حتى بلغ بها إلى القصر الإمبراطوري في روما عاصمة العالم في ذلك الحين.

v الروح القدس العامل في أورشليم: حلّ الروح القدس على التلاميذ في العلية (أع ٢) هذا الذي وهب الرسل والمعلمين والأنبياء... كل منهم دوره. بل هو الروح العامل في الكنيسة كلها. هذا ما تحقق حسب نبوة يوئيل النبي: "يقول الله ويكون في الأيام الأخيرة أني أسكب من روحي على كل بشر، فيتنبأ بنوكم وبناتكم، ويرى شبابكم رؤى، ويحلم شيوخكم أحلامًا، وعلى عبيدي أيضًا وإمائي أسكب من روحي في تلك الأيام فيتنبأون... ويكون كل من يدعو باسم الرب يخلص" (أع ٢:١٧ -٢١). هكذا حلّ الروح القدس على الكنيسة ليحول كل قلبٍ إلى نبي، ليشهد للأمجاد المقبلة خلال خبرة عربونها. يعمل في الرجال والنساء، كما في الشباب والشيوخ، مقدمًا الخلاص لكل من يدعو باسم الرب، سواء كان يهوديًا أو سكيثيا أو بربريًا... كما أقام الروح القدس أنبياء في أورشليم، من بينهم أغابوس الذي تنبأ عن الجوع العظيم العتيد أن يصير على جميع المسكونة (أع ١١:٢٧-٢٨).

v الروح القدس العامل في السامرة: لم يُحصر الروح القدس بمدينة أورشليم ولا بهيكل سليمان كما يتوقع اليهود. فإذ قبلت السامرة كلمة الله أرسلت الكنيسة القديسين بطرس ويوحنا، اللذين "وضعا الأيادي عليهم، فقبلوا الروح القدس" (أع ٨:١٧). لقد قاد الروح القدس القديس فيلبس ليتقدم ويرافق مركبة الرجل الأثيوبي خصي وزير لكنداكة ملكة أثيوبيا (أع ٨:٢٩)، بل ونراه يخطفه ويأتي به إلى أشدود (أع ٨:٣٩ -٤).

v الروح القدس يعمل في كل الأرض: لم يكن ممكنًا لآخر غير الروح القدس أن يقتحم العالم الأممي، ليحرك القلوب ويجتذبها إلى الإيمان بالمصلوب، ولكي يهبهم الميلاد الجديد في المعمودية، ويجدد على الدوام أفكارهم لينموا بغير انقطاع، فيصيروا أيقونة العريس السماوي. لم يكن ممكنًا لرسولٍ ما أن يتجاسر ويعمد أممي دون أن يتهود أولاً، لذا بادر الروح القدس وحلّ على كرنيليوس وأهل بيته وكل الحاضرين من الأمم قبل أن ينهي القديس بطرس حديثه

معهم (أع ١٠:٤٤)، عندئذ فقط استطاع القديس أن يقول: "أترى يستطيع أحد أن يمنع الماء حتى لا يعتمد هؤلاء الذين قبلوا الروح القدس كما نحن أيضا؟" (أع ١٠:٤٧). وفى كل مدينة إذ وضع القديس بولس يديه على المؤمنين حلّ الروح القدس عليهم (أع ١٩:٦).

الروح القدس هو الذي يقيم الخدام العاملين في هذا الكرم. "قال الروح القدس: افرزوا **لي** برنابا وشاول للعمل الذي دعوتها إليه" (أع ١٣:٢). أما قوله "**لي**" فيكشف عن حرص الروح القدس أن ينسب هذا العمل له، فهو يختار العاملين، وهو العامل فيهم وبهم حتى يحقق عمله الإلهي خلال الكنيسة التي يقدسها. ويبقى سفر الأعمال يؤكد هذه الحقيقة كما سنرى أثناء دراستنا للسفر.

كان الروح القدس يكشف للرسول بولس حتى ما سيحل به من شدائد أثناء خدمته: "غير أن الروح القدس يشهد في كل مدينة قائلاً إن وثقًا وشدائد تنتظرني" (أع ٢٠:٢٣).

وفي حديث القديس بولس مع كهنة أفسس يقول: "احترزوا لأنفسكم ولجميع الرعية التي **أقامكم الروح القدس** فيها أساقفة لترعوا كنيسة الله التي اقتناها بدمه" (أع ٢٠:٢٨).

أخيرًا إذ بلغ الأسير بولس روما، دخل متهلل، الروح فقد حقق الروح القدس ما سبق أن أنبأ به على لسان إشعياء النبي، إذ قال: "حسنًا كلم الروح القدس آباءنا بإشعياء النبي، قائلاً: اذهب إلى هذا الشعب وقل... فليكن معلومًا عندكم أن خلاص الله قد أُرسل إلى الأمم، وهم سيسمعون" (أع ٢٨: ٢٥-٢٨).

سفر الأعمال والبرهان علي القيامة

الكرازة هي دعوة للإيمان بالسيد المسيح المصلوب القائم من بين الأموات، لكي يختبر المؤمن عربون القيامة في حياته اليومية. ولما كان الإيمان بالقيامة من الأموات يكاد يكون مستحيلاً في ذلك الوقت، لذلك أغدق الله على الرسل والتلاميذ بآيات وعجائب غير المعتادة باسم السيد المسيح كما ورد في هذا السفر لتأكيد حقيقة القيامة.

- المعجزات الرسولية هي البرهان علي القيامة، وأما عن المعجزات الرسولية فهذا السفر هو مدرستها.

القديس يوحنا الذهبي الفم

سفر الأعمال والحياة الكنسية

أينما انطلق المؤمن، لعلة أو أخرى، فإن ما يشغله أن يرى تكوين جماعة مقدسة، جسد المسيح المقدس، لها سماتها وإمكانياتها لبنيان ملكوت الله، مهما كان العدد قليلاً أو الإمكانيات المادية بسيطة. فإن الروح القدس يغني الكنيسة، ويقودها بإمكانياته الإلهية.

أما أهم ملامح الكنيسة الأولى فهي:

١. **كنيسة فرح**: في كل جوانب حياتها التعبدية والكرازية، ووسط الضيق في الحياة اليومية... حيث يدرك المؤمنون أن النبوات قد تحققت، وأن عمل الفداء تم، منتظرين مجيء المسيا الأخير وقيامة الأموات.

٢. **إسرائيل الجديد الروحي** البعيد عن الفكر الصهيوني المادي المتعصب، إذ تحقق ملكوت المسيح بواسطة عمل روحه القدوس.

٣. **كنيسة متفتحة على الأمم**... لكي يفتح قلوب اليهود على الأمم استخدم الله كل وسيلة لانتزاع روح التعصب منهم: مثل إرسال ملاك لفيلبس كي يكرز للأثيوبي (أع ٨)؛ وظهور السيد المسيح نفسه لشاول الطرسوسى رسول الأمم (أع ٩)؛ وإلزام الروح القدس بطرس أن يتحرك نحو كرنيليوس الأممي (أع ١٠).

٤. **كنيسة صداقات عاملة في الرب**: في هذا السفر نتلامس مع صداقة الرسولين بطرس ويوحنا (أع ٣؛ ٤؛ ٨)؛ وصداقة برنابا وبولس الرسولين (أع ١١؛ ١٣؛ ١٥)؛ صداقة الرسولين برنابا ومرقس (أع ١٦)، وأيضًا الرسول بولس وسيلا ومع لوقا البشير ومع تيموثاوس وأيضًا مع أكيلا وبريسكلا الخ.

سفر الأعمال والعبادة

في كلمات قليلة عبَّر الإنجيلي لوقا عن الحياة الكنسية بقوله: "**وكانوا يواظبون على تعليم الرسل والشركة وكسر الخبز والصلوات**" (أع ٢: ٤٢). كانت الحياة الكنسيَّة هي فكر إيماني رسولي، مع شركة حب عمليَّة، وعبادة جماعيّة وشخصيّة لا تنقطع. وجاء السفر كلّه يؤكد أن الجماعة المقدّسة كنيسة صلاة دائمة، فحين تحدّث الرسول بولس أمام أغريباس قدّم الآباء الأوّلين أنهم كانوا "**عابدين بالجهد ليلاً ونهارًا**" (أع٢٦: ٧). هكذا جاءت كنيسة العهد الجديد تكمل ذات المسيرة "الصلاة بلا انقطاع". وإن كان السفر هو إعلان عن الشهادة للسيد المسيح

حتى تبلغ إلى أقصى الأرض، فإن هذا لن يتحقّق إلا بروح الصلاة كنداء السيد المسيح: "اطلبوا من رب الحصاد أن يرسل فعله لحصاده".

الكنيسة الأولى كما يصوّرها لنا الإنجيلي لوقا مجتمع صلاة دائم، **تجد في الصلاة شركتها مع إلهها، وممارستها لحياة التسبيح الملائكيّة، وسندها في الكرازة، وعونًا في الضيق!** تصلّي أينما اجتمعت، ويمارس كل عضو صلواته أينما حلّ، وتحت كل الظروف، لا يحدّ الصلاة مكان ما، ولا زمن معيّن.

١. كانت تصلّي **في الهيكل** كل يومٍ بنفسٍ واحدة] (أع ٢: ٤٦)، وحينما كان رسول أو مؤمن من أصل يهودي يأتي إلى أورشليم يصلّي في الهيكل كما فعل الرسول بولس (أع ٢١: ٢٦؛ ٢٢: ١٧). وكان للمسيحيّين صلواتهم **في البيوت** حيث لم تكن بعد قد نشأت مبانٍ كنسيَّة (أع ٢: ٤٦)، يمارسون فيها سرّ الإفخارستيّا والصلوات الليتورجيّة وغيرها. كما كانوا يصلّون **في مخادعهم** كما فعل شاول (أع ٩: ١١)، أو **على السطوح** كما فعل القديس بطرس (أع ١٠: ٩). ولا يكفّ المؤمن عن التسبيح والصلاة حتى **في السجن الداخلي** كما فعل القدّيسان بولس وسيلا (أع ١٦: ٢٥). وفي توديع رسول إذ كانت الكنيسة تجتمع ولو **على الشاطئ** ليركع الكل ويصلّون (أع ٢١: ٥؛ ٢٠: ٢٦).

٢. كانت الكنيسة تجتمع في **اليوم الأول من الأسبوع** (أع ٢٠: ٧-١٠). ففي ترواس نجد التلاميذ مجتمعين من مساء السبت حيث يبدأ الأسبوع، ويطيل الرسول بولس حديثه إلى نصف الليل، انتهى الاجتماع بالاحتفال بسرّ الإفخارستيا أو كسر الخبز.

٣. التزم المؤمنون **بممارسة صلوات السواعي**، فقد اعتاد اليهودي التقي أن يمارس الصلاة ثلاث مرّات يوميًا، كما كان يفعل داود النبي ودانيال النبي. فقد صعد القديس بطرس على السطح نحو الساعة السادسة لكي يصلّي (أع ١٠: ٩).

٤. الصلاة هي **سرّ اختيار خدّام مقدّسين للرب**، فعند اختيار التلميذ الثاني عشر (متياس) صلّت الكنيسة كلّها (أع ١: ١٥-٢٦). وعند تكريس بولس وبرنابا للكرازة بين الأمم (أع ١٣: ٢) صلّوا، وأيضًا عند سيامة قسوس للرعاية (أع ١٤: ٢٣).

٥. الصلاة هي **سند الخدّام في الرعاية**، فصلّى القديس بطرس عند إقامة طابيثا (أع ٩: ٤٠)، وصلّى بولس الرسول عند شفاء بوبليوس (أع ٢٨: ٨).

٦. **الصلاة حتى من أجل المقاومين والمضطهدين**، فركع القديس إستفانوس ليصلّي من أجل راجميه في لحظات رجمه (أع ٧: ٦٠).

٧. أما غاية الصلاة فهي تمتع كل نفسٍ بشريّةٍ بعذوبة الحياة الجديدة، فلا نعجب من قول الرسول بولس أمام المحفل: "**كنت أصلّي إلى اللَّه، أنه بقليل وبكثير ليس أنت فقط، بل أيضًا جميعً الذين يسمعونني اليوم، يصيرون هكذا كما أنا، ما خلا هذه القيود**" (أع ٢٦: ١٩).

سفر الأعمال وروح الحب والوحدة

يكشف لنا سفر الأعمال عن التباين بين أعضاء الكنيسة، حتى بين الرسل، فلكل منهم شخصيته المستقلة ومواهبه وقدراته، لكنه يشعر باحتياجه إلى الآخرين ليفكر الكل معًا، ويتشاورون، ويعملون بروح الحب والوحدة.

١. لعل مجمع أورشليم (أع ١٥) هو أروع مثل لذلك، حيث لم ينشغل أحد قط فيمن يقود المجمع ويرأسه، بل كل يقدم الآخر في الكرامة. هذا وقد اشترك أيضًا العاملون مع الرسل في المجمع بروح الحب والوحدة.

٢. مساندة كنيسة أورشليم العاملين في مناطق أخرى، فأرسلت القديسين بطرس ويوحنا لمساندة القديس فيلبس في السامرة (أع ٨:١٤). وكأن الكنيسة كلّها تعمل معًا بغية خلاص كل نفسٍ، دون التطلّع إلى طلب مراكز للقيادة على مستوى الأفراد أو حتى الكنائس المحليّة.

٣. بحث برنابا عن شاول لكي يخدم معه سنة كاملة في أنطاكية (أع ١١:٢٥) لتصير مركز خدمة للأمم في بلاد كثيرة. فلم يحتكر القدّيس برنابا الخدمة هناك، بل يجد مسرّته أن ينتفع بمواهب القدّيس بولس دون تتطلّع إلى من تُنسب خدمة الأمم.

٤. فرز الروح القدس برنابا وشاول للكرازة (أع ١٣:٢)، فقد قام روح اللَّه نفسه باختيار الخدّام وتوزيع العمل حيث كانت الكنيسة مجتمعة معًا بروح الحب والوحدة.

٥. مع تخصيص القديس بطرس لخدمة الختان اختاره الروح ليكرز لباكورة الأمم، قائد المائة كرنيليوس (أع ١٠)، حتى لا يشعر أنه غريب عن كنيسة الأمم. كما بدأ القديس بولس رسول الأمم بالخدمة بين اليهود. وبهذا تخف الفجوة بين اليهود والأمم الذين قبلوا الإيمان بالسيد المسيح، ويتمتّع الكل بروح الحب والوحدة.

سفر الأعمال والتحرر من حركة التهود

مجيء المجوس إلى اليهودية يبحثون عن مخلص العالم يكشف عن التزام الأمم أن يبحثوا عنه في أسفار العهد القديم. لكن يلزمهم ألا يُستعبدوا لحرفية الناموس، مع الاحترام المتبادل للمقدسين من الفريقين. كان يلزم التحرر من العوامل السياسية.

سفر الأعمال وملء الزمان

منذ نال آدم وحواء الوعد بمجيء المخلص الذي يردهما إلى حياة فردوسية منتصرة ومجيدة وهما يترقبان تحقيق هذا الوعد الإلهي كأنه يتم حالاً دون انتظارٍ لملء الزمان. وورث أبناؤهما هذه الرغبة المتقدة، فكان عند ظهور نبيٍ يتساءل الشعب إن كان هو المسيا المنتظر أم يترقبون آخر. وإذ جاء ملء الزمان وجاء يسوع المسيح ظنوا أنه يملك زمنيًا على الأرض، ولم يكونوا قادرين على انتظار ملء زمان مجيئه الأخير، لهذا إذ وعد بروحه القدوس تساءل التلاميذ: "هل في هذا الوقت ترد المُلك إلى إسرائيل؟" (أع ١: ٦)

سجل القديس لوقا الإنجيل بإعلان الروح القدس، فنقل سامعيه إلى أحداث الخلاص من صلب وموت وقيامة ثم صعود إلى السماء، وختم السفر بقوله: "وأخرجهم خارجًا إلى بيت عنيا، ورفع يديه وباركهم؛ وفيما هو يباركهم انفرد عنهم وأُصعد إلى السماء، فسجدوا له ورجعوا إلى أورشليم بفرحٍ عظيمٍ، وكانوا كل حين في الهيكل يسبحون ويباركون الله. آمين" (لو ٢٤: ٥٠-٥٣).

هكذا ضم القديس لوقا البُعد السماوي إلى تاريخنا الخلاصي. قدم حركة تصحيح للفكر اليهودي، وهو أن **لكل عملٍ ملء زمان**، فقد مرت آلاف السنوات يترقب آدم وبنوه مجيء المسيا الملك... وقد جاء في ملء الزمان، لكن لا ليملك على الأرض، بل ليصعد إلى السماء ويصعدهم معه، فقدم لمسات أخروية سماوية للحياة البشرية. لقد جاء غير الزمني وخضع للزمن، لكي يحملنا إلى ما وراء الزمن. هذا التصحيح جزئي، إذ ظن حتى التلاميذ والرسل أنه بإنهاء حضور المسيح المنظور على الأرض يأتي فورًا ليحمل مؤمنيه بروحه القدوس إلى العالم غير المنظور!

التزم القديس لوقا أن يسجل سفر الأعمال ليؤكد الحقيقتين التاليتين:

١. مجيء السيد المسيح وصعوده إلى **السماء لم ينزع حضوره فينا** ونحن نخضع للزمن حتى يضم معنا البشرية إلى أقاصي الأرض، فترتفع معنا إلى الحياة الإنقضائية (الإسخاتوليجية)، فالكنيسة كجسد المسيح تُعلن حضوره غير المنظور حتى يحمل كل الأمم إلى مجده.

٢. مع ترقبنا لمجيئه الأخير الإسخاتولوجي فإننا نخضع في واقعنا للزمن، بينما ترتفع قلوبنا فوق الزمن. فمجيئه له ملء الزمان حتى تحقق الكنيسة رسالتها وسط الاضطهادات من الخارج والضيقات من الداخل، تواجه الكنيسة العالم وتتحداه بالروح القدس. فتضم إليها كل يوم الذين يخلصون، هؤلاء الذين يبدو واقعهم السماوي حاضرًا منذ الآن وهم عابرون التاريخ، طال أم قصر، حتى يبلغوا إلى اللقاء مع السيد المسيح في مجيئه الأخير، لقاء الوجه للوجه.

سفر الأعمال هو دعوة لخبرة الحياة الأخروية في حاضر شعب الله أو في تاريخ كنيسته، مدركين أن مجيئه قادم حتمًا، لكن في ملء الزمان. لهذا سجل القديس لوقا في الاصحاح الأول كلمات السيد المسيح قبيل صعوده: "ليس لكم أن تعرفوا الأزمنة والأوقات التي جعلها الآب في سلطانه" (أع ١: ٧).

الآيات والعجائب والرؤى في سفر الأعمال

اتّسم سفر الأعمال بإبراز صورة حيّة للكنيسة في عصر الرسل، فيقدّم لنا أمثلة ليست بقليلةٍ من الآيات والعجائب والرؤى التي تمتّعت بها الكنيسة، لا لاستعراض إمكانيّاتها، وإنّما لخدمة النفوس، واجتذاب القلوب للتمتّع بعمل اللَّه فيها.

أهم هذه الأعمال هي:

١. **حلول الروح القدس** في يوم الخمسين (ص ٢) تحقيقًا للوعد الإلهي (يؤ ٢: ٢٨-٣٢)، غايته التمتّع بقوة الشهادة للسيّد المسيح.

٢. **التكلّم بالألسنة** (ص ٢)، غايته ردّ الأمم إلى الحضن الإلهي، حيث يسمع كل إنسان إنجيل الخلاص بلغته التي وُلد فيها.

٣. **موت حنانيا وسفيرة** لأنّهما كذبا على الروح القدس (٥: ١-١١)، لبثّ روح المخافة مع الحب الإلهي الفائق، فلا تمتد يد المؤمن لتفسد مقدّسات اللَّه وتستخف بحبّه.

٤. **انفتاح أبواب السجن** أمام الرسل (٥: ١٩-٢٠)، إذ لا يمكن للعالم بكل طاقاته أن يكتم كلمة اللَّه.

٥. **رؤيا إستفانوس للسماوات المفتوحة** أثناء رجمه (٧: ٥٥)، تعلن مساندة السيّد المسيح نفسه للشهود الأمناء له.

٦. **ظهور السيّد المسيح لشاول الطرسوسي** وهو في طريقه إلى دمشق (٩: ١-٦)، ليشهد له أمام الأمم، ويُسرّ بشركة الآلام مع مخلّصه للتمتّع بقوّة قيامته.

٧. **إعادة البصر لشاول** (٩: ١٥-٢٢)، ليُدرك تمتّعه بالبصيرة الداخليَّة ويعتزّ بها.

٨. **رؤيا كرنيليوس** (١٠: ١-٨)، ليصير شاهدًا على محبّة اللَّه لكل الأمم بلا محاباةٍ.

٩. **رؤيا بطرس الرسول** (١٠: ٩-٤٨)، ليحرره من حرفيّة الناموس التي تقف حجابًا حاجزًا للخدمة بين الأمم.

١٠. **نبوّة أغابوس عن المجاعة** (١١: ٢٨)، لكي يشترك المؤمنون بالحب العملي في مساندة إخوتهم المحتاجين.

١١. **انطلاق الرسول للخدمة بعد رجمه مباشرة** (١٤: ١٩-٢٠)؛ لا توجد قوّة ما تعوق الشهادة للقائم من الأموات.

١٢. **رؤيا بولس الرسول عن المكدوني الذي يطلب العبور إليه** (١٦: ٩)، لكي يعبر الإنجيل إلى قارة أوربّا.

١٣. **الزلزلة وفتح أبواب السجن وسقوط القيود في سجن فيلبّي (١٦: ٢٥-٣١)**، غايتها الإعلان عن استجابة السماء للمسبحين، وقبول السجّان وأهل بيته الإيمان.

١٤. **سقوط أبناء سكاوا اليهودي السبعة** في خزي وفضيحة عندما أرادوا إخراج الروح الشرّير باسم يسوع الذي يكرز به بولس (١٩: ١٣-١٦)، لإعلان عدم إساءة استخدام اسم يسوع، فإنّه يعمل خلال المؤمنين به، الصادقين في إيمانهم.

١٥. **نبوّة أغابوس** عمّا سيحلّ بالرسول بولس في أورشليم (٢١: ١٠-١٤)، ليكشف اللَّه عن تسليم بولس الرسول حياته، وعن استعداد الرسول أن يموت من أجل المسيح، كما تكشف عن مشاعر الحب المتبادل بين الخدّام والشعب في المسيح يسوع.

١٦. **لم تصب لدغات الحيّة حياة الرسول بولس** (٢٨: ٣-٥)، لكي يؤمن أهل الجزيرة بالسيد المسيح الحافظ خدّامه.

١٧. **يسند الرب رسله وخدّامه بالآيات** لا لهدف سوى الشهادة لعمل المسيح الخلاصي.

خلال **بطرس الرسول** شُفي الأعرج (ص ٣)، وبظلّه شُفي مرضى كثيرون (٥: ١٥-١٦)، كما شفى المفلوج إينياس (٩: ٣٣-٣٤)، وأقام طابيثا من الموت (٩: ٣٦-٤٠).

صنع **القدّيس إستفانوس** عجائب وآيات (٨: ٦-٧، ١٣)، وأيضًا **القدّيسان بولس وبرنابا** (١٤: ٣).

وأورد السفر بعض المعجزات والآيات التي تمّت على يديّ **بولس الرسول**، مثل ضرب عليم الساحر بالعمى لمقاومته للكلمة (١٣: ١١)، وشفاء المُقعد من بطن أمّه في لسترة (١٤: ١٠)، وإخراج روح شرّير من عرّافة في فيلبّي (١٦: ١٨). وفي أفسس "كان اللَّه يصنع على يديّ بولس قوّات غير المعتادة (١٩: ١١-١٢). وفي ترواس أقام الشاب أفتيخوس من الموت (٢٠: ١٠-١٢)، وفي جزيرة مليطة شفى أبا بوبليوس مقدّم الجزيرة (٢٨: ٨-٩).

أقسام السفر

١. الإعداد لقيام الكنيسة ص ١-٢.

٢. الشهادة في أورشليم ص ٣-٧.

٣. الشهادة في اليهودية والسامرة ص ٨-٩.

٤. الكرازة إلى أقصى الأرض ص ١٠-٢٨.

أولاً: رحلات القدّيس بولس الكرازيّة:

ا. رحلة القدّيس بولس التبشيريّة الأولى (١٤٠٠ ميلاً) ١٣-١٥.

ب. رحلة القدّيس بولس التبشيريّة الثانية (٢٨٠٠ ميلاً) ١٦-١٨.

ج. رحلة القدّيس بولس التبشيريّة الثالثة (٢٨٠٠ ميلاً) ١٨: ٢٤-٢١: ١٦.

ثانيًا: أسر القدّيس بولس:

ه. أسره في أورشليم ٢١: ١٧-٢٣: ٣٥.

و. أسره في قيصريّة ٢٤-٢٦.

ز. أسره في روما ٢٧-٢٨.

العظات والكلمات الواردة في السفر

الرسول بطرس (أع ١ ؛٢ ؛ ٣؛ ٤) ؛ الرسولان بطرس ويعقوب (أع ١٥)؛ غمالائيل (أع ٥) استفانوس الشماس (أع ٧)؛ الرسول بولس (أع ١٣؛ ١٤؛ ١٧؛ ٢٠؛ ٢٢؛ ٢٤؛ ٢٦؛ ٢٨)؛ كاتب مدينة أفسس (أع ١٩)، ترتلوس (أع ٢٤).

أما الخطوط العريضة لأهم هذه الكلمات فهي:

١- السيد المسيح مركز النبوات، يقيم خيمة (مملكة) داود الساقطة

٢- صلب المسيح وقيامته وصعوده كسر خلاص للعالم.

٣- دعوة للتوبة والرجوع إلى المسيح الذي صلبوه.

العظات الرئيسيّة في السفر

١	بطرس في العنصرة	٢: ١٤-٤٠	تفسيره لمفهوم "العنصرة"
٢	بطرس في الهيكل	٣: ١٢-٢٦	دعوة اليهود طالبي يسوع للتوبة

٣	بطرس في السنهدرين	٤: ٥-١٢	شهادة ليسوع شافي الأعرج
٤	اسطفانوس في السنهدرين	٧: ٢-٥٣	اتّهام اليهود برفضهم للمسيّا
٥	بطرس للأمم	١٠: ٢٨-٤٧	الدعوة مقدّمة للأمم كما لليهود
٦	بطرس في كنيسة أورشليم	١١: ٤-١٨	خبرته في يافا وخدمته بين الأمم
٧	بولس في مجمع انطاكية	١٣: ١٦-٤١	يسوع هو المسيّا حسب النبوّات
٨	بطرس في مجمع أورشليم	١٥: ٧-١١	الخلاص مقدّم للجميع بالنعمة
٩	بطرس في مجمع أورشليم	١٥: ١٣-٢١	لا حاجة للختان بالنسبة للأمم
١٠	بولس لشيوخ أفسس	٢٠: ١٧-٣٥	بقاء الإيمان بالرغم من ظهور معلّمين كذبة وضيق
١١	بولس للجمهور بأورشليم	٢٢: ١-٢١	تحوّله للإيمان ودعوته للعمل بين الأمم
١٢	بولس في السنهدرين	٢٣: ١-٦	دفاعه معلنًا أنه فرّيسي روماني الجنسيّة
١٣	بولس للملك أغريباس	٢٦: ٢-٢٣	تحوّله وغيرته على الإنجيل
١٤	بولس لقادة اليهود	٢٨: ١٧-	عرض لميراثه اليهودي

	بروما	٢٠	

من وحي أعمال الرسل

حولت لنا الأرض سماء!

v هب لي أن أنضم إلى رسلك وتلاميذك،

فأتمتع معهم بلقائك بهم، يا أيها القائم من الأموات.

أستمع إلى صوتك العذب يحدثهم عن أمور الملكوت،

فتلتهب أعماقي شوقًا نحو السماوات!

أراك في داخلي، تقيم ملكوتك المتهلل.

v أتلمس عمل روحك القدوس في العالم كله!

لتحول أرضنا إلى سماء،

والبشرية إلى ملائكة!

v صعدت إلى السماء، فحملت قلوبنا معك.

أرسلت لنا روحك الناري، يقيم منا خدامًا ملتهبين نارًا.

يعطينا لسانًا وكلمة، لتسحب القلوب إلى معرفتك.

نعم ليبقى روحك الناري يرف على وجه الأرض كلها،

يقيم من البشرية عروسًا مقدسة، أيقونة حية لك، يا عريس الكل!

v ليحملني روحك إلى أورشليم، فأشهد لك هناك.

المدينة التي قتلتك، صار منها مؤمنون وشهود لك!

المدينة التي طردتك خارج المحلة لتُصلب على الجلجثة،

تفتح لها أحضان أبيك، لينعم سكانها بالحب الإلهي.

v ليحملني روحك القدوس إلى السامرة مع فيلبس،

أتهلل بعمله في الغرباء، ليصيروا أهل بيت الله.

ولأرى رسول الختان يكرز لأول أممي في قيصرية،

فيحل روحك على كرنيليوس وأهل بيته،

حقًا ليس لعملك حدود!

v أبغضك اليهود بنو جنسك، واضطهدوا كنيستك.

ظن شاول الطرسوسي أنه حتمًا يمحو اسمك من وجه الأرض.

ظهرت له مشرقًا يا شمس البرّ،

بهاؤك العجيب أفقده البصر الزمني،

وانفتحت بصيرته، ليرى بهاء المجد الأبدي!

صار إناءً مختارًا، لا عمل له سوى الشهادة لك في كل موضع.

v أقمت منه ما هو أشبه بملاك.

أحاطت به الآلام من كل جانب،

فتهللت نفسه كأن ما حلّ به إنما حلّ بجسد آخر ليس بجسده!

صار كطيرٍ ينطلق من بلدٍ إلى بلدٍ،

ليس له أن يسند رأسه،

حتى تسند يا مخلصي رأسك في كل قلبٍ!

v تحولت حياته إلى رحلات تبشيرية عجيبة!

ما كان يمكن لكثير من الرسل أن يحققوا ما حققته به!

كرز في البر والبحر، وبين الفلاسفة وأمام ملوك وولاة.

أينما حلّ صار لك شعب، تكسبه بكلماتك على فمه!

v احتار الكل في وصف رسولك بولس.

هل صار ملاكًا لا يقتني شيئًا، لكنه يقتني كل شيء؟

هل تقدس بكليته، حتى صارت الخرق التي على جسمه مقدسة،

تشفي المرضى وتخرج الشياطين،

بينما بقي هو يعاني من المرض؟

روحك العجيب قدس كل كيانه،

قدس قلبه وفكره، روحه وجسده،

كلماته وعظاته وقلمه وكتاباته،

قدس وقته ومواهبه!

صار أشبه بروح، كأن لا جسد له!

v ألا ترسل في كل جيلٍ كارزين لتعمل بهم في الكثيرين؟

لتقم دومًا من شاول المضطهد والمفتري والمجدف،

رسولاً كارزًا وشاهدًا لك!

"كان الرب كل يوم يضم إلى الكنيسة الذين يخلصون"

أع ٢:٤٧

"ستنالون قوة متى حلّ الروح القدس عليكم،

وتكونون لي شهودًا،

في أورشليم وفي كل اليهودية والسامرة وإلى أقصى الأرض"

أع ١:٨

الباب الأول

الإعداد لقيام الكنيسة

ص ١ - ص ٢

الأصحاح الأول

الإعداد لميلاد الكنيسة

الآن وقد قُدم الثمن بالكامل قام السيد المسيح من بين الأموات، مؤكدًا قبول الآب لذبيحة الصليب، فصار من حق البشرية أن تتمتع بالدخول إلى السماويات خلال برّ المسيح القائم من الأموات. وقد جاء هذا الأصحاح يوضح التهيئة العملية لميلاد كنيسة المسيح في يوم الخمسين ككنيسة يقودها الروح القدس بنفسه.

١. جذب التلاميذ نحو الملكوت ١-٣.

٢. الوعد بالقائد الإلهي ٤-٨.

٣. ارتفاع الرأس إلى السماء ٩-١٤.

٤. تكملة عدد التلاميذ ١٥-٢٦.

١. جذب التلاميذ نحو الملكوت

بعد أن وجّه الإنجيلي لوقا السفر إلى ثاوفيلس أوضح عمل السيد المسيح مع تلاميذه خلال فترة الأربعين يومًا من يوم قيامته حتى صعوده، حيث سحب قلوبهم إلى ملكوت الله، وألهبها للبلوغ إليه. قيامته غيَّرت نظرتهم إليه، فلم يعد يعيش في وسطهم نهارًا وليلاً، يمارس الحياة البشرية

اليومية، لكنه صار يلتقي بهم في ظهورات، حيث صار موضعه الطبيعي بعد القيامة هو السماء. مع كل ظهورٍ كانوا يشتاقون إلى الحياة الجديدة المُقامة ليمارسوا عربون السماويات حتى يحل يوم لقائهم معه على السحاب وينالوا شركة المجد الأبدي.

"الكلام الأول أنشأته يا ثاوفيلس،

عن جميع ما ابتدأ يسوع يفعله ويعلم به" [١].

تخدم مقدمة إنجيل لوقا (لو ١: ١-٤) السفرين معًا بكونهما أشبه بكتابٍ واحدٍ في مجلدين، أما مقدمة أعمال الرسل (١: ١-٢) فتربط السفرين معًا.

لقد قدم في **الكلام** (المقال) **الأول** عرضًا لأقوال السيد المسيح وأعماله. إنه لم يكن ممكنًا لسفرٍ ما أن يسجل تفاصيل كل أحاديث السيد ومعجزاته وأعماله الخلاصية (يو ٢١: ٢٥)، لكنه سجل جوهر الأحاديث والأعمال.

v لم يقل: "**جميع**" فقط، وإنما "**عن جميع**"، وكأنه يقول "ملخصًا عن" أو "في الإجمال" عن كل ما هو رئيسي وهام جدًا.

القديس يوحنا الذهبي الفم

يعلق **القديس يوحنا الذهبي الفم** على قول الإنجيلي: "**ابتدأ يسوع أن يفعله ويعلم به**" [١] مقدمًا العمل عن الكلام، بهذا قدم نفسه مثالاً للمعلم الحقيقي.

v تأملوا كيف **ثبَّت المسيح كلماته بأعماله**.

هكذا يقول: "تعلموا مني، لأني وديع ومتواضع القلب" (مت ١١: ٢٩).

علَّم البشر أن يكونوا فقراء، وقد أوضح ذلك بأعماله، فإن "ابن الإنسان ليس له أين يسند رأسه" (مت ٨: ٢٠).

مرة أخرى أوصى البشر أن يحبوا أعداءهم، وقد علَّم ذات الدرس على الصليب حين طلب من أجل صالبيه.

لقد قال: "من أراد أن يخاصمك ويأخذ ثوبك، فأترك له الرداء أيضًا" (مت ٥: ٤٠). الآن لم يعطِ فقط الثياب بل قدم دمه. بهذه الطريقة أمر الآخرين أن يعلّموا.

لذلك يقول بولس أيضًا: "كونوا متمثلين بي" (في ٣: ١٧).

فليس شيء أكثر تفاهة من أن يظهر معلم ما فلسفته بالكلمات؛ فإن هذا ليس من عمل المعلم بل المرائي.

لذلك علَّم الرسل بسلوكهم أولاً وبعد ذلك بكلماتهم، بل بالأحرى لم يكونوا في حاجة إلى كلمات عندما نطقت كلماتهم بصوتٍ عالٍ. فليس من الخطأ أن تتحدث عن آلام المسيح كعملٍ، فإنه بآلامه، تمم عملاً عظيمًا وعجيبًا، بل دمَّر الموت، وقدَّم لنا أمورًا كثيرة فعلها من أجلنا.

القديس يوحنا الذهبي الفم

v يصير التعليم مخجلاً عندما يبكت الضمير الإنسان (الذي يُعلِم ولا يعمل بما يُعلِمه). باطلاً يكرز لسانه عن الفقر ويعلم عن العطاء إن كان منشغلاً بالغنى وعوض ارتدائه ثوبه البالي يرتدى الثياب الحريرية في بيته كي يدفع عنها العث.

القديس جيروم

v يلزمنا المثابرة بجهاد في القراءة، الأمر الذي أراكم تصنعونه، مع السعي بكل اشتياق لنوال **المعرفة العملية الاختبارية أولاً**، أي المعرفة الأخلاقية. لأنه بغيرها لا يمكن اقتناء النقاوة النظرية التي نتكلم عنها، وبهذا لا ينطقون بكلمات غيرهم معلمين بها، إنما بالسمو في العمل والتنفيذ. فبعدما يبذلون جهودًا وأتعابًا كثيرة يستطيعون أن ينالوا المعرفة الروحية كمكافأة لهم من أجلها. وإذ يقتنون المعرفة، لا من مجرد التأمل في الشريعة، بل كثمرة لتعبهم، يتغنون مع المرتل قائلين: "من وصاياك تفهمت" (مز ١١٩:١٠٤). وإذ يقهرون كل شهواتهم يقولون بكل ثقة: "لك يا ربِّ أرنم. أتعقل في طريقٍ كاملٍ" (مز ١٠١:١، ٢). فمن يجاهد في طريقٍ كاملٍ بقلبٍ نقيٍ يترنم بالمزمور ويتعقل (يتفهم) الكلمات التي يسبح بها.

الأب نسطور

"إلى اليوم الذي ارتفع فيه،

بعدما أوصى بالروح القدس الرسل الذين اختارهم" [٢].

في حديثه الوداعي وعدهم بكل وضوح بعطية روحه القدوس المعزي، الذي يقدم لهم كل الحق، ويفتح أذهانهم لمعرفة الكتب المقدسة، ويجتذب العالم إلى معرفته، حيث يبكت على خطية وعلى برٍّ وعلى دينونة، كما نفخ في وجوه تلاميذه وأعطاهم نفخة الروح لكي كل ما يحلونه على الأرض يكون محلولاً في السماء، وما يربطونه على الأرض يكون مربوطًا في السماء. أما بعد قيامته فقد "**أوصاهم بالروح القدس**". ربما ركز أغلب أحاديثه عن الروح القدس، لذلك كانت قلوبهم تلتهب حبًا نحو السماويات. ولعلهم كانوا يتساءلون علانية أو خفية: من يستطيع أن يسلك في شركة مع القائم من الأموات؟ جاءت إجابة السيد المسيح لهم: بالروح القدس!

لم يسجل لنا لوقا البشير أحاديث السيد معهم عن الروح القدس، بل ترك الأحداث الواردة في السفر تكشف عما وعد به السيد، وما تمتعوا به بحلول الروح القدس عليهم، وسكناه في داخل الكنيسة الحديثة الولادة.

v **"بعدما أوصى بالروح القدس":** ربما يقصد أنه تحدث معهم بكلماتٍ روحيةٍ، وليس بأمرٍ بشري، أو لعل المعنى هنا أنه قدم لهم الوصايا بالروح. ألا ترون كيف يتحدث بأسلوبٍ متواضعٍ عن المسيح، إذ ينقل ما قاله المسيح عن نفسه؟ "إن كنت بروح الله أخرج الشياطين" (مت ١٢: ٢٨)، لأنه بالحق عمل الروح القدس في ذلك الهيكل.

حسنًا بماذا أوصاهم؛ يقول: "اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم، وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس، وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به " (مت ٢٨: ١٩-٢٠).

يا له من مديح عظيم للرسل أن توكل إليهم هذه المهمة، أقصد خلاص العالم! كلمات مملوءة بالروح!...

واضح أنه علَّم التلاميذ بعد القيامة، ولكن لم يروِ لنا أحد عما علمه في هذه الفترة بالتفصيل... علي أي الأحوال لقد عرفنا هذه الأمور خلال الرسل، فإنهم أخبرونا بما سمعوه.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"الذين أراهم أيضًا نفسه حيًا ببراهين كثيرة،

بعدما تألم وهو يظهر لهم أربعين يومًا،

ويتكلم عن الأمور المختصة بملكوت الله" [٣].

يقدم لنا لوقا البشير خدمة السيد المسيح لتلاميذه بظهوره لهم دفعات كثيرة خلال الأربعين يومًا، مؤكدًا لهم أنه حي ببراهين كثيرة، ومحدثًا إياهم عن ملكوت الله. خدمته في هذه الفترة مختلفة تمامًا عن خدمته خلال الثلاث سنوات السابقة. لم يعد يقدم أشفية وإقامة موتى، ولا عظات للجماهير، ولا حوار معه، إنما أعلن بكل وسيلة عن حقيقة شخصه أنه غالب العالم الشرير والموت والشيطان، من يقتنيه يقتني الغلبة والنصرة، ويتمتع بالحياة الجديدة المُقامة، بكونها عبورًا إلى عربون السماء، وتمتعًا بالمجد السماوي الداخلي.

التعبير اليوناني للكلمتين "**ببراهين كثيرة** tekmhrion" يعنى "علامات مُلزمة"، أو "علامات لا تُقاوم" أو "معصومة من الخطأ "*proofs infallible*. فإن كانت القيامة هو عصب الإيمان والخلاص، بدونها يُفقد الصليب دوره، لهذا قدم السيد المسيح براهين كثيرة لتأكيدها، أما هذه البراهين أو العلامات التي لا تُقاوم فهي:

١. **كانت ظهوراته لأشخاصٍ مختلفين وفي أوقات متباينة** (١ كو ١٥) خلال فترة دامت أربعين يومًا، هي إعلانات لا يمكن أن تحمل أي نوعٍ من الخداع، بل كانت تجتذب من يلتقون به. ربط السيد ظهوراته بآلامه وصلبه، إذ كشفت عن مجد الصليب بتأكيد قيامته، فصار التلاميذ يعتزون بالقول: "**بعدما تألم**"، فما كان يمكنهم التمتع بمجد هذه الظهورات الإلهية وإدراك حقيقة شخص السيد المسيح ورسالته لو لم يجتز الألم. هي طريق مجده، أي طريق تحقيق رسالته كمخلصٍ لنا، به ومعه نجتاز الألم لنعبر إلى الأمجاد. "إن كنا نتألم معه لكي نتمجد أيضًا معه" (رو ٨: ١٧). "باحثين أي وقت أو ما الوقت الذي كان يدل عليه روح المسيح الذي فيهم (الأنبياء)، إذ سبق فشهد بالآلام التي للمسيح والأمجاد التي بعدها" (١ بط ١: ١١). هكذا صار الألم طريق المجد الحقيقي، إذ يقول الرسول: "كما اشتركتم في آلام المسيح، افرحوا لكي تفرحوا في استعلان مجده أيضا مبتهجين" (١ بط ٤: ١٣). هنا ندرك سرّ اعتزاز الكنيسة بالتعبير "**آلامك المحيية**"، وتكراره يوميًا في صلوات السواعي وفي الليتورجيات الكنسية كسرّ خلاصنا ومجدنا الأبدي.

٢. **عدم توقعهم لقيامته** (يو ٢٠: ٢٥؛ لو ٢٤: ١٩-٢٤) أكد أن ظهوراته لم تكن عن أوهامٍ أو خيالاتٍ أو تصوراتٍ كانت مسبقة في أذهانهم.

٧ قضى أربعين يومًا بعد القيامة بدخل ويخرج، يأكل ويشرب، دون أن يجوع أو يعطش، وإنما كشهادة لتأكيد حقيقة جسده الذي لم يعد في عوز، إنما يأكل ويشرب وهو حامل سلطان... **لم يعد بعد معهم في شركة الضعف البشري.**

القديس أغسطينوس

٣. **ظهر لهم كصديقٍ ورفيقٍ لهم**، ولكن على مستوى جديدٍ وفائقٍ. لقد أكل وشرب معهم، ولكن ليس كحياةٍ يوميةٍ عاديةٍ، كما كان قبل قيامته.

٤. **لقاؤه مع تلاميذه في الجليل كما عيَّن لهم**. لقد رأوا ذاك الذي عاشوا معه قرابة ثلاث سنوات عن قربٍ شديدٍ، يعرفونه حق المعرفة.

٥. **خضوع جسده للمس**، ليصرخ كلٍ منهم في أعماقه مع توما الرسول قائلاً: "ربي وإلهي".

٦. لم تكن ظهورات مجردة، بل **قدم لهم أحاديثه عن ملكوت الله** الذي بدأوا يدركونه بمفهومٍ جديدٍ بعد تمتعهم بالقائم من الأموات والحوار معهم.

ملكوت الله: ما قدمه السيد المسيح لتلاميذه خلال هذه الفترة كرصيدٍ حي لكرازتهم هو الكشف عن سرّ صليبه والتمتع بقوة قيامته. يقدم ذاته لهم بكونه المصلوب القائم من الأموات. بهذا **صار ملكوت الله منظورًا ومسموعًا وملموسًا بالمسيح القائم من الأموات**. وبهذا يترنم التلاميذ: "الذي سمعناه، الذي رأيناه بعيوننا، الذي شاهدناه، ولمسته أيدينا من جهة كلمة الحياة" (١ يو ١:١). فالشهادة العملية لقيامته من الأموات هي الجانب العملي لخبرة ملكوت الله فينا. أو بمعنى آخر ملكوت الله في جوهره هو اتحاد مع المسيح المصلوب القائم من الأموات والصاعد إلى السماوات.

قبل قيامته لم يكن التلاميذ قادرين على إدراك أسرار السيد المسيح، لذا قال لهم: "إن لي أمورًا كثيرة أيضًا لأقول لكم، ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن" (يو ١٦: ١٢). أما وقد صارت القيامة واقعًا يمكنهم أن يتلمسوه، لم يعد يقول لهم: "أحتى الآن لا تفهمون... كيف لا تفهمون؟" (مت ١٦: ٩، ١١)، إنما "فتح ذهنهم ليفهموا الكتب" (لو ٢٤: ٤٥).

v لم يكن دائمًا معهم في هذه الفترة كما كان قبل القيامة. إذ لم يقل الكاتب: "أربعون يومًا" وإنما "**خلال الأربعين يومًا**". **كان يأتي ويختفي ليقودهم إلى مفاهيم علوية**، ولم يسمح لهم أن يتطلعوا إليه بنفس الطريقة السابقة، بل يقدم لهم مقاييس تؤكد أمرين: **الإيمان بحقيقة قيامته، وإدراكه بأنه أعظم من أن يكون إنسانًا**. في نفس الوقت، هذان الأمران متعارضان، فلكي نؤمن بقيامته إنما يتحقق ذلك بكون شخصيته بشرية، والأمر الثاني علي خلاف ذلك. ومع هذا فإن النتيجتين لهما فاعليتهما، كل منهما في الوقت المناسب لها.

القديس يوحنا الذهبي الفم

يرى **القديس أغسطينوس** أن حياتنا على الأرض يمثلها الرقم ٤٠، حيث نلتزم بتنفيذ الوصايا العشرة فنبلغ كمال التطويبات، وأن نمارسها في كل أركان المسكونة أو جهاتها الأربع (الشرق والغرب والشمال والجنوب) أي أينما وجدنا (١٠ × ٤ =٤٠)

v يشير هذا الرقم (٤٠) إلى الحياة التي تعملون فيها في هذا العالم.

القديس أغسطينوس

ربما يتساءل البعض: **لماذا لم يظهر السيد علانية لكل البشرية كما صُلب علانية، وإنما ظهر للتلاميذ والرسل ولمجموعاتٍ معينة؟**

١. كان لابد من إعلان حبه للبشرية كلها بصلبه علانية، فهو حمل الله الذي يرفع خطية العالم. أما القيامة فهي هبة تُعطي للمشتاقين إليها، وإلى المخلصين في التعرف على شخص المسيح القائم من الأموات.

٢. يرى **القديس يوحنا الذهبي الفم** أنه لو ظهر علانية للجميع لظن الكل أنه مجرد ظهور لشخصه، وليس قيامة من الأموات. فالتلاميذ أنفسهم مع سماعهم عدة مرات عن قيامته قبل صلبه، وظهوره لهم، ولمسه، بل واشتراكه مع بعضهم في الأكل... مع كل هذا كانوا في حالة اضطرابٍ شديدٍ وارتباكٍ، إذ لم يكن من السهل قبول قيامة ميت! لهذا أراد السيد بكل الطرق تأكيد قيامته لهم بكل وسيلة حتى يكونوا شهودًا لها في كرازتهم في العالم أجمع.

حتى بعد قيامته وظهوراته المستمرة لهم كانوا في ارتباكٍ شديدٍ، مع الشعور بثقل المسئولية، بل واستحالة تحقيق رسالتهم الموكلة إليهم. لهذا حدثهم عن "**الأمور المختصة بملكوت الله**"، ليس كالأحاديث السابقة قبل قيامته، إنما أحاديث عملية بالكشف عن شخصه لهم، ليدركوا أن ملكوت الله هو التعرف عليه والتمتع بحبه والشركة معه. فالملكوت هو لقاء حي عملي معه. كما كشف لهم عن إرسالية الروح القدس الذي يسكن فيهم ويهبهم القوة للشهادة له، فيتحقق ملكوت الله في قلوب الكثيرين في العالم كله!

- إذ صار التلاميذ في كربٍ واضطرابٍ بسبب الأحداث الجارية، وكانوا في طريقهم لمواجهة مصاعب عظيمة، لهذا ردهم إلى السلام بأحاديثه عن المستقبل.
- لم يتحدث معهم أحاديث طويلة بعد القيامة.

القديس يوحنا الذهبي الفم

٢. الوعد بالقائد الإلهي

"وفيما هو مجتمع معهم أوصاهم أن لا يبرحوا من أورشليم،

بل ينتظروا موعد الآب الذي سمعتموه مني" [٤].

يرى البعض أنه عوض كلمة sunalizomeno "**مُجتمع**" جاءت في كثير من المخطوطات الكلمة اليونانية sunaulizomeno، لذلك كثيرًا ما تُترجم: "**يأكل ملحًا معهم**" كما جاءت في الترجمة السريانية الهرقلية، أو "**يأكل خبزًا معهم**" كما في السريانية البشيتا؛ وجاءت في **القديس يوحنا الذهبي الفم**: "**وبينما هو على المائدة معهم**". ولهذا يعتز التلاميذ بأنهم أكلوا وشربوا معه بعد قيامته كتأكيدٍ لحقيقة القيامة (أع ١٠: ٤٠-٤١؛ لو ٢٤: ٤٢).

كما نال إبراهيم الوعد الإلهي من الله أثناء الوليمة معه وحوله الملاكان (تك ١٨: ١-٨)، هكذا نال أبناء إبراهيم هنا الوعد بالروح القدس الذي يقيم من الحجارة أبناء لإبراهيم من كل الأمم وهو يأكل معهم.

"**موعد الآب**": سبق فوعد به الآب بالأنبياء في العهد القديم (إش ٣٢: ١٥؛ ٤٤: ٣؛ يوئيل ٢: ٢٨-٣٢). كما وعد به السيد المسيح أن الآب سيرسله أو سيرسله هو من عند الآب خمس مرات في يوحنا ١٤-١٦.

لماذا لم يحل الروح القدس علي التلاميذ أثناء وجود السيد المسيح على الأرض، أو بعد صعوده مباشرة؟

يرى **القديس يوحنا الذهبي الفم** أن التلاميذ التزموا بالبقاء في أورشليم إلى أن يحل الروح القدس عليهم للأسباب التالية:

أولاً: إنهم أشبه بجيش الله الذي لن يقدر أن يدخل المعركة الروحية ما لم يحملوا السلاح، فيتهيأوا للمعركة. أو هم أشبه بالفُرس التي لا يمكنها أن تخرج للحرب ما لم يمتطيها الفرسان أو سائقو المركبات.

ثانيًا: كان يلزم أن يقبل الكثيرون في أورشليم الإيمان، فلا يخرج التلاميذ إلى الغرباء للشهادة للمصلوب القائم من الأموات كمن هم في استعراض، وإنما إذ يؤمن بعض ممن صلبوا السيد يصير إيمانهم شهادة قوية لقيامة السيد في ذات المدينة التي تم فيها صلبه ودفنه. بهذا يبكم التلاميذ أفواه المعترضين من الغرباء. فبإيمان بعض من الذين صلبوه يؤكد الرسل حقيقة صلبه وقيامته أيضًا.

v ربما يقول الرسل: كيف يمكننا أن نعيش وسط الأشرار سافكي الدماء، هؤلاء الذين هم كثيري العدد بينما نحن قلة قليلة مُزدرى بنا؟ لاحظوا كيف يزيل هذا الخوف والكرب بالكلمات: "**بل ينتظروا موعد الآب الذي سمعتموه مني**" [٤]. ربما تقولون: متى سمعوا هذا؟ عندما قال: "خير لكم أن أنطلق، لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزي" (يو ١٦: ٧)، مرة أخرى يقول: "وأنا أطلب من الآب، فيعطيكم معزيًا آخر، ليمكث معكم" (يو ١٤: ١٦).

القديس يوحنا الذهبي الفم

ثالثًا: يقول **القديس يوحنا الذهبي الفم** إن التلاميذ كانوا محتاجين إلي فترة إعداد لقبوله. فإن كان دانيال خرّ وسقط على وجهه عندما رأى ملاكًا (دا ٨: ١٧) كم يكون بالأكثر حال التلاميذ حين يتقبلون نعمة عظيمة كهذه؟

رابعًا: في وجود السيد المسيح لم يشعر التلاميذ بالحاجة إلى معزٍ آخر، ولم يلتهب قلبهم شوقًا لقبول الروح القدس، أما بمفارقته لهم جسديًا شعروا بالحاجة إلى معزٍ آخر، وترقبوا حلول الروح القدس بشوقٍ عظيمٍ.

v كان لائقًا أنه يلزمهم أولاً أن يكون لهم شوق عظيم لهذا الحدث، وعندئذ ينالون النعمة. لهذا السبب رحل المسيح نفسه، وبعد ذلك حلّ الروح. **فلو أن المسيح كان حاضرًا لما تقبلوا الروح بغيرةٍ هكذا**. حتى بالنسبة لنا، فإن الرغبة نحو الله تزداد حين نكون في عوزٍ.

القديس يوحنا الذهبي الفم

خامسًا: لما كان عمل الروح القدس هو تهيئة العروس لتحمل أيقونة عريسها، لذا حلّ الروح على التلاميذ بعد صعوده إلى السماوات لكي يحملوا سماته السماوية، ويشتاقوا للاتحاد معه لا ليلبثوا معه هنا على الأرض بل في السماء.

v يليق بطبيعتنا أن تُرى في السماء، وأن تصير المصالحة كاملة؛ عندئذ يأتي الروح ويصير الفرح غير مشوبٍ. فلو أن الروح قد جاء فعلاً وبعد ذلك رحل المسيح وبقي الروح، لكانت التعزية ليست عظيمة هكذا.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"لأن يوحنا عمد بالماء،

وأما أنتم فستتعمدون بالروح القدس،

ليس بعد هذه الأيام بكثير" [٥].

لقد سبق فأعلن ذلك القديس يوحنا المعمدان (مت ٣: ١١)، وقد تحقق في يوم الخمسين وأثناء كرازة الرسل (أع ١١: ١٥-١٧؛١٩: ١-٦). كانت معمودية القديس يوحنا المعمدان للتوبة، كإعدادٍ لاقتراب ملكوت السماوات (مت ٤: ١٧).

v الآن يقول بوضوح: "**إن يوحنا عمد بالماء، وأما أنتم فستتعمدون بالروح القدس**". الآن لا يستخدم الشهادة (شهادة يوحنا المعمدان له)، إنما يرجع إلى شخص يوحنا، مذكرًا تلاميذه بما قاله، ومظهرًا لهم أنهم الآن قد صاروا أعظم من يوحنا، إذ هم يعمدون أيضا بالروح. مرة أخرى لم يقل: "أنا أعمدكم بالروح القدس" بل قال: "**ستتعمدون**"، معلمًا إيانا التواضع. هذا واضح بما فيه الكفاية من شهادة يوحنا أن المسيح نفسه هو الذي يعمد: "هو سيعمدكم بالروح القدس ونار" (لو ٣: ١٦).

v لماذا يقول المسيح: "**ستتعمدون**" مع أنه بالحقيقة لم يكن يوجد ماء في العلية؟ لأن الجزء الأساسي في العماد هو الروح، الذي خلاله يقوم الماء بعمله. بنفس الطريقة يُقال عن ربنا أنه مُسح مع أنه لم يُمسح قط بزيت، وإنما لأنه قبل الروح. هذا بجانب أنهم بالحقيقة قبلوا عمادًا بالماء (وعمادًا بالروح) وذلك في لحظات مختلفة. ففي البداية عمدهم يوحنا...

v يعيننا جرن المعمودية فلا يُسمح بمثقال ذرة لأدنى عقوبة أن تحل بنا. تأملوا فإن أي إنسان تحل به خطايا خطيرة بارتكاب القتل أو الزنا أو أية جريمة أخرى، هذه مسحتها المعمودية. إذ لا توجد خطية أو شر يقف أمام هذه النعمة، لأن النعمة إلهية. "لأن هبات الله ودعوته هي بلا ندامة" (رو ١١: ٢٩). أما تلك التي تُرتكب بعد العماد فينال الإنسان عنها عقوبة عظيمة، كما لو كانت الخطايا السابقة قد قامت من جديد، بل وأشر منها. فإن الجريمة لا تكون مجرد معادلة لما كانت قبلاً بل مضاعفة وثلاثة أضعاف. أنظروا لتأكيد أن العقوبة عن هذه الخطايا هي أعظم، اسمعوا ما يقوله القديس بولس: "من خالف ناموس موسى، فعلى شاهدين أو ثلاثة شهود، يموت بدون رأفة، فكم عقابًا أشر تظنون أنه يحسب مستحقًا من داس ابن الله وحسب دم العهد الذي قدس به دنسًا وازدرى بروح النعمة؟!" (عب ١٠: ٢٨-٢٩).

القديس يوحنا الذهبي الفم

٧ صعد يسوع إلى السماوات وتمم الوعد، إذ قال لهم: "وأنا أطلب من الآب فيعطيكم معزيًا آخر" (يو ١٤: ١٦). لهذا كانوا جالسين متطلعين إلى مجيء الروح القدس، وإذ حل يوم البنطقسي أيضًا في مدينة أورشليم هذه... نزل الروح القدس من السماء، الذي هو **حارس الكنيسة ومقدسها، ومدبر الأرواح، ضابط العواصف الثائرة، الذي يرد الضالين إلى الحق ويحكم المقاتلين ويكلل المنتصرين**.

نزل لكي يلبس الرسل القوة ويعمدهم، إذ يقول "**ستتعمدون بالروح القدس ليس بعد هذه الأيام بقليل**" [٥].

لم تكن هذه النعمة جزئية، بل هي قوته في كمالها، لأنه كما أن الذي يغطس في المياه ويعتمد تغمره المياه من كل جانب، هكذا هم اعتمدوا بالروح القدس بالكمال...

ولماذا تتعجب؟! خذ مثالاً واقعيًا وإن كان فقيرًا وعامًا، لكنه نافع للبسطاء. إن كانت النار تعبر من خلال قطعة حديد فتجعلها كلها نارًا، هكذا من كان باردًا صار محترقًا، ومن كان أسودًا صار لامعًا، فإن كانت النار التي هي جسم هكذا تخترق الحديد وتعمل فيه بغير عائق وهو جسم أيضًا، فلماذا تتعجب من الروح القدس أن يخترق أعماق النفس الداخلية؟

القديس كيرلس الأورشليمي

"أما هم المجتمعون فسألوه قائلين:

يا رب هل في هذا الوقت ترُد الملك إلى إسرائيل؟" [٦]

تعتبر هذه الآية امتدادًا للآية ٣، فقد كان من الصعب جدًا على التلاميذ أن يتخلصوا مما ثبت في أذهانهم عن ملكوت الله خلال الفكر اليهودي الحرفي، حيث كان الشعب يطلب المسيا كملكٍ أرضي (يو ٦: ١٥)، وكانوا يتطلعون إلى شعب الله كمملكة سياسية لها سلطانها الزمني. خلال الأربعين يومًا من قيامة السيد إلى صعوده كان يسحب قلوب التلاميذ من المفاهيم الأرضية البشرية إلى الفكر الإلهي السماوي.

لقد تحطم كل أملٍ لليهود في إقامة يسوع ملكًا، فهل أعادت قيامته الرجاء فيهم ليحتل ذات المركز بذات الفكر؟

سؤال التلاميذ للسيد يكشف عن مدى خطورة الأفكار الخاطئة التي تبعث بجذورها في أعماق الفكر، فمع كل هذا الزمن الذي عاش فيه التلاميذ أثناء خدمة السيد، ومع قيامته وأحاديثه معهم عن الملكوت السماوي خلال الأربعين يومًا، لازالت أفكارهم القديمة المتجذرة تقود أعماقهم. إنهم في حاجة إلى الروح القدس، روح المسيح، أن يحتل أعماقهم ويجدد أفكارهم ويخلصهم من الأفكار القديمة الخاطئة.

سؤالهم يكشف عن حيرتهم، فقد التصق العصر المسياني في ذهنهم بظهور مملكة إسرائيل المجيدة، والنصرة على الأمم والشعوب. وإذ لم يكن بعد قد حلّ عليهم الروح القدس لم يكن ممكنًا لهم التعرف على "مملكة المسيح" كما هي.

هل سيحتل يسوع كرسي موسى عوض رؤساء الكهنة والفريسيين؟

هل يجلس يسوع القائم من الأموات على العرش ليهب إسرائيل النصرة على الأمم؟

هل حان الوقت لطرد الرومان واستقلال إسرائيل؟

هذا وقد جاء التعبير "**ترد** apokaqistanein" ليعني "يعيد الأمر إلى وضعه" أو "تجديد".

"فقال لهم:

ليس لكم أن تعرفوا الأزمنة والأوقات التي جعلها الآب في سلطانه" [٧].

هنا الحديث الأخير للتلاميذ مع السيد المسيح قبل صعوده. لم تكن قلوبهم قد ارتفعت بعد مع المسيح إلى السماء ليطلبوا مملكة سماوية. بينما كان السيد المسيح يقدم لهم الوعد بالروح القدس ليصعد بهم كما بجناحي حمامة إلي السماء، كانت قلوبهم لاتزال ملتصقة بالزمن والمجد الأرضي. كانوا يحملون في صدورهم حنينًا قويًا نحو ملكوت إسرائيل.

إذ كان السيد في طريقه للصعود، كانت آخر وصية لهم ألا ينشغلوا بالأزمنة والأوقات، حتى تنفتح قلوبهم على الأبدية، وتسمو أفكارهم فوق حدود الزمن.

أراد السيد المسيح ألا يعرف أحد الأزمنة والأوقات حتى لا يسقطوا في الكبرياء بسبب هذه المعرفة، بل يريد لهم التواضع. وكما يقول **القديس أغسطينوس:** [أنتم تريدون أن أعلن لكم عن الملكوت الآن... إنكم تحبون العلو، ستنالونه ولكن اتبعوني خلال التواضع.]

ماذا يعني بالأزمنة والأوقات؟ يقصد **بالأزمنة** البحث في تحديد أزمنة إقامة المملكة المسيانية. فعوض طلب الملكوت والتمتع بإمكانياته، ينشغل الإنسان بالحسابات الزمنية، وهذا أمر يشغل كثير من المؤمنين عبر القرون.

وأما **الأوقات** فتعني البحث في الأحداث القادمة، ماذا سيحدث حتى مجيء السيد المسيح الأخير.

في عصرنا الحالي مع الشعور بقرب النهاية ينشغل كثير من الدارسين بالأزمنة والأوقات، على سبيل المثال يتساءل الكثيرون:

- متي ينتهي العالم؟
- ما هو موقف إسرائيل الحالي؟ هل يقبلون الإيمان بالمسيح؟ هل ينالون ملكًا على مستوى العالم كله؟
- بماذا تُفسر أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ على ضوء سفر الرؤيا والأسفار النبوية في العهد القديم؟
- هل نتوقع حربًا عالمية مدمرة؟
- من يشترك في الحرب؟
- وما هي التحالفات؟

تحول كثيرون في دراستهم للكتاب المقدس بعهديه إلي أبحاث في الأزمنة والأوقات، التي حذرنا منها السيد المسيح في آخر كلمات مع تلاميذه قبل صعوده.

خلال الأربعين يومًا من قيامته إلى صعوده أدركوا أمورًا سامية لم يكونوا بعد قد أدركوها، مثل الآتي:

- إنه ابن الله المساوي للآب في الكرامة (يو ٥: ١٧-٢٠).
- ستكون قيامة من الأموات (مت ١٧: ٩).
- أن الذي يصعد يجلس عن يمين الآب (لو ٢٢: ٦٩).
- أنه مسجود له بواسطة الملائكة، وأنه سيأتي ثانية (مر ١٦: ١٩).
- ما سيحدث في يوم الدينونة (مت ١٦: ٢٧)، وأنهم يجلسون يدينون أسباط إسرائيل الإثني عشر (لو ٢١: ٢٧).
- يُطرد اليهود ليدخل الأمم (مت ١٩: ٢٨).

بدأت تتجلى أمامهم كل هذه الأقوال التي أعلنها السيد قبل صلبه، وتتضح خلال ظهوراته العجيبة، لكن لم يكونوا بعد قد تخلصوا من الأفكار اليهودية المادية تمامًا، لأنهم لم يكونوا قد نالوا بعد الروح القدس الذي يحملهم إلى السماويات، ويختبروا الحياة الجديدة المقامة.

يميز **القديس جيروم** بين ما يلزمنا أن نعرفه وما لا نطلب أن نعرفه، كمثال يصلي المرتل قائلاً: "يا رب **عرفني نهايتي**" (مز ٣٩: ٤) كأمرٍ ضروري للغاية، حيث نعرف ما أعده الله لنا. أما ما هو أصل النفس البشرية وبدايتها فليس لنا أن ننشغل به، هل هي تولد من الوالدين كالجسد أم غير مولودة منهما؟ هذا لا يشغل ذهننا. والمثل الرائع في هذا التمييز الرسول بولس، فإنه عرف ما رآه وسمعه وتمتع به عندما ارتفع إلى السماء الثالثة، أما كونه قد ذهب بجسده أم خارج جسده، فهو ليس موضوع بحثه ولا سؤاله من الرب.

v كانوا شغوفين هكذا نحو معرفة هذا اليوم. لكن يبدو لي بالحقيقة أنه لم يكن لديهم فهم واضح نحو طبيعة ذلك الملكوت، لأن الروح لم يكن بعد قد علمهم... لقد كانوا لا يزالوا متأثرين بالأمور المحسوسة، لم يصيروا بعد أفضل من الذين كانوا قبلهم. لقد صار لهم بعد ذلك مفاهيم سامية عن المسيح، فقد ارتفعت أذهانهم، وها هو يحدثهم بأسلوب علوي. إذ لم يعد يقول لهم: "وأما ذلك اليوم ولا ابن الإنسان يعرفه" (راجع مر ١٣: ٣٢)، إنما يقول لهم: "**ليس لكم أن تعرفوا الأزمنة والأوقات التي جعلها الآب في سلطانه**" [٧]. إنكم تطلبون ما هو فوق قدرتكم. يود أن يقول لهم: وإن كنتم قد تعلمتم الآن أمورًا أعظم من هذه، وها أنتم ترون أن هذا هو الحال بكل دقةٍ، أنظروا كم من الأمور قد أعلنتها.

القديس يوحنا الذهبي الفم

v **"وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد ولا الملائكة الذين في السماء ولا الابن إلا الآب". (مر ١٣ : ٣٢).** لا يجهل الابن شيئًا يعرفه الآب... الآب والابن يقطنان في وحدة الطبيعة، أما جهل الابن (للساعة) فينتمي للخطة الإلهية للصمت، إذ فيه تختبئ كل كنوز الحكمة والمعرفة. هذا ما شهد به الرب نفسه عندما أجاب سؤالهم بخصوص الأزمنة. "ليس لكم أن تعرفوا الأزمنة والأوقات التي جعلها الآب في سلطانه" (أع ١: ٧). **المعرفة مرفوضة بالنسبة لهم، ليس هذا فحسب، بل والرغبة في معرفة (الأزمنة) ممنوعة، فإنه ليس لهم أن يعرفوا الأزمنة.**

القديس هيلاري أسقف بواتييه

v يقول الرسول: "إن يوم الرب كلص في الليل هكذا يجيء" (١ تس ٥: ٢). لهذا اسهروا بالليل حتى لا تُفاجئوا باللص. لأن نوم الموت - أردتم أو لم تريدوا - قادم.

القديس أغسطينوس

v ستزول الأشياء المنظورة وتأتي الأمور المقبلة التي هي أفضل. أما عن الزمن فليس لكم أن تعرفوا الأزمنة والأوقات التي جعلها الآب في سلطانه" (أع ١:٧).

لا تتجاسروا في إعلان زمان حدوث هذه الأمور، وفي نفس الوقت لا تخافوا وتتهاونوا، إذ قيل: "اسهروا إذًا، لأنكم في ساعة لا تتوقعونها يأتي ابن الإنسان" (راجع مت ٢٤:٤٢، ٤٤). ولكن إن كان لزامًا أن نعرف علامات المنتهى، إذ ننتظر المسيح فلا نموت مخدوعين ونضل بواسطة الضد للمسيح الكذاب، فإن التلاميذ مدفوعين بإرادة إلهية وحسب ترتيب العناية الربانية قالوا للمعلم الحقيقي: "قل لنا متى يكون هذا؟ وما هي علامة مجيئك وانقضاء الدهر"؟ (مت ٢٤:٣). إننا نتطلع إليك وأنت آتٍ ثانية، لكن "الشيطان يغيّر نفسه إلى ملاك نور" فإعطنا حرصًا حتى لا نعبد آخر غيرك.

فتح السيد فمه الإلهي المبارك قائلاً: "انظروا لا يضلكم أحد". هذه العبارة تنذركم جميعًا أن تحذروا وتهتموا لما يُقال، لأنه لم يتحقق بعد بل يتنبأ عن أمور مقبلة حادثة بالتأكيد.

إنه ليس لنا أن نتنبأ لأننا غير مستحقين لهذا، إنما نضع أمامكم الأمور المكتوبة، ونوضح لكم العلامات، لاحظوا أنتم ما قد تحقق منها فعلاً، وما لم يتحقق بعد وكونوا في أمان.

القديس كيرلس الأورشليمي

"لكنكم ستنالون قوة متى حل الروح القدس عليكم،

وتكونون لي شهودًا

في أورشليم، وفي كل اليهودية، والسامرة، وإلى أقصى الأرض" [٨].

بقوله: "**لكنكم**" يصحح السيد المسيح وضع التلاميذ، فعوض الرغبة المتقدة لمعرفة الأزمنة والأوقات التي هي من سلطان الآب، يوجههم إلى تحقيق رسالتهم. فقد دُعوا لنوال قوة الشهادة على مستوى العالم كله، بفاعلية الروح القدس الذي يحل عليهم.

بينما كانوا لا يزالوا يتطلعون إلى مملكة المسيح بفكرٍ مادي، فكانوا يتعجلون اليوم الذي فيه يُتوج ملكًا على إسرائيل ليسودوا العالم، إذا به يتحدث عن تتويجه ملكًا علي قلوب البشرية في العالم كله. هذا لن يتحقق إلا بتدبير الآب، الذي في سلطانه أن يجتذب القلوب إلى ابنه المصلوب بعمل روحه القدوس. هم سألوا عن اليوم، أما هو فحوّل فكرهم إلى السلطان الذي ينالونه من الآب للكرازة. هم سألوا عن إسرائيل، أما هو فحدثهم عن إسرائيل الجديد الذي يضم أورشليم وكل اليهودية والسامرة وأقصى الأرض. هذا ما قد سبق فتنبأ عنه داود النبي (مز ٢: ٨) وأيضًا حزقيال النبي (حز ٢١: ٢٧).

ما سأله التلاميذ بخصوص معرفة اليوم لا ينفعهم شيئًا، لذلك حول أنظارهم إلى ما هو لبنيانهم. يشبه **القديس يوحنا الذهبي الفم** هذا الموقف بطفلٍ يصرخ طالبًا منا شيئًا غير نافع له، فنخفي الشيء عنه، ونظهر له أيادينا فارغة كأنه ليس معنا، ثم نقدم له ما هو لنفعه. هكذا إذ سأل التلاميذ عن ذلك اليوم قال لهم إنه "**في سلطان الآب**" معرفة الأزمنة والأوقات، وكأنه بدا كمن كان فارغ اليدين، وكأن ليس في سلطانه تقديم هذه المعرفة لهم، ثم عاد فقدم لهم ما هو أهم بالنسبة لهم وهو نوال القوة والسلطة للعمل الجاد لإقامة هذا الملكوت.

يقول **القديس الذهبي الفم** إنه المعلم الذي يقدم لتلاميذه لا ما يختارونه بل ما هو مناسب لهم، وما يجب أن يتعلموه ويتعرفوا عليه.

.maqein didaskein alla sumferei ،Didaskalou touto esti mh a bouletai o maqhthv

"**قوة**": ينالون قوة إلهية لا تقف عند صنع الآيات والمعجزات باسم يسوع المصلوب، وإنما قوة سحب النفس بكل طاقاتها للإيمان بالسيد المسيح والتمتع بخبرة الحياة الجديدة المقامة من الأموات. الروح القدس وحده يقدر أن يخترق القلب والفكر ويعمل داخل النفس معلنًا الحرب على الخطية (أع ٢: ٣٧)، ومشرقًا ببهاء الثالوث القدوس فيها لتقبل عمل الله بفرح.

v لكي لا يتجمدوا بالخوف التهبوا بنيران الحب (الروح القدس).

القديس أغسطينوس

"**وتكونون لي شهودًا في أورشليم، وفي كل اليهودية والسامرة، وإلي أقصى الأرض**" [٨]. جاء سفر الأعمال يعلن تحقيق هذا الوعد الإلهي، ففي الإصحاحات السبعة الأولى كانت الشهادة محصورة في أورشليم. ومع بدء الأصحاح الثامن بدأت الشهادة في اليهودية والسامرة. ومع الأصحاح الحادي عشر (١١: ١٩) انطلقت الخدمة خارج هذه الحدود حتى بلغت عاصمة الدولة الرومانية التي كانت تسود العالم في ذلك الحين. هنا يشير السيد المسيح إلى كل فئات البشر في ذلك الحين:

١. **اليهود** الذين يتمسكون بالناموس الموسوي والعبادة في الهيكل بكل طقوسها في حرفية جامدة.

٢. **الدخلاء** الذين تهودوا، لكنهم في أعماقهم لا يعتزون بالختان حسب الجسد ولا حرفية الناموس، ولا يشغلهم الهيكل في ضخامة مبناه.

٣. **السامريون** الذين كانا يخلطون بين عبادة الله الحيّ والعبادة الوثنية.

٤. **الأمم** بعبادتهم للأوثان وممارسة طقوس متنوعة حسب عادات كل أمةٍ.

بدأت الشهادة بأورشليم، لأنه كما يقول **القديس يوحنا الذهبي الفم** أن العالم يقبل الإيمان حين يرى بعضًا ممن صلبوا السيد قد آمنوا بقيامته، فيكون ذلك برهانًا أكيدًا على قيامة السيد، صادرًا عن أعدائه المقاومين وقد صاروا مؤمنين به. هذا وقد جاء في إشعياء النبي: "من صهيون تخرج الشريعة، ومن أورشليم كلمة الرب" (إش ٢: ٣). وقد آمن في أورشليم نحو ثلاثة آلاف نفس في عظة واحدة (أع ٢).

v لقد أحب هذه المدينة (أورشليم) وشفق عليها، فقد أمر أن تبدأ الكرازة بأورشليم... لا عجب فإنه يزيل الكراهية من جذورها... عسى أن يحبوها، إذ يقطنها قاتلو المسيح.

القديس أغسطينوس

إذ كان على وشك أن يتركهم جسديًا قدم لهم ما يفرح قلوبهم ويسندهم في تحقيق رسالتهم ويعزيهم وسط آلامهم.

v كانوا بالحقيقة لا يزالوا ضعفاء، لكنه رفع نفوسهم وأخفى ما هو خطر عليهم حتى يبث فيهم الثقة. وإذ اقترب وقت رحيله جدًا لم يقل لهم شيئًا مؤلمًا في هذا الحديث.

v أرسل المسيح رسله كما تبعث الشمس أشعتها، وكما تصدر الزهرة رائحتها العذبة، وكما تُخرج النار شرارًا. هكذا تُعرف قوة المسيح خلال فضائلهم، كما أن الشمس تتلألأ في أشعتها، وتعلن الزهرة رائحتها، وتظهر النار بشرارها. من لا يمدح المعلم عندما يشاهد التلاميذ متعلمين حسنًا؟

القديس يوحنا الذهبي الفم

v جاء إليكم الإنجيل كما جاء إلي كل العالم، وأثمر. قال ابن الله بفمه: "تكونون لي شهودًا في أورشليم، وفي كل اليهودية، والسامرة، وإلي أقصي الأرض".

القديس أغسطينوس

عند ميلاد كلمة الله المتجسد قدم جبرائيل الملاك هذا الوعد الإلهي: "الروح القدس يحل عليكِ، وقوة العلي تظللكِ، فلذلك أيضا القدوس المولود منكِ يُدعى ابن الله" (لو ١: ٣٥). أنجبت القديسة مريم ابن الله المتجسد، وتمتعت بالأمومة الفريدة له، مع دوام بتوليتها. الآن يقدم الكلمة الإلهي المتجسد، يسوع المسيح، وعدًا بميلاد عروسه الأم البتول بقوة الروح القدس الذي يحل على البشر: "**ستنالون قوة متى حلّ الروح القدس عليكم، وتكونون لي شهودا**" [٨]

المولود الأول هو ابن الله المتجسد القدوس، مولود بالروح القدس بقوة من الأعالي، والمولود الثاني عروسه الكنيسة المقدسة تولد من الروح القدس بقوة من الأعالي.

تحقق الميلاد الأول من العذراء مريم بعد تقديسها، والثاني من الرسل والتلاميذ بعد تقديسهم.

في الميلاد الأول صار السماوي ابن البشر ليحل في وسطنا، وفي الثاني يصير الأرضيون حاملين سمة السماوي، وفي أحضانه الإلهية يتمتعون بالسماويات.

صار المولود الأول من أجلنا جنينًا فطفلاً، وكان ينمو ويتقوى بالروح (لو ٢: ٤)، والمولود الثاني عروسه التي لها سلام تُبنى وتسير في خوف الرب بتعزية الروح القدس تتكاثر على الدوام (أع ٩: ٣١).

المولود الأول جعل من كثيرين مسبحين لله، مثل القديسة مريم واليصابات وسمعان الشيخ؛ والمولود الثاني حول البشرية إلى جماعة مسبحين (أع ٢: ٤٧).

٣. ارتفاع الرأس إلى السماء

"ولما قال هذا ارتفع وهم ينظرون،

وأخذته سحابة عن أعينهم" [٩].

يؤكد لوقا الإنجيلي: "**ولما قال هذا... وهم ينظرون**"، ففي قيامته لم يره أحد، لكن الطبيعة شهدت له، والقبر الفارغ، مع شهادة الجند أنه سُرق وهم نيام الأمر الذي لا يقبله عقل بل أكد قيامته، وظهورات السيد لكثيرين وفي أوقات متباينة وهو يتحدث معهم ويحاورهم، حتى لا يظنوا أن ما رأوه كان حلمًا جميلاً، أو وهمًا. ما كان يمكنهم أن يصدقوا حقيقة صعوده ويؤمنوا بها لو لم يروها بأعينهم.

كان لابد أن يروا صعوده ويتحدثوا مع الملاكين ليدركوا أن ملكوت المسيح ليس ملكوتًا أرضيًا زائلاً، بل ملكوت سماوي أبدي. ولكي يدركوا أن رسالته على الأرض قد كملت (يو ١٧: ٤؛ ١٩: ٣٠)، وكان لائقًا به أن يعود إلى مجده الذي له مع الآب (يو ١٧: ٤-٥؛ في ٢: ٦، ٩-١٠).

أتم السيد رسالته على الأرض، فصعد لكي يرسل الروح القدس ليقود كنيسته في العالم كله.

صعد إلى الآب لكي يهيئ لنا مجدنا خلال شفاعته الكفارية لدى الآب لغفران خطايانا وتبريرنا فيه، كرئيس الكهنة الأعظم (عب ٩: ٧-٨، ١١-١٢، ٢٥). ولكي يعلن انفتاح أبواب السماء لأول مرة لحامل الطبيعة البشرية، فصار لنا حق الصعود معه.

قدم لنا الإنجيلي لوقا هذا المشهد الحقيقي المثير والبديع لصعود السيد المسيح إلى السماء، وقد أخذته سحابة عن أعين تلاميذه. يقول المرتل: "الجاعل السحاب مركبته، الماشي على أجنحة الريح" (مز ١٠٤: ٣). ويقول دانيال النبي: "كنت أرى في رؤى الليل، وإذا مع سحب السماء مثل ابن إنسان، أتى وجاء إلى القديم الأيام، فقربوه قدامه..." (دا ٧: ١٣). يشير السحاب إلى السمو الفائق والجلال الإلهي (تث ٤: ١١؛ ٢صم ٢٢: ١٢؛ مز ٩٧: ٢)، كما يشير إلى الشكيناه Shekinah كمجدٍ يمثل الحضرة الإلهية (خر ٣٣: ٧-١١؛ ٤٠: ٣٤؛ مر ٩: ٧).

"**ارتفع**" إذ صار جسد الرب ممجدًا بقيامته من الأموات، لا سلطان للجاذبية الأرضية على الجسد القائم من الأموات، وأصبح طبيعيًا أن يرتفع، بل ويرفع معه كل من يلتصق به، أو يصير عضوًا فيه. "وأنا إن ارتفعت عن الأرض أجذب إلي الجميع". (يو ١٢: ٣٢)

بعد قيامته تسربل جسده بالمجد والتحف بالنور، ومن أجلنا أخفي ذلك عن الأعين حتى يتلامس معه تلاميذه ومن معهم ويتأكدون من قيامته. لقد قدم نعمة خاصة لتلاميذه لكي يروه صاعدًا، هذا الذي لما ظهر لشاول الطرسوسي وهو في طريقه إلى دمشق ارتعد وتحير، "بغتة أبرق حوله نور من السماء، فسقط على الأرض". (أع ٩: ٣-٤)

لقد أخفى مجده عن أعين الذين التقوا معه حتى إذ أخذته سحابة عن أعينهم، رفع الحجاب عن مجده، ولم يعُد بعد يمكن للأعين البشرية أن تراه. إنما نراه بعد أن يهبنا قيامة أجسادنا لتصير على مثال جسده الممجد. "حينئذ ينظرون ابن الإنسان آتيًا في سحابٍ بقوةٍ كثيرةٍ ومجدٍ" (مر ١٣: ٢٦).

v لقد نلنا هذا بسبب "الجسد" الذي قدمه الرب، **لقد قدم للآب بكر طبيعتنا**. وبسبب كرامة المُقدم وكمال قابل التقدمة، وجد الآب "**العطية**" مقبولة، فاستلمها بيده وضمها لنفسه وقال (للرب المتجسد): "اجلس عن يميني" (مز ٦٨:١٠).

ألم يرتفع (الناسوت المتحد باللاهوت) إلى فوق السماوات؟!

أليست هذه كرامة بلا قياس؟!

لقد ارتفعت (طبيعتنا في شخص الإله المتجسد) فوق السماوات، وسمت فوق الملائكة. لقد عبرت فوق رؤساء الملائكة والشاروبيم، وحلقت فوق السيرافيم، عالية أكثر من كل القوات السمائية، واستراحت في العرش الإلهي الحقيقي وحده...

إن سلوك جنسنا كان هكذا شريرًا في الماضي، حتى كان الأمر في خطر من أن يُباد كل الجنس البشرى عن وجه الأرض. والآن نحن الذين قبلاً حُسبنا غير متأهلين للبقاء في الأرض رُفعنا إلى السماوات.

نحن الذين كان قبلاً غير مستحقين للمجد الأرضي، نصعد الآن إلى ملكوت السماوات، وندخل السماوات، ونأخذ مكاننا أمام العرش الإلهي.

هذه الطبيعة التي لنا، التي كان الشاروبيم يحرس أبواب الفردوس منها، هوذا اليوم ترتفع فوق الشاروبيم!

كيف يمكننا أن نعبر على حدث عظيم (**عيد الصعود**) هكذا عبورًا سريعًا؟!

لأنه نحن الذين أسأنا إلى مثل هذه المراحم العظيمة، حتى صرنا غير مستحقين للأرض ذاتها، وسقطنا من كل سلطان وكرامة، بأي استحقاق نرتفع إلى كرامة علوية كهذه؟!

كيف انتهى الصراع؟!

لماذا زال غضب الله؟...

فإن هذا هو بحق عجيب: إن السلام قد حلّ، لا بعمل قام به الذين أثاروا غضب الله... بل الذي غضب علينا بحق هو نفسه يدعونا إلى السلام. إذ يقول الرسول: "إذًا نسعى كسفراء عن المسيح كأن الله يعظ بنا" (٢ كو ٥:٢٠). وماذا يعنى هذا؟ بالرغم من أننا أسأنا إليه، فإنه هو الذي يسعى إلينا ويدعونا إلى السلام. إنه حقا هكذا، فإذ هو الله، وهو الإله المحب الذي يدعونا إليه.

v هذه أيضا علامة أنه صعد إلى السماء، إذ لم تحمله نار كما في حالة إيليا، ولا مركبات نارية، بل "**أخذته سحابة**"، بكونها رمزًا للسماء، كما يقول النبي: "جعل السحاب مركبته" (مز ١٠٤: ٣)، فقد قيل هذا عن الآب نفسه. لذلك يقول: "على السحاب" بطريقة رمزية حيث يود أن يتحدث عن القوة الإلهية، فإنه لا توجد قوة أخرى تُرى على السحاب. اسمع أيضًا ما يقوله نبي آخر: "يجلس الرب على سحابة خفيفة " (إش ١٩: ١)... أيضًا على الجبل حلّ السحاب بسبب الله، حيث دخل موسى في الظلمة، ولم يكن السحاب بسبب موسى.

القديس يوحنا الذهبي الفم

v "الجاعل السحاب طريقه، الماشي على أجنحة الرياح" (مز ١٠٤: ٣). بهذا يشير إلى عنايته الإلهية التي تبلغ كل موضع. فإنه يجعل وضعه على الرياح والسحاب.

يقول إنه يقوم بشخصه بضبط كل الأمور ويقودها، وفي الوقت اللائق يهب النفع الصادر عنها. إنه في نفس الوقت يعلم أن الطبيعة الإلهية حاضرة في كل موضع، ويفحص كل الأشياء، حيث أن الرياح هي أسرع كل الأمور المادية، تعبر في ومضة من الغرب إلى الشرق، ومن الشرق إلى الغرب. لا يجد صورة دقيقة للسرعة بين الأمور المادية أكثر من الرياح، لذلك قال إن الله تحمله أجنحة الرياح، مشيرًا بهذا إلى حضوره في كل موضع.

أيضًا نجد إله الجميع يظهر لبني إسرائيل في سحاب، ويجعل ظهوره الشخصي في خيمة الاجتماع عن طريق سحابة (خر ١٣: ٢١؛ ٤٠: ٣٤). عندما دشن سليمان البيت بالطبع غطت سحابة البيت (٢ أي ٥: ١٣: ١٤).

والمسيح الرب على الجبل مع الثلاثة رسل أعطى ومضة من سحابة مشرقة حوله (مت ١٧: ٥)، وفي صعوده حملته سحابة منيرة عن أنظارهم.

الأب ثيؤدورت أسقف قورش

v صعد إلى السماوات ولم يعد بعد هنا (بالجسد). حقًا إنه جالس هناك عن يمين الآب، وهو أيضًا هنا دون أن ينسحب قط عن حضرة مجده.

القديس أغسطينوس

v عندما أراد إظهار أنه توجد قيامة للجسد حقيقية، وأنه ليس مستحيلاً أن يصعد الجسد إلى السماء، "ارتفع إلى السماء وهم يشخصون"، إذ كان هو في الجسد.

القديس يوستين

"وفيما كانوا يشخصون إلى السماء وهو منطلق،

إذا رجلان قد وقفا بهم بلباسٍ أبيض" [١٠].

إذ كانت الملائكة تشتهي خدمته والشهادة له، ظهر ملاكان للحاضرين يشهدان لصعوده، ربما كانا ذات الملاكين اللذين كانا في القبر يشهدان لقيامته.

رأوا ملاكين في شبه بشر بلباسٍ أبيض، كأنهما ملتحفان بالنور علامة الطهارة والفرح والمجد. غالبًا ما تظهر الملائكة بلباسٍ أبيضٍ (يو ٢٠: ١٢؛ مت ٢٨: ٣؛ مر ١٦: ٥)، ويظهر المفديون في السماء سائرين مع المخلص بثيابٍ بيض؛ كما قيل: "من يغلب فذلك سيلبس ثيابًا بيضًا" (رؤ ٣: ٥، ٧: ٩، ١٣-١٤).

v على أي الأحوال، ما رأته أعينهم لم يكن مُشبعًا تمامًا. فبالنسبة للقيامة رأوا نهايتها ولم يروا بدايتها (إذ لم يروه أثناء قيامته). أما في الصعود فرأوا البداية ولم يروا النهاية.

فبالنسبة للأولى لم يكن من الضروري أن يروا البداية، لأن الرب نفسه الذي يتحدث بهذه الأمور حاضر، والقبر يعلن بكل وضوح أنه ليس فيه السيد. وأما في الأخيرة فكانوا محتاجين أن يتعرفوا على التكملة بكلمة الغير (بواسطة الملاكين). فلم تكن أعينهم قادرة أن تريهم إياه، أي في العلا، ولا أن تخبرهم بأنه بالحقيقة صعد إلى السماء... لذلك جاءت ملائكة تخبرهم به. لاحظوا كيف حدث كل شيء بتدبيرٍ، وأن ما حدث لم يكن بالروح وحده، وإنما كان لأعينهم دورها في ذلك.

v كان المنظر الخارجي مبهجًا (**بلباسٍ أبيض**)، كانا ملاكين في شكل رجلين.

v الفارق بين الملائكة والبشر عظيم، مع هذا فإنه يجلبهم ليقتربوا إلينا أسفل... إنهم يعملون من أجلنا، ومن أجلنا يجرون هنا وهناك، ويترقبون مجيئنا (إليهم). هذه هي خدمتهم، إنهم يُرسلون في كل طريق لحسابنا.

القديس يوحنا الذهبي الفم

v عندما تقدم المنتصر بجسده القائم من الموت، قالت قوات معنية: "من ذا الآتي بثيابٍ حمر من بُصرة؟" أما الذين كانوا في صحبته، فقد صاحوا بالقائمين على أبواب السماء: "انفتحي يا أيتها الأبواب الدهرية ليدخل ملك المجد".

العلامة أوريجينوس

v اليوم (عيد الصعود) استعاد الملائكة من فقدوهم منذ زمن طويل!

اليوم رأى رؤساء الملائكة أولئك الذين يشتاقون إلى رؤيتهم منذ زمنٍ بعيدٍ!

اليوم رأوا طبيعتنا (إذ اتحد بها الابن الكلمة) في العرش الإلهي، تتلألأ في جمالٍ أبديٍ ومجدٍ سرمدي!

هذا ما اشتهاه الملائكة زمانًا!

هذا ما كان ينتظره رؤساء الملائكة!

ومع أن الطبيعة البشرية قد سمت فوقهم في الكرامة، لكنهم فرحوا من أجل الخير الذي حلّ بنا، لأنه عندما حلّ بنا العقاب حزنوا.

وبالرغم من أن الشاروبيم وقفوا حارسين الفردوس (عند طردنا)، إلا أنهم اغتموا من أجل شقائنا، وذلك مثلهم كمثل عبد يقبض بيد رفيقه في حضرة سيده، ويلقي به في السجن ويبقى حارسًا إياه، لكنه مملوء حزنًا من أجل الضيقة التي حلت بزميله... هكذا فعل الشاروبيم إذ قاموا باستبعاد البشر عن الفردوس، لكنهم كانوا حزانى من أجل هذا...

ولكي تعرفوا أنهم حزنوا على ذلك، أوضح لكم هذا بما يحدث بين البشر. لأنه إن كنتم ترون أناسًا لهم حنو على العبيد رفقائهم، فإنكم لا تشكون أن هذا كان بالنسبة للشاروبيم. لأن هذه القوات السمائية أكثر حنانًا من البشر.

منْ منَ البشر لا يتألم إذ يرى الغير يُعاقبون، حتى ولو كان العقاب بعدلٍ ومن أجل خطايا كثيرة؟!

هذا الحنو هو أمر مستحق للمديح، فإنه بالرغم من معرفة الشاروبيم عن جرائم الناس، وإدراكهم أنهم عصوا عصيانًا خطيرًا، لكنهم يحزنون من أجلهم حزنًا قلبيًا. وذلك مثل موسى أيضًا عندما أعلن هذا بعدما ارتكب شعبه عبادة الأوثان، إذ قال: "والآن إن غفرت خطيتهم، وإلا فإمحني من كتابك الذي كتبت" (خر ٣٢:٣٢).

ماذا تقصد يا موسى؟! أنت ترى كفرهم، ومع ذلك هل تحزن بسبب معاقبتهم؟! يقول: نعم لأجل هذا أحزن إذ هم يُعاقبون، ولو أنهم ارتكبوا ما يستحق العقاب...

وهكذا فإن موسى، وحزقيال (٨:٩)، وإرميا (٢٤:١٠)، هؤلاء حزنوا من أجل الخطاة، أفلا تشفق القوات السمائية من أجل ضيقاتنا؟!...

فإنهم يرون شؤوننا كأنها شئونهم، لهذا كم تكون فرحتهم، إذ يروننا قد تصالحنا مع الله! فما كانوا يفرحون هكذا لو لم يكونوا قد حزنوا من أجلنا. أما فرحهم فواضح من كلمات المسيح نفسه: "أقول لكم هكذا يكون فرح في السماء بخاطئ واحد يتوب" (لو ٧:١٥). فإن كانت الملائكة تفرح متى رأت إنسانًا خاطئًا يرجع إلى الله تائبًا، فكيف لا يمتلئون فرحًا عظيمًا عندما يرون الطبيعة البشرية كلها، في بكرها، تصعد اليوم إلى السماء؟!

اسمعوا أيضًا في موضع آخر عن فرح الطغمات السمائية بسبب رجوعنا إلى الصداقة مع الله. فإنه عندما وُلد ربنا حسب الجسد، ناظرين إلى أنه منذ تلك اللحظة قد حلت الصداقة مع الجنس البشرى عوض العداوة، وإلا ما كان قد نزل بينهم، فإذ رأوا ذلك ترنمت جوقة سمائية قائلة: "المجد لله في الأعالي، وعلى الأرض السلام، وبالناس المسرة" (لو ١٤:٢)...

أتريدون أن تعرفوا عظم غبطتهم وفرحهم عندما رأوا المسيح صاعدًا إلى السماء؟! أنصتوا إلى كلماته التي يخبرنا بها عنهم كيف كانوا يصعدون وينزلون على الدوام، وهذا أسلوب من ينتظر أن يرى أمرًا جديدًا عجيبًا.

وأين يظهر أنهم كانوا يصعدون وينزلون؟

أنصتوا إلى كلمات الرب: "من الآن ترون السماء مفتوحة، وملائكة الله يصعدون وينزلون على ابن الإنسان" (يو ٥١:١).

هذه هي علامة القلوب المتحننة المملوءة حبًا، إذ لم ينتظروا الوقت المعين، إنما سبقوا الساعة المحددة بالبهجة.

وهكذا بقوا صاعدين ونازلين برغبة مملوءة شوقًا وحبًا، منتظرين تلك الرؤية الجديدة العجيبة من جهة (الإله المتأنس) الذي يظهر في السماوات.

بسبب هذه كانت الملائكة تظهر في كل حين: عندما وُلد، وعندما قام، وعندما صعد إلى السماوات. إذ يقول الكتاب المقدس: "إذا رجلان قد وقفا بهما بلباس أبيض". لبسهما هذا يعلن عن فرحتهما.

وقد قالا للتلاميذ: "أيها الرجال الجليليون، ما بالكم واقفين تنظرون إلى السماء؛ إن يسوع هذا الذي ارتفع عنكم إلى السماء" (أع ١٠:١، ١١).

ركز انتباهك معي! لماذا قالا هكذا للتلاميذ؟! ألم يرَ التلاميذ ما هو حادث أمامهم؟ ألم يقل الإنجيلي: "هذا ارتفع وهم ينظرون". لماذا وقف الملاكان بهما وأخبراهما عن صعوده إلى السماء؟! كان ذلك لسببين:

السبب الأول: لأن التلاميذ بدأوا يحزنون، لأن المسيح سيتركهم... "ليس أحد منكم يسألني أين تمضي، لكن لأني قلت لكم هذا قد ملأ الحزن قلوبكم" (يو ١٦:٥- ٦)...

لأجل هذا وقف الملاك بمن حزنوا عند الصعود، مذكرًا إياهم بأنه سيأتي أيضًا مرة أخرى "**إن يسوع هذا الذي ارتفع عنكم إلى السماء، سيأتي كما رأيتموه منطلقًا إلى السماء**". كأنه يقول لهم: "أنتم تحزنون لأنه صعد. لكن لا تحزنوا بعد، فإنه سيعود". وقد قال لهم ذلك حتى لا يفعلوا ما فعله أليشع، ممزقًا ثيابه عندما رأى سيده يصعد إلى السماء (٢مل٢:١٢)، لأنه لم يقف به أحد يقول له بأن إيليا سيعود مرة أخرى. فلكي لا يفعلوا هذا، وقف بهما الملاكان وعزياهم، ونزعا عنهم الحزن الذي ملأ قلوبهم. هذا هو سبب ظهور الملاكين.

وأما **السبب الثاني** فهو ليس بأقل من الأول، إذ أضافا قائلين: "**يسوع هذا الذي ارتفع عنكم**" لماذا؟ لقد ارتفع إلى السماء. والمسافة بينهم وبين السماء شاسعة، تعجز قدرة أبصارهم عن أن ترى جسدًا يرتفع إليها... لهذا فإن الملاكين وقفا بهم وأوضحا لهم حقيقة الصعود إلى السماء، حتى لا يظنوا أنه أُخذ إلى فوق حيث يوجد إيليا، بل بالحق صعد إلى السماوات. ولهذا السبب قيل لهم: "**هذا الذي ارتفع عنكم إلى السماء**". لم يضف هذا القول بغير سبب. لكن إيليا أُخذ إلى فوق كما إلى السماء، لأنه خادم. أما يسوع فقد صعد إلى السماء (حيث العرش الإلهي) إذ هو الرب.

واحد صعد في مركبة، والآخر في سحابة.

عندما دُعى العبد أُرسلت إليه مركبة، أما الابن فإذ له العرش الإلهي، وليس أي عرش بل عرش أبيه، وقد جاء في إشعياء... "هوذا الرب راكب على سحابة" (إش١٩:١)...

إذ صعد إيليا سقط عنه رداءه لأليشع (٢ مل ١٣:٢)، وإذ صعد يسوع أرسل النعم لتلاميذه، لهم جميعًا، وليس لنبي واحد، بل إلى أمثال أليشع كثيرين بل ومن هم أكثر من أليشع مجدًا.

لنقم أيها الإخوة المحبوبون، ولنرفع أعين نفوسنا تجاه ذاك الذي سيعود، إذ يقول لنا بولس: "لأن الرب نفسه بهتافٍ، بصوت رئيس ملائكة، وبوق الله ينزل من السماء... ثم نحن الأحياء الباقين سنُخطف جميعًا معهم في السحب لملاقاة الرب في الهواء" (١ تس ١٦:٤). ولكن ليس الكل (يتمتع بهذا) بل بعضنا يصعد إلى السماوات وآخرون يبقون...

اسمعوا ماذا يقول المسيح؟ "اثنتان تطحنان على الرحى. تؤخذ الواحدة وتترك الأخرى" (مت ٤١:٢٤)...

فهل نحن أيضًا نصعد؟!...

وعندما أقول "**نحن**" أحسب نفسي لست (مستحقًا) أن أكون بين الذين يصعدون. لأنني لست هكذا بلا إحساس أو فهم حتى أتجاهل خطاياي. وإذ أخشى أن أتلف فرح هذا العيد المقدس، لهذا فإنني أبكي بدموع مرة عندما استرجع في ذهني هذه الكلمات وأتذكر خطاياي.

وإذ لا أريد أن أنزع فرح هذا العيد، فإنني أنهي عظتي تاركًا فرح هذا العيد يشع في أذهانكم دون أن يُحتجب، فلا يبتهج الغنى كثيرًا بغناه، ولا يتضايق الفقير بسبب فقره، بل يصنع كل إنسان عمله أيا كان حسبما يمليه عليه ضميره.

لأن الإنسان السعيد ليس هو الغنى، ولا الفقير إنسان بائس، بل بالأحرى مطوّب، ومثلث التطويبات، ذاك الذي يكون مستحقًا أن يصعد على السحاب ولو كان أفقر الجميع.

وهو بالحق بائس ومثلث البؤس، ذاك الذي يحسب مع المفقودين ولو كان أغنى من جميع الناس...

القديس يوحنا الذهبي الفم

"وقالا أيها الرجال الجليليون،

ما بالكم واقفين تنظرون إلى السماء؟

إن يسوع هذا الذي ارتفع عنكم إلى السماء،

سيأتي هكذا كما رأيتموه منطلقًا إلى السماء" [١١].

كان موطن التلاميذ هو الجليل، فلا نعجب إن دعاهم الملاكان جليليين.

ليس من منظر لحدثٍ في تاريخ البشرية يمكن أن يبهر الإنسان مثل صعود السيد المسيح على السحاب، يقابله تمامًا مجيئه على السحاب لكي يحمل معه كنيسته في موكب سماوي فائق، ويدخل بها إلى الأمجاد الأبدية.

لماذا كانوا واقفين ينظرون إلى السماء؟

١. كانت أعين الجميع شاخصة تتطلع إلى سيدهم الصاعد إلى السماء، ربما يترقبون في أعماقهم ماذا يحدث بعد ذلك. وقفوا في حيرة: ما هو دوره؟ وما هو دورهم هم بعد صعوده؟

٢. يرى البعض أنهم إذ كانوا يتحدثون مع السيد المسيح عن رد المُلك لإسرائيل ظنوا أنه قد حان الوقت لكي يملك ويخلص الشعب من الاستعمار، الآن إذ صعد أمامهم أصيبوا بحالة إحباط، بأنه لن يُرد الملك لإسرائيل.

٣. إذ سبق فأعلن لهم أنه يصعد إلى السماء ويعود، ربما ظنوا أنه بصعوده يعود فورًا، فكانوا يشخصون إليه مترقبين سرعة رجوعه.

٤. كان منظر صعوده بديعًا للغاية، وبدأت مظاهر المجد تنكشف، لهذا كان الحاضرون يشخصون إلى السماء وهو منطلق، وكأنهم يودون ألا يفارق هذا المنظر أعينهم. وذلك كما حدث في التجلي حيث طلب القديس بطرس: "جيد يا رب أن نكون هنا".

ظهرا بثيابٍ بيضٍ ليحولا أنظار الحاضرين إلى الاستعداد لمجيء المسيح الأخير. تحدثا معهم كأن مجيئه يتم في خلال يومٍ أو أيامٍ، فإنه لا يشغل الملائكة الزمن بل اللقاء مع ربهم. لقد أرادوا أن يلتهب قلب الكنيسة شوقًا نحو مجيء عريسها، كأنه قادم في لحظاتٍ. وكما يقول الرسول: "إنها الساعة الأخيرة". ها قد عبر حوالي ألفين من السنين، ونحن بكل شوقٍ نترقب مجيئه كمن في اللحظات الأخيرة!

- "صعد الله بصراخ، الرب بصوت بوقٍ" (مز ٤٧: ٥). لأن الرب الذي تمم كل هذا يقول أنه صار أولاً إنسانًا، وطرح الطاغية إبليس المنتقم، عندئذ صعد إلى السماء مع الطغمات السماوية وطقوس الملائكة التي تتقدمه. الذين على الأرض يُقال لهم: "**إن يسوع هذا الذي ارتفع عنكم إلى السماء سيأتي هكذا كما رأيتموه منطلقا إلى السماء**" [١١]. أما الذين في العلا فيقولون: "ارفعوا أيها الرؤساء أبوابكم، ولترتفع الأبواب الدهرية ليدخل ملك المجد" (مز ٢٤: ٧).

الأب ثيؤدورت أسقف قورش

- صعوده إلى السماء من الأرض، ومرة أخرى نزوله من السماء إلى الأرض، يعلنان عن طاقات دائرة جسمه.

- عندما صعد إلى السماء ثانية كان محمولاً نحو الشرق، وهكذا سجد له رسله. وهكذا سيأتي بنفس الطريق الذي رأوه فيه صاعدًا إلى السماء، كما قال الرب نفسه: "لأنه كما أن البرق يخرج من المشارق ويظهر إلى المغارب، هكذا يكون أيضًا مجيء ابن الإنسان" (مت ٢٤: ٢٧). هكذا إذ نتوقع مجيئه نعبده متجهين نحو الشرق. هذا التقليد الذي للرسل غير مكتوب، فإن أمورًا كثيرة تسلمناها بالتقليد غير المكتوب.

الأب يوحنا الدمشقي

بينما كان الحاضرون يتطلعون في دهشة إذا بملاكين يسحبان قلوبهم إلي مثل هذا المنظر حين يأتي السيد المسيح على السحاب كما علي المركبة الإلهية ليحمل فيها عروسه المقدسة، تنطلق معه إلي البيت السماوي، بيت الزوجية، لتعيش في الأحضان الإلهية.

- بعد ذلك اندهشوا أمام الحقيقة إذا رأوه صاعدًا، وفرحوا أنه صعد إلى السماء، لأن تقدم الرأس هو رجاء الأعضاء. علاوة علي هذا، فقد سمعوا الرسالة الملائكية: "**أيها الرجال الجليليون، ما بالكم واقفين تنظرون إلي السماء؟ إن يسوع... سيأتي هكذا كما رأيتموه منطلقًا إلى السماء**". ما معنى "سيأتي هكذا (بنفس الكيفية)؟ سيأتي في ذات الشكل، فيتم الكتاب: "وينظر إليه الذين طعنوه" (يو ١٩: ٣٧، زك ١٢: ١٠). سيأتى إلى البشر، سيأتي

في شكلٍ بشري، بل كإله متأنس. سيأتي بكونه الله الحقيقي والإنسان الحقيقي ليجعل من البشر أشبه بالله. لقد صعد كديانٍ إلى السماء. ليتنا نتبرر فلا نخشى الدينونة القادمة.

v بأية كيفية رأوه ذاهبا؟ رأوه صاعدًا بالجسد الذي لمسوه، وبالجراحات التي تأكدوا منها بلمسها. صعد بهذا الجسد الذي به دخل إليهم وخرج لمدة أربعين يومًا، معلنًا لهم أنه جسد حقيقي وليس مزيفًا: ليس جسدًا خيالاً أو ظلاً أو روحًا، بل قال لهم بنفسه دون أن يخدعهم: "جسوني وانظروا، فإن الروح ليس له جسد ولا عظام كما ترونني" (لو ٢٤: ٣٩). الآن صار هذا الجسد مستحقًا السكنى في السماء، لا يخضع للموت ولا يشيخ خلال مرور الزمن. ليس كما نما إلى هذا السن من الطفولة يميل من الرجولة إلى الشيخوخة. إنما يبقى كما هو، صعد ليأتي إلى الذين يريد منهم أن يكرزوا بكلمته قبل مجيئه. هكذا سيأتي في شكلٍ بشري. هذه الصورة سيراها الأشرار كما قيل: "سيبصرونه الذين طعنوه" (زك ١٢: ١٣). سوف لا يرون الله المخفي في الجسد، لكن بعد الدينونة يراه الذين هم على يمينه.

v يرونه في شكل إنسان الذي فيه حوكم وسيحاكم، ليتحقق القول النبوي: "ينظرون إلى الذين طعنوه" (زك ١٢: ١٠؛ يو ١٩: ٣٧). ولكن حين يذهب الأبرار إلى الحياة الأبدية نراه كما هو، لا نرى إدانة الأحياء والأموات، وإنما مكافأة الأحياء فقط.

القديس أغسطينوس

v إذ اقترب وقت نزوله، فكيف نصعد نحن؟ نصعد في كرامة. فعندما يسير ملك (بمركبته) في مدينة، يخرج الذين في كرامة ليستقبلوه، وأما الذين تحت الدينونة فينتظرون القاضي في الداخل. وعند مجيء أب حنون يصعد في مركبة أولاده الذين هم حقيقيون وأيضًا الذين يتأهلون لأن يكونوا أولاده لكي يروه ويقبلوه؛ أما الذين يقاوموه فيبقون في الداخل. إننا نُحمل بمركبة أبينا، فقد استقبله (الآب) وهو صاعد في السحاب، ونحن أيضًا نُؤخذ في السحاب. ألا ترون عظمة الكرامة؟ فكما نزل هو، ننطلق نحن لنلتقي به، وما هو أكثر تطويبًا من كل شيء، أننا سنكون معه.

القديس يوحنا ذهبي الفم

يرى **البابا أثناسيوس الرسولي** أن في هذا لتأكيد بأننا نعبد الرب المتجسد الصاعد هكذا، والذي سيأتي هكذا، إذ تعثر البعض في المسيح بسبب جسده.

"حينئذ رجعوا إلى أورشليم من الجبل الذي يدعى جبل الزيتون،

الذي هو بالقرب من أورشليم على سفر سبت" [١٢].

ألهب المنظر قلوبهم، فعادوا إلى أورشليم بفرح عظيمٍ (لو ٢٤: ٥٢)، وكانت المسافة بين الجبل وأورشليم هي "**سفر سبت**"، أي حوالي كيلومتر واحد، تُدعى بالعبرية "تخوم السبت". يرى البعض أن سفر سبت وإن كان لم يحدده الناموس، لكن حسب التقليد اليهودي كانت هذه المسافة تعادل ٢٠٠٠ خطوة، لأنه لم يكن يُسمح لأحد أن يقيم حول الخيمة بأكثر من ٢٠٠٠ خطوة حتى يمكنه الذهاب إلى الخيمة للعبادة في يوم السبت. صار هذا تقليدًا خاصًا بمحلة إسرائيل. كما لم يكن يُسمح للاويين أن يسكنوا في مدن أبعد من ٢٠٠٠ خطوة من الهيكل لذات الغرض.

صعود السيد وهبهم فرحًا داخليًا، إذ بدأوا يدركون أن مملكة المسيح هي السماء، وحيث يملك هو يملكون معه. هذا الفرح الداخلي وهبهم قوة تتحدى كل الظروف، وكما قيل: "لأن فرح الرب هو قوتكم" (نح ٨: ١٠). صار كل ما يشغلهم أن يشهدوا له أمام العالم لكي يصير الكل "منتظرين وطالبين سرعة مجيء يوم الرب" (٢ بط ٣: ١٢).

لم يسأل التلاميذ الملاكين عن موعد مجيئه ثانية، فقد امتصت أفكارهم في ذاك الصاعد إلى السماء، وأدركوا ما سبق فقاله المرتل عنه: "السحاب والظلام تحت قدميه" (مز ١٨: ٩؛ ٩٢: ٢). أدركوا أنه رب السماء. كما يقول **القديس يوحنا الذهبي الفم:** [كملكٍ أظهر لهم المركبة الملوكية، هذه قد أرسلت إليه.]

"ولما دخلوا صعدوا إلى العلية التي كانوا يقيمون فيها،

بطرس ويعقوب ويوحنا

وأندراوس وفيلبس وتوما

وبرثولماوس ومتى ويعقوب بن حلفى

وسمعان الغيور ويهوذا أخو يعقوب" [١٣].

وردت قائمة التلاميذ الإثني عشر في متى ١٠: ٢ الخ؛ مر ٣: ١٦ الخ؛ لو ٦: ١٤ الخ).

سمعان القانوي أو الغيور: يقصد بالقانوي أنه كان من قانا، أما الغيور فلأنه يتبع جماعة الغيورين، وهي فئة كانت تنادي بالتحرر من الاستعمار الروماني للتمتع بالحرية باستخدام القوة. استمدوا فكرهم من فينحاس الغيور علي بيت الرب (عد ٢٥: ١٠-١٣). ويقول يوسيفوس المؤرخ اليهودي أنهم ذوو صلة بثوداس الثائر (أع ٥: ٣٧) الذي رتب ثورة ضد الرومان سنة ٦ ميلادية. ومع فشل الثورة بقي إتباعه يحملون روحه الثائرة، وقد أثاروا فيما بعد ثورة عام ٦٦ انتهت بدخول تيطس أورشليم عام ٧٠م وحرق الهيكل وتدميره تمامًا.

كانوا يجتمعون معًا في العلية التي في بيت مريم أم القديس مرقس الرسول. ويبدو أن البيت كان متسعًا جدًا وأيضًا العلية، إذ قيل: "**كانوا يقيمون فيها**". ربما كانت النسوة يُقِمْنَ في الدور الأسفل، بينما كان التلاميذ يقيمون في العلية. وعندما حلّ الروح القدس كريح عصفت بالبيت كله وملأته.

يقول **القديس يوحنا الذهبي الفم** أن التلاميذ لم يظهروا أية علامة للحزن عند صعود السيد المسيح كما حدث مع أليشع حين أُخذ سيده إلى السماء، إذ مزق ثوبه (٢ مل ٢: ١٢). بل يقول الإنجيلي لوقا: "فسجدوا له، ورجعوا إلى أورشليم بفرح عظيم، وكانوا كل حين في الهيكل يسبحون ويباركون الله" (لو ٢٤: ٥٢-٥٣). ولعل سرّ فرحهم قول الملاك: "**سيأتي هكذا كما رأيتموه منطلقًا إلى السماء**" [١١]. صعوده ورجاؤهم في المجيء الأخير له حول حياتهم إلى تسبيح دائم في هيكل الله.

"هؤلاء كلهم كانوا يواظبون بنفسٍ واحدة على الصلاة والطلبة،

مع النساء ومريم أم يسوع ومع اخوته" [١٤].

جاءت كلمة "**يواظبون**" في اليونانية لا تعنى مجرد الانتظام، وإنما تعني الغيرة المتقدة والإصرار على الانتظام بأمانة وإخلاص.

"**الصلاة والطلبة**": غالبًا ما عنى بالصلاة هنا الصلوات الطقسية الخاصة بالسواعي، وما تضمنته من طلباتها الثماني عشرة، أو البركات "براكوت".

يكشف سفر الأعمال عن طبيعة الكنيسة أنها جماعة مقدسة دائمة الصلاة والطلبة بنفسٍ واحدةٍ.

- هذا هو السلاح القوي في التجارب، وقد تدربوا (التلاميذ) عليه: الصلاة بنفس واحدة! حسنًا!

القديس يوحنا الذهبي الفم

كانت الكنيسة تضم "**النساء**" دون تخصيص، اللواتي تبعنه من الجليل (لو ٨: ١-٣)، واللواتي كن معه عند الصليب وعند القبر (مت ٢٧: ٥٥-٥٦). ويقول الإنجيلي: "وأُخر كثيرات صعدن معه إلى أورشليم". (مر ١٥: ٤١)

"**اخوته**" كما يقول **القديس جيروم** إنهم أبناء خالته (مر ١٥: ٤٠).

٤. تكملة عدد التلاميذ

"وفي تلك الأيام قام بطرس في وسط التلاميذ،

وكان عدَّة أسماء معًا، نحو مائة وعشرين فقال:" [١٥].

جاء تعبير "**قام**" في الكتاب المقدس ليشير ليس بالضرورة أنه وقف، وإنما اهتم بالقيام بعملٍ معين.

لماذا قام القديس بطرس بهذا الدور مع أنه لم يكن أسقفًا على أورشليم؟

يرى البعض أنه قام بهذا الدور لأنه كان أكبرهم سنًا. ويرى آخرون لأنه كان بطبعه غيورًا، هذا ولم يكن يشغل أذهان التلاميذ من يكون متقدمًا فيهم.

تم اختيار التلميذ الثاني عشر عوض يهوذا في حضور وشركة الصعب كله (**نحو مائة وعشرين**).

v يجب أن يُختار الكاهن في حضرة وأمام أعين الكل، وأن يبرهن على أنه مستحق ومؤهل بحكم عام وبشهادة جماعية، كما جاء في سفر العدد حيث قال الرب نفسه لموسى: "خذ هرون والعازار ابنه واصعد بهما إلى الجبل... أمام أعين كل الجماعة" (راجع عد ٢٠: ٢٥-٢٦). يأمر الله باختيار الكاهن في حضرة الجماعة كلها، بمعني أنه يعلم ويظهر أن سيامة الكهنة يجب ألا تتم إلا بمعرفة الشعب القريب.

الشهيد كبريانوس

أما ذكر العدد "**نحو مائة وعشرين**" فذلك لأنه بحسب التقليد اليهودي هو أصغر رقم لابد أن يتوفر لأية جماعة يهودية لتأخذ صفتها كجماعة لها حق تدبير ذاتها بذاتها. هذا لا يعني أنه لم يكن غيرهم مؤمنين بالسيد المسيح، وإنما هؤلاء فقط كانوا مجتمعين في العلية.

وقد دُعوا "**تلاميذ**" لأنهم كانوا يحسبون أنفسهم تلاميذ في مدرسة السيد المسيح.

وقف القديس بطرس الرسول يتحدث مع الجموع عن اختيار الله لتلميذٍ يحل محل يهوذا.

تساءل **القديس يوحنا الذهبي الفم**: [لماذا لم يسألوا المسيح (قبل صعوده) ليقدم لهم شخصًا يحل محل يهوذا؟ ما قد حدث كان حسنًا، لأنهم كانوا مشغولين في أمورٍ أخرى. ثانيًا فإن حضور المسيح معهم هو أعظم برهان أنهم يستطيعون أن ينالوا هذا، كما اختار التلاميذ حين كان في وسطهم (أثناء خدمته على الأرض)، فإنه لا يزال يعمل أيضًا وهو غائب عنهم (بالجسد). هذا ليس بالأمر الهين في تقديم تعزية لهم.]

v تطلعوا إلى وداعة يعقوب، فمع استلامه أسقفية أورشليم لم ينطق هنا بشيء. أيضًا لاحظوا وداعة الرسل الآخرين العظيمة، كيف أنهم خولوا له الكرسي، ولم يحاور الواحد الآخر، فقد **كانت الكنيسة كما في السماء**، لا تمارس شيئًا من أعمال العالم هذه، ولم تكن متألقة بالأسوار، ولا بالأعداد، بل بغيرتهم التي شكلت اجتماعهم، قيل أنهم كانوا نحو مائة وعشرين. السبعون شخصًا الذين اختارهم المسيح نفسه وآخرون من التلاميذ المتقدي الذهن جدًا مثل يوسف ومتياس [١٤]. وبينهم نساء كثيرات كما قيل عن اللواتي تبعنه (مر ١٥: ٤١).

القديس يوحنا الذهبي الفم

في **تعليق القديس يوحنا الذهبي الفم** على هذا الحدث يقارن بين ما حدث في ذلك الزمان وما يحدث في أيامه، ففي عصر الرسل لم تكن هناك مناقشة بين المختارين للعمل الرسولي أو الأسقفي، لأن الأسقفية هي قبول أحمال الآخرين وليست تمتعًا بكرامة وراحة.

v دعوني أقول: لماذا هذا الأمر صار موضوع منافسة؟

لأننا أتينا إلى الأسقفية ليس كعملٍ تدبيري واهتمام بالإخوة، وإنما كمركز للكرامة والراحة.

ألا تعلمون أن الأسقف يلزم أن ينتمي إلى الكل، لكي يحمل أثقال الجميع، فإن كان الآخرون غضبى يُغفر لهم، أما **إن غضب هو فلن يُغفر له**. فإن أخطأ الآخرون لهم أعذارهم، أما هو فليس له عذر.

ليتكم لا تشتاقوا إلى الكرامة، ولا تجروا وراءها. فإن الأمر هكذا: وهو أن الأسقف معرض لألسنة الجميع، ونقد الكل له، سواء كانوا حكماء أو أغبياء. كثيرون يسيئون إليه كل يوم، بل وكل ليلة.

كثيرون يكرهونه وكثيرون يحسدونه. لا تتحدثوا معي عن (الأساقفة) الذين يطلبون نفعًا من الكل، الذين يرغبون في النوم، والذين يطلبون هذه الوظيفة للراحة. ليس لنا ما نتكلم به عن هؤلاء، إنما نتحدث عمن يسهرون على نفوسكم، ويحسبون سلام ونفع من هم تحت قيادتهم قبل سلامهم ونفعهم.

v **لست أظن أن كثيرين من بين الأساقفة يخلصون**، بل كثير جدًا منهم يهلكون، والسبب في هذا أن هذا العمل يتطلب ذهنًا عظيمًا... **إن هلاك نفس واحدة (من رعاياه) تحمل عنها عقوبة لا يمكن للغةٍ أن تعبر عنها**. فإن كان خلاص تلك النفس ذات قيمة عظيمة بهذا المقدار أن صار ابن الله إنسانًا واحتمل الكثير، تأملوا أية مرارة تكون عقوبة من يفقد هذه النفس. لا تقل إنها خطأ الكاهن أو الشماس. فإن الجريمة تقع لزامًا على رأس من سامهما.

v إن أخطأت كشخصٍ فإن عقوبتك ليست عظيمة هكذا كما إن أخطأت كأسقف، فإنك تهلك.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"أيها الرجال الإخوة كان ينبغي أن يتم هذا المكتوب،

الذي سبق الروح القدس فقاله بفم داود عن يهوذا،

الذي صار دليلاً للذين قبضوا على يسوع" [١٦].

قوله "**أيها الرجال الإخوة**" تعبير يُستخدم في الحديث إلى أشخاصٍ يحملون نوعًا من الجدية والوقار والاحترام، سواء كانوا رجالاً أو نساءً.

v يقول بطرس: "**أيها الرجال الإخوة**". فإن كان الرب قد دعاهم إخوة كم بالأكثر بطرس. إذ كان الكل حاضرين يقول: "**أيها الرجال**". انظروا كرامة الكنيسة، حالها الملائكي. لا يوجد تمييز بين "ذكر وأنثى". أود أن تكون الكنائس حاليًا هكذا. ليس من يشغل ذهنه أمر أرضي، ليس من بينهم من يفكر بقلق من جهة الأمور العادية.

القديس يوحنا الذهبي الفم

الإشارة إلى النبوات الخاصة بخيانة يهوذا الإسخريوطي وقطعه وموته (مز ٤١: ٩) تشير إلى أن هذه الأحداث تمت بسماح إلهي، وأنها أحداث لها خطورتها. كما تكشف عن انشغال الكنيسة منذ بدء انطلاقها بجميع نبوات العهد القديم.

القديس يوحنا الذهبي الفم

هنا يقدم لنا القديس بطرس طريق التعزيات الإلهية، أن ما حدث لم يكن جزافًا، بل سبق فأعلنت عنه النبوات. هكذا فإن التمتع بنبوات العهد القديم تعطي تعزية للنفس أن الإيمان الذي نعيشه حقيقة لا جدال فيها، لأن كل ما حدث إنما سبق فأعلن عنه الله بالأنبياء قبل مجيء السيد المسيح بمئات وأحيانا آلاف السنوات. يمكن للدارس أنه يتعرف بالروح على كل أحداث الخلاص من العهد القديم الذي كان ولا يزال في أيدي اليهود قبل مجيء المسيح. هذا بالنسبة لخطة الله الخلاصية للعالم كله، والتي من خلالها ندرك اهتمام الله بكل إنسانٍ فينا شخصيًا، ففي ذهن الله خطته نحوه لخلاصه ومجده!

v "**كان ينبغي أن يتم هذا المكتوب الذي سبق الروح القدس فقاله**". إنه يعزيهم دائمًا بالنبوات، هكذا يفعل المسيح في كل المناسبات. هكذا يُظهر لهم بنفس الطريقة أن ما حدث ليس بالأمر الغريب، بل ما سبق فأخبر عنه.

القديس يوحنا الذهبي الفم

هذا هو سرّ تعزيتنا على مستوى العالم والكنيسة والشخص نفسه! هذا وما يعزينا أن الروح القدس نفسه هو قائد الكنيسة منذ بدء انطلاقها. لهذا لم يقل القديس بطرس: "قاله داود" بل "**الذي سبق الروح القدس فقاله بفم داود**"، فهو القائد الحقيقي عبر الأجيال حتى يحمل كنيسة الله سواء في العهد القديم أو الجديد إلى المجد الأبدي. يعلق **القديس يوحنا الذهبي الفم** على هذه العبارة بقوله: [ألا ترون أنه ليس بلا هدف قلت من البداية أن هذا العمل (السفر) هو سفر "قيادة الروح القدس".]

كثيرًا ما يعلق **القديس يوحنا الذهبي الفم** على ما سجلته الأناجيل وسفر الأعمال عن يهوذا، فإن الإنجيليين وهنا أيضًا الرسول بطرس يتحدثون عنه مشيرين إلى الأحداث التي تمت والنبوات عنه دون تعليق باستخفاف من جانبهم. يقدم القديس بطرس الحقيقة مجردة، فلم يصفه كخائنٍ لسيده ولا كبائسٍ.

حديث الرسول هنا يؤكد أن ما كتبه داود النبي في المزامير كان بوحي الروح القدس.

v حيث يكون الكلمة يوجد أيضًا الروح... الروح غير منفصل عن الابن... عندما صار الكلمة إلى النبي، كان النبي يتكلم في الروح بالأمور التي أعطيت له من الكلمة، وهكذا كتب في سفر الأعمال عندما قال بطرس: "**أيها الإخوة، كان ينبغي أن يتم هذا المكتوب، الذي سبق الروح القدس فقاله**" [١٦]. وفي زكريا عندما صار الكلمة إليه قيل: "لكن اقبل كلامي وفرائضي التي أوصي بها الأنبياء بروحي" (زك ١: ٦). وعندما كان يوبخ الشعب قال: "جعلوا قلبهم عنيدًا لئلا يسمعوا الشريعة والكلام الذي أرسله الرب ضابط الكل بروحه على يد الأنبياء الأولين" (زك ٧: ١٢). وعندما تكلم المسيح في بولس- كما قال عن نفسه: " أنتم تطلبون برهان المسيح المتكلم في" (٢كو ١٣: ٣). فلم يكن أحد يمنحه القوى لكي يتكلم سوي الروح الذي عنده، لأنه هكذا يكتب: " حسب مؤازرة روح يسوع المسيح لي" (في ١: ١٩).

وأيضًا عندما تكلم فيه المسيح، قال: "غير أن الروح القدس يشهد في كل مدينة أن وثقًا وشدائد تنتظرني" (أع ٢٠: ٢٣). لأن الروح ليس خارج الكلمة، بل إذ هو الكلمة فهو في الله بالكلمة، وهكذا توهب المواهب الروحية في الثالوث.

v فعل الثالوث هو واحد، فالرسول لا يعني أن ما يُعطي (٢كو ١٣: ١٣) يعطي من كل واحد متنوعًا ومجزئًا، ولكن ما يُعطي إنما يُعطي في الثالوث والكل من إله واحد... لذلك حينما يكون الكلمة في الأنبياء فإنهم يتنبأون بالروح القدس. وحينما يقول الكتاب: "صارت كلمة الرب" (إر ١: ٢؛ مي ١: ١)، فهذا يوضح أنه يتنبأ بالروح القدس.

البابا أثناسيوس الرسولي

"إذ كان معدودًا بيننا،

وصار له نصيب في هذه الخدمة" [١٧].

إختار ربنا يسوع المسيح يهوذا كرسولٍ (لو ٦: ١٣-١٦)، وحُسب واحدًا من الرسل، لكنه لم يكن مؤمنًا صادقًا في إيمانه. فقبل ممارسته لخيانة سيده دعاه الرب "شيطانًا" (يو ٦: ٧٠).

كان السيد المسيح يعرفه تمام المعرفة، فلماذا اختاره رسولاً وسلمه أمانة الصندوق وهو يعلم أنه سارق ولص؟

يرى البعض أن السيد المسيح اختار يهوذا مع علمه بما سيفعله، لأنه كان في ذلك الحين مستعدًا للإيمان بالسيد والتبعية له، أي فيه شيء من الصلاح. لم يحاسبه الرب على ما سيكون عليه، بل ما هو عليه في لحظات اختياره. هذا ويرى **القديس أغسطينوس** أن السيد المسيح اختاره ولم يدنه حتى لحظات الخيانة العملية ليعطي للكنيسة درسًا **ألا تنشغل كثيرًا بالمحاكمات، بل بالعمل الإيجابي للكرازة والخدمة وإعلان الحب**، لتعطي الفرصة حتى للخونة أن يرجعوا إلى الله بالتوبة إن أرادوا.

لقد سمح الله بوجود يهوذا بين التلاميذ، ولم يكشف عن شخصه كخائنٍ ولصٍ علانية حتى النهاية لكي ندرك أنه ليس فقط وسط المخدومين بل والخدام أنفسهم من هم ليسوا قمحًا بل زوان، وليس لنا أن نقتلع الزوان مادام مختفيًا وسط الحنطة حتى يحين الوقت اللائق باقتلاعه.

يسمح الله حتى للأشرار أن يعملوا، وهو إذ يقدس حرية الإنسان لن يلزمهم بالتوبة، فإن تابوا كان ذلك لبنيانهم ومجدهم، وإن أصروا على الشر يحول حتى شرهم لبنيان الكثيرين.

سمح أيضًا بوجود يهوذا بين التلاميذ لكي يعطي درسًا للأجيال كلها عن خطورة الطمع ومحبة المال حتى بين خدام الكلمة، فإنه ليس من خطية ارتكبها إنسان في التاريخ مثل يهوذا محب المال. وهي خطية قديمة سيطرت ولا تزال تسيطر على الكثيرين. حذرنا منها الله عندما دخل بشعبه إلى كنعان حيث أخفى عاخان الفضة والرداء ولسان الذهب، كاسرًا وصية الرب من أجل محبته للمال فهلك (يش ٧: ٢١)، وها هو يهوذا يخون سيده، وسيمون في سفر الأعمال يطلب أن يقتني مواهب الروح بالمال.

الكلمة اليونانية التي تُرجمت "**معدودًا**" معناها حصاة أو حجر صغير، إذ كان الحصي يُستخدم في العَدْ.

يدعو اختيار الشخص للخدمة "**تصيبًا**"، لأنه لا فضل للإنسان في اختياره خادمًا، بل هي نعمة الله التي تختار وتعمل فيمن تختارهم إن سلكوا بالأمانة في دعوتهم.

v يدعو (العمل الكرازي) في كل موضع "**نصيبًا**"، مظهرًا أن كل شيء هو من نعمة الله واختياره، مذكرًا إياهم بالعصور القديمة حيث اختار اللاويين في القديم نصيبًا له.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"فإن هذا اقتنى حقلاً من أجرة الظلم،

وإذ سقط على وجهه انشق من الوسط،

فانسكبت أحشاؤه كلها" [١٨].

روى لنا الإنجيلي متى (٢٧: ٣-١٠) كيف رد يهوذا الفضة إلى رؤساء الكهنة والشيوخ، شاعرًا بندامة أنه سلم دمًا بريئًا، لكن في غير رجاء في الرب غافر الخطايا. أما هم فرفضوا استلامها، لأنهم حسبوا المال ملكًا له، ولعلهم رفضوا المال لأنه ثمن دمٍ بريء. وإذ طرحها في الهيكل اشتروا بها حقل الفخاري مقبرة للغرباء. واعتبر القديس بطرس كأن يهوذا نفسه قام بشراء هذا الحقل. جاء في النسخة اليونانية لوستكوت وهورت عبارة: "و**اقتنى حقلاً من أجرة الظلم**" بين قوسين، بكونها ليست حديثًا للقديس بطرس، بل هي تعليق للقديس لوقا كاتب سفر الأعمال.

ستر عليه السيد المسيح كل هذه السنوات، أما هو إذ لم يستر على نفسه بالرجوع إلى الله انفضح في العالم كما ينفضح في يوم الرب العظيم. انسكبت أحشاؤه الجسدية، وانفضحت أحشاء نفسه التي فسدت بالخيانة للرب نفسه.

اختلفت آراء الكثير من الدارسين في موت يهوذا:

١. الرأي السائد هو أن يهوذا قام بالانتحار شنقًا، لكن الحبل لم يحتمله بعد، فمن ثقل الجسد انقطع وسقط يهوذا على وجهه، وغالبًا على صخرة، فانشقت بطنه وانسكبت أحشاؤه!

٢. شنق نفسه في مزبلة، وبقي جثمانه حتى تعفن وانتفخت بطنه ثم انشقت أو جاءت الكلاب ونهشت بطنه المنتفخة لتأكل جثمانه.

٣. إذ ملأه اليأس والرعب ألقي بنفسه من سطح بيته فسقط أرضًا وانشقت بطنه.

٤. يرى لايتفوت Lightfoot أنه إذ دخله الشيطان طار به في الهواء وطوّح به، فسقط على الأرض وتمزقت بطنه.

٥. يرى Wakefield أنه من شدة الحزن مات مغلوبًا على أمره.

يفسر البعض موت يهوذا شنقًا وانسكاب أحشائه رمزيًا، بأن ذلك يشير إلى سقوطه من رتبته العلوية كرسول للسيد المسيح إلى أعماق الهاوية كخائنٍ للرب، ففقد مركزه وكرامته وصار في عارٍ وخزيٍ أمام الجميع كمن انسكبت أحشاؤه ليصير موضع ازدراء الكل.

"وصار ذلك معلومًا عند جميع سكان أورشليم،

حتى دُعي ذلك الحقل في لغتهم حقل دما،

أي حقل دم" [١٩].

يرى البعض أن يهوذا أراد أن يحمل صورة التقوى والحب حتى في أثناء مداولته للخيانة، فادعى أمام القيادات اليهودية أنه سيأخذ الفضة لا لنفسه بل لخدمة الغرباء، بشراء حقلٍ لدفن الغرباء. وإذ سلم الفضة للهيكل قاموا بتحقيق رغبته، وحسبوا كأنه هو الذي اشترى الحقل، لأنه من ماله.

لعل قادة اليهود نشروا خبر تسليم يهوذا للمال وشراء الحقل بين الشعب ليعلنوا أن يهوذا لم يطلب المال في تسليم سيده لأجل الطمع، وإنما لأجل الخدمة، وأنهم حققوا رغبته حتى بعد انتحاره.

دُعي الحقل "**حقل دم**" باللغة الكلدانية-السريانية Syro-Chaladic، وقد دُعي هكذا لأنه أُشتري بثمن حياة الرب أو سفك دمه بالصليب. وقد بقي هذا الاسم معروفًا يشهد عن جريمة الخيانة التي ارتكبها يهوذا إلى أجيالٍ كثيرةٍ.

"لأنه مكتوب في سفر المزامير:

لتصر داره خرابًا،

ولا يكن فيها ساكن،

وليأخذ وظيفته آخر" [٢٠].

ما ورد هنا جاء في المزمور ٦٩: ٢٥، ٢٨؛ ١٠٩: ٨. لم يذكره القديس بطرس كإدانة ليهوذا، ولا تشهيرًا به، وإنما يتحدث من باب الشعور بالمسئولية كقول السيد المسيح له: "وأنت متى رجعت ثبت إخوتك" (لو ٢٢: ٣٢)، فشعر بالتزام تكملة عدد التلاميذ الإثني عشر مقابل عدد أسباط العهد القديم (لو ٢٢: ٢٩-٣٠) "وأنا أجعل لكم كما جعل لي أبي ملكوتًا، لتأكلوا وتشربوا على مائدتي في ملكوتي، وتجلسوا على كراسي تدينون أسباط إسرائيل الإثني عشر".

جاءت النبوة عن يهوذا في مز ٦٩: ٢٥، ٢٨ بصيغة الجمع، لأنها لا تشير إلى يهوذا وحده، وإنما إلى كل الذين سلكوا معه ذات الطريق، وهم رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب. وكأن ذلك ينطبق عليهم حيث حققت هذه الجماعة الخيانة ونُزع عنهم العمل الكهنوتي والخدمة، وتوقف عملهم كمسئولين عن تدبير الهيكل أو بيت الرب الجديد.

صار هذا الحقل هو داره الذي أُشتري بماله الذي اقتناه بالخيانة لسيده، هذا الدار صار مقبرة تضم الغرباء من اليهود الذين يموتون في أورشليم. باسمه اشتروا هذا الدار المملوء خرابًا، والذي في ذهن **القديس يوحنا الذهبي الفم** مقدمة لما سيحل بأورشليم كلها، إذ صارت حقل دم، حيث دُمرت وصارت مقبرة لكثيرين من اليهود حين دخلها تيطس الروماني سنة ٧٠م.

جاءت كلمة "**وظيفته**" في اليونانية thn episkophn "أسقفيته *episkopeen*"، وهي تعني "الإشراف".

"فينبغي أن الرجال الذين اجتمعوا معنا

كل الزمان الذي فيه دخل إلينا الرب يسوع وخرج" [٢١].

"منذ معمودية يوحنا إلى اليوم الذي ارتفع فيه عنا،

يصير واحد منهم شاهدًا معنا بقيامته" [٢٢].

ما هي مؤهلات المختار للخدمة؟

١. أن يكون قد عاصر السيد المسيح وشاهد معموديته، ولازمه واستمع إليه واستنار بتعليمه.

٢. تعبير "**دخل وخرج**" يشير إلى المرافقة للشخص في كل أعمال الحياة. أن يكون قد رافق السيد المسيح حتى لحظات صلبه، واجتمع مع التلاميذ ورافقهم، فلا يكون اختياره مجرد تحقيق لعدد ١٢، بل قد تأهل عمليًا لهذا العمل الرسولي.

٣. بقوله: "**شاهدًا معنا بقيامته**" يركز القديس بطرس على تمتعه بخبرة القيامة مع المسيح التي بالحق غيرت مفاهيم المؤمنين وإمكانياتهم. وكما يقول القديس بطرس: "مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح الذي حسب رحمته الكثيرة ولدنا ثانية لرجاءٍ حي بقيامة يسوع المسيح من الأموات". (١ بط ١: ٣)

v لم يقل أن يكون شاهدًا للأعمال الأخرى بل للقيامة وحدها... لأن الأمور الأخرى كانت واضحة ومعروفة، أما القيامة فتمت في سرية، وأعلنت لهؤلاء فقط. إنهم لم يقولوا: قد أخبرتنا الملائكة، بل نحن نرى (نشهد). فقد كانوا في ذلك الوقت في حاجة ماسة أن يكونوا رجالاً يمكن تصديقهم لأنهم شاهدوا.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"فأقاموا اثنين:

يوسف الذي يدعى برسابا الملقب يوستس، ومتياس" [٢٣].

غالبًا ما اتسم الاثنان بالتعقل والحكمة والتقوى، وربما كانا أكبر من غيرهما سنًا، وكان يصعب التمييز بينهما، لهذا التجأوا إلى الله ليختار من بينهما، وذلك بالالتجاء إلى القرعة بعد الصلاة.

هنا نلاحظ كيف أعطي الرب لكنيسته حرية اختيار الخدام على أساس الالتزام بالسمات اللائقة بهم.

"**يوسف الذي يُدعى بارسابا**"، أو باشابا، أي المولود يوم السبت أو ابن السبت أو ابن الشايب. يرى البعض أن بارسابا مشتقة من كلمتين سريانيتين: "بار" معناها ابن، وساباس Sabas ومعناها قسّم أو راحة أو هدوء أو سبي.

يظن البعض أنه ذات الشخص الوارد في أع ٤: ١٦ باسم برناباس، لكنه ليس من دليلٍ على ذلك. أما لايتفوت Lightfoot فيظن أنه ابن اليفوس Alpheus وأخ يعقوب الصغير، وأنه اُختير بحكم قرابته للسيد المسيح.

دُعي "**يوستس**"، وهو اسم لاتيني معناه "بار"، وربما دُعي هكذا بسبب استقامته.

يخبرنا **يوسابيوس القيصري** عن فيلبس الذي من صيدا أن بابياس يروي عن بنات فيلبس العذارى النبيات (أع ٢١: ٩) أن يوستس شرب سم ثعبان باسم ربنا يسوع ولم يُصب بسوء، متحديًا بعض جاحدي الإيمان، معتمدًا على قول السيد: "وإن شربوا سمًا مميتًا لا يضرهم" (مر ١٦: ١٨).

"**متياس**" تعني "عطية الله". لا يُعرف شيء عن عائلته أو شخصيته سوى أنه شارك الرسل أتعابهم واحتمال الاضطهادات، ونال بركة الكرازة بالإنجيل. بحسب **يوسابيوس القيصري** هو أحد السبعين الذين اختارهم السيد المسيح. قام بالتبشير في أثيوبيا.

يعلق **القديس يوحنا الذهبي الفم** على ذكر متياس بعد يوسف الذي يُدعى بارسابا، قائلاً: [ليس بدون سبب ذُكر متياس في الآخر، فقد أراد أن يظهر أنه غالبًا من هو مكرم من الناس يكون الأقل عند الله.]

"صلوا قائلين:

أيها الرب العارف قلوب الجميع،

عيِّن أنت من هذين الاثنين، أيا اخترته" [٢٤].

ألقوا القرعة ليس بلا تمييز، إنما بعد اختيار حتى لم يعد ممكنًا تمييز أحدهما عن الآخر، فالتجأوا بروح الصلاة إلى الله الفاحص القلوب ليختار من يراه صالحًا للعمل. فحص القلوب خاص بالله وحده. "أنا الرب فاحص القلب مختبر الكلى" (إر ١٧: ١٠؛ راجع مز ١٣٩: ١، ٢٣؛ أي ٢٨: ٩)، وقد وُصف ربنا يسوع المسيح بذات هذه السمة الإلهية الخاصة به وحده: "فستعرف جميع الكنائس إني أنا هو الفاحص الكلى والقلوب" (رؤ ٢: ٢٣).

يرى البعض أن هذا التصرف، وقد كان مُستخدمًا في العهد القديم، توقف بعد حلول الروح القدس يوم الخمسين، حيث يتدخل في حياة الكنيسة لمعرفة مشورة الله، كما جاء في فرز برنابا وشاول للخدمة بين الأمم (أع ١٣: ٢-٣).

"**أيها الرب**": بعد الصلب اعتاد التلاميذ أن يوجهوا الحديث إلى السيد المسيح بكونه: "الرب" أو "الإله" دون تمييز بين اللقبين (أع ١: ٦؛ ٧: ٥٩؛ يو ٢٠: ٢٨).

"ليأخذ قرعة هذه الخدمة،

والرسالة التي تعداها يهوذا ليذهب إلى مكانه" [٢٥].

تخلى يهوذا عن خدمته منحدرًا إلى الهلاك، واحتل متياس موضعه ليتمتع بخدمة المجد.

جاءت كلمة "قرعة" Ton Klhron في النسخ القبطية والفولجاتا وBezae "موضع"، أو يحتل مركزه الرسولي.

"**ليذهب إلى مكانه**": إذ اشترى يهوذا "حقل دم"، أو اشتراه رؤساء الكهنة والفريسيون باسمه، ترك يهوذا مركزه الرسولي لكي يذهب إلى الموضع الذي اشتراه بمال الخيانة والغدر. ويرى البعض أن كلمة "**مكانه**" هنا تشير إلى مركزه السابق؛ فحين اختير رسولاً ترك مكانه بين أسرته ليكون عضوًا في الأسرة الإلهية، أما وقد مارس الخيانة بإرادته عاد إلى أسرته ومعارفه وأصدقائه القدامى. ويرى فريق ثالث أن تعبير "**ليذهب إلى مكانه**" تعبير شائع يشير إلى الموت حيث يذهب الشخص إلى موضعه الأخير، سواء في الفردوس مع المسيح أو في الجحيم مع إبليس إلى يوم الرب العظيم.

لذلك جاء في التفسير اليهودي القديم للعبارة "وانطلق (بلعام) ورجع إلى مكانه" (عد ٢٤: ٢٥) أنه رجع إلى جهنم مصيره.

وجاء في الترجوم Targum أو إعادة الصياغة الكلدانية للعبارة الواردة في جا ٦: ٦: "وإن صارت أيام إنسان ٢٠٠٠ عامًا دون أن يدرس الناموس ويمارس العدل، ففي يوم موته تنزل نفسه إلى الهاوية، **الموضع الذي يذهب إليه كل الخطاة**". وجاء في رسالة **القديس أغناطيوس** أسقف أنطاكية إلى أهل ماغنسيا Magnesians: [لما كان لكل شيء نهاية فإن الأمرين: الموت والحياة يستلقيان معًا، ويذهب كل واحدٍ إلى موضعه.]

هكذا ذهب يهوذا إلى الموضع اللائق به كطمَّاع وخائن، إذ ليس له موضع في كنيسة المسيح هنا وفي الفردوس حيث السيد المسيح.

بالقول "**مكانه**" يكشف الكتاب المقدس عن عجز الأشرار عن الشكوى فإنهم يذهبون إلى الموضع الذي اختاروه واللائق بشخصياتهم، إذ لا يستطيعون أن يعبروا إلى السماء، حيث ليس لهم موضع فيها.

v "**ذهب إلى مكانه**" [٢٥]... إذ اختار هذا الشرّير أن يكون خاطئًا، فعل ما أراد، ونال ما لم يرد. في هذا فعل ما أراده، كُشفت خطيته، فاحتمل بهذا ما لم يرده، تدبير الله الممدوح!

القديس أغسطينوس

"ثم ألقوا قرعتهم،

فوقعت القرعة على متياس،

فحُسب مع الأحد عشر رسولاً" [٢٦].

لم يكن موت يهوذا هو علة الشعور بالحاجة لملء وظيفته الرسولية، فقد استشهد يعقوب الرسول بسيف هيرودس، ولم يجتمع التلاميذ لانتخاب رسول عوضًا عنه، لكن سقوط يهوذا عن الرسولية وخيانته أنشأ الحاجة إلى ذلك.

لا نعرف بالتدقيق كيف تمت القرعة yhfov، لكن عادة ما كانوا يأتوا بقطعتين من الخشب أو المعدن أو الرق ويُكتب اسم كل شخص على احداهما ثم يضعونها في جرة، وتُقدم صلوات وتقدمات، ثم يضع شخص ما يده ليسحب إحدى القطعتين ليكون ذلك من قبل الله.

هذا وإن تكملة رقم ١٢ للرسل لم يكن من باب تكملة عدد، وإنما لأن رقم ١٢ في العهدين القديم والجديد يشير إلى ملكوت الله على الأرض، حيث يملك الثالوث القدوس (٣) على جهات المسكونة الأربع (٤)، فالمحصلة هي رقم ١٢.

v بقي العدد مقدسًا، يحوي العدد ١٢، لأنه كان ينبغي أن يعلنوا عن الثالوث في كل العالم، أي خلال أربعة أركان العالم. هذا هو السبب: ثلاثة في أربع مرات. قطع يهوذا نفسه، لكن لم يفقد الرقم قدسيته. لقد ترك معلمه، وعين الرب من يحل محله.

القديس أغسطينوس

ويرى **القديس أغسطينوس** أن السيد المسيح كنور للعالم يُرمز إليه بالنهار، والتلاميذ كأبناء النهار يُرمز إليهم بالاثني عشر ساعة للنهار. فالمسيح، اليوم أو النور، حال وسط الاثني عشر ساعة. لقد صار يهوذا ظلامًا فأُستبعد من الاثنى عشر ساعة ليحل محله متياس.

يقول **القديس يوحنا الذهبي الفم** انه إذ عين الله متياس لم ينزعج يوسف برسابا، ولا تضايق. فإن لكل عضو موهبته وعمله، **فعدم اختياره لم يفقده دوره في العمل**. يكشف **القديس يوحنا الذهبي الفم** عن مرارة نفسه لمفهوم الأسقفية في عهده حيث توجد منافسة، إذ يراها البعض سلطة وكرامة فيجرون إليها، عوض إدراكه أن الأسقفية هي قبوله أثقال الآخرين واحتمال نقد الكل، الحكماء والأغنياء، وأن يهتم بكل أحدٍ نهارًا وليلاً وأنه موضع كراهية الكثيرين وحسدهم.

يتساءل البعض: كيف سقط يهوذا في خيانة سيده وقد أدرك قوته الإلهية وسلطانه، وكان بين يديه الصندوق يسرق منه دون رقيب يحاسبه؟

يقدم الدارسون تعليلات كثيرة منها:

١. كان يهوذا كسائر التلاميذ والرسل حتى بعد قيامة السيد بل وحتى لحظات صعوده يتوقعون قيام مملكة زمنية، وإذ تحقق يهوذا بأن يسوع يرفض تمامًا أن يصير ملكًا حتى إن أجمع رأي الجماهير على ذلك، لذلك ضاعت كل أمنيات يهوذا هباءً.

٢. كإنسانٍ محبٍ للمال لم يكن من الصعب على رؤساء الكهنة والفريسيين أن يستميلوه بالفضة لخيانة سيده.

٣. لعله إذ كان يدرك سلطان سيده ظن أنه يأخذ الرشوة وينتفع بها بينما لن يستطيع أحد أن يقبض عليه أو يؤذيه، ولن يغلبه الموت. حقًا إنه يرشد عليه، لكن حتمًا سيتخلص السيد من أيديهم.

الإعداد الدائم لقيام الكنيسة ونموّها

بعد استعراضنا لما ورد في هذا الاصحاح يمكننا أن نوجز أن السيّد المسيح قد أعدّ تلاميذ ورسله ومن هم حوله لميلاد الكنيسة، ليصيروا هم كنيسته المقدّسة. هذا الإعداد ليس حدثًا تاريخيًا عبر مع الزمن، لكنّه إعداد وخبرة يوميّة يليق بالكنيسة أن تعيشها لكي تبقى أمًا ولودًا، تنمو على الدوام حتى تصير أيقونة مسيحها، وتضم كل يوم الذين يخلصون حتى مجيء الرب الأخير. هذا الإعداد كما رأينا هو الآتي:

١. نحمل مسيحنا الذي **يعمل ويعلّم** [١]، فنشاركه هذه السمة، مترجمين إيماننا إلى عمل محبّة وشهادة عمليّة صادقة عن عذوبة الخلاص.

٢. نراه مع تلاميذه ونتلامس معه كل يوم خلال حياتنا الزمنيّة (الأربعين يومًا)، فنعلن عن يقين **أنّه حيّ فينا**، ببراهين عمليّة صادقة [٣].

٣. **نتجاوب مع روحه القدّوس**، عطيّته العظمى، بل واهب العطايا، نلناه في مياه المعموديّة ومسحة الميرون [٥]، لكي يقودنا كل أيام غربتنا في حياتنا اليوميّة وشهادتنا لمسيحنا أمام الكثيرين.

٤. **ألا ننشغل بالمعرفة الباطلة**، كالبحث عن الأزمنة والأوقات، بل نطلب القوة والسلطان الموهوب لنا لنحيا بروح القوّة لا الفشل والضعف [٧-٨].

٥. **لا** يفارقنا **منظر صعود مسيحنا الفريد**، الذي يبهج قلوبنا ويرفعها إلى حضن الاب السماوي، مترقبين بشوقٍ عظيم مجيئه الأخير على السحاب، ليحملنا بكل كياننا إلى المجد الأبدي [٩-١١].

٦. **ممارسة الحياة الكنسية** كما في العليّة مع التلاميذ وكل الشعب، لا نكف عن الصلاة بنفسٍ واحدةٍ [١٣-١٤].

٧. الطلب المستمر من الله **أن يرسل خدّامًا شهودًا لقيامته**، كما اختار متياس لينضم إلى الأحد عشر رسولاً [٢٤-٢٦].

من وحي أعمال الرسل ١

هل من بداية جديدة؟

v قدم لنا رسولك لوقا قصة بداية انطلاق كنيستك.

ومع كل صباح نرى في هذا السفر بدء انطلاق كنيستك.

مع أنها قديمة لكنها تبقى دومًا جديدة.

تصرخ كل يوم: لنبدأ بدأ حسنًا!

v حديثك عن أمور الملكوت ممتع ولذيذ،

لأنه هو إعلان عن شخصك، يا كلي الحب.

أنت هو الملكوت بعينه، وبدونك ليس من ملكوت.

v تعدني ألاّ أبرح أورشليم حتى ألبس قوة من الأعالي.

حققت وعدك، ووهبتني روحك النور والناري.

روحك يجعلني مصباحًا لا ينطفئ، ونارًا آكلة!

لن تستريح نفسي حتى أرى كل بشرٍ في أحضانك.

v لأخرج معك إلى جبل الزيتون.

يا له من منظر عجيب أن أراك ترتفع إلى السماء!

ليس للجاذبية الأرضية أثر على جسدك القائم من الأموات.

هوذا السماء بكل قواتها تترقب بفرح صعودك.

لتحمل قلبي معك،

فبه أرى عرشك،

وأدرك أسرار مجدك.

قلبي مستعد يا الله، قلبي مستعد.

أرفعه معك، فيرتفع كل كياني أيضًا ليكون معك!

- ها أنت في السماء مشغول بخلاص العالم كله،

ورسلك على الأرض مهتمون بالشهادة لك!

أنت مشغول بنا، ونحن مشغولون بك يا مخلص الجميع.

- طوبى لرسولك بطرس، وطوبى لكل الرسل الذين هو بينهم.

بقلبه الملتهب غيرة يطلب من يحمل نصيب يهوذا.

سأل لا بروح الرئاسة ولا السلطة،

بل بروح الحب وشهوة الخدمة والكرازة.

طوبى لإخوته، لأنه لم يتسلل إليهم فكر حسد،

ولكن بروح التواضع سلك الكل معًا!

ليس من يشتهي كرامة، ولا من يطلب مجدًا زمنيًا!

فالكل أعضاء في جسدٍ واحدٍ لك، يا أيها الرأس السماوي!

- إني في حيرة: هل أطوِّب متياس الذي اخترته رسولاً،

أم أطوِّب يوسف برسابا الذي تهلل باختيار زميله؟

طوباهما معًا، لأنهما شاهدان بالحق لقيامة الرب!

طوباك يا متياس من أجل جهادك كرسول.

وطوباك يا يوسف من أجل جهادك في الوزنات التي أعطاها لك الله.

v والآن استمع يا رب إلى طلبتي.

لنبدأ بدأ حسنًا مع كل صباح جديد:

نصغي دومًا إلى أحاديثك السرية في القلب،

نثق في وعدك بعمل روحك الناري فينا،

تثبت نظراتنا دومًا على صعودك المفرح،

نبحث مع رسلك عن خدام ملتهبين بالروح،

وأخيرًا لن نستريح حتى نرى العالم قد صار سماءً!

١ الكلام الاول انشاته يا ثاوفيلس عن جميع ما ابتدا يسوع يفعله و يعلم به
٢ الى اليوم الذي ارتفع فيه بعدما اوصى بالروح القدس الرسل الذين اختارهم
٣ الذين اراهم ايضا نفسه حيا ببراهين كثيرة بعدما تالم و هو يظهر لهم اربعين يوما و يتكلم عن الامور المختصة بملكوت الله
٤ و فيما هو مجتمع معهم اوصاهم ان لا يبرحوا من اورشليم بل ينتظروا موعد الاب الذي سمعتموه مني
٥ لان يوحنا عمد بالماء و اما انتم فستتعمدون بالروح القدس ليس بعد هذه الايام بكثير
٦ اما هم المجتمعون فسالوه قائلين يا رب هل في هذا الوقت ترد الملك الى اسرائيل
٧ فقال لهم ليس لكم ان تعرفوا الازمنة و الاوقات التي جعلها الاب في سلطانه
٨ لكنكم ستنالون قوة متى حل الروح القدس عليكم و تكونون لي شهودا في اورشليم و في كل اليهودية و السامرة و الى اقصى الارض
٩ و لما قال هذا ارتفع و هم ينظرون و اخذته سحابة عن اعينهم
١٠ و فيما كانوا يشخصون الى السماء و هو منطلق اذا رجلان قد وقفا بهم بلباس ابيض
١١ و قالا ايها الرجال الجليليون ما بالكم واقفين تنظرون الى السماء ان يسوع هذا الذي ارتفع عنكم الى السماء سياتي هكذا كما رايتموه منطلقا الى السماء
١٢ حينئذ رجعوا الى اورشليم من الجبل الذي يدعى جبل الزيتون الذي هو بالقرب من اورشليم على سفر سبت
١٣ و لما دخلوا صعدوا الى العلية التي كانوا يقيمون فيها بطرس و يعقوب و يوحنا و اندراوس و فيلبس و توما و برثولماوس و متى و يعقوب بن حلفى و سمعان الغيور و يهوذا اخو يعقوب
١٤ هؤلاء كلهم كانوا يواظبون بنفس واحدة على الصلاة و الطلبة مع النساء و مريم ام يسوع و مع اخوته
١٥ و في تلك الايام قام بطرس في وسط التلاميذ و كان عدة اسماء معا نحو مئة و عشرين فقال
١٦ ايها الرجال الاخوة كان ينبغي ان يتم هذا المكتوب الذي سبق الروح القدس فقاله بفم داود عن يهوذا الذي صار دليلا للذين قبضوا على يسوع
١٧ اذ كان معدودا بيننا و صار له نصيب في هذه الخدمة
١٨ فان هذا اقتنى حقلا من اجرة الظلم و اذ سقط على وجهه انشق من الوسط فانسكبت احشاؤه كلها
١٩ و صار ذلك معلوما عند جميع سكان اورشليم حتى دعي ذلك الحقل في لغتهم حقل دما اي حقل دم
٢٠ لانه مكتوب في سفر المزامير لتصر داره خرابا و لا يكن فيها ساكن و لياخذ وظيفته اخر
٢١ فينبغي ان الرجال الذين اجتمعوا معنا كل الزمان الذي فيه دخل الينا الرب يسوع و خرج
٢٢ منذ معمودية يوحنا الى اليوم الذي ارتفع فيه عنا يصير واحد منهم شاهدا معنا بقيامته
٢٣ فاقاموا اثنين يوسف الذي يدعى برسابا الملقب يوستس و متياس
٢٤ و صلوا قائلين ايها الرب العارف قلوب الجميع عين انت من هذين الاثنين ايا اخترته
٢٥ لياخذ قرعة هذه الخدمة و الرسالة التي تعداها يهوذا ليذهب الى مكانه
٢٦ ثم القوا قرعتهم فوقعت القرعة على متياس فحسب مع الاحد عشر رسولا

الأصحاح الثاني

ميلاد الكنيسة في يوم البنطقستي

في الأصحاح الأول قدم لنا الإنجيلي لوقا صورة حية عن الإعداد لميلاد كنيسة العهد الجديد خلال أحاديث السيد المسيح القائم من الأموات عن ملكوت الله، ووعده لهم بنوالهم قوة من الأعالي، ثم صعوده لتدرك الكنيسة طبيعتها الجديدة باتحادها مع السماوي، وإلهاب قلوب المؤمنين نحو مجيء السيد المسيح الأخير، وأخيرًا اختيار التلميذ الثاني عشر عوض يهوذا الخائن. الآن يقدم لنا مشهدًا رائعًا حقيقيًا لميلاد الكنيسة في يوم البنطقستي أو الخمسين، إذ نال التلاميذ العماد بالروح القدس، وصار للكنيسة القائد السماوي، الروح القدس المعزي الذي يهب البشر تجديدًا في طبيعتهم، لكي يحملوا أيقونة العريس السماوي، ويتمتعوا بعلاقات جديدة فائقة مع الثالوث القدوس.

١. لقاء جماعي ١.

٢. حلول الروح القدس ٢-٤.

٣. موقف الحاضرين ٥-١٣.

٤. خطاب بطرس للشعب ١٤-٣٦.

٥. جاذبية الروح القدس ٣٧-٤١.

٦. كنيسة روحية متهللة ٤٢-٤٦.

٧. كنيسة ولود ٤٧.

١. لقاء جماعي

"ولما حضر يوم الخمسين كان الجميع معًا بنفس واحدة". [١]

جاء النص اليوناني يعني: "**لما اكتمل يوم الخمسين**"، أي لما بلغ الزمن إلى يوم الخمسين، أي بعد سبعة أسابيع حيث يأتي يوم الخمسين، ويسمى "عيد الأسابيع" (سبوعات) أو "عيد الباكورات" حيث يُقدم بكور القمح، يُحتفل به في اليوم الخمسين من أول يوم بعد عيد الفصح.

يُدعى البنطقستي penthkosth مشتقة من penthkonta ومعناها خمسون، ورد في لا ٢٣: ١٥-٢٢؛ خر ٣٤: ٢٢؛ تث ١٦: ١٠. وباسم عيد الباكورات في عد ٢٨: ٢٦؛ خر ٢٣: ١٦، وهو عيد شكر لله على بركة الحصاد. مؤخرًا حسبه اليهود يوم نزول الشريعة في سيناء في اليوم الخمسين من خروجهم من مصر. لهذا يدعونه *shimchath torah*، أي فرح التوراة. كما يعتبرونه تذكارًا للعجائب التي صنعها الله معهم ليحررهم من عبودية فرعون. يرى لايتفوت Lightfoot أن الروح القدس حلّ على التلاميذ في مناسبة نزول الشريعة على جبل سيناء منذ ١٤٤٧ عامًا.

كان اليهود يعتزون بهذا العيد، بكونه يومًا فريدًا، احتفلت به الطبيعة نفسها حيث هبوب الريح وظهور النار والزلازل والبرق والرعود تكشف عن جبروت الله وحضوره المهيب في وسط شعبه.

حلّ الروح القدس في يوم عيدٍ له قدسيته عند اليهود والدخلاء، حيث يحتفل به جمهور عظيم من كل الدول، حتى إذ يُسمع عنه في أورشليم يسرع الكل ويصير من بينهم شهود يقبلون الإيمان ويعودون إلى الدول التي يعيشون فيها يكرزون بالحق الإنجيلي.

وقد حلّ الروح القدس في اليوم الأول من الأسبوع "الأحد" ليكون هذا اليوم هو السبت الجديد، الذي فيه قام السيد المسيح، وفيه تم ميلاد الكنيسة. فمع كل عبادة أسبوعية نتذكر في سرّ الإفخارستيا الحياة الجديدة المقامة التي صارت لنا بقيامة السيد المسيح بعمل روحه القدوس.

إذ حلّ الروح القدس على كنيسة العهد الجديد في اليوم الخمسين من قيامة السيد المسيح، صار هذا العيد إعلانًا عن حضور الروح القدس الدائم في وسط كنيسة المسيح، يهبها طاقاته الإلهية للشهادة للسيد المسيح، وليتمتع العالم بخبرة الحياة المقامة.

في عيد البنطقستي اليهودي كان الشعب يعتز بنزول الشريعة على موسى حيث اهتزت الطبيعة أمام هذا التنازل الإلهي، أما في عيد البنطقستي المسيحي فيقف العالم في دهشة حيث ينزل روح الله القدوس نفسه على الكنيسة، فتهتز طبيعة الإنسان الداخلي، ويتقبل كلمة الله منقوشة، لا على لوحين حجريين، بل على القلب وفي أعماق النفس. يسجلها الروح القدس، فيحول القلب الحجري إلى ملكوت إلهي سماوي، لا لتقف الطبيعة الجامدة في دهشة، بل يقف السمائيون في تهليلٍ وبهجةٍ أمام العمل الإلهي الفائق.

إذ تحقق ميلاد الكنيسة في يوم عيد الخمسين تقدست كل الأيام لكي يتمتع المؤمن بالعماد أو الميلاد الجديد أو الإتحاد بالكنيسة في أي يومٍ دون تمييز بين الأيام، إذ صارت أيامنا كلها عيدًا لا ينقطع. وقد منعت الكنيسة نذر عماد طفلٍ ما في كنيسةٍ معينة أو بواسطة كاهنٍ معين.

v عندما يقول ارميا: أجمعهم معًا من أقاصي الأرض إلى يوم عيد (إر ٣٨: ٨) يعني عيد الفصح والبنطقستي، الذي هو بحق يوم عيد. **على أي الأحوال كل يوم هو للرب، كل ساعة، وكل وقت مناسب للعماد**. إن وجد اختلاف في التكريم لليوم لكن لا يوجد تمييز في النعمة.

العلامة ترتليان

يرى **القديس يوحنا الذهبي الفم** أن كلمة "**الجميع**" تشير إلى المائة والعشرين. إذ يقول [هل حلّ على الإثنى عشر؟ ليس كذلك، بل على المائة وعشرين، فإنه ما كان لبطرس أن يقتبس شهادة النبي بلا هدف، قائلاً: "يقول الله ويكون في الأيام الأخيرة إني أسكب من روحي **على كل بشر**، فيتنبأ بنوكم وبناتكم، ويرى شبابكم رؤى، ويحلم شيوخكم أحلامًا" (أع ٢: ١٧، يوئيل ٢: ٢٨). "وامتلأ الجميع من الروح القدس" (أع ٢: ٤).]

ويرى البعض أن كلمة "**الجميع**" جاءت بعد اختيار التلميذ الثاني عشر، مما يوضح أنها لا تعني هنا المائة والعشرين بل الإثني عشر. وقد تم اختيار التلميذ الثاني عشر قبل حلول الروح القدس، لأن الكنيسة ممثلة في الإثني عشر تستقبل الروح القدس وتتمتع بالمعمودية الأولى، كقول السيد المسيح لتلاميذه: "فستتعمدون بالروح القدس ليس بعد هذه الأيام بكثير" (أع ١: ٥). أما ما ورد في سفر يوئيل عن حلول الروح القدس على العبيد والإماء والشيوخ والشباب، فهذا حق، تم خلال

الرسل، وليس من السماء مباشرة كما حدث مع الإثني عشر. فإنه حتى مع ظهور السيد المسيح لشاول الطرسوسي والدخول في حوار معه لم ينل حلول الروح القدس مباشرة من السماء، بل من خلال الكنيسة، حيث وجهه السيد المسيح إلى حنانيا.

الحالة الوحيدة الشاذة هي حالة حلول الروح القدس على كرنيليوس وأهل بيته أثناء صلاة القديس بطرس، وذلك لكي يعلن الله انفتاح أبواب السماء على الأمم لقبول الإيمان بالسيد المسيح.

"**كان الجميع معًا بنفسٍ واحدةٍ**"، فقد حملوا غيرة متقدة نحو هدفٍ واحدٍ ورغبةٍ واحدةٍ، فكان الكل ملتهبين في الداخل نحو تحقيق وعد السيد المسيح بنوال قوة من الأعالي (أع ١: ٨).

٢. حلول الروح القدس

"وصار بغتة من السماء صوت كما من هبوب ريح عاصفة،

وملأ كل البيت حيث كانوا جالسين". [٢]

كان التلاميذ يترقبون تحقيق الوعد الإلهي بحلول الروح القدس عليهم ليهبهم قوة من الأعالي، لكن يبدو أنهم لم يكونوا يتوقعون حلوله خلال هذه المظاهر، لذلك كان الأمر مفاجئًا لهم: "**وصار بغتة**". تم الحلول هكذا لكي لا يفارق هذا الحدث أذهان التلاميذ، ولا يغرب عن عيني الكنيسة عبر كل الأجيال، لأنه حدث يمس كيانها كله ووجودها أو عدمه.

لم تكن ريحًا طبيعية، لكن صوتًا من السماء ملأ كل البيت، سمعه كل من في البيت، وأدركوا أنه من السماء. لعله كان صوت رعدٍ يبشر بالحضرة الإلهية.

يرى **القديس مار أفرآم السرياني** أنه قد صاحب الصوت السماوي رائحة عطرة، وأن الصوت لم يعبر من حجرة إلى حجرة، بل أدرك الكل أنه صوت صادر من السماء يملأ الكل دفعة واحدة. ملأ الروح القدس المكان ليدشنه، مقدسًا الحاضرين كنيسة مقدسة للمسيح. لم يملأ الصوت فقط الحجرة التي كان التلاميذ مجتمعين فيها للصلاة، إنما البيت كله. وكان للحدث صداه على مستوى المدينة كلها، ففي فترة قصيرة تجمعت جماهير كثيرة، كانوا قادمين إلى أورشليم للعيد.

وكما هيأت الزلزلة والنار قلب إيليا للتمتع بالحضرة الإلهية والدخول في حوارٍ مع الله أثناء الريح الهادئ (١ مل ٩: ١١ الخ.)، هكذا أعلنت هذه الظواهر عن حلول الروح القدس وميلاد كنيسة المسيح واستقراره فيها.

هكذا بنفس الكيفية عند مجيء السيد المسيح الأخير على السحاب ليدين المسكونة يصاحب مجيئه صوت بوق عظيم يهز كيان الأشرار ويُفرِّح قلوب المؤمنين.

كأن ذاك الذي يجلب الرياح من مخازنه (مز ١٣٥: ٧)، ويجمعها في يده (أم ٣٠: ٤) يصرخ بصوتٍ عالٍ: اقبلوا روحي القدوس! لقد سبق فأعلن ناحوم النبي: "الرب في الزوبعة، وفي العاصف طريقه، السحاب غبار رجليه" (نا ١: ٣)، وتحدث الرب مع أيوب من العاصفة (أي ٣٨: ١). هذا هو الرب نفسه، حاضر ليسكن في قلوب البشر!

هنا ينقلنا **القديس غريغوريوس النيسي** إلى سفر النشيد حيث يرى في ريح الجنوب الدافئة، وليس ريح الشمال الباردة، رمزًا لعطية الروح القدس الذي يلهب النفس بدفء الروح.

في منطقة الشرق الأوسط يخشى الناس، خاصة أصحاب الحقول، الريح الشمالية لأنها باردة، إن اشتدت تقضي على الزراعة تمامًا، بينما يطلبون الريح الجنوبية القادمة من خط الاستواء فهي دافئة تساعد على نضوج المحاصيل. في سفر النشيد تطلب العروس من ريح الجنوب أن تهب على جنتها (نش ٤: ١٦)، وإذ تهب الريح التي هي الروح القدس في الحال تدعو جنتها جنة عريسها (نش ٥: ١٦)، فعمل الروح القدس هو أن يحول قلوبنا إلى ملكية العريس السماوي، فتصير جنته. يرى العريس آلام عروسه آلامه، وثمار الروح فيها ثمره، وبفرح يقبل دعوتها لكي يدخل إلى جنته يأكل ويشرب، بل ويدعو أصدقاءه، الطغمات السمائية، ليفرحوا معه بجنته التي غرستها يمينه ويسقيها بروحه القدوس (نش ٥: ١).

٧ "تعالي يا ريح الجنوب، هبي على جنتي فتقطر أطيابها" (نش ٤: ١٦ LXX)...

أصابت الملكة (الكنيسة العروس) حين أمرت بسلطانها دفع ريح الشمال بعيدًا، ونادت على ريح منتصف النهار الدافئ الذي تسميه ريح الجنوب، وبواسطته يفيض تيار جارف من السرور: "تعالي يا ريح الجنوب، هبي على جنتي فتقطر أطيابها". إنها تشبه الريح القوية التي سُمعت في العلية عندما كان التلاميذ فيها (أع ٢:٢) "**وظهرت لهم ألسنة منقسمة كأنها من نار، واستقرت على كل واحد منهم.**" وكأنهم نباتات حية، تساعد هذه الريح حديقة الله على إنتاج الأعشاب العطرة، وإصدار نبوات تفوح منها روائح زكية ووصايا الخلاص للإيمان بفم الرسل، ويخرج منها عطر تعاليمهم بكل اللغات. لقد جعلت ريح الجنوب هذه تعاليم المائة والعشرين تلميذاً الذين كانوا مغروسين في بيت الرب تفيض على كل أمم الأرض (أع ١:١٥).

الآن تقول العروس لريح الجنوب: "هبي على جنتي"، لأن عريسها جعلها أمًا للحدائق. ويشمل النص حدائق وينبوع. من أجل هذا يرغب العريس لحديقته، الكنيسة، التي تمتلئ بالأشجار الحيّة، أن تهب عليها هذه الريح، لكي تحمل منها روائح عطورها. ويقول النبي: "الريح العاصفة الصانعة كلمته" (مز ١٤٨:٨).

تزينت العروس بزينة الملكة البهية، وغيّرت النهيرات التي تفيض عطرًا إلى ما هو أكثر جمالاً، فجعلتها تفيض من أشجار الحدائق بواسطة قوة الروح القدس. ويمكننا بهذه الصورة أن نتعلم الفرق بين العهدين القديم والجديد. **يمتلئ نهر النبوة بالمياه، بينما تمتلئ أنهار الإنجيل بالعطر.** كان نهر القديس بولس يحمل رائحة المسيح العطرة، ويفيض من حديقة الكنيسة بواسطة الروح القدس. والأمثلة الأخرى كيوحنا، ولوقا ومتى ومرقس وجميع الرسل الآخرين كلهم يرمزون إلى نباتات ثمينة في حديقة العروس، عندما تهب عليها ريح الجنوب في منتصف الظهيرة تصيِّرهم جميعًا ينابيع عطور لرائحة الأناجيل الزكية.

القديس غريغوريوس النيسي

"وظهرت لهم ألسنة منقسمة كأنها من نار،

واستقرت على كل واحد منهم". [٣]

إذ لا يمكن إدراك طبيعة الروح القدس كما الآب والابن لذلك قدم لنا العهدان القديم والجديد رموزًا كثيرة تكشف عن طبيعة عمل الروح القدس فينا، أهمها:

١- **الحمامة:** ففي سفر النشيد يمتدح العريس السماوي عروسه، قائلا: عيناكِ حمامتان". يُعجب بعروسه التي تتطلع دومًا إلى روحه القدوس القادر وحده أن يوحدها معه، ويجملها لتحمل

أيقونته. يتطلع إلى عينيها، فيرى من تتطلع إليه، لأن العينين تحملان صورة من تنظران إليه. هذا وعمل الروح القدس هو الاستنارة، فإذ يسكن في قلب المؤمن ينير عينيه الداخليتين لكي تستطيعا رؤية عريسها وأمجاده، وتتحقق من وعوده الصادقة.

والسيد المسيح نفسه يطلب من عروسه: "كونوا بسطاء كالحمامة" حيث تحمل العروس سمة بساطة عريسها فلا تقبل تعقيدًا، بل تسلك في طريقه الواحد بلا انقسام في القلب.

v "ها أنتِ جميلة يا حبيبتى (صاحبتي)، ها أنت جميلة؛ عيناكِ حمامتان" (نش ١: ١٥)...

الآن، وقد ظهر جمالها الكلي امتدح جمال عينيها. يقول العريس إن عينيها حمامتان، وهذا يحمل المعنى الآتي: عندما تكون العينان صافيتين حينئذ تعكس صورة من ينظر إليها بوضوح.

يقول خبراء الظواهر الطبيعية إن العين ترى من خلال استقبال انعكاس الصور المنبثقة من الأشياء المرئية.

لذلك يُمتدَح جمال العروس، لأن صورة الحمامة منطبعة في عينيها.

عندما يتطلع إنسان ما إلى أي شيءٍ، يستقبل في ذاته صورة هذا الشيء.

الإنسان الذي قد تخلى عن الحياة الملموسة، أي اللحم والدم يتطلع إلى الحياة الروحية، فيسلك في الروح، وبالروح يميت أعمال الجسد. هذا الإنسان قد صار بالكلية في الروح، فلا يعود الإنسان إلى الطبيعة الجسدانية. لهذا تُوصف النفس التي تخلصت من أهواء الجسد أن **صورة الحمامة تظهر في عينيها**، وهذا يعنى أن خاتم الحياة الروحية يشع نورًا من داخلها؛ تصبح العين نقية. النفس التي حصلت على صورة الحمامة قادرة على رؤية الجاذبية الروحية للعريس. تنظر العروس إلى عريسها، عندما تكون صورة الحمامة في عينيها، فترى جماله الروحي.

القديس غريغوريوس أسقف نيصص

٢- المياه، خاصة الأمطار، فالمطر المبكر يشير إلى عمل الروح القدس في العهد القديم حيث قدم كثير من النعم الإلهية، خاصة نعمة النبوة عن شخص السيد المسيح وعمله الخلاصي، والمطر المتأخر يشير إلى عمله في العهد الجديد حيث يقطن ويستقر في النفس، فلا يُحسب ضيفًا كما في العهد القديم، بل يقيم من الإنسان الداخلي هيكلاً مقدسًا له، يسكن فيه. يحول المطر البرية إلى فردوس يفيض بثمارٍ إلهية لا حصر لها.

ربط السيد المسيح بين الإيمان به والتمتع بالروح القدس الذي يشبه ينبوعًا إلهيًا يفيض في أحشاء المؤمن الروحية، فتجري منه **أنهار مياه حية** (يو ٧: ٣٨).

v الروح القدس هو النهر الذي يفيض - حسب العبرانيين - من المسيح إلى الأراضي. وقد قبلنا هذا كما تنبأ فم إشعياء (إش ٦٦:١٢). هذا النهر العظيم الذي يفيض على الدوام ولن يتوقف، ليس فقط نهرًا، بل هو أيضًا أحد المجاري الغزيرة التي تفيض عظمة، كما قال داود: "مجرى النهر يفرح مدينة اللَّه" (مز ٤٦:٤). فلا ترتوي تلك المدينة، أورشليم السماوية، بقناة، أي بنهرٍ أرضي، بل بالروح القدس المنبثق من مصدر الحياة. المجرى الذي يصدر عن ذاك الذي يشبعنا، يبدو أنه يفيض بوفرة بين العروش السماوية والسيادات والقوات والملائكة ورؤساء الملائكة، جاريًا في أكمل نصيب لفضائل الروح السبع.

القديس أمبروسيوس

٣- الريح: وكما نسمع هنا عن الريح العاصف الذي هزّ البيت عند حلول الروح القدس على التلاميذ.

٤- النار: حل الروح القدس على التلاميذ في شكل ألسنة من نار. فقد تحقق قول القديس يوحنا المعمدان عن حمل الله أنه يعمد بالروح القدس ونار. هذه هي النار التي جاء السيد المسيح لكي يرسلها إلى البشر (لو ١٢: ٤٩).

ظهر الروح القدس على شكل ألسنة نارية منقسمة على كل واحدٍ منهم، إشارة إلى ما يقدمه لهم من تنوع للألسنة واللغات حتى يتمكنوا من الكرازة بين الأمم، ولكي يدرك اليهود أن الله ليس إله العبرانيين وحدهم، إنما هو إله كل البشر، يتحدث مع كل أمةٍ بلغتها التي تتفاهم بها.

شعروا بالروح القدس أنه أشبه بريح خفي، "الريح تهب حيث تشاء وتسمع صوتها، لكنك لا تعلم من أين تأتي ولا إلى أين تذهب، هكذا كل من وُلد من الروح" (يو ٣: ٨). ظهر كألسنة منقسمة كأنها من نار وهي ليست نارًا مادية، إنما نار تحرق الخطية، وتبدد كل ما هو مقاوم لله وبرِّه، حتى يتحقق فينا برّ المسيح وقداسته وحقه وعدله الإلهي.

يرى البعض أن الروح القدس ظهر أولاً على شكل ومضات نارٍ متلألئة، صادرة من الأعالي، سرعان ما انقسمت إلى ألسنة واستقرت على رؤوس الرسل. وقد جاء في النسخ السريانية وأيضًا في الأثيوبية القديمة "**جلست عليهم**". وكأن الروح القدس جلس واستقر متربعًا على رؤوس الرسل بكونها عرش الله وهيكله الإلهي، بعد أن فارق الروح الإنسان زمانًا طويلاً. لم يعد الروح زائرًا مؤقتًا بل جلس ليملك ويجدد ويقود كنيسته عاملاً فيها عبر الأجيال حتى يدخل بها إلى السماء كعروسٍ مزينة لعريسها السماوي. استقرار الألسنة النارية يؤكد أن ما يروه ليس وهمًا وتخيلات.

لقد ظهر الله لموسى النبي في شكل نارٍ متقدة في العليقة دون أن تحترق (خر ٣: ٢-٣)، وظهر له على الجبل وسط رعود وبرق ونارٍ ودخان علامة حضرته وقوته (خر ١٩: ١٦-٢٠).

"**استقرت على كل واحد منهم**"، أي من الإثني عشر، إذ ارتاح في كيانهم الرسولي ليقيم منهم هيكلاً مقدسًا يسكن فيه (١ كو ٣: ١٦)، يعمل فيهم وبهم، إذ صاروا منتسبين لله، مكرسين له وحده.

ما شغل التلاميذ ليس الريح ولا الصوت ولا النار، وإنما سكنى الروح فيهم ليعمل بهم لحساب ملكوت الله وبنيانه.

v إن كان اللَّه نارًا، فهو نار لكي ينتزع برد الشيطان.

القديس جيروم

v يليق بخادم الرب أن يكون مجتهدًا وحذرًا. نعم وأكثر من هذا يكون ملتهبًا كاللَّهيب، حتى أنه بروح غيورة يدمر كل خطية جسدانية، فيستطيع الاقتراب من اللَّه، الذي بحسب تعبير القديسين يُدعى "نارًا آكله".

البابا أثناسيوس الرسولي

[بخصوص الروح القدس الذي حلّ على شكل ألسنة نارية]

v كانت (الألسنة) من النار، وذلك ربما لقوته المطهرة (لأن كتابنا المقدس يعرف النار المطهرة، يجدها كل شخصٍ يطلبها)، أو ربما لأجل جوهره. لأن اللَّه نار آكلة، نار تحرق ما هو شرير.

القديس غريغوريوس النزينزي

v إن كانت تلك النار تمسك بنا، ليتها تجدنا صلدين لا تقدر على إبادتنا. بالأحرى ليتنا نصلي أن تحرق هذه النار فينا أشواك خطايانا المدمرة والمبيدة.

الأب قيصريوس أسقف آرل

v لا تعجب عندما تقرأ أن اللَّه الآب يقول: "أنا هو نار آكلة". مرة أخرى يقول: "تركوني أنا ينبوع المياه الحيّة" (إر ٢:١٣). وأيضًا الرب يسوع مثل نارٍ يلهب قلوب سامعيه، ومثل ينبوع مياه... فقد قال بنفسه في إنجيله إنه جاء ليُلقي نارًا على الأرض (لو ١٢:٤٩)؛ ويهب ينبوع مياه حية للعطشى (يو ٧:٣٧-٣٨).

v يُظهر إشعياء النبي أن الروح القدس ليس فقط نورًا بل أيضًا هو نار، قائلاً: "وتصير نور إسرائيل نارًا" (إش ١٠:١٧). هكذا يدعوه الأنبياء نارًا حارقة... لأننا نرى عظمة اللاهوت؛ والتقديس الذي له، والإنارة كسمة للنور والنار، لهذا عادة يُشار إلى اللاهوت ويُرى في شكل نارٍ، وكما يقول موسى: "اللَّه نار آكلة".

فإن موسى نفسه رأى النار في العليقة، وسمع اللَّه عندما جاء الصوت من لهيب النار يقول له: "أنا إله إبراهيم، وإله اسحق، وإله يعقوب" (خر ٣:٦). خرج الصوت من النار، وكان الصوت في العليقة، والنار لم تؤذها. فالعليقة كانت ملتهبة لكنها لم تُستهلك، إذ كان سرّ الرب مُعلنًا، أنه يأتي ليُنير جسدنا، وليس أن يهلك من كانوا في بؤسٍ، بل يزيل بؤسهم. إنه ذاك الذي يعمّد بالروح القدس ونارٍ، فيُعطي نعمة ويحطم الخطية (مت ٣:١١). هكذا في رمز النار يحفظ اللَّه قصده.

v بحق تُستهلك الذبيحة (بالنار) لأنها عن الخطية، بحق كانت النار رمزًا للروح القدس... الذي يغفر خطايا الجميع، والذي مثل نار يَلهب ذهن المؤمن وقلبه كذلك. لهذا فإن إرميا بعد قبوله الروح يقول: "صار في قلبي كنارٍ ملتهبة في عظامي، وأنا لم أحتملها".

القديس أمبروسيوس

v أنت أيها الرب نار آكلة، تحرق اهتماماتهم التي بلا حياة، وتجددهم أبديًا.

v عندما يرسل الرب جمره (الملتهب نارًا) نطلب الوحدة، ويتحطم ما قد بُني فينا للشر. وعندما يتطهر هذا الموقع (القلب) يقوم بناء الهيكل، المسكن، حيث يفيض فيه نوع من السعادة تنبع عن الأبدية.

لكنني لست أريد أن تفقدوا ما يعنيه المرتل بالحديث عن "**الجمر**" (مز ١٢٠: ٤). فالرجوع إلى الرب هو عبور من الموت إلى الحياة. قبل أن يشتعل يلزمنا القول أنه ميت. وإذ يلتهب بالنار

ندعوه حيًا. هذه صورة رائعة للتغير الذي يحدث حين يعود رجل أو امرأة إلى الرب بعد أن كان ميتًا.

نسمع الناس يقولون أحيانًا بتعجبٍ: "يلزمك أن تراه كما كان عليه قبلاً. لقد كان سكيرًا، حياته كانت مخجلة". أو "لقد أحب الحياة الصالحة". أو "كان أكبر مخادعٍ التقيت به". ثم يضيف بعد ذلك: "لست أصدق ما هو عليه الآن. إنه يخدم الله بكل غيرة، إنه يعيش في جوٍ من البراءة. كأن كل ما قد حدث قبلاً لم يكن له وجود". ما هو وجه العجب؟ **فقد كان الخاطئ ميتًا، والآن هو جمر حي.**

يبكي الروحيون الذين يعرفون تلك الحقائق الروحية الخاصة بمثل هذا كمن على ميتٍ، والآن إذ يرونه حيًا يُبتلعون بالفرح!

في هذا المثال يوجد أمر أود أن تطبقوه على أنفسكم. لقد صرنا مبتهجين نسبح الله، إذ نرى أحدًا قد صار جمرًا أمسكت به النار. لكننا إن كنا حكماء يلزمنا أن نبحث في غيرة عما في داخلنا وقد انطفأ.

كن مستعدًا ومتسلحًا بكلمة الله.

لكي تتحولوا إلى الله يلزمكم أن تحاربوا طريقكم القديم، تتحولوا عن الصوت المخادع في داخلكم.

v قال الرب نفسه: جئت لألقي نارًا على الأرض" (لو ١٢: ٤٩). ومن ثمة يقول الرسل أيضًا: "**حارين في الروح**" (رو ١٠: ١١)، لأن منه تأتي غيرة الحب، "لأن محبة الله قد انسكبت في قلوبنا بالروح القدس المُعطي لنا " (رو ٥: ٥). وعلى نقيض هذه الغيرة ما قاله الرب: "تبرد محبة الكثيرين" (مت ٢٤: ١٢). فإن الحب الكامل هو العطية الكاملة للروح القدس.

القديس أغسطينوس

v لئلا يجهل الناس عظمة العطية القديرة النازلة عليهم لذلك كان الصوت مثل أبواق سمائية، إذ "**صار بغتة من السماء كما من هبوب ريح عاصفة**"، مشيرًا إلى حلول ذاك الذي يهب قوة للبشر ليتمتعوا بملكوت اللَّه بقوة، فترى أعينهم الألسنة النارية، وتسمع آذانهم الصوت.

"**وملأ كل البيت، حيث كانوا جالسين**"، إذ صار البيت إناءً للماء الروحي وجلس التلاميذ فيه، امتلأ البيت كله. وبهذا اعتمدوا تمامًا حسب الوعد ولبست النفس والجسد ثوب الخلاص الإلهي.

"**وظهرت لهم ألسنة منقسمة كأنها من نار، واستقرت على كل واحد منهم، وامتلأ الجميع من الروح القدس**". لقد اشتركوا في النار لا للاحتراق بل النار المخَّلِصة، النار التي تحرق أشواك الخطية كلها تهب بهاءً للنفس. هذه تحل عليكم الآن، وتنزع خطاياكم، وتحرقها كالشوك، فتضيء نفوسكم الثمينة، وتنالون نعمة...

لقد استقرت على الرسل مثل ألسنة نارية حتى تتوجهم بأكاليلٍ روحيةٍ جديدةٍ على رؤوسهم.

فى القديم كان هناك سيف ناري على أبواب الفردوس، والآن لسان ناري يجلب الخلاص ويرد إلى الفردوس.

القديس كيرلس الأورشليمي

v عندما هرب يونان النبي من وجه الله، بحث عن سفينة مبحرة إلى ترشيش (يونان ١:٣). وقال داود العظيم أن سفن ترشيش تحطمت بواسطة الرياح القوية (مز ٤٨:٧). **هبت مثل هذه الريح على التلاميذ وهم مجتمعون في العلية**. وتعرفوا عليها أولاً بريح قوية عاصفة، بعد ذلك ظهرت لهم على هيئة ألسنة نار مُضيئة (أع ٢:٣). تحطم الرياح المتعددة الأشكال الشرور التي تحارب الطبيعة البشرية، وتعرف الرياح بسفن ترشيش. وترمز هذه السفن إلى الشر.

القديس غريغوريوس النيسي

في عماد السيد المسيح ظهر الروح القدس في شكل حمامة، ولم نسمع عن صوت كما من هبوب عاصف ولا عن ألسنة نارية منقسمة، لأنه لا يوجد في السيد المسيح خطية ليتطهر بنارٍ إلهية، وإنما هو كلمة الله القدوس الذي لا يصيح ولا يسمع أحد صوته. ما سُمع هو صوت الآب في رقةٍ يعلن سروره بالابن المتجسد. أما في ميلاد الكنيسة، فالحاجة لازمة إلى الروح الناري الذي يطهر ويقدس من الخطايا، وإلى الصوت العاصف لكي نستيقظ ونترقب عمل الله، والألسنة النارية لكي ندعو العالم كله للاتحاد معًا في المسيح يسوع بالإيمان به.

"وامتلأ الجميع من الروح القدس،

وابتدأوا يتكلّمون بألسنة أخرى،

كما أعطاهم الروح أن ينطقوا". [٤]

"**وامتلأ الجميع من الروح القدس**"، في المعمودية نتمتع بالملء من الروح القدس الذي يؤهلنا أن نكون أعضاء في جسد المسيح، وننعم بالبنوة للآب بالنعمة الإلهية. بهذا الملء يصير لنا حق الشركة مع المسيح، والتمتع بحياته المقامة. هذا الملء الذي تمتع به الإثنا عشر تلميذًا بالروح القدس الواحد، يهب الكنيسة الوحدة، ليست وحدة مُصطنعة، ولا تتحقق بمجرد تجمع الأشخاص أو الكنائس معًا، ولا خلال الحوار المجرد، لكنها عمل إلهي، سرّ الشركة في المسيح الواحد. إنها خليقة جديدة، حيث يتمتع الكل بأبٍ واحدٍ وأمٍ واحدةٍ، وينعمون بملكوت الله الواحد في قلوب الكل، يختبرون الإنجيل الواحد. **الوحدة هنا هي عمل الروح القدس الذي يثبتنا في المسيح الواحد،** فنترنم: "لأننا أعضاء جسمه، من لحمه ومن عظامه" (أف ٥: ٣٠).

يرى **القديس أغسطينوس** أنه في يوم الخمسين أُعطي للشخص الواحد أن يتحدّث بكل لغات الأمم لكي يكرزوا، الآن الكنيسة هي الجسد الواحد وقد امتدّت إلى العالم كله، صارت أيضًا تنطق بكل لغات العالم.

v نقرأ في الإنجيل: "رجع يسوع **ممتلئًا من الروح**" (لو ٤: ١). وفي أعمال الرسل يقول الكتاب المقدس عن الرسل أنهم "**امتلأوا من الروح القدس**". لتحذر من التفكير بأن الرسل هم على وجه المساواة مع المخلص. فنتحقق من أن يسوع والرسل وآخرين هم مملوءون بالروح القدس حسب إمكانية الإناء... بعد أن قبل العماد كان المخلص مملوءً من الروح القدس الذي حل عليه من السماء في شكل حمامة (لو ٣: ٣٢)، وقاده الروح (لو ٤: ١). فإذ كثيرون اقتيدوا بروح الله هم أبناء الله (رو ٨: ١٤)، أما هو فابن الله بالمعنى اللائق، مميزًا عن كل الآخرين، لذلك كان لائق به أن يقتاده الروح القدس.

العلامة أوريجينوس

جاء تعبير "**امتلأ**" خاصة في سفر الأعمال يعني يملأ النفس وينتشر فيها ويحركها، فيحرك كيان الإنسان كله بكل مشاعره وطاقاته. فعندما دخلت القديسة مريم بيت زكريا وهي تحمل في أحشائها كلمة الله المتجسد "**امتلأت** اليصابات من الروح القدس" (لو ١: ٤١). وعند ولادة يوحنا المعمدان "**امتلأ** زكريا أبوه من الروح القدس وتنبأ" (لو ١: ٦٧). وهنا إذ نالت الكنيسة عطية الروح القدس "**امتلأ الجميع من الروح القدس**" (أع ١: ٤). وحين شُفي الأعرج عند باب الجميل باسم يسوع المسيح الناصري **امتلأ** عارفوه دهشة وحيرة (أع ٣: ١٠)، وحين سيطر الحسد على مقاومي الحق "**امتلأوا** غيرة، فألقوا القبض على الرسل" (أع ٥: ١٧)، وتكرر الأمر في خدمة القديس بولس في أنطاكية بسيدية حيث امتلأ اليهود غيرة وجعلوا يقاومون ما قاله بولس مناقضين ومجدفين (أع ١٣: ٤٥). وعلى العكس "أما التلاميذ فكانوا **يمتلئون** من الفرح والروح القدس" (أع ١٣: ٥٢).

هكذا يليق بنا أن نفتح الباب لعمل روح الله القدوس لكي يتسلم قيادة القلب والفكر وكل المشاعر، فيملك في الداخل، ولا يكون لغير الله، الثالوث القدوس، موضع فيه.

"**ابتدأوا يتكلمون بألسنة أخرى كما أعطاهم الروح أن ينطقوا**". [٤] وهم جليليون غالبيتهم لا يعرفون اليونانية إلا القليل، بدأوا يتكلمون بلغات أخرى كما وهبهم الروح القدس، "يتكلمون بألسنة جديدة". (مر ١٦: ١٧) سبق فوعدوا في القديم: "إنه بشفة لكناء وبلسانٍ آخر يكلم هذا الشعب" (إش ٢٨: ١١).

إذ ظن البشر أنهم قادرون على مقاومة الله ببناء برج في بابل يحميهم من الغضب الإلهي حين يحل طوفان كما في أيام نوح بلبل الله ألسنتهم، وتفرقوا إلى أمم، وفقدت البشرية وحدتها. الآن عند تأسيس كنيسة السيد المسيح لم يردهم لاستخدام لغة واحدة في العالم علامة الوحدة، وإنما وهب التلاميذ التكلم بألسنة لتتحد الأمم جميعها معًا بقيادة الروح القدس الواحد، بالإيمان الواحد، والمعمودية الواحدة، حيث يصير الكل أعضاء في جسد المسيح الواحد.

بالألسنة المنقسمة بعد الطوفان انكشف إلحاد الشعب العملي ومقاومته لله، وبعد أكثر من ٢٠٠٠ عامًا صارت الألسنة المنقسمة هي الدواء الإلهي لرد الأمم الوثنية إلى معرفة الله.

ماذا يعني التكلم بألسنة أخرى، أو بألسنة جديدة لم يكونوا بعد يعرفونها؟

أولاً: واضح أنهم تحدثوا بألسنة لم يتعلموها، لكن السامعين القادمين من أماكن متفرقة كانوا يسمعون كل واحدٍ لغته التي وُلد فيها [٨]. فهي لغات بشرية حقيقية مفهومة، وليست كلمات انفعالية غير مفهومة.

ثانيًا: أدرك الحاضرون إنها عطية الله للتلاميذ لا للاستعراض، وليست بلا هدف، وإنما لتأكيد أن باب الإيمان لم يعد قاصرًا على شعبٍ معينٍ أو على لسانٍ معينٍ، بل على جميع الشعوب والأمم والألسنة، فالخلاص مقدم للعالم كله.

ثالثًا: لم يكن اللسان خلال تعليم معين، وإنما هبة من الروح القدس، حتى يدرك المتكلم أنه إنما يتحدث بما يهبه الله له، وليس حسب خبرته البشرية ومعرفته القديمة. أُعطي مع اللسان مادة الحديث، فلا يُستخدم اللسان إلاَّ في إعلان كلمة الله المقدمة من الروح القدس نفسه. يشعر المتكلم أنه أداة في يد الله، يعمل به لحساب ملكوته.

رابعًا: لم تُقدم هذه الموهبة لكي يستعرضها المؤمنون عبر الأجيال، إنما هي حدث للكشف عن بدء عصرٍ جديدٍ، هو بسط يدي المخلص للبشرية كلها لكي تقبل كلمة الكرازة.

خامسًا: لم ينشغل الرسل بهذه الموهبة كثيرًا بعد يوم الخمسين، كمثال لذلك القديس بولس وهو يتمتع بالتكلم بالألسنة (١ كو ١٤: ١٨) لم يكن محتاجًا إليها إذ كان يكفيه الحديث بالعبرية (أو الآرامية) أو اليونانية لنشر الإنجيل بين الأمم. وإذ أساء البعض فهمها كشف الرسول بولس عن سمو المحبة البناءة عن التشويش الذي ساد الذين ادعوا أنهم أصحاب موهبة التكلم بألسنة (١ كو ١٣: ١؛ ١٤: ٣٣)، بل وفضَّل كلمة الوعظ عن التكلم بألسنة (١ كو ١٤: ٣٩).

سادسًا: بعد أن أدت هذه الموهبة رسالتها أن الإيمان المسيحي يمس حياة البشرية كلها لم تعد هي العنصر الأساسي في الكرازة، بالرغم من وجودها بروح اللياقة والترتيب تحت ظروف خاصة (١ كو ١٢: ٧-١١). لذلك لم تدم هذه الموهبة بعد العصر الرسولي، وإن كان الله سمح بها خلال نماذج قليلة لتأكيد صدق حدوثها. لكن تحول البعض عبر العصور إلى استخدام ألسنة غير مفهومة ودخول في اللاوعي وخدع الشيطان كثيرين، فصار الأمر معثرًا للمؤمنين ولغير المؤمنين. خرج هؤلاء عن روح السيد المسيح الذي لا يصيح ولا يسمع أحد في الشوارع صوته.

٧ "وابتدأوا يتكلمون بألسنة أخرى كما أعطاهم الروح أن ينطقوا"

تكلم بطرس الجليلي أو أندراوس بالفارسية أو المديانية. وتكلم يوحنا وبقية الرسل بكل ألسنة هؤلاء الأمميين الأصل. لأنه ليس فقط في أيامنا نحن بدأت هذه الجماعات الغريبة أن تجتمع بل منذ ذلك الحين كانوا يجتمعون هنا من كل الكون. أي معلم يمكن أن يكون هكذا عظيمًا حتى يعلم البشر جميعًا في وقت واحد أمورًا لم يكونوا قد تعلموها؟!

يحتاج الإنسان إلى سنوات كثيرة ليتعلم أصول النحو وفنون اللغة حتى يتحدث اليونانية وحدها حسنًا، لكنهم تعلموا جميعًا اللغات حسنًا.

قد ينجح الخطيب في التحدث حسنًا، لكن رجل النحو أحيانًا لا يقدر أن يتحدث حسنًا، وصاحب النحو الماهر قد يتحدث أحيانًا، لكنه يجهل مواضيع الفلسفة. أما الروح القدس فعلمهم عدة لغات في وقتٍ واحدٍ لم يعرفوها قط طيلة حياتهم.

إنها حكمة واسعة! إنها قوة إلهية!

يا للتناقض بين جهلهم الشديد في الماضي إلى ما حدث لهم فجأة، إذ مارسوا هذه اللغات بصورة كاملة ومتنوعة لم يعتادوا عليها.

إن جماهير المستمعين قد ارتكبت. وهذه هي المرة الثانية للارتباك. الأول حدث كأمرٍ شريرٍ في بابل، إذ كان ارتباك اللغة بقصد الانقسام بسبب أفكارهم المعادية لله، أما هنا فقد صلحت الأذهان واتحدت بقصدٍ صالحٍ. صارت وسيلة السقوط هي وسيلة الشفاء!

لماذا تتعجبون قائلين: **"كيف نسمعهم يتكلمون بألسنتنا"؟**

لا تتعجب إن كنت جاهلاً ذلك، فإنه حتى نيقوديموس كان يجهل حلول الروح وقد قيل له: "الريح تهب حيث تشاء وتسمع صوتها لكنك لا تعلم من أين تأتي ولا إلى أين تذهب" (يو ٣: ٨). فإنك وإن سمعت صوته لا تعرف من أين يأتي، فكيف نوضح جوهره؟!

القديس كيرلس الأورشليمي

- كان (التكلم بالألسنة) علامة تناسب الزمن... ليظهر أن إنجيل الله لا بد أن يجري خلال كل الألسنة في الأرض كلها. هذا الأمر حدث بكونه يحدث ويعبر.

- كان الروح القدس في ذلك الوقت يُعطي بهذه الطريقة، بطريقة منظورة لأن من يقبلوه ينطقون بألسنة كل الأمم، ليعني أن الكنيسة بين الأمم تتكلم بألسنة الجميع.

- بهذا التنوع للألسنة أعلنوا مقدمًا بطريقةٍ ما أن الكنيسة حتمًا ستمتد إلى كل الأمم.

- الآن قد بدأت قوة الحق تُعلن للكل، فإن واحدًا (الكنيسة) قد تقبل الروح القدس يتحدث بلغات كل الأمم. الآن في الكنيسة الوحدة عينها. كأن رجلاً واحدًا يتحدث بلغات كل الأمم. أي لسان لم تصل إليه المسيحية؟ إلى أي بعد لم تمتد إليه؟

القديس أغسطينوس

اعتقد أونوميوس - كما كان بعض اليهود يعتقدون - بأن لغة الله هي العبرية، كان يتحدث بها حتى قبل الخليقة، وأن ما سجله موسى النبي أو غيره من الأنبياء هو حديث حرفي لله بلغته العبرية. وقد رد عليه **القديس غريغوريوس أسقف نيصص** مفندًا هذا الرأي:

- أما أنك تظن بأن الله استخدم اللسان العبري عندما لم يكن يوجد من يسمع أو يفهم مثل هذا اللسان، أظن ليس من كائنٍ عاقلٍ يوافقك.

نقرأ في سفر الأعمال أن القوة الإلهية انقسمت إلى لغات كثيرة لهذا الهدف: ألا يفقد أحد ممن له لسان غريب المشاركة في الانتفاع. فإن كان الله تكلم بلسان بشري قبل الخليقة، فمن كان ينتفع باستخدامه هذا اللسان؟ لهذا كان يجب أن يكون حديثه متناسبًا مع قدرة السامعين، لأجل نفعهم...

فإن بولس الذي تبع المسيح عرف كيف يهيئ كلماته بما يناسب عادات سامعيه وتصرفاتهم، جاعلاً من نفسه لبنًا للرضع، وغذاء دسمًا للناضجين.

لكن حيث لا يوجد باعث للانتفاع باستخدام لغة كهذه، فإنك تعلن بأن الله كان يخطب بكلمات كهذه مع نفسه، حيث لا يوجد أحد يحتاج أن تُنقل إليه معلومات. هذه الفكرة هي تجديف وسخافة.

لهذا فإن الله لم يتكلم بلغة عبرانية ولا عبَّر عن نفسه بأي شكل من هذا بين الأمم، ولكن أية كلمات لله سجلها موسى أو الأنبياء هي إشارات إلى إرادة الله مشرقة بطريقة ما أو أخرى، من أجل فهم القديسين لها حسب قياس نعمة المشاركين فيها.

إذن تكلم موسى باللغة التي لوطنه التي تعلمها، لكنه نسب هذه الكلمات لله كما قلت مكررًا ذلك من أجل طفولة أولئك الذين يجلبهم إلى معرفة الله، حتى يقدم عرضًا واضحًا للإرادة الإلهية، ولكي يرد سامعيه بالأكثر إلى الطاعة حيث يهابون سلطان المتكلم.

غريغوريوس أسقف نيصص

- نزل لكي يلبس الرسل القوة ويعمدهم... هذه النعمة لم تكن جزئية بل هي قوته في كمالها.

- علمهم الروح القدس عدة لغات في وقت واحد لم يعرفوها قط طيلة حياتهم. إنها حكمة واسعة! إنها قوة إلهية!

- صارت وسيلة السقوط هي وسيلة الشفاء!

القديس كيرلس الأورشليمي

٣. موقف الحاضرين

"وكان يهود رجال أتقياء من كل أمة تحت السماء،

ساكنين في أورشليم". [٥]

"**ساكنون في أورشليم**": غالبًا ما جاء هؤلاء الأتقياء إلى أورشليم ليحتفلوا بعيد الفصح، وقضوا فترة الخمسين يومًا حتى عيد الأسابيع أو عيد الحصاد أو الباكورات يجولون في أورشليم كمدينة الله المقدسة، ويتمتعون بالهيكل. هؤلاء إذ سمعوا صوتًا كصوت ريح عاصف ملأ البيت، وقد ارتجت أصوات المسبحين اندفعوا من كل جانب نحو البيت ليتمتعوا بعمل الروح القدس في حياة التلاميذ، أو ليشهدوا مولد كنيسة العهد الجديد في أروع صورة، لذلك إذ "**سمعوا نُخسوا في قلوبهم**" [٣٧].

يُفهم أن هؤلاء كانوا إما يهودًا وُلدوا في دولٍ مختلفة وقد جاءوا إلى أورشليم للاحتفال بالعيد، أو كانوا عابرين من بلد إلى آخر فقطنوا في أورشليم إلى حين، أو هم دخلاء من أصل أممي تهودوا وجاءوا إلى أورشليم لذات الهدف. هذا ولم تكن توجد مدينة تجارية في العالم في ذلك الحين لم يكن لليهود دور فيها، خاصة دول البحر الأبيض المتوسط. يقول فيلون اليهودي السكندري ويوسيفوس المؤرخ أنه لم يكن يوجد شعب على الأرض لم يقطن في وسطه اليهود.

"**ساكنون**": التعبير اليوناني *Kateikointes* غالبًا ما يُستخدم عن سكن ثابتٍ دائمٍ، لكنه أحيانًا يمكن استخدامه عن سكن مؤقت. هذا وغالبًا ما كان أغنياء اليهود القاطنين في بلاد أجنبية يشترون مسكنًا دائمًا في أورشليم علامة ارتباطهم بالهيكل واعتزازهم بجنسيتهم.

"**أتقياء**" تشير إلى أشخاص يسلكون بوقارٍ وحكمة، جادين في عبادتهم وطلب خلاص نفوسهم في مخافة الرب.

ربما يتساءل البعض كيف اجتمعت هذه الآلاف في بيتٍ واحدٍ؟ غالبًا ما أن جاءت الجماهير في الشوارع تستطلع هذا الخبر العجيب، حتى انطلق التلاميذ إلى مكانٍ عامٍ بجوار الهيكل.

"فلما صار هذا الصوت اجتمع الجمهور وتحيَّروا،

لأن كل واحدٍ كان يسمعهم يتكلّمون بلغته". [٦]

واضح أن هذا الحدث هزَّ قلوب اليهود والأتقياء القادمين من خارج أورشليم أكثر من اليهود الأصليين المقيمين في أورشليم. وقد سمع كل واحدٍ يتكلمون بلغته التي وُلد فيها.

"فبُهت الجميع وتعجبوا،

قائلين بعضهم لبعض:

أترى ليس جميع هؤلاء المتكلمين جليليّين؟" [٧]

كان يوم العنصرة يومًا فريدًا لم تشهد مثله البشرية من قبل ولن يتكرر بنفس الصورة فيما بعد، فقد أعد الله أتقياء من خمسة عشر لسانًا مختلفين، جاءوا لكي يروا مشهدًا بديعًا ويسمعوا كلمة الله، كل منهم باللغة التي وُلد فيها ينطق بها جليليون لا يعرفون هذه اللغات، ويؤمنوا بحب الله الفائق ليرجعوا إلى العالم بكل لغاته المعروفة في ذلك الحين يشهدون للإيمان الحي.

جاء هؤلاء اليهود الأتقياء من دول مختلفة يربطهم أمر واحد وهو الحنين إلى مدينة أورشليم كمدينة الله والتمتع بهيكل سليمان كأقدس مكان في العالم، فعادوا إلى بلادهم وقد التهبت قلوبهم بالحنين إلى أورشليم العليا والهيكل السماوي الذي يضم كنيسة الله من كل الشعوب والأمم والألسنة، ويشهد الكل لأورشليم الداخلية ولهيكل الرب المُقام داخل النفس، ومجد ابنة الملك الذي في الداخل. عادوا يسبحون الله على عمله العجيب، فقد سمعوا جليليين ينطقون باليونانية واللاتينية والمصرية والعربية الخ. بلهجات كثيرة يسبحون بها الله ويمجدونه على عظم محبته.

"**يهود رجال أتقياء من كل أمة**": كان هذا اللقب يخلعه يهود أورشليم على القادمين من كل أمة (من اخوتهم اليهود بالميلاد أو الدخلاء المتهودين) ليعَيدوا في أورشليم، وقد تحملوا مشاق السفر الذي كان مضنيًا ومكلفًا للغاية، لن يقوم به إلا من كان لهم روح التقوى؛ خاصة وأنهم كانوا يقدمون عطايا بسخاءٍ سواء لفقراء اليهود أو لخدام الهيكل.

"فكيف نسمع نحن كل واحد منّا لغته التي وُلد فيها؟" [٨]

دُهشت الجماهير المتعلمة القادمة من بلادٍ كثيرة وتهللت حينما رأت جليليين غير متعلمين يتحدثون بكل لغات العالم، في حكمة وبطلاقة. بينما كان العبرانيون القاطنون في أورشليم متعصبين للغتهم، يستخفون بكل لغة أخرى، بل وكثير من القادة اليهود يحسبون لغتهم هي لغة الله والسمائيين، فلأول مرة في تاريخ أورشليم تُقدم الدعوة بلغات العالم للتعرف على الله والإيمان به والعبادة له.

بينما يرى البعض أن التلاميذ تحدثوا بلغات لم يتعلموها، يرى آخرون أنهم كانوا يتحدثون بلغتهم الأصلية، وكان المستمعون يسمعونهم كل واحدٍ حسب لغته. سواء كان الأمر هكذا أو كذلك فإن ما يبغيه هو أن باب الإيمان قد انفتح أمام الأمم وأن كل شخص يتعبد لله حسب اللغة التي وُلد فيها.

"فرتيون وماديّون وعيلاميّون والساكنون ما بين النهرين

واليهودية وكبدوكية وبنتس وآسيا". [٩]

المذكورون هنا هم يهود أو دخلاء متهودون "**فرتيون وماديون وعيلاميون**": وهي مناطق شرقية سبق أن سبي فيها إسرائيل (العشرة أسباط)، وإذ انتهي السبي بقي بعضهم هناك.

فرتيون: أهل بارثيا Parthia القديمة، وهي تضم الجانب الشمالي من فارس الحديثة، تقع في جنوب شرقي بحر قزوين، ما بين نهر الفرات والخليج الفارسي على الجانب الشرقي من الاثنين. تكاد تكون مطابقة لمقاطعة خراسان الحالية، شمال شرقي إيران. سكانها من أصل سكيثي Scythian origin.

ذُكر الفرثيون في كتابات داريوس هستاسبس، إذ قاموا بثورة على الفرس سنة ٥٢١ ق.م.، ولكن سرعان ما أُخمدت. حكمهم بعد ذلك إسكندر الأكبر، ثم خلفاؤه السلوقيّون. بدأت إمبراطورية الفرتيين العظمى حوالي ٢٥٦ ق.م. حين ثار أرساكس الأول Arsaces I ضد السلطة السريانية المقدونية، وبدأ بسلالة حاكمة جديدة في شخصه عرفت بالأرساكيدين Arsaciadae، امتدت في العصور المسيحية عن الإمبراطورية الرومانية. دامت هذه الإمبراطورية لمدة حوالي ٤٠٠ عامًا. اتسم الفرتيون بمهارتهم الحربية كفرسان، يتظاهرون في الحرب بأنهم منسحبون، وإذا بهم وهم منسحبون يلقون سهامهم على العدو الذي خلفهم بمهارة عجيبة. دخلوا في صراع مع الدولة الرومانية في الشرق لمدة طويلة للاستيلاء على أرمينيا. وقد أوقفوا التوسّع الروماني شرقًا من سنة ٦٤ق.م حتى سنة ٢٢٦م، وبين سنتيّ ٤٠ ق.م و ٣٧ ق.م.

لغتهم فارسية. وكان قديمًا كلمتا Parthia وفارس Persia غالبًا ما تشيرا إلى دولة واحدة.

غزوا آسيا الصغرى وسوريا، وفتحوا أورشليم ونهبوها، ونصّبوا أنتيغونس آخر الحشمونيّين على عرشها.

حضر بعض اليهود من بارثيا في أورشليم في يوم العنصرة، وربّما حملوا بشارة الإنجيل معهم إلى بارثيا حين عادوا إليها.

في سنة ٢٢٦م فتح الفرس بلادهم تحت قيادة أزداشير الساساني وقضوا على مملكتهم.

ماديون: كانت مادي دولة يحدّها نهر أركسيس وبحر قزوين شمالاً وشمال شرقي، وبارثيا وهركانية وصحراء فارس شرقًا، وفارس وسوسيانه جنوبًا، وأشور غربًا. تبلغ مساحتها حوالي ١٥٠ ألف ميلاً مربعًا، طولها من الشمال إلى الجنوب حوالي ٦٠٠ ميلاً، وعرضها من الشرق إلى الغرب ٢٥٠ ميلاً. كانت مقسّمة إلى ست مقاطعات، وفي أيام اليونان والرومان انقسمت إلى مقاطعتين وهما أتروباتينة ومادي الكبرى. الأولى في الشمال تضم الأرض الواقعة ما بين بحر قزوين والجبال شمال نهر زاغروس. أمّا مادي الكبرى فهي في الجنوب وشرق أتروباتينة. ومادي كانت بدورها تنقسم إلى مقاطعات صغيرة.

كانت مادي من أغنى مناطق آسيا، دُعيت في الكتاب المقدس ماداي (تك ١٠: ٢). كان الماديّون شعب يتحدّث الهندو - أوربيّة. تحالف الملوك الأشوريّون مع قبائل مادي ابتداء من القرن التاسع ق.م.، وظلّوا على علاقة طيّبة بهم طيلة ٢٠٠ عامًا. ثم تضافر الماديّون والسكيثيّون معًا، متحالفين مع بابل فأسقطوا مملكة أشور سنة ٦١٢ ق.م.

سيطروا في القرنين السابع والسادس ق.م على إمبراطورية امتدّت من بلاد فارس إلى آسيا الصغرى، عاصمتها اكبتانة، حمدان الحديثة، شمال غربي بلاد فارس.

غالبًا ما يرتبط الماديون بالفارسيين؛ وكانوا تحت حكومة واحدة (٢ مل ١٧: ٦؛ ١٨: ١١؛ إس ١: ٣، ١٤، ١٨-١٩؛ إر ٢٥: ٢٥؛ را ٥: ٢٨؛ ٦: ٨؛ ٨: ٢٠؛ ٩: ١). ظهر تعبير "مادي وفارس" حتى دعي اليونان حربهم الفارسيّة العظيمة بالحرب مع الماديين.

عيلاميون: غالبًا ما يُدعى أهل هذه المنطقة حاليًا فارس، وكان الماديون والعيلاميون شعبين متجاورين يسكنان وراء دجلة.

العيلاميون هم من نسل عيلام بن شيث (تك ١٠: ٢٢). كانوا أمّة منعزلة، شاركوا السومريّين حضاريًا في المدن القديمة والكتابة. التحق ملكهم كدرلعومر بالحملة على وادي الأردن، وتلقي الهزيمة على يد إبراهيم أب الآباء. وغالبًا ما كان العيلاميّون تحت سيطرة جيرانهم في الغرب. وقد أرسل الأشوريّون بعض مواطني السامرة إلى عيلام، وأرسلوا عيلاميّين إلى فلسطين ليحلّوا محل أولئك.

صارت عيلام فيما بعد جزءً من الإمبراطورية الفارسيّة، لغتهم بلا شك كانت فارسية. عاصمتها شوشان، يدعوها اليونان سوسا Susa. قيل عن دانيال أنه قطن في شوشان التي هي في مقاطعة عيلام (دا ٨: ٢)، لهذا يُدعى العيلاميّون بالشوشانيّين. لايزال سكانها يدَّعون بأن قبر دانيال النبي لديهم.

عند عودة اليهود من السبي كان بقايا هؤلاء الذين تهجّروا إلى فلسطين يقاومون فكرة إعادة بناء الهيكل (عز ٤: ٩).

دعاها اليونانيون والرومان عيلاميس Elymias، والآن تدعى خوزستان Kususتان، تحدها مملكة فارس في الشرق، وأشور وميديا في الشمال، وبابل في الغرب والخليج الفارسي في الجنوب.

كان العيلاميون رجال حرب يجيدون ضرب القوس (إش ٢٢: ٦؛ إر ٤٩: ٣٥). فكانت عيلام مركز إمبرواطورية قديمة. وحوالي سنة ٢٠٠ ق.م. استعاد العيلاميّون قوّتهم، وتسلّط بعض ملوكهم على مدن في بابل.

"**الساكنون ما بين النهرين**" أو يهود بابل، هؤلاء لم يريدوا الرجوع من السبي البابلي، بل استوطنوا هناك، وصارت له مدرسة لاهوتية خاصة اتسمت بغزارة العلم، وكان لهم تأثيرهم القوي على شمال الفرات، فتهوَّد كثيرون منهم. تقع ما بين نهري التيجر والفرات (في سهل سوريا) يحدها شرقًا أشور، وغربًا سوريا، وشمالاً أرمينيا، وجنوبًا بابل Babylonia. كان اليهود قديمًا يدعونها فدان آرام، والآن يدعوها الآسيويون Moverannhar، أي مدينة ما وراء النهر.

وجدت في هذه المنطقة أماكن هامة وردت في الكتاب المقدس مثل أور الكلدانيين مكان مولد إبراهيم (تك ١١: ٢٧-٢٨)، وحاران حيث توقف تارح فيها وهناك مات (تك ١١: ٣١-٣٢)، وكركميش (٢ أي ٣٥: ٢٠)، وهينع (٢ مل ١٩: ١٣)، وسفروايم (٢ مل ١٧: ٢٤) وهي منطقة متسعة مسطحة وخصبة. لغة سكانها يمكن أن تكون السورية مع خليط من الكلدانية.

اليهودية: يرى البعض أنه يقصد هنا *Iouaian* ويعني بها اليهود الساكنين في ما بين النهرين. لكن كثيرين يرون إنها اليهودية حيث كانت لهجتهم مختلفة عن لهجة الجليليين.

"**الساكنون في كبدوكية**": استوطن بعض اليهود هناك ونالوا حق المواطنة. وهي أكبر ولايات آسيا الصغرى (تركيا)، تقع في الشرق، تشمل كل المنطقة التي تقع بين جبل طاروس Taurus (تعني برج النور) وبحر Euxine. تقع في جنوب بنطس أو بنتس، وفي غرب الفرات وشمال سوريا وكيليكيّة وشرق غلاطية. وهي سهل مرتفع تخترقه سلاسل من الجبال. جعلها طباريوس، عند وفاة الملك أرخيلاوس عام ١٧م مقاطعة رومانيّة. ووحدها فسباسيان عام ٧٠م مع أرمينيا الصغرى، فصارت من أكبر ولايات الحدود.

لغتهم التي كانوا يستخدمونها لازالت غير معروفة. يُحتمل أن تكون لهجة مختلطة من بين اليونانية والسريانية مع مزيج من جيرانهم مواطني ليقونية Lycoonians (أع ١٤: ١١).

كان اليونانيون يشيرون إلى كبدوكية من بين ثلاث مناطق يرون أنها أشر المناطق (كبدوكية، كريت، كيليكية). لكن بعد قبولها للإيمان المسيحي خرجَّت لنا شخصيات رائعة مثل القديس غريغوريوس أسقف نيصص والقديس باسيليوس الكبير.

كذلك في **آسيا**، خاصة على الشواطئ الغربية، كان لليهود جالية من أكبر الجاليات، ولهم مدرسة لها تأثيرها، لكنهم كانوا منحلين، يقول عنهم سفر الرؤيا مخاطبًا أسقف **فيلادلفيا**: "هأنذا أجعل الذين من **مجمع الشيطان**، من القائلين إنهم يهود وليسوا يهودا، بل يكذبون هأنذا أصيرهم بأتون ويسجدون أمام رجليك، ويعرفون أني أنا أحببتك" (رؤ ٣ :٩). كذلك يهود **بمفيلية وفريجية وغلاطية وبنتس**، كانت الجاليات اليهودية لها تأثيرها وهوَّدت كثيرين.

بنتس: اسم يوناني ولاتيني معناه "البحر"، وهو الاسم القديم للبحر الأسود وكذلك الأراضي الواقعة على طول ساحله الجنوبي. كانت مملكة لها سلطانها ونفوذها القوي قديمًا، وهي في الأصل جزء من كبدوكية، يحدها في الشرق خولكس Colchis، وفي الغرب نهر Halys، والشمال البحر الأسود، والجنوب أرمينيا الصغرى. كان ملكها المشهور هو مثرادتس Mithridates استطاع أخيرًا الرومان أن يخضعوه.

بنتس هي وطن أكيلا (أع٢: ١٩؛ ١٨: ٢؛ ١ بط ١: ١).

آسيا: يقصد بها آسيا الصغرى، وهي جزء من تركيا في آسيا، تُدعى حاليًا ناتوليا Natolia.

"وفرّيجية وبمفيلية ومصر

ونواحي ليبية التي نحو القيْروان

والرومانيون المستوطنون يهود ودخلاء". [١٠]

فرّيجيّة: قطاع كبير من آسيا الصغرى (تركيا)، اختلفت تخومها عبر الأزمنة. وبعد أن اُقتطعت منها غلاطية أصبحت حدودها هكذا: شمالها بيثينيّة، وشرقها ليكأونيّة وغلاطية، وجنوبها ليكيّة وبيسيديّة وإيسوريّة، وغربها كاريا وليديا وميسيّا. المنطقة سهل مرتفع بين سلسلة جبال طوروس جنوبًا وأولمبوس شمالاً وتموس غربًا.

شعبها يتحدّث الهندو - أوربيّة. تأسّست مملكتهم في أوائل الألف الأوّل ق.م بعد انهيار الحثّيين. وفي القرن التاسع ق.م اجتاح الكيمريّون فرّيجيّة التي صارت فيما بعد جزءً من مملكة الليديّين.

تُدعى في الوثائق الأشوريّة والعهد القديم "ماشك"، كان شعبها محاربًا، وكانوا يتاجرون في النحاس والعبيد (حز ٣٢: ٢٦؛ ٣٨: ٢-٣؛ ٣٩: ١؛ ٢٧: ١٣؛ ٣٨؛ ٣٩).

كثير من حكّامها دعوا "ميداس"، ولعلّ هذا الاسم كان لقبًا خاصًا بحكّامهم، مثل فرعون مصر. دُفن بعض حكّامها في قبور فخمة حول العاصمة غورديوم التي اكتشفت حديثًا.

في عام ١١٦ ق.م. صارت جزءً من آسيا الرومانيّة، ومنذ ٢٥ ق.م. اقتطفت منها القسم الشرقي المدعو "غلاطيّة".

ذكر العهد الجديد بعض مدنها مثل لاودكيّة وكولوسي وهيرابوليس وأنطاكيّة بيسيديّة. في ذلك الحين لم تعد فرّيجيّة مقاطعة، بل صارت اسمًا خاصًا بمدينة فرّيجيّة، وقد اجتاز الرسول بولس في فرّيجيّة في رحلتيه الثانيّة والثالثة (أع١٦: ٦؛ ١٨: ٢٣).

بمفيلية: اسمها القديم ناتولياNatolia ، حاليًا تدعى Caramania، ما بين ليكية Lycia وكيليكية، بالقرب من البحر المتوسط. وهي منطقة على الساحل الجنوبي الغربي من آسيا الصغرى (تركيا)، طولها ٨٠ ميلاً وعرضها ٣٠ ميلاً، تخترقها ثلاثة أنهار هي الكتاركتس وألسترس والأورينيدون.

كانت عاصمتها برجة التي زارها الرسول بولس (أع١٣: ١٣؛ ١٤: ٢٤؛ ٢٧: ٥)، وميناءها أتاليه (إضالية أع٢٤: ٢٥). أضاف إليها كلوديوس بيسيديّة وليكيّة.

يهود مصر: كانت الجالية اليهودية في مصر من أقوى الجاليات المصرية، وأهم يهود الشتات بلا نزاع. قاموا بترجمة العهد القديم إلى اليونانية، وتُعرف بالترجمة السبعينية، التي ساعدت على نشر الإيمان المسيحي بين الأمم واليهود المتكلّمين باليونانيّة. كما يذكر التقليد أنها تمّت في زمن بطليموس الثاني أو فيلادلفس (٢٨٥-٢٤٦ ق.م).

كان عددهم مليونًا حسب ما ورد في فيلون اليهودي السكندري الجنس الذي اتسمت فلسفته وتفاسيره بالطابع الأفلاطوني. يخبرنا فيلون (حوالي ٢٠ ق.م. - حوالي ٥٠ م.) بأنه وُجد في الإسكندرية حي يهودي يقتطع قسمين من الخمسة أقسام التي للمدينة. في حوالي عام ٣٨ عانى اليهود من اضطهاد مرعب من مواطني الإسكندرية الوثنيين، مما اضطر فيلون أن يذهب إلى روما عام ٣٩ ق. م. ليرفع شكواه أمام الإمبراطور كاليجولا Caligula تُدعى *Legatio ad Caium*. وُجدت أيضًا جالية يهودية في ذلك الحين في منطقة الفيوم لها تأثيرها القوي.

هذا وكان أبولس يهوديًا إسكندري الجنس، الوارد في الرسالة الأولى إلى أهل كورنثوس، الذي بسبب بلاغته وفلسفته مع حرارة روحه وكرازته تكوَّن فريق نسب نفسه إليه من بين الأربعة فرق هناك.

ليبيا: كان اليونان بوجه عام يدعونها أفريقيا، لكن هنا يُقصد بها القطاع الشمالي عند قيروان. أما عن **اليهود الذين في ليبيا،** فإننا نعتز ببعضهم مثل القديس مرقس الرسول الكارز في مصر وليبيا، وقد وُلد هناك، لكن والديه اضطرا إلى الذهاب إلى أورشليم ومعهما يوحنا مرقس بسبب هجوم حدث لهم. وأيضًا لوكيوس النبي في إنطاكية. وكان لليهود الليبيين مجمع خاص بهم في أورشليم.

قيروان: على الساحل الشمالي من أفريقيا على البحر المتوسط تقع جنوب جزيرة كريت، وعلى بعد ٥٠٠ ميلاً غرب الإسكندرية. كانت أيضًا تُدعى بنتابوليس أي الخمس مدن (الغربية). نال سمعان القيرواني بركة حمل الصليب في طريق السيد المسيح للصلب.

يهود روما: كانوا أصلاً من ضمن الأسرى الذين أسرهم بومبي من أورشليم عام ٦٣ ق.م، وقد تحرروا بعد ذلك وكوّنوا مجمعًا بعددٍ متواضع. لكن نمت الجالية، وصار لها أثرها حتى على رجال الحكم. غير أن شوكتهم ضعفت بعد أن طردهم كلوديوس، ثم عادوا وكوّنوا جالية كانت ممثلة في أورشليم تُدعى الليبرتنيين. يقول يوسيفوس أنه وُجد في أيامه ثمانية مجامع يهودية في روما. هذا وكثيرًا ما أشار الكتّاب الرومان إلى اليهود. وإذ كانوا مصممين على تطبيق الشريعة، وحفظ يوم السبت، وعدم الشركة في الطقوس الوثنية التي للرومان، فإنهم إذ تحرروا انسحبوا ليعيشوا معًا عبر التيبر من جهة روما. وهكذا وُجدت جالية كولونية يهودية هناك.

"كرّيتيون وعرب نسمعهم يتكلّمون بألسنتنا بعظائم اللَّه". [١١]

كريتيون: سكان جزيرة كريت، وهي جزيرة ضخمة في الشرق أو الجانب الشرقي من البحر المتوسط، الآن تُدعى Candia، طولها حوالي ٢٠٠ ميلاً وعرضها ٥٠ ميلاً، تبعد حوالي ٥٠٠ ميلاً جنوب غرب القسطنطينية، ونفس المسافة غرب سوريا. وُجدت جالية **يهود كريت،** وهي أساس تكوين الكنيسة التي أقام عليها الرسول بولس تيطس أسقفًا.

هذا وكانت لهم جالية كبيرة وخطيرة في **قبرص،** قامت بثورة أيام حكم تراجان، وذُبح مائتان وأربعون ألفا من مواطني قبرص ذكرها المؤرخ ديو كاسيو، لكن يهود قبرص عادوا وقبلوا الإيمان المسيحي، وكان لهم دورهم الفعال في نشر الإنجيل. من بينهم برنابا وهو لاوي يهودي قبرصي الجنسية، خال القديس مرقس الرسول.

عرب: سكان العربية، وهي منطقة مشهورة في آسيا يحدها البحر الأحمر غربًا، والخليج الفارسي شرقًا، واليهودية شمالاً، والمحيط الهندي جنوبًا. لغتهم هي العربية.

وكان ملك **العرب** الحارث (٢ كو ١١: ٣٢) سواء شرق الأردن أو جنوبه متحالفًا مع اليهود، عاصمته بترا، أقام إمبراطورية. تزوج هيرودس انتيباس رئيس ربع الجليل بنت أرتياس العربي ثم طلقها وتزوج هيروديا امرأة أخيه. وقامت حرب بين هيرودس وأرتياس، انتصر فيها الأخير، وإذ لجأ هيرودس إلى روما أرسلت فايتيليوس لتأديب الحارث، لكن موت الإمبراطور طيباريوس أنهى الحملة، وكان ذلك نحو ٣٩ أو ٤٠ م. أثناء حكم

كاليجولا، أو ربما في ٣٦ م. استولى الحارث على دمشق، وأقام فيها نائبًا عنه. لكن أرسل أوغسطس قيصر بعثة إلى بلاد العرب هُزمت أولاً، ثم عادت فزحفت عليها روما بجيش عام ٧٠ م هزمت العرب واستولت على عدن.

"عظائم الله": كان الرسل يتحدثون بلغات الحاضرين عن أعمال الله العظيمة مثل تجسد الكلمة، ومعجزاته العجيبة، وعمل الخلاص الفائق من صلبٍ وقيامةٍ وصعودٍ، وخطة الله لخلاص البشرية.

لقد كانت أورشليم أشبه بمركز لا للشعب اليهودي وحده بل للعالم كله، حيث حضر يهود ودخلاء أتقياء من كل العالم، فكانت لحظات حلول الروح القدس أو ذاك اليوم هو يوم غرس بذار الإيمان في تربة الأرض كلها في فترة قصيرة. فقد عادت هذه الجماهير التي في شتات الدول تشهد لعظائم الله.

v إنه يدعو ممالك العالم كله: "يا ممالك الأرض سبحوا الله، غنوا للرب" (مز ٦٨: ٣٢). يقول: كل شخص في العالم ينال نور معرفة الله ويقدم تسبحة مترنمًا بوقارٍ.

الأب ثيؤدورت أسقف قورش

"فتحيّر الجميع وارتابوا، قائلين بعضهم لبعض:

ما عسى أن يكون هذا". [١٢]

تطلع الجادون في أمر خلاصهم إلى ما حدث فاندهشوا وتحيروا، إذ لم يجدوا أمامهم تفسيرًا بشريًا، لكن لم تحمل هذه الحيرة ارتيابًا، بل رغبة صادقة في البحث عن ما وراء هذا الحدث. صار الكل في حيرة مما حدث؛ كانوا في حالة دهش. بدأ كل واحد يسأل الآخر: وما هو هدف هذا؟ إنه منظر له تقديره، فهل هؤلاء الرجال مرسلون من السماء؟ ألعلهم مثل العليقة الملتهبة نارًا التي رآها موسى النبي؟

"وكان آخرون يستهزئون قائلين:

أنهم قد امتلأوا سُلافة". [١٣]

تطلع آخرون، غالبًا اليهود القاطنون في أورشليم واليهودية، خاصة رؤساء الكهنة والفريسيون المقاومون لروح الله القدوس، إلى ما حدث بنوع من السخرية، إذ حسبوهم سكرى.

لقد حسبوا أن هؤلاء الرجال قد بالغوا في شرب الخمر يوم العيد، ولم يفكروا في جدية هل كثرة شرب الخمر تعلم الإنسان أن يتحدث بلغات جديدة حقيقية لم يسبق له أن تعلمها. هؤلاء الذين سبقوا فإتهموا السيد المسيح أنه ببعلزبول رئيس الشياطين يخرج الشياطين، الآن يتهمون تلاميذه المملوءين من الروح القدس أنهم سكرى.

يقول د ماكلاند McLelland بأنهم إذ أرادوا أن يهربوا من إدراكهم لجهلهم تبنوا في سخافة نظرية أن الإسراف في شرب الخمر يمكن أن يعلم اللغات.

v في استهزائهم تكلموا بالحق، لأنهم في الحقيقة كانت الخمر الجديدة هي نعمة العهد الجديد. هذا الخمر الجديد هو من الكرمة الروحية.

القديس كيرلس الأورشليمي

يرى بعض الدارسين أن البيت لم يسعْ تلك الأعداد الضخمة القادمة من كل أورشليم، فانطلق الكل إلى منطقة الهيكل، بجوار الدار، وصار نوع من الاضطراب نتيجة كثرة الوافدين، عجز الحاضرون عن تقديم تفسير لهذه الظاهرة الفريدة في تاريخ العالم كله.

٤. خطاب بطرس للشعب

"فوقف بطرس مع الأحد عشر ورفع صوته، وقال لهم:

أيها الرجال اليهود والساكنون في أورشليم أجمعون،

ليكن هذا معلومًا عندكم وأصغوا إلى كلامي". [١٤]

يرى البعض أن الجميع تحدثوا، كل في دوره مبتدئين بالقديس بطرس.

وقف القديس بطرس ليؤكد للحاضرين أنهم ليسوا بسكرى، وأنه قادر أن يكشف الحق الإلهي من خلال النبوات التي بين أيديهم.

لم يوجه حديثه إلى طبقة معينة بل إلى كل الساكنين في أورشليم سواء المقيمين دومًا فيها أو الذين جاءوا يقطنون فيها من أجل العيد. فالحديث هنا موجه إلى القيادات الدينية مع الشعب، لأن عطية الخلاص هي لكل نفسٍ بشرية.

إذ فحص بعض الدارسين هذا الخطاب وجدوه يحمل لغة الرسول بطرس واصطلاحاته في تطابق مع رسالته الأولى، مما يكشف عن أن القديس لوقا نقل الخطاب كما هو، فالناقل أمين في نقله.

هذا ومن جانب آخر فإن معالجة القديس بطرس للنبوات التي استشهد بها مع بدء ميلاد الكنيسة يستحيل أن تكون من فكر رجلٍ جليلي، بل تحتاج إلى استنارة الروح القدس لفهم الكتب المقدسة. إنها عطية الروح القدس للتلاميذ والرسل أن يستخدموا النبوات ويفسرونها ويطبقونها على شخص السيد المسيح.

جاء خطاب القديس بطرس في ثلاثة أقسام:

القسم الأول [١٤- ٢١] تفسير الحدث نفسه، وهو عطية الروح القدس.

القسم الثاني [٢٢- ٢٨] الشهادة ليسوع الناصري أنه المخلص، خلال القوات والآيات التي صنعها.

القسم الثالث [٢٩-٣٦] قيامة السيد المسيح وصعوده وإرساله الروح القدس هو تحقيق للنبوات، وشهادة أنه الرب المسيح.

من العجيب أن بطرس الرسولي الجليلي كان يخاطب أناسًا قادمين من خمسة عشر دولة، لكل دولة لسانها الخاص مثل اليونانيين والمصريين والفارسيين والعرب، ولم يكن ممكنًا لهم أن يفهموا الآرامية العامية التي لأهل الجليل. فما تكلم به القديس سمعه كل واحد حسب لغته التي وُلد فيها. فإن كان القديس قد تحدث بالآرامية العامية أو بلغة بشريةٍ جديدة إنما ما يؤكده سفر الأعمال أن كل واحد فهم ما قاله، وأن نحو ثلاثة آلاف آمنوا واعترفوا واعتمدوا وتمتعوا بعمل الخلاص، الأمر الذي ما كان يمكن أن يحدث هذا لو لم يدركوا كلمات الرسول ويتمتعوا بفهمها، وما لم يهبهم الروح القدس استنارة ويجتذبهم إلى الإيمان. عمل الروح القدس في الرسول بطرس كما في قلوب السامعين.

يحمل تعبير "**رفع صوته**" الحديث بروح القوة واليقين، بلا خوف ولا تردد ولا تشكك. فإنه لم يقف في ضعفٍ محاولاً تقديم براهين على صدق إيمانه، إنما حمل قوة الشهادة الجريئة والجذابة للنفوس بالروح القدس. لم يأخذ موقف المتوسل أو مجرد المدافع، بل حامل قوة الروح!

"لأن هؤلاء ليسوا سكارى كما أنتم تظنون،

لأنها الساعة الثالثة من النهار". [١٥]

ظنهم البعض أنهم سكارى، ربما لأنهم لاحظوا عليهم الفرح الشديد، وكأنهم في حالة دهش إلهي. أما دفاع القديس بطرس بأنها "**الساعة الثالثة من النهار**" فيعني إنه ميعاد مبكر، إذ يندر أن يأكل يهودي أو يشرب في هذه الساعة، حتى وإن كان مدمنًا للشرب، لأنها كانت ساعة صلاة، فيُحسب ذلك جريمة كبرى. هذا وكان الوقت غير مناسب لأنه يوم عيد الحصاد أو عيد الباكورات حيث كان اليهود في أورشليم مشغولين بتقديم الباكورات والذبائح وممارسة الصلوات حتى تمام الساعة العاشرة صباحًا.

v لكن آخرون سخروا قائلين: "**إنهم سكرى**".

في استهزائهم تكلموا بالحق، لأن في الحقيقة **كانت الخمر جديدة، هي نعمة العهد الجديد**. هذا الخمر الجديد هو من الكرمة الروحية... كانت قبلاً تحمل هذا الثمر في الأنبياء، والآن قد انبتت برعمًا في العهد الجديد.

فإنه حتى في الأمور الحسّية نجد الكرمة تبقى كما هي، لكنها تحمل ثمارًا جديدة في موسمها، هكذا الروح هو بنفسه يستمر، فكما عمل في الأنبياء يعمل الآن أعمالاً جديدة وعجيبة.

بالرغم من أن نعمته قد قُدمت للآباء أيضًا، لكن هنا تأتي بغزارة، لأنه كان قبلاً فقط (نصيب) شركة من الروح القدس، أما الآن فاعتمدوا فيه تمامًا.

بطرس الذي له الروح القدس إذ عرف ما قد ناله يقول (موبخًا): يا رجال إسرائيل أنتم الذين يبشركم يوئيل لكنكم لا تعرفون الأمور المكتوبة "**لأن هؤلاء ليسوا سكارى كما أنتم تظنون**".

إنهم سكارى لكنهم ليس كما أنتم تظنون، بل حسبما هو مكتوب: "يسكرون بدسم بيتك، ويشربون بملذاتك" (مز ٣٦:٨.).

إنهم سكارى بمسكرٍ سامٍ مميتٍ للخطية، وواهب حياة للقلب. مسكرٍ مضادٍ للسُكْرْ الخاص بالجسد. لأن هذا الأخير يسبب نسيانًا، حتى بالنسبة لما كان الإنسان يعرفه، أما هذا فيمنح معرفةً لما لم يكن يعرفه الإنسان.

إنهم سكرى، لأنهم شربوا خمر الكرمة الروحية القائلة: "أنا الكرمة وأنتم الأغصان"" (يو ١٥:٥).

لكن إن كنتم لا تقتنعون، افهموا ما أخبركم به من ذات الوقت الذي نحن فيه، أنها الساعة الثالثة من النهار (أع ٢:٢٥، ٥).

فكما يروي لنا مرقس قد صُلب في الساعة الثالثة، والآن الساعة الثالثة يرسل لنا فيها نعمته. لأن نعمته ليست شيئًا بخلاف نعمة الروح. إنما ذاك الذي صُلب وقتئذ هو أيضًا يهب الموعد...

وإن أردتم شهادة بذلك، أصغوا إلى ما قيل بيوئيل النبي: "يقول الله ويكون في الأيام الأخيرة إني أسكب من روحي" (أع ٢:١٨)، كلمة "أسكب" تحمل غنى العطية، إذ لا يُعطي الله روحه بمقياس... "أسكب من روحي على كل بشر فيتنبأ بنوكم وبناتكم"، وبعد ذلك يقول: "وعلى عبيدي أيضًا وإمائي أسكب من روحي في تلك الأيام فيتنبأون" (أع ٢:١٩).

لا يبالي الروح القدس بالأشخاص، إذ لا يطلب كرامات بل تقوى الروح. لا ينتفخ الأغبياء، ولا يخذل الفقراء، بل ليستعد كل واحد لتقبل النعمة السماوية.

القديس كيرلس الأورشليمي

v تأسيس الكنيسة هو خلق جديد للعالم، وكما قال إشعياء النبي (إش ٦٥:١٧) هي خلق سماء جديدة، وكما قال بولس (كو ٢:٥ إيمانكم في المسيح هو القوة).

خُلقت **أرض جديدة** تشرب المطر النازل عليها، وخُلق **إنسان آخر** تجدد حسب صورة خالقه بالميلاد الجديد من أعلى. وُوجد **نور جديد** يقول عنه المسيح: "أنتم نور العالم" (مت ٥:١٤)، "تضيئون بينهم كأنوار في العالم" (في ٢:١٥)، لذلك تُضئ كواكب كثيرة في قوة الإيمان. ليست الأعداد الكبيرة من الكواكب التي سماها الله هي العجائب الوحيدة في الخليقة. يقول كلمة الله إن أسماءهم مكتوبة في السماء. لقد سمعت **خالق العالم الجديد** يقول لكواكبه: "افرحوا بالأحرى أن أسماءكم كُتبت في السماوات" (لو ١٠:٢٠). وبالإضافة إلى هذه الكواكب التي خلقها السيد المسيح توجد شموس تُنير العالم بأعمالها الطيبة. ويقول صانع هذه الشموس: "فليضئ نوركم هكذا قدام الناس لكي يروا أعمالكم الصالحة، ويمجدوا أباكم الذي في السماوات" (مت ٥:١٦). ثم "حينئذ يضئ الأبرار كالشمس في ملكوت أبيهم" (مت ١٣:٤٣).

القديس غريغوريوس النيسي

يرى **العلامة ترتليان** أنه مقابل الصلاة الداخلية الدائمة التي لا يحدها زمن توجد صلوات محددة الزمن عامة وهي الثالثة والسادسة والتاسعة كما جاء في الكتاب المقدس. وقد **حل الروح القدس في وقت الساعة الثالثة** (٩ ص)، وشاهد بطرس الرسول الملاءة النازلة من السماء وقت الساعة السادسة (أع ١٠: ٩)؛ ودخل مع القديس يوحنا إلى الهيكل وقت الساعة التاسعة. إذ ينتزع الإنسان نفسه من عمله في هذه الساعات للصلاة. وقد كان دانيال يصلى ثلاث مرات يوميًا حسب الطقس اليهودي (دا ٦: ١٠)، هذا بجانب الصلاة عند الشروق وبالليل وعند الأكل، وعند دخول الحمام... علامة أننا نعطي السماويات أولوية عن الأرضيات.

"بل هذا ما قيل بيوئيل النبي". [١٦]

ما يحدث ليس مصادفة، لكن تنبأ عنه يوئيل منذ قرون، وهو حدث مرتبط بالعصر المسياني، وكأنه يقول لهم: يلزمكم أن تراجعوا أنفسكم، فإن الذي قتلتموه هو المسيح موضوع نبوات الأنبياء.

- بخصوص الاتهام (أنهم سكرى) برأ نفسه من هذا ببرهان من عنده، أما عن النعمة فإنه استعان بالنبي كشاهد. "أسكب من روحي على كل جسدٍ". وُهب للبعض خلال أحلام، ولآخرين انسكب عليهم علانية، فإنه بالحق بالأحلام رأى الأنبياء ونالوا إعلانات.

القديس يوحنا الذهبي الفم

يقول اللَّه: ويكون في الأيام الأخيرة،

أني أسكب من روحي على كل بشر،

فيتنبأ بنوكم وبناتكم،

ويرى شبابكم رؤى،

ويحلم شيوخكم أحلامًا". [١٧]

بقوله: "**يكون في الأيام الأخيرة**" يعلن أن ما حدث هو بداية النهاية، حيث تدخل البشرية مرحلة انتظار مجيء المسيح الأخير وتترقب يوم الرب بفرح عظيم. هذا وقد عرف اليهود هذا الاصطلاح أنه خاص بعصر المسيا الذي طالما ترقبه اليهود عبر الأجيال (إش ٢: ٢؛ هو ٣: ٥). عندما تنبأ يعقوب لأبنائه عما سيحدث في العصر المسياني دعا هذا العصر "**آخر الأيام**" (تك ٤٩: ١)، وعندما تحدث ميخا النبي عن كنيسة العهد الجديد كجبل بيت الرب قال: "**وفي آخر الأيام**" (مي ٤: ١)، وأيضًا إشعياء النبي (٢: ٢).

هذا وتعبير "**آخر الأيام**" يكشف عن حلول "**ملء الزمان**" الذي فيه أرسل الآب ابنه مولودًا من امرأة مولودًا تحت الناموس (غل ٤: ٤)، أو "**ملء الأزمنة**" حيث يجمع الله بتدبيره كل شيء في المسيح ما في السماوات وما على الأرض (أف ١: ١٠). ويرى البعض إنه ملء الزمان الذي فيه يُنزع الملكوت من إسرائيل القديم، ويُنقض الهيكل ليُسلم الملكوت لإسرائيل الجديد، ويُقام الهيكل الجديد في قلوب المؤمنين.

حلت الأيام الأخيرة حيث يبطل الكهنوت اللاوي ليُعلن كهنوت المسيح الذي على طقس ملكي صادق (مز ١١٠: ٤؛ عب ٥: ٦؛ ٦: ٢٠)، هذا الذي ليس من نسل إبراهيم، ولا يعرف أحد أباه وأمه... ففي المسيح يسوع تنفتح الدعوة للعمل خلال المجهولين!

يرى البعض أن تاريخ الخلاص يحوي العصور التالية:

- الإنسان في الفردوس.
- عصر الآباء.
- عصر القضاة.

- عصر الملوك.

- عصر الأنبياء (خاصة أثناء السبي وبعده).

- العصر الأخير، أو الأيام الأخيرة: العصر المسياني حتى مجيء الرب الأخير أو يوم الرب. وقد استخدم الرب نفسه هذا الاصطلاح (يو ٦: ٣٩-٤٠، ٤٤-٤٥؛ ١١: ٢٤؛ ١٢: ٤٨). كما استخدمه الرسل (١بط ١: ٢٠؛ ٢بط ٣: ٣، ١يو ٢: ١٨؛ يهوذا ١٨؛ عب ١: ٢).

"**على كل بشر**" إذ لم يعد عمل الروح القدس قاصرًا على اليهود، وإنما يعمل أيضًا في الأمم. يعمل في أولاد الله من الجنسين لحساب ملكوت الله. يقول الربي تانخوم Rabbi Tanchum: [عندما وضع موسى يده على يشوع قال: يقول الله المبارك "في وقت النص (العهد) القديم تنبأ كل نبي بمفرده، لكن في أيام المسيا سيصير كل إسرائيل أنبياء".]

لا تُفهم كلمة "**يتنبأ**" هنا بمعنى أنهم يخبرون بأحداث مستقبلية تُعلن لهم، وإنما يعلمون ويخبرون بالحق الإلهي خاصة خلاص المسيح، وما يعده للمؤمنين من أمجاد سماوية.

الرؤى والأحلام: كان الله قديمًا يعلن عن حضوره الإلهي وإرادته الإلهية خلال وسيلتين: إما عن طريق الرمز مثل **ظهور نار**، كما حدث مع موسى على جبل حوريب، وأيضًا مع أبينا إبراهيم (تك ٢١: ١٧)، وإيليا النبي (١ مل ١٩: ١١-١٢). وأحيانًا **بظهور ملائكة** كما في عصر البطاركة حيث نجد أمثلة كثيرة في سفر التكوين. أما الوسيلة الأخرى فهي **الأحلام** كما حدث مع يوسف (تك ٣٧: ٥، ٩)، ويعقوب (تك ٢٨: ١ الخ؛ ٤٦: ٢ الخ)، ومع فرعون (تك ٤١: ١-٧)، ونبوخذنصر (دا ٤: ١٠-١٧).

ماذا يعني بالقول: "**بنوكم وبناتكم**"؟ كان حلول الروح القدس في العهد القديم مؤقتًا، يحل على فئة معينة مثل الكهنة وهم من سبط خاص (لاوي)، والملوك (من سبط يهوذا)، والأنبياء وهم أفراد معينون يظهرون بدعوةٍ إلهية. أما في العهد الجديد فصار الروح القدس هبة إلهية مُقدمة لكل المؤمنين، حيث يسكن في المؤمن ليهب نعم خاصة متباينة. حتى العمل القيادي الكنسي مثل الرسل والتلاميذ ثم الأساقفة والقسوس والشمامسة فهو ليس قاصرًا على سبطٍ ما أو عائلةٍ ما، لكن الرب اختار تلاميذه من بين عامة الشعب ليقيم من المزدرى وغير الموجود من يُبطل بهم الموجود (١ كو ١: ٨).

- سبق وقال أنه قد سكب الروح علينا، إذ ليس من طبيعة الخليقة ولا الأشياء المصنوعة أن تعطي الروح بسلطان، بل هو عطية الله. فتتقدّس المخلوقات بواسطة الروح، أما الابن فحيث أنه لا يتقدّس بواسطة الروح بل بالأحرى هو الذي يعطي الروح للجميع، لذلك ليس مخلوقًا، بل هو ابن الآب الحقيقي.

البابا أثناسيوس الرسولي

- كان الروح يعمل في نفوسهم (الأنبياء) للتنبؤ والتكلّم حينما كانت تدعو الحاجة أن يُخبروا العالم بأحداث عظيمة. لأن الأنبياء لم يكونوا يتكلّمون في كل وقتٍ، بل حينما يشاء الروح الذي فيهم فقط، إلا أن القوّة الإلهية كانت معهم دائمًا. فإن كان الروح القدس قد انسكب بهذا المقدار في ذلك العهد الذي هو ظل لعهد النعمة، كم بالأحرى ينسكب في العهد الجديد، عهد الصليب ومجيء المسيح الذي حدث فيه انسكاب الروح والامتلاء به؟!

القديس مقاريوس الكبير

"وعلى عبيدي أيضًا وإيمائي،

أسكب من روحي في تلك الأيام فيتنبأون". [١٨]

ما ورد هنا بدأ يتحقق في عصر الرسل خلال عمل السيد المسيح الذي بدأ بمواهب الروح التي لم تعد محصورة في سبطي لاوي (الكهنوت كميراثٍ) ويهوذا (الملوك)، وإنما الدعوة للخدمة مفتوحة أمام كل نفس أمينة مشتاقة للعمل الكرازي، كما أن الدعوة للشهادة للمسيح هي لكل عضو حي في الكنيسة مهما كان جنسه أو وطنه أو سنه أو قدراته.

v في عنايته الكلية سكب الله القدير بنعمته روحه على كل جسدٍ في هذه الأيام الأخيرة، على خدامه وإمائه، فكبح عدم الإيمان المخادع والجامح هذا الذي يثير التشكك في إيمان البشر بقيامة الجسد، وأوضح دون أية عوائق من جهة الكلمات الغامضة في الكتب المقدسة القديمة، وذلك بالنور الواضح للكلمات المقدسة ومعانيها.

العلامة ترتليان

"وأعطي عجائب في السماء من فوق،

وآيات على الأرض من أسفل،

دمًا ونارًا وبخار دخان". [١٩]

"تتحول الشمس إلى ظلمة،

والقمر إلى دم،

قبل أن يجيء يوم الرب العظيم الشهير". [٢٠]

لقد صاحبت خدمة العهد الجديد علامات وعجائب في السماء وعلى الأرض، كما حدث عند صلب السيد المسيح حيث حدثت ظلمة على وجه الأرض وزلازل، كما تشققت الصخور وانفتحت القبور، وخرج كثير من القديسين وظهروا في أورشليم، وفي قيامته حيث حدثت زلزلة. وفي صعوده أيضًا أعلنت السماء عن مجده، إذ ظهرت سحابة أخذته عن أعينهم (أع ١: ٩). هذا وسيصاحب مجيء السيد المسيح الأخير عجائب أيضًا من السماء وعلى الأرض تعلن عن قرب مجيئه (مت ٢٤: ٢٩).

يرى البعض أن الدم والنار والدخان والظلمة، هذه الظواهر تشير إلى ما سيحل عليهم من دمارٍ مدني وديني، حيث أحرق تيطس الهيكل سنة ٧٠م، وتشتت الشعب في أنحاء العالم، وحلت ظلمة فكرية برفضهم للخلاص.

v يُقال حقًا أن كثير من هذه الظواهر قد حدثت فعلاً في السماء كما شهد يوسيفوس. وفي نفس الوقت يرعبهم الرسول بأن يذَّكرهم بالظلمة التي حدثت مؤخرًا، وستقودهم إلى أمورٍ مقبلة... إن كانت هذه الأمور هي مقدمة لذلك اليوم (يوم الرب) فإن ما سيتبعه هو في غاية الخطورة ووشيك الحدوث.

v ماذا يعني: يتحول القمر إلى دم؟ إنه يشير إلى تزايد القتل. اللغة هنا محفوفة بالرعب مع اليأس!

القديس يوحنا الذهبي الفم

"ويكون كل من يدعو باسم الرب يخلص". [٢١]

ما حدث هو تحقيق لنبوة يوئيل النبي، وهو أول مشاهد الملكوت وفتح الستار عن أعمال المسيح بحلول روحه القدوس من السماء، لا حلولاً مؤقتًا كما كان مع أنبياء العهد القديم، بل هو حلول واستقرار وملء في قلوب المؤمنين، لإقامة ملكوت المسيح، فيصير الكل ملوكًا وأنبياء وكهنة لله العلي.

v بسبب نعمة الروح التي أُعطيت لنا، صرنا نحن فيه وهو فينا (١ يو ٤:١٣)...

خارج الروح نحن غرباء عن الله وبعيدون عنه، أما بشركة الروح فصرنا قريبين للاهوت، فوُجدنا في الآب ليس من ذواتنا، إنما هو عمل الروح الذي فينا ساكنًا في داخلنا.

البابا أثناسيوس الرسولي

v على أي الأحوال جعل مقاله مشرقًا، إذ يقدم ما يخص الإيمان، ومرعبًا إذ يتحدث عن العقوبة، فإنه في الابتهال (لله) يوجد الخلاص.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"أيها الرجال الإسرائيليون،

اسمعوا هذه الأقوال:

يسوع الناصري رجل قد تبرهن لكم من قبل اللَّه،

بقواتٍ وعجائبٍ وآياتٍ،

صنعها اللَّه بيده في وسطكم،

كما أنتم أيضًا تعلمون". [٢٢]

رأينا في تفسيرنا لإنجيل يوحنا أن كثيرين تعثروا في شخص السيد المسيح لأنه كان ناصريًا، فاحتج نثنائيل على فيلبس حين دعاه للقاء مع من كتب عنه موسى، قائلا: "أمن الناصرة يمكن أن يكون شيء صالح؟" (يو ١: ٤٦). وفي استخفاف وُضعت علة السيد على الصليب: "يسوع الناصري ملك اليهود".

دُعيت "**ناصرة**"، لأنها مدينة صغيرة لا قيمة لها، تشبه فرع شجرة صغير ينبت بجوار الجذر في مكانٍ غير مناسب، غالبًا ما يقوم الزارع بقطعه، يسمى بالعربية "نسر" وبالعبرية "نتسير" ومنه جاء الاسم "ناصرة".

واضح أن ما فعله السيد المسيح من قوات وعجائب وآيات إنما ليؤكد أنه قد جاء عصر المسيا الذي كان الآباء والأنبياء يشتاقون إليه ويترقبونه. لقد أقبل "ملكوت الله" (مت ١٢: ٢٨).

"**صنعها الله بيده**"، ليؤكد القول: "لأني خرجت من قبل الله، وأتيت" (يو ٨: ٤٢)، " أبي يعمل حتى الآن، وأنا أعمل" (يو ٥: ١٧). "إن كنت لست أعمل أعمال أبي فلا تؤمنوا بي، ولكن إن كنت أعمل، فإن لم تؤمنوا بي فآمنوا بالأعمال لكي تعرفوا وتؤمنوا أن الآب فيّ وأنا فيه" (يو ١٠: ٣٧-٣٨).

يحدثنا **القديس يوحنا الذهبي الفم** عن حكمة القديس بطرس:

أولاً: بدأ بقوله: "**أيها الرجال الإسرائيليون**"، ليس كنوع من المداهنة، وإنما لكي يستميلهم للاستماع إليه.

ثانيًا: لم يصدر حكمه في أمر يسوع، بل قال: "**اسمعوا هذه الأقوال**" لكي يصدروا الحكم بأنفسهم، ويتعرفوا عليه بحكمة وروية.

ثالثًا: لم يبدأ بالحديث عن حقيقته كابن الله الوحيد وكلمة الله، بل قال "**رجل**"، أي بأسلوبٍ متواضع.

رابعًا: عندما أشار إلى معجزاته قال: "**صنعها الله بيده**". هكذا نزل إليهم، إلى مستوى تفكيرهم لكي يرفع أفكارهم إلى الحق الذي لم يكن ممكنًا لهم أن يقبلوه دفعة واحدة. هكذا ينطلق بهم في كل مقالة من أسفل إلى أعلى.

في رده على فالانتينوسValentinus استخدم **العلامة ترتليان** هذه العبارة لتأكيد أن السيد المسيح قد أخذ جسدًا حقيقيًا، وصار إنسانًا، ولم يكن جسده روحيًا أو خيالاً.

"هذا أخذتموه مسلمًا بمشورة اللَّه المحتومة وعِلمه السابق،

وبأيدي آثمة صلبتموه وقتلتموه". [٢٣]

كان اليهود يدعون مملكة روما "مملكة الشر"، لذلك فكلمة "**آثمة**" هنا تشير إلى الرومان، وهي تعني "بلا ناموس"، وجاء في إنجيل مرقس: "هوذا ابن الإنسان يُسلم إلى أيدي الخطاة" (مر ١٤: ١٤).

هنا يوضح القديس بطرس أن موت السيد المسيح لم يكن جزافًا، فإنه وإن تم على أيدي آثمة، لا يستطيعون أن يتبرأوا مما فعلوه إلاَّ بالإيمان به، إلاَّ أن ما حدث كان خلال خطة إلهية أزلية، سبق أن أعلنها بالأنبياء الذين نالوا معرفة إلهية.

"الذي أقامه اللَّه ناقضًا أوجاع الموت،

إذ لم يكن ممكنًا أن يمسك منه". [٢٤]

الله الآب في حبه بذل ابنه الوحيد لخلاص العالم (يو ٣: ١٦)، هو أيضًا أقامه ليبرر الجميع. حقًا إذ في طاعةٍ لإرادة الآب التي هي واحدة مع إرادته سلم نفسه، وهكذا في طاعة قام من بين الأموات، وقد حل حبال الموت (مز ١٨: ٤-٥). أما قوله: "**أوجاع الموت**"، فيشّبه الموت بسيدةٍ تلد، وقد حاول الموت أن يغلق على السيد المسيح في أحشائه فلم يفلح. تمخض الموت بالآلام، وشق السيد المسيح رحم الموت والهاوية وأقام نفسه. يدعوها المرتل: "**حبال الموت**"، إذ ظن الموت قادرًا على فرض سلطانه على السيد، لكن السيد حلّ هذه الحبال، كما قطع شمشون أوتار الجلد التي أوثقه بها الفلسطينيون كخيطٍ أو كفتيلٍ إذا شم النار (قض ١٦: ٩-١٢).

جاءت كلمة "**الموت**" هنا في نسخة بيزا Bezae والسريانية والقبطية والفولجاتا "الجحيم"، وهو المكان الذي كانت تذهب إليه النفوس بعد الموت. فقد مات حقًا ودخلت نفسه إلى الجحيم، لا ليُقبض عليه أبديًا، وإنما لكي يحطم متاريسه، ويحمل الغنائم إلى الفردوس. لقد بشر الراقدين، لا بكلمات بشرية ينطق بها، بل بقوة سلطانه على فك قيودهم وحملهم إلى الراحة.

"لأن داود يقول فيه:

كنت أرى الرب أمامي في كل حين،

إنه عن يميني لكي لا أتزعزع". [٢٥]

حالة التهليل التي عبَّر عنها المرتل لا تخصه هو بل تخص المسيا الذي لم يستطع الموت أن يفصل الابن الوحيد الجنس عن الآب، فالابن عن يمين الآب، والآب عن يمين الابن، لأنهما لا يخضعان لحدود مكانية، إنما "**اليمين**" هنا يشير إلى القوة. فالموت لا يشغل المسيح، لأنه تحت قدميه، أما ما يشغله أنه بقيامته فتح باب الرجاء لمؤمنيه كي يتمتعوا بها.

"لذلك سُرّ قلبي،

وتهلل لساني،

حتى جسدي أيضًا سيسكن على رجاء". [٢٦]

جاء اقتباس الرسول هنا عن الترجمة السبعينية: "**تهلل لساني**"، أما في العبرية "**مجدي**" عوض "**لساني**".

"لأنك لن تترك نفسي في الهاوية،

ولا تدع قدوسك يرى فسادًا". [٢٧]

تصوير رائع لحقيقة موت الموت. وُضع الجسد في القبر إلى حين ليطمئن الأموات بوجوده فيه مؤقتًا. وانطلقت نفسه إلى الجحيم تحطم متاريسه، وتنطلق بنفوس الراقدين على رجاء للتمتع بالفردوس.

لم يسقط السيد المسيح تحت الحكم: "لأنك تراب، وإلى ترابٍ تعود" (تك ٣: ١٩)، لأنه بلا خطية، فلا يحل به هذا الفساد. لم يكن ممكنًا للناسوت الذي صار للكلمة أن يحل به ما حل بطبيعة آدم الساقطة. حقًا يمكن لنفسه أن تفارق جسده، لكن إلى حين دون فسادٍ للنفس أو الجسد.

v لأنه قام محطمًا الهاوية، وقائلاً للأسرى: اخرجوا، وللذين في الظلام: اظهروا (إش ٤٩: ٩). وصعد إلى أبيه فوق في السماء، إلى الموضع الذي لا يمكن للبشر الدخول إليه، أخذ على عاتقه خطايانا، وصار كفارة عنّا.

القديس كيرلس الكبير

"عرفتني سبل الحياة،

وستملأني سرورًا مع وجهك". [٢٨]

لم يكن ممكنًا للمرتل أن يقول: "عرفتني القيامة من الأموات"، إذ ما كان يمكن لأحد أن يدركها، لكنه رأى في قيامة الرب "**سبل الحياة**"، حيث يتحطم الموت، ويرتفع المؤمنون إلى الحياة الأبدية.

"أيها الرجال الاخوة،

يسوغ أن يقال لكم جهارًا عن رئيس الآباء داود،

أنه مات ودفن وقبره عندنا حتى هذا اليوم". [٢٩]

ظن اليهود أن ما قاله داود النبي خاص به شخصيًا، وقد جاء في المدراش: [ليس من دودة ولا حشرة لها سلطان على داود.] لهذا أراد الرسول بطرس أن يوضح لهم أن داود لا يزال مدفونًا لم يقم، وها هو قبره قائم يشهد بذلك، فما قيل هنا يخص السيد المسيح، كما قال الربي يوسي Jose Rabbi أن داود قد مات في يوم الخمسين، وكان كل إسرائيل ينتحبونه، ويقدمون ذبائح في اليوم التالي.

يدعو القديس بطرس داود رئيس الآباء (بطريركًا)، قبره في الجهة الجنوبية من أورشليم بالقرب من سلوام، قد تحدث عن قيامة السيد المسيح الذي جاء من نسله (حسب الجسد) قائلاً: "نفسه لا تُترك في الهاوية، ولا جسده يرى فسادا".

يقول **القديس يوحنا الذهبي الفم** الآن إذ يبدأ يشير إلى عظمة السيد المسيح يتحدث معهم كمن يبدأ يخاطبهم من جديد: "**أيها الرجال الاخوة**". كان القديس بطرس يعلم جيدًا أن اليهود لم يقولوا بأن ما نطق به داود النبي لا يخصه هو، بل يتنبأ عن المسيح ابن داود، ومع هذا فهو يؤكد لهم أن ما قاله لا يخصه شخصيًا، حتى يوضح أنه تحقق في يسوع الناصري المصلوب.

"فإذ كان نبيًّا،

وعلم أن اللَّه حلف له بقسمٍ،

أنه من ثمرة صُلبه يُقيم المسيح حسب الجسد ليجلس على كرسيه". [٣٠]

"سبق فرأى وتكلّم عن قيامة المسيح،

أنه لم تترك نفسه في الهاوية،

ولا رأى جسده فسادًا". [٣١]

v لم يرَ جسده فسادًا؛ أما جسدنا فبعد الفساد يلبس عدم الفساد في نهاية العالم. لم يكن هو محتاجًا إلينا ليتمم الخلاص، لكننا بدونه لا نقدر نحن أن نفعل شيئًا. يعطينا ذاته بكونه الكرمة ونحن الأغصان، أما نحن فلا يمكن أن تكون لنا حياة خارجًا عنه.

القديس أغسطينوس

في رسالة **القديس جيروم** إلى بماخيوس Pammachius يؤكد قيامة الجسد وتمتعه بشركة المجد مع النفس البشرية، لهذا فإننا نحمل نظرة مقدسة ومكرمة للجسد. كمثالٍ صوم الجسد بالنسبة لنا ليس معناه مقاومتنا للجسد كشيءٍ دنس، وإنما هو وسيلة للتمتع بالشركة مع الله، ليس على مستوى النفس وحدها، بل الإنسان ككل.

v ما نهدف إليه في الصوم هو الشركة مع الله. فتقتات (حتى الأجساد) بالخبز السماوي، وتشبع بكلمة الله، إذ يكون طعامها كما هو ربها. استمع إلى المخلص: "جسدي يستريح في رجاء" (مز ١٦: ٩) وفي موضع آخر قيل: "ولا رأى جسده فسادًا" (أع ٢: ٣١)، وأيضًا: "ويرى كل جسد خلاص الله" (إش ٤٠: ٥).

القديس جيروم

"فيسوع هذا أقامه اللَّه،

ونحن جميعًا شهود لذلك". [٣٢]

بعد أن قدم الرسول بطرس شهادة الأنبياء وركز على سفر المزامير فيما يخص مجيء المسيا من نسل داود أو موته أو قيامته، ختم ذلك بشهادة التلاميذ أنفسهم، وفي موضع آخر أحالهم الرسول إلى الروح القدس كشاهدٍ للسيد المسيح (أع ٥: ٣٢).

رآه كل الحاضرين من الرسل والتلاميذ وغيرهم بعد قيامته من الأموات، وهم مستعدون للشهادة بذلك حتى في وجه الاضطهاد والموت.

"وإذ ارتفع بيمين اللَّه،

وأخذ موعد الروح القدس من الآب،

سكب هذا الذي أنتم الآن تبصرونه وتسمعونه". [٣٣]

يؤكد الرسول بطرس أن يسوع ليس فقط قام من بين الأموات، وإنما تمجد أيضًا عن يمين الآب، ومن خلال هذا المجد بعث الروح القدس الذي تنبأ عنه يوئيل النبي، وقد وعد به السيد المسيح نفسه (يو ١٤: ١٦ الخ؛ ١٦: ٧).

يستشهد الرسول بطرس بالمزمور: "يمين الرب رفعتني، يمين الرب صنعت قوة" (مز ١١٩: ١٦). لا يفيد اليمين هنا مكانًا بل مكانة، فيشير إلى التساوي في المجد والكرامة "بجبروت خلاص يمينه" (مز ٢٠: ٦)، "يمينك يا رب تحطم العدو" (حز ١٥: ٦).

يشير هنا إلى تحقيق وعد السيد المسيح بإرسال الروح القدس الذي يكمل عمل المسيح في قلوبنا. وكما يقول بولس الرسول: "لكي يعطيكم بحسب غنى مجده أن تتأيدوا بالقوة، بروحه في الإنسان الباطن: ليحل المسيح بالإيمان في قلوبكم..." (أف ٣: ١٦).

سكب الآب الروح القدس من السماء ليشهد علنًا، ويشاهده الذين صلبوه. سكبه على التلاميذ الذين أغلقوا على أنفسهم الأبواب في رعبٍ وخوفٍ، لئلا يحل بهم ما حل بسيدهم. سكبه لكي يتحول خوفهم إلى شجاعة للشهادة للحق، ويتحول حزنهم إلى هتافٍ وتهليلٍ، وضعفهم إلى قوةٍ. يشهدوا بالروح القدس، ويسلموا الشهادة من جيلٍ إلى جيلٍ.

"لأن داود لم يصعد إلى السماوات،

وهو نفسه يقول:

قال الرب لربي اجلس عن يميني". [٣٤]

ما نطق به داود النبي لم يكن يخصه شخصيًا، ولا تحقق معه، بل مع ابن داود.

يقول **القديس يوحنا الذهبي الفم** أن القديس بطرس لم يعد يتكلم بأسلوب متواضع بخصوص يسوع، بل يكشف عن شخصه بأنه هو وليس داود الذي صعد إلى السماوات، وأن الأمر ليس بعجيبٍ، لأنه رب داود، إذ قال: "**قال الرب لربي**".

- إذ هو نفسه أولاً صعد إلى السماء، أحضر الإنسان كعطية لله.

القديس هيبوليتس

"حتى أضع أعداءك موطئًا لقدميك". [٣٥]

لقد عرض الرسول أعمال السيد المسيح والبركات التي قدمها وشهادة الأنبياء له، والآن إن لم يقبلوه خلال الحب، فليلتزموا أن يخضعوا له خلال الخوف، لئلا يسقطوا كأعداءٍ تحت قدميه.

- لا ينجذب البشر بالمنافع بالقدر الذي به يتأدبون خلال الخوف.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"فليعلم يقينًا جميع بيت إسرائيل،

أن اللَّه جعل يسوع هذا الذي صلبتموه أنتم، ربًا ومسيحًا". [٣٦]

يقول **الذهبي الفم** أن القديس بطرس يتحدث بلغة اليقين إلى جميع بيت إسرائيل أنهم ملتزمون بقبول من صلبوه ربًا ومسيحًا.

ما كان يشغل ذهن اليهود هو التمتع بمجيء المسيا، وقد أكد لهم الرسول أنه قد جاء، وعلامات صدق مجيئه هي الآتي:

- قيامته من الأموات بشهادة الكثيرين.
- صعوده إلى السماء.
- جلوسه عن يمين الآب في العظمة.
- بعثه الروح القدس تحقيقًا للنبوات، وهو أول ثمر لمجده بعد الصعود.
- سقوط عدو الخير تحت قدميه، هذا الذي فقد بالصليب سلطانه.

تدرج الرسول بهم خلال شهادة المزامير حتى بلغ بهم إلى نبوة داود النبي عن صعود السيد المسيح وجلوسه عن يمين الآب، وأنه رب داود. وكما يقول الرسول بولس: "لذلك رفعه الله أيضًا وأعطاه اسمًا فوق كل اسم، لكي تجثو باسم يسوع كل ركبةٍ ممن في السماء ومن على الأرض ومن تحت الأرض، ويعترف كل لسانٍ أن يسوع المسيح هو رب لمجد الله الآب" (في ٢: ٩-١١).

الذين أرادوا أن يهبطوا به إلى الهاوية بالصليب نزلوا هم إليها، فحمل مؤمنيه معه إلى السماء، وصار أعداؤه تحت قدميه وأقدام مؤمنيه. لقد أُعلنت ربوبيته وانحنى الكل له، وانسحق إبليس وكل جنوده تحت قدميه.

في بساطة مع عمق لاهوتي، انطلق بهم القديس بطرس خلال النبوات للتعرف على سرّ الخلاص وادراك عمل الصليب، والتلامس مع قيامة السيد المسيح، وصعوده إلى السماء، وجلوسه عن يمين الآب، ليدركوا الخاتمة أن الله أعلن أن الذي صلبوه هو الرب المسيح المخلص. وكأنه يختم حديثه عن السيد المسيح طالبًا من صاليه أن يخلعوا عنهم إنسانهم العتيق، ويلتصقوا بالمصلوب واهب النصرة ومصدر الفرح والسلام السماوي.

v من جانبنا نقول بأنه ليس صحيحًا أن تشير كلمة "**جعل**" إلى الطبيعة الإلهية، إنما تشير إلى "شكل العبد" (في ٢: ٧) الذي وُجد خلال التجسد، في الوقت المناسب لظهوره في الجسد.

القديس غريغوريوس النيسي

استخدم كل من أريوس وأونوميوس هذه العبارة بكونها تخص جوهر الابن أنه من صنع الآب كخليقة، وأنه قد أقامه ربًا ومسيحًا، ورد **القديس أثناسيوس الرسولي** على أريوس، **والقديس باسيليوس** على أونوميوس، وقد أورد **القديس غريغوريوس النيسي** هذا الرد في عمله "ضد أونوميوس" في الكتاب الخامس.

v على أي الأحوال يكتب **باسيليوس الكبير** معبرًا هكذا: "علاوة على هذا فإنه ليس في نية الرسول أن يقدم لنا وجود الابن الوحيد الذي هو قبل الدهور، وإنما يتحدث بوضوح لا عن جوهر الله الكلمة ذاته الذي هو من البدء مع الآب، وإنما عن ذاك الذي أخلى ذاته وأخذ شكل العبد، وصار في الهيئة مطابقًا جسد تواضعنا (في ٣: ٣١)، وصُلب عن ضعف. مرة أخرى يقول: "معروف لكل شخص حتى الذي على مستوى أقل في استخدام عقله في معاني كلمات الرسول أنه لا يضع أمامنا الوجود الإلهي، بل يستخدم تعبيرات تخص التجسد، إذ يقول: "جعله الله ربًا ومسيحًا"، يسوع هذا الذي صلبتموه، مركزًا على الكلمة التي تثبت أنه بشري ويراه الكل.

القديس غريغوريوس النيسي

٥. جاذبية الروح القدس

"فلما سمعوا نُخِسوا في قلوبهم،

وقالوا لبطرس ولسائر الرسل:

ماذا نصنع أيها الرجال الإخوة؟" [٣٧]

لم يدخل معه الحاضرون في حوارٍ ونقاشٍ، لأن الروح القدس الذي أعطى القديس بطرس الكلمة هو أيضًا عمل في قلوب السامعين، فخشوا السقوط تحت الدينونة ومقاومة الحق الإلهي.

نخس الروح القدس نفوس السامعين ليسألوا ماذا يفعلون. وقد جاءت الكلمة اليونانية التي ترجمت "**نُخسوا**" هي ذاتها ترجمت "طعن" عندما طعن واحد من العسكر جنب السيد المسيح بحربةٍ (يو ١٩: ٣٤). فإن كان الأشرار قد طعنوه بالحربة ليضربوا قلبه بجرح مميتٍ، يلقي السيد المسيح بحربة روحه القدوس، ليجرح قلوبهم ويبكتها، فيحملوا جراحات الحب الشافية خلال التوبة الصادقة.

إن كان الروح القدس هو الذي نطق على فم بطرس الرسول، فإنه هو عينه الذي نخس قلوب بعض السامعين ليتجاوبوا مع الكلمة. لقد اصطاد الروح القدس في أول عظة ألقيت في كنيسة العهد الجديد حوالي ثلاثة آلاف نفس دفعة واحدة.

v أترون أية عظمة للطف؟ فإنه ينخس قلوبنا أكثر من أي عنف، ويسبب جرحًا عارمًا... إنه بلطفٍ يذكرهم باعتداءاتهم التي ارتكبوها دون تعليق من جانبه، مضيفًا إلى هذا عطية الله، واستمر يتحدث عن النعمة التي حملت شهادة للحدث. هكذا وقفوا في رهبةٍ من لطف بطرس، إذ كان يحدث أناسًا صلبوا سيده وينفثون إجرامًا من نحو بطرس وزملائه، مع هذا **يتحدث بصفته أبًا حنونًا وليس كمعلم**. إنهم لم يقتنعوا فقط، وإنما دانوا أنفسهم، وأدركوا

تصرفهم في الماضي. إنه لم يعطهم مكانًا أن يثور غضبهم مما يجعل حكمهم مظلمًا، وإنما بكل تواضع بدد غشاوة سخطهم وظلمته، وبعد هذا أظهر لهم اعتداءهم الجريء الذي ارتكبوه. فعندما نقول أننا قد أُضرنا يسعى الطرف المضاد أن يبرهن أنهم ليسوا علة الضرر، ولكن عندما نقول أنه لم يصبنا ضرر بل نحن مخطئون، يأخذ الطرف الآخر الخط المضاد. **فإن أردتم أن تظهروا لعدوكم خطأه احذروا من اتهامه، بل بالأحرى دافعوا عنه، عندئذ حتمًا سيدرك أنه مذنب، فإنه يوجد في الإنسان روح طبيعي لأخذ الموقف المضاد.**

القديس يوحنا الذهبي الفم

v ليتعلّموا أن اللوغوس هو ابن الله، كما قيل فيما سبق، وأنه غير مخلوق، ولا ينبغي أن ينسبوا مثل هذه الألفاظ إلى أهميّته، بل عليهم أن يفتشوا لماذا وكيف كُتبت هذه الأقوال. ومّما لا شك فيه أن تدبير التجسّد الذي صنعه لأجلنا سيجيب على الذين يتساءلون، لأنه عندما قال بطرس: **"جعله ربًا ومسيحًا"**، أضاف في الحال: **"هذا الذي صلبتموه أنتم"** [٣٦]، مما جعل الأمر واضحًا للجميع... إن كلمة **"جعل"** ليست عن جوهر الكلمة - بل عن ناسوته. لأن ما هو الذي صُلب سوى الجسد؟... **"جعله ربًا"**، وليس هذا فحسب، بل **"جعله ربًا لكم"**، و**"فيما بينكم"**. هذا هو ما يعنيه بقوله "تبرهن" [٢٢]... أي أثبت أنه ليس إنسانًا عاديًا، بل هو الله في الجسد، وأنه هو الرب، وهو المسيح... جعله الآب ربًا وملكًا في وسطنا، ولنا، نحن الذين كنّا قبلاً عصاة. فمن الواضح أن هذا الذي يظهر الآن أنه رب وملك، لم يبتدئ أن يصير عندئذٍ ملكًا وربًا، بل ابتدأ يظهر ربوبيّته، وأن تمتد ربوبيّته حتى على الذين يعصونه.

v الكلمة نفسه وهو بالطبيعة الرب الكلمة قد جُعل إنسانًا، ومن خلال صورة العبد صار رب الجميع ومسيحًا، أي لكي يقدّس الجميع بالروح.

البابا أثناسيوس الرسولي

v لم يقتلوه هو بقدر ما قتلوا أنفسهم. لقد خلصوا بواسطة ذاك الذي ذُبح من أجلهم. ولما تحدّث الرسول نُخسوا في ضميرهم، الذي نخس (السيّد) بالحربة. وإذ نُخسوا طلبوا مشورة فأعطيت لهم، أن يتوبوا ويجدوا نعمة، ويؤمنوا أن يتناولوا الدم الذي سفكوه في ثورتهم.

القديس أغسطينوس

"فقال لهم بطرس:

توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا،

فتقبلوا عطية الروح القدس". [٣٨]

v أرسل بطرس الشعب اليهودي التائب عن عمله الشرير لكي يعتمدوا في الحال.

القديس جيروم

v من ييأس من نوال غفران خطاياه إن كانت جريمة قتل المسيح قد غُفرت بالنسبة لمرتكبيها؟... لقد جاءوا إلى مائدة الرب، وبالإيمان شربوا الدم الذي في هياجهم سفكوه.

القديس أغسطينوس

v أية خطية أعظم من أن يصلب الإنسان المسيح؟! ومع هذا فالعماد يغسلها.

v يا لعظمة النعمة التي كانت تعمل في جميع الرسل معًا حتى آمن من اليهود صالبي المسيح هذا العدد العظيم، واعتمدوا باسم المسيح، و"كانوا يواظبون على تعليم الرسل والصلوات" (أع ٢: ١٤).

القديس كيرلس الأورشليمي

من لم يسمع للقديس يوحنا المعمدان حيث نادى بالتوبة (مت ٣: ١-٢)، ولا تجاوب مع كرازة ربنا يسوع الذي نادى أيضًا بالتوبة (مت ٤: ١٧)، يمكنه أن يبدأ الآن خلال عمل الروح القدس، فيقدم توبة أو ميتانويا (ميطانيا) وتعني تغيير القلب والفكر والإرادة، وإعادة النظر إلى حياة الإنسان الداخلية وسلوكه الظاهر. هي إعطاء الوجه لله عوض القفا (إر ٧: ٢٤؛ ٣٢: ٣٣)، وإعطاء القفا للخطية عوض الوجه.

التوبة هي اكتشاف حب الله الفائق، وكما قيل للمرأة الخاطئة: "لأنها أحبت كثيرًا مغفورة لها خطاياها الكثيرة". يجد الخاطي في حب الله مصدر المغفرة والتعزية والفرح الفائق.

يشير **العلامة أوريجينوس** إلى **المعمودية** التي تُقدم حتى للأطفال الصغار "لمغفرة الخطايا" متسائلاً: [خطايا من هذه؟ متى ارتكبوا خطايا؟ أو كيف يمكن شرح غسل المعمودية الذي يحدث حتى مع الأطفال الصغار، إلا حسب شرحنا للأطفال الصغار الذي نتكلم عنه؟ فإنه ليس إنسان بلا غضن، ولو كانت حياته يومًا واحدًا (أي ١٤: ٤- ٥). فإنه بسرّ المعمودية يُنزع كل غضن. ولهذا فإنه حتى الأطفال يعمدون، لأنه "إن كان أحد لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت السماوات". (يو ٣: ٥).]

إذ يعطون الوجه لله بالتوبة يقبلون العماد لنوال البنوة لله. تُغفر لهم خطاياهم ويتمتعون بعطية الروح القدس الذي يسكن في داخلهم.

يمكننا القول بأن التوبة هي قارب النجاة الذي يُقدم نعمة الله للمسافر بعد أن انكسرت السفينة ودمرتها أمواج الخطية وزوابع العصيان. يلزمه أن يلقي بنفسه في هذا القارب. أما العماد فهو التقاء المسافر في حضن أبيه، ودخوله كما إلى مسكنه الأبدي، فيجد راحته في بنوته للآب، وشركته مع الابن الوحيد الجنس، وفرحه بعمل روح الله الساكن فيه. بالتوبة يُقدم الدواء للشفاء من جراحات الخطية، وبالعماد ترتد للإنسان كرامته ليصير بالحق أيقونة المسيح حامل برّه، له حق الشركة في المجد الأبدي.

- لم يقل بعد "آمنوا"، بل "**ليعتمد كل واحد منكم**"، فهذا يتقبلونه في المعمودية. تحدث بعد ذلك على المنافع: "لغفران الخطايا، فتقبلوا عطية الروح القدس". إن كنتم تقبلون العطية، فالمعمودية تهب المغفرة، لماذا تتأخرون؟

القديس يوحنا الذهبي الفم

غسل خطايانا وتجديدنا لا يعني موت الجسد بل موت الشهوات الجسدية أو الإنسان القديم بأعماله، أما الجسد فصالح ومقدس.

- أريد أن يموت هذا الجسد عن الخطيئة. لست أسأل أن يموت الجسد بل ألا يخطئ مرة أخرى. وكما أن الميت يكون جثمانه فوق إمكانية الخطيئة، هكذا الذي يصعد من مياه المعمودية يخلص من الخطيئة. فإن كنتَ قد متَّ في هذه المياه يلزمك أن تبقى ميتًا عن الخطيئة.

- يليق بمن يتوب ألا يلتصق بعد بذات الخطايا التي تاب عنها. لهذا السبب نؤمر بأن نقول: "أجحدك أيها الشيطان" حتى لا نعود بعد إليه.

القديس يوحنا الذهبي الفم

- المعمودية باب يردنا إلى الفردوس، فيها يدخل الإنسان إلى الله ليكون معه.

المعمودية سفينة جديدة حاملة للأموات، بها يقومون ويعبرون إلى بلد الخالدين.

وُضعت المعمودية في العالم لأجل العالم الجديد، فيها يعبر الإنسان من عند الأموات إلى بلد الحياة...

- تعالوا أيها المدينون وادخلوا، خذوا صكّكم مجّانا، فتُمحى ذنوبكم داخل المياه.

تعالوا أيها المساكين، واقتنوا الغنى بالعماد الروحي، وأقيموا الخزانة العظيمة عوض الفقر.

تعال أيها الخروف الضال الذي لسيد القطيع واعتمد، فبك يكمل العدد مائة.

تعال أيها الخاطئ المتعَب، والمنسحق، والمملوء جراحات، واقطع عنك ثقل الإثم بالمعمودية.

تعالوا أيها العميان المُظْلِمون باختيارهم، اعتمدوا لتتفتح أعينكم، وتستضيئوا بابنة النهار.

تعالوا أيها الهالكون، لأن الراعي الصالح قد خرج وراءكم ليجمعكم عند الينبوع...

تعالوا، فإن طرق بيت الله مفتوحة داخل المياه...

تعالوا أيها العتيقون الذين شاخوا وبلوا... اقتنوا تجديدًا في بطن المعمودية الجديد.

مار يعقوب السروجي

"لأن الموعد هو لكم ولأولادكم،

ولكل الذين على بُعد،

كل من يدعوه الرب إلهنا". [٣٩]

هذا الموعد الذي تنبأ عنه يوئيل النبي متسع جدًا، يُقدم حتى "لكل الذين على بعد"، يُقدم لكل البشر. الوعد مُقدم لمن يدعوه الرب الذي هو محب للبشر؛ فمن جانب الرب الدعوة مقدمة للكل. بقي من جانب الإنسان أن يتجاوب مع الدعوة إذ "**كل من يدعو باسم الرب ينجو**، لأنه في جبل صهيون وفي أورشليم تكون نجاة، كما قال الرب وبين الباقين من يدعوه الرب" (يؤ ٢: ٣٢). " سلام، سلام للبعيد وللقريب، قال الرب، وسأشفيه" (إش ٥٧: ١٩).

ما أسهل أن يهمل الإنسان في التمتع بحقوقه، لكن يصعب أن يقبل هذا بالنسبة لنسله. لهذا يؤكد الرسول: "الموعد هو لكم **ولأولادكم**". لهذا قيل: "اسكب روحي على نسلك، وبركتي على ذريتك" (إش ٤٤: ٣)، "روحي الذي عليك، وكلامي الذي وضعته في فمك، لا يزول من فمك، ولا من فم **نسلك**، ولا من فم **نسل نسلك**، قال الرب". (إش ٥٩: ٢١) (تك ١٧: ٧)

"وبأقوالٍ آخر كثيرة كان يشهد لهم ويعظهم قائلاً:

اخلصوا من هذا الجيل الملتوي". [٤٠]

ركز القديس بطرس في تكملة عظته التي لم يسجلها لنا لوقا البشير على خطية ذاك الجيل الذي يدعوه "الجيل الملتوي"، الذين سجلوا على أنفسهم: "دمه علينا وعلى أولادنا". (مت ٢٧: ٢٥) فإذ يقدمون توبة عما فعلوه بالمخلص يتمتعون بالغفران على خطاياهم، أو بالمصالحة مع غافر الخطايا. لقد صار الأمر في سلطانهم، فمن جانب الله قدم كل شيء؛ أعلن الآب حبه ببذل ابنه، ودفع الابن الثمن، وصار الروح القدس حالاً في الكنيسة، فما عليهم إلاَّ أن يقبلوا الروح القدس واهب كل شيء. إنه وقت للخلاص قبل دمارهم الأبدي، وحلول التأديب الإلهي بدمار الهيكل.

إنه يحذرهم من الانضمام إلى غير المؤمنين والأشرار. وكما قال المرتل: "انصرفوا عني أيها الأشرار فاحفظ وصايا إلهي... وكزغلٍ عزلت كل أشرار الأرض، لذلك أحببت شهاداتك". (مز ١١٩: ١١٥، ١١٩)

- أتوسل إليك أيها العزيز المحبوب، وارتمى عند قدميك متوسلاً أن تهبني وتهب نفسك هذه الصلاة الواحدة أن تخلص نفسك من الجيل الملتوي (أع ٢: ٤٠). انسحب أيها العزيز المحبوب من هرطقة أوريجينوس وكل الهرطقات.

القديس أبيفانيوس أسقف سلاميس

"فقبلوا كلامه بفرح،

واعتمدوا،

وانضم في ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف نفس". [٤١]

دعوة الرسول بطرس للتوبة دفعتهم لحياة الفرح، لأنهم قدموا توبة صادقة، وتمتعوا بما كان يشتهيه داود الملك والنبي: "رد لي **بهجة خلاصك**".

علامة عمل الروح القدس هو قبول الكلمة بفرح، مما أهلهم للتوبة والاعتراف بخطاياهم ونوال المعمودية.

v من يحب بحق أن يعيش بحسب الإنجيل، يهدم بداية حالته الشريرة ونهايتها، ويمارس كل فضيلة بالكلام والعمل. إنه يتحرر من كل مضايقات الشهوات، وإذ يتحرر عقله من هذا الصراع يمتلكه رجاء السعادة العتيدة، ولا يعرف شيئًا سوى **الفرح الدائم الذي يغذي النفس.**

القديس مرقس الناسك

يرى البعض أن انضمام الثلاثة آلاف نفس تحقق ليس فقط بخطاب الرسول بطرس وإنما بحديث بقية الرسل أيضًا، هذا بلغةٍ وذاك بلغةٍ أخرى، وكان محصلة الكرازة في خلال اليوم كله ٣٠٠٠ نسمة من كل أورشليم، لهذا قيل: "**وانضم في ذلك اليوم**"، ولم يقل "في تلك الساعة". لم يكن بالأمر الهين أن يترك ٣٠٠٠ نسمة في يومٍ واحد الخضوع لرؤساء الكهنة ومجمع السنهدرين ليعلنوا قبولهم يسوع المصلوب ربًا ومسيحًا.

٦. كنيسة روحية متهللة

"وكانوا يواظبون على تعليم الرسل،

والشركة وكسر الخبز والصلوات". [٤٢]

كلمة "**يواظبون**" في اليونانية تحمل معنى تكريس النفس وتقديمها، أو التفرغ لهذا العمل والالتصاق به.

"**تعليم الرسل**" يشمل الإيمان الحي بيسوع أنه الرب والمسيح مخلص العالم، هذا مع فهمٍ جديدٍ وإدراكٍ لغاية العهد القديم، خاصة ما يحويه من نبوات مسيحيانية، وتعليم التقليد الكنسي الشفاهي الذي تسلموه من السيد المسيح خلال خدمته.

"**الشركة**" مارست الكنيسة الأولى الشركة من جوانب متعددة.

أولاً: شركة الحب العملي الباذل كالاهتمام بالفقراء والمحتاجين والمتألمين والمسجونين والغرباء والحزانى والمرضى.

ثانيًا: شركة في ولائم المحبة، حيث يشترك الكل معًا في الطعام بروح الفرح والمحبة.

ثالثًا: شركة في العبادة معًا كالصلاة والصوم الخ.

رابعًا: الشركة حول الإفخارستيا للتناول من جسد الرب ودمه.

خامسًا: شركة الروح وإدراك الوحدانية على مستوى الأعضاء المتنوعة للجسد الواحد، جسد المسيح المتناغم معًا.

v هنا فضيلتان: المثابرة (المواظبة) والتوافق معًا... كل شيء كان مشتركًا، كل شيء كان في اتحاد.

القديس يوحنا الذهبي الفم

v تصور دائرة تخرج من مركزها أشعة أو خطوط. فبقدر ما تبتعد الخطوط عن المركز بقدر ما تفترق عن بعضها البعض... وبالعكس كلما اقتربت من المركز، تقاربت نحو بعضها البعض.

افترض أن هذه الدائرة هي العالم، ومركز الدائرة هو الله. والخطوط من المركز إلى المحيط أو من المحيط إلى المركز هي طرق حياة البشر. فإننا نجد نفس الأمر، فبقدر ما يتحرك القديسون في داخل الدائرة تجاه المركز، راغبين في الاقتراب من الله، يقترب كل منهم نحو الآخر.

بقدر ما يقترب البشر نحو الله، يقترب كل منهم نحو بعضهم البعض. وبقدر ما يقتربون نحو بعضهم البعض يقتربون نحو الله...

وعندما يبتعدون عن الله ويتجهون نحو الأمور الخارجية... يبتعد كل منهم عن الآخر، وبالتالي يبتعدون عن الله (أكثر)...

هكذا في اقتنائنا للحب أيضًا، بقدر ما نكون خارجًا ولا نحب الله، يبتعد كل منا عن أخيه. ولكننا إن أحببنا الله، فإنه بقدر ما نقترب إليه نتحد بالحب باخوتنا، وبقدر ما نتحد بالحب باخوتنا هكذا نتحد بالله.

الأب دوروثيؤس

v المحبة الكاملة هي أن يود الإنسان أن يقدم حياته من أجل كل البشر. لكن هل يبلغ الحب كل هذا العلو دفعة واحدة؟ لا، فإنه إذ يُولد يحتاج أن ينتعش، وإذ ينتعش يتقوى، وإذ يتقوى يصير كاملاً.

القديس أغسطينوس

"**وكسر الخبز**": التسمية البدائية لسرّ الإفخارستيا.

v لم يستطع الملاك أن يلمس الجمرة النارية بأصابعه، وإنما أحضرها قريبًا من فم إشعياء (إش ٦). لم يمسكها الملاك، ولم يلتهمها إشعياء، أما فسمح لنا ربنا أن نفعل هذا وذاك (بتناولنا جسده ودمه المقدسين).

القديس أفرآم السرياني

v بالحقيقة يعطي المسيح حتى جسده، الذي به ينتعش الذين يؤمنون كأطفال صغار.

القديس هيبوليتس الروماني

"**والصلوات**": بدأوا بالشركة معًا في صلوات الهيكل بما تحتويها من مزامير وتسابيح وصلوات البركات الثمانية عشر حسب المواسم. بجانب هذا كانت لهم صلوات مشتركة معًا في البيوت. بلا شك لم يكن يشغلهم في صلواتهم سوى تقديم التسبيح والشكر لله الذي أشرق عليهم بالنور، واجتذبهم إلى حبه وإدراك أسراره، طالبين ذات العطية لكل نفسٍ بشريةٍ في العالم. لم يكن في أذهانهم شوق إلى مبانٍ كنسية ضخمة، ولا إلى طموحات معينة، سوى نشر الكلمة وبنيان كنيسة المسيح.

v لنخضع نحن أنفسنا للصلاة. إنها سلاح قدير إن قُدمت بغيرة، إن كانت بدون عجب، إن كانت بذهن مخلص. إنها تصد حروبًا، وتفيد الأمة كلها مع عدم استحقاقها. يقول: "سمعت أنينهم ونزلت لأنقذهم" [٣٤]. إنها هي عينها دواء منقذ، له قوة لمنع الخطايا وشفاء الأفعال الشريرة.

القديس يوحنا الذهبي الفم

v لنجتمع معًا في جماعة تقدم صلاة متحدة معًا، ولنصارع معه في طلباتنا، هذا يبهج الله.

العلامة ترتليان

v إن كان لكم الابن نفسه، ابن الله الوحيد، كمجد العماد، فلماذا أتكلم بعد عن إنسان؟! حقًا كان يوحنا (المعمدان) عظيمًا، لكن ماذا يكون يوحنا بجانب الرب؟! أنه صوت صارخ، لكن ماذا يكون إن قورنت بالكلمة؟!

هذا الرسول نبيل جدًا، لكن ماذا يُحسب إن قورن بالملك؟!

نبيل هو هذا الذي عمد بماء، لكن ماذا يكون إن قورن بالذي يعمد بالروح القدس ونار؟! إذ عمد المخلص الرسل بالروح القدس ونار (مت ٣:١١)، عندما صار بغتة من السماء صوت كما من هبوب ريح عاصفة، وملأ كل البيت حيث كانوا جالسين. وظهرت لهم ألسنة منقسمة كأنها من نار، واستقرت على كل واحدٍ منهم، وامتلأ الجميع من الروح القدس".

القديس كيرلس الأورشليمي

"وصار خوف في كل نفس،

وكانت عجائب وآيات كثيرة تُجرى على أيدي الرسل". [٤٣]

"**وصار خوف في كل نفس**": ملأ الروح القدس الكنيسة بروح المهابة، خاصة وأن كثيرين منهم كانوا قبلاً قد اشتركوا في صلب السيد المسيح أو قبلوا ذلك.

امتلأ الكل بمخافة الرب التي هي رأس الحكمة، وثمر الروح القدس، الذي قيل عنه: "يحل عليه روح الرب، روح الحكمة والفهم، روح المشورة والقوة، روح المعرفة ومخافة الرب" (إش ١١: ٢).

v خوف الرب يحث النفس على حفظ الوصايا، وعن طريق حفظ الوصايا يُشيد منزل النفس.

v إذًا ليتنا نخاف الرب ونُشيد منازل لأنفسنا، حتى نجد مأوى في الشتاء حيث المطر والرعد، لأن من لا منزل له يعاني من مخاطرٍ عظيمةٍ في وقت الشتاء.

الأب دوروثيؤس

v إن أراد أحد أن ينال حب الله، فليكن فيه **مخافة الرب**، لأن الخوف يولّد بكاء، والبكاء يولد قوة. وإذا ما كملت هذه كلها في النفس، تبدأ النفس تثمر في كل شيء. وإذ يرى الله في النفس هذه الثمار الحسنة، يشتمها رائحة بخور طيبة، ويفرح بها هو وملائكته، ويشبعها بالفرح، ويحفظها في كل طرقها حتى تصل إلى موضع راحتها دون أن يصيبها ضرر.

إذ يرى الشيطان الحارس العلوي العظيم يحيط بالنفس، يخاف أن يقترب منها أو يهاجمها بسبب هذه القوة العظيمة.

إذًا، اقتنوا هذه القوة حتى ترتعب الشياطين أمامكم، وتصير أعمالكم سهلة، وتتلذذوا بالعمل الإلهي، لأن حلاوة حب الله أشهي من العسل.

حقًا إن كثيرين من الرهبان والعذارى في المجامع لم يتذوقوا هذه الحلاوة الإلهية، ولم يقتنوا القوة الإلهية، ظانين أنهم قد نالوها، بالرغم من عدم جهادهم. أما من يجاهد لأجلها فينالها حتمًا خلال المراحم الإلهية، لأن الله لا يحابي الوجوه.

فمن يريد أن يكون له نور الله وقوته، يلزمه أن يستهين بكرامات هذا العالم ودنسه، ويبغض كل أمور العالم ولذة الجسد، وينقي قلبه من كل الأفكار الرديئة. ويقدم لله أصوام ودموعًا ليلاً ونهارًا بلا هوادة كصلوات نقية، عندئذ يفيض الله عليه بتلك القوة.

اجتهدوا أن تنالوا هذه القوة، فتصنعوا كل أعمالكم بسهولة ويُسر، وتصير لكم دالة عظيمة قدام الله، ويهبكم كل ما تطلبونه.

القديس أنطونيوس الكبير

أخيرًا سند الروح القدس الرسل بإجراء عجائب وآيات كثيرة باسم ربنا يسوع.

"وجميع الذين آمنوا كانوا معًا،

وكان عندهم كل شيءٍ مشتركًا". [٤٤]

قبل أن يشير الإنجيلي لوقا عن الشركة في الممتلكات والاحتياجات تحدث عن شركة الروح والقلب والفكر، قائلاً: "**كانوا معًا**". من الجانب الجسماني لا يمكن القول بأن المائة وعشرين مضافًا إليهم الثلاثة آلاف نسمة قد صاروا معًا في حجرة واحدة أو بيتٍ واحدٍ يتحركون معًا طول اليوم، وإنما كانوا معًا بالروح والفكر والحب الحقيقي.

v **فجأة صار الجميع ملائكة**؛ واظب الكل على الصلاة والاستماع، متطلعين إلى الأمور الروحية أنها مشتركة، ليس لأحد شيء أكثر من الآخر. جاءوا بسرعة معًا إلى ما هو عام، حتى في العطاء للكل...

إنها دولة ملائكية، ليس فيهم من ينسب شيئًا إلى نفسه. لقد نُزع جذر الشر فورًا. ما فعلوه أظهروا ما قد سمعوه، هذا الذي قيل: "اخلصوا من هذا الجيل الملتوي" (أع ٢: ٤٠).

v وحدة عشرة أشخاص أتقياء يجعلون من الواحد عشرة. بالتبعية كل واحدٍ منهم يمكنه أن يعمل خلال عشرين يدًا ويرى خلال عشرين عينًا؛ وكل واحد ينال رعاية كما للعشرة، كما يهتم هو بنفسه. لهذا فإن الأعين والأيادي والأقدام التي للعشرة تخدم كل واحدٍ منهم. فلا يكتفي إنسان بأن يهتم بنفسه وحده، بل يهتم أيضًا بالآخرين. بهذا يستطيع الواحد أن يفعل أمورًا كثيرة لأنه يحمل طاقات العشرة. إذن متى وُجدت وحدة بين مائة شخص تقي، كل واحد يحمل طاقة مائة شخص.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"والأملاك والمقتنيات كانوا يبيعونها،

ويقسمونها بين الجميع،

كما يكون لكل واحدٍ احتياج". [٤٥]

لم يُلزم الرسل المؤمنين بقانونٍ معين بخصوص العطاء، بل صار المؤمنون يعشقون الحب الباذل والعطاء بسخاء حبًا في الله. إذ وهبهم الروح القدس ما هو لله، نسوا ما هو لهم، وحسبوا كل ما بين أيديهم لا يساوي شيئًا مقابل اقتناء اللؤلؤة الكثيرة الثمن.

v لم يتصرفوا بطيشٍ مثل بعض الفلاسفة اليونانيين الذين منهم من تخلوا عن أراضيهم، ومنهم من ألقى أمواله في البحر بكميات هائلة، لكن هذا لا يعني استخفافًا بالثروات، وإنما هو غباوة وجنون. فإن الشيطان يسعى بأن يستهين الإنسان بخليقة الله، كما لو كان من المستحيل استخدام الثروات بطريقة صالحة.

القديس يوحنا الذهبي الفم

قدمت الكنيسة بالحب، وليس بالأوامر والقوانين، مثلاً حيًا أمام العالم كيف يمكن خلال الشركة أن يشبع الكل ويفرحون ويتهللون، ولا يوجد بينهم من هو في احتياج.

v إطعام الجائعين أعظم من إقامة الموتى.

v تطلع كم وهبك الله، خذ منه احتياجك، وما تبقى وأنت لا تحتاج إليه يحتاج إليه الغير.

v قدّم له الكرامة التي يطلبها بنفسه، بتقديم مالك للفقراء.

القدّيس يوحنا الذهبي الفم

"وكانوا كل يوم يواظبون في الهيكل بنفسٍ واحدةٍ،

وإذ هم يكسرون الخبز في البيوت،

كانوا يتناولون الطعام بابتهاج وبساطة قلب". [٤٦]

بالحب افرغوا أنفسهم من كل اهتمامٍ مقلق، وكرسوا قلوبهم وحياتهم للعبادة المشتركة والحياة المشتركة، فتحولت حياتهم كما إلى عرسٍ دائمٍ، صاروا فرحين مبتهجين حتى أثناء تناولهم الطعام معًا.

v تذكر يا عزيزي أننا لن نكف عن الصلاة حتى نرى اليوم الذي نصير فيه جميعنا واحدًا، غير منقسمين في الفكر، وفي المجمع الواحد. حقا إننا نكون غرباء عن الله إن كنا نفرح بالانشقاقات والانقسامات التي تهدد الكنيسة.

القديس باسيليوس الكبير

v لاحظوا يا إخوة واعرفوا ما هو سرّ الثالوث، كيف يقال يوجد الآب والابن والروح القدس، ومع هذا فالله واحد. انظروا كان يوجد ألوف (من المؤمنين) ولكنه يوجد قلب واحد، يوجد ألوف ونفس واحدة... ليقتربوا إلى الله، فيصير الكل نفسًا. إن كان بالاقتراب إلى الله القدوس تصير النفوس الكثيرة بالحب نفسًا واحدة، وتصير القلوب الكثيرة قلبًا واحدًا، فماذا يكون ينبوع الحب في الآب والابن؟

القديس أغسطينوس

لم يفارقوا الهيكل، ولا حملوا روح العداوة لليهود، لكنهم دون شك لم يشتركوا في تقديم ذبائح حيوانية، وقد بقوا هكذا حتى طردوهم ومنعوهم من دخوله والشركة في العبادة معهم.

بقوله: "**في البيوت**" واضح أن كل جماعة تتحدث بلغةٍ معينةٍ كانت تجتمع معًا مع رسولٍ أو أكثر ممن وُهب لهم عطية التكلم بهذه اللغة، ليمارسوا العبادة بلغتهم المفهومة بالروح والعقل معًا.

v لقد طرحوا ثرواتهم وفرحوا، وصارت لهم بهجة عظيمة، إذ نالوا غنى أعظم بدون تعبٍ. ليس من يوبخ، ولا من يحسد، ولا من يتذمر؛ ليس من كبرياءٍ ولا احتقار للغير بينهم. حسبوا أنفسهم كأطفالٍ تحت التعليم، كأطفالٍ حديثي الولادة، هكذا كانت نزعتهم.

v لم يعرف الفقراء العار، ولا الأغنياء التباهي؛ وهذه هي البهجة. يشعر الآخرون أنهم الفريق الملتزم السعيد (بالعطاء)، والأولون شعروا بأنهم مُكرمون هنا، وقد التصقوا تمامًا معًا.

v لم يعد يُوجد خوف في أحدٍ مع أنهم كانوا في وسط المخاطر.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"**بساطة قلب**": للآسف تشوهت صورة البساطة، وصار كثيرون يحسبونها جهالة أو عدم حكمة أو توقف عن التفكير الجاد، مع أن الله نفسه يُوصف بأنه بسيط. فبساطة القلب هي شركة في إحدى سمات الله نفسه، حيث لا يوجد في القلب طريقان مختلطان مع بعضهما البعض، بل طريق واحد مستقيم بلا اعوجاج ولا امتزاج بطريقٍ آخر. وقد قدم لنا **القديس فيلوكسينوس** فصلاً رائعًا عن "البساطة" سبق لنا نشره.

v مكتوب: "مطوبة هي كل نفس بسيطة" (أم ١١: ٢٥) مرة أخرى: "من يسلك بالبساطة يمشي في آمان" (أم ١٠: ٩). تقول: "حقًا، لكن التعقل أيضًا مطلوب". أسألك: ما هي البساطة سوى التعقل؟ فحينما لا تشتبه في شر لا تستطيع أن تختلق شرًا، وحينما لا تساورك قلاقل لا تقدر أن تتذكر المضرات. هل شتمك أحد؟ إنك لم تتألم. هل سبَّك أحد؟ لم يصبك أي ضرر. هل حسدك أحد؟ لازال لم يصبك ضرر ما. **البساطة هي الطريق العلوي للفلسفة الحقيقية.** ليس من جمالٍ للنفس مثل تلك التي للبسيط... من له هذه السمة يمكنه بسهولة أن يقيم له صديقًا، وإذا حدث اختلاف بينهما بسهولة يمكنه التصالح. لا يحتاج مثل هذا إلى حرس ولا إلي قوات مخفر أمامية، ولا يحتاج إلى قيود وأغلال، إنما حريته عظيمة وحرية من يلتصقوا به، ربما تقول: ما هو موقف مثل هذا إن سقط بين أناس أشرار؟ الله الذي أمرنا أن نكون بسطاء في الذهن يبسط يده. من كل بريئًا أكثر من داود؟ ومن كان أشر من شاول؟ ومع هذا من الذي غلب؟ أيضًا في أمر يوسف، ألم يقترب إلى زوجة سيده فى بساطة هذه التي استخدمت معه فنون الشر؟ نعم، أسألك ما الذي أصابه ضرر؟ علاوة على هذا من كل أكثر بساطة من هابيل؟ ومن كان أكثر دهاء من قايين؟

القديس يوحنا الذهبي الفم

v لقد أعطانا ربنا مبدأ سهلاً في بشارته، ألا وهو الإيمان الحق البسيط. فالبساطة ليست هي المعروفة في العالم بالبلادة والخرافة، بل **هي فكر وحيد بسيط، يسمع ولا يفحص، ويقبل ولا يبحث...** دُعي إبراهيم وخرج تابعًا الله وما فحص صوت المنادي له، ولم يعقبه الأقارب ولا الأصدقاء ولا المقتنيات ولا أي شيء من رباطات البشرية. أنظر الآن، وليكن خروجك مثله، ولا تتأخر عن صوت المسيح الذي دعاك ببشارته قائلاً: "من يريد أن يكون لي تلميذًا، فلينكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعني" (لو ٩: ٢٣). وقد أظهر هذه الدعوة لجميع الناس، وهكذا دُعى الرسل فتركوا شباكهم وتبعوه (مر ١: ١٨)، وإذ لم يكن لهم من متعلقات ثقل محبة العالم انصاعوا لصوت الذي دعاهم.

v افرح بالبساطة لتجعلك محبوبًا عند الله والناس. وإن ظننت أن الناس يستهزئون بك، ويحسبونك جاهلاً أبلهًا بلا عقل أو إفراز، فليكن معلومًا عندك أنه ليس صلاح بلا عثرة. فإن كنت تهرب من معوقات الخير فلا يمكنك أبدًا أن تقتني فضيلة.

مار فيلوكسينوس

v الذين كانوا مرتعبين وخائفين وثبوا بعد أن نالوا الروح القدس في وسط المخاطر، وجردوا أنفسهم للمعركة ضد وحوش جديدة نارية متوحشة... وإذ كانوا أميين جهلة دخلوا في مباحثات بكل جرأة أدهشت السامعين لهم. فالروح جعل منهم رجالاً جددًا من أناسٍ من الطين، ووهبهم أجنحة، وسمح لهم ألا يهزمهم شيء بشري.

هكذا هي تلك النعمة، إن وجدت قنوطًا تبدده، وإن وجدت شهوات شريرة تحطمها، وان وجدت جبنًا تطرده خارجًا، ولا تسمح لشخصٍ يشترك فيها أن يصير بعد ذلك إنسانًا مجردًا، وإنما كمن تنقله إلى السماء نفسها وتجعله أن يتشبه بكل ما هو هناك. بهذا لا يقول أحد بأن أي شيء مما يملكه أنه له، بل يستمرون في الصلاة والتسبيح ووحدانية القلب. فإن هذا هو ما يطلبه الروح القدس بالأكثر. فإن ثمر الروح هو فرح، سلام، إيمان، وداعة (غل ٥: ٢٢- ٢٣).

القديس يوحنا الذهبي الفم

٧. كنيسة ولود

"مسبّحين اللَّه،

ولهم نعمة لدى جميع الشعب،

وكان الرب كل يوم يضم إلى الكنيسة الذين يخلصون". [٤٧]

كانوا كنيسة متهللة دائمة التسبيح بسبب ما تمتع به جميع الشعب من نعمة إلهية. كان الشعب في حالة شبع روحي يفيض فرحًا على كل نفس في الداخل وعلى كل وجه. تهتم الكنيسة بالتسبيح، لأنه عمل ملائكي، وهو العمل الوحيد الذي لن يتوقف بخروجنا من هذا العالم. التسبيح سند للمؤمن وسط وادي هذا الدموع، يبتلع كل ضيق أو حزن أو مرارة، ليحيا المؤمن كما في وليمة سماوية دائمة.

أما النعمة التي يتمتع بها الشعب جميعه فهي نعمة الثالوث القدوس العامل بلا توقف في حياتهم. وقد سبق لنا تقديم ملحق للإصحاح الأول من إنجيل يوحنا عن "نعمة فوق نعمة" يمكن الرجوع إليه.

أما ثمرة الحياة المتهللة بالرب الدائمة التسبيح فهي: "**وكان الرب كل يوم يضم إلى الكنيسة الذين يخلصون**". هذا هو عمل النعمة الإلهية في حياة الشعب المتهلل بالروح الدائم التسبيح.

من وحي أعمال الرسل ٢

لأنطق باللسان الناري!

v مع نسمات الريح الهادئة صعدت يا مخلصي إلى السماء!

ارتجت السماء كلها بالبهجة والتهليل،

فقد دخل ابن الإنسان يحمل البشرية فيه إلى العرش الإلهي.

v أرسلت روحك إلى أرضنا مثل ألسنة نارية!

لكي تهتز أعماقي بصوتٍ كما من هبوب ريح عاصفٍ.

حقًا وهبتني روحك القدوس الناري ساكنًا فيَّ.

v روحك الناري يحولني إلى خادمٍ ناري.

حتى صمتي وسكوني الداخلي ينطق كما بلسانٍ ناري،

لسان الحب الفائق الذي يجتذب الكثيرين إليك!

v أنت تعلم إني أميّ، عاجز عن النطق بالإلهيات.

روحك الساكن فيّ،

يتكلم بي في قلوب الكثيرين.

هو وحده يعرف لغة كل إنسانٍ وفكره وأحاسيسه وعلله.

هو وحده يتكلم مع كل بشرٍ بثقافته الداخلية.

v روحك يشبع احتياجات الكل.

يسكب فرحًا وتعزية في قلوب الحزانى والمتألمين.

يملأ النفس ويشبعها،

فلا تكون في عوزٍ.

يشرق في داخلها،

فتتبدد مملكة الظلمة،

يتسلم عجلة قيادتها،

فلا يقدر عدو أن يقتحمها.

يرفعها إلى السماء،

فلا يقدر العالم أن يهبط بها.

حقًا إنه يهبني لسانًا ناريًا واهب النور،

فيجتذب الكثيرين!

- مع بطرس أجبن أن أشهد لك أمام جارية،

لكن بروحك تقتنص بي الألوف،

ليصيروا أعضاء في جسدك.

١ و لما حضر يوم الخمسين كان الجميع معا بنفس واحدة
٢ و صار بغتة من السماء صوت كما من هبوب ريح عاصفة و ملا كل البيت حيث كانوا جالسين
٣ و ظهرت لهم السنة منقسمة كانها من نار و استقرت على كل واحد منهم
٤ و امتلا الجميع من الروح القدس و ابتداوا يتكلمون بالسنة اخرى كما اعطاهم الروح ان ينطقوا
٥ و كان يهود رجال اتقياء من كل امة تحت السماء ساكنين في اورشليم
٦ فلما صار هذا الصوت اجتمع الجمهور و تحيروا لان كل واحد كان يسمعهم يتكلمون بلغته
٧ فبهت الجميع و تعجبوا قائلين بعضهم لبعض اترى ليس جميع هؤلاء المتكلمين جليليين
٨ فكيف نسمع نحن كل واحد منا لغته التي ولد فيها
٩ فرتيون و ماديون و عيلاميون و الساكنون ما بين النهرين و اليهودية و كبدوكية و بنتس و اسيا
١٠ و فريجية و بمفيلية و مصر و نواحي ليبية التي نحو القيروان و الرومانيون المستوطنون يهود و دخلاء
١١ كريتيون و عرب نسمعهم يتكلمون بالسنتنا بعظائم الله
١٢ فتحير الجميع و ارتابوا قائلين بعضهم لبعض ما عسى ان يكون هذا
١٣ و كان اخرون يستهزئون قائلين انهم قد امتلاوا سلافة
١٤ فوقف بطرس مع الاحد عشر و رفع صوته و قال لهم ايها الرجال اليهود و الساكنون في اورشليم اجمعون ليكن هذا معلوما عندكم و اصغوا الى كلامي
١٥ لان هؤلاء ليسوا سكارى كما انتم تظنون لانها الساعة الثالثة من النهار
١٦ بل هذا ما قيل بيوئيل النبي
١٧ يقول الله و يكون في الايام الاخيرة اني اسكب من روحي على كل بشر فيتنبا بنوكم و بناتكم و يرى شبابكم رؤى و يحلم شيوخكم احلاما
١٨ و على عبيدي ايضا و امائي اسكب من روحي في تلك الايام فيتنباون
١٩ و اعطي عجائب في السماء من فوق و ايات على الارض من اسفل دما و نارا و بخار دخان
٢٠ تتحول الشمس الى ظلمة و القمر الى دم قبل ان يجيء يوم الرب العظيم الشهير
٢١ و يكون كل من يدعو باسم الرب يخلص

٢٢ ايها الرجال الاسرائيليون اسمعوا هذه الاقوال يسوع الناصري رجل قد تبرهن لكم من قبل الله بقوات و عجائب و ايات صنعها الله بيده في وسطكم كما انتم ايضا تعلمون

٢٣ هذا اخذتموه مسلما بمشورة الله المحتومة و علمه السابق و بايدي اثمة صلبتموه و قتلتموه

٢٤ الذي اقامه الله ناقضا اوجاع الموت اذ لم يكن ممكنا ان يمسك منه

٢٥ لان داود يقول فيه كنت ارى الرب امامي في كل حين انه عن يميني لكي لا اتزعزع

٢٦ لذلك سر قلبي و تهلل لساني حتى جسدي ايضا سيسكن على رجاء

٢٧ لانك لن تترك نفسي في الهاوية و لا تدع قدوسك يرى فسادا

٢٨ عرفتني سبل الحياة و ستملاني سرورا مع وجهك

٢٩ ايها الرجال الاخوة يسوغ ان يقال لكم جهارا عن رئيس الاباء داود انه مات و دفن و قبره عندنا حتى هذا اليوم

٣٠ فاذ كان نبيا و علم ان الله حلف له بقسم انه من ثمرة صلبه يقيم المسيح حسب الجسد ليجلس على كرسيه

٣١ سبق فراى و تكلم عن قيامة المسيح انه لم تترك نفسه في الهاوية و لا راى جسده فسادا

٣٢ فيسوع هذا اقامه الله و نحن جميعا شهود لذلك

٣٣ و اذ ارتفع بيمين الله و اخذ موعد الروح القدس من الاب سكب هذا الذي انتم الان تبصرونه و تسمعونه

٣٤ لان داود لم يصعد الى السماوات و هو نفسه يقول قال الرب لربي اجلس عن يميني

٣٥ حتى اضع اعداءك موطئا لقدميك

٣٦ فليعلم يقينا جميع بيت اسرائيل ان الله جعل يسوع هذا الذي صلبتموه انتم ربا و مسيحا

٣٧ فلما سمعوا نخسوا في قلوبهم و قالوا لبطرس و لسائر الرسل ماذا نصنع ايها الرجال الاخوة

٣٨ فقال لهم بطرس توبوا و ليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا فتقبلوا عطية الروح القدس

٣٩ لان الموعد هو لكم و لاولادكم و لكل الذين على بعد كل من يدعوه الرب الهنا

٤٠ و باقوال اخر كثيرة كان يشهد لهم و يعظهم قائلا اخلصوا من هذا الجيل الملتوي

٤١ فقبلوا كلامه بفرح و اعتمدوا و انضم في ذلك اليوم نحو ثلاثة الاف نفس

٤٢ و كانوا يواظبون على تعليم الرسل و الشركة و كسر الخبز و الصلوات

٤٣ و صار خوف في كل نفس و كانت عجائب و ايات كثيرة تجرى على ايدي الرسل

٤٤ و جميع الذين امنوا كانوا معا و كان عندهم كل شيء مشتركا

٤٥ و الاملاك و المقتنيات كانوا يبيعونها و يقسمونها بين الجميع كما يكون لكل واحد احتياج

٤٦ و كانوا كل يوم يواظبون في الهيكل بنفس واحدة و اذ هم يكسرون الخبز في البيوت كانوا يتناولون الطعام بابتهاج و بساطة قلب

٤٧ مسبحين الله و لهم نعمة لدى جميع الشعب و كان الرب كل يوم يضم الى الكنيسة الذين يخلصون

الباب الثاني

في أورشليم

ص ٣ - ص ٧

الأصحاح الثالث

شفاء كسيح

كنز الكنيسة: اسم يسوع المسيح

في الاصحاحين السابقين رأينا كيف أعد السيد المسيح الكنيسة لكي تنطلق للعمل لحساب ملكوت الله. ففي الأصحاح الأول أوضح أن **رأسها سماوي** (الصعود) فيليق بها أن تكون سماوية، وفي الأصحاح الثاني رأينا **قائدها هو الروح القدس الناري** لكي تلتهب بالحب الناري. الآن يبدأ العمل في أورشليم كوصية السيد المسيح، فيقدم لنا القديس لوقا حقيقة إنجيلية هامة وهي أن **كنز الكنيسة هو اسم يسوع المسيح.**

١. شفاء الأعرج باسم يسوع الناصري ١-١٠.

٢. حديث عن الإيمان باسم يسوع ١١-١٦.

٣. شهادة كل الأنبياء ليسوع ١٧-٢٦.

١. شفاء الأعرج باسم يسوع الناصري

"كانت عجائب وآيات كثيرة تُجرى على أيدي الرسل" (أع ٢: ٤٣). لم تتم العجائب والمعجزات بطريقة عشوائية، ولا لاستعراض إمكانيات الرسل، وإنما كانت هادفة نحو جذب كل نفسٍ للتمتع بأعظم أعجوبة؛ حب الله الفائق المُعلن على الصليب. ولم يسرد لنا سفر الأعمال إلاَّ أمثلة قليلة هادفة عبر كل الأجيال ليدرك الكل إمكانيات كنيسة الله لملكوت إلهي على الأرض.

"وصعد بطرس ويوحنا معًا إلى الهيكل،

في ساعة الصلاة التاسعة". [١]

كان القديسون بطرس ويعقوب ويوحنا، الجماعة المختارة من الرسل لمرافقة السيد المسيح في كثير من الأحداث، يُحسبون أعمدة (غل ٢: ٩). وحدهم رافقوا السيد المسيح في تجليه (مر ٩: ٢٠)، وكانوا أقرب من غيرهم في بستان جثسيماني (مر ١٤: ٣٣).

مع اختلاف طبع القديس بطرس عن القديس يوحنا لكنهما ارتبطا بعلاقة صداقة عجيبة. كان الأول يتسم بالغيرة والاندفاع، والثاني بالهدوء والحب. أنكر الأول السيد المسيح ثلاث مرات أثناء محاكمته، بينما رافق الثاني السيد حتى الصليب. ومع هذا نجد السيد يختارهما كرفيقين يُعدان له الفصح (لو ٢٢: ٨). هذا وواضح من سفر الأعمال أن التصاقهما ببعضهما البعض تزايد بالأكثر بعد قيامة السيد المسيح وصعوده إلى السماء. وكانا عضوي البعثة التي بعثها الرسل لتسليم أهل السامرة الإيمان والعماد (أع ٨: ١٤). وكانا في صحبة عند زيارتهما لقبر السيد المسيح (يو ٢٠: ٢).

كان لكل من القديسين بطرس ويوحنا أخ من بين التلاميذ، ومع هذا فإن ارتباطهما معًا أقوى بكثير من ارتباط كل منهما بأخيه حسب الجسد. هكذا كثيرًا ما تكون الصداقة في المسيح يسوع وفي العمل الروحي أقوى من الرباط الدموي.

- لا يوجد علاج مؤثر لشفاء الأوجاع مثل الصديق الصادق الذي يعزيك في ضيقاتك.
- بحق ليكن لك صديق يُدعى "نصف نفسي".

v لا توجد صداقة حقيقيّة ما لم تجعلها كوصلة تلحم النفوس، فتلتصق معًا بالحب المنسكب في قلوبنا بالروح القدس.

القدّيس أغسطينوس

v بين هذه الأنواع جميعها يوجد نوع واحد من الحب لا ينحل، حيث يقوم فيه الاتحاد لا على التعارف أو بغية نوال شفقة أو ربح أو بسبب نوع من العلاقات التجارية أو بحكم ضرورة الطبيعة، إنما ببساطة **لأجل التشابه في الفضيلة. هذا الحب، أقول، لا تهزه الظروف، ولا يؤثر فيه أو يفسده عامل الزمن أو المكان، بل ولا يقدر الموت أن ينزعه. هذا هو الحب الحقيقي الذي لا ينكسر، والذي لا تنفصم رباطاته بسبب اختلاف الميول أو أي اضطراب من جهة الرغبات المتضاربة.**

الأب يوسف

"**وصعد بطرس ويوحنا معًا إلى الهيكل**"، فقد كان بناء الهيكل مرتفعًا قليلاً عن بقية المدينة، لذلك قيل: "**صعد**". قد سبق فرأينا التزام التلاميذ والرسل بالعبادة بانتظام في الهيكل (أع ٢: ٤٦).

"**في ساعة الصلاة التاسعة**": كان اليهود يمارسون ثلاثة سواعي للصلاة: الثالثة والسادسة والتاسعة. يقول داود النبي: "مساءً وصباحًا وظهرًا أشكو وأنوح، فيسمع صوتي" (مز ٥٥: ١٧). وقد التزم دانيال بهذا في أرض السبي (دا ٦: ١٠). وقد ظلت الكنيسة الأولى محافظة على كل طقوس العبادة اليهودية والاشتراك في الصلوات في الهيكل في المواعيد المحددة، ولكن بفكرٍ مسيحيٍ جديدٍ ومفاهيمٍ جديدةٍ.

v وقت الساعة التاسعة، فنصلي كالرسل... وهو وقت تسليم الرب (روحه) على الصليب.

القديس باسيليوس الكبير

"وكان رجل أعرج من بطن أمه يُحمل،

كانوا يضعونه كل يوم عند باب الهيكل،

الذي يُقال له الجميل،

ليسأل صدقة من الذين يدخلون الهيكل ". [٢]

قصة شفاء أعرج من بطن أمه هي معجزة من بين كثير من المعجزات التي وهبها الروح القدس للرسل ليتمموها باسم يسوع المصلوب، لكن الروح اختارها لتحمل معنى خاصًا.

تمت المعجزة على أيدي بطرس ويوحنا، في هذه القصة المختصرة يتكرر اسمي الرسولين ثلاث مرات لتأكيد أن الاسمين يحملان معنى رمزيًا يمس حياة الكنيسة وحياة كل مؤمن صادق يود التمتع بعمل الروح القدس في أعماقه. الأول يمثل الإيمان حيث كلمة بطرس معناها "صخرة"، ويوحنا يمثل الحب الذي به نتعرف على الرب ونراه، إذ وحده بين التلاميذ عرفه عند بحر طبرية، وقال لبطرس: "هو الرب" (يو ٢١: ٧). وكأن عمل الروح يتجلى في الكنيسة خلال الإيمان العامل بالمحبة.

كان الشخص أعرج من بطن أمه، وكأن عمل الروح هنا أشبه بالخلق، فهو يجدد الطبيعة البشرية، ويهبنا "خلقة جديدة" قادرة على السير في الطريق، أي في المسيح، لنعبر إلى حضن الآب. أما الإشارة إلى أنه أعرج من بطن أمه، ففيه تأكيد أن المعجزة ليس فيها أي نوع من الخداع، فهو أعرج منذ ولادته، ويُحمل إلى الهيكل، ويعرفه كل سكان أورشليم.

كان الأعرج يُحمل ويُوضع عند باب الهيكل، الذي يُقال له الجميل، يطلب صدقة. فهو عاجز عن الحركة، يحتاج إلى من يحمله؛ وُضع خارجًا في فقرٍ يستعطي.

باب الجميل: هو الباب الرئيسي المؤدي إلى رواق النساء ورواق إسرائيل ورواق الكهنة، فيعبر به كل الشعب اليهودي من رجال ونساء وشيوخ وأطفال، كما يعبر به الكهنة واللاويون، فالشهادة للسيد المسيح موجهة لكل الداخلين إلى الهيكل لممارسة صلاة الساعة التاسعة، بلا تمييز بينهم. يرى د. لايتفوت Lightfoot أن باب الجميل هو الباب المؤدي من دار الأمم إلى دار اليهود، بهذا يلتقي به اليهود سواء كانوا من الرجال أو النساء دون الأمم، إذ كان يترفع عن أن يمد يده ليأخذ عطاء من أممي.

يرى د. هويتبي Whitby أن باب الجميل هو مدخل الهيكل مسكن الله. جمال الهيكل لا يعيبه وجود أعرج فقير يستعطي، فإن **الحب الذي يقدمه المصلون وروح العطاء هو جزء لا يتجزأ من جمال بيت الله.**

- ليكن في كل أسرة موضع يختفي المسيح فيه في أشخاص الجائعين والعطشى الغرباء.
- ليس شيء يجعلنا هكذا مقرّبين من اللَّه وعلى شبهه مثل هذا العمل الحسن!
- تُصعد الرحمة الإنسان إلى علوٍ شامخٍ وتعطيه دالة بليغة عند اللَّه.

فكما أن الملكة متى أرادت الدخول إلى موضع الملك لا يجسر أحد من رجال البلاط أن يمنعها أو يسألها عن المكان الذي تريد الذهاب إليه، بل جميعهم يستقبلونها بابتهاج، هكذا من يصنع الرحمة والصدقة يمتثل أمام عرش الملك بدون عائق، لأن الإله يحب الرحمة حبًا شديدًا، وهي تبقى بالقرب منه، لذلك قال الكتاب: "قامت الملكة عن يمينك". ذلك، لأن الرحمة مفضّلة عند الإله، إذ جعلته يصير إنسانًا لأجل خلاصنا.

القدّيس يوحنا ذهبي الفم

- أعطِ المساكين، وهلمّ بدالة قدّم صلواتك، أي تحدّث مع الإله كما يتحدّث الابن مع أبيه، فليس شيء يقدر على دنو القلب إلى الباري مثل الرحمة.

مار اسحق السرياني

- القدّيسون الذين يقطنون الأرض يقطنون السماء بقلوبهم بالرغم من أنهم يسيرون على الأرض بأجسادهم. فليس باطلاً تنبيههم: "ارفعوا قلوبكم"، فيجيبون أنهم قد رفعوها. لم يقل باطلاً: "فإن كنتم قد قمتم مع المسيح، فاطلبوا ما فوق حيث المسيح جالس عن يمين اللَّه"، اهتموا بما فوق لا بما على الأرض. فبقدر اختلاطهم بالسماويّات يحملون اللَّه، ويكونون سماءً، لأنهم كرسي اللَّه: وعندما يعلنون كلام اللَّه، فإن "السماوات تحدث بمجد اللَّه".

القديس أغسطينوس

"فهذا لمّا رأى بطرس ويوحنا مزمعين أن يدخلا الهيكل،

سأل ليأخذ صدقة". [٣]

غالبًا لم يكن الأعرج يعرف الرسولين بصفتهما الشخصية، لكن الرسولين حتمًا كانا ينظرانه كلما دخل قبلاً إلى الهيكل للعبادة.

"فتفرس فيه بطرس مع يوحنا وقال:

أنظر إلينا". [٤]

عادة يتطلع طالب الإحسان إلى القادمين يستعطفهم لينال منهم شيئًا، أما أن يقف الرجلان يتفرسان فيه، فهذا ما لم يتوقعه قط: ماذا يطلبان منه؟ هل يريدان أن يسألاه شيئًا أو يوبخانه، والكل يعلم عجزه عن العمل منذ ولادته؟

لقد تفرس فيه الرسولان قبل صنع المعجزة؛ كما يتطلع إلينا الله بعيني الحنو والاهتمام الشخصي. هكذا الحب يسبق العطاء. قدما حبهما واهتمامهما به قبل اعطائه الشفاء باسم يسوع المسيح الناصري. إنهما لم يفعلا مثل كثيرين يقدمون بأيديهم العطاء أما قلوبهم فمنصرفة عن المحتاجين.

والعجيب أن الاثنين تفرسا فيه دون سابق اتفاق، فإن الروح الواحد عمل فيهما ليتطلعا إليه بقلبيهما كما بأعينهما.

قال بطرس: "**انظر إلينا**"، فقد اشتاق أن يتطلع الأعرج فيرى فيهما شخص السيد المسيح الساكن فيهما والعامل بروحه فيهما وبهما.

- إن أعطيت شيئًا لمحتاجٍ، ليسبق وجهك البشوش عطيتك، مع كلمات رقيقة، ومساندة لآلامه.

إن فعلت هذا فإن السرور الذي يشعر به في ذهنه بعطيتك يكون أعظم من احتياج جسده.

القديس مار اسحق السرياني

"فلاحظهما، منتظرًا أن يأخذ منهما شيئًا". [٥]

"فقال بطرس:

ليس لي فضة ولا ذهب،

ولكن الذي لي، فإيّاه أعطيك،

باسم يسوع المسيح الناصري قم وامشِ". [٦]

تفرس بطرس ويوحنا في الأعرج، وطلب بطرس منه أن ينظر إليهما. هكذا تلاقت النظرات معًا، ليحمل هذا تلاقٍ داخلي لحساب ملكوت الله. فالرسولان وقد حملا روح الأبوة بعمل الروح القدس

يشاركان الله تطلعه نحو كل نفسٍ عاجزةٍ ومحتاجة، يتطلعان بروح الحق الفائق والحنو، لكن ليس بروح العجز واليأس، وإنما بروح القوة خلال إمكانيات الروح القدس.

حقًا ما أحوج الكنيسة إلى نظرات رعاة قلوبهم مثل قلب الله الكلي الحب والحنو في أبوةٍ صادقةٍ مع حكمة وقدرة،لقد اختبر ذلك في القديم ارميا النبي الذي في حنوه كان يصرخ: "أحشائي، أحشائي، توجعني جدران قلبي، يئن فيَّ قلبي. لا أستطيع السكوت" (إر ٤: ١٩). وفي شوقه لخلاص اخوته كان يصرخ: "أليس بلسان في جلعاد؟ أم ليس هناك طبيب؟ فلماذا لم تُعصب بنت شعبي؟" (إر ٨: ٢٢)

إذ تطلع الأعرج إليهما منتظرًا أن ينال صدقة أخبره بطرس عن إفلاسهما من مقتنيات العالم، لكن **ما ورثاه هو اسم يسوع المسيح الناصري**، وهو أفضل لهما وله، قادر أن يهبه الشفاء، فيقوم كما من الموت، ويمشى كما في طريق ملوكي. وكما يقول المرتل: "أرسل كلمته فشفاهم" (مز ١٠٧: ٢٠).

تحرك قلب بطرس بالإيمان الحي باسم يسوع المسيح طبيب النفوس والأجساد، وصِدق وعده الإلهي: "إن سألتم شيئًا باسمي فإني أفعله" (يو ١٤: ١٤).

لقد جاء البلسان (الإيمان بالسيد المسيح)، ونزل إلينا طبيب النفوس والأجساد، لكن مجمع السنهدرين رفضه، أما البسطاء مثل القديس بطرس فقبلوه، وقدموه شفاءً لكل العالم ليصيروا بالحق ابنة صهيون الجديدة، شعب الله الحقيقي. يرى **القديس أمبروسيوس** أن الرسول بطرس قدم هذا البلسم فشُفى الأعرج (أع ٣: ١-١١)، وقدمه للمفلوج إينياس (أع ٩: ٣٤) فأقامه من سرير مرضه، كما قدمه عندما أقام طابيثا من الموت (أع ٩: ٤٠).

v من يرغب أن يقتني الحكمة يقول: "**ليس ليّ فضة أو ذهب، ولكن الذي لي إياه أعطيك، باسم يسوع الناصري قم وامش**". إذ لم يكن يملك فضة اقتنى عطية عمل المحبة في اسم المسيح. لذلك يُقال لكم أيضًا: "اسحبوا الحكمة إلى الأماكن الداخلية" (راجع أي ٢٨: ١٨)، "إنها محجوبة عن عيني كل حي، ومتوارية عن طير السماء" (أي ٢٨:٢١ الطبعة الكاثوليكية، دار المشرق ببيروت). لا يعرف البشر أين كانت، ولا الملائكة، لأنهم طيور السماء، الذين قيل عنهم: "رأيت ملاكًا طائرًا في وسط السماء" (رؤ ١٤: ٦).

v ليس باسمه الخاص به بل باسم المسيح. لكن كلمة "**قم**" هي أمر... حالة من يثق في حقه، وليس حال من هو في عجرفة بسلطانٍ ما.

القديس أمبروسيوس

v "خلصني يا الله باسمك" (مز ٥٤: ١). يقول إن **استدعاء اسمك كفيل لسلامي**. بنفس الطريقة تمم الرسل الإلهيون العجائب العظيمة؛ يقول الكتاب: "باسم يسوع المسيح قمْ وأمشِ" (أع ٣: ٦).

الأب ثيؤدورت أسقف قورش

v أما الآن فكثيرون، وإن كانوا لا يقولون بالكلمات، إنما يقولون بالأعمال: "ليس لي إيمان ولا تقوى، وإنما الذي لي فهو فضة وذهب، هذه لا أعطيها لك".

v الآن يقدس ربنا بفقره فقر بيته. لذلك فلنفكر في صليبه، ونحسب الغنى ليس إلا تراب. لماذا نعجب بما يدعوه المسيح "مال الظلم" (لو ١٦: ٩)؟ لماذا نحب ونبحث عما يفتخر بطرس أنه لا يملكه؟

v لم يتثقل الرسل بثقل الغنى. لهذا استطاعوا أن يقفوا مثل إيليا عند شق الصخرة (١ مل ١٩: ١١-١٣) وأن يعبروا خلال ثقب الإبرة، وأن يروا مجد الرب من خلف.

القديس جيروم

بلا شك وضعت ثروات كثيرة عند أقدام بطرس ويوحنا كما عند أقدام سائر الرسل، لكن لم يكن هذا يشغل أذهانهم، بل تركوا كل أحدٍ يأخذ ما يريده. لم يحمل الرسولان نصيبًا من هذه الأموال لتقديمها للفقراء في الطريق أو عند مدخل الهيكل، إنما حملا رب العالم كله ليهب بواسطتهما بفيضٍ ما هو أعظم من الفضة والذهب.

في دراستنا في إنجيل يوحنا كان تلقيب يسوع المسيح **بالناصري** فيه نوع من السخرية والاستخفاف، لكن الرسول يستخدم ذات اللقب ليعلن أن ما يحسبه العالم عارًا يحمل مجدًا إلهيًا فائقًا. هذا وقد ارتبط هذا اللقب بالصليب (يو ١٩: ١٩).

ولعل وضع اليد أو مدها للعمل يشير إلى حنو الله وحبه العجيب للإنسان، فإن كان يعمل بنعمته المجانية إلاّ أنه يقدمها خلال الذراع البشري. إنه لا يستخف بأيدينا، مع أننا عاجزون تمامًا عن العمل، وكل ما يتم خلالها إنما هو هبة مجانية من قبل الله.

إن كانت العطية المقدمة للأعرج هي هبة مجانية من الله لا فضل لأحدٍ فيها، لكن بطرس يعلن شوقه للعمل ومساعدة الأعرج.

v لم يقل: "**ليس معي الآن**"، كما اعتدنا نحن أن نقول، بل بطريقة مطلقة قال: "ليس لي".

v إن كان لأحد فضة وذهب لا يكون له تلك العطايا الأخرى. تقول لماذا إذن يوجد من ليس لهم لا هذا ولا ذاك؟ لأنهم ليسوا فقراء اختياريًا، أما الذين صاروا فقراء باختيارهم فلديهم كل الأمور الصالحة. إنهم وإن كانوا لا يقيموا موتى ولا يشفوا عرج، إلا أن لديهم ما هو اعظم من الكل، لهم ثقة فى الله. إنهم سيسمعون في ذلك اليوم الصوت الطوباوي: "تعالوا يا مباركي أبى". أي شيء يمكن أن يكون أفضل من هذا؟ "رثوا الملكوت المعد لهم منذ إنشاء العالم، لأني جعت فأطعمتموني..." (مت ٢٥: ٣٤-٣٥). لنهرب إذن من الطمع، فننال ملكوت السماوات. لنطعم الفقراء، فنطعم المسيح، ونصير شركاء في الميراث في المسيح يسوع ربنا...

القديس يوحنا الذهبي الفم

v لم يُشفَ المجمع اليهودي؛ لأن ذلك البلسم عبر إلى الكنيسة (إر ٨: ٢٢). لهذا أتى التجار من **جلعاد (قابل تك ٣٧:٢٥)، أيضًا من امتلاكهم أو سكناهم في الناموس**، وأحضروا سلعهم إلى الكنيسة. ليشفي ذلك البلسم خطايا الأمم، الذين قيل عنهم: "تشدَّدي أيتها الأيادي المسترخية، وتثبتي أيتها الركب المرتعشة!" (إش ٣٥:٣ LXX). والبلسم هو الإيمان النقي (غير الفاسد). مثلُ الإيمان الذي أظهره بطرس، حين قال للأعرج: "باسم يسوع المسيح الناصري قم وأمش!" (أع ٣:٦، قابل أع ٣:١-١١)، فقام ومشى حقًا كان لبطرس. نفس الإيمان حين قال للمفلوج: "يا إينياس يشفيك يسوعُ المسيحُ. قم وأفرشْ لنفسك!" (أع ٩:٤٠) فقام وأعَّد فراشه. وكان له نفسُ

الإيمان حينما قال للمرأة الميتة: "قومي باسم ربنا يسوع المسيح" (أع ٩:٤٠). وقامت الميتة!... بالدواءِ المصنوع من هذا البلسم شُفى الأعرجُ، واستقام المشلولُ، وقامت الميتةُ حيَّة.

v لنشتري القوت الذي به يمكننا أن نتجنب المجاعة. لا يرجع أحد بسبب فقره. لا يخف أحد لأن ليس لديه مال، **فإن المسيح لا يسأل مالاً، بل يطلب إيمانًا**، الذي هو أعظم من المال. بالحق إذ لم يكن لدى بطرس مالاً اقتناه (المسيح)... ويقول النبي إشعياء: "أيها العطاش جميعًا هلموا إلى المياه، والذي ليس له فضة تعالوا اشتروا وكلوا، هلموا اشتروا بلا فضة وبلا ثمن خمرًا " (إش ٥٥: ١). لأن الذي دفع دمه ثمنًا لنا، لا يطلب ثمنًا منا، إذ لم يخلصنا بذهبٍ وفضةٍ بل بدمه الكريم (١ بط ١: ١٨-١٩).

القديس أمبروسيوس

"وأمسكه بيده اليمنى وأقامه،

ففي الحال تشددت رجلاه وكعباه". [٧]

أمسكه القديس بطرس بيده اليمنى، التي تشير إلى القوة التي صارت له في المسيح يسوع. وفي إقامته لطابيثا: "ناولها يده وأقامها" (أع ٩: ٤١). وفي إتمام كثير من الأسرار الكنسية يمد الأسقف أو الكاهن يده ليعلن مدْ السيد المسيح يمين قوته ليهب نعمةً خاصة. ففي سيامة الكاهن يضع الأسقف يده على رأس المرشح للكهنوت، وفي نوال الحل في سرّ الاعتراف يضع الكاهن يده على رأس المعترف، وفي سرّ الزواج يضع الكاهن يديه على رأسي العروسين.

يقول **القديس يوحنا الذهبي الفم** أن القديس بطرس لم يقدم استعراضًا بما يفعله، إذ لم يطلب لنفسه كرامة، فقد شفاه عند مدخل الهيكل حيث لم يكن يقف أحد، بل كان الجمهور داخل الهيكل.

لم يسأله الرسول: أتؤمن أنك باسم يسوع تُشفي؟ لأن هذا الأعرج غالبًا ما كان والداه غير مؤمنين بيسوع المسيح، لهذا لم يحملاه إليه، ولا قدماه للتلاميذ. وغالبًا لم يكن للأعرج صديق يروي له ما فعله يسوع قبل صلبه، ولا ما فعله التلاميذ، لهذا لم يطلب منه أن يؤمن كشرطٍ لشفائه.

"فوثب ووقف وصار يمشي،

ودخل معهما إلى الهيكل،

وهو يمشي ويطفُر ويسبح اللَّه". [٨]

لم يعد بعد محتاجًا إلى من يحمله، فقد حملته الأذرع الأبدية، ولا من يتكئ عليه فقد أقامه الرب ليحيا بروح القيامة وبهجتها!

معروف أن المشي عند الإنسان يحتاج إلى فترة تدريب طويلة، سواء بالنسبة للطفل بعد ولادته، أو بالنسبة للذين أصيبوا بمرض أو حادَث عاقهم عن المشي لمدة طويلة، فإنه لا يمكن أن يسيروا بعد شفائهم مباشرة. أما هذا ففي لحظات وقف وصار يمشي. لم يتمتع الأعرج بالشفاء فحسب، وإنما نال قوة فائقة، صار يعَّبر عنها بسرعة الحركة والانتفاضة من حالة العجز التي كان عليها. وكما قيل: "يعطي المعيي قدرة" (إش ٤٠: ٢٩)، "حينئذ يقفز الأعرج كالآيل، ويترنم لسان الأخرس" (إش ٣٥: ٦).

إنه منظر مبهج ملأ الحاضرين رهبة وعجبًا وبهجة. يرون الأعرج يثب متهللاً، ويمشى ويطفر.

لم يكن ممكنًا للأعرج أن يكتم مشاعره، فقد وثب كمن لا يريد أن يعيش في حالة العجز الكامل التي تقترب إلى الموت. إنه لأول مرة يتحرك بقدميه، **فيقدم بكور هذه الحركة لحساب الله،** فيدخل إلى الهيكل، يقدم ذبيحة الشكر والتسبيح للطبيب السماوي.

- إنه لأمر عجيب أنه آمن هكذا سريعًا، فإن الذين شفوا من أمراض مزمنة بصعوبة يصدقون حتى أعينهم. ما أن شُفي حتى التصق بالرسولين، شاكرًا الله... لاحظوا كيف أنه لم يسترح، ملتهبًا بالبهجة، مبكمًا أفواه اليهود.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"وأبصره جميع الشعب وهو يمشي ويسبح اللَّه". [٩]

تحركت قدما النفس إذ شُفيتا، فسار في طريق الخلاص، يسبح الله ويمجده على أعمال محبته. لم نسمع عنه أنه قدم شكرًا للرسولين، ولا وقف يمدح عملهما، لكن تسبيحه لله فرّح قلب الرسولين.

"وعرفوه أنه هو الذي كان يجلس لأجل الصدقة على باب الهيكل الجميل،

فامتلأوا دهشة وحيرة مما حدث له". [١٠]

هذا الذي كان يُحمل ليُوضع عند الباب الرئيسي للهيكل، بالكاد يزحف لمد يده يستجدي إحسان الناس، وقد صار منظره مألوفًا لكل شعب إسرائيل والكهنة والفريسيين والصدوقيين... الآن يروه يثب متهللاً، يسبح ذاك الذي صلبوه.

صارت دهشة إذ لم يستطيعوا إنكار الحق، وقد سلكوا في الباطل وظنوا إنهم كتموا الحق ودفنوه، إذا بالحق يتجلي، وصارت الشهادة له لا تُقاوم. أصيبوا بدهشة وبحيرة، لا يعرفون ماذا يفعلون، هوذا دم يسوع المسيح يصرخ في القلوب. لم يكن ممكنًا مقاومة هذا العمل الإلهي للأسباب التالية:

- يعاني الأعرج من هذا المرض منذ ولادته، أي لمدة ٤٠ عامًا (أع ٤: ٢٢).

- لم يكن الأعرج محتالاً، لأنه كان يُحمل إلى هذا الموضع العام أمام الجميع، وقد عرفه كل شعب أورشليم.

- لا يمكن أن تكون هناك علاقة بينه وبين الرسولين، لأنه عند شفائه لم ينطق بكلمة شكر أو مديح لهما، بل كان يسبح الله، وإن كان قد صار ملتصقًا بهما لا يريد مفارقتهما.

- كان الأعرج نفسه مقتنعًا أن ما حدث معه هو من الله.

٢. حديث عن الإيمان باسم يسوع

"وبينما كان الرجل الأعرج الذي شُفي متمسكًا ببطرس ويوحنا،

تراكض إليهم جميع الشعب إلى الرواق،

الذي يقال له رواق سليمان،

وهم مندهشون". [١١]

إذ صار الأعرج يسبح متهللاً تراكض الشعب من رواق إسرائيل، وتكدسوا في رواق سليمان الخارجي ليتعرفوا على حقيقة ما حدث. هنا وجد القديس بطرس الفرصة سانحة للكرازة أمام الشعب وعلى مسمع من الكهنة والكتبة وكل القيادات اليهودية. وجد الفرصة سانحة ليتحدث في رواق سليمان عن واهب الحكمة لسليمان، وهو أعظم من سليمان.

رواق سليمان: هو رواق ضخم مُغطي بسقفٍ، يحتل الجانب الشرقي من دار الأمم.

v بدأ تعليمنا في "**رواق سليمان**" [١١]، الذي هو نفسه علم بأنه يلزمنا أن نطلب الرب في بساطة قلب.

العلامة ترتليان

"فلما رأى بطرس ذلك أجاب الشعب:

أيها الرجال الإسرائيليون،

ما بالكم تتعجبون من هذا؟

ولماذا تشخصون إلينا كأننا بقوتنا أو تقوانا قد جعلنا هذا يمشي؟" [١٢]

صار بطرس الرسول يتكلم بكل قوة عن المصلوب القائم من الأموات، ولم يكن ممكنًا للصدوقيين الذين يقولون إنه لا قيامة من الأموات أن يعترضوا، فقد وقف الأعرج من بطن أمه يصدق على كلمات الرسول بالشهادة العملية التي لن يقدر أحد أن ينكرها أو يقاومها.

بدأ الرسول بتأكيد حقيقة خطيرة يسقط فيها كثير من العامة، بل وحتى من القيادات أصحاب المعرفة، حينما يظن الشعب أن ما يفعله قديس ما يمارسه بقوة تقواه أو قداسته، وأحيانا يصدق القادة ما يُقال عنهم، فيتصنعون التواضع، ويتمنعون عن قبول أية كرامة، وبهذه الصورة الخطيرة للتواضع المزيف يسقطون في كبرياءٍ داخلي مدمر.

بكل قوة قال الرسول: **"ما بالكم تتعجبون من هذا؟ ولماذا تشخصون إلينا كأننا بقوتنا أو تقوانا قد جعلنا هذا يمشي؟"** [١٢] حقًا كان يمكن له أن يعلن أن ما حدث هو بقوة يسوع الناصري، ويقف عند هذا الحد. فيظن كثيرون أنه وإن كان ذلك قد تم بقوة يسوع، لكنه تم على يدي رجلٍ عظيمٍ تقيٍ قديسٍ، أما القديس بطرس فأصر أن لا دور له إلا من حيث قبوله وإيمانه بقوة يسوع الناصري المصلوب.

v بالحقيقة كانا يزيدان من مجدهما باحتقارهما للمجد (الزمني)، مظهرين أن ما حدث لم يكن بعملٍ بشري، بل هو عمل إلهي، وأنه من جانبهما إذ نظرا المتطلعين إليهما بدهشةٍ لم يتقبلا هذه الدهشة منهم. ألا ترون كيف كان (بطرس) بعيدًا عن كل طمعٍ، وكيف رفض الكرامة المقدمة له؟ بنفس الكيفية سلك الآباء القدامى. كمثال قال دانيال: "أما أنا فلم يكشف لي هذا السرّ لحكمة فيَّ أكثر من كل الأحياء" (دا ٢: ٣). وأيضا يوسف: "أليست لله التعابير؟!" (تك ٤٠: ٨). وأيضا داود: "عندما جاء الأسد والدب باسم الرب مزقتهما بيدي" (راجع ١ صم ١٧).

v من هذا نتعلم أمرًا عظيمًا، أعني أن غيرة الإنسان وحدها لا تكفي ما لم يتمتع ببركة المعونة من فوق. مرة أخرى هذه المعونة التي من فوق لا تفيدنا ما لم نكن نحن غيورين... الفضيلة منسوجة من هذين الخيطين. لهذا أحثكم ألا تضعوا كل شيء على الله وأنتم نائمون، ولا تظنوا أن بغيرتكم يصير كل شيء حسنًا، بجهودكم الذاتية. الله لا يريدنا كسالى، ولهذا فلا يفعل كل شيء بنفسه، ولا يريدنا أن نكون فشارين (معجبين بأنفسنا) لذلك لم يعطنا كل شيء. إنه ينزع من الطرفين ما هو ضار ويهبنا ما هو نافع لنا.

القديس يوحنا الذهبي الفم

v لن ينسب هؤلاء الرجال شيئًا لأنفسهم، بسبب قدرتهم على صنع مثل هذه الأعاجيب، معترفين بأنهم لم يصنعوا هذا عن استحقاقاتهم بل بحنو الرب. رفض الرسل الكرامة البشرية المقدمة لهم بسبب الاندهاش من معجزاتهم قائلين: "ما بالكم تتعجَّبون من هذا، ولماذا تشخصون إلينا كأننا بقوَّتنا أو تقوانا قد جعلنا هذا يمشى؟!" (أع ٣:١٢). ولم يفكر أحد أن يتمجد من أجل المواهب الإلهية والأعاجيب، بل بالأحرى بثمار الأعمال الصالحة...

لهذا يحذر من وهبهم بنفسه هذا السلطان لصنع المعجزات والأعمال العجيبة بسبب قداستهم ألا ينتفخوا قائلاً: "ولكن لا تفرحوا بهذا أن الأرواح تخضع لكم، بل افرحوا بالحري أن أسماءَكم كُتِبَت في السماوات" (لو ١٠:٢٠).

أخيرًا فإن الرب ينبوع كل المعجزات والأعمال القديرة هو بنفسه عندما دعا تلاميذه أن يتعلموا منه، أظهر لهم بوضوح ما ينبغي عليهم بحق أن يتعلموه بصفة رئيسية: "تعلموا مني"، ليس بصفة رئيسية أن تخرجوا الشياطين بقوة سماوية، ولا أن تطهروا البرص، ولا أن تشفوا العمي، ولا أن تقيموا الموتى، فإنه هذه الأمور أفعلها خلال خدامي، لكن لا يمكن بهذه الأمور أن يكون الإنسان ممدوحًا من اللَّه، ولا يقدر أن يكون بها تلميذًا أو خادمًا له... وإنما يقول: "تعلموا مني، لأني وديع ومتواضع القلب" (مت ١١:٢٩)، فإن هذا ممكن لدى البشر عامة. إذ يمكنهم أن يتعلموه ويختبروه. أما صنع المعجزات والعلامات، فهذا ليس بضروري على الدوام، ولا هو مفيد للجميع، ولا يُوهب للكل.

التواضع هو سيد كل الفضائل، والأساس الأكيد للبناء السماوي، وعطية المخلص الخاصة السامية. يقدر الإنسان أن يتمم المعجزات التي صنعها السيد المسيح "باسم الرب" من غير خطر السقوط في الكبرياء، حينما يقتفي أثر الرب الوديع، لا في سمو معجزاته، بل في فضيلتي الصبر والتواضع. وأما الذي يهدف إلي أن يأمر الأرواح النجسة أو ينال مواهب الشفاء، أو إظهار بعض المعجزات الباهرة أمام الشعب، فإنه **حتى وإن أظهرها تحت اسم المسيح، إلا أنه بعيد عن السيد المسيح، لأنه بكبرياء قلبه لا يتبع معلمه المتواضع**.

في عودته إلي الآب، تهيأ ليتحدث بإرادته تاركًا لتلاميذه "وصية جديدة" وهي: "أن تحبُّوا بعضكم بعضًا، كما أحببتكم أنا تحبون أنتم أيضًا بعضكم بعضًا"، وللحال أضاف: "بهذا يعرف الجميع إنكم تلاميذي إن كان لكم حبّ بعضًا لبعضٍ" (يو ١٣:٣٤، ٣٥). إنه لم يقل: "إن كان لكم أن تصنعوا علامات ومعجزات"، بل "إن كان لكم حبّ بعضًا لبعض". هذه الوصية بالتأكيد لا يقدر أن يحفظها إلا الإنسان الوديع والمتواضع.

لذلك فإن آباءنا السابقين لم يُحسبوا رهبان صالحين أو متحررين من خطأ المجد الباطل لأنهم يُخرجون الشياطين، ولا يتباهون بزهو أمام الجماهير المعجبة من النعمة التي نالوها أو ادعوها، وهكذا فإن من يصنع شيئًا من هذه الأمور (العجيبة) في حضورنا، يلزم أن نمدحه ليس إعجابًا

بالمعجزات، بل لجمال سيرته، ولا نطلب أن تخضع لنا الشياطين، بل بالأحرى أن نحمل ملامح الحب التي يصفها الرسول.

الأب نسطور

"إن إله إبراهيم واسحق ويعقوب،

إله آبائنا مجَّد فتاه يسوع الذي أسلمتموه أنتم،

وأنكرتموه أمام وجه بيلاطس،

وهو حاكم بإطلاقه". [١٣]

في الوقت الذي فيه حوّل الرسول أنظارهم عنه لكي لا يحسبوه تقيًا قديسًا، وجه أنظارهم إلى ذاك الذي سلموه للصلب وأنكروه بينما كان الوالي غريب الجنس يود إطلاقه. إنهم عاندوا إله إبراهيم واسحق ويعقوب الذي مجَّد ابنه الوحيد الجنس، كعادتهم قاوموا إله إسرائيل نفسه.

تعمد الرسول أن يدعو الآب هنا "**إله إبراهيم واسحق ويعقوب**" ليؤكد لهم أن ما ناله آباؤهم من مواعيد إلهية، إنما قد تحققت بتمجيد الابن الوحيد الجنس، في صلبه كما في دفنه وقيامته وصعوده. أقامه الآب ملكًا ورئيس كهنة سماوي وشفيعًا كفاريًا، ورأسًا للكنيسة لكي يهبنا شركة أمجاده.

شفاء الأعرج من بطن أمه شهادة حية لقيامة المصلوب، وبرهان عملي أن يسوع المصلوب لم يُصلب لأجل علةٍ واحدةٍ عليه تستلزم موته. لقد حوَّل أنظارهم عن معجزة شفاء أعرج من بطن أمه إلى معجزة الحب الإلهي خلال الصليب، ليتمتعوا بقوة قيامته، فالكل في حاجة إلى شفاء النفس الداخلية لكي تثب بتهليلٍ، تقوم من الفساد إلى عدم الفساد، وتنطلق من قبر الخطية إلى الهيكل السماوي.

اندهش القديس بطرس أنهم يندهشون بهذه المعجزة بينما لا يندهشون لقيامة المسيح من الأموات، القادرة أن تهب قوة القيامة للنفوس الميتة.

حول القديس بطرس أنظارهم من الأعرج إلى المسيح القائم من الأموات، فعوض الدهشة والحيرة لما رأوه ولمسوه يلزمهم أن يدهشوا لما حدث مع السيد المسيح، فإن هذا الأمر في غاية الخطورة، يمس حياتهم وخلاصهم الأبدي. إن كان الأعرج قد شُفي باسم يسوع القائم من الأموات، فكيف لا ينشغلون بالقائم من الأموات، خاصة وأنهم هم الذين صلبوه.

إذ كان اليهود يفتخرون بأنهم أبناء إبراهيم، فإن إله إبراهيم نفسه، الله الآب، شهد للابن الوحيد ومجَّده. وإن كانوا يفتخرون ببرّ الناموس فإن بيلاطس الأممي بذل كل الجهد لكي لا يشترك في جريمة قتله. وكأن إله السماء يشهد له، وسكان الأرض حتى الذين بلا ناموس يعترفون ببراءته.

"ولكن أنتم أنكرتم القدوس البار،

وطلبتم أن يُوهب لكم رجل قاتل". [١٤]

قدم بطرس صحيفة اتهام خطيرة ضدهم إذ ارتكبوا الجرائم التالية:

- قاوموا إله آبائهم، إله إبراهيم واسحق ويعقوب [١٣].
- قاوموا باطلاً السلطات الزمنية، التي تمثلت في بيلاطس بنطس.
- ارتكبوا جريمة قتل للمسيا القدوس البار.
- ارتكبوا غباوة وجهالة، إذ فضلوا رجلاً قاتلاً عن القدوس (لو ٢٣: ١٩؛ مر ١٥: ٧).
- قتلوا واهب الحياة، قائد معركة الخلاص.
- قاوموا الآب الذي أقامه، وهم لا يزالون يرفضونه!

"ورئيس الحياة قتلتموه،

الذي أقامه اللَّه من الأموات،

ونحن شهود لذلك". [١٥]

لقد كان بيلاطس في صراع داخلي، وقد بذل كل الجهد لكي يبرئه، وكانت آخر محاولة له أنه طلب أن يطلقه ليس من أجل براءته، وإنما من أجل العيد كعادتهم. لقد سجل عليهم دون أن يدري أنهم فضلوا رجلاً قاتلاً عن يسوع المسيح. طلب منهم أن يطلق ملكهم، فرفضوا مُلكه، وقبلوا أن يكون قيصر ملكًا عليهم. لقد صاروا بلا ملك ولا ملكوت!

حسدهم وكراهيتهم للحق لا تحتاج إلى شهادة، فقد صلبوا البار، وأطلقوا باراباس القاتل واللص. حكم هؤلاء القادة على أنفسهم أنهم لا يطلبون البرّ ولا الحق، إنما يخشون على مراكزهم ومصالحهم المادية على حساب ضمائرهم.

وقف بطرس الأمي الجليلي يحاسب رؤساء الكهنة والكتبة والفريسيين وقادة الفكر، المؤتمنين على الشريعة وحفظها. صياد السمك البسيط كشف في بساطة على موازينهم المختلة.

"**رئيس الحياة**": الكلمة اليونانية لا تشير إلى رئاسة، وإنما صاحب الحياة أو مصدرها. وهو تعبير عسكري، إذ يظهر السيد المسيح كقائد للمعركة ضد الموت ليهب حياة للذين سقطوا تحت أسر الموت. لقد ظنوا أنهم قادرون على التغلب عليه بقتله، ولم يدركوا أن بموته داس الموت، وبقتله قتل الفساد وحطمه. إنه قائد معركة الخلاص!

قتلوا واهب الحياة، لكنهم كانوا عاجزين على إبادته، إنما قتلوا الحياة التي فيهم، وحرموا أنفسهم من المتمتع به بكونه الحياة والقيامة.

يقدم الرسول شهادة حية لقيامة المسيح، ليس بكونه قد رآه وتلامس معه وتحدث وأكل معه خلال الأربعين يومًا من قيامته إلى صعوده، وإنما لأنه يشهد به قائمًا فيه، فيتمتع بالحياة المقامة. وكما يقول الرسول بولس: "أقامنا معه وأجلسنا معه في السماويات".

في تعليق **العلامة أوريجينوس** على قول السيد المسيح: "متى خرج الروح النجس من الإنسان يجتاز في أماكن ليس فيها ماء يطلب راحة، وإذ لا يجد يقول: ارجع إلى بيتي الذي خرجت منه... ثم يذهب ويأخذ سبعة أرواح أخر أشر منه (لو ١١: ٢٤-٢٦)، يقول بأن هذا ينطبق على حال

الشعب اليهودي. [فإن الذين لم يؤمنوا بابن الله لم يعد بهم "روح شرير" مثلما كان اليهود في مصر، بل يمتلئوا بالأرواح الشريرة أيضًا، وبهذا صارت أواخرهم أشر من أوائلهم. الآن هم يعانون من أمورٍ أشر مما كانوا عليه وهم في مصر، إذ ليس فقط لم يؤمنوا بيسوع المسيح، بل "قتلوا رئيس حياتنا"، فحُرموا من الحياة. لا يعود يقول النبي بينهم: "هكذا يقول الرب". لا تعود توجد بينهم علامة، ولا أمر عجيب، ولا إشارة عن إعلان الله وحضوره. فقد عبرت الخيرات إلينا نحن الأمم، ككلمة ربنا يسوع: "ملكوت السماوات يُنزع منهم ويُعطى لشعب يحمل ثمرًا" (راجع مت ٢١: ٤٣). نحن هو هذا الشعب الذي أُعطي له ملكوت الله، غنى الإنجيل.]

v أية خطية أعظم أن يصلب الإنسان المسيح، ومع هذا فإن العماد يغسلها؟ لأنه تحدث بطرس مع الثلاثة آلاف الذين جاءوا إليه. هؤلاء الذين صلبوا الرب، إذ سألوه قائلين: "ماذا نصنع أيها الرجال الاخوة؟!" (أع ٢:٣٧) فإن الجرح عظيم؟! لقد جعلتنا يا بطرس نفكر في خطيتنا بقولك: "**رئيس الحياة قتلتموه**" (أع ٣:١٥). فأي تضميد يصلح لجرحٍ عظيمٍ كهذا؟! أي تطهير يكون لغباوةٍ كهذه؟! أي خلاصٍ لهلاك مثل هذا؟! يا لحب الله المترفق غير المنطوق به؟! مع أنهم كانوا بلا رجاء من جهة خلاصهم، لكنهم مع ذلك تأهلوا للروح القدس (أع ٢:٣٨)! هل رأيت قوة المعمودية؟! إن كان أحدكم يصلب المسيح بكلمات تجديفه، إن كان أحدكم ينكره في جهل أمام الناس، إن كان أحدكم يجدف على التعاليم بكلمات شريرة، فليتب، وليكن له رجاء صالح، لأن النعمة حاضرة إلى الآن.

تشجعوا... الرب يطهركم! "تشجعي يا أورشليم فإن الرب ينزع عنك كل آثامك" "الرب يغسل دنس أبنائه وبناته بروح القضاء وبروح الاحتراق" "سيرش عليكم ماءً طاهرًا، فيطهركم من كل خطيتكم" (راجع صف ٣:١٤، ١٥، إش ٤:٤، حز ٣٦:٢٥).

سترقص الملائكة حولكم قائلة: "من هذه الطالعة في ثوب أبيض مستندة على حبيبها" (راجع نش ٨:٥).

القديس كيرلس الأورشليمي

يرى **القديس ايريناؤس** أن السيد المسيح جاء ليخلص الكل خلال نفسه. صار طفلاً بين الأطفال ليقدس الأطفال، وصبيًا بين الصبيان ليقدسهم... وأخيرا مات ليكون بكرًا من بين الأموات، "لكي يكون هو متقدمًا في كل شيء" (كو ١: ١٨) كائنًا قبل الكل، ومتقدمًا الكل.

"وبالإيمان باسمه شدد اسمه،

هذا الذي تنظرونه وتعرفونه،

والإيمان الذي بواسطته أعطاه هذه الصحة أمام جميعكم". [١٦]

ما يصبو إليه الرسول في كل حديثه هو جذب كل نفسٍ للإيمان بالقائم من الأموات، والتمتع بقوة اسمه القدوس.

ما قد تمتع به هذا الأعرج من صحة الجسد وتهليلٍ لنفسه وتسبيح، إنما بقوة اسم يسوع. إنها دعوة لكي يؤمن الكل باسمه، فيتمتعون بشخصه وقوته وسماته.

لا يقصد بالكلمة "**اسم**" مجرد لقب أو الاسم في ذاته، بل شخص يسوع المسيح، وقوته وسلطانه. فالإيمان باسم يسوع يعني الإيمان بشخصه وسلطانه وتدابيره الإلهية.

"**تنظرونه وتعرفونه**": رأوا الرب خلال شفاء الرب للأعرج، وتعرفوا على شخصه وقدرته وحبه الفائق للإنسان!

"**أمام جميعكم**": ما حدث كان علانية أمام الجميع، فأنتم شهود على أنفسكم إن لم ترجعوا إليه.

"والإيمان الذي بواسطته أعطاه هذه الصحة أمام جميعكم". [١٦]

- الإيمان سراج، وكما ينير السراج البيت هكذا ينير الإيمان النفس.

- الإيمان هو نور النفس، طريق الحياة، أساس الخلاص الأبدي.

القديس يوحنا الذهبي الفم

- الإيمان المسيحي يشبه حبة خردل، يبدو للنظرة الأولى شيئًا صغيرًا تافهًا وضعيفًا، لا يُظهر بوضوح قوته الحقيقية؛ عندما تبدأ تهاجمه تجارب متنوعة عندئذ يظهر نشاطه خارجيًا وقوته ويتنسم إيمانه الناري بالرب ويُثير نوع من الهوى الإلهي لا ليلتهب هو نفسه فقط بل ويلهب كل ما في داخل مجاله.

القديس أمبروسيوس

- بالرغم من أن كثيرين من اليهود شعروا بمرارة من مثل هذا الحديث الرفيع إلا أنهم كبحوا غضبهم رغمًا عن إرادتهم، إذ أنهم خجلوا من عظمة المعجزة.

هناك نقطة أخرى ينبغي ألا ننساها، وهي أن المسيح إذ وشح أولاً الرسل القدّيسين بقوات عظيمة هكذا، فإنه يدعوهم بعد ذلك للانطلاق بسرعة. ويبدأوا عملهم في إعلان سرّه إلى سكّان الأرض كلها. لأنه كما أن الثوّار المقتدرين بعد أن يزوّدوا جنودهم الشجعان بأسلحة الحرب يرسلونهم ضد كتائب العدو، هكذا يفعل المسيح، مخلصنا وربّنا جميعًا. يرسل معلّمي أسراره، القدّيسين، موشحين بالنعمة التي يمنحهم إيّاها، ومجهّزين كليّة بالسلاح الروحاني ضد الشيطان وملائكته، لكي يكونوا مقاتلين أشدّاء غير مغلوبين. لأنهم كانوا على وشك أن يدخلوا في معركة مع أولئك الذين سيطروا على سكّان الأرض في الزمن القديم، أي أن يحاربوا ضد القوّات الشرّيرة المضادة...

القديس كيرلس الكبير

- يلزم أن يعِّدك الإيمان ومخافة الرب لمواجهة أي شيء وكل شيء.

لتكن خسارة للأشياء القريبة منك والعزيزة لديك، فقدان الصحة بسبب مرض خطير، أو حرمان من الزوجة والأطفال. مثل هذه الأمور يلزم ألا تكون فرص لتربكك بل بالأحرى لحفظك. مثل هذه المصائب يلزم ألا تضعف إيمان المسيحي أو تزيله بل بالأحرى هي فرص لكي تقوم هذه الفضيلة بغيرة متجددة أثناء الصراع.

يلزمنا أن نتجاهل الشرور الحاضرة، مرتبطين برجائنا في المكافأة السماوية.

حيث لا يوجد صراع لا يمكن أن توجد نصرة. حيث تثور المعركة تُوهب النصرة، عندئذ ينال الغالب المكافأة.

يبرهن قائد السفينة على استحقاقه أثناء العاصفة، والجندي في المعركة. الشجرة ذات الجذور العميقة لن تسقط حتى إن هزتها الرياح. هكذا أيضًا الرسول بولس بعد أن انكسرت السفينة به، مع القيود واحتمال آلام جسدية كثيرة لم يتحدث بقلبٍ منكسرٍ بل بالأحرى صار إلى حالٍ أفضل بالمخاطر التي واجهها. فإنه بقدر ما تعذب بأمور خطيرة، كان بالأكثر يتزكى بأنه مستحق للمديح الحقيقي.

الشهيد كبريانوس

٣. شهادة كل الأنبياء ليسوع

"والآن أيها الاخوة أنا أعلم أنكم بجهالة عملتم كما رؤساؤكم أيضًا". [١٧]

بعد أن وجه إليهم هذه الاتهامات الخطيرة بدأ يلاطفهم بروح المحبة، فدعاهم "**إخوة**"، وهو تعبير يستخدمه اليهود للحديث مع أشخاص من ذات الأمة، لهم ذات الرجاء، وذات الوعود الإلهية. وكأنه لم يقف كمن يعلم من على منبرٍ أو يتعالى عليهم، بل كواحدٍ منهم، يرجو لهم أن يشاركوه ما تمتع به.

فهو ليس بالرجل القديس الذي يحدث خطاة وينتهرهم، إنما يقترب إليهم ليجتذبهم إلى التوبة معه. فالإنسان يمارس التوبة بكل قلبه خلال كلمات الحب والتشجيع بروح التواضع، وليس التوبيخ بروح الكبرياء.

يفتح لهم القديس بطرس باب الرجاء، حاسبًا أن ما فعلوه هم ورؤساؤهم كان "**بجهالة**". لقد حذرهم بيلاطس مرة ومرات، وأكد لهم أنه لم يجد عليه علة. كانوا يجهلون خطة الله وتدبيره الفائق، كما يجهلون حقيقة شخص يسوع. إذ يقول الرسول بولس: "لو عرفوا رب المجد لما صلبوه" (١ كو ٢: ٨). كما قال السيد المسيح نفسه على الصليب: "يا أبتاه اغفر لهم، لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون" (لو ٢٣: ٢٤). كل قوانين العالم لا تبرئ الإنسان بسبب جهله بالقانون، لكن هذا هو قانون الحب والرحمة: "والرحمة تفتخر على الحكم" (يع ٢: ١٣).

لقد اضطهد بولس الرسول كنيسة المسيح، وأراد إبادتها، ومحو اسم يسوع من العالم، وقد فعل ذلك بجهالة. إذ عرف الحق تحول عن الجهالة إلى حكمة الله، وصار إناءً مختارًا للعمل الإلهي، عوض الاضطهاد والتجديف والمقاومة المستمرة.

v لقد أرسل الرسل لأجل خلاصهم، فيسمعون على الأقل: "نحن نعلم أنكم بجهالة عملتم" (راجع أع ٣: ١٧). بهذه الوسيلة يسحبونهم للتوبة. ليتنا نتمثل بهم، فإنه ليس شيء يجعل الله صفوحًا مثل محبة الأعداء، وأن نصنع صلاحًا للذين يسيئون إلينا. عندما يشتكي أحد لا تتطلع إليه بل إلى الشيطان الذي يحركه، وصب كل غضبك عليه، **وترفق بالشخص الذي يحركه الشيطان.**

القديس يوحنا الذهبي الفم

"وأمّا اللّه فما سبق وأنبأ به بأفواه جميع أنبيائه،

أن يتألم المسيح قد تمّمه هكذا". [١٨]

يرى **القديس يوحنا الذهبي الفم** أن الرسول بطرس خلال عظته كان لطيفًا إلى أبعد الحدود، فمع عدم تجاهله أن الحاضرين يُحسبون صالبين ليسوع المسيح، لكنه فى لطفٍ يفعل كما فعل يوسف مع إخوته إذ قال لهم: "لأنه لاستبقاء حياة أرسلني الله قدامكم" (تك ٤٥: ٥). فقد باعوه حسدًا، لكنه حسب بيعهم له بسماحٍ الهي لأجل استبقاء حياته وحياتهم، أرسله الله نفسه قدامهم. هكذا فى لطف يقول بطرس الرسول أنه لخلاصهم وخلاص العالم سُلم يسوع للصلب.

ويلاحظ **القديس يوحنا الذهبي الفم** أن القديس لم يورد النصوص التي تنبأ بها الأنبياء عن صلبه أو موته أو دفنه، بل اكتفى بالقول بأن "**أنبأ به بأفواه جميع أنبيائه أن يتألم**" [١٨]، معللاً بذلك أن هذه النصوص حملت اتهامات مع العقوبة التي يسقط تحتها صالبوه... وكأنه قد تركهم ليدرسوا النصوص ويدركوا خطورة عملهم، أما هو ففتح باب الرجاء لهم ليتمتعوا بالفرح من وجه الرب [١٩]، وأما ما فعلوه بالسيد فحقق خطة الله لخلاص العالم.

"فتوبوا وارجعوا لتُمحى خطاياكم،

لكي تأتي أوقات الفرج anapsuxis **من وجه الرب". [١٩]**

تارة يقول لهم الرسول أن ما فعلوه كان بجهلٍ [١٧]، وأخرى أنه بذلك تحققت خطة الله التي أعلنها على أفواه جميع الأنبياء [١٨] وثالثة "ارجعوا لتُمحي خطاياكم" [١٩]، "لكي تأتي أيام الفرج" [١٩]... كل هذا كما يقول **الذهبي الفم** يهبهم الرجاء ويفتح أمامهم باب التوبة، مع تحذيرهم إن أصروا على تكملة الطريق بعدم الإيمان فى عصيان له [٢٢-٢٣].

v بعد نعمة المعمودية المعروفة للجميع، وتلك العطية العظمى التي للاستشهاد، التي هي الحميم بالدم، **توجد ثمار كثيرة للتوبة التي بها يمكننا أن نقلع عن خطايانا.**

إن الخلاص الأبدي ليس موعودًا به بالتوبة عن الخطايا فحسب حسبما يقوله الطوباوي بطرس الرسول: "فتوبوا وارجعوا لتُمحَى خطاياكم" (أع ٣:١٩)، وحسبما قاله يوحنا المعمدان والسيد المسيح نفسه: "توبوا لأنهُ قد اقترب ملكوت السماوات" (مت ٣:٢)، **لكن أيضًا ينبغي أن تكون مقرونة بأعمال المحبة،** لأن "المحبَّة تستر كثرةً من الخطايا" (١ بط ٤:٨).

هكذا **نجد الشفاء لكل جراحاتنا نتيجة لثمار التوبة كالصدقات وأفعال الرحمة.** لأنه كما يقول الكتاب المقدس: "كما أن الماء يطفئ الحريق، كذلك الدموع تغسل خطايانا" (ابن سيراخ ٣:٣٣)، وأيضًا: "أعوّم في كل ليلة سريري وبدموعي أبلّ فراشي" (مز ٦:٦).

الأب بينوفيوس

"ويرسل يسوع المسيح المبشر به لكم قبل". [٢٠]

ما قد حدث وإن كان بدافعٍ شريرٍ من جانبكم، لكنه حقق خطة الله لخلاص العالم؛ فلم يُصب السيد المسيح بصلبه ضرر، فإن هذه مسرته ومسرة أبيه أن يموت عن العالم. فإن كنتم قد فعلتم هذا بجهالة، الآن فرصة لتصحيح الموقف بالرجوع إليه بالتوبة، والإيمان به. ما اقترفتموه سبب لنا خلاصًا، فلماذا لا تتمتعوا معنا بذات الخلاص. الآن زمن الحب، زمن الفرج من وجه الرب. لقد

ضاعت الفرصة الأولى لقبوله حين كان في وسطكم يخدمكم وهو بالجسد، الآن يود أن ترجعوا إليه، فيرجع إليكم ويحل بالإيمان في قلوبكم.

هكذا أنار الروح القدس للقديس بطرس خطة الخلاص لكل العالم، حتى لصالبي السيد المسيح، وفتح ذهنه لإدراك الكتب المقدسة والنبوات وطول أناة الله على البشرية.

لم يقل الرسول "**أنبأ به الأنبياء**" بل "**بأفواه جميع أنبيائه**"، وكأن يسوع هذا الذي صلبوه، إنما هو موضوع شهوة جميع الأنبياء بلا استثناء. هو المحك الذي به يُفرز النبي الحقيقي من النبي الكذاب. فإن كانت آلامه قد شغلت كل نبي منذ بدء الخليقة حتى النبي السابق يوحنا المعمدان، فإن عدم الإيمان به هو رفض تام لكل الأنبياء، ولعمل الله بهم.

تنبؤ الأنبياء عن آلامه لا يعطيهم عذرًا لما فعلوه، إنما يفتح لهم باب الإيمان ليقبلوه، فتُمحى كل خطاياهم بما فيها جريمة صلبه. النبوة والإعلان السابق للأحداث لا يدفع عنهم شرهم، ولا يغير من طبيعة شرهم، إنما يحول شرهم إلى خلاصٍ للعالم كله بما فيه الصالبين أنفسهم إن رجعوا إليه.

هذا وتأكيده أن ما حدث تنبأ عنه جميع الأنبياء يشهد لهم كما لغيرهم أنه هو المسيا المنتظر.

"**تُمحى خطاياكم**"، يُستخدم تعبير "**تُمحى**" عندما يُكتب على لوح من الشمع، ثم يجعلونه أملس لا أثر للكتابة عليه، كأن الخطايا تُزال تمامًا من السجل، والاتهام يصبح كما لم يكن، وصك الدين قد مُزق تمامًا، فصار لا وجود له. أُستخدم تعبير "**تُمحى خطاياكم**" في إش ٤٣: ٥؛ مز ٥١: ١، ٩؛ إر ١٨: ٢٣؛ نح ٤: ٥؛ إش ٤٤: ٢٢.

"**أوقات الفرج**": مهما قدمت الخطية من ملذات ومباهج تجعل القلب ضيقًا، وفي مرارة داخلية، لا يدرك الإنسان علتها؛ أما الرجوع إلى الله بالتوبة فيفتح القلب ليتسع ولا تقدر ضيقة ما أن تحطمه بل تصير حياة الإنسان كلها "**أوقات الفرج**"، مملوءة سرورًا داخليًا وسلامًا فائقًا، إذ يحل مجد الله في داخل النفس، ويحول القلب إلى ملكوت سماوي.

كلمة "**فرج**" *anapswxis*، تعني "تنفس" أو استراحة، تُستخدم عندما يستريح الإنسان بعد فترة عناء كمن يأخذ نفسه، أو بعد الجري لمدة طويلة. لقد جاءت الكرازة بصليب المسيح أو إنجيله لتتنسم البشرية الراحة بعد طول شقاء بسبب الخطية.

أما قوله "**ستأتي**" فلا يعني عدم التمتع بها هنا، إنما إذ يحدث اليهود قبل الإيمان يبشرهم بما سيتمتعون به في المستقبل القريب عندما يتوبون كعربونٍ لما ينالونه من أمجاد وراحةٍ أبدية في السماء.

"**من وجه الرب**": فإننا إذ نعطيه الوجه لا القفا (إر ٢: ٢٧)، نتمتع بوجهه مشرقًا علينا، وبحضوره كسِرّ فرحنا وراحتنا.

"**ويرسل يسوع ...**": إذ كان اليهود ولا يزالوا يترقبون مجيء المسيا، فإنهم إذ يؤمنون بذاك الذي سبقوا فرفضوه، يرونه قادمًا في حياتهم، مقدمًا خلاصه المبهج، واهبًا إياهم ما قد سبق فوُعدوا به خلال آبائهم وأنبيائهم في العهد القديم.

"الذي ينبغي أن السماء تقبله إلى أزمنة رد كل شيء،

التي تكلم عنها اللَّه بفم جميع أنبيائه القديسين منذ الدهر". [٢١]

يعود فيؤكد الرسول أن كل ما حدث إنما من أجله، وقد سبق فأعلنه الله على فم أنبيائه القديسين. لقد تحققت الوعود الإلهية منذ سقوط آدم، ودعوة إبراهيم، واستلام موسي النبي للشريعة، وظهور الأنبياء... كل هؤلاء نالوا وعودًا اشتاقوا أن يروا يوم تحققها. والآن قد تمت كل هذه الوعود الإلهية خلال الصلب والقيامة وصعود السيد المسيح، فكان يليق بالسامعين أن يطوِّبوا أنفسهم لأنهم يروا ما اشتهى أن يراه آباؤهم، وذلك إن آمنوا باسم يسوع، وقبلوا عمله الخلاصي في حياتهم.

"**الذي ينبغى أن السماء تقبله**" [٢١]. يبدو التعبير كأن السماء ليست مسكن إقامته الطبيعي، لكن يلزمها أن تقبله. إذ صار ابن الإنسان ونزل إلينا فإنه إذ تقبله السماء تقبلنا فيه. هذا ومن جانب آخر كأن السيد قد صعد إلى السماء ليس كمن أتم كل عمله، إنما يبقى في السماء يدبر أمور كنيسته، ويسند كل عضو فيها حتى يتمم الكل جهاده، ويتمتعوا بشركة أمجاده السماوية. إنه يُعد المكان لنا حتى يوم مجيئه، فيتمتع الكل باللقاء المفرح، يوم العرس الأبدي.

"**إلى أزمنة رد كل شيء**" أي تحقيق خطة الله من جهة البشرية. كان الاعتقاد السائد لدى اليهود أن المسيا يأتي ليملك على الأرض أبديًا (يو ١٢: ٣٤)، وها هو سرّ رفضهم ليسوع الذي رفض المُلك الأرضي، وأعلن عن صلبه، لهذا كان لزامًا على الرسول أن يصحح مفاهيمهم، ويؤكد أنه بالحقيقة هو ملك، وأن مملكته هي في السماء! لقد صعد إلى السماء وهم شهود بذلك، إذ رأوه عيانًا وهو يصعد (أع ١: ٩). كان لائقًا بالسماء أن تقبله، لأنه ملك الملوك السماوي (عب ٧: ٢٥؛ ٩: ٢٤؛ رو ٨: ٣٤؛ مز ١١٠: ١٦).

"**رد كل شيء ...**": إن كانت الخطية قد حرمت البشرية عن تحقيق رسالتها وأفسدت الخليقة الأرضية، فإن صعود السيد المسيح إلى السماء رد للإنسان كرامته ليحقق رسالته التي خُلق من أجلها، حيث يحمل أيقونة السيد المسيح، ويملك مع الرب.

"**منذ الدهر**" تعبير يحمل معنى "منذ البداية"، فالنبوات عن السيد المسيح بدأت منذ نال آدم الوعد الإلهي، لهذا يرى بعض الدارسين أن آدم هو أول نبي.

وكأن ما يكرز به الرسل ليس بالأمر الجديد، لكنه إعلان عن تحقيق ما اشتهته البشرية التي تطلب بصدقٍ خلاصها منذ أبوينا الأولين، والذي أعلنه الله خلال رجاله القديسين عبر العصور.

"فإن موسى قال للآباء:

إن نبيًّا مثلي سيقيم لكم الرب إلهكم من اخوتكم،

له تسمعون في كل ما يكلمكم به". [٢٢]

لما كان سلطان موسى النبي عند اليهود مطلقًا ونهائيًا، لهذا يردد القديس بطرس نبوة موسى النبي عن السيد المسيح (تث ١٨: ١٥-١٩). وقد سبق لنا الحديث عن هذه النبوة في تفسيرنا لسفر التثنية. وقد ميز الرسول هنا بين من يسمع له، ومن لا يسمع. فمن لا يسمع له يعصى موسى النبي الذي يفتخرون به وبالطاعة الكاملة له، يُحرم من الانتساب إلى شعب الله، فلا يكون له نصيب في الملكوت.

"ويكون أن كل نفسٍ لا تسمع لذلك النبي تُباد من الشعب". [٢٣]

كما تستخدم كلمة "**جسد**" لتعني الإنسان بكليته (يو ١: ١٤)، هكذا تُستخدم كلمة "نفس" لتعني الشخص بكليته (أع ٧: ١٤؛ يش ١٠: ٢٨).

"وجميع الأنبياء أيضًا من صموئيل فما بعده،

جميع الذين تكلّموا سبقوا وأنبأوا بهذه الأيام". [٢٤]

كشف القديس بطرس عن اهتمام موسى النبي كأول قائدٍ للشعب، ثم انتقل من شهادة موسى النبي إلى صموئيل النبي، ويعتبر أول الأنبياء بعد موسى النبي، جاء في نهاية عصر القضاة وبداية عصر الملوك، ثم بقية الأنبياء منذ كانت المملكة في قمة مجدها ثم انقسامها وسبي المملكتين وعودة الشعب من السبي.

كان نسل شاول مدعوًا لذلك (أم ١٣: ١٣) وإذ انحمق ولم يحفظ وصية الرب انتقل الوعد إلى داود الملك (١ صم ١٥: ٢٨). تجدد هذا الوعد خلال الأنبياء اللاحقين (إر ٣١: ٣١-٤١؛ يؤ٢: ٢٨-٢٩؛ حز ٣٧: ٢٦-٢٧).

كل ما يشغل أنبياء هذه الحقبات هو مجيء المسيا، وقد جاء، وتحقق عهد الله لإبراهيم أب المؤمنين. الآن يليق بالمستمعين كأبناء لهؤلاء الأنبياء وأصحاب العهد أن يتمتعوا ببركة يسوع القائم من الأموات، والقادر وحده أن يرد الكل عن شرورهم.

شوق الأنبياء جميعهم إلى ذلك اليوم يلزم أن يدفع أبناءهم إلى قبوله بفرحٍ وتهليلٍ. كأن ما يحمله الرسول بطرس من غيرة متقدة على الإيمان بالمسيا هو مشاركة جادة عملية لشوق الأنبياء الشديد، وغيرتهم على التمتع بشخص المخلص! بهذا كان يدفع سامعيه أن يشاركوه ذات المشاعر.

"أنتم أبناء الأنبياء والعهد الذي عاهد به اللَّه آباءنا،

قائلاً لإبراهيم:

وبنسلك تتبارك جميع قبائل الأرض". [٢٥]

يعتبر اليهود أنفسهم أبناء الأنبياء، ليس لأنهم من نسلهم جسديًا، وإنما لأنهم تلاميذ وأتباع لهم. فالتلميذ في فكر التقليد اليهودي كما الكنسي هو ابن لمعلمه. هكذا يليق بهم كأبناء أن يسمعوا لهم، وإلا فقدوا بنوتهم لهم.

"**أبناء العهد**"، أي أبناء إبراهيم الذين من حقهم التمتع بالوعد الإلهي المُقدم لأبيهم، والذي في عهد مع الله. وكأنهم هم أبناء الملكوت سواء خلال تلمذتهم للأنبياء أو انتسابهم لإبراهيم. فلا يليق بهم أن يكونوا كيهوذا "ابن الهلاك" (يو ١٧: ٢١).

"**وبنسلك تتبارك جميع قبائل الأرض**"، وكما يؤكد القديس بولس أن "**النسل**" هنا بصيغة المفرد تشير إلى السيد المسيح الذي جاء من نسل إبراهيم ليبارك جميع الأمم (غلا ٣: ١٦).

v لئلا يظنوا أنهم نالوا هذا العرض (الخاص بالتوبة ونوال الخلاص) كمنحة من بطرس، يُظهر لهم (الرسول) أن هذا يليق بهم منذ القديم، حتى يؤمنوا بأن مثل هذا يتمم إرادة الله.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"إليكم أولاً، إذ أقام اللَّه فتاه يسوع،

أرسله يبارككم،

بردّ كل واحد منكم عن شروره". [٢٦]

بقوله "**إليكم أولاً**" يشير إلى اليهود الذين قُدم لهم الخلاص أولاً، حيث تبدأ الكرازة بأورشليم (لو ٢٤: ٤٧). وقد كرّس يسوع المسيح نفسه خدمته لليهود.

"**أقام الله فتاه ...**"، إذ كرس الله المتجسد حياته من أجل تمتع البشرية بالبركة السماوية. لقد أرسله الآب وفي طاعة جاء الابن الذي بإرادته الواحدة مع إرادة الآب يريد أن الجميع يخلصون وإلى معرفة الحق يقبلون (١ تي ٢: ٤).

"**يرد كل واحدٍ منكم عن شروره**": مع ما يتمتع به الإنسان من حرية إرادة، إلاَّ أنه يعجز عن أن يرجع إلى الله، ويعطي ظهره للشر بدون العون الإلهي، أو عمل المسيح الخلاصي.

مع أن الوعد لإبراهيم أن بنسله، أي بالمسيح يسوع، تتبارك كل الأمم، لكنه جاء أولاً ليرد كل يهودي عن شره بالالتصاق بمصدر البركة.

v قال: "**أقام يسوع**" أي بعد صلبه، أي حتى بعد ارتكابهم جريمة قتله يترقب الله الآب خلاصهم، وذلك حتى لا يظنوا أن بطرس قدم لهم هذه المنحة وليس الآب، لذلك يقول: "**يبارككم**". فإن كان "**يسوع**" هو أخوكم ويبارككم، فالأمر هو وعد "**لكم أولاً**". بمعنى حاشًا لكم ألا تشتركوا في هذه البركات، إذ يريد أن تصيروا بالأكثر مؤسسين ومصدر بركات للآخرين. فلا تشعروا كما لو كنتم منبوذين. مرة أخرى يقول إنه إذ أقامه "**يرد كل واحد عن شروره**". إنه يبارككم بهذه الكيفية، وليس بركة عامة (لكل إسرائيل القديم).

القديس يوحنا الذهبي الفم

v حقًا لقد فعلتم أعمالاً تستحق الإدانة، لكن لازال يمكنكم نوال العفو. بقوله هذا يمكنه أن يقول: "**إليكم أرسل الله ابنه يسوع ليبارككم**". لم يقل ليخلصكم، بل ما هو أعظم أن **يسوع المصلوب بارك صالبيه**.

ليتنا نتمثل به. لنطرح روح القتل والعداوة هذه.

لا يكفينا إننا لا نثأر لأنفسنا، بل نفعل ما فى استطاعتنا كما يليق بأصدقائنا الملتصقين بنا فى أحضاننا، بل كما نفعله بأنفسنا، هكذا نعمل مع الذين يؤذوننا.

نحن أتباعه، نحن تلاميذه، هذا الذي بعد صلبه دبّر كل شيء عمليًا لحساب قاتليه، وأرسل رسله لهذه الغاية.

نحن بعدلٍ نتألم، أما هؤلاء فعملوا ليس فقط في غير عدلٍ بل وبشرٍ، لأنه هو المحسن إليهم، لم يصنع بهم شرًا صلبوه. ولأي سبب؟ من أجل سمعتهم. أما هو نفسه فجعلهم موضوع تقديرهم.

القديس يوحنا الذهبي الفم

من وحي أعمال الرسل ٣

هب لي قدمين تعبران إلى هيكل قدسك!

v مع ذاك الأعرج من بطن أمه تئن نفسي.

أقف كما عند باب الجميل أطلب صدقة،

ولا أدخل إلى الجمال ذاته،

الذي يود أن يسكب بهاءه عليَّ.

أطلب صدقة، وأبي هو خالق السماء والأرض!

يا لعجزي! ويا لغباوتي!

v لأسمع صوت كنيستك:

ليس لي فضة ولا ذهب، ولكن الذي لي، فإياه أعطيك.

باسم يسوع الناصري قم وامش.

اسمك العجيب هو وحده يهبني صحة لنفسي كما لجسدي.

باسمك تسير قدماي إلى هيكل قدسك.

أدخل كما إلى السماء،

أثب متهللاً مع أنبيائك ورسلك وكل قديسيك.

v سمروك يا رئيس الحياة على الصليب،

فككت قيودي،

لأجري نحو عرش نعمتك.

صلبوك بين الآثمة،

وختموا قبرك كي يحبسوك.

فأقمتني مع الطغمات السمائية،

وأصعدت قلبي إلى سماواتك!

قمت محطمًا الموت،

فأقمتني لأتمتع بحرية مجد أولاد الله.

v ليفرح كل الأنبياء الذين اشتهوا يومك!

فإني أشهد أن وعودك صادقة وأمينة!

لقد حلّ اليوم الذي فيه أتمتع بالفرح، وأرى وجهك الإلهي!

١ و صعد بطرس و يوحنا معا الى الهيكل في ساعة الصلاة التاسعة
٢ و كان رجل اعرج من بطن امه يحمل كانوا يضعونه كل يوم عند باب الهيكل الذي يقال له الجميل ليسال صدقة من الذين يدخلون الهيكل
٣ فهذا لما راى بطرس و يوحنا مزمعين ان يدخلا الهيكل سال لياخذ صدقة
٤ فتفرس فيه بطرس مع يوحنا و قال انظر الينا
٥ فلاحظهما منتظرا ان ياخذ منهما شيئا
٦ فقال بطرس ليس لي فضة و لا ذهب و لكن الذي لي فاياه اعطيك باسم يسوع المسيح الناصري قم و امش
٧ و امسكه بيده اليمنى و اقامه ففي الحال تشددت رجلاه و كعباه
٨ فوثب و وقف و صار يمشي و دخل معهما الى الهيكل و هو يمشي و يطفر و يسبح الله
٩ و ابصره جميع الشعب و هو يمشي و يسبح الله
١٠ و عرفوه انه هو الذي كان يجلس لاجل الصدقة على باب الهيكل الجميل فامتلاوا دهشة و حيرة مما حدث له
١١ و بينما كان الرجل الاعرج الذي شفي متمسكا ببطرس و يوحنا تراكض اليهم جميع الشعب الى الرواق الذي يقال له رواق سليمان و هم مندهشون
١٢ فلما راى بطرس ذلك اجاب الشعب ايها الرجال الاسرائيليون ما بالكم تتعجبون من هذا و لماذا تشخصون الينا كاننا بقوتنا او تقوانا قد جعلنا هذا يمشي
١٣ ان اله ابراهيم و اسحق و يعقوب اله ابائنا مجد فتاه يسوع الذي اسلمتموه انتم و انكرتموه امام وجه بيلاطس و هو حاكم باطلاقه
١٤ و لكن انتم انكرتم القدوس البار و طلبتم ان يوهب لكم رجل قاتل
١٥ و رئيس الحياة قتلتموه الذي اقامه الله من الاموات و نحن شهود لذلك
١٦ و بالايمان باسمه شدد اسمه هذا الذي تنظرونه و تعرفونه و الايمان الذي بواسطته اعطاه هذه الصحة امام جميعكم
١٧ و الان ايها الاخوة انا اعلم انكم بجهالة عملتم كما رؤساؤكم ايضا
١٨ و اما الله فما سبق و انبا به بافواه جميع انبيائه ان يتالم المسيح قد تممه هكذا
١٩ فتوبوا و ارجعوا لتمحى خطاياكم لكي تاتي اوقات الفرج من وجه الرب
٢٠ و يرسل يسوع المسيح المبشر به لكم قبل
٢١ الذي ينبغي ان السماء تقبله الى ازمنة رد كل شيء التي تكلم عنها الله بفم جميع انبيائه القديسين منذ الدهر
٢٢ فان موسى قال للاباء ان نبيا مثلي سيقيم لكم الرب الهكم من اخوتكم له تسمعون في كل ما يكلمكم به
٢٣ و يكون ان كل نفس لا تسمع لذلك النبي تباد من الشعب

٢٤ و جميع الانبياء ايضا من صموئيل فما بعده جميع الذين تكلموا سبقوا و انباوا بهذه الايام
٢٥ انتم ابناء الانبياء و العهد الذي عاهد به الله اباءنا قائلا لابراهيم و بنسلك تتبارك جميع قبائل الارض
٢٦ اليكم اولا اذ اقام الله فتاه يسوع ارسله يباركم برد كل واحد منكم عن شروره

الأصحاح الرابع

بطرس ويوحنا أمام المجمع

كشف سفر الأعمال عن موقف القيادات اليهودية، فإنهم إذ رفضوا يسوع المصلوب استمروا بعد صعوده في مقاومته، ومقاومة إنجيل المسيح القائم من الأموات والصاعد إلى السماوات الذي تكرز به الكنيسة.

يصف هذا الأصحاح بدء هذه المقاومة التي تستمر حتى زيارة الرسول بولس الأخيرة لأورشليم، فيدبروا مؤامرة لقتله (أع ٢٣: ١٢-١٥؛ ٢٥: ١-٣).

١. القبض على بطرس ويوحنا ١-٤.

٢. الرسولان أمام المجمع ٥-١٢.

٣. ارتباك المجمع ١٣-١٨.

٤. تهديد الرسولين ١٩-٢٢.

٥. صلاة من أجل الكرازة ٢٣-٣١.

٦. حياة الشركة ٣٢-٣٧.

١. القبض على بطرس ويوحنا

"وبينما هما يخاطبان الشعب،

أقبل عليهما الكهنة وقائد جند الهيكل والصدوقيون". [١]

لم يلتجئ الكهنة إلى الفريسيين بل إلى الصدوقيين لمقاومة هذا العمل الكرازي داخل رواق سليمان. وقد جاء معهم قائد جند الهيكل، وهو الشخص المسئول عن الحالة الأمنية للهيكل، وقد لاحظ جمهرة غير عادية في رواق سليمان، وكان هذا القائد هو الرجل الثاني بعد رئيس الكهنة من جهة الالتزام بحفظ نظام الهيكل والأمان فيه.

بلا شك لم يأتِ كل الكهنة، وإنما الكهنة أصحاب النفوذ، الأعضاء في مجمع السنهدرين.

كان قائد جند الهيكل يعسكر دومًا في قلعة انتونيا Antonia، خاصة في أيام الأعياد الكبرى. وقد خشي أن شفاء الأعرج من بطن أمه قد يسبب شغبًا، لذا شعر بالالتزام بالتدخل.

"**أقبل عليهما**": يحمل هذا التعبير أن مجيئهم كان فجأة وفيه نوع من العنف. فإذ كان بطرس ويوحنا يخاطبان الشعب بروح القوة والشهادة ليسوع القائم من الأموات، انفتحت أعين الكثيرين على معرفة الحق، حتى آمن نحو خمسة آلاف رجل [٤]. لم يكن ممكنًا لقوات الظلمة أن تقف مكتوفة الأيدي، خاصة الصدوقيون الذين لا يؤمنون بالقيامة من الأموات. لقد حسبوا هذا الحدث مع حديث القديسين بطرس ويوحنا هدمًا كاملاً لطائفتهم، وتحطيمًا لعقيدتهم.

لم يكن لديهم مانع من اشتراك المسيحيين في العبادة في الهيكل حسب الطقس اليهودي، وأن يجتمعوا في رواق سليمان، وتكون لهم تدابيرهم الخاصة بهم، أما أن ينادوا باسم يسوع الناصري علانية، وقيامته من الأموات، ففي هذا اتهام علني ضد القيادات التي سلمت يسوع للصلب، إنهم سافكو دم بريء وقتلة، وأن المصلوب هو المسيا. لهذا كان لا بد من التحرك لمقاومة هذه الحركة الخطيرة حسب أفكارهم.

لا يتعجب **القديس يوحنا الذهبي الفم** من أن الذين ألقوا القبض على يسوع وصلبوه يعودوا حتى بعد قيامته ليمارسوا شرهم بكل جسارة ضد تلاميذه. فإذ تلد الأفكار عملاً يفقد الخاطي حياءه ليفعل ما يشاء. فالخاطي وهو لا يزال يصارع مع الأفكار يصغي إليها مع إحساسه بالخجل، لكن ما أن تلد، أي تتحول الأفكار إلى عملٍ كاملٍ حتى تجعل الذين يمارسونها في أكثر وقاحةٍ.

v في المرة الأولى ألقوا القبض على السيد المسيح في البستان كمن هم فى خجلٍ بعيدًا عن الشعب، أما الآن ففي شيء من الجسارة جاءوا إلى الرسولين وهما يخاطبان الشعب علانية في الهيكل.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"متضجرين من تعليمهما الشعب،

وندائهما في يسوع بالقيامة من الأموات". [٢]

جاءت كلمة "**متضجرين**" تحمل السخط الشديد مع الغضب، لأنهم أدركوا أن في هذه الكرازة تعدٍ على سلطانهم، ومعارضة لتعاليمهم، بغض النظر عما إذا كانوا يكرزون بالحق الإلهي أم لا.

لم يكن من السهل أن يرى الكهنة والصدوقيون أن جماعة من الجليليين الأميين يحتلوا مركز التعليم بقوةٍ ونجاحٍ، وهم لا ينتمون إلى الكهنة ولا إلى القيادات الدينية. حسبوا هذا تحديًا وتمردًا على السلطات الدينية.

لم يشغلهم البحث عن ما وراء هذه المعجزة الفائقة وغيرها، وإنما كان يشغلهم سلطانهم الديني، وشعبيتهم التي صارت في وضع حرج. هذا ولم يكن ممكنًا لهم أن يسمعوا عن قيامة يسوع المسيح من الأموات.

لقد تضجروا وامتلأوا سخطًا حين رأوا الإنجيل يُكرز به، وكما يقول المرتل: "الشرير يرى فيغضب، يحرق أسنانه ويذوب، شهوة الشرير تبيد" (مز ١١٢: ١٠). هكذا تحولت كلمة الإنجيل المفرحة إلى اضطراب ومرارة بالنسبة لهم، وكما يقول الرسول: "لهؤلاء رائحة موتٍ لموتٍ، ولأولئك رائحة حياةٍ لحياةٍ" (٢ كو ٢: ١٦). هكذا يتحول مجد المسيح وفرح ملكوته إلى فقدانٍ للسلام وحزنٍ وموتٍ أبديٍ لمن لا يطيقه. وكما يقول إشعياء النبي: "لا سلام قال الرب للأشرار" (اش ٤٨: ٢٢).

اضجر الصدوقيون وامتلأوا حزنًا اقتنوه بسبب خطاياهم، بينما كان الرسل يكرزون بالقيامة المفرحة! واضجر الكهنة وهم يؤمنون بالقيامة أن يتحقق هذا باسم يسوع الناصري. فكان في نظرهم التحالف مع منكري القيامة أقل مرارة من قبول القيامة في المسيح يسوع.

v "**متضجرين من تعليم الشعب**" ليس لأنهم علموا الشعب، وإنما لأنهم أعلنوا أنه ليس المسيح وحده أُقيم من الأموات، وإنما خلاله نقوم نحن أيضًا... هكذا قيامته قديرة فإنه هو علة القيامة حتى بالنسبة للآخرين.

v تحفظ من أن تحوط نفسك بطاغية الحزن. يمكنك أن تسيطر على نفسك، فإن العاصفة ليست أعظم من مهارتك.

v لا تكون قط مكتئبًا، فإنه لا يوجد سوى شيء واحد مخيف وهو الخطية.

v الكل يطلب الفرح، لكنه لا يوجد على الأرض.

القديس يوحنا الذهبي الفم

v أمور النعمة يصاحبها فرح وسلام ومحبة وحق... أما أشكال الخطية فيصاحبها اضطراب وليس محبة ولا فرح نحو الله.

القديس مقاريوس الكبير

"فألقوا عليهما الأيادي،

ووضعوهما في حبسٍ إلى الغد،

لأنه كان قد صار المساء". [٣]

ألقوا القبض على التلميذين وهما يخاطبان الشعب، ووضعوهما في السجن لمحاكمتهم في اليوم التالي. هذه بدء سلسلة آلام الكنيسة التي يليق بها أن تشارك مسيحها آلام صلبه. أُلقى القبض على التلميذين في المسيح وُوضعا تحت الحفظ، إذ لم يكن من عادة مجمع السنهدرين أن يجتمع مساءً. هذا بجانب أن أعضاء المجمع كانوا ملتزمين بممارسة صلوات المساء وتقديم الذبائح.

v لم يخشوا الشعب، لأنه كان معهم قائد الهيكل، هؤلاء كانت أياديهم لا تزال تتضرج بدم الضحية السابقة.

القديس يوحنا الذهبي الفم

ربما يتساءل البعض: **لماذا لم يقدموهما إلى بيلاطس كما فعلوا مع السيد المسيح عند محاكمته؟** بلا شك أدركوا أن بيلاطس قد حاول مرة ومرات أن يطلق هذا البريء، وتحت الضغط الشديد والتهديد بأنه ليس بصديقٍ لقيصر اضطر إلى الحكم بصلبه. أما الآن فحتمًا لن يقبل أن يصلبهما، وربما كان يُصر أن يبرئهما، أو يترك المجمع يقتلهما، فيثور الشعب عليهم.

v لم يأخذوهما إلى بيلاطس، لأنهم كانوا في خجلٍ وعارٍ من التفكير فيما حدث قبلاً (مع السيد المسيح) لئلا يُلزمهم أن يقوموا هم بفعل هذا (أي قتلهما).

القديس يوحنا الذهبي الفم

"وكثيرون من الذين سمعوا الكلمة آمنوا،

وصار عدد الرجال نحو خمسة آلاف". [٤]

في يوم الخمسين كانت باكورة الكنيسة من القادمين إلى أورشليم، يهودًا كانوا أو متهودين، آمن منهم نحو ثلاثة آلاف نسمة، والآن "**صار عدد الرجال نحو خمسة آلاف**"، هؤلاء استناروا بالكلمة، وحُسبوا بالحق أبناء إبراهيم وأبناء الأنبياء، وتأهلوا أن يكونوا بالحق أبناء الموعد.

القبض على التلميذين بأمر القيادات الدينية الرسمية وحبسهما في السجن لم يعق هذه الآلاف عن الإيمان، بل حسبوا كل ألم تجتازه الكنيسة هو إلقاء بالبذار في التربة لكي تأتي بثمرٍ كثيرٍ.

هنا صورة حية ومثل رائع لنمو الكنيسة في وسط الآلام، فقد ظهر عمليًا أن دم الشهداء هو بذار الكنيسة. في المظهر كان عدد التلاميذ قليلاً جدًا، بلا إمكانيات مادية أو علم ومعرفة زمنية أو سلطة، وكان يُظن أنه ما أسهل سحق هذه الحركة تمامًا، لكن الضيق وهب الكنيسة نموًا فائقًا وامتدادًا لا يُمكن مقاومته. إذ لا يقدر الضيق أن يحطم الحق الإنجيلي أو يقيد الكلمة، بل هو مناخ طيب للعمل الإلهي.

v موت الشهداء يدافع عن الدين، وينمي الإيمان، ويقوي الكنيسة. لقد انتصر الذين ماتوا، وانهزم المضطهدون... موت الشهداء هو مكافأة حياتهم. مرة أخرى بموتهم، على اختلاف صوره، وضع نهاية للكراهية.

القديس أمبروسيوس

يرى البعض أن رقم ٥٠٠٠ هنا يضم المائة وعشرين المذكورين في أع ١: ١٥ والثلاثة آلاف الذين آمنوا في يوم البنطقستي (أع ٢: ٤١). وقد اجتمع الخمسة آلاف في رواق سليمان (أع ٣: ١١) بمناسبة شفاء الأعرج.

v هذا أيضًا حدث بتدبير الله، لأن الذين آمنوا كانوا أكثر ممن آمنوا قبلاً. لهذا قيدوا الرسولين فى حضور الشعب لكي يجعلوهم في رعبٍ شديدٍ. لكن حدث العكس، فقد فحصوهما ليس أمام الشعب، بل سرًا حتى لا يتشجع السامعون لهما.

القديس يوحنا الذهبي الفم

٢. الرسولان أمام المجمع

"وحدث في الغد أن رؤساءهم وشيوخهم وكتبتهم،

اجتمعوا إلى أورشليم". [٥]

اجتمع مجمع السنهدرين (السنهدريم)، وقد سبق لنا الحديث عنه في تفسير الإنجيل بحسب يوحنا. اجتمع الآن بعد مرور عدة أسابيع لاجتماعه وأخذ القرار بالخلاص من شخص يسوع، وبالفعل خططوا وسلموه للقتل، وإذا باسمه يتمجد بالأكثر، وعدد المؤمنين بلغوا الآلاف في أيام قليلة، وصاروا شهودًا جادين أن يسوع المصلوب هو المسيا مخلص العالم. في اجتماعهم الأول كانوا

يشعرون أن وجود يسوع يزعزع مكانتهم، ويفقدهم موارد رزقهم. أما الآن إذ انتشرت الكرازة بقيامته وصعوده، هذا لا معنى له سوى أن الذين صلبوه قتلة وسافكو دم بريء.

كانت الجلسة بلا شك عاجلة تمت في اليوم التالي مباشرة، وإن لم تكن بذات العجلة كما عند محاكمة السيد المسيح، إذ لم يجتمع المجمع مساءً.

تمت المحاكمة في أورشليم، المدينة الذي ينتظر الكل أن يتمتعوا فيها بالخلاص، لأنها مدينة الله، صارت مقاومة للحق الإنجيلي. يقول النبي: "كيف صارت القرية الأمينة زانية؛ ملآنة حقًا، كان العدل يبيت فيها، وأما الآن فالقاتلون" (إش ١: ٢١). وقد ناح عليها السيد المسيح نفسه، قائلاً: "يا أورشليم، يا أورشليم، يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها، كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا" (مت ٢٣: ٣٧).

ضمت هيئة القضاء الرؤساء والشيوخ وهم أصحاب سلطان جاءوا ليصدروا الحكم عليهم على الأقل بأن يكفوا عن الكرازة، أما الكتبة فهم الطبقة المتعلمة، كانوا يظنون أنهم قادرون أن يفحموا هؤلاء الرسل الأميين ويردعوهم بالحجج والبراهين.

"مع حنّان رئيس الكهنة وقيافا ويوحنا والإسكندر،

وجميع الذين كانوا من عشيرة رؤساء الكهنة". [٦]

"ولما أقاموهما في الوسط،

جعلوا يسألونهما:

بآيّة قوة، وبأيّ اسم صنعتما أنتما هذا؟" [٧]

يجتمع المجمع في شكل دائرة، ويقف المتهمون في المنتصف (لو ٢: ٤٦). بهذا يتحقق قول الكتاب: "جماعة من الأشرار اكتنفتني" (مز ٢٢: ١٦)، "أحاطوا بي مثل النحل" (مز ١١٨: ١٢)، إذ كانوا يجلسون حولهما من كل جانب.

استدعوا التلميذين وبدأوا يستجوبوهما: "**بأية قوة، وبأي اسم صنعتما أنتما هذا؟**" لم يكن ممكنًا لهم أن ينكروا صنع المعجزة، فإن آلاف مؤلفة تشهد بها، ولا يمكن إخفائها، لكنهم كالعادة غايتهم تحويل الحق إلى باطل، فينسبوا الشفاء إلى بعلزبول رئيس الشياطين كما اتهموا السيد قبلاً، أو لقوةٍ سحريةٍ، ولعلهم ظنوا أن بالتهديد يضطر التلاميذ أن ينسبوا العمل لأحد أنبياء العهد القديم.

تحدثوا معهما في شيء من السخرية، فإن النص اليوناني الذي ترجمته: "**بأي اسم صنع مثلكما هذا؟**" يحمل معنى "أنتما لا تنتميان إلى الكهنة، ولا إلى سبط لاوي، ولستما نبيين، ولا من القادة، فبأي سلطان تفعلان هذا؟ من أين أتيتما بالقوة؟ وتحت أي اسم تتجاسران وتفعلان هذا؟"

إنهم يعرفون تمامًا أنه باسم يسوع الناصري وبسلطانه وقوته فعلا هذا، لكنهم أرادوا أن يبثوا روح الرعب فيهما، ويلفقان لهما اتهامًا أنهما يعملان باسمٍ غير شرعي، وأنهما مرتكبان جريمة ضد الله والناموس وموسى.

وُجه إليهم نفس السؤال الذي وُجه لسيدهم: "بأي سلطان تفعل هذا؟ ومن أعطاك هذا السلطان؟" (مت ٢١: ٢٣).

حنان: وهو حما قيافا رئيس الكهنة، ذُكر أولاً بسبب كرامته، إذ كان رئيسًا للكهنة قبل استلام زوج ابنته هذا المركز. وقد رأينا في دراستنا لإنجيل يوحنا كيف كان ملتهبًا بالكراهية نحو شخص يسوع المسيح.

يوحنا والاسكندر: لا نعرف عنهما شيئًا، غير أن ذكرهما بالاسم يشير إلى أنهما صاحبا سلطان ونفوذ، يظن المجمع أنهما قادران أن يُسكتا الرسل.

أورشليم: واضح من هذا أن المجمع كان ينعقد أحيانًا في بلاد أخرى. وقد ذكر الكتَّاب اليهود أنه كان ينعقد في كل مرة في بلدة مختلفة، وذلك خلال الأربعين عامًا قبل خراب أورشليم.

"حينئذ امتلأ بطرس من الروح القدس، وقال لهم:

يا رؤساء الشعب وشيوخ إسرائيل". [٨]

لقد حقق الرب وعده لتلاميذه: "فضعوا في قلوبكم أن لا تهتموا من قبل لكي تحتجوا، لأني أنا أعطيكم فمًا وحكمة لا يقدر جميع معانديكم أن يقاوموها أو يناقضوها" (لو ٢١: ١٤-١٥). كما وعدهم بأن الروح القدس يعطيهم كلمة عند مقاومتهم.

ألم يكن بطرس ممتلئًا بالروح حين حلّ عليه في عيد العنصرة مع بقية التلاميذ، فلماذا يقول: **"حينئذ امتلأ بطرس من الروح القدس"؟** الامتلاء هنا يحمل معنى التمتع بإلهام جديد، وإعلان مساندة خاصة لموقف متأزم، فمع كل ظرف يعيش فيه المؤمن، يتحرك روح الله داخله ليهبه قوة وفهمًا وحكمة ومشورة إلهية.

تحدث القديس بطرس مع أعضاء المجمع بكل وقارٍ واحترامٍ، وفي نفس الوقت بكل شجاعةٍ، حاسبًا ذلك فرصة للشهادة للحق، وذلك حسب مبدأه: "مستعدين دائمًا لمجاوبة من يسألكم عن سبب الرجاء الذي فيكم بوداعةٍ وخوفٍ" (١ بط ٣: ١٥).

لقد سبق فجحد القديس بطرس سيده في نفس المدينة أمام ذات المجمع وفي حضور ذات الأشخاص، لهذا وجد الرسول فرصته ليحمل شهادة صادقة لمسيحه الذي سبق فأنكره.

كل مؤمنٍ يذوق عذوبة الحياة في المسيح يسوع بالحق لن يكف عن الشهادة له، مشتهيًا أن يختبر كل البشرية ما يتمتع به.

- عندما تكتشفون أن شيئًا ما نافع لكم، تريدون أن تخبروا الآخرين عنه... طبّق هذا السلوك الإنساني في المجال الروحي. عندما تذهب إلى الله، لا تذهب وحدك.

- عندما تتحرّك متقدًّما، اجتذب آخرين ليذهبوا معك. لتكن لك رغبة في أن يكون لك رفقاء في الطريق إلى الرب.

البابا غريغوريوس (الكبير)

- قلب محب واحد يلهب قلبًا آخر بالنار.

- ماذا اشتهي؟ ماذا أريد؟ لماذا أتكلّم؟ لماذا أعيش إن لم يكن لهذا السبب: أن نحيا معًا مع المسيح... أنني لا أريد أن أخلص بدونكم.

- ضرورة الحب تبحث عن ممارسة العمل الرسولي.

القدّيس أغسطينوس

- خلص نفسك في خلاص الآخرين.

القدّيس جيروم

- لو كنتم مسيحيّون بالحق لما بقي وثني واحد.

القدّيس يوحنا الذهبي الفم

"إن كنا نفحص اليوم عن إحسان إلى إنسانٍ سقيم،

بماذا شُفي هذا". [٩]

في شجاعة بعمل الروح القدس يعلن بطرس الرسول شهادته ليس أمام مجمع السنهدرين وحده، بل وأمام جميع شعب إسرائيل، أن ما حدث هو بقوة يسوع المسيح الناصري وباسمه. هكذا يصر الرسول أنه لن يتوقف عن الشهادة ليسوع المسيح أمام جميع شعب إسرائيل. وأنه يوجه لهم الاتهام، إنهم هم قتلة ذاك الذي جاء ليشفي كساح الشعب وأمراضه، جاء ليشفي ويهب قوة وحركة عمل في حياة الشعب، فهل يودون محاكمتهم على هذا الإحسان كما سبق فحاكموا البار وقتلوه؟ ليكن، لكن رسالتهم هي أن يعلنوا للجميع عن صاحب هذا الاسم وقوته الإلهية الفائقة المقدمة لكل مؤمنٍ.

أوضح الرسول بطريقة غير مباشرة أنه ليس من شرٍ قد ارتكبه، وإنما يُحاكم من أجل إحسان قُدم لرجلٍ سقيمٍ لم يستطع مجمع السنهدرين ولا كل القيادات الدينية أن تفعله. فلا توجد مادة لجريمةٍ ما، بل مادة لإحسانٍ عظيمٍ وفريدٍ.

ومن جانب آخر، فإنه ليس من ينكر الشفاء، لأنه حقيقة ملموسة من الجميع، إنما موضع الاتهام هو "**بماذا شفي هذا؟**" الجريمة التي كانت تلاحق الكنيسة، ولا تزال تلاحقها، هي جريمة "**الاسم**"، أنه باسم يسوع يتم الخلاص، ويتحقق كل إحسان ونعم إلهية!

"فليكن معلومًا عند جميعكم، وجميع شعب إسرائيل،

أنه باسم يسوع المسيح الناصري الذي صلبتموه أنتم،

الذي أقامه اللَّه من الأموات،

بذاك وقف هذا أمامكم صحيحًا". [١٠]

يؤكد حديث القديس بطرس أن السيد المسيح يتمم وعده الصادق لنا: "فمتى ساقوكم ليسلموكم فلا تعتنوا من قبل بما تتكلمون ولا تهتموا. بل مهما أُعطيتم في تلك الساعة بذلك تكلموا، لأن لستم أنتم المتكلمون بل الروح القدس" (مر ١٣: ١١).

يا للعجب! بطرس الذي أنكر أمام جارية وأصر على الإنكار يقف الآن أمام السنهدرين بكل قوةٍ ليشهد لاسم يسوع المسيح الناصري المصلوب والقائم من الأموات. إنه يعلن أن الذي قتلوه هو الحي غالب الموت، الذى يملك وليس من يقدر أن يقاومه.

في حكمة الروح القدس يكشف بجرأة أن حكمهم باطل، فقد قتلوا البار، وأن حكم الله الآب القدير لا يُقاوم إذ أقامه من الأموات. فقد نقضت السماء حكمهم، وكشفت عن فسادهم كقتلة مملوءين حسدًا وغيرة.

أما الشهادة على ذلك فظاهرة، لا تحتاج إلى دفاع: "**بذاك وقف هذا أمامكم صحيحًا**" [١٠].

كان لدى القديس بطرس الفرصة للهروب من الإجابة على تساؤلهم لو أراد، لكنه وجدها فرصة قد لا تتكرر كثيرًا أن يقف أمام مجمع السنهدرين يشهد للسيد المسيح وعمله الخلاصي، كما أنها فرصة ليصحح ما ارتكبه أثناء محاكمة السيد المسيح حيث أنكره ثلاث مرات. لم يعد بطرس الإنسان الخائف والمرتعب أمام جارية، بل الشاهد الأمين أمام أصحاب السلاطين، لقد اختبر بحق كيف صار صفا، إذ صار قلبه كالصخرة خلال الإيمان الحي، ويشتهي أن يختبر كل من هو حوله عمل الروح القدس ليحمل الكل صخرة الإيمان التي لن تهتز أمام تيارات العالم مهما بلغ عنفها.

لم يكن دافع شهادته كرامة شخصية ولا عن تعصبٍ، وإنما عن حبٍ صادق لله وللبشرية.

بقوله "**باسم يسوع المسيح**"، أي يربط الاسمين معًا، يتحدى مجمع السنهدرين الذي يرفض أن يكون يسوع هو المسيا الذي تنبأ عنه رجال العهد القديم، والذي تشتهي كل الأجيال اللقاء معه.

لم يعد لقب "**الناصري**" ولا "المصلوب" موضوع خزيٍ وعارٍ، بل شرف ومجد وقوة.

"هذا هو الحجر الذي احتقرتموه أيها البناءون،

الذي صار رأس الزاوية". [١١]

يعود فيوضح لهم أن ما فعلوه سبق فأعلنه المرتل: "الحجر الذي رفضه البناءون قد صار رأسًا للزاوية، ومن قِبل الرب كان هذا، وهو عجيب في أعيننا". (مز ١١٨: ٢٢)

قد سبق فأشار السيد المسيح نفسه أن فيه تتحقق هذه النبوة (مر ١٢: ١١). سبق فتنبأ إشعياء عنه: "لذلك هكذا يقول السيد لرب: هاأنذا أؤسس في صهيون حجرًا، حجر امتحان، حجر زاوية، كريمًا أساسًا مؤسَّسا، من آمن لا يهرب". (إش ٢٨: ١٦)

إنه حجر مرفوض، لكن رفضه يكشف عن حقيقته، أنه "**حجر الزاوية**" الذي يضم اليهود مع الأمم كحائطين يلتحمان معًا في هيكل الرب الجديد، أو كنيسة العهد الجديد.

يقول القديس بولس: "مبنيين على أساس الرسل والأنبياء ويسوع المسيح نفسه حجر الزاوية الذي فيه كل البناء مركبًا معًا ينمو هيكلاً مقدسًا في الرب؛ الذي فيه أنتم أيضا مبنيون معًا مسكنًا لله في الروح". (في ٢: ٢٠-٢١)

هنا يصحح الجليلي مفاهيم علماء اليهود الذين ظنوا أن الحجر المرذول هو داود النبي والملك، فقد جاء في الترجوم Targum تعليقًا على مز ١١٨: ٢٢: "الطفل الذي كان بين أبناء يسى، والذي كان مستحقًا أن يجلس ملكًا، رذله البناءون".

v لقد ذكَّرهم أيضًا بالقول الكافي أن يرعبهم. فقد قيل: "من سقط على هذا الحجر يترضض، ومن سقط هو عليه يسحقه" (مت ٢١: ٤٤). يقول بطرس أنه ليس بأحد غيره الخلاص [١٢]. أية جراحات تظنون أصابتهم بهذه الكلمات!... إنه بهذا أخمد تهديدهم.

v إنه أمر واضح لكل أحدٍ أنه يشير إلى المسيح. ففي الأناجيل أورد بنفسه هذه العبارة الموحاة بكلماته: "أما قرأتم قط في الكتب: الحجر الذي رذله البنّاؤون هو قد صار رأس الزاوية؟" (مت ٢١: ٤٢، لو ٢٠: ١٧)... هنا يعني اليهود، معلّمي الناموس والكتبة والفرّيسيّين، لأنهم رفضوه قائلين: "إنّك سامري وبك شيطان" (يو ٨: ٤٨). وأيضًا: "لا يمكن أن يكون من عند اللّه، إنّه يخدع الجموع". لكن هذا الإنسان الذي رُفض ظهر للعيان أنّه **مقبول أن يصير رأس الزاوية**.

أنتم ترون أنّه ليس أيّ حجر يصلح أن يكون للزاوية، وإنما الحجر المقبول جدًا، القادر أن يربط حائطين من الجانبين. هكذا فإن الكاتب الملهم يقصد أن الشخص الذي يرفضه اليهود ويحتقروه يظهر علانيّة أنّه عجيب ليس فقط ليكون في البناء بل يربط الحائطين.

أيّ حائطين بالحقيقة (اللذين يربطهما)؟

أولئك الذين آمنوا من اليهود والذين من الأمم، وكما يقول أيضًا بولس: "لأنّه هو سلامنا الذي جعل الاثنين واحدًا، ونقض حائط السياج المتوسّط، أيّ العداوة، مبطلاً بجسده ناموس الوصايا في فرائض، لكي يخلق الاثنين في نفسه إنسانًا واحدًا جديدًا" (أف٢: ١٤-١٥). وأيضًا: "مبنيّين على أساس الرسل والأنبياء، ويسوع المسيح نفسه حجر الزاوية" (أف٢: ٢٠).

الآن، هذه العبارة هي اتّهام خطير ضد اليهود، إذ لم يحسبوه حجرًا لائقًا لبنائهم، بل طرحوه خارجًا كمن هو غير مقبول، مع أنّه قادر على أقامة البناء. إن أردتّم أن تتعلّموا من هما الحائطين، فلتصغوا إلى المسيح نفسه القائل: "ليّ خراف آخر ليست من هذه الحظيرة، ينبغي أن آتي بتلك أيضًا... وتكون رعيّة واحدة وراعٍ واحد" (يو١٠: ١٦).

هذا أيضًا حدث قبلاً في رمزٍ، إذ كان إبراهيم أبًا لكلٍ من المجموعتين: أهل الختان وأهل الغرلة.

القديس يوحنا الذهبي الفم

يوضح **القديس أمبروسيوس** كيف يُدعى السيد المسيح الجبل العظيم وأيضًا حجرًا، فيقول:

v إن حسبنا لاهوتَ المسيح هو الجبل العظيم فهذا حق: "أما أملأ أنا السماوات والأرض يقول الرب؟" (إر ٢٣: ٢٤) فإن كان بالحق لاهوت المسيح هو الجبل العظيم، فإن تجسده يقينًا هو التل الصغير (الجبل الصغير مز ٤٢ :٦). لهذا فالمسيح هو كلاهما معًا. فهو جبل عظيم وجبل أقل! عظيم حقًا، لأنه "عظيم هو الرب وعظيمة هي قوته" (مز ١٤٧: ٥). وأقل لأنه مكتوب: "تنقصه قليلاً عن الملائِكة" (مز ٨ :٥). لهذا يقول إشعياء: "رأيناه، لا صورةَ له ولا جمالَ" (إش ٥٣:٢ LXX)، ومع أنه عظيمٌ نزلَ صائرًا أقل! وحال كونه أقلَ صارَ عظيمًا. وحال كونه عظيمًا صار أقل، لأنه "بالرغم من أنه بالطبيعة هو الله، أخلى ذاته وأخذ طبيعة عبد" (في ٢ :٦-٧) وحال كونه أقل صار عظيمًا، لأن دانيال يقول: "**أما الحجر الذي ضرب التمثال، فصار جبلاً كبيرًا، وملأ الأرضَ كلها**" (دا ٢: ٣٥). وإن كنتم تطلبون معرفة من هو ذلك الحجر، فاعرفوا أنه "**الحجر الذي رفضه البناءون، هذا صار رأس الزاوية**" (قابل مز ١١٨ :٢٢،إش ٢٨ :١٦، مت ٢١: ٤٢، لو ٢٠ :١٧، أع ٤: ١١، ١ بط ٢ :٦-٧). كان هو نفسه، مع ذلك وبالرغم من أنه ظهر

صغيرًا، كان عظيمًا. ويوضح إشعياء موافقته لتلك الحقيقة لأنه يقول: "يولد لنا ولد ونُعطى ابنا الذي بدايته على كتفيه، ويُدعى الرسول المشير العظيم " (إش ٩: ٥ LXX).

المسيح هو كل شيء لأجلكم:

هو حجر لأجلكم، ليبنيكم، وجبلٌ لأجلكم، لتصعدوا!

فاصعدوا الجبل إذن، يا من تطلبون السماويات.

لهذا السبب طأطأ (أحنى) السماوات، لتكونوا أقربَ إليه!

ولهذا السببِ صعد إلى أعلى قمة الجبل ليرفعكم معه.

القديس أمبروسيوس

"وليس بأحد غيره الخلاص،

لأن ليس اسم آخر تحت السماء،

قد أعطي بين الناس،

به ينبغي أن نخلص". [١٢]

وقف الجليلي الأمي يدعو رجال العلم والمعرفة الدينية والسلطة إلى التوبة والتمتع بالخلاص.

رفعهم الرسول بطرس من الانشغال بشفاء الكسيح إلى شفاء نفوسهم العاجزة عن العبور إلى السماء، أو خلاصها لتتمتع بالمجد المُعد للمؤمنين. هذا الذي شفي الكسيح هو طبيب النفوس والأجساد، باسمه وحده ينعم الإنسان بالخلاص. ليس من وجهٍ للمقارنة بين الأسماء التي عرفوها واعتزوا بها مثل إبراهيم أب الآباء أو موسى مستلم الشريعة أو أحد الأنبياء، فإنه ليس أحد منهم قادرًا أن يخلص النفوس من الفساد وينعم عليها بالمجد، إنما اسم ذاك الذي رفضوه واحتقروه وقتلوه.

قدم لهم الرسول جوهر الإيمان، وهو أن الخلاص لا يتحقق بحرفية الناموس، وإنما **بالإيمان باسم يسوع المسيح، أي بالقادر وحده أن يخلص: يمحو الخطايا، ويهب البرّ، يحول آلام الضيق إلى بهجة قيامة، يرفع القلب إلى السماء، ليتذوق المؤمن عربون الأبدية. يحطم متاريس الهاوية، ويفتح أمامنا أحضان الآب السماوي، لنتمتع بالاتحاد معه.**

v الإيمان المسيحي يشبه حبة خردل يبدو للنظرة الأولى شيئًا صغيرًا تافهًا وضعيفًا، لا يُظهر بوضوح قوته الحقيقية؛ عندما تبدأ تهاجمه تجارب متنوعة، عندئذ يظهر نشاطه خارجيًا وقوته، ويتنسم إيمانه الناري بالرب، ويُثير نوعًا من الهوى الإلهي، لا ليلتهب هو نفسه فقط، بل ويلهب كل ما في داخل مجاله.

القديس أمبروسيوس

v سيأتي زمن أرى فيه ما كنت أؤمن به ولا أراه.

- سأرى في الأبدية ما أؤمن به هنا... وما أرجوه هنا سأحصل عليه هناك.

- عظيم هو الإيمان، إنما لا فائدة منه إن خلا من المحبة.

- يلزم على الإيمان أن يسبق الإدراك، ليكون الإدراك جزء من الإيمان.

- نستطيع أن نلمس ذاك الجالس في السماء بإيماننا وليس بأيدينا.

القديس أغسطينوس

- تكمن قوة الفضيلة في الإيمان، والتعرف على أن الله يمكن أن يحفظنا من الموت الحاضر؛ وفي نفس الوقت لا نرهب الموت ولا نخضع له، حيث يتزكى به الإيمان بأكثر غيرة.

- نُضوج الإيمان يا إخوتي الأعزاء يُسند داخلنا بثبات. بعد كل هجوم عنيف تقف الفضيلة ثابتة كصخرة ضخمة في مقاومة هائلة.

الشهيد كبريانوس

"**ليس اسم آخر**": لا يعني الرسول تجاهل اسم الله الآب، لكن بذل الآب ابنه الوحيد ليهب الخلاص خلال اسم ابنه، فمن يدعو اسم الابن الوحيد إنما يدعو الثالوث القدوس، حيث لا انفصال بين الأقانيم، بل توجد وحدة عمل.

"**قد أعطي**": هذا الاسم أو شخص ربنا يسوع المسيح أُعطي لنا مجانًا، أو كما يقول الرسول: "فشكرًا لله على عطيته التي لا يُعبر عنها" (٢ كو ٩: ١٥).

- أنصت إلى المخلص: أنا جددتك، يا من وُلدت في العالم بالشقاء للموت. لقد حررتك، وشفيتك وخلصتك. سأهبك الحياة التي بلا نهاية، السرمدية، الفائقة للطبيعة. سأريك وجه الله الآب الصالح.

- أني أحثك على الخلاص، هذا ما يشتهيه المسيح.

- سخي هو ذاك الذي يهبنا أعظم كل العطايا، حياته ذاتها.

- من هو؟ تعلموا باختصار، إنه كلمة الحق، كلمة عدم الفساد، الذي يجدد الإنسان إذ يرده إلى الحق. إنه المهماز الذي يحث على الخلاص. هو محطم الهلاك، وطارد الموت. أنه يبني هيكل الله في الناس، فيأخذهم لله مسكنًا له.

يحتاج المرضى إلى مخلص،

ويحتاج الضالون إلى مرشد،

يحتاج العميان إلى من يقودهم إلى النور،

والعطاش إلى الينبوع الحيَّ الذي من يشرب منه لا يعطش أبدًا والموتى إلى الحياة،

والخراف إلى راعى،

والأبناء إلى معلم؛

تحتاج كل البشرية إلى يسوع!

القديس إكليمنضس السكندري

v ليكن المسيح هو كل شيء. من يترك كل شيء من أجل المسيح، حتمًا يجد أمرًا واحدًا فيه الكل، لكي يصرخ: نصيبي هو الرب.

القديس چيروم

v وُلد اسحق رمزًا للمسيح، لأن الأمم لا تتبارك في اسحق بل في المسيح، يقول الرسول بطرس: "ليس بأحدٍ غيره الخلاص، لأن ليس اسم آخر تحت السماء قد أُعطي بين الناس به ينبغي أن نخلص".

أمبروسياستر

٣. ارتباك المجمع

"فلما رأوا مجاهرة بطرس ويوحنا،

ووجدوا أنهما إنسانان عديما العلم وعاميان تعجبوا،

فعرفوهما أنهما كانا مع يسوع". [١٣]

كان حديث الرسولين بطرس وبولس مقنعًا، يتكلمان بمجاهرة، في ثقةٍ وكمن لهما سلطان، مع أنهما في أعين القيادات عاميان عديما العلم، لأنهما لم يتربيا في مدارس الربيين. إنهما عاميان أي من عامة الشعب، ليس لهما مركز مرموق ولا هما من أصحاب المواهب. لقد كشفا عن مفاهيم جديدة للنبوات بمنطقٍ لاهوتيٍ عميقٍ، ومحاجاة يصعب على محامٍ أن يأتي بها. كلماتهما كانت من عمل الروح القدس نفسه صاحب الكلمة، والذي وحده يقدر أن يعلن عن الحق.

لقد بحثوا في أمرهما، فاكتشفوا أن سرّ قوتهما والهالة التي تحيط بهما "**أنهما كان مع يسوع**"، وأنهما قد حملا انعكاس بهائه عليهما.

لقد أدركوا أنهما من رسل السيد المسيح الذين تبعوه والتصقوا به، وآمنوا به ولعلهم بلغوا هذه النتيجة من الآتي:

١. يحملان قوة في صنع العجائب، خاصة شفاء هذا الأعرج باسم يسوع المسيح الناصري.

٢. يحملان روح المجاهرة والشجاعة في الشهادة له دون خوف أو تردد.

٣. حملا روحه والمناداة بالحق الإلهي.

٤. إدراكهما لأسرار العهد القديم بمفهومٍ جديدٍ.

٥. مع عدم تعليمهما بثقافةٍ زمنيةٍ، يتحدان الحكماء (١ كو ١: ٢٧-٢٨)، بل ويفحمان مجمع السنهدرين نفسه، الذي يظن أنه حامي الإيمان والحق. إنهما مثل سيدهما الذي كان يتكلم كمن له سلطان (مر ١: ٢٢)، مع أنه لم يتعلم الكتب في مدارس الربيين (يو ٧: ١٥).

v تفَّوق العاميان على بلاغتهم وعلى رؤساء الكهنة، لأنهما لم يكونا المتكلمين بل نعمة الروح.

القديس يوحنا الذهبي الفم

v ليس للمعرفة الحقيقية الروحية فصاحة زمنية، تلك التي هي مدنسة بوصمات الخطايا الجسدية، فإننا نعرف أنه أحيانًا ينالها بصورة عظيمة من هم بلا فصاحة لسان بل والأميون. هذا يظهر بوضوح في حالة الرسل وكثير من القديسين الذين ليس لهم مظهر أوراق (الشجر) الكثيرة لكنهم منحنون بفعل ثقل ثمار المعرفة الروحية الحقيقية. عن هؤلاء جاء في أعمال الرسل: "فلما رأوا مجاهرة بطرس ويوحنا ووجدوا أنهما إنسانان عديما العلم وعامّيَّان تعجَّبوا، فعرفوهما أنهما كانا مع يسوع" (أع ٤:١٣).

الأب نسطور

"ولكن إذ نظروا الإنسان الذي شُفي واقفًا معهما،

لم يكن لهم شيء يناقضون به". [١٤]

الأعرج الذي شُفي هو برهان أكيد لا مجال للحوار فيه على الحق الذي ينادي به الرسولان. فالمعجزة علنية وواضحة وحاسمة، والأعرج رجل معروف تمامًا.

لم يكن القادة قادرين على المغالطة، فالشفاء واقعة حقيقية تمت لرجلٍ يعرفه كل أهل أورشليم، والحديث منطقي كتابي، مستمد من النبوات التي بين أيديهم.

هنا يمتدح **القديس يوحنا الذهبي الفم** شهامة وشجاعة الرجل الذي شُفي.

v عظيمة هي جرأة الرجل، فإنه لم يتركهما حتى في قاعة المحكمة، فإنهما وإن قالا هذه الحقيقة لا تكون بذات القوة عندما يحاججهم هو.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"فأمروهما أن يخرجا إلى خارج المجمع،

وتآمروا فيما بينهم". [١٥]

"قائلين: ماذا نفعل بهذين الرجلين؟

لأنه ظاهر لجميع سكان أورشليم أن آية معلومة قد جرت بأيديهما،

ولا نقدر أن ننكر". [١٦]

رُفعت الجلسة للمداولة وهم في خزي، دون إمكانية إصدار حكم ضد الرسولين، فإنهما لم يكسرا الشريعة، والشعب كله قد عرف ما قد تم على أيديهما، وكرازتهما عن قيامة المسيح لا يمكن نقضها.

تحوّل المجمع إلى موضع مؤامرة، لا محكمة تمثل العدالة. لكن من الذي أخبر لوقا البشير بأنهم تآمروا فيما بينهم، بينما كان الرسولان خارجًا؟ غالبًا ما كان شاول الطرسوسي من بينهم، إذ كان فريسيًا وعلى علاقة قوية بغمالائيل، وكان مملوء غيرة على تقليدات آبائه، وكان رؤساء الكهنة يحسبونه سندهم القوي في مقاومة اسم يسوع. شاول هذا بعد تحوله إلى الإيمان قدم للقديس لوقا المعلومات الخاصة بما جرى داخل المجمع، سواء في هذا الحدث أو غيره من الأحداث، ولعله اشترك معهم في هذه المؤامرة أو كانت له اليد الكبرى في تشجيعهم على ذلك.

طلبوا من الرسولين أن ينسحبا إلى خارج المجمع، لا ليتدارسوا صحة إيمانهما أو بطلانه، إنما ليخططا ضد الكنيسة في بدء انطلاقها، ولم يدركوا أن رأس الكنيسة حاضر في كل موضع يدافع عنها، ويبطل مؤامرات العدو. لم يدركوا أنهم يحققون النبوات: "تآمر الرؤساء معًا، على الرب وعلى مسيحه" (مز ٢: ٢).

v "ولكننا في هذه جميعها يعظم انتصارنا بالذي أحبنا" (رو ٨: ٣٧). فإنه بالحق عجيب هو هذا الأمر، أننا لسنا فقط منتصرين فحسب، بل **نحن منتصرون بنفس الأمور التي وضعت كخططٍ ضدنا**. وإننا "أعظم من منتصرين"، أي أننا منتصرون بسهولة بدون تعبٍ أو مجهودٍ... انظروا، فإن اليهود يقولون: "**ماذا نفعل بهذين الرجلين؟**" (أع ٤: ١٦). حقًا إنه لأمر عجيب، مع أنهم أمسكوا بهما، وجعلوهما تحت المحاكمة، وسجنوهما، وضربوهما، لكنهم شعروا أنهم في ضياع وارتباك كمن **انهزموا بنفس الأمور التي توقعوا أنهم بها ينتصرون**. لم يكن للملوك ولا للشعب ولا لطغمات الشياطين ولا لإبليس نفسه سلطان لينالوا شيئًا منهما، بل الكل انهزموا في خسارة عظيمة، إذ وجدوا أن كل ما قد خططوه ضدهما آل إلى صالحهما. لهذا يقول: "**نحن أعظم من منتصرين**" (راجع رو ٨: ٣٧). هذا قانون جديد للنصرة به ينال البشر الغلبة على أعدائهم، لن ينهزموا بأية وسيلة، بل يدخلون هذه الصراعات كأن الأمر في أيديهم...

إنّهما ليس فقط انتصرا، وإنّما **انتصرا بطريقة مدهشة**، حتى يظهر بوضوح أن الذين خطّطوا ضدّهما كانوا في معركة ضد الله وليس ضد بشر مجرّدين.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"ولكن لئلاّ تشيع أكثر في الشعب لنهددهما تهديدًا،

أن لا يُكلّما أحدًا من الناس فيما بعد بهذا الاسم". [١٧]

"فدعوهما وأوصوهما أن لا ينطقا البتّة،

ولا يُعلما باسم يسوع". [١٨]

كان رؤساء المجمع في موقف لا يُحسدون عليه، فإن حكموا بموت الرسولين يخشون الشعب الذي شاهد بنفسه معجزة فريدة من نوعها. وإن أطلقوهما بلا مؤاخذه يحسب ذلك موافقة علنية على أن **اسم** يسوع المصلوب يصنع معجزات بواسطة تلاميذه. أخيرًا استقروا على تهديد الرسولين حتى لا ينطقا البتة، ولا يعلما **بهذا الاسم**.

أصاب الرؤساء حالة إحباط فمن محاكمة إلى تهديد، وأخيرًا مجرد توصية. بسبب حقدهم الشديد **لم يستطيعوا حتى أن ينطقوا اسم يسوع**، بل أوصوهما إلا يعلما "**بهذا الاسم**". لقد حملوا روح شاول الملك الذي في كراهيته الشديدة لداود كثيرًا ما كان غير قادر أن ينطق باسمه بل يدعوه "ابن يسي" (١ صم ٢٠: ٧٢، ٣٠، ٣١؛ ٢٢: ٨، ١٣).

ليس من خدمة يمكن أن تُقدم لمملكة إبليس أعظم من أن توقف خدمة رجال الله الأمناء، ظنًا من أنه يمكن أن يُوضع النور تحت مكيال، لكن هذا محال.

v كلما أرادوا أن يعوقهم (عن الكرازة) كان العمل بالأكثر يزداد على أيديهم.

القديس يوحنا الذهبي الفم

٤. تهديد الرسولين

"فأجابهم بطرس ويوحنا وقالا:

إن كان حقًا أمام اللَّه أن نسمع لكم أكثر من اللَّه فاحكموا". [١٩]

استطاع هذان الأميان عديما العلم أن يبكما أكثر من سبعين شخصًا على أعلى مستوى من المعرفة والسلطة. فقد اعتقد أعضاء مجمع السنهدرين أنهم مُعينون من قبل الله نفسه، وأنهم مدافعون عن الحق الإلهي. الآن يسألهم الرسولان: تلقينا أمرًا من الله بالكرازة، وتلقينا أمرًا منكم بالصمت، فأي الأمرين يلزم طاعته: الأمر الإلهي أم البشري؟ هكذا وُضع المجمع في مأزقٍ رهيبٍ، إذ لم يعد يمثل فكر الله، ولا يبالي بالوصية الإلهية وتتميم مشيئة الله ولا بقبول تنفيذ النبوات.

طلب الرسولان من رؤساء المجمع أن يحكموا بأنفسهم: هل يسمع الرسل لهم أكثر من الله؟ هل يصمتون عن الشهادة للحق الذي رأوه وسمعوه واختبروه؟ كيف يمكنهم أن يخفوا إشراق نور القيامة عن الناس؟ فالضرورة موضوعة عليهم أن يكرزوا (١ كو ٩: ١٦؛ إر ٢٠: ٩؛ أع ١٨: ٥).

"لأننا نحن لا يمكننا أن لا نتكلم بما رأينا وسمعنا". [٢٠]

الشهادة للسيد المسيح هي حق بل والتزام من جانب من يرى الرب في حياته، ويسمع صوته الإلهي في داخله. ليس من صوتٍ بشريٍ مهما كان سلطانه يقف ضد الصوت الإلهي، كلمة الإنجيل الحي العامل في حياة المؤمن.

v يلتزم العبد الذي يرسله الرب أن يفعل ما يجب عليه أن يعمله، حتى ولو كان ذلك بغير إرادته، فإنّه إن لم يفعل ذلك يتعرّض للعقوبة. لقد كرز موسى لفرعون، مع أنّه لم يكن يريد ذلك (خر ٤: ١٠؛ ٥: ١)، والتزم يونان أن يبشّر أهل نينوى (يو١: ١- ٣: ٤).

إمبرسياستر

v أود أن أسأل: من الذي كان مرتعبًا؟ هل الذين قالوا: "**لا يكلما أحدًا من الناس**" أم القائلان: "**لأننا نحن لا يمكننا أن لا نتكلم بما رأينا وسمعنا**"؟

لقد وجدوا بهجة وحرية للتكلم، وفرحًا فائقًا على الكل، أما أولئك فكان يلحق بهم القنوط والخزي والخوف، إذ كانوا يخشون الشعب.

لم يكونا خائفين منهم، بل بالعكس بينما قال هؤلاء ما يريدونه، إذا بالرسولين لم ينفذا ما أراد هؤلاء، فمن إذن الذين كان في قيودٍ ومخاطرٍ؟ ألم يكن هؤلاء (أعضاء المجمع)؟

القديس يوحنا الذهبي الفم

"وبعدما هدّدوهما أيضًا أطلقوهما،

إذ لم يجدوا البتّة كيف يعاقبونهما بسبب الشعب،

لأن الجميع كانوا يمجّدون اللَّه على ما جرى". [٢١]

"لأن الإنسان الذي صارت فيه آية الشفاء هذه،

كان له أكثر من أربعين سنة". [٢٢]

كان لابد للمجمع أن ينهي جلسته، فقد كان الجمع يمجد الله على شفاء الأعرج بطريقة فائقة. فإنه يستحيل لأعرج له أكثر من أربعين عامًا يعاني من الكساح وقد وُلد هكذا أن يُشفى.

٥. صلاة من أجل الكرازة

"ولما أطلقا أتيا إلى رفقائهما،

وأخبراهم بكل ما قاله لهما رؤساء الكهنة والشيوخ". [٢٣]

ما أن انطلقا حتى ذهبا إلى الكنيسة التي كانت غالبًا مجتمعة للصلاة من أجلهما لكي يعطيهما الرب كلمة شهادة حية وسط الضيق. ذهبا ليشترك الكل معهما في الفرح بعمل الله، ويقدم الكل معًا ذبيحة تسبيح وشكر لله.

لقد قدما تقريرًا عن عمل الناس وعمل الله معهما، فمن جهة الناس بذلوا كل الجهد لإعاقة كلمة الله ومقاومة الحق، ومن جهة الله فحوّل كل الأمور لبنيان الكنيسة.

قدموا هذا التقرير ليشترك الكل في التسبيح للرب، ولكي يتشجع الكل للعمل الكرازي، وكما كتب الرسول بولس: "وأكثر الإخوة وهم واثقون في الرب بوثقي يجترئون أكثر على التكلم بالكلمة بلا خوف" (في ١: ١٤).

v ليس من أجل مجدهما أخبرا بالقصة؛ كيف يمكن أن يكون هذا دافعهما؟ وإنما ما أخبرا به هو البراهين التي تكشف عن نعمة المسيح. قالا ما نطق به المقاومون، أما ما قالاه هما فحذفاه. هذا يجعل السامعين أكثر شجاعة.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"فلما سمعوا رفعوا بنفسٍ واحدةٍ صوتًا إلى اللَّه وقالوا:

أيها السيد،

أنت هو الإله الصانع السماء والأرض والبحر وكل ما فيه". [٢٤]

روى الرسولان أول خبرة لهما في بدء طريق الألم. لقد خرجا منتصرين لكن تحت تهديد استخدام أساليب سرية للخلاص منهما بغير محاكمة حتى لا يثور الشعب.

دفعتهم التجربة إلى حياة النصرة الجماعية بنفسٍ واحدةٍ، في يقينٍ بقدرة الله خالق السماء والأرض.

لما كانت القضية والاتهام ضد "**اسم يسوع**" لذا قدموا الصلاة لله الآب على أساس أنها قضية الابن الوحيد الذي أرسله ليقدم الخلاص للعالم.

من ثمار الضيق حفظ روح الوحدة، لا على مستوى التجمع والتكتل، بل على مستوى الروح بالحب والصلاة المشتركة، إذ صلوا "**بنفسٍ واحدةٍ**".

جاءت الكلمة اليونانية المترجمة هنا "**السيد**" أو "**الرب**" *Despota*، وهي تعني "الحاكم"، تخص من يدبر أمور الآخرين بسلطانٍ وقوةٍ. ففي وسط الضيق يشعر المؤمنين أن كل أمورهم الكبيرة والصغيرة لن تحدث اعتباطًا، بل يوجد ملك الملوك يدبرها بحكمته وقدرته الفائقة، وأن حياتهم ليست في يد بشرٍ ما مهما كان سلطانهم.

v هؤلاء مرة أخرى هربوا إلى الله الملجأ الحقيقي، إلى الاتحاد الذي لا ينفك، مرة أخرى "**رفعوا بنفس واحدة صوتًا إلى الله وقالوا**" [٢٤] بغيرة عظيمة، **فإنه لا تُقام صلاة بغير هدف**.

v لنخضع نحن أنفسنا للصلاة. إنها سلاح قدير، إن قدمت بغيرة، إن كانت بدون عجب، إن كانت بذهنٍ مخلصٍ. إنها تصد حروبًا، وتفيد الأمة كلها مع عدم استحقاقها. يقول: "سمعت أنينهم ونزلت لأنقذهم". إنها هي عينها دواء منقذ، له قوة لمنع الخطايا وشفاء الأفعال الشريرة.

القديس يوحنا الذهبي الفم

v لنجتمع معًا في جماعة تقدم صلاة متحدة معًا، ولنصارع معه في طلباتنا، هذا يبهج الله.

العلامة ترتليان

"القائل بفم داود فتاك:

لماذا ارتجت الأمم وتفكرت الشعوب بالباطل؟" [٢٥]

في صلاتهم قدموا كلمات ليست من عندهم، بل اقتبسوا لغة الروح القدس، إذ اختاروا **المزمور الثاني** الذي يحمل رؤية شاملة لقضية الصليب وكيف أقام الشيطان تحالفًا بين اليهود والرومان والرؤساء ضد الرب ومسيحه.

يقدّم لنا رجل الصلاة والسكون **مار اسحق السرياني** خبرته العمليّة في حياة النصرة على إبليس وكل قوّات الظلمة، وذلك بممارسة **الصلاة المنسوجة من المزامير والصلاة الربّانيّة والصلاة الارتجاليّة**، يصوبها المؤمن كسهم أو ثلاثة سهام يطعن بها عدو الخير.

v **خدمة المزامير**، والصلاة الربانية لأبينا السماوي، وصلاة التلاوة التي يرتجلها الإنسان ويطلب بها الرحمة والعون والخلاص، هذه الثلاثة مثل ثلاثة سهام بها تطعن الشياطين وتقتلهم.

مار اسحق السرياني

دعا داود النبي يسوع "**فتاك**". وفى اليونانية *paidasou* يمكن ترجمتها "عبد" كما ورد في تسابيح العبد المتألم فى إشعياء النبي، وأيضا "ابن" كما دعاه الآب أثناء العماد والتجلي (مت ٣: ١٧؛ لو ٣: ٢٢).

"قامت ملوك الأرض، واجتمع الرؤساء معًا،

على الرب وعلى مسيحه". [٢٦]

كأنهم يشكرون الله الذي سبق وأنبأ على لسان داود النبي عن مقاومة الأمم والشعوب بملوكهم ورؤسائهم للسيد المسيح ولمملكته. كأن كل مقاومة أيا كان مصدرها، مادامت من أجل المسيح، فهي تأكيد أننا في الطريق الحقيقي. وكل اتحاد لقوات الشر ضد الكنيسة، إنما يكشف عن عجزهم عن تحطيمها. إن كان الله قد وهبهم عطايا هذا مقدارها، من بينها أنهم صاروا ملوكًا ورؤساء وأصحاب سلطان، لكنهم حوّلوا هذه النعم لمقاومة واهبها.

v إنهم كمن يقاضون الله هكذا يقدمون له عهوده، مقدمين هذه النبوة، وفي نفس الوقت يجدون فى هذا راحة، أن كل تخيلات أعدائهم باطلة. هذا هو ما يقولونه: لتُحقق هذه الكلمات، ولتُظهر أنهم يتخيلون أمورا باطلة.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"لأنه بالحقيقة اجتمع على فتاك القدوس يسوع،

الذي مسحته،

هيرودس وبيلاطس بنطس مع أمم وشعوب إسرائيل". [٢٧]

v تلك **المسحة** لا ترفع من شأن الابن الوحيد الجنس الطوباوي غير الفاسد، ذاك الذي يقطن فى طبيعة الله، إنما ثبتت سرّ جسده وقدست الناسوت الذي أخذه.

القديس هيلاري أسقف بواتييه

كثيرًا ما جاء عن بيلاطس لقب "البنطي" وهي ترجمة خاطئة، والأصح هي "**بنطس**" لأن اسمه بيلاطس بنطس، وهو ليس من بلد تدعى بنطس أو بنط حتى ندعوه "البنطي". وقد اتفق اللاهوتيون في مجلس كنائس الشرق الأوسط على تصحيح هذا الخطأ في الترجمات.

"ليفعلوا كل ما سبقت فعينت يدك ومشورتك أن يكون". [٢٨]

"والآن يا رب انظر إلى تهديداتهم،

وامنح عبيدك أن يتكلّموا بكلامك بكل مجاهرة". [٢٩]

لم تطلب الكنيسة المجتمعة في عصر الرسل أن يرفع الرب الضيق، ويحطم الأعداء ويهلكهم، بل طلبوا أن يحول الرب كل ضيقة للشهادة بمجاهرة وبكل قوته لملكوته السماوي.

"**ارتجت**": بينما يقدم الإيمان المسيحي المصالحة التي تتحقق بين الناس والآب خلال دم الابن الوحيد، ومصالحة الإنسان مع أخيه ومحبته حتى لأعدائه المقاومين له، مع المصالحة الداخلية بين النفس والجسد بعمل روح الله القدوس، إذا بالشعوب والأمم ترتج في ثورة عارمة، لأنها لا تطيق النور الإلهي. يستخدم العالم كل عنف لمقاومة الكنيسة الحاملة طبيعة عريسها: "لا يصيح ولا يسمع أحد صوته".

"**تفكرت**": أي تحول الفكر البشري بكل طاقاته لهدفٍ واحدٍ، وهو تحطيم مملكة النور، ورفض المسيا المصلوب.

"**بالباطل**": الكلمة اليونانية *kena* وترجمتها الحرفية في العبرية *reeyq* وتعني "الفراغ"، فقد صارت الشعوب أشبه بإناءٍ فارغ لا يقبل أن يمتلئ بمصدر الشبع، المخلص ربنا يسوع. هذا الفراغ أيضًا يحمل العجز، فكل مقاومة بكل عنف من جانبهم تنتهي إلى لاشيء. إنهم يبددون طاقاتهم في مقاومتهم للحق، فيسمعون مع شاول الطرسوسي: "صعب عليك أن ترفس مناخس". (أع ٩: ٥)

بقولهم: "**انظر إلى تهديداتهم**" يشيرون إلى اهتمام الله الخاص بمقاومة الأشرار لأولاده، فإنها لا تعبر هكذا، إنما تشغل ذهن الله. وكما صلى حزقيا الملك البار: "أملْ يا رب أذنك واسمع. افتح يا رب عينيك وانظر، واسمع كل كلام سنحاريب الذي أرسله ليعير الله الحي" (إش ٣٧: ١٧)، ويقول المرتل: "قد رأيت لأنك تبصر المشقة والغم لتجازي بيدك، إليك يسلم المسكين أمره". (مز ١٠: ١٤)

v قد يقول أحد: "لكن أنظر، قال المسيح لرسله القدّيسين: "حبّوا أعداءكم..." (لو٦: ٢٧)، فكيف يصرخون ضدّهم دون ان يستخفّوا بالوصيّة الإلهيّة؟" نجيب على هذا: "إذن هل نصلّي ان ينالوا جسارة وقوّة من اللّه ليهاجموا بعنفٍ الذين يمجّدون أعماله، فلا يسمحوا لهم بالتعليم، ويقاومون مجد ذاك الذي تُقدّم له الطلبة؟" كيف لا يُحسب ذلك غباوة؟ لذلك إن قدّمت المقاومة من أي شخصٍ ضدّنا شخصيًا، نحسب ذلك للحال مجدًا لنا أن نغفر لهم، ونحمل حبًا مشتركًا، مقتدين بالآباء القدّيسين حتى عندما يضربوننا ويهينوننا، نعم وإن استخدموا كل نوعٍ من العنف. إذ ليتنا لا نلوم (الرسل) فإنّهم كانوا أسمى من الغضب والكراهيّة. مثل هذا يمجّد القدّيسين ويسر اللّه...

الصلاة التي نطق بها الرسل القدّيسون ليست أمرًا عديم المنفعة، بل لأجل إنجاح الرسالة الإلهيّة وإضعاف يد المضطهدين. يقول الرسل: "**انظر يا رب إلى تهديداتهم**"، أي اجعل مقاومتهم لنا باطلة، وامنح عبيدك أن يتكلّموا بكلامك بكل مجاهرة" (أع ٤: ٢٩).

القديس كيرلس الكبير

v لا يعطي أحد اهتمامًا للمخاطر التي يجلبها الشيطان في الاضطهادات، بل بالأحرى **يهتم بالعون الذي يقدمه لنا الله.**

ليته لا يرتبك الذهن بالكارثة البشرية بل بالأحرى يتقوى الإيمان بالصون الإلهي، فإنه حسب الوعد الإلهي كل واحدٍ ينال من الله عونًا حسب إيمانه، إن آمن أنه ينال.

لا يوجد شيء ما لا يستطيع القدير أن يهبه إن لم يعقه عدم الإيمان من جانب الذي يستقبل العون.

الشهيد كبريانوس

v لاحظوا أنهم لم يقولوا: "حطمهم، واطرحهم، بل ماذا قالوا؟

"امنح عبيدك أن يتكلموا بكلامك بكل مجاهرة" [٢٩].

لنتعلم نحن أن نصلي هكذا. ومع هذا كيف يمتلئ الشخص سخطًا عندما يسقط بين أناس يقصدون قتله، ويهددونه بهذا؟ كم يمتلئ بالعداء؟ لكن ليس كذلك موقف هؤلاء القديسين.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"بمدْ يدك للشفاء،

ولتجرَ آيات وعجائب باسم فتاك القدوس يسوع". [٣٠]

لا تقف طلبتهم عند نوالهم كلمة جريئة للشهادة للحق، وإنما يسألون الرب أن يهبهم آيات وعجائب باسم ربنا يسوع المسيح. لم يطلبوا هذا لحفظ حياتهم الزمنية، ولا لنوال كرامة زمنية.

جاءت صلاتهم بخصوص التهديدات، أنهم لا يضعون اعتبارًا لحياتهم الزمنية أو راحتهم، فإنهم وضعوا حياتهم مبذولة من أجل الشهادة للحق، لكن ما يشغلهم أن ينالوا قوة الروح وحكمته للمجاهرة بكلمة الله، وأن يسندهم بالعجائب والآيات لحساب اسم يسوع القدوس.

طلبوا عمل الآيات، إذ رأوا كيف مجد الشعب اسم يسوع وآمن كثيرون به، وكيف استطاعت آية واحدة أن تلجم رؤساء مجمع السنهدرين وتكتمهم.

"ولما صلّوا تزعزع المكان الذي كانوا مجتمعين فيه،

وامتلأ الجميع من الروح القدس،

وكانوا يتكلّمون بكلام اللَّه بمجاهرة". [٣١]

في تعليق **القديس كيرلس الكبير** على كلمات السيّد المسيح في لوقا ١٧: ٦ عن قوّة الإيمان يقول: [إن كانت قوّة الإيمان تحرّك (تهز) ما هو ثابت... يمكن القول بكل يقين أنّه ليس شيء ثابت لن يهزّه الإيمان، متى كان هناك داعٍ لاهتزازه. لذلك عندما صلّى الرسل **تزعزع المكان**، كما سجّل أعمال الرسل.]

لماذا تزعزع المكان؟ هذا استعلان عن حضور الله نفسه: "الأرض ارتعدت، السماوات أيضًا قطرت أمام وجه الله" (مز ٦٨: ٨)، "من قبل رب الجنود تُفتقد برعدٍ وزلزلةٍ وصوتٍ عظيمٍ بزوبعةٍ وعواصفٍ ولهيب نار آكلة" (إش ٢٩: ٦). وأيضًا عن قبول الله للصلاة الكنسية من أجل الخدمة ولحلول الروح القدس ليهب الرسل قوة خارقة للطبيعة. فالمكان يتزعزع، والزمان ينتهي حيث يحل روح الحق الذي يفرق الزمان والمكان.

بحلول روح الحق الأبدي ينفضح ضعف الطبيعة، فلا يرتبط الإنسان بالزمان والمكان بل بالأبدي وحده.

يا لعظمة الصلاة وقدرتها فهي تفتح قلوب البشر على خالقهم، لينهلوا من قوته الإلهية التي تزعزع المكان، وتثبت قلوبهم.

تحول الضيق والمرارة والتهديدات إلى صلاة لها قوتها، لتهب إمكانيات الروح القدس للكرازة والشهادة.

v من يفهم القول السري للطوباوي بولس: "فإن مصارعتنا... مع أجناد الشر الروحية" (أف ٦:١٢)، يفهم أيضًا مثل الرب الذي انتهي بقوله: "ينبغي أن يُصلى كل حين ولا يُمل" (لو ١٨:١).

القديس مرقس الناسك

غاية هذا الملء المتجدد هو النطق بكلام الله بمجاهرة.

٦. حياة الشركة

"وكان لجمهور الذين آمنوا قلب واحد ونفس واحدة،

ولم يكن أحد يقول أن شيئًا من أمواله له،

بل كان عندهم كل شيء مشتركًا". [٣٢]

يقدم لنا الإنجيلي لوقا صورة رائعة عن سمات الكنيسة في عصر الرسل تتقدمها سمة الحب العميق والوحدة الصادقة على مستوى الروح والقلب كما على مستوى العمل.

إذ امتلأ الجميع من الروح القدس، ليس فقط تزعزع المكان الذين كانوا يقيمون فيه الصلاة، بل وتزعزع العالم أمام أعين التلاميذ، فلم يسمحوا له بالتسلل إلى قلوبهم. تجلت أمامهم اللؤلؤة الكثيرة الثمن فلم يجدوا حاجة إلى تغصب لبيع ما لديهم لاقتنائها.

تجمعت هذه الآلاف من جنسيات مختلفة ولغات متباينة، كانوا قبلاً يشعرون أنهم غرباء عن بعضهم البعض، حتى وإن اجتمعوا في هيكلٍ واحدٍ ليقدموا عبادة واحدة. كان منهم كثيرون قادمون من بلاد مختلفة، وحتى الذين من أورشليم كانوا ينتسبون إلى جماعات متعارضة في الفكر. الآن تجمع الكل كأعضاء في جسد المسيح الواحد، يقودهم الروح القدس الواحد خلال رباط الحب.

وهبهم الروح روح الحب والوحدة، فلم يحسب أحد أن له شيئًا ما، بل كل ما في يديه هو لاخوته. لم يعد للإحساس بالملكية الفردية وجود في حياة المؤمنين، لذلك تحققت الوحدة قلبًا ونفسًا.

والعجيب أن هذا الشعور لم يتحقق من أوامر إلهية أو قوانين كنسية أو وصايا رسولية صدرت لهم، لكنه تحقق طبيعيًا بامتلائهم من الروح القدس فصاروا أعضاء جسد المسيح القدوس، الذي بذل ذاته عن الجميع، وأخلى ذاته من أجل خلاص الكل.

v في كنيسة أورشليم كما لو وُجد جمر والتهاب بنار الروح القدس، عندما كان للكل نفس واحدة وقلب واحد نحو اللَّه. عندما رُجم إسطفانوس تحمّلت تلك الكومة الاضطهاد، وتبعثر الجمر فانطلقت النار في العالم.

القديس أغسطينوس

v عندما يصير المسيحيون هكذا (في توافقٍ) يصدرون موسيقى، أو يصدرون صوتًا متناغمًا يسر الله، ويتحقق فيهم ما هو مكتوب: "كانوا بقلبٍ واحدٍ ونفسٍ واحدةٍ".

الأب قيصريوس أسقف آرل

v الآن اخبروني هل حبهم أنجب فقرهم، أم الفقر ولَّد الحب؟ في رأيي إن الحب ولَّد الفقر، وبعد ذلك سحب الفقر بقوه حبال الحب.

القديس يوحنا الذهبي الفم

v هذا الحب الذي هو من الله لا يمكن فصله عن شخص الله، لأن الله والحب واحد. وحيث أن الحب الذي في ذاته غير منفصل عن مصدره، فإنه ليس فقط يقتني الكائنات البشرية الذين يمكن للواحد أن يعتزل الآخر، وإنما يجعل قلوب كثيرة ونفوس متعددة قلبًا واحدًا ونفسًا واحدة، فأي جنون هو القول بأن هذا الحب الذي يعتاد أن يربط العقول المنفصلة في حب لا ينفصل يمكن فصله عن الكائنات البشرية الذين يعبرون عنه؟ لهذا يقول بولس: "فإني وإن كنت غائبًا في الجسد لكني معكم في الروح، فرحًا وناظرًا ترتيبكم" (كو ٢ :٥). وجاء في أعمال الرسل أنه كان لجمهور المؤمنين قلب واحد ونفس واحدة... الأمر الذي ما كان يتحقق إلا بروح الإيمان والحب.

الأب فلجنتيوس أسقف روسب

v مجّدوا الرب معي ولنرفع اسمه معًا (مز ٣٤: ٣). فإنه يوجد أمر واحد ضروري، وهو سماوي (علوي)، الوحدة! الوحدة التي فيها الآب والابن والروح القدس هم واحد. انظروا، كيف أستودعت الوحدة لدينا... الثالوث كلّه هو اللَّه الواحد، والحاجة إلى واحد. ليس شيء يجلبنا إلى هذا الأمر (اللَّه الواحد) إلا إذ صرنا نحن الكثيرون قلبًا واحدًا.

القديس أغسطينوس

v أقول الآن أن كل الكنيسة آنذاك كانت مثل الحفنة القليلة التي تسلك الآن في نظام الشركة، ولكن بعد موت الرسل، وقد بدأت جموع المؤمنين تفتر وتبرد، خاصة الجموع التي جاءت إلى الإيمان من أممٍ مختلفةٍ، والذين بسبب حداثة إيمانهم وعبادتهم الوثنية المتأصلة فيهم لم يُطالبوا سوى بضرورة أن "تمتنعوا عمَّا دُبح للأصنام وعن الدم والمخنوق والزنى" (أع ١٥:٢٩). هذه الحرية التي وُهبت للأمم لحداثة إيمانهم، قللت من الصورة الكاملة التي كانت لكنيسة أورشليم... بل **وحتى بعض القادة تهاونوا بعض الشيء ظانين أنه ما قد سُمح به للأمم من أجل ضعفهم مسموح به لهم أيضًا، معتقدين أنهم لن يُضاروا شيئًا إن اتبعوا إيمان المسيح، واعترفوا به محتفظين بمقتنياتهم وما يمتلكونه.**

الأب بيامون

v كيف إذن يمكن أن تحدث أي بذار للنقاش (المثير) ممن لا يطلب ما لنفسه بل ما هو لقريبه؟! بهذا يصير تابعًا لربه وسيده القائل عن نفسه: "لأني قد نزلت من السماءِ ليس لأعمل مشيئَتي بل مشيئَة الذي أرسلني" (يو ٦:٣٨).

كيف يمكن أن يثير نزاعًا لسببٍ ما، ذاك الذي صمم أن يأخذ برأي قريبه، ولا يسلك حسب إرادته الذاتية، محققًا بقلبٍ ورعٍ متواضعٍ ما جاء في الإنجيل: "بهذا يعرف الجميع أنكم تلاميذي إن كان لكم حبّ بعض لبعض" (يو ١٣:٣٥)؟

لأنه بهذا، كما بعلامة خاصة، أراد السيد المسيح أن يميز قطيعه في هذا العالم، فارزًا إياهم عن غيرهم، مختومين بالختم الذي نتكلم عنه! على أي أساس يقبل أية ضغينة تتسرب إلى نفسه أو تبقى في نفس أخيه؟! فإن قراره ثابت وهو أنه لا يمكن أن يترك أساسًا للغضب، لأنه أمر خطير وخاطئ، وإذا ما كان أخوه غاضبًا معه لا يقدر أن يصلي كما لو كان نفسه غاضبًا، حافظًا كلمات ربنا ومخلصنا يسوع في قلبه بتواضع: "فإن قدَّمت قُربانك إلى المذبح، وهناك تذكرت أن لأخيك شيئًا عليك، فأترك هناك قُربانك قُدّام المذبح واذهب أولاً اصطلح مع أخيك، وحينئذٍ تعال وقدِّم قُربانك" (مت ٥:٢٣، ٢٤).

الأب يوسف

يرى **القديس أمبروسيوس** أن أساس الوحدة التي تقوم بين الجماعة المقدسة هي **وحدة الإنسان،** والتناغم بين عناصره بعمل الروح القدس، فتصير النفس أشبه بحمامة واحدة (نش ٦: ٩)، وتتمتع **بالسلام الداخلي بين النفس والجسد،** فيصير الاثنان واحدًا (أف ٢: ١٤)، بهذا تتشبه بالقائل: "ليكون الجميع واحدًا كما أننا واحد. أنا فيهم، وأنت فيّ ليكونوا مكملين إلى واحد (وحدة)" (يو ١٧: ٢٢-٣٢). لهذا مثل هذه النفس هي حمامة واحدة، صادقة، روحية، لا تضطرب بشهوات الجسد مع وجود صراعات من الخارج ومخاوف من الداخل (٢ كو ٧: ٥).

v لقد أمرنا الرب بصوته، قائلاً: "هذه هي وصيتي أن تحبوا بعضكم بعضًا" (يو ١٥: ١٢). وأيضًا: "إن اتفق اثنان منكم على الأرض في أي شيء يطلبانه فإنه يكون لهما من قبل أبي الذي في السماوات" (مت ١٨: ١٩). فإن كان اثنان بفكرٍ واحدٍ يمكنهما أن يفعلا هذا، كم يكون بالأكثر إن حدث اتفاق جماعي بين الكل؟

الشهيد كبريانوس

يرى **الشهيد كبريانوس** أن الله يقدم عطايا للجميع، ونحن كأبناء لله نسلك بالناموس السماوي، نتمثل بالله فنُشرك الكل فيما نملكه.

إذ قدم لنا **القديس يوحنا كاسيان** وصفًا رائعًا عن حياة الشركة الرهبانية في مصر أبرز أهمية الشركة على نمط الكنيسة الأولي، كما جاء في سفر الأعمال. وقد أضاف إليها أن البعض خرجوا خارج المدن ليعيشوا حياة نسكية عجيبة، فقد انشغلوا بدراسة الكتب المقدسة والصلوات والأعمال اليدوية ليلاً ونهارًا بغيرة متقدة حتى أنهم كانوا ينسون الطعام ولا يفكرون فيه كل يومين أو ثلاثة أيام حيث يذكرهم الجوع الجسدي بذلك.

"وبقوة عظيمة كان الرسل يؤدون الشهادة بقيامة الرب يسوع،

ونعمة عظيمة كانت على جميعهم". [٣٣]

أما السمة الثانية للكنيسة فهي تمتع الرسل بقوة عظيمة، أي إمكانية قبول المستمعين لكلماتهم، يتكلمون كمن لهم سلطان إذ يحملون واهب السلطان في داخلهم. لهم نعمة عظيمة أمام من يلتقي بهم، حتى المقاومون لهم يشعرون بنعمة الله وإشراق النور الإلهي على حياتهم. يتلمس الكل في أعماقهم أنهم يحملون انعكاس بهاء مجد الرب وجماله، هذا الذي هو "أبرع جمالاً من بني البشر".

خرج التلاميذ من تجربة السجن والتهديدات بقوةٍ مضاعفة، فقد قدمت الكنيسة صلاة بحرارة، بنفس واحدة، وامتلأ الكل من الروح القدس، وصار للجميع قوة عظيمة للشهادة، وتمتعوا بنعمة إلهية عظيمة.

هنا يكاد الإنجيلي لوقا أن يسجل عجز اللغة البشرية عن وصف حال الكنيسة الحاملة لقوة الله والمتمتعة بنعمته، فتنطلق في طريق الشهادة لقيامة الرب من الأموات بكل قوةٍ ونجاحٍ، مع نموٍ دائمٍ لملكوت الله.

v "ها أنا أعطيكم سلطانًا أن تدوسوا الحيّات والعقارب". هذا ليس بعمل إنسان مجرّد، ولا يقدر أحد مثلنا أن يمنح آخرين مثل هذا السلطان المجيد والعجيب لكي يكون لهم القدرة أن يدوسوا كل قوّة العدوّ. هذا بالأحرى هو عمل خاص بالله وحده، العالي فوق الكل والمكلل بالكرامات الفائقة... إنّه لم يترك للتلاميذ أي عذر للاستسلام للجبن، بل بالأحرى يطلب منهم أن يكونوا أقوياء القلب وشجعانًا، لأنّه هكذا ينبغي أن يكون خدّام كلمة الإلهيَّة، لا جبناء، ولا مقهورين بالكسل، وإنّما يكرزون "بقوّة عظيمة" كما يقول الكتاب (أع٤: ٣٣).

القديس كيرلس الكبير

"إذ لم يكن فيهم أحد محتاجًا،

لأن كل الذين كانوا أصحاب حقول أو بيوت كانوا يبيعونها،

ويأتون بأثمان المبيعات". [٣٤]

بعد أن تحدث الإنجيلي عن سمات الحب والوحدة الكنسية، والشهادة بروح القوة، والكشف عن بهاء المسيح الساكن فيهم تطرق إلى سمتين عمليتين هما سمة واحدة ذات وجهين: السخاء في العطاء خاصة للمحتاجين، والموت عن العالم وكل غناه وكراماته.

v كانت مشاعرهم كما لو كانوا تحت سقف أبوي، صار الكل في لحظة يشتركون معًا. إنه لا يُقال أنهم أعانوا الآخرين وإن كانوا بالحقيقة فعلوا هكذا، إلا أنهم شعروا بأن كل شيء هو لهم. لا، الأمر العجيب هو هذا، أنهم أولاً نقلوا ممتلكاتهم، وهكذا سندوا الآخرين، على أن هذا العون لم يأتِ من ممتلكاتهم الخاصة بل من الملكية العامة.

القديس يوحنا الذهبي الفم

v أولئك الذين بالإيمان نالوا في داخلهم ذاك الذي يجعل كل الأشياء جديدة... إذ يقبلون منه كلمة رسالة الإنجيل الذي يبهج قلب الإنسان جديدةً، يصيرون فوق الغنى ومحبّة المال، وتتشدّد عقولهم، فلا يعطون اعتبارًا للأمور الزمنيّة، بل يتعطّشون للأبديّات.

يكرمون الفقر الاختياري ويشغفون بمحبّة الإخوة. وكما جاء في أعمال الرسل القدّيسين أن كثيرين من أصحاب الأراضي والبيوت باعوها وجاءوا بأثمانها ووضعوها عند أقدام الرسل، وكانت توزّع على كل أحد حسب احتياجه.

القديس كيرلس الكبير

يصور لنا **القديس يوحنا الذهبي الفم** هذا المنظر السماوي الرائع قائمًا على الأرض، حيث يرى أن الثلاثة آلاف الذين آمنوا مع الخمسة الآلاف بعد ذلك يمارس جميعهم نفس الشيء في نجاحٍ سامٍ، ولم يعد واحد منهم يشتكي من الفقر. أي مجد يمكن أن يوجد أكثر مما كان لهذا الشعب؟

حقًا إن الحب والوحدة يجعلان من الكنيسة سماءً مجيدة، فإن الشركة العملية الصادقة والنابعة عن الحب لهي شهادة لعمل نعمة الله الفائقة.

v ألم تسمع الرسل يقولون أن الذين نالوا الكلمة أولاً باعوا البيوت والأراضي، لكي يسدوا احتياجات الرسل؟ أما أنتم فتسلبون البيوت والأراضي لكي تزينون فرسًا، أو قطعة (أثاث) خشبية أو جلدية، أو حائطًا، أو رصيفًا. وما هو أردأ من هذا أنه ليس فقط الرجال، بل وحتى النساء أيضًا تأثرن بهذا الجنون، ودفعن رجالهن إلى هذا النوع من الهوى الفارغ، فيدفعنهم أن ينفقوا أموالهم في شراء ما هو أكثر من الضروريات.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"ويضعونها عند أرجل الرسل،

فكان يُوزع على كل واحدٍ كما يكون له احتياج". [٣٥]

خرجت الكنيسة من الضيقة لا لتعاني من متاعب مادية، بل لتمارس الحب الأخوي في أروع صوره، وتكشف عن وضع المال في كنيسة العهد الجيد، إنه ليس في صندوقٍ خاصٍ، ولا في أرصدةٍ لدى مصارف، بل عند أرجل الرسل.

ما يعجز عن تحقيقه في كل أنظمة العالم الاقتصادية والاجتماعية لتوفير احتياجات الفقراء والمعوزين تحقق طبيعيًا عندما تمتعت الجماعة بملء الروح. فصارت الأموال عند أقدام الرسل، لينال منها كل شخصٍ احتياجه بروح الأمانة والخشوع.

v إنه عمل رمزي يشير إلى أن يليق بالناس أن يطأوا بأقدامهم على الطمع. فإن الرب يشتاق أن يهب نفوس المؤمنين ما هو أعظم من غناهم. نقرأ في الأمثال: "فدية نفس الإنسان غناه" (أم ١٣: ٨ LXX).

القديس جيروم

v أقر سليمان أيضًا في الروح القدس وشهد وعلم بالسلطان الكهنوتي قائلاً: "خف الرب بكل نفسك وكرم كهنته" (حكمة سليمان ٧: ٢٩). وأيضًا: "أكرم الله من كل نفسك وكرم كهنته" (حكمة سليمان ٧: ٣١)... علاوة على هذا فإن ربنا يسوع المسيح نفسه ملكنا وديانا وإلهنا في ذات يوم آلامه لاحظ كرامة الكهنة ورؤساء الكهنة مع أنهم لم يحفظوا صوت الله، ولا معرفة

المسيح. فعندما طهر الأبرص قال له: "اذهب أر نفسك للكاهن وقدم القربان" (مت ٨: ٤). بهذا التواضع علمنا التواضع، فقد دعاه كاهنًا مع أنه يعرف أنه مدنس للمقدسات.

الشهيد كبريانوس

"ويوسف الذي دُعي من الرسل برنابا،

الذي يترجم ابن الوعظ،

وهو لاوي قبرسي الجنس". [٣٦]

"إذ كان له حقل باعه،

وأتى بالدراهم، ووضعها عند أرجل الرسل". [٣٧]

بلا شك باع المئات وربما الألوف ممتلكاتهم ووضعوا أثمانها عند أقدام الرسل، فلماذا انفرد السفر بما فعله برنابا الذي من سبط لاوي؟

أولاً: بكونه لاويًا ليس من حقه شراء أرض فى إسرائيل، فلعل الأرض كانت فى قبرص، إذ كان قبرصي الجنسية.

ثانيًا: يبدو أنها كانت أرض متسعة جدًا، بيعت بثمنٍ مرتفعٍ جدًا، فصار ذلك مثلاً حيًا لمن تحرر من كل محبةٍ للاقتناء.

من وحي أعمال الرسل ٤

آلام مجيدة!

v تآمرت قوات الظلمة عليك،

حكموا عليك بالموت، لكنهم عجزوا عن منع قيامتك!

تتآمر قوات الظلمة بعينها على رسلك!

هي بعينها لن تكف عن التآمر على كنيستك عبر الأجيال!

v وضعوا الرسولين في السجن،

فأقبل الآلاف إلى الإيمان بك.

مع كل ضيقة تنمو كنيستك،

ومع كل اضطهاد لشعبك تتجلى قوة اسمك القدوس.

- المجمع الذي حكم عليك بالموت،

يهدد رسلك بالموت.

بطرس الذي خاف جارية،

يدين أعضاء مجمع السنهدرين الأعظم.

اتهمهم بمقاومة الله: صلبوا يسوع وأقامه الآب.

اتهمهم بالجهالة: رفضوا الحجر رأس الزاوية.

اتهمهم بالفشل: ليس بأحد غير يسوع الخلاص.

اتهمهم بعدم الحكمة: يطلبون الطاعة لهم أكثر من الطاعة لله.

- وسط الآلام تمجدت في كنيستك.

جرت آيات وعجائب كثيرة،

صارت لها صلوات قوية زعزعت الموضع.

- وسط الآلام صارت كنيستك سماءً ثابتة،

وتحول المؤمنون إلى شبه ملائكة.

صار للجميع قلب واحد ونفس واحدة... يا لها من سمة سماوية!

تحول الكل إلى الشهادة بقيامتك،

فلم يعد للموت سلطان ولا قوة.

لم يعد للعالم سلطان عليهم، ولا للمادة إغراء.

صار كل شيء بينهم مشتركًا.

أتوا بأموالهم عند أقدام رسلك، إذ لا مكان آخر لها.

قدموا الأموال كأمانة تسلموها من يدك،

وها هم بفرح يقدمونها لخدمة الجميع!

١ و بينما هما يخاطبان الشعب اقبل عليهما الكهنة و قائد جند الهيكل و الصدوقيون
٢ متضجرين من تعليمهما الشعب و ندائهما في يسوع بالقيامة من الاموات
٣ فالقوا عليهما الايادي و وضعوهما في حبس الى الغد لانه كان قد صار المساء
٤ و كثيرون من الذين سمعوا الكلمة امنوا و صار عدد الرجال نحو خمسة الاف

٥ و حدث في الغد ان رؤساءهم و شيوخهم و كتبتهم اجتمعوا الى اورشليم
٦ مع حنان رئيس الكهنة و قيافا و يوحنا و الاسكندر و جميع الذين كانوا من عشيرة رؤساء الكهنة
٧ و لما اقاموهما في الوسط جعلوا يسالونهما باية قوة و باي اسم صنعتما انتما هذا
٨ حينئذ امتلا بطرس من الروح القدس و قال لهم يا رؤساء الشعب و شيوخ اسرائيل
٩ ان كنا نفحص اليوم عن احسان الى انسان سقيم بماذا شفي هذا
١٠ فليكن معلوما عند جميعكم و جميع شعب اسرائيل انه باسم يسوع المسيح الناصري الذي صلبتموه انتم الذي اقامه الله من الاموات بذاك وقف هذا امامكم صحيحا
١١ هذا هو الحجر الذي احتقرتموه ايها البناؤون الذي صار راس الزاوية
١٢ و ليس باحد غيره الخلاص لان ليس اسم اخر تحت السماء قد اعطي بين الناس به ينبغي ان نخلص
١٣ فلما راوا مجاهرة بطرس و يوحنا و وجدوا انهما انسانان عديما العلم و عاميان تعجبوا فعرفوهما انهما كانا مع يسوع
١٤ و لكن اذ نظروا الانسان الذي شفي واقفا معهما لم يكن لهم شيء يناقضون به
١٥ فامروهما ان يخرجا الى خارج المجمع و تامروا فيما بينهم
١٦ قائلين ماذا نفعل بهذين الرجلين لانه ظاهر لجميع سكان اورشليم ان اية معلومة قد جرت بايديهما و لا نقدر ان ننكر
١٧ و لكن لئلا تشيع اكثر في الشعب لنهددهما تهديدا ان لا يكلما احدا من الناس فيما بعد بهذا الاسم
١٨ فدعوهما و اوصوهما ان لا ينطقا البتة و لا يعلما باسم يسوع
١٩ فاجابهم بطرس و يوحنا و قالا ان كان حقا امام الله ان نسمع لكم اكثر من الله فاحكموا
٢٠ لاننا نحن لا يمكننا ان لا نتكلم بما راينا و سمعنا
٢١ و بعدما هددوهما ايضا اطلقوهما اذ لم يجدوا البتة كيف يعاقبونهما بسبب الشعب لان الجميع كانوا يمجدون الله على ما جرى
٢٢ لان الانسان الذي صارت فيه اية الشفاء هذه كان له اكثر من اربعين سنة
٢٣ و لما اطلقا اتيا الى رفقائهما و اخبراهم بكل ما قاله لهما رؤساء الكهنة و الشيوخ
٢٤ فلما سمعوا رفعوا بنفس واحدة صوتا الى الله و قالوا ايها السيد انت هو الاله الصانع السماء و الارض و البحر و كل ما فيها
٢٥ القائل بفم داود فتاك لماذا ارتجت الامم و تفكر الشعوب بالباطل
٢٦ قامت ملوك الارض و اجتمع الرؤساء معا على الرب و على مسيحه
٢٧ لانه بالحقيقة اجتمع على فتاك القدوس يسوع الذي مسحته هيرودس و بيلاطس البنطي مع امم و شعوب اسرائيل
٢٨ ليفعلوا كل ما سبقت فعينت يدك و مشورتك ان يكون
٢٩ و الان يا رب انظر الى تهديداتهم و امنح عبيدك ان يتكلموا بكلامك بكل مجاهرة
٣٠ بمد يدك للشفاء و لتجر ايات و عجائب باسم فتاك القدوس يسوع
٣١ و لما صلوا تزعزع المكان الذي كانوا مجتمعين فيه و امتلا الجميع من الروح القدس و كانوا يتكلمون بكلام الله بمجاهرة
٣٢ و كان لجمهور الذين امنوا قلب واحد و نفس واحدة و لم يكن احد يقول ان شيئا من امواله له بل كان عندهم كل شيء مشتركا
٣٣ و بقوة عظيمة كان الرسل يؤدون الشهادة بقيامة الرب يسوع و نعمة عظيمة كانت على جميعهم
٣٤ اذ لم يكن فيهم احد محتاجا لان كل الذين كانوا اصحاب حقول او بيوت كانوا يبيعونها و ياتون باثمان المبيعات

٣٥ و يضعونها عند ارجل الرسل فكان يوزع على كل احد كما يكون له احتياج
٣٦ و يوسف الذي دعي من الرسل برنابا الذي يترجم ابن الوعظ و هو لاوي قبرسي الجنس
٣٧ اذ كان له حقل باعه و اتى بالدراهم و وضعها عند ارجل الرسل

الأصحاح السادس

انتخاب سبعة شمامسة

قدمت لنا الإصحاحات الخمسة الأولى صورة حية عن كنيسة العهد الجديد في بدء انطلاقها، كيف قادها روح الله القدوس في أورشليم وسط ضيقات واضطهادات مستمرة، لتنمو وتتوسع بلا توقف. الآن وقد ازداد عدد المؤمنين جدًا وُجد فريقين، فريق من أصل يهودي يحمل في داخله تقديرًا خاصًا بالناموس والهيكل والطقوس اليهودية، وفريق آخر ناطق باليونانية يميل إلي التحرر من حرفية الناموس وعدم الخضوع للطقوس اليهودية. لكن لا يعني هذا انفصال الفريقين في العبادة، ولا وجود انشقاق، إذ كان الكل علي اتصال ببعضهم البعض، لهم الروح الواحد حتى وإن تعبّد كل منهم بلغته.

مع تزايد العدد واتساع الخدمة ظهرت مشاكل داخلية والتزامات يصعب أن يقوم بها الرسل الذين كان يشغلهم أولاً وقبل كل شيء خدمة الكرازة. من هنا ظهرت الحاجة إلي سيامة أول مجموعة من الشمامسة. ربما يتساءل البعض. لماذا لم تتم سيامة الشمامسة بعد يوم الخمسين مباشرة؟ نجيب على ذلك بأن تعداد المؤمنين كان قليلاً، وكان من السهل على الرسل والتلاميذ أن يسدوا احتياجات الشعب المادية من التقدمات التي جاء بها المؤمنون. أما وقد تكاثر العدد فصارت الحاجة ملحة أن يتفرغ الرسل لخدمة الكلمة. تزايد العدد فدخلت الكنيسة في التزامات الرعاية ومسئولياتها. ولم يكن ممكنًا للتلاميذ أن يلتزموا بهذه المسئوليات على حساب الكرازة والشهادة للسيد المسيح.

١. تذمر اليونانيين على العبرانيين ١-٤.

٢. انتخاب سبعة شمامسة ٥-٨.

٣. خدمة رئيس الشمامسة ٩-١٠.

٤. استفانوس أمام المجمع ١١-١٥.

١. تذمر اليونانيين على العبرانيين

"وفي تلك الأيام إذ تكاثر التلاميذ،

حدث تذمر من اليونانيين على العبرانيين،

أن أراملهم كنّ يغفل عنهن في الخدمة اليومية". [١]

ازداد عدد التلاميذ جدًا، وهنا يقصد الإنجيلي لوقا بالتلاميذ المؤمنين، وليس الاثني عشر تلميذًا أو السبعين رسولاً.

من هم هؤلاء اليونانيين؟ اختلفت الآراء في تحديد هذه الفئة، هل هم اليهود الذين عاشوا بين الأمم زمانًا طويلاً ثم عادوا وقد نسوا لغتهم عبر الأجيال؛ أم هم من أصل أممي وقد قبلوا الإيمان اليهودي (الدخلاء)، ثم آمنوا فيما بعد بالسيد المسيح؛ أم هم أمميون قبلوا الإيمان المسيحي مباشرة دون دخولهم في اليهودية. أغلب الدارسين يرون أنهم الفئة الأولى، أو على الأقل غالبيتهم من الفئة الأولي. هم اليهود الذين عاشوا في بلاد تتحدث باليونانية، ومع طول بقائهم لأجيال كثيرة كانوا يتكلمون باليونانية. وربما كان من بينهم أيضا أمميون قبلوا الإيمان المسيحي مباشرة، أو تهودوا أولاً، ثم آمنوا بالسيد المسيح فيما بعد، مثل نيقولاوس الدخيل الأنطاكي (أع ٦: ٥).

يُفهم من ذلك أن الكنيسة في أورشليم كانت تضم مسيحيين من أصل يهودي يتكلمون العبرانية أو الآرامية، كما وُجد أعضاء كانوا قادمين من بلاد ثقافتها يونانية ويتحدثون اليونانية، وغالبًا ما كانوا يجهلون الآرامية. لكل فريق ثقافته الخاصة وفكره وعاداته وطباعه وسلوكه. الأولون يتميزون بالتفوق الديني الوطني، والآخرون بالتفوق الثقافي. الأولون أغلبهم أصحاب أعمال ومهن ولهم ممتلكات وعقارات، أي أغنياء إلى حد ما، أما اليونانيون فغالبًا ما كانوا نازحين من الشتات، ويعيشون في أورشليم كغرباء. ولعله إذ كان القائمون بخدمة الأرامل والمحتاجين عبرانيين، حدث تمييز في التعامل بين العائلات العبرانية واليونانية، مما تسبب في تذمر اليونانيين على العبرانيين. لم يكن لدى الرسل الوقت لبحث هذه الأمور المادية، من هنا ظهرت الحاجة إلى سيامة الشمامسة (الدياكونية).

حتمًا لم يكن لدي الرسل محاباة، وغالبًا حتى العاملون في الخدمة، لكن ربما كان العبرانيون وهم سكان أورشليم في غيرتهم علي إخوتهم الفقراء يبذلون جهدًا أعظم واهتمامًا خاصً بإخواتهم الفقراء. ويرى بعض الدارسين أنه لم يكن يوجد تمييز بين فقراء الفريقين؛ وإنما هو شعور داخلي خاطئ ظهر خلال غيرة اليونانيين من اليهود المسيحيين، لأن الآخرين كانوا يشعرون بامتياز خاص بهم حتى بعد قبولهم الإيمان المسيحي، بسبب نسبهم للآباء والأنبياء، وإمكانية دخولهم الهيكل للعبادة.

واضح أن التوزيع على العائلات كان يوميًا، لذلك دعي هذا العمل بالخدمة اليومية. وكانت خدمة الأرامل تحتل مركزًا خاصًا منذ بداية الكنيسة.

"فدعا الإثنا عشر جمهور التلاميذ وقالوا:

لا يرضى أن نترك نحن كلمة اللَّه ونخدم موائد". [٢]

شعر التلاميذ أنه **ليس حسنًا لهم أن يرتبكوا بالأمور المادية، حتى وإن كانت لخدمة الأرامل والفقراء**، فإن مسرتهم هي في نشر الكلمة والصلاة.

إن كانت الجلدات والمحاكمات والسجون لا تستطيع أن تحرمهم من التكريس لخدمة كلمة الله والشهادة لإنجيل المسيح، إلا أنهم خشوا أن تحرمهم خدمة الموائد من ذلك. فالكرازة هي العمل الأساسي للرسل، لن يسمحوا لتدبير شئون الكنيسة الإدارية أو المالية أن تسحب قلوبهم أو وقتهم عن هذا العمل.

لقد حسب التلاميذ كل المهام المالية الخاصة بالكنيسة خدمة موائد، مع ما لها من أهمية فهي ليست من اختصاص الرسل.

٧ لقد اهتموا بسيامة الشمامسة حتى لا ينسحب (الرسل) من الالتزام بالكرازة بالكلمة.

القديس أغسطينوس

الكرازة وخدمة الموائد

هنا يلزمنا أن نوضح العلاقة بين خدمة الكلمة (والصلاة) بخدمة الموائد. فالرسل وأن كانوا قد خشوا من أن تسحب هذه الخدمة أوقاتهم وفكرهم عن خدمة الكلمة، لكن لا يعني هذا استخفافهم بخدمة الموائد، فالرسولان بطرس ويوحنا اهتما بشفاء الأعرج من بطن أمه، وقدما له اسم يسوع لشفائه، إذ لم يحملا شيئًا من الأموال التي وضعها المؤمنون عن أقدامهم (أع ٣). والرسول بولس كان مهتمًا بالجمع للفقراء القديسين في أورشليم في كنائس كثيرة، بل وحمل هذه الصدقات بنفسه إلي أورشليم وفي نفس الوقت نجد رئيس الشمامسة استفانوس أحد السبعة المختارين لخدمة الموائد كان يكرز بالكلمة ويحاور في مجامع اليهود **[٩-١٠]**، ولم يكف عن الكرازة بالكلمة حتى لحظات رجمه.

ليس فقط الشمامسة بل والشعب نفسه، إذ تشتتوا بسبب الضيق **"جالوا مبشرين بالكلمة"** (٨: ٤).

بمعني أخر لا تنفصل خدمة الكلمة والكرازة عن خدمة الموائد؛ فالكرازة تحمل حب الإنسان لله المخلص كما العالم موضوع الخلاص، وهكذا في خدمة الموائد يحمل الإنسان حبًا لأخيه المتألم أو المحتاج مع شهادة حية لحب خلاصه ومجده الأبدي.

المؤمن، كاهنًا أو أحد أفراد الشعب، يتسع قلبه بالحب للشهادة والكرازة بأسلوب أو آخر مع اتساعه بالحب نحو إخوته المحتاجين.

في مقال عن **رسالة المسيحي** وجه **القديس يوحنا الذهبي الفم** حديثه للشعب:

[يا لها من خسارة عظيمة في الإخوة! إن قليلين هم الذين يهتمون بالأمور الخاصة بالخلاص.

يا له من جزء كبير من جسد الكنيسة يشبه الميت الذي بلا حراك!!

تقولون: **وماذا يخصنا نحن في هذا؟**

إن لديكم إمكانية عظمى بخصوص إخوتكم. فإنكم مسئولون إن كنتم لا تنصحوهم، وتصدون عنهم الشر، وتجذبونهم إلى هنا بقوة، وتسحبونهم من تراخيهم الشديد. لأنه هل يليق بالإنسان أن يكون نافعًا لنفسه وحده، بل ولكثيرين أيضًا.

ولقد أوضح السيد المسيح ذلك عندما دعانا "ملحًا" (مت ٥:١٣)، و"خميرة" (مت ١٣:٣٣)، و"نورًا" (مت ٥:١٤)، لأن هذه الأشياء مفيدة للغير ونافعة لهم.

فالمصباح لا يضيء لذاته بل للجالسين في الظلمة. وأنت مصباح، لا لتتمتع وحدك، إنما لترد إنسانًا ضل، **لأنه أي نفع لمسيحي لا يفيد غيره؟! ولا يرد أحدًا إلي الفضيلة؟!**

مرة أخرى الملح لا يُصلح نفسه بل يُصلح الطعام لئلا يفسد ويهلك... هكذا جعلك الله ملحًا روحيًا، لتربط الأعضاء الفاسدة أي الإخوة المتكاسلين المتراخين، وتشددهم وتنقذهم من الكسل كما من الفساد، وتربطهم مع بقية جسد الكنيسة.

وهذا هو السبب الذي لأجله دعانا الرب "خميرًا"، لأن الخميرة أيضًا لا تخمر ذاتها، لكن بالرغم من صغرها فإنها تخمر العجين كله مهما بلغ حجمه. هكذا افعلوا أنتم أيضًا. فإنكم وإن كنتم قليلين من جهة العدد، لكن كونوا كثيرين وأقوياء في الإيمان والغيرة نحو الله. وكما أن الخميرة ليست ضعيفة بالنسبة لصغرها، إذ لها قوة وإمكانية من جهة طبيعتها... هكذا يمكنكم إن أردتم أن تجتذبوا أعدادًا أكثر منكم ويكون لهم نفس المستوى من جهة الغيرة.]

"فانتخبوا أيها الاخوة سبعة رجال منكم:

مشهودًا لهم،

ومملوءين من الروح القدس وحكمة،

فنقيمهم على هذه الحاجة". [٣]

أعطى التلاميذ الشعب كله "جمهور التلاميذ" حق الانتخاب دون تدخل من جانبهم، فالشعب ينتخب بكامل حريته على أن يكونوا من المشهود لهم ومملوءين من الروح القدس وحكمة، وعلى التلاميذ أن يقيموهم أو يقوموا بسيامتهم.

شروط السيامة:

١- **تقوم الجماعة كلها بالانتخاب** [٢]. يرى بعض الدارسين أنه غالبًا ما يُقصد بالجمهور الرجال والنساء معًا، فكان الكل على مستوى المسئولية، وإدراك كل ما يدور في الكنيسة. فإن تحديد فئة معينة للانتخاب، علامة نقص في الرعاية بسبب عجز الشعب عن اختيار الخدام على مستوى الشمامسة أو الكهنة أو الأساقفة، فاللوم يقع على الرعاة أكثر منه على الشعب.

كما يقصد بجمهور التلاميذ أن يكون الاختيار بلا تحيز لليهود أو لليونانيين، بل من الشعب ككلٍ بلا تفرقة. هنا يؤكد الرسل أنهم يريدون أن يكونوا فوق أية شبهه، فإنهم لم يتدخلوا في الانتخاب بطريقة مباشرة أو غير مباشرة.

٢- **عددهم سبعة،** ليخدم الشمامسة على الأرض كل أيام الزمن (٧ أيام الأسبوع) حتى يأتي السيد المسيح في اليوم الثامن لينطلق بكنيسته إلى الأبدية.

٣- **مشهود لهم من الجماعة كلها،** لأنهم يعملون وسط العائلات والأرامل. شهادة الشعب للمرشح للعمل الكهنوتي غلبًا ما تكون أدق من شهادة رجال الكهنوت أنفسهم، لأن البعض يحملون وجهين واحد أمام رجال الكهنوت فيه صورة التقوى والورع وتكريس القلب للعبادة والخدمة، والوجه الآخر وسط الشعب حيث تظهر أعماقه في سلوكه اليومي خارج الكنيسة، أو في المناسبات كالإفراج أو الأحزان، أو في معاملاته المادية. لهذا قدم الرسل هذا المبدأ الكنسي الهام، وهو اختيار الشعب للخدام أو الراعي أيا كانت درجته أو رتبته الكنسية.

٤- **مملؤون من الروح القدس،** ليعمل بهم، فيحّول خدمة الموائد إلى خدمة روحية، إذ يليق أن تكون كل أعمالهم مقدسة.

٥- **مملؤون من الحكمة،** فيسلكون بحكمة، يتجنبون التبذير، وفي نفس الوقت لا يكونوا مقطرين في العطاء.

لا يعني الملء من الروح القدس أن يكونوا أصحاب موهبة صنع معجزات أو التكلم بألسنة، لأن خدمتهم وسط المؤمنين لا تستوجب مثل هذه المواهب، إنما تحتاج إلى أناسٍ أتقياءٍ يسلكون بروح الرب.

"**الحكمة**" سمة لازمة لكل مسيحي لتدبير أموره الروحية والمادية، ولازمة للشمامسة ليدبروا احتياجات العائلات بحكمة دون مبالغة سواء في العطاء أو في الاقتصاد.

v حقًا يلزم أن يقوم (الشعب) بالاختيار بأنفسهم كما يحركهم الروح القدس، بل وأيضًا يحتاجون إلى شهادة الشعب. أما تحديد العدد والسيامة بالنسبة لهذه المهمة فهي من اختصاصهم، ولكن اختيار الرجال جعلوها للشعب، حتى لا يكون اختيارهم فيه انحيازًا وتفضيلاً. تمامًا كما ترك الله لموسى أن يختار الشيوخ حسب معرفته هو (عد ١١: ١٦).

القديس يوحنا الذهبي الفم

v أفرزوهم من الجماعة؛ الشعب هو الذي انتخبهم وقدمهم وليس الرسل. أنظر كيف يتحاشى الكاتب الإضافات التي ليست في الموضوع، إذ يقول مباشرة أنهم ساموهم (شرطنة xeirotonia) بالصلاة، لأنه هذا هو معني الشرطونية، أي وضع اليد، أو السيامة.

توضع يد الإنسان فوق (الشخص)، لكن العمل كله من الله، لأن يده هي التي تلمس من يُسام، إن كانت سيامته صحيحة.

القديس يوحنا الذهبي الفم

وضع الاثنا عشر شرطًا هامًا للشعب في اختيار السبعة شمامسة، وهو أن يكونوا "**مملوءين من الروح القدس وحكمة**"، ليقوم هؤلاء بخدمة الموائد اليوميّة، أي خدمة الأرامل والمحتاجين. هنا نعود إلى عصر موسى النبي الذي أمره الرب أن يقيم له خيمة اجتماع على شبه المثال الذي يظهره له على الجبل (خر ٢٥: ٤٠)، أي تكون ظلاً للمسكن السماوي. وقد دعا الرب بصلئيل بن أوري من سبط يهوذا باسمه وملأه من روح الله بالحكمة والفهم والمعرفة (خر ٣١: ١-٢).

ما فعله الرب في القديم كان رمزًا لما يلزم أن يتحقق في كنيسة العهد الجديد، فيليق بالشمامسة كما بالكهنة والأساقفة وكل الخدّام أن يقبلوا الدعوة من الله شخصيًّا وأن ينحنوا أمامه ليملأهم بالحكمة والفهم والمعرفة، لكي **يقيموا خيمة اجتماع، لا بل هيكلاً سماويًا، مقام لا من ذهب وفضّة ونحاس وأرجوان الخ.، وإنّما من نفوس المؤمنين.** وكما يقول الرسول: "كونوا أنتم أيضًا مبنيين كحجارة حية بيتًا روحيًا كهنوتًا مقدسًا، لتقديم ذبائح روحية مقبولة عند الله بيسوع المسيح" (١ بط ٢: ٥).

عمل الشمّاس المؤتمن على خدمة الموائد في الكنيسة، لا أن يقف عند إشباع احتياجاتهم الماديّة والنفسيّة والاجتماعيّة، بل أن يقيم من الفقراء والمحتاجين هيكل الرب السماوي الذي يسكنه الثالوث القدّوس. لا يقف عمله أن يأخذ من عند أدام الرسل المال ويقدمه للمحتاجين، بل أن يغرف من غنى نعمة الله فيه ويسكب في القلوب بروح الله الساكن فيه، وبالسيد المسيح نفسه، حكمة الله.

إن كان هذا هو عمل الشمّاس في خدمة الدياكونيّة، فماذا يكون عمل الكاهن أو الأسقف. فإنّه يليق به كملاك الرب، يحمل شركة في الطبيعة الإلهية، ويجلس مع الرسول بولس في السماويّات، أن

يرتفع بقلوب المخدومين إلى السماء عينها، لتصير الكنيسة بحق "بيت الملائكة" كما نترنّم في التسبحة، قائلين: "السلام للكنيسة بيت الملائكة".

هذا هو العمل الجوهري ليس فقط لكل قائدٍ روحيٍ كنسيٍ، بل ولكل عضو في جسد المسيح، أن يحمل السمات السماويّة، لكي يجتذب كل نفس إلى السماء عينها.

لقد خدم الشمامسة الأرامل، وها هو العالم مليء بأرامل، نفوس فقدت عريسها السماوي، فصارت في حالة ترمّل روحي، من يقدر أن يخدمها إلا من يمتلئ بروح الله القدّوس، القادر وحده أن ينزع حالة الترمّل بتجلّي العريس، حكمة الله، وسكناه في النفس واتّحادها معه على مستوى أبديّ.

"وأمّا نحن فنواظب على الصلاة وخدمة الكلمة". [٤]

يود الرسل ألا ينحرفوا عن غايتهم وهي تكريس كل حياتهم للعبادة والكرازة معًا، سواء العبادة الخاصة أو الكنسية (العامة). وقد وضع الرسل الصلاة أولاً، لأن بدونها لن تتم كرازة ما.

v إنه يليق بهم لا أن يمارسوا الأعمال فحسب، بل بكل طريقة يستمروا في ممارستها.

القديس يوحنا الذهبي الفم

يقدم لنا **القديس يوحنا الذهبي الفم** دور الشعب ودور الرسل كما أيضًا دور الله في سيامة الشمامسة.

v لقد تكرسوا من (انفصلوا عن) الشعب، وقد قام الشعب باختيارهم وليس الرسل هم الذين يقودوهم. لاحظ كيف يتجنب الحديث عما هو زائد، إذ لم يخبر كيف تمت السيامة، بل سيموا بالصلاة، فإن هذا هو معنى وضع اليد (شرطونية) أو السيامة، توضع اليد على الشخص، لكن العمل كله هو عمل الله. يده هي التي تمس رأس المُسام، إن كان مؤهلاً لذلك.

v يقول القديس بطرس: أما نحن فنكرس أنفسنا للصلاة وخدمة الكلمة باستمرار. هكذا يظهر الرسل كمن يتوسلون في البداية والنهاية: "**نعطي أنفسنا بصورة مستمرة للصلاة**"، إذ يليق بهم بالفعل ليس ممارسة الصلاة حينما تحين الفرص (في مواعيد معينة) بل بصورة مستمرة ودائمة.

القديس يوحنا الذهبي الفم

إذ يكرس الإنسان حياته للسيد المسيح يصير بكليته مطّوبًا، تصير **نفسه وكل أعضاء جسمه مع قلبه وفكره وكل طاقاته مقدسة**، تعمل لحساب ملكوت الله. هذا بالنسبة لكل مؤمن، فكم بالأكثر رسله وتلاميذه الذين ينالون مواهب خاصة بالخدمة، لهذا لا نعجب إن استخدم الرب أيادي الرسل في سيامة الشمامسة.

v الآن **العيون مطوَّبة** (لو ١٠: ٢٣-٢٤). لكنني أظن أنه بالتبعية منطقيًا بقية الأعضاء الجسدية التي للقديسين مطوَّبة أيضًا، كما جاء: "طوبى **للبطن** الذي حملك، **وللثديين** اللتين أرضعتاك" (لو ١١: ٢٧).

وكيف أن **الأقدام**... يُرحب بها هذه التي للذين يبشرون بالأخبار السارة (إش ٥٢: ٧؛ رو ١٠: ٧٢).

وطوبى **للأيادي** المرتفعة كذبيحة مسائية (مز ١٤١: ٢)، والتي ارتفاعها يعني نصرة إسرائيل وهزيمة عماليق (خر ١٧: ١١).

وطوبى **للقلب** الذي منه تفيض أنهار مياه تنبع لحياة أبدية (يو ٧: ٣٨).

وطوبى **للركب المنحنية** لاسم يسوع (في ٢: ١٠).

أيضًا طوبى **للسان** الذي يعترف أن يسوع المسيح رب المجد الله الآب (في ٢: ١١).

وطوبى **للفم** الذي يخدم كلمة الله (أع ٦: ٤).

وطوبى **للأنف** التي من أجلها يقال: نجرى وراءك لنشتم أطيابك.

العلامة أوريجينوس

v يعلم الروح القدس الإنسان أن يحفظ جسده كله - من الرأس إلى القدمين - في تناسق:

فيحفظ **العينين** لتنظرا بنقاوة.

ويحفظ **الأذنين** لتصغيا في سلامٍ، أو تنصتا إلى الأمور الخاصة بالسلام دون أن تتلذذا بالأحاديث عن الآخرين والافتراءات وذم الغير.

ويحفظ **اللسان** لينطق بالصلاح فقط، معطيًا وزنًا لكل كلمة، فلا يسمح لشيءٍ دنسٍ أو شهوانيٍ أن يختلط بحديثه.

ويحفظ **اليدين** لتتحركا طبيعيًا فترتفعان للصلاة ولصنع الرحمة والكرم.

ويحفظ **المعدة** ليكون لها حدود مناسبة للأكل والشراب، وذلك حسب القدر الكافي لقوت الجسد، فلا يترك الشهوة أو النهم ينحرفا بها فتتعدى حدودها.

ويحفظ **القدمين** ليسلكا ببر حسب إرادة الله، بهدف القيام بالأعمال الصالحة.

بهذا يكون **الجسد كله** قد اعتاد على كل عمل صالح، وصار خاضعًا لسلطان الروح القدس، فيتغير شيئًا فشيئًا حتى يشارك - إلى حد ما - في النهاية في صفات الجسد الروحي الذي يناله في القيامة العادلة.

القديس أنطونيوس الكبير

٢. انتخاب سبعة شمامسة

"فحسن هذا القول أمام كل الجمهور،

فاختاروا استفانوس رجلاً مملوءًا من الإيمان والروح القدس،

وفيلبس وبروخورس ونيكانور وتيمون وبرميناس

ونيقولاوس دخيلاً أنطاكيا". [٥]

v ما هي درجة هؤلاء السبعة ومقامهم؟ وما هي وظيفتهم رسميًا التي قبلوها من الرسل؟ هذا ما نريد أن نعرفه؟ هل كانوا شمامسة؟ لكن هذا اللقب لم يكن موجودًا بعد في الكنيسة. هل تُحسب خدمتهم ما يخص الكهنة؟ ولكن حتى ذلك الوقت لم يكن يوجد أساقفة بل رسل فقط. إذا بحسب ظني فإنه واضح أنهم لم يكونوا شمامسة ولا كهنة بحسب درجتهم، لكنهم سيموا وعينوا لهذه الخدمة الخاصة فقط، أي خدمة حاجات الكنيسة، ولم تُسلم لهم هذه المهمة إلا بعد إقامة صلوات رسمية في الكنيسة، لأن الرسل صلوا عليهم حتى ينالوا قوة.

v لم يكونوا فقط مجرد رجال روحيين بل كانوا "**مملوئين من الروح القدس وحكمة**"، لأن خدمتهم تحتاج إلى مستوى عالٍ من التصرف بتعقل حتى يتحملوا شكاوى الأرامل. لأنه ما الفائدة أن يكون الخادم رجلاً أمينًا لا يسرق ومن ناحية أخرى يبدد الأموال أو يتعامل بفظاظة ويسهل إثارته؟

القديس يوحنا الذهبي الفم

قدم لنا الإنجيلي لوقا قائمة بأسماء الشمامسة، فبدأ بالقديس استفانوس الذي بحسب التقليد الكنسي رئيس الشمامسة وأول الشهداء، وقد قدم لنا القديس لوقا صورة حية، لا عن خدمته للموائد، بل عن شهادته النارية لإنجيل المسيح أمام المجامع وأمام مجمع السنهدرين.

اسم "**استفانوس**" يوناني معناه "إكليل من زهور"، ويرجح أنه يهودي ثقافته يونانية. نترك الحديث عنه إلي تكملة هذا الأصحاح والأصحاح التالي.

والثاني في القائمة **فيلبس**، وهو اسم يوناني معناه "محب للخيل"، وهو غير فيلبس أحد الرسل الاثني عشر (مت ١٠: ٣). دُعي القديس فيلبس الشمامسة بالمبشر، كرز بالإنجيل في السامرة بنجاح عظيم (أع ٨: ١-٨؛ ٢١: ٨). آمن علي يديه سيمون الساحر (أع ٨: ٩-٢٥). وقاده الروح إلي الطريق المنحدرة من أورشليم نحو غزة فالتقي بالخصي الأثيوبي وزير لكنداكة، بشره وعمده (أع ٨: ٢٦-٣٩). ثم خطفه الروح وانطلق به إلي أشدود، وكان في طريقه يبشر جميع المدن حتى جاء إلي قيصرية (أع ٨: ٣٩-٤٠). وبعد سنوات استضاف القديس بولس وهو في طريقه إلي روما. وكان له أربع بنات عذارى يتنبأن (أع ٢١: ٨-٩). سيم أسقفًا علي تراليس.

أما الأخير في قائمة الرسل فهو **نيقولاوس**. اسم يوناني معناه "المنتصر علي الشعب".

يرى البعض مثل **القديسين ايريناؤس وأبيفانيوس** أن **بدعة النيقولاويين** (رؤ ٢: ٦، ١٥) تُنسب إلى الشماس نيقولاوس:

١. يقول **القديس ايريناؤس** [النيقولاويون هم أتباع نيقولا أحد الشمامسة السبع (أع ٦:٥)، وهؤلاء يسلكون في الملذات بلا ضابط ويعلمون بأمور مختلفة كإباحة الزنا وأكل المذبوح للأوثان.]

٢. يبرئ **القديسان إكليمنضس الإسكندرى وأغسطينوس** نيقولاوس من البدعة وينسبانها لأتباعه. ويعلل البعض نسبة هذه الهرطقة إليه ترجع إلي تأويل كلماته، فقد قال بأن الذين لهم زوجات كأنه ليس لهم، أي يحيا مع زوجته بالروح ينشغلان بالأكثر بخلاصهما ونموهما الروحي

والشهادة لإنجيل الخلاص. لكن بعض أتباعه قاموا بتأويل كلمته، ظانين أنه نادى بأن من له زوجة فليهجرها ويصير كمن بلا زوجة، ويسمح إن تكون مشاعًا.

٣. يرى **العلامة ترتليان والقديس جيروم** أنه لما أختير للشموسية امتنع عن الاتصال بزوجته، وبسبب جمالها عاد إليها. ولما وبَّخوه على ذلك انحرف في البدعة إذ أباح الزنا. جاء رد الفعل في كتابات **العلامة ترتليان** حيث قال: "كل الأشياء مشترك بيننا فيما عدا زوجتنا" *Omnia indiscreta apud nos praeter upores*.

v نيقولاوس أحد الشمامسة السبعة، والذي في فسقه لم يعرف الراحة ليلاً أو نهارًا، انغمس في أحلامه الدنسة.

القديس جيروم

٤. يرى آخرون أنه كان يغير على زوجته جدًا بسبب جمالها، فلما ذمَّه البعض بسبب شدة تعلقه بها أراد أن يظهر العكس فأباح لمن يريد أن يأخذها، فسقط في هذه البدعة.

لا تسقط مسؤليته انحراف نيقولاوس على الرسل القديسين. في رسالة وجهها **القديس جيروم** إلى الشماس سابينيانوس Sabinianus يدعوه إلى التوبة وألا يتكل على أن الذي سامه أنه أسقف قديس:

v أتوسل إليك أن ترحم نفسك.

تذكر أن حكم الله سيحل عليك يومًا ما.

تذكر أي أسقف هذا الذي سامك. لقد أخطأ هذا القديس في اختياره لك، لكنه سيكون بريئًا (ربما لأنه ندم على سيامته)، والله نفسه ندم أنه سمح شاول ملكًا (١ صم ١٥: ١١).

وُجد حتى بين الاثنى عشر رسولاً يهوذا خائنًا. ووُجد نيقولاوس الأنطاكي شماسًا مثلك (أع ٦: ٥)، نشر الهرطقة النيقولاوية وكل وسيلة للدنس (رؤ ٢: ٦، ١٥).

القديس جيروم

يلاحظ أن السبعة يحملون أسماء يونانية، ولعلهم أقيموا لخدمة المتذمرين من اليونانيين بشيء من التعاطف معهم، ولم يكن من بينهم شخص واحد يهودي بالمولد.

لقد كان الاثنا عشر تلميذًا عبرانيين، لذلك أُختير السبعة من اليونانيين لتحقيق شيء من المساواة والشعور بالتزام الكل بالعمل.

واضح أن عمل السبعة لم يدم كثيرًا، فقد استشهد استفانوس ثم حدث ضيق شديد على الكنيسة، وتشتت الشعب خارج أورشليم يكرزون بالكلمة، بينما بقي الرسل في أورشليم.

"الذين أقاموهم أمام الرسل،

فصلوا ووضعوا عليهم الأيادي". [٦]

صلى الرسل من أجل هؤلاء المختارين لكي يتأهلوا بالروح القدس للعمل المنوط إليهم، ويكونوا ناجحين فيه حسب فكر الله، وليس حسب الفكر البشري. وإذ صلوا وضعوا الأيادي عليهم، أي تحققت السيامة بالصلاة مع وضع اليد.

"وضع اليد (الشرطونية)": يدعى "سميخا Semukhah"، ربما تعنى "المختار" من أصل عبري. في طقس الذبائح كان الخاطي يضع يده على رأس الذبيحة قبل أن تُذبح لتنتقل خطاياه إلى الذبيحة. وفي سرّ الاعتراف يضع الكاهن يده على رأس الخاطئ ليقدم له البركة وعمل الروح القدس خلال يد المسيح نفسه. وعندما التقي القديس بولس بوالد بوبليوس المُصاب بالحمى "صلى ووضع يديه عليه فشفاه". (أع ٢٨: ٨)

يرى **القديس يوحنا ذهبي الفم** أن وضع اليد هنا لكي يعمل رأس الكنيسة المجيد فيهم، ويفيض عليهم بمواهب الروح القدس لتحقيق رسالتهم.

- كل المعجزات التي صنعوها، صنعها هو فيهم، وكانت "**يد الرب معهم**" (أع ١١: ٢١).

القديس يوحنا الذهبي الفم

"وكانت كلمة اللَّه تنمو،

وعدد التلاميذ يتكاثر جدًا في أورشليم،

وجمهور كثير من الكهنة يطيعون الإيمان". [٧]

يا لها من صورة رائعة لصلاح الفائق الذي يحول الضيقات الخارجية والمتاعب الداخلية لنمو الكنيسة وبنيانها المستمر. فتذمر اليونانيين علي العبرانيين لم يحطم نفسية الرسل ولا دفعهم للانشغال بحل المشكلة علي حساب التفرغ للصلاة وكلمة الله، بل دفعهم لسيامة الشمامسة السبعة وهذا بدوره أعطى الفرصة لنمو الكنيسة.

هذا هو صلاح الله العامل في حياتنا ليحول المرارة إلي عذوبة والجفاء إلي حلاوة.

أما من جانبنا فإذ يملك الحب والحكمة مع الإخلاص والهدف الواضح علي حياتنا لا تستطيع المشاكل والعقبات أن تعثر طريقنا، ولا أن تؤذينا، بل تتحول إلي تمتع بخيراتٍ رائعةٍ، وتلامس مع عمل الله الفائق.

هذا ولا نقدر أن نتجاهل هذا المجتمع الكنسي الروحي الذي حوَّل تذمر اليونانيين علي العبرانيين، لا إلي تمسك كل فريق بوجهة نظره، بل إلي العمل الروحي الجاد والحكيم فاختار المسيحيون اليهود الشمامسة من فريق اليونانيين لأجل راحتهم، ولكن ليس علي حساب الخدمة إذ اختاروا قامات روحية عالية. هكذا تبقي هذه المشكلة الواردة في هذا الأصحاح وطريق علاجها مثلاً حيًا لكيفية علاج المشاكل الكنسية بروح الحب والحكمة والحق.

قدم القديس لوقا هذه الوقفة بعد سيامة السبعة، ليوضح أن هذه السيامة أعطت فرصة للإثني عشر للعمل الكرازي المرتبط بالصلاة، دون الانشغال بالأمور المالية والإدارية مما أعطي الكنيسة نموًا متزايدًا. وقد انجذبت جماعات عظيمة من كهنة اليهود للإيمان المسيحي بروح الخضوع والطاعة.

هكذا خلال عمل الروح القدس نجح التلاميذ في غزو قلب الهيكل نفسه حيث دخلوا إلى قلوب الكهنة ليقيم الروح مملكة المسيح فيها. قبول كثير من الكهنة الإيمان المسيحي يكشف عن قوة الإنجيل وقدرته على جذب النفوس حتى المقاومة له. فهو قادر أن يخضع النفوس لطاعة الإيمان. لم يشغل الكهنة الجادون في البحث عن خلاصهم مراكزهم ككهنة لهم تقديرهم في الأوساط اليهودية، مفضلين أن يكونوا من عامة الشعب المسيحي البسيط مع تمتعهم بغنى نعمة الله عن ممارستهم للأعمال الكهنوتية وتمتعهم بالكرامة الزمنية.

v في أورشليم تزايد الشعب، يا للدهشة حيث قُتل يسوع هناك تزايدت الكرازة... يليق بي الإشارة إلى الملاحظة تحت أية ظروف تزايد الشعب: بعد المحاكمات تزايد الشعب وليس قبلها. لاحظوا كم هي عظمة رحمة الله.

القديس يوحنا الذهبي الفم

v لنتمثل به أيضًا، فقد قبل (صالبيه) ولم يرفضهم. هكذا لنسأل من أجل أعدائنا الذين صنعوا معنا شرورًا كثيرة. كل ما نناله من خيرات لنهبه لهم؛ ليتنا لا نتجاهلهم في أعمال احساناتنا. فإنه يليق بنا باحتمالنا للشر أن نهدئ سخطهم، وبالأكثر إذ نصنع معهم خيرًا... هذه هي كرامة تلاميذ المسيح.

أتوسل إليكم أن تقتدوا بالمسيح في هذا الأمر (محبته لصالبيه)، فإنه يمكننا أن نتمثل به. هذا يجعل الإنسان متشبهًا بالله، إنه أمر يفوق البشرية.

لنتمسك بالرحمة، فهي المربية والمعلم لهذه الحكمة العلوية.

القديس يوحنا الذهبي الفم

يحذر **القديس إكليمنضس السكندري** رجال الكهنوت، أساقفة أو كهنة أو شمامسة من الاتكال على سيامتهم ونوالهم درجات كهنوتية كمصدرٍ لتبرير أنفسهم.

v مثل هذا يكون بالحقيقة كاهن الكنيسة أنه خادم حقيقي لإرادة الله، إن كان يعمل ويعلم ما هو للرب، ليس لأنه سيم من الناس، ولا يحسب بارًا لأنه كاهن بل يُدرج في القسيسية لأنه بار. ومع أنه هنا على الأرض لا يُكرم بكرسي للرئاسة، فسيجلس على الأربعة وعشرين عرشًا يدين الناس كما قال يوحنا في الرؤيا.

القديس إكليمنضس السكندري

لا يفوتنا هنا أن انتشار الكلمة وتكاثر عدد المؤمنين جدًا لم يقم علي صنع الآيات والعجائب، وإنما علي تمتع الكنيسة بروح الحب والحكمة والتقدير المتبادل، ليس فقط بين العبرانيين واليونانيين، بل وبين الرسل والشعب أيضًا. فليس من مجالٍ لعمل نعمة الله في حياة المؤمن كما في حياة الكنيسة مثل مجال الحب المتبادل والمشترك بين كل الأعضاء.

"وأمّا استفانوس، فإذ كان مملوءًا إيمانًا وقوة،

كان يصنع عجائب وآيات عظيمة في الشعب". [٨]

"**كان مملوء إيمانًا**"، أي كان مملوء بالثقة في وعود الله الصادقة. وإذ كان مملوءً إيمانًا، كان أيضًا مملوءً قوةً، لأن الإيمان هو تمتعنا بقوة الله العاملة فينا. فبالإيمان نبذل ذواتنا أو نخلي أنفسنا، ويحل المسيح فينا.

إذ استراح الروح القدس في استفانوس استخدمه بكل وسيلة لجذب النفوس للإيمان. لقد أُختير هذا العظيم في الشمامسة لخدمة الموائد، لكن بقي دوره الرئيسي في هذه الخدمة هو خلاص النفوس. وهبه الروح إيمانًا وقوة ليصنع آيات وعجائب عظيمة، فيصطاد النفوس إلى المائدة السماوية. وكما سنرى أن القديس فيلبس الشماس والمبشر شارك القديس استفانوس ذات الروح، حيث كان مهتمًا بخلاص الكثيرين.

يرى **القديس يوحنا الذهبي الفم** أن استفانوس تخصّص في خدمة الكلمة بينما خصّص بعض زملائه في خدمة الأرامل والمحتاجين، وذلك لتنوّع المواهب.

v تطلعوا، إنه بيد السبعة وُجد من هو الأسمى، وقد نال المكافأة الأولى. فمع أن السيامة له ولغيره عامة، لكنه اقتنى لنفسه نعمة أعظم. ولتلاحظوا أنه لم يصنع آيات وعجائب قبل ذلك، وإنما فقط عندما عُرف علنًا، ليظهر أن النعمة وحدها لا تكفي إنما تلزم أيضًا السيامة لكي ما يكون النمو في الروح إلى حد أبعد.

القديس يوحنا الذهبي الفم

٣. خدمة رئيس الشمامسة

"نهض قوم من المجمع الذي يقال له مجمع الليبرتينيّين،

والقيراوانيّين والإسكندريين ومن الذين من كيليكية وآسيا،

يحاورون استفانوس". [٩]

لا نعجب أن الذين بدأوا بالثورة ضد استفانوس هم اليهود اليونانيين أو الذين لهم ثقافة يونانية، قاموا بعد ذلك بإثارة مجمع السنهدرين عليه. فقد كان استفانوس عضوًا في إحدى هذه المجامع، والآن لم يصر الآن مؤمنًا فحسب، بل وقائدًا عاملاً لحساب كنيسة المسيح، فلم يحتملوا هذا. ولعل القديس استفانوس كصاحب ثقافة يونانية قد بدأ يلتقي ببعض الأشخاص من هذه المجامع، بحكم ثقافته وصداقته القديمة وعضويته، مما أثار المجامع فالتقي قوم من كل مجمع معًا واتحدوا لمحاورة القديسز

مجمع هنا بالعبرية *beth-keneseth* أي بيت الكنيسة أو بيت الاجتماع، وبالآرامية *kenishta* أو الكنيسة بكونها موضع الاجتماع للعبادة المحلية ماعدا تقديم الذبائح، إذ تقتصر العبادة فيه على قراءة التوارة وشرحه والتعليم، وقد صار هذا نواة لكنيسة العهد الجديد التي ورثت عنه حتى الاسم.

توجد أراء متباينة عن كلمة الليبرتيين، أهمها:

١. كلمة لاتينية ربما تعني "إنسان نال حرية Freedman، أي عُتق من العبودية. يرى كثيرون أنهم كانوا مُستعبدين من أصل روماني وتحرروا، وصاروا دخلاء في الدين اليهودي، صار لهم

مجمع في أورشليم. يذكر تاكيتوس Tacitus أنه وُجد كثيرون في روما حالهم هكذا. يقول أن ٤٠٠٠ دخيلاً يهوديًا هم عبيد رومانيون تحرروا وأرسلوا دفعة واحدة إلى ساردينيا Sardinia .

٢. كانوا يهودًا بالميلاد، أسرهم الرومان، وبعد ذلك حرروهم، ولهذا دعوا الليبرتينين، وبلاشك كان كثير من اليهود هذا حالهم. فعندما اخضع بومباي اليهودية أرسل أعدادًا ضخمة من اليهود إلى روما. هؤلاء نالوا حرية واختاروا مكانًا وراء التيبر ليقيموا معًا فيه. أيضا كثير من اليهود أرسلهم بطليموس الأول Ptolemy I إلى مصر وأقاموا هناك.

٣. أن هذا الاسم أُخذ عن موضع معين له هذا الاسم، ويبرر أصحاب هذا الرأي أن بقية المجامع المذكورة في نفس العبارة تُنسب لأسماء مدن معينة مثل قيروان والإسكندرية وكيليكية الخ. وقد جاء في إحدى كتابات الآباء: "فيكتور أسقف الكنيسة الجامعة في ليبرتينا Libertina ، وهي مدينة ليست ببعيدة عن قرطاجنة القديمة بشمال غرب أفريقيا.

بدأ ظهور هذه المجامع منذ السبي البابلي حتى لا يُحرم الشعب من قراءة التوارة والاستماع إليه، وإلى تفسيره، كما إلى التعليم. انتشرت المجامع في البلاد، وقد جاء في التلمود أن عدد هده المجامع في أورشليم وحدها بلغ ٤٨٠ مجمعًا وذلك قبيل هدم الهيكل وإخلاء أورشليم. كانت المجامع تُدعى حسب أسماء البلاد التي كون فيها اليهود رابطة، وكانوا يعبدون باللغة التي يتكلمون بها.

كان **مجمع الليبرتينيين** من أكبر المجامع وأهمها، وكانت العبادة فيه باللغة اللاتينية. أما **مجمع القيراوانيين** فيضم القادمين من قيروان بليبيا.

يرى البعض أن استفانوس كان عضوًا في **مجمع الإسكندريين** بسبب الحكمة التي وُصف بها، مثله مثل أبلوس اليهودي السكندري الجنس. يقول يوسيفوس أن الاسكندر الأكبر نفسه خصص حيًا بالإسكندرية لليهود، ووهبهم ذات الامتيازات التي لليونانيين. ويؤكد فيلون أنه من بين خمسة أحياء بالإسكندرية كان اثنان منهما مخصصان لليهود، بهذا يكون عدد اليهود في مصر لا يقل عن مليون نسمة.

كانت كيليكية مقاطعة بآسيا الصغرى على ساحل البحر، شمال قبرص، عاصمتها طرسوس. وكان شاول عضوًا في **المجمع الخاص بالقادمين من كيليكيا**، إذ جاء من طرسوس عاصمة كيليكيا. وربما كان شاول المحاور الأول لاستفانوس (أع ٧: ٥٨).

كلمة " **يحاور**" هنا لا تشير إلى جدالٍ مثيرٍ بغضبٍ إنما إلى حوار وبحث عن الحقيقة. كان موضوع الحوار: هل يسوع هو المسيح المنتظر؟ ربما تحول هذا الحوار الودي إلى عنف من جانب المجامع حيث أفحمهم استفانوس.

استثار استفانوس بحواره المملوء قوة وحكمة هذه المجامع جميعها، وأفحمهم إذ أراد لهم أن يستنيروا بالروح، ويدركوا حقيقة الإيمان بالسيد المسيح.

"ولم يقدروا أن يقاوموا الحكمة والروح الذي كان يتكلم به". [١٠]

كان حديثه مملوء نعمة وحكمة بالروح القدس، لذا لم يكونوا قادرين علي المقاومة. إن سأل ليس لديهم إجابة، وإن سألوا وجدوا في إجابته روح الحق الذي لا يُقاوم. فمع رفضهم للإيمان شعروا بالضعف والهزيمة. كانوا يظنون بتحالفهم معًا وقدراتهم ومواهبهم ومعرفتهم أنهم قادرون علي

الغلبة عليه، ولم يدركوا أنهم لا يحاورون استفانوس بشخصه، بل روح الله فيه، فليس من تعادل بين الكفتين أو الطرفين.

كلمة "**الروح**" هنا تشير إلى القوة أو الطاقة أو الغيرة والحماس الذي اتسم به استفانوس.

إذ كان استفانوس يهوديًا تربي خارج اليهودية، وتثقف باليونانية فكان فيلسوفًا مملوء حكمة. تقدست هذه الحكمة بقوة الروح القدس، فصار قوي الحجة ومملوء نعمة، مع هدوء الروح وصنع العجائب والآيات العظيمة. لهذا لم تستطع هذه المجامع أن تقاوم الحكمة والروح الذي كان يتكلم به.

٤. استفانوس أمام المجمع

"حينئذ دسّوا رجال يقولون:

إننا سمعناه يتكلم بكلام تجديف على موسى وعلى اللَّه". [١١]

أدركوا ما لكرازة القديس استفانوس من خطورة علي الناموس، حيث كان يهيئ المؤمنين للتحرر من حرف الناموس وممارسته روحيًا. هذا في نظرهم يُحسب تجديفًا علي الناموس، متطلعين أنه حتمًا ستنتهي الطقوس الناموسية في حرفيتها.

أما اتهامهم له بالتجديف علي الله، فيقوم علي كرازته بشخص يسوع المصلوب أنه كلمة الله الواحد والمساوي مع الله الآب. هذا في نظرهم تجديف.

"وهيّجوا الشعب والشيوخ والكتبة،

فقاموا وخطفوه،

وأتوا به إلى المجمع". [١٢]

عندما كان اليهود يشعرون بالعجز عن مقاومة الحق يلجأون إلى دس شهود زور يدعون أن المتكلم يجدف على موسى أو الناموس وعلى الله والهيكل لكي يُحكم عليه بالقطع من شعب الله (عد ١٥: ٣٠-١)، ويستوجب الرجم.

أتهم السيد المسيح نفسه بالتجديف، وها هو استفانوس، وأيضًا بولس الرسول (أع ١: ٢٧-٢٨).

لماذا ثاروا على استفانوس دون الرسل؟

١. يظن البعض إنهم استخفوا بالرسل كجليليين أميين، فكانوا يحسبون أنهم أعظم من أن يدخلوا في حوار معهم، أما استفانوس فكان شخصًا متعلمًا.

٢. يرى آخرون أنهم كانوا يخشون الرسل خاصة بعدما حدث مع حنانيا وسفيرة، وأيضًا أخرجهم ملاك الرب من السجن.

٣. يرى فريق ثالث أن الرسل اهتموا بنشر كلمة الخلاص في بساطة، وانتدبوا استفانوس كرجلٍ متعلمٍ للدخول في الحوار مع المقاومة، فهو يجيد ذلك، خاصة وأن البعض يدعى بأنه تتلمذ عند قدمي غمالائيل مثل شاول الطرسوسي، له القدرة على الجدال بنفس أسلوبهم.

٤. كان الرسل يتحدثون عن موسى والناموس والهيكل بكل وقارٍ، وكانوا يشتركون مع اليهود في عبادتهم داخل الهيكل وفي أعيادهم، دون تقديم ذبائح دموية. لهذا كان الشعب يكرمهم، ووجدوا "نعمة لدي جميع الشعب" (أع ٢: ٤٧). كان لا بد من ظهور استفانوس في أورشليم ليعلن بقوة الروح الانطلاق من الحرف القاتل والمفاهيم اليهودية الضيقة حتى تجتاز كنيسة العهد الجديد الانطلاق تدريجيًا إلى الحرية التي لأولاد الله، ولكي ينفتح باب الإيمان أمام الأمم، فلا يلتزموا بنير الناموس. وكما قال رسول الختان في مجمع أورشليم الأول: "فالآن لماذا تجربون الله بوضع نيرٍ على عنق التلاميذ، لم يستطع آباؤنا ولا نحن أن نحمله؟ (أع ١٥: ١٠)

لعل الرسول بطرس كان يصارع بين التزامه بالخضوع لنير الناموس حتى يكسب اليهود للإيمان وبين رغبته في التحرر منه ليكسب الأمم. وكما كتب الرسول بولس: "ولكن لما أتى بطرس إلى إنطاكية قاومته مواجهة، لأنه كان ملومًا. لأنه قبلما أتى قوم من عند يعقوب (كنيسة أورشليم) كان يأكل مع الأمم، ولكن لما أتوا كان يؤخر نفسه خائفًا من الذين هم من أهل الختان ورأى معه باقي اليهود أيضًا". (غل ٢: ١١-١٣)

"وأقاموا شهودًا كذبة يقولون:

هذا الرجل لا يفتر عن أن يتكلم كلامًا تجديفًا،

ضد هذا الموضع المقدس والناموس". [١٣]

ليس من وسيلة لرجم استفانوس سوى إثارة الشعب بأنه يهدد بدمار الهيكل، رمز الأمة كلها ومجدها والمعبر عن تراث الشعب منذ خروجهم من مصر. إنه إحدى عجائب الدنيا، وهو في نظرهم أقدس موضع في العالم كله، يمثل السماء عينها.

جاء خطاب استفانوس يشهد لمجد الله وعمله في حياة أب الآباء إبراهيم وموسي النبي، وفيه تكريم للهيكل الذي التمس داود النبي والملك أن يبنيه، فبناه ابنه سليمان، هذا احتالوا ضده بشهود زور للخلاص منه.

ثار الشعب على هيكلهم ومعهم الشيوخ كرؤساء والكتبة كمسئولين عن حفظ التراث في حرفية جامدة. شعر الكل أن وجود استفانوس يمثل دمارًا للأمة بهيكلها وتراثها.

لم يدرك هؤلاء الحرفيون الحق، ولا تلامسوا مع قوة الروح، ليروا أن ما يكرز به استفانوس هو غاية موسى والناموس، وأن ما يُقام في داخل النفس هو هيكل الروح القدس، وأن الصليب قد تمم ما كانت تهدف إليه الذبائح الحيوانية في رمزٍ مؤقتٍ، وأن العماد هو ختان الروح والقلب لا الجسد، وأن حضور المسيح وسط كنيسته هو العيد غير المنقطع.

"لأننا سمعناه يقول:

إن يسوع الناصري هذا سينقض هذا الموضع،

ويغيّر العوائد التي سلمنا إيّاها موسى". [١٤]

جاء الاتهام خطيرًا، لأنه يحمل جزءً من الصحة وجزء من المغالطة، بهذا يكون الدفاع صعبًا. سبق أن وُجه ذات الاتهام للسيد المسيح أثناء محاكمته فلم يجب (مر ١٤: ٥٦-٦٠)، ليس عجزًا عن الرد، ولكن لأنه اتهام مزيف، إذ لم يقل السيد أنه ينقض الهيكل، بل قال: "انقضوا (أنتم)". فإنه ما جاء لينقض الناموس بل ليكمله، وما جاء لينقض الهيكل، بل إذ ينقضوه بالحكم عليه بالموت (ينقضوا هيكل جسده) يقيمه بسلطانه الإلهي.

حقًا، لقد أعلن حتى عن خراب الهيكل، وأنه لا يبقى حجر على حجر، لكنه لم يقل أنه هو الذي يقوم بتدميره، إنما إذ يرفضوا الإيمان به يصير بيتهم خرابًا.

v هنا نجد شعبًا كثيرًا. لاحظوا الفرق في شكل الاتهام الموجه ضده، فحيث أوقفهم غمالائيل عن إيجاد خطأ في المحاكمة السابقة قدموا اتهامًا آخر.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"فشخص إليه جميع الجالسين في المجمع،

ورأوا وجهه كأنه وجه ملاك". [١٥]

إذ ركز استفانوس على شخص السيد المسيح، ولم يعطِ بالاً لمقاومة الأشرار، انعكس بهاء السيد عليه، فصار وجهه كأنه وجه ملاك. عندما نزل موسى من جبل سيناء صار وجهه يلمع حتى خشي بنو إسرائيل من الاقتراب منه (خر ٣٤: ٢٩-٣٠؛ ٢ كو ٣: ٧، ١٣). فالمؤمن الجاد في حياته الروحية، إذ يتمتع بنعمةٍ فوق نعمةٍ، وإذ يحمل ثمر الروح من محبة وفرح وسلام الخ. تحمل ملامحه صورة حية لهدوء الروح فيه، فيترنم مع الرسول: "أجلسنا مع في السماوات في المسيح يسوع" (أف ٢: ٦).

شهد استفانوس بسيرته كما بكلماته، وأخيرًا بإشراق مجد الرب عليه. وكما يقول القديس بولس: "ناظرين مجد الرب بوجه مكشوف، كما في مرآة، نتغير إلى تلك الصورة عينها" (٢ كو ٣: ١٨).

لقد شاهد كل الحاضرين بما فيهم رئيس الكهنة ومن معه هذا المنظر الرائع، لكن انطمست عيون قلوبهم عن رؤية الحق، وأفسدت محبة المجد الباطل والمال بصيرتهم، فصار وجه استفانوس المشرق شاهدًا عليهم!

يرى **القديس جيروم** أن بهاء وجه استفانوس هو نوع من عربون المجد الأبدي الذي ينمو فيه المؤمن هنا فيتمتع بمجد فمجدٍ (٢ كو ٣: ١٨).

v هذا يشير إلى المجد الذي يعلن عندئذ (١ بط ٥: ١) لقديسيه، كما نقرأ في موضع آخر الكلمات: "من مجدٍ إلى مجدٍ" (٢ كو ٣: ١٨)، هذا المجد الذي يتمتع به القديسون في هذا العالم كعربونٍ ونصيبٍ بسيطٍ.

على رأس القديسين موسى الذي كان وجهه يشرق جدًا كبهاء الشمس (خر ٣٤: ٢٠ الخ.، ٢ كو ٣: ٧)، يليه إيليا الذي اُختطف إلى السماء في مركبة نارية (٢ مل ٢: ١١)، ولم يؤثر فيه اللهيب.

أيضًا استفانوس عندما رُجم كان وجهه كوجه ملاك يتطلع إليه الكل (أع ٦: ١٥).

القديس جيروم

إذ وُجه إليه الاتهام أنه يجدف على الناموس والعوائد التي استلموها من موسى، وهم يعتزون بموسى الذي كان جلد وجهه يلمع كما جاء في سفر الخروج (خر ٣٤: ٣٥) علامة نعمة الله الحالة عليه، فإن الله نفسه الذي وهب موسى هذه النعمة قدمها لاستفانوس إذ تطلعوا إلى وجهه فرأوه مشرقًا كوجه ملاك، لو أنه يجدف على موسى لما وهبه الله ذات العطية.

v نعم توجد وجوه مُنعمة تمامًا بنعمة روحية، بهجة للذين يحبونها، ومرهبة لمبغضيها ولأعدائها.

v أُتهم هذا الرجل باطلاً لذلك صارت ملامحه تدافع عنه أمام الجميع.

القديس يوحنا الذهبي الفم

في حديثه عن الجسد المُقام يقول **العلامة ترتليان** أن تغيير الشيء لا يعني هلاك كيانه، وذلك مثل وجه موسى الذي كان يضيء (خر ٣٤: ٢٩، ٣٥)، فقد بقي وجه موسى كما هو بالرغم من بهائه وعدم قدرة أحد على رؤيته. هكذا صار أيضًا مظهر استفانوس كملاكٍ بالرغم من كونه هو كما هو، فقد سقط استفانوس تحت الرجم.

هكذا قدم القديس استفانوس بملامحه السماوية فكرًا أنجيليًا كنسيًا لشاول، إذ كرز له بالحق إن الإيمان بالسيد المسيح دعوة صادقة للتمتع بالحياة الملوكية السماوية. هذا الدرس صار خطًا رئيسيًا في حياة الرسول بولس وكتاباته، تلمسه من وراء السطور.

v أريدكم أن تحفظوا أذهانكم في هذه الأمور على الدوام (كو٣:١). فإن **اهتمامنا بها يحررنا من الأرض وينقلنا إلى السماء.**

القديس يوحنا الذهبي الفم

v لا دخول إلى ذلك البلد (بلد نور الأنوار وعالم أبد الآبدين) لمن لم يختبره منذ الآن.

فلا يقدر أن يرتاد ذاك البلد من لم يرتاده من هنا، إذ تعاني عين بصيرته من الغشاوة حينذاك بأشعة نور الغمام الخارج من هناك ليتنعم به، فإنه حالما تغرب عن عينه شمس العالم، يقسّم ميراثه ويرحل لملاقاة الشمس العظيمة، نور العوالم العلوية.

الشيخ الروحاني (يوحنا الدّلياتي)

من وحي أعمال الرسل ٦

قدس يا رب خدمة الموائد!

v عجيب أنت في حبك،

يا مشبع النفوس والأجساد.

لم ترد أن تصرف الجموع جائعة،

بل مددت يدك، ليقدم تلاميذك فيضًا من الطعام!

شبعَ الكل، وبقيت كسر بفيضٍ زائدٍ.

- هوذا تلاميذك يحملون روحك،

وكنيستك تهتم باحتياجات أولادك!

تفرَّغ الرسل للصلاة وللكلمة،

وأقاموا شمامسة لخدمة الموائد!

- هب لكهنتك روح الأبوة الفائقة،

مع كرازة الكلمة يقدمون كرازة الحب العملي.

ومع شوقهم لخلاص كل نفس،

يشتاقون لبنيان كل إنسان روحيًا وجسديًا واجتماعيًا.

- هب لشعبك أيضًا روح الشهادة لإنجيلك.

مع محبتهم لسد احتياجات المعوزين،

لن يكفوا عن الصلاة والجهاد لخلاص العالم!

ليشهد كل مؤمن لإنجيلك المفرح،

ويشتهي بنيان العالم كله بروحك القدوس.

- يا للعجب! خدام الموائد مملؤون من الروح القدس والحكمة.

رئيس الشمامسة لن يفتر عن الشهادة لك.

بكل شجاعة دخل المجامع، ليحاورهم بالحب.

وقف أمام قوات الظلمة في شجاعة.

ملامح وجهه أبكمت ألسنة المتهمين له.

أشرق وجهه ببهاءٍ عجيبٍ.

رآه الجميع، وكأنه وجه ملاك!

- يا للعجب! قدم للجائعين طعامًا،

وقدم لغير المؤمنين كلمة الحق،

وقدم لرجال الظلمة نورًا سماويًا.

- لأتشبّه بشمامستك المملوئين بالروح والحكمة،

لأقتنيك يا حكمة الله،

فلا أعاني من مرارة الترمّل الداخلي.

بل أنعم دومًا بعرسٍ روحيٍ سماويٍ لا ينقطع!

ليكمل فرحي، إذ تجتذب الكثيرين إليك.

فلا توجد أرملة واحدة،

إذ يتحد الكل بك.

أنت وحدك تعمل فيّ وبي،

من أجل تمتّع البشريَّة بالعرس الأبدي!

١ و في تلك الايام اذ تكاثر التلاميذ حدث تذمر من اليونانيين على العبرانيين ان ارامله كن يغفل عنهن في الخدمة اليومية
٢ فدعا الاثنا عشر جمهور التلاميذ و قالوا لا يرضي ان نترك نحن كلمة الله و نخدم موائد
٣ فانتخبوا ايها الاخوة سبعة رجال منكم مشهودا لهم و مملوين من الروح القدس و حكمة فنقيمهم على هذه الحاجة
٤ و اما نحن فنواظب على الصلاة و خدمة الكلمة
٥ فحسن هذا القول امام كل الجمهور فاختاروا استفانوس رجلا مملوا من الايمان و الروح القدس و فيلبس و بروخورس و نيكانور و تيمون و برميناس و نيقولاوس دخيلا انطاكيا
٦ الذين اقاموهم امام الرسل فصلوا و وضعوا عليهم الايادي
٧ و كانت كلمة الله تنمو و عدد التلاميذ يتكاثر جدا في اورشليم و جمهور كثير من الكهنة يطيعون الايمان
٨ و اما استفانوس فاذ كان مملوا ايمانا و قوة كان يصنع عجائب و ايات عظيمة في الشعب
٩ فنهض قوم من المجمع الذي يقال له مجمع الليبرتينيين و القيروانيين و الاسكندريين و من الذين من كيليكيا و اسيا يحاورون استفانوس
١٠ و لم يقدروا ان يقاوموا الحكمة و الروح الذي كان يتكلم به
١١ حينئذ دسوا لرجال يقولون اننا سمعناه يتكلم بكلام تجديف على موسى و على الله
١٢ و هيجوا الشعب و الشيوخ و الكتبة فقاموا و خطفوه و اتوا به الى المجمع
١٣ و اقاموا شهودا كذبة يقولون هذا الرجل لا يفتر عن ان يتكلم كلاما تجديفا ضد هذا الموضع المقدس و الناموس

١٤ لاننا سمعناه يقول ان يسوع الناصري هذا سينقض هذا الموضع و يغير العوائد التي سلمنا اياها موسى
١٥ فشخص اليه جميع الجالسين في المجمع و راوا وجهه كانه وجه ملاك

الإصحاح السابع

خطاب استفانوس

جاء خطاب القديس استفانوس ليس دفاعًا عن نفسه، ولا عن الإيمان المسيحي، وإنما وجد الفرصة سانحة أن يقف أمام رئيس الكهنة وبعض الرؤساء والقيادات اليهودية ليقدم لهم دعوة كتابية صادقة للتمتع بالإيمان الحي. كان يتحدث معهم كتابيًا كما لو كان الكتاب المقدس مفتوحًا أمامه، ينطق بالروح القدس، ليعطي مفاهيم كتابية جديدة تخص شعب الله. بكونه يهوديًا هيلينيًا، اقتبس عبارات الكتاب المقدس من الترجمة السبعينية. خطابه كرازي من الدرجة الأولى.

وضع القديس استفانوس الأساس الروحي اللاهوتي الحي للمدافعين الكنسيين فيما بعد. فإن ما يشغل المدافع ليس الدفاع عن السيد المسيح وكنيسته، فالسيد قادر أن يدافع عن نفسه وعن كنيسته، لكنه يحمل قلبًا متسعًا ليكشف عن الحق الإنجيلي للمقاومين، فيقتنعوا معه بعمل الخلاص المجيد.

قدم القديس استفانوس عرضًا رائعًا للعهد القديم ككلٍ، ليبرز أن الإيمان بالسيد المسيح هو غاية الناموس والأنبياء وكل أسفار العهد القديم.

كان القديس يتكلم لا كمتهمٍ يدافع عن نفسه، بل كمن في مركز القوة، ليراجع الحاضرون أنفسهم ومفاهيمهم وقسوة قلوبهم وغرلة آذانهم، حتى لا يوجدوا بعد مقاومين للروح القدس كآبائهم (أع ٧: ٥١).

دعاهم أن يرتفعوا معه كما إلى السماء ليروا بمنظارٍ روحي الناموس والأنبياء والهيكل وكل طقوس العبادة، يرون في يسوع المسيح أصل التاريخ ومصدر الخلاص، فلا يكملوا مكيال آبائهم المقاومين للحق الإلهي.

إن كان هذا الخطاب موجه إلى القيادات اليهودية المملوءة حقدًا ضد رب المجد يسوع وكنيسته، فإنه كان أيضًا موجهًا بطريقة غير مباشرة للمؤمنين الذين من أصلٍ يهودي، وكانوا لا يزالوا عاجزين عن التحرر من حرف الناموس والطقوس اليهودية. إنه خطاب ألقاه في آخر لحظات وجوده على الأرض ليصحح مسار كنيسة أهل الختان، إن صح التعبير، فلا تنشغل بحرف الناموس، ولا ترتبط بهيكل أورشليم.

١. ظهور إله المجد لإبراهيم في أرضٍ وثنية ١-١٠.

٢. نزول يعقوب أب الأسباط إلى مصر ١١-١٩.

٣. تربية موسى في قصر فرعون ٢٠-٢٩.

٤. العليقة والأرض المقدسة ٣٠-٣٦.

٥. مقاومة آبائهم لموسى ٣٧-٤٣.

٦. خيمة الشهادة في البرية ٤٤-٤٥.

٧. لا يسكن الله في مصنوعات الأيادي ٤٦-٥٠.

٨. اضطهد آباؤهم الأنبياء ولم يحفظوا الناموس ٥١-٥٣.

٩. السماء المفتوحة ٥٤-٥٦.

١٠. استشهاد استفانوس ٥٧-٦٠.

١. ظهور إله المجد لإبراهيم في أرضٍ وثنية

"فقال رئيس الكهنة:

أترى هذه الأمور هكذا هي؟" [١]

أظهر رئيس الكهنة نوعًا من استخدام العدالة إذ أعطى الفرصة للقدّيس استفانوس أن يدافع عن نفسه ويردّ على الاتّهامات الموجّهة ضدّه، ولعلّ رئيس الكهنة كان يتوقع أن القدّيس يستغل الفرصة للرجوع عن أفكاره حتى لا يتعرّض للموت رجمًا.

سأل قيافا رئيس الكهنة كرئيس للمجمع بخصوص الاتهامات الموجهة إلى استفانوس، الخاصة بنقض الهيكل ومقاومة الناموس. ولعله كان يود أن يقتنص من فمه كلمة تبرر مجمع السنهدرين في محاكمته ليسوع وصدور الحكم بضرورة قتله. أراد أن يعطي للشعب فرصة ألا يثوروا على صلب يسوع ورجم استفانوس.

جاء سؤال رئيس الكهنة يعني: لقد سمعت الاتهامات الموجّهة ضدّك، فماذا تقول: مذنب أم غير مذنب؟ وقد قدّم القدّيس استفانوس دفاعًا مطوّلاً يتّسم بالآتي:

أولاً: جاءت إجابته موجّهة مباشرة إلى نقاط الاتّهامات بطريقة واضحة.

ثانيًا: كشف دفاعه عن استعداده الكتابي العميق وقدرته في الأسفار المقدّسة والتقليد اليهودي.

ثالثًا: أن ما يؤمن به ويكرز به إنّما هو امتداد حيّ وروحي لطريق الآباء، بل ولتاريخ الخلاص الذي يسير حسب خطّة اللَّه المعلنة بواسطة الآباء والأنبياء.

رابعًا: إذ أراد الردّ على الاتّهامات استعرض القدّيس تاريخهم منذ البداية، مظهرًا عظمة حنوّ اللَّه الفائق في علاقته بشعبه، وكيف قابل الشعب هذه المحبّة الإلهيَّة بجحودٍ وتذمّرٍ مستمرٍ عبر الأجيال، وأنّه قد امتلأ كأس شرّهم وفاض، فأسقطوا أنفسهم تحت ثمر عصيانهم وحرموا أنفسهم من مراحم اللَّه.

خامسًا: أوضح خلال الأسفار المقدّسة أن كنيسة اللَّه أو شعب اللَّه لم يبدأ بالعبرانيّين ولا بأرض كنعان، بل كان له مؤمنون أمناء في مناطق أخرى، قبل بناء الهيكل، فليس بالأمر الغريب أن يطلب له شعبًا في العالم كلّه.

"فقال أيها الرجال الإخوة والآباء، اسمعوا:

ظهر إله المجد لأبينا إبراهيم وهو في ما بين النهرين،

قبلما سكن في حاران". [٢]

مع ما حملوه من كراهية وبغضة أظهر لهم استفانوس كل مودة، فتحدث معهم بأسلوبٍ فيه توقير واحترامٍ دون مداهنة، تحدث إليهم بكونه واحدًا منهم، فدعاهم "**إخوة وآباء**".

جاء خطاب القديس استفانوس سردًا تاريخيًا بمفهوم لاهوتي عميق يحمل شهادة للسيد المسيح ولإنجيله، وليس دفاعًا عن نفسه. وقد قسم خطابه إلى ثلاث مراحل:

المرحلة الأولي: زمن الآباء البطاركة [٢-١٦].

المرحلة الثانية: زمن موسى والأنبياء [١٧: ٤٣].

المرحلة الثالثة: بين الخيمة والهيكل [٤٤-٥٠].

أظهر في هذا العرض الحقائق التالية:

أولاً: بارك الله آباءهم وهم لم يكونوا في فلسطين أو كنعان، وعلى رأسهم إبراهيم واسحق ويعقوب.

ثانيًا: لم يرتبط شعب إسرائيل خلال التاريخ بالعبادة في الهيكل حتى عصر سليمان.

ثالثًا: حتى عندما بُني الهيكل، فإن الهيكل لم يحفظ إسرائيل من عصيانه وتمرده على الله.

كأن استفانوس أراد تأكيد أنه يوجد ما هو أعظم من كنعان الأرضية، والهيكل في أورشليم، وهو التمتع بالمصالحة مع الله خلال المسيا الموعود به.

"**أيها الرجال الإخوة والآباء**": وجه حديثه إلى شيوخ الشعب كإخوة، والكهنة ورئيس الكهنة كآباء.

"**اسمعوا**": يتكلم بروح القوة، بكونه يعلن كلمة الله التي يجب الاستماع لها.

"**إله المجد**" دعا الله "**إله المجد**" ليؤكد أنه لن يجدف على الله كما ادعوا عليه.

بدأ بدعوة إبراهيم للخروج من أور الكلدانيين لكي يتكرس لله، ويتأهل لنوال الوعود الإلهية، ويصير أبا لرجال العهد القديم. "**وهو في ما بين النهرين، قبلما سكن في حاران**" وكأن الله يود أن يلتقي بالمؤمنين أينما وجدوا، فلم يظهر لإبراهيم في أورشليم ولا في خيمة الاجتماع أو الهيكل، وإنما في ما بين النهرين، في أور الكلدانيين (تك ١٥: ٧؛ نح ٩: ٧، تك ١١: ٣١-٣٢).

هنا يدعو الله "**إله المجد**"، فإن كان وجه موسى قد صار لامعًا بانعكاس مجد الله عليه، فإن إله المجد أشرق على إبراهيم أب الآباء، قبل استلام الناموس، في أرض وثنية، "**ما بين النهرين**"، إن صح التعبير. أشرق بمجده على إبراهيم، كما على وجه موسى مستلم الناموس، وها هو

مشرق على استفانوس نفسه في عهد النعمة. الله هو هو أمس واليوم وإلى الأبد، يشتهي أن يُشرق بمجده في كل العصور على كل البشر، ولا يحدّ نفسه بمكانٍ معينٍ وشعبٍ معينٍ.

v لم يكن الهيكل موجودًا (في ذلك الحين)، ولا (طقوس) الذبيحة، ومع ذلك وُهب لإبراهيم رؤية الله... وكان في بلدٍ غريبةٍ. وقد أجاد (القديس استفانوس) في أنه يبدأ حديثه بدعوة الله **"إله المجد"**، متطلعًا إلى أن الله يجعل الذين بلا كرامة ممجدين، إذ يقول: "إنه هو الذي جعلهم ممجدين، سيجعلنا نحن أيضًا ممجدين". لاحظوا كيف يقودهم من المثل الأول بعيدًا عن أمور الجسد. يقول **"إله المجد"**، ملمحًا إلى أنه لا يحتاج إلى المجد الذي نقدمه له، الله لا يصدر مجده عن الهيكل، بل هو نفسه ينبوع المجد. لا تظنوا أنه يقول هذا لكي يمجده.

القديس يوحنا الذهبي الفم

جاءت دعوة الله لإبراهيم وهو بين الوثنيين في أور الكلدانيين، ولم يكن بعد ذهب إلى أرض الموعد. وجاءت الدعوة أن يذهب أولاً إلى حاران، حيث قطن فيها بعض الوقت، وبعد ذلك ذهب إلى كنعان أو فلسطين.

لم يقل: "وقد جاء إلى الأرض التي أنتم ساكون فيها"، وإنما قال: "هناك نقله"، وكأن الله قد حمله على ذراعيه، وانطلق به من حاران إلى أرض الموضع. مجيئه إلى أرض الموعد هو عطية إلهية ووعد إلهي، قام الرب نفسه بتنفيذه.

الله الذي حمل إبراهيم إلى هذه الأرض بسبب إيمانه العملي وطاعته، هو الذي يطرد بنيه خلال عدم الإيمان والتمرد. استفانوس كابن إبراهيم، بالإيمان يتمتع بكنعان السماوية، أما المقاومون للإيمان فسيُطردون من كنعان الأرضية كما السماوية، حتى وإن ظنوا أنهم ذرية إبراهيم.

"وقال له: أخرج من أرضك،

ومن عشيرتك،

وهلُمّ إلى الأرض التي أريك". [٣]

قدم إبراهيم أقوى مثل في الإيمان (عب ١١: ٨-٩)، صورة حية لبساطة الثقة في الله. إن كان إبراهيم قد ترك بالإيمان أرضه وعشيرته وبيت أبيه لينطلق إلى حيث لا يعلم، فإنه يليق بأبناء إبراهيم ألا يرتبطوا بأمرٍ زمني بطريقةٍ حرفيةٍ كالإنتساب الجسدي لإبراهيم أو ممارسة العوائد اليهودية أو الافتخار بمبنى الهيكل.

خرج إبراهيم ليزحف إلى بلاد لا يعرف طبيعتها ولا سمات سكانها، وليس له جيش أو أسلحة ليغزو المناطق، كل سلاحه وإمكانياته هو "الوعد الإلهي".

جاءت دعوة الله لإبراهيم بالطاعة له، بالخروج من أرضه ومن عشيرته وبيت أبيه. وكأنه يقول لهم: أنتم لستم مثل أبيكم إبراهيم، لأنكم عوض الطاعة **"دائمًا تقاومون الروح القدس"** [٥١].

"فخرج حينئذ من أرض الكلدانيين،

وسكن في حاران،

ومن هناك نقله بعدما مات أبوه إلى هذه الأرض،

التي أنتم الآن ساكنون فيها". [٤]

إن كان اللّه قد دعا إبراهيم أب المؤمنين ليتحرّك من أرض الكلدانيّين "ما بين النهرين" إلى حاران، ثم إلى كنعان؛ وكان إبراهيم مطيعًا للدعوة، لذا يليق بنا ألا نتشبّت بأرض معيّنة، بل نخضع لخطة اللّه قائدنا، ليحركّنا كيفما يشاء وليس حسب فكرنا البشري.

يليق بنا كأبناء لإبراهيم أن ندخل مع اللّه في عهدٍ، فنرتفع معه فوق العالم، ونحيا بالإيمان في طاعة للّه، فنتمتّع باللقاء مع إله المجد.

أبرز القدّيس أن إبراهيم لم يتحرّك إلى أرض الموعد إلا **بعد موت أبيه** في حاران، وكأن **تحرّكات إبراهيم لم تكن حسب تحرّكات أسرته، بل حسب خطّة اللّه بالنسبة له شخصيًا.** وكأنّه يدعوهم أن يتحرّكوا هم أيضًا ليست حسب ما نال آباؤهم، أي الارتباط بكنعان، بل حسب خطّة اللّه للخلاص في العالم كلّه.

كان إبراهيم أداة طيعة في يد الله، وقد نقله إلى "**هذه الأرض التي أنتم الآن ساكنون فيها**". لم يقل الأرض التي امتلكتموها أو ورثتموها، فقد قتلوا ابن صاحب الكرم الوريث الحقيقي والوحيد، وصاروا سكانًا مُعرضين للطرد، إذ يُنزع عنهم الكرم ليُسلم لمؤمني العهد الجديد، كما سبق فأعلن السيد المسيح نفسه.

"ولم يعطه فيها ميراثًا، ولا وطأة قدم،

ولكن وعد أن يعطيها ملكًا له ولنسله من بعده،

ولم يكن له بعد ولد". [٥]

لا يُحسب تجديفًا إن كان السيّد المسيح يعلن عن نقض هذا الموضع لكي يقودنا إلى كنعان السماويّة، إنّما هذه حركة إلهيّة تكملة لخطته في تحرّك إبراهيم من كور الكلدانيّين إلى حاران ثم إلى كنعان، واستعباد نسله في مصر ودعوتهم للخروج إلى كنعان. الآن يطلب المخلّص الخروج من الارتباط الحرفي بكنعان للعبور إلى كنعان السماويّة.

عاش إبراهيم متجولاً كمن ليس له موضع إقامة دائم يستقر فيه. كل ما امتلكه المقبرة التي أصر أن يدفع ثمنها، ليدفن فيها زوجته سارة (تك ٢٣). هذه اشتراها بماله ولم ينلها وعدًا من الله، لكن الله وهبه نعمة في أعين بني حث.

إذ ورثها أبناؤه حُسبت الأرض ملكًا له، فما يناله الابن يحسب الأب المحب أنه قد تمتع هو به.

نال الوعد بأن يرثها أبناؤه حين كان شيخًا وزوجته عاقرًا، لكنه آمن بالوعد الذي تحقق تمامًا.

كانت بركة إبراهيم تكمن، لا في الأرض التي وُعد أن يرثها أبناؤه، وإنما في الوعد الإلهي نفسه. لم ينل إبراهيم وطأة قدم في كنعان، بل نال وعدًا أن يملكها ولنسله من بعده. ملكها إبراهيم بالإيمان، وأعطاها لنسله اسحق الذي قدمه محرقة. فالميراث مشروط بالإيمان، كإيمان إبراهيم، والطاعة الباذلة لله، كطاعة اسحق. إنه ميراث مشروط: "إن شئتم وسمعتم تأكلون خير الأرض، وإن أبيتم وتمردتم تؤكلون بالسيف، لأن الرب تكلم " (إش ١: ٢٠).

v أنظروا كيف يرفع أفكارهم بعيدًا عن (امتلاكهم) للأرض... فقد جاء (لإبراهيم) وترك كلاً من أقربائه والأرض. لماذا لم يعطه الأرض؟ حقًا كانت رمزًا لأرضٍ أخرى.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"وتكلم اللَّه هكذا أن يكون نسله متغربًا في أرض غريبة،

فيستعبدوه، ويسيئوا إليه، أربعمائة سنة"". [٦]

لكي يتمتع نسل إبراهيم بالميراث يلزمه أولاً أن يتحمل الغربة، ويختبر العبودية، فيتوق إلى الحرية، ويقدّر قيمة الميراث المجاني.

يذكرهم القديس استفانوس بتغرب أبناء إبراهيم أربعة قرون في مصر قبل خروجهم إلي البرية ليدخلوا أرض الوعد. وقد ذكر ٤٠٠ سنة كرقمٍ تقريبيٍ لرقم ٤٣٠ كما جاء في غل ٣: ١٧. تبدو خطّة اللَّه للخلاص بطيئة بلا تسرّع، إذ ترك نسل يعقوب أربعمائة عام في الغربة بمصر، لكنّها محكمة وآمنة ويقينيّة.

يرى **العلامة ترتليان** أن الناموس الذي سُلم لموسى هو ناموس الله القائم قبل موسى، وأن هذا الناموس يفتح باب الإيمان للأمم، إذ يتنبأ عن ذلك.

v نحن نفهم أن ناموس الله سابق حتى لموسى، لم يُعط أولاً في حوريب، ولا في سيناء، ولا في البرية، بل هو أقدم من هذا بكثير، إذ وجد أولاً في الفردوس، وأعيد تشكيله بعد ذلك من أجل الآباء البطاركة، ثم أُعيد مرة أخرى لليهود في أوقات أخرى.

العلامة ترتليان

"والأمة التي يستعبدون لها،

سأدينها أنا يقول اللَّه،

وبعد ذلك يخرجون،

ويعبدونني في هذا المكان". [٧]

إن كان الله يسمح باستعباد نسل إبراهيم إلى حين ليتمتعوا بالميراث فإن فرعون وجيشه الذي يتشامخ على الله وعلى شعبه يسقط تحت الدينونة والهلاك، بينما يخرج الشعب ليعبد الله.

v ذاك الذي وعد بأن يهب الأرض هو نفسه سمح بالشرور (الضيقات). الآن أيضًا يعد بالملكوت، ومع هذا يسمح لنا أن نُختبر بالتجارب. إن كان في ذلك الوقت لم تُعط الحرية إلاّ بعد أربعمائة سنة فأي عجب (إن سمح بالضيقات) من أجل الملكوت؟ مع هذا حقق وعده؛ انتظار الوقت لم يبطل كلمته.

v الله غني في طرقه ووسائله ليخرجنا من الضيقات. لقد أظهر فوق كل شيء أن الأمة تزايدت جدًا بالمقاومة ضدها، بينما أُستبعدت وأُسيء معاملتها لكي تفنى. وهذا هو عظمة الوعد. فلو أنها نمت في أرضها لم يكن الأمر عجيبًا. ولم يكن هذا لفترة قصيرة حين كانت في أرض غريبة، بل لمدة أربعمائة عام. هنا نتعلم درسًا عظيمًا لفلسفة الاحتمال. لم يعاملهم كسادةٍ بل كعبيدٍ. بل وكأعداء وطغاة، وقد سبق فأخبرهم أنهم ينالون حرية عظيمة، هذا ما يعنيه بالقول: "يخرجون ويعبدونني في هذا المكان" [٧] في حصانةٍ.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"وأعطاه عهد الختان،

وهكذا ولد اسحق،

وختنه في اليوم الثامن،

واسحق ولد يعقوب،

ويعقوب ولد رؤساء الآباء الاثنى عشر". [٨]

إن كان اليهود يتهمون القديس استفانوس بالتجديف على الله وعلي موسى وأنه سيغير عوائدهم، فإن إبراهيم أباهم نال الوعد الإلهي قبلما ينال الوصية بالختان، التي يحسبها اليهود صلب العوائد اليهودية وعمودها الفقري. لقد تبرر إبراهيم بالإيمان قبل أن يُختتن. لم يقدم الله لإبراهيم وصية أخرى سوى "عهد الختان"، فلم نسمع عن وصية حفظ السبت، ولا طقوس للتطهيرات، ولا إقامة بيت خاص بالله (خيمة الاجتماع أو الهيكل). ومع هذا حُسب إبراهيم واسحق ويعقوب محبوبي الرب، وظل اسم الله بعد موتهم يُدعى: "إله إبراهيم وإله اسحق، وإله يعقوب".

هكذا يود القديس استفانوس أن يسحب قلوبهم إلى الوصية الإلهية أو العهد الإلهي، ألا وهو ختان القلب والآذان.

"ورؤساء الآباء حسدوا يوسف،

وباعوه إلى مصر،

وكان اللَّه معه". [٩]

يوضح لهم القديس استفانوس أن ما يعانون به من غيرة شريرة وحسد ليس بالأمر الجديد، بل هو قديم قدم الإنسان نفسه. في بدء خلقة الإنسان تسلل الموت إلى آدم وحواء بحسد إبليس، وها هو في بدء تكوين شعب الله سلم رؤساء الآباء (أبناء يعقوب) أخاهم يوسف خلال الحسد. وعندما جاء ربنا يسوع المسيح سلمه الرؤساء للموت بحسدهم له. والآن يقف استفانوس في المجمع ليحاكم لحسدهم إياه. فالذين يطلبون قتله الآن هم حفدة رؤساء الآباء الذين باعوا أخاهم عبدًا **بحسدهم له**.

v أيها الأخ المحبوب إن حسدك لما هو خير، وغيرتك ممن هم أفضل منك يبدوان في نظر البعض كما لو كانا خطأ تافهًا وطفيفًا. وإذ يُنظر إليه (الحسد) كما لو كانا تافهًا وليس ذا قيمة لا يُخشى منه. وإذ لا يُخشى منه يُستهان به. وإذ يُستهان به يصعب تحاشيه. ولهذا فإن الحسد ضرر مظلم وخفي. فإذ لا ندرك أنه ينبغي على الحكيم أن يتحاشاه، يتسرب خفية إلى العقل غير الحذر ويجعله مضطربًا.

أضف إلى هذا، أمرنا الرب أن نكون حكماء، وأوصانا أن نلاحظ باهتمام بالغ لئلا يتسرب ذلك العدو، الذي يقف متربصًا دائمًا، فيزحف خفية إلى صدورنا، ويشعل من الشرارات لهيبها، ويضخم الأمور الصغيرة. وهكذا بينما نستنشق الهواء اللطيف والنسيم الناعم بلا حذر، إذ بالعواصف والزوابع تهب، فتعمل على إفساد الإيمان، وتدمير الخلاص والحياة.

لهذا ينبغي علينا أيها الأخ الحبيب، أن نكون حذرين متسلحين بكل القوة، مراقبين بدقة كاملة، حتى نطرد العدو الثائر الذي يصوب أسهمه إلى كل جزء من أجزاء جسدنا الذي يمكن أن يضرب أو يجرح، وذلك كما يحذرنا الرسول بطرس، ويعلمنا في رسالته قائلاً: اصحوا واسهروا، لأن إبليس خصمكم كأسد زائر يجول ملتمسًا من يبتلعه هو" (١ بط ٥:٨).

في كل الأمثلة الذي أصيب بالضرر الحاسد نفسه، أما الذي حسده فكان الرب معه، لا يقدر الحسد أن يبث سمومه فيه.

v لو نظر أي إنسان بدقة إلى (سهام الحسد)، فسيجد بأنه ليس هناك ما ينبغي أن يُحذر منه ويراعيه أكثر من أن يؤخذ أسيرًا بواسطة الحسد والحقد. فليس أحد يسقط في الأشراك الخفية للعدو الخبيث بحيث يرتد من الحسد إلى الكراهية، إلا ويهلك بسيفه هو شخصيًا دون أن يعلم.

v يكون الضرر تافهًا والخطر بسيطًا عندما تُجرح الأطراف بسيفٍ، فيكون الشفاء هيّنًا مادام الجرح واضحًا، ويُستخدم الدواء. فالقرحة التي تُرى يمكن علاجها بسهولة. أما جراحات الحاسدين فهي مخفيّة وسرّية، ولا تقبل علاجًا لشفائها، فتغلق على نفسها آلامًا مخفية داخل مكامن الضمير.

v منذ بداية العالم كان الشيطان هو أول من أهلك نفسه ودمَّر الآخرين. لقد انكسر بالغيرة مع الحسد المملوء ضغينة ذاك الذي كان في العظمة الملائكية، مقبولاً أمام الله ومحبوبًا عنده.

إنه لم يرشق الآخرين بغريزة الغيرة قبل أن يرشق نفسه بها، ولا بالأسر قبل أن يؤسر هو، ولا بالدمار قبل أن يهلك. وفي إغرائه بالغيرة، أفقد الإنسان نعمة الخلود الموهوبة له، وهو نفسه فقد تلك التي كانت له سابقًا.

يا لها من شرور عظيمة أيها الأخوة الأحباء، فقد أسقط الحسد الملاك، وأزال مجد عظيم وبهي، فذاك التي خدع به الآخرين هو نفسه خُدع به.

الشهيد كبريانوس

"وأنقذه من جميع ضيقاته،

وأعطاه نعمة وحكمة أمام فرعون ملك مصر،

فأقامه مدبرًا على مصر،

وعلى كل بيته". [١٠]

بينما يبيع رؤساء الأسباط أخاهم عبدًا ليتخلصوا منه، إذا بالله ينقذه من جميع ضيقاته ويعطيه نعمة وحكمة ويهبه مجدًا في أرض مصر. فمقاومة الرؤساء لم تهز شخصية يوسف، بل تحولت لمجده. وكأنه يحذرهم من مقاومته له في الحق الإلهي، فسيؤول هذا حتمًا لمجد الله، ومجد خادمه الأمين.

v يُظهر أن القديسين غير مستثنيين من التجربة، لكنهم ينالون عونًا في ذات التجارب... فالتجارب جعلت يوسف أكثر مجدًا، وكما فعل الملك مع موسى بأمره قتل الأطفال لكي يُقتل موسى. فلو لم يصدر الأمر هكذا لما انسحب موسى إلى البرية وتمتع بالرؤيا وتأهل لها. هكذا الذي بيع كعبدٍ جعله الله ملكًا هناك بينما ظنوا أنه عبد. هكذا فعل المسيح في موته مؤكدًا سلطانه، فإنه يملك كملكٍ حيث هم باعوه.

القديس يوحنا الذهبي الفم

ما تمتع به يوسف لم يكن إلا نعمة مجانية لله، إذ وهبه نعمة في أعين الكثيرين، كما وهبه حكمة، ففسر الأحلام في السجن كما بالنسبة لفرعون (تك ٤١).

٢. نزول يعقوب أب الأسباط إلى مصر

"ثم أتى جوع على كل أرض مصر وكنعان،

وضيق عظيم،

فكان آباؤنا لا يجدون قوتًا". [١١]

حلت المجاعة على أرض مصر (تك ٤١: ٥٤) كما على كنعان، وإذ كان يعقوب والإحدى عشر ابنًا وعائلاتهم في كنعان لم ينقذهم المكان **"كنعان"** بل أنقذهم الله خلال يوسف الذي كان في مصر.

"ولما سمع يعقوب أن في مصر قمحًا،

أرسل آباءنا أول مرة". [١٢]

لاحظ حكمة القديس استفانوس، فهو يدعو أبناء موسى العشرة الذين أرسلهم يعقوب **"آباءنا"**، فيحسب آباء الأسباط آباء المؤمنين المسيحيين. ومن جانب آخر إذ يروي تاريخًا أورده موسى النبي في أسفار الشريعة يؤكد قبوله لأسفار الشريعة وثقته فيما كتبه موسى النبي بالوحي الإلهي.

"وفي المرة الثانية، استعرف يوسف إلى إخوته،

واستعلنت عشيرة يوسف لفرعون". [١٣]

في المرة الثانية كشف يوسف عن شخصيته لإخوته (تك ٤٥: ٤)، وقدمهم لفرعون (تك ٤٥: ١٦).

"فأرسل يوسف واستدعى أباه يعقوب وجميع عشيرته،

خمسة وسبعين نفسًا". [١٤]

يرى **القديس يوحنا الذهبي الفم** أن ما فعله آباؤهم رؤساء الأسباط بأخيهم يوسف كان نبوة رمزية لما تحقق بالنسبة للسيد المسيح، وقد قام مجمع السنهدرين بتحقيق النبوة. لقد حمل لهم يوسف صداقة واهتمامًا، وحتى بعد حسدهم له وبيعه عبدًا لم يتخلَ عنهم، بل قدمهم لفرعون وأعانهم. صورة رائعة للحب الخالص يكشفها لنا القديس استفانوس، وكأنه يعلن لمقاوميه أنهم مع كل ما فعلوه بالسيد المسيح وما يفعلونه برسله بعد صعوده يبقى السيد وكنيسته يحملان كل حبٍ لهم، ويقدمان لهما الحياة الأفضل.

لم يكن يوسف في أرض الموعد بل في مصر، مع هذا كان الله معه وأنقذه من جميع ضيقاته" [١٠-١١]. لم ينقذه من كل متاعبه فحسب، وإنما حول الضيقات لمجده، فجعله المدبر على كل أرض مصر وعلى بيت فرعون. أنقذه من العبودية التي نال ثمنها اخوته، ووهبه حرية ومجدًا على أعلى مستوى.

اتبع استفانوس الترجمة السبعينية حيث ذكر العدد ٧٥ نفسًا بينما جاء في الأصل العبري سبعين نسمة (تك ٤٦: ٢٦ ؛ خر ١: ٥؛ تث ١٠: ٢٢). يرى البعض أن عائلة يعقوب كانت قادمة عددها ٦٦ (تك ٤٦: ٢٦) مضافًا إليهم عائلة يوسف ٩ أفراد (تك ٤٦: ٢٧).

v لنتعلم إذن أن الكتاب المقدس يستخدم الجزء عن الكل. فإن الذي قال: "يأتي أمامك كل جسدٍ" (مز ٢٥: ٢) لا يعني أن تُحضر الأجساد أمام الديان منفصلة عن النفوس. وعندما نقرأ في التاريخ المقدس أن يعقوب نزل إلى مصر مع ٧٥ **نفسًا** (أع ٧: ١٤) نفهم أنه يقصد بأن الأجساد مرتبطة بالنفوس. هكذا أيضًا قيل أن الكلمة صار جسدًا (يو ٢: ١٩)، آخذًا مع الجسد كل الطبيعة البشرية.

القديس غريغوريوس النيسي

"فنزل يعقوب إلى مصر،

ومات هو وآباؤنا". [١٥]

عاش الاسرائيليون ٢١٥ عامًا في مصر، فمات كل أبناء يعقوب قبل خروج إسرائيل من مصر، منطلقين نحو أرض كنعان.

"ونقلوا إلى شكيم،

ووضعوا في القبر الذي اشتراه إبراهيم بثمن فضة،

من بني حَمور أبي شكيم". [١٦]

دُفن يعقوب في حقل مكفيلة بواسطة يوسف وإخوته. أما عظام يوسف فحملها الإسرائيليون إلى أرض كنعان حسب وصيته، ودُفن في شكيم (يش٢٤: ٣٢؛ تك ٥٠: ٢٥). لم يشر العهد القديم قط إلى نقل عظام أي أب آخر غير يوسف، لكن الاحتمال وارد وكبير أن الإسرائيليين حملوا عظام آبائهم. فكما حمل نسل يوسف عظام أبيهم، يحتمل أن قام نسل الآباء الآخرين بذات العمل.

يقول المؤرخ يوسيفوس أن أبناء هؤلاء الرجال (إخوة يوسف) ونسلهم، حملوا أجسادهم بعد حين ودفنوها في حبرون، أما عظام يوسف فحملوها بعد ذلك إلي أرض كنعان. عندما خرج اليهود من مصر. أخذ بهذا الرأي كثير من الكتّاب اليهود، أن الآباء رؤساء الأسباط قد دُفنوا في حبرون، غير أن بعض اليهود يعتقدون أنهم دفنوا في شكيم. على أي الأحوال فإن العهد القديم لم يُشر إلى ما يخالف قول القديس استفانوس. كانت شكيم في أيام القديس استفانوس تحت أيدي السامريين، ولعله لهذا السبب أشار كثير من الكتّاب اليهود إلى أن عظام آبائهم في حبرون، حتى لا يعتز السامريون بأنها تحت أيديهم. مع هذا لم يعترض السامعون على كلمات القديس استفانوس.

شكيم: مدينة أو قرية بالقرب من السامرة، كانت تُدعى سوخار (يو ٤: ٥)، شيخيم Shechem وسيكيم Sychem. الآن تُدعى نابولس Napolose أو نابلس Naplous، تبعد حوالي عشرة أميال من شيلوه Shiloh و٤٠ ميلاً من أورشليم ناحية الشمال.

كل ما ناله إبراهيم أب الآباء أو يعقوب (إسرائيل) أب الأسباط قطعة أرَض صغيرة كمدفن، ولم يرتبط قلب أحدهما بميراث الأرض المتّسعة الخصبة.

من الذي اشترى الأرض التي في شكيم؟

جاء في تك ٣٣: ١٩، ويش ٢٤: ٣٢ أن يعقوب وليس إبراهيم هو الذي اشترى هذه الأرض من بنى حمور أولاد شكيم، أما إبراهيم فاشترى الأرض التي في مكفيلة من بنى حث في حبرون (تك ٢٣). يرى البعض أن الأصل هو "اشتراه أبونا"، وفي النساخة ظن النساخ أنه يقصد بأبينا "إبراهيم"، فكتبوا إبراهيم عوض كلمة "أبونا".

"وكما كان يقرب وقت الموعد الذي أقسم اللَّه عليه لإبراهيم،

كان ينمو الشعب،

ويكثر في مصر". [١٧]

إذ حلّ وقت الخلاص سمح اللّه لشعبه أن ينشأ وينمو وسط الضيق في مصر. فلم تكن تلك السنوات وقتًا ضائعًا، ولا عقبة في تحقيق الوعد الإلهي، بل كان الضيق هو الجو اللائق للخروج، والتمتّع بالوعد الإلهي. هكذا يرتبط تحقيق الوعود بأزمنة الضيق. هنا يعلن القدّيس استفانوس عن نظرته الكتابيّة الصادقة أن ما تعانيه كنيسة العهد الجديد من اليهود إنّما هو الجو الصحّي لنموّها وازدهارها روحيًا وعدديًا.

بقي رعاة الماشية في أرض جاسان شرق الدلتا، لأن مراعيها كانت جيدة، ومعروف أن فروع نهر النيل في هذه المنطقة كانت متعددة جدًا. أما بقية شعب إسرائيل فانتشروا في مصر كلها، واختلطوا بكل مراكز الأعمال والمهن، وأتقنوا كل صنعة وشربوا أسرارها. عاشوا أربعة قرون في وسط أعلى حضارات العالم آنذاك، بل وربما لا تدانيها حضارة اليوم. درسوا العلوم والآداب والحكمة والاقتصاد والطب والفلك والهندسة واللغة الخ.

لقد نموا جدًا وازدادوا حتى حسبوا مصرَ وطنًا لهم. وحتى عندما إستعبدهم فرعون رفضوا الخروج من مصر تحت قيادة موسى. وبعد الخروج حاولوا الرجوع إليها عدة مرات. وفي أيام ارميا النبي حملوه قسرًا معهم وذهبوا إلى مصر.

أظهر القديس استفانوس عمل الله العجيب الذي حوّل في فترة صغيرة الأسرة المكونة من ٧٥ نسمة إلى أمة عظيمة هذا تعدادها. في فترة ٢١٥ سنة صار عدد رجال الحرب ٦٠٠ الف محارب، فقد حقق الله وعده لإبراهيم.

"إلى أن قام ملك آخر،

لم يكن يعرف يوسف". [١٨]

إذ تزايد عدد الإسرائيليون جدًا وقووا، لم يفكروا في الخروج من مصر، بل كانوا يشعرون بالاستقرار فيها، لهذا سمح الله بظهور ملك آخر في مصر لم يسر على منهج الملوك سلفائه، هؤلاء الذين كانوا يحسنون التعامل معهم. سمح به الله لكي لا يشعروا بالاستقرار، بل يخرجوا إلى الأرض التي وعد الله بها إبراهيم أن يرثها نسله. وقد حان وقت إتمام الوعد الإلهي.

يرى البعض أن فرعون هذا هو رمسيس، الملك الخامس من الأسرة الثامنة عشر، وأن هذا تم حوالي عام ١٥٥٩ ق.م. يظن م. شامبليون M. Champollion أن اسم الملك هو ماندوني Mandonei الذى بدأ ملكه عام ١٥٨٥ ق.م حتى ١٥٦٥ ق.م. ويرى ج ولكنسون G. Wilkinson أنه أول ملك في الأسرة الثامنة عشر ويُدعى عموسيس Amosis أو عامس Ames ويرى هاكت Prof. Hackett أن معرفتنا بتاريخ مصر القديمة إلى الآن ليست دقيقة تمامًا، لذا يصعب تحديد الزمن بدقة.

"فاحتال هذا على جنسنا،

وأساء إلى آبائنا،

حتى جعلوا أطفالهم منبوذين لكي لا يعيشوا". [١٩]

سمح الله بقيام ملك آخر (رمسيس الثاني ١٢٩٢-١٢٢٥ ق.م.) الذي اضطهد العبرانيين لكي يحرمهم من قدور اللحوم وملذات مصر وأطايبها، إذ كانوا قد بدأوا ينهبون خيرات مصر، وكان الله يعد لهم الخلاص والتمتع بأرض الموعد. وقد تم الخروج في عهد فرعون ممبتاح Memoptah (١٢٢٥-١٢١٥ ق.م).

إذ لاحظ المصريون تزايد عددهم كانوا يضيفون عليهم الأثقال، حيث يلاحظ القديس استفانوس هنا ثلاثة أمور:

١. جحودهم الدنىء، إذ لم يراع الملك الجديد خدمات يوسف لهذه الأمة.

٢. سياستهم الشيطانية وفكرهم الجهنمي "**فاحتال على بني جنسنا**". لم يسلكوا بحكمة لنفع أنفسهم، بل ما كان يشغلهم هو الاحتيال والسلوك بعنفٍ في غير رحمةٍ بإخوتهم.

٣. تصرفهم معهم على مستوي مؤلم، حيث خططوا لقتل كل الأطفال الذكور الصغار.

في هذا كله يود القديس استفانوس أن يبرز لهم أن دخولهم أرض الموعد لا فضل لهم أو لآبائهم فيه، إنما هو عطية مجانية، وهبة من الله صانع المستحيلات، الذي عمل حسب غنى نعمته، وليس حسب استحقاقهم. ولعله أراد أن يوضح لهم أن التاريخ يعيد نفسه، فما فعله بهم المصريون، وما خططوا لتدميرهم فشل تمامًا، وتمتع إسرائيل بالحرية وورث أرض الموعد. الآن ها هم أنفسهم يمارسون ما فعله المصريون وبذات الروح، ويظنوا أنهم قادرون على تحطيم كنيسة المسيح، لكن يبقى الله، إله المستحيلات، عاملاً في وسط المؤمنين ليهبهم الميراث الأبدي، كنعان السماوية.

٣. تربية موسى في قصر فرعون

"وفي ذلك الوقت وُلد موسى،

وكان جميلاً جدًا،

فرُبّيَ هذا ثلاثة أشهر في بيت أبيه". [٢٠]

إذ بلغ الاضطهاد ذروته وُلد موسى، وكان هو نفسه في خطرٍ، معرضًا لقتله وهو بعد حديث الولادة؛ أرسله الله مخلصًا عندما بلغت الظلمة الذروة، وصارت الكارثة كما بلا حل. وُلد وسط هذه الظلمة الدامسة، وإذا بوجهه الجميل جدًا يشرق كما بنورٍ. لقد قدسه الله وهو بعد في الرحم، فوُلد جميلاً جدًا في عيني الله، بل وحتى في عينى ابنة فرعون.

يرى **القديس يوحنا الذهبي الفم** عجز الإنسان عن العمل، حتى وإن كان أبًا أو أمًا للشخص. لقد احتفظ الوالدان بموسى، ولكن إلى ثلاثة أشهر فقط، وألقياه في النهر.

- إذ صار عون الإنسان ميئوسًا منه فألقياه، عندئذ أشرق إحسان الله في روعةٍ.

- هذا هو العجب، أن ذاك الذي يكون لهم نصيرًا وُلد وسط العاصفة، لا قبل ولا بعد ذلك الوقت.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"ولما نُبذ اتخذته ابنة فرعون،

وربّته لنفسها ابنًا". [٢١]

نجحت خطة فرعون، فقد اعتادت الأمهات المملوءات حنوًا على أطفالهن أن يلقين بهم إلى الموت، كما فعلت والدة موسى النبي.

تعهده الله وهو في رحم أمه فوهبه جمالاً رائعًا، وتعهده وهو رضيع برعاية والديه لمدة ثلاثة اشهر، وإذ توقفت أذرع الوالدين، تعهده في بيت فرعون نفسه المقاوم لله ولشعبه.

"**وكان جميلاً جدًا**"، وبحسب الأصل اليوناني "**جميلاً أمام الله**" أو "**جميلاً بالله**". وهو تعبير عبراني يعني أنه هيئته لها مسحة إلهية سرية جعلت أبويه لا يخشيان أمر الملك (عب ١١: ٢٣). يصفه المؤرخ يوسيفوس: "كان طفلاً شكله إلهيًا". ووصفه فيلون: "لما وُلد الصبي للوقت ظهر بوجه أكثر جمالاً من عامة الناس"، وبسبب جماله إذ التقطته ابنة فرعون من الماء اتخذته ابنًا لها.

- إذ كانت كل هذه العناية الإلهية ترافق (الطفل موسى) لم تُذكر كلمة "هيكل" ولا "ذبيحة"، بل تربى في بيت بربري.

القديس يوحنا الذهبي الفم

في كتابه "**حياة موسى**" يقدّم لنا **القديس غريغوريوس أسقف نيصص** شخصيّة موسى النبي وحياته وأعماله كرمز لعمل السيّد المسيح في النفس البشريَّة وتمتّعها بخلاصه العجيب.

يرى **القديس غريغوريوس أسقف نيصص** في ابنة فرعون المتعلّمة الوثنيّة والعاقر رمزًا للفلسفات الزمنيّة والفلاسفة الذين يبذلون جهدًا عظيمًا كمن هم في حالة طلق، لكنهم يحبلون ريحًا ولا ينجبون قط، إنّهم كالأميرة العاقر! إنّها دومًا تجهض، فلا تنجب نور معرفة اللَّه. تربّى موسى في قصر فرعون كابن لابنة فرعون، لكنّه رضع اللبن من أمّه، أي من لبن الكنيسة [بهذا تنتعش النفس وتنضج وتتمتّع بالوسائط للصعود إلى الأعالي.]

"فتهذّب موسى بكل حكمة المصريين،

وكان مقتدرًا في الأقوال والأعمال". [٢٢]

كان تعليم المصريين يركز على علم الفلك وتفسير الأحلام والطب والرياضيات والعلوم الدينية. كان العالم القديم ينهل من معرفة قدماء المصريين وحكمتهم وفلسفتهم. فمن المعروف أن العلم انتقل من مصر إلى فينيقية ثم إلى اليونان، وقد جاء عدد ليس بقليلٍ من الفلاسفة اليونان إلى مصر من أجل المعرفة.

"**مقتدرًا في الأقوال**": يعترف موسى النبي أمام الله أنه ثقيل اللسان، وبطيء في الحديث". لهذا فإن اقتداره في الأقوال تعني قدرته على الاتصال بفرعون. هذا واضح عندما كان هرون يود أن يبلغ فرعون رسالة كان يقدمها خلال أخيه موسى (خر٤: ١١-١٦).

لم ترد عبارة "**مقتدرًا في الأقوال**" في أسفار العهد القديم، اقتبسها استفانوس عن التقليد اليهودي، وهي تعبر عما تمتع به موسى في قصر فرعون طوال ٤٠ عامًا. وكأن الله قد هيأه للقيادة بروح المعرفة والعلم، وربما خلال هذه المعرفة العلمية استطاع أن يكون له دوره الفعال في إنشاء خيمة الاجتماع بما تحمله من إبداع. هذا وقد تزينت معرفته بعمل الله في حياته ليكون "حليمًا أكثر من جميع الناس الذين على وجه الأرض" (عد ١٢: ٣). وقاده الرب إلى البرية ليتعلم روح الرعاية الحانية في وسط القفر. خلال حكمة المصريين تعلم الكتابة، فسجل الأسفار الخمسة كما تعلم حفظ الورق أو المخطوطات من التلف. يؤكد علماء كثيرون أن موسى النبي هو الذي اخترع الخط العبري بقواعده. ويرى البعض من جهة اقتداره في العمل أنه قاد حملة مصرية ضد أثيوبيا، ونال نصرة باهرة وعاد بالأسرى، وقد صار أغنية بين أبطال الحرب والسلم.

لم ينسَ موسى إله آبائه إذ، لذلك وقد صار دارسًا عظيمًا لم ينقد إلى سحر مصر، بل أدرك خداع لشيطان للسحرة، وخداعهم للآخرين.

"**مقتدرًا في الأقوال والأعمال**": ربما تعني أنه صار أشبه برئيس وزراء مصر، يتكلم بسلطانٍ وينفذ ما يقوله.

ولعله كان في ذهن القديس استفانوس أن ما تمتع به موسى هو بتخطيطٍ إلهي، فصار بالله قادرًا، صاحب سلطان. هكذا استفانوس نفسه، إذ يتمتع بالروح القدس الساكن فيه يشعر أنه صاحب سلطان.

v تربّى في غنى الملوك وبهائهم ومجدهم، وتعلّم "**بكل حكمة المصريّين**" [٢٢]. ولما بلغ سن الرجولة، وصار عظيمًا، رفض كل تلك الأشياء، مفضّلاً بالأحرى شدائد المسيح وعاره، كما يقول الرسول: "على أن يكون له تمتّع وقتي بالخطيّة" (عب ١١: ٢٥) .

القديس مقاريوس الكبير

v عندما بلغ (موسى) السن المناسب علّموه الحساب والهندسة والشعر والتوافق الموسيقي، بالإضافة إلى الطب والموسيقى، على أيدي المعلّمين النابغين في هذا العلوم والفنون من المصريّين. كذلك تعلّم الفلسفة، تلك التي تدل عليها الرموز في اللغة الهيروغليفية، كذلك قام اليونانيّون بتعليمه المواد الدراسيّة، وتنشئته كطفلٍ ملكي، وذلك حسبما ذكر فيلون في سرده لحياة موسى. درس موسى إلى جانب ذلك آداب المصريّين، وعلم الأجرام السماويّة على أيدي الكلدانيّين والمصريّين، كما يذكر إيبوليموس Eupolemus في كتابه عن ملوك اليهوديّة. كان موسى أول الرجال الحكماء، وأول من علّم اليهود علم النحو والصرف، وهو ما تلقاه الفينيقيّون من اليهود فيما بعد، ثم أخذه اليونانيّون عن الفينيقيّين.

القديس إكليمنضس السكندري

v تعلم موسى كل حكمة المصريين... وإذ تركها بحث عن الله بكل رغبة قلبه، وهكذا رأى الله وسأله وسمع له عندما تكلم (خر ٣: ٤).

القديس أمبروسيوس

v يلزمنا أن نتعلم من الله ما نفكر فيه عن الله، فليس لنا مصدر للمعرفة سواه. قد تتدرب بكل حذاقة كما تشاء في الفلسفة العلمانية، ربما تسلك حياة بارة. هذا كله يساهم في الشبع الفكري، لكنه لا يعينك على معرفة الله. لقد تبنت ابنة فرعون موسى، فتعلم كل حكمة المصريين، بالإضافة إلى ذلك كان له ولاؤه لجنسه، فانتقم لما أصاب العبراني بقتل المصري، ومع هذا فلم يعرف الله الذي بارك آبائه.

القديس هيلاري أسقف بواتييه

"ولمّا كمُلت له مدة أربعين سنة،

خطر على باله أن يفتقد إخوته بني إسرائيل". [٢٣]

لم يُذكر عمره في العهد القديم حين فكر موسى في انقاذ اخوته، لكن القديس استفانوس اقتبس هذا عن التقليد اليهودي.

شبّ موسى مقتدرًا في الكلام والعمل، وظن أن بقدراته ومواهبه يستطيع أن يفتقد اخوته في مذلتهم. وربما كان في ذهنه أن يقود حملة عسكرية لمقاومة مضطهدي شعبه، ولتثبيت حقوقهم بالقوة. لكن هل كان يظن أنه قادر أن يثبت وجود شعبه بالسيف داخل أرض مصر، أم انه يقود الشعب إلى فلسطين؟

يرى البعض إن فرعون طلب أن يقتل موسى ليس لمجرد قتله للمصري، وإنما جاء هذا الحدث لتأكيد في ذهن فرعون أن موسى قد بدأ حركة تنظيم سري لحساب العبرانيين، فشعر بخطورته. فإبلاغ فرعون بحدث قتل مصري وهو أمر يُحسب تافهًا بالنسبة لفرعون، إنما يكشف أن شكًا قد سرى في أوساط القصر الملكي بتخطيط خفي لموسى ضد المصريين.

عاش موسى في قصر فرعون كمصري في بيت فرعون، ولم يكن له اتصال بشعبه، لكن قلبه وفكره وكل أعماقه كانت مرتبطة بشعبه، يئن مع أنينهم، ويشتهي أن يراهم في كمال الحرية.

"وإذ رأى واحدًا مظلومًا،

حامى عنه وأنصف المغلوب،

إذ قتل المصري". [٢٤]

الظلم الذي حل على اليهودي من المصري هو أنه كان يضربه بعنفٍ يمكن أن يؤدي إلى قتله.

يرى **القديس غريغوريوس أسقف نيصص** في المصري الوثني رمزًا للتعاليم الفلسفيّة الفاسدة واليهودي المتديّن رمزًا لتعاليم الآباء، حيث توجد خصومة بينهما. يقول أيضًا: [حرب المصري ضدّ العبراني تشبه حرب الوثنيّة ضدّ الدين الحقيقي، والخلاعة ضدّ البرّ، والعجرفة ضدّ التواضع، وكل شيء ضدّ ما هو عكسه. يعلّمنا موسى بمثاله أن نقف في صف الفضيلة كما في صف قريب لنا، وأن نقتل عدوّ الفضيلة (الشرّ). فنصرة الابن الحقيقي هو موت للوثنيّة ودمار لها. وهكذا البرّ يقتل الظلم، والتواضع يذبح التشامخ.]

"فظن أن إخوته يفهمون أن اللَّه على يده يعطيهم نجاة،

وأمّا هم فلم يفهموا". [٢٥]

لم يرد هذا في أسفار العهد القديم. لكن ما ذكره القديس استفانوس هو أمر مقبول. عندما وقف موسى في صف العبراني وكان يقاوم المصري بمفرده، حسب أن ما قد فعله هو بتوجيه الله نفسه لكي يخلص شعبه، وظن أنه كان يليق بالشعب أن يفهم ذلك، مدركًا أنه وإن تربى في قصر فرعون لكنه إسرائيلي.

"وفي اليوم الثاني ظهر لهم وهم يتخاصمون،

فساقهم إلى السلامة، قائلاً:

أيها الرجال أنتم إخوة، لماذا تظلمون بعضكم بعضًا". [٢٦]

ظهر في اليوم التالي (خر ٢: ١٣) فجأة وبطريقة غير متوقعة لإثنين عبرانيين يتخاصمان، وقد حثهما على المصالحة وإيجاد سلام بينهما. وجه حديثه نحو الشخص المخطئ مؤكدا أن الذي يصارع ضده هو أخوه.

"فالذي كان يظلم قريبه دفعه، قائلاً:

من أقامك رئيسًا وقاضيًا علينا؟" [٢٧]

إذ طلب موسى من الظالم أن يضع في اعتباره أخوة أخيه له رفض المصالحة، بل وهدد موسى، فإنه ما أصعب على المخطئ الجاهل أن يراجع نفسه في هدوء ويعترف بخطأه. هذا ما دفع الله نفسه أن يبادر بالحب ويتمم الخلاص ببذل ابنه الوحيد لعل الخطاة يتلامسوا مع الحب الإلهي. فإنهم من جانبهم لا يطلبون المصالحة مع الله.

ليس عجيبًا أن يقاوم الظالم موسى، قائلاً: "**من أقامك رئيسًا وقاضيًا علينا؟**" هذه هي التحية الطبيعية التي تصدر عن قلب الإنسان الشرير وفكره نحو من يحثه على المصالحة والسلام.

"أتريد أن تقتلني كما قتلت أمس المصري؟" [٢٨]

من أخبره بما حدث في اليوم السابق. غالبًا ما أخبر الإنسان الذي أنقذه موسى أقرباءه بما فعله. وعوض تقديم كلمة شكر أو تشجيع لمن يطلب خلاصهم، وجد موسى مقاومة وتهديدًا.

ليته لا يترقب أحد كلمة مديح أو تشجيع ممن يخدمهم، بل يعمل لحساب ملكوت الله دون ترقب أية مكافأة زمنية كبرت أو صغرت.

v يظهر كيف كان (آباؤهم) جاحدين للمحسنين إليهم، كما في المثال السابق، فقد خلصوا بواسطة يوسف الذي ألحقوا به ضررًا، هكذا مرة أخرى خلصوا بشخصٍ آخرٍ ناله ضرر، أعني موسى... بالنية قتلوه كما فعل الآخرون في المثل السابق.

إنهم باعوا من لهم في أرض غريبة، وهنا طردوا شخصًا من أرضٍ غريبة (مصر) إلى أرض أخرى غريبة (البرية).

في المثال السابق قدم لهم الشخص (يوسف) طعامًا، وهنا يقدم لهم (موسى) مشورة صالحة!...

انظروا كيف تحولت الخطط التي للمقاومة مصادر خلاص للذين يدبرون الخطط ضدهم.

كان الشعب الذي يخطط ضد نفسه والذي كان الغير يخططون ضدهم ومع هذا كله خلصوا. لم تهلكهم المجاعة، لم يحدث هذا قط، إذ خلصهم ذات الشخص الذين أرادوا هلاكه بطريقهم.

القرار الملكي (لفرعون) لم يبددهم، بل بالأحرى كانوا ينمون بالأكثر عندما مات ذاك الذي عرفهم. لقد أرادوا قتل مخلصهم، وهم بلا سلطان أن يفعلوا ذلك. ألا ترون كيف أنه بذات الوسائل التي أراد الشيطان أن يبطل وعد الله تحقق الوعد.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"فهرب موسى بسبب هذه الكلمة،

وصار غريبًا في أرض مديان حيث ولد ابنين". [٢٩]

ما توقعه موسى لم يكن غير حقيقي، فقد توقع أن الخبر يبلغ إلى مسامع فرعون فيطلب رأسه. وقد حدث، إذ صار فرعون يطلب قتله. هرب موسى في أرض مديان، وهي منطقة صحراوية في شمال غرب العربية. هناك تزوج صفورة ابنة راعوئيل (خر٢: ١٨) أو يثرون (عد ١٠: ٢٩؛ خر ٣: ١)، كاهن مديان. انجبت صفورة ابنين هما جرشوم واليعازر (خر ١٨: ٣-٤).

يركز القديس استفانوس على "الغربة"، فذكرها عندما تحدث عن إبراهيم وقيل أن نسله يكون متغربًا. وهنا يعيش موسى متغربًا في أرض مديان، وقد أثر ذلك على نفسه، فدعى ابنه جرشوم "لأنه قال كنت نزيلاً في أرض غريبة" (خر ٢: ٢١-٢٢).

كان شعور الغربة ملازمًا موسى كل أيام حياته، وُلد في مصر غريبًا عن وطنه الأصلي "كنعان"، وتربى في قصر فرعون غريبًا عن والديه، وهرب إلى مديان لتتضاعف غربته، وأخيرًا انطلق إلى البرية بالشعب متغربًا، ولم يدخل أرض الموعد.

٤. العليقة والأرض المقدسة

"ولما كملت أربعون سنة،

في لهيب نار عُلّيقة". [٣٠]

الآن تبدأ قصة الخروج وموسى في أضعف حالاته كغريبٍ هاربٍ من وجه فرعون. هنا أعلنت السماء تحركها للخلاص، فقد ظهر يهوه على شكل نارٍ متقدة في عليقه، ينزل ليقدس الأرض، ويقود شعبه إلى كنعان. إنها قصة التجسد الإلهي حيث تحمل العذراء مريم في أحشائها جمر اللاهوت، ويقود السيد المسيح البشرية إلى كنعان السماوية، محررًا إياهم من عبودية إبليس.

هنا للمرة الثانية يوضح استفانوس أن ظهور الله لمؤمنيه غير مرتبطٍ بأورشليم؛ ظهر لإبراهيم فيما بين النهرين، وظهر لموسى النبي على جبل سيناء. تقدست الأرض بحلول الله، ليس في هيكل سليمان ولا في قدس الأقداس، وإنما على جبل سيناء... بهذا يدفع استفانوس السامعين إلى عدم التعصب لأرض الموعد ومدينة أورشليم والهيكل، فإن الله يود أن يقدس العالم كله!

v قطن موسى في البرية؛ فبعد أن أكمل ٤٠ عامًا من عمره هرب من مصر، ولمدة أربعين عامًا رعى قطعان يثرون، أما يوحنا فجاء إلى البرية منذ ولادته. "الأعظم بين مواليد النساء" (مت ١١: ١١)، كان بالحق مستحقًا أن يتمتع بتربيةٍ أعظم. يقول النبي عنه: "ها أنا أرسل ملاكي أمام وجهك" (ملا ٣: ١؛ مت ١١: ١٠).

العلامة أوريجينوس

v أزال عنه كرامة الملوكيّة بإرادته (إذ ترك قصر فرعون) كأنّها تراب ينفضه بإزالته من قدميه (عب ١١: ٢٤-٢٦). عزل نفسه عن المجتمع البشري لمدّة أربعين عامًا، وعاش منفردًا مركزًا نظره بثبات على العزلة والتأمّل في غير المنظورات (عب ١١: ٢٧). بعد هذا استنار بنورٍ لا يعبّر عنه، وحرّر الأجزاء السفليّة التي لنفسه من الثوب الميّت المصنوع من الجلد.

القدّيس غريغوريوس النيسي

يرى **القدّيس غريغوريوس النيسي** في انطلاق موسى النبي إلى البرّيّة ليعيش فيها أربعين عامًا راعيًا للغنم، رمزًا لانطلاق النفس إلى حياة السكون، ترعى حركاتها الداخليَّة كقطيع، كما كان موسى يرعى الغنم هناك. [بنفس الطريقة سنحيا حياة توحد، فلا نعود نسقط في أشراك أعداء ولا أن نوجد في وسطهم، بل سنحيا بين الذين هم مثلنا في ميولنا وفكرنا التي نقوتها، فترعى كل حركات نفوسنا مثل غنم وتتغذّى على الإرادة التي للفكر المُهتدى.]

"فلما رأى موسى ذلك تعجب من المنظر،

وفيما هو يتقدم ليتطلع،

صار إليه صوت الرب". [٣١]

ما أدهش موسى النبي هو منظر العليقة التي بها لهيب نار ولم تحترق. إنه منظر عجيب يحمل صورة حية لكلمة الله المتجسد، فقد تجسد ولم يحترق الناسوت بنار اللاهوت الذي لا يُمكن الاقتراب إليه.

يمثل هذا المنظر أيضًا كنيسة الله سواء في العهد القديم أو الجديد؛ فقد كان إسرائيل وسط نار الاضطهاد في مصر ولم يحترق، لأن الله نفسه أرسل لهم موسى، رمز السيد لمسيح، مخلصًا. وتبقى الكنيسة في العهد الجديد وسط نيران الضيقات التي تعجز عن أن تحرقها.

يشير هذا المنظر أيضًا إلى القديسة مريم بكونها حملت كلمة الله في أحشائها، هذا الذي يُدعى نارًا آكله، لكنها لم تحترق، إذ قدسها روحه القدوس، وهيأها لحلول الكلمة فيها وقبول جسدٍ منها.

لم يرَ موسى النبي الجوهر الإلهي، لكنه رأى العليقة الملتهبة نارًا بكونها رمزًا للتجسد الإلهي، لكنه سمع صوت الرب وتعّرف عليه.

"أنا إله آبائك،

إله إبراهيم وإله اسحق وإله يعقوب،

فإرتعد موسى،

ولم يجسر أن يتطلع". [٣٢]

يتحدث الله مع موسى النبي معلنًا: "**أنا إله آبائك، إله إبراهيم وإله اسحق وإله يعقوب**". وكأنه يرجع بذاكرة موسى إلي الوعد الإلهي لهؤلاء الآباء المحبوبين لديه! وقف موسى في رعدةٍ، لا يجسر أن يرفع عينيه ليرى وجه الرب.

كأن الله يعلن لموسى النبي: "أنا هو إله آبائك، إله إبراهيم، وإله اسحق، وإله يعقوب؛ كما إني أنا هو إلههم واهب الوعود ومقيم العهد معهم، أنا هو إلهك الذي يقيم معك العهد. موت إبراهيم واسحق ويعقوب لم يعطل العهد، لأنه وإن مات هؤلاء فأنا حي أهبهم الحياة. إنهم في عيني ليسوًا أمواتًا بل أحياء".

صارت الأرض مقدسة، مؤهلة للسجود عليها لله، وليس للدوس عليها بالنعلين. تمتع موسى بالسجود بالروح والحق، وليس في حرفية العبادة وشكلياتها.

ارتعد موسى، ولم يجسر أن يتطلع إلى المنظر، فقد أدرك أن المتحدث هو صوت الرب واهب الوعود لآبائه إبراهيم واسحق ويعقوب. تمتع موسى النبي بصوت الرب، وأدرك ان خلاله يحقق الله إله إبراهيم وإله اسحق وإله يعقوب وعوده.

لقد أتهم القديس استفانوس أنه يجدف على الله وعلى موسى (٦: ١١) وقد كاد اليهود أن يؤلهوا موسى النبي، لهذا مع تقديم القديس استفانوس كل توقير واحترامٍ لموسى النبي، يكشف هنا أنه إنسان مجرد، عاجز عن التطلع حتى إلى العليقة الملتهبة نارًا، ويرتعد حين يسمع الصوت الإلهي، إنه يخضع للآلام، خاصة للخوف عندما يتجلى مجد الله وينكشف جلاله أمامه.

يرى **القدّيس غريغوريوس النيسي** في العليقة المتّقدة بلهيب نار إشراق النور الإلهي علينا خلال تجسّد الكلمة. فقد صار جسدًا لكي يلقي بنوره على البشر. يقول أيضًا: [لئلا يظن أحد أن البهاء لم يصدر عن مادة، لم يشرق النور من نجمٍ من بين الكواكب، بل صدر عن عليقة أرضيّة، فاق في بهائه كل الكواكب السماويّة. نتعلّم من هذا أيضًا سرّ العذراء: النور الإلهي الذي أشرق منها خلال الميلاد على الحياة البشريَّة لم يحرق العليقة الملتهبة، كما أن بتوليّتها لم تتحطّم بإنجابها.]

"فقال له الرب:

اخلع نعل رجليك،

لأن الموضع الذي أنت واقف عليه أرض مقدسة". [٣٣]

خلع الحذاء يحمل معنى رمزيًا سبق لنا الحديث عنه في دراستنا لسفر الخروج (ص ٣) وفي سفر التثنية (٢٥: ٧-١٠). إذ يرى **العلامة أوريجينوس** في هذا إشارة إلى **التخلي عن محبة الأمور الزمنية الميتة**، لأن الأحذية كانت تصنع من جلود الحيوانات بعد ذبحها، **وخلع محبة الظهور**، لأن الجلد يُستخدم في الطبول التي تعطي أصواتًا عالية بلا عمل إشارة إلى حب المظاهر.

أيضًا جاء في الشريعة أنه إن رفض إنسان الزواج بأرملة أخيه ليقيم له منها نسلاً يخلع حذاءه ويسمى "بيت مخلوع النعلين" (تث ٢٥:٥-١٠)، وكأن موسى عند خلعه الحذاء أعلن أنه ليس بعريس الكنيسة، وهكذا الأسقف أو الكاهن أو الشماس يخلعون أحذيتهم عند دخولهم الهيكل ليؤكدوا أن المسيح وحده هو عريس الكنيسة.

v لم تُذكر كلمة "هيكل"، ومع ذلك فالموضع مقدس بظهور المسيح وعمله. فإن الموضع أكثر دهشة من قدس الأقداس، إذ لم يُذكر في موضع آخر أن الله ظهر هكذا، ولا قيل أن موسى ارتعد إلاَّ في هذا الموضع.

لقد ظهرت عظمة حنو رعايته...

انظروا كيف يُظهر أن الله بحنوه كما بتأديباته وبمعجزاته قد يقرّبهم إليه، لكنهم بقوا كما هم. الله حاضر في كل موضع، هذا ما يجب أن يتعلموه! إذ نسمع هذه الأمور ليتنا نهرب إليه في ضيقاتنا.

القديس يوحنا الذهبي الفم

v يعلّمنا النور ما ينبغي علينا أن نفعله حتى نقف داخل أشعّة النور الحقيقي. فإنّه لا يمكن للأقدام المنتعلة (بنعلين جلديين) أن تصعد إلى ذلك العلوّ الذي فيه يُرى نور الحق. لهذا وجب خلع أغطية الجلد الميّتة والأرضيّة عن النفس، هذه التي التحفت بها طبيعتنا في البداية عندما وُجدنا عراة بسبب عصياننا للإرادة الإلهيَّة. عندما نفعل هذا تثمر معرفة الحق وتعلن عن ذاتها.

القدّيس غريغوريوس النيسي

"إني لقد رأيت مشقّة شعبي الذين في مصر،

وسمعت أنينهم،

ونزلت لأنقذهم،

فهلُم الآن أرسلك إلى مصر". [٣٤]

يعتزّ اليهود بموسى النبي جدًا، بكونه القائد العظيم الذي خلّص آباءهم من عبوديّة فرعون لينطلق بهم إلى البريّة حتى يرثوا أرض الموعد. الآن يكشف ما وراء حب موسى لشعبه ورعايته وقوّته، إنّها حب اللَّه نفسه الذي نزل بنفسه إليهم إذ رأى وسمع، رأى مشقّتهم، وسمع أنينهم، أمّا موسى فهو مُرسل كأداة في يد اللَّه: "**فهلمّ الآن أرسلك إلى مصر**" [٣٤]. الذي أرسله وهبه نصرت متوالية ونجاحًا في تحقيق رسالته.

يقدم القديس استفانوس ملخصًا لما سجله موسى النبي بالتفصيل في خروج ٣: ٧-١٠. أرسله الله إلى مصر، ليصارع فرعون، لا بقدراته وقوته، وإنما بعمل الله فيه. أرسله بعد أن عانى الشعب المشقة، وارتفع أنينهم إلى السماء، حتى يخرج بهم إلى البرية ليعيشوا قرابة أربعين سنة، فيفنى الجيل الذي حمل أوثان مصر في قلبه، ويدخل بجيلٍ جديدٍ إلى ارض الموعد.

ينسى الإنسان الله ويتجاهله، لكن الله لا ينسى الإنسان أينما وجد. لقد نزل إليهم ليسمع أنينهم وينقذهم، منفذًا وعوده ومخلصًا إياهم.

v من البداية قال لآدم: "بعرق جبينك تأكل خبزك" (تك ٣: ١٩). أيضًا لكي يخرجوا من الألم الشديد إلى الراحة، كان يلزمهم أن يشكروا الله. اسمعوا ما يقوله النبي: "خير لي أنك أذللتني" (مز ١١٩: ٧١). فإن كان الضيق نافع جدًا للعظماء المشهورين، فكم بالأكثر بالنسبة لنا.

v لنخضع نحن أنفسنا للصلاة. إنها سلاح قدير إن قُدمت بغيرةٍ، إن كانت بدون عجبٍ، إن كانت بذهنٍ مُخلص. إنها تصد حروبًا، وتفيد الأمة كلها مع عدم استحقاقها. يقول: "**سمعت أنينهم ونزلت لأنقذهم**" [٣٤]. إنها هي عينها دواء منقذ، له قوة لمنع الخطايا وشفاء الأفعال الشريرة.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"هذا موسى الذي أنكروه قائلين:

من أقامك رئيسًا وقاضيًا؟

هذا أرسله اللَّه رئيسًا وفاديًا،

بيد الملاك الذي ظهر له في العليقة". [٣٥]

كان الاتهام الموجّه ضد القدّيس استفانوس أنّه يجدّف على موسى، الآن يعلن لهم القدّيس بأن اللّه كرّم موسى إذ أرسله، وقد جاءت المقاومة المستمرّة والخطيرة من جانب آبائهم، الذين رفضوا رئاسته وحكمه كقاضٍ عليهم. في قسوة قلب وغلاظة رقبة كانوا دائمي التذمّر عليه، بل وحاولوا قتله أكثر من مرّة. فالقدّيس استفانوس لا يجدّف على موسى، بل يكرمه ويعجب منه كيف احتمل مقاومة شعبه له، دون أن يتخلّى عنهم أو يقاومهم.

حين قدم موسى نفسه لشعبه، ومد يده للعمل، انكشف حال الشعب، إذ رفض موسى كقائدٍ أو رئيسٍ أو قاضٍ، لكن حين أعلن الله عن حضوره الناري وهب موسى عمل الرئاسة والخلاص بكونه رمزًا للمخلص الحقيقي، ملك الملوك. فقد كان الشعب غليظ الرقبة ومتمردًا منذ عصر موسى؛ فما يفعله اليهود في أيام الرسل ليس بالأمر الغريب عن طبيعتهم. كان موسى رمزًا للسيد المسيح الذي رفضه البناءون فصار حجر الزاوية (أع ٤: ٢١).

ما فعله آباؤهم بموسى النبي فعله الرؤساء بيسوع المسيح. لقد أنكروا العليقة المتقدة نارًا، ورفضوا قيادة موسى وعمله كقاضٍ وفادٍ من عبودية فرعون. الآن يرفض أبناؤهم الصليب المشرق بنوره، ويجحدون تجسد الكلمة الإلهي، ولا يقبلون يسوع ملكًا وفاديًا لنفوسهم. إنهم مقاومون أبناء مقاومين.

- إنه لأمر معتاد لدى اليهود أن يخطئوا للمحسنين إليهم، حتى وهم يقدمون لهم الإحسان.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"هذا أخرجهم، صانعًا عجائب وآيات في أرض مصر،

وفي البحر الأحمر،

وفي البرية أربعين سنة". [٣٦]

نزل الله لإنقاذ شعبه وهم في مصر، ورافقتهم العناية الإلهية أثناء عبورهم بحر سوف وفي داخل البرية، ولم ينتظر ولا سألهم أن يذهبوا أولاً إلى أورشليم ويقيموا الهيكل وعندئذ يحل في وسطهم ويعمل فيهم.

لقد رافقتهم الآيات والعجائب الإلهية، ففي مصر أرسل الضربات العشرة ليخلصهم بيدٍ قويةٍ، وذراع رفيعة (خر٤- ١٢)، وفي البحر الأحمر شقه لكي يعبر الشعب بسلامٍ، بينما هلك فيه فرعون وكل جنوده (خر١٤، ١٥). وفي البرية خلال الأربعين عامًا كان يقدم لهم المن من السماء والماء من الصخرة (خر ١٦، ١٧ الخ).

لم يستخدم موسى خبراته العسكرية القديمة، لكن وهبه الله العجائب والآيات حتى يُرعب قلب فرعون وقلوب المصريين (خر ٣: ١٩-٢١). وبقي هذا السلاح الإلهي في يد موسى ليعبر بالشعب بحر سوف، ويسير بهم في وسط البرية أربعين عامًا.

٥. مقاومة آبائهم لموسى

"هذا هو موسى الذي قال لبني إسرائيل:

نبيًا مثلي سيقيم لكم الرب إلهكم من إخوتكم،

له تسمعون". [٣٧]

هكذا بلغ القديس استفانوس إلى ما يبغيه أن موسى المرفوض من آبائهم هو القائد المدعو من الله، والمسنود بالآيات والعجائب. ما حدث مع موسى يحدث مع يسوع المسيح مخلص العالم، الذي جاء إلى خاصته، وخاصته لم تقبله.

إذ كشف القديس استفانوس أنه لن يجدف على موسى النبي، بل ينتقد رافضي قيادته، ويظهر ما صنعه الله على يديهم، يعود فيوضح أن موسى نفسه الذي يفتخرون به ويثقون الآن فيه قد وعد بمجيء المسيح (تث ١٨: ١٥؛ ١٨)، فيلزمهم الاستماع له وطاعته بقبول من تنبأ عنه. لقد أعلن السيد المسيح نفسه أنهم إن كانوا يؤمنون بموسى يلزمهم أن يؤمنوا به (يو ٥: ٤٦). وقد سبق لنا الحديث عن هذه النبوة أثناء دراستنا لسفر التثنية.

v دعا ابن الله ملاكًا كما دعاه أيضًا إنسانًا. لقد ظهر له في البرية وليس في هيكلٍ. انظروا كل من العجائب تحدث ولا تُذكر كلمة "هيكل" أو "ذبيحة". هذا ليس فقط في البرية بل وفي العليقة.

القديس يوحنا الذهبي الفم

v لنترك الآن كلمة "**مثلي**" إلى حين لبحثها في موضعها. ولكن متى يأتي هذا النبي المنتظر؟

أنظر ما كتبه وابحث بتدقيق نبوة يعقوب الموجهة إلى يهوذا: "إياك يحمدك اخوتك". ثم يقول: "لا يزول قضيب من يهوذا، ومشترع من بين رجليه، حتى يأتي شيلون وله يكون خضوع شعوب" (تك ٤٩:٨، ١٠) لا من اليهود. بهذا أعطى علامة لمجيء المسيح، هو انقطاع الحكم من اليهود فلو لم يكونوا تحت حكم الرومان لما كان المسيح قد جاء بعد. لو كان لليهود ملك من يهوذا من نسل اليهود لما جاء المسيح بعد...

إنه المنتظر من جميع الشعوب.

وما هو علامته؟ "رابطًا بالكرمة جحشه" (تك ٤٩:١١). لاحظ الجحش الذي يعلنه زكريا بصراحة.

القديس كيرلس الأورشليمي

v كان رب الأنبياء، ومحقق النبوات، ومقدس الأنبياء، ومع هذا فهو نبي أيضًا... إنه مثل (موسي) حسب الجسد وليس حسب العظمة.

v إنه يشبهه، بمعنى من جهة الجسد، وليس من جهة سمو العظمة. لذلك دعي الرب يسوع "النبي".

القديس أغسطينوس

v يتحدث موسى النبي عن المسيح قائلاً: "يقيم لك الرب إلهك نبيًا من وسطك من إخوتك مثلي، له تسمعون" [١٥]. لهذا فمن لا يطيعه يعصى الناموس.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"هذا هو الذي كان في الكنيسة في البرية،

مع الملاك الذي كان يكلمه في جبل سيناء ومع آبائنا،

الذي قبل أقوالاً حيّة ليعطينا إيّاها". [٣٨]

يشير القديس استفانوس هنا إلى الاجتماع الكنسي الذي صنعه موسى النبي بأمر الله مع جميع الشعب وآباء الأسباط في حوريب، حين ظهر لهم الرب وأعطاهم الناموس. تقبل موسى الناموس، واستعفي الشعب من سماع صوت الله (تث ١٨: ١٥-١٦). إنه اجتماع كنسي تحقق على جبل حوريب، كنيسة بلا أعمدة ولا سقف ولا أروقة ولا هياكل؛ كنيسة حية بحلول الله في وسط شعبه، وهي كنيسة غريبة في وسط القفر.

هكذا يود القديس استفانوس أن يسحب قلوب الرؤساء إلى جوهر الكنيسة التي تقوم على حضرة الله. أما غاية الاجتماع الكنسي، فهو التمتع بأقوال الله الحية.

تمتع الشعب في البرية بأقوال الله أو الشريعة الموسوية التي تسلمها موسى خلال خدمة الملائكة (أع ٧: ٥٣؛ عب ٢: ٢)، وهى أقوال حية. تمتعوا بهذه البركات الإلهية الفائقة في البرية خارج أرض الموعد وبدون وجود هيكل.

"الذي لم يشأ آباؤنا أن يكونوا طائعين له،

بل دفعوه، ورجعوا بقلوبهم إلى مصر". [٣٩]

لم يقل "آباؤكم" بل "**آباؤنا**"، الذين اتسموا بالعصيان والتمرد على الله وعلى موسى، فرفضوا القيادة الإلهية ورجعوا إلى مصر بقلوبهم. لقد "قال بعضهم لبعض: نقيم رئيسًا، ونرجع إلى مصر... ولكن قال كل الجماعة أن يُرجما (موسى وهرون) بالحجارة" (عد ١٤: ٤، ١٠).

هذا هو القرار الذي اتخذه الآباء في أيام موسى، وقد جاء قرار السنهدرين ضد يسوع المسيح مطابقًا لقرار آبائهم. لم يستطع الآباء أن يرجموا موسى وهرون، أما مجمع السنهدرين فحقق عمليًا ما في قلوبهم بصلب السيد المسيح.

v إن كنا نتوق إلى بلوغ الكمال الحقيقي، يلزمنا أن نتطلع إلى الأبديات. فإن كنَّا حسب الخارج لنا جسد، (لهذا ننشغل بآبائنا ومنازلنا وجاهنا ومباهج هذه الحياة)، لنترك بقلوبنا من الداخل هذه الأمور ولا نعود نشتاق إلى ما قد تركناه، فلا نصير كأولئك الذين قادهم موسى. لأن هؤلاء إن لم يرتدّوا بالجسد (حرفيًا)، غير أن قلوبهم قد ارتدت إلى مصر، وذلك بتركهم الله الذي قادهم بعلامات قوية، وعودتهم إلى عبادة أصنام مصر التي حسبوا أنهم قد احتقروها. ويقول الكتاب: "ورجعوا بقلوبهم إلى مصر، قائلين لهرون: اعمل لنا آلهة تتقدَّم أمامنا" (أع ٧:٣٩-٤٠). وهكذا نسقط في نفس اللعنة التي سقطوا فيها في البرية بعدما أكلوا المَنْ النازل من السماء، مشتهين طعام الخطية النجس، أو بالأحرى راغبين في الانحطاط، متذمرين معًا في نفس الطريق (عد ١١:٥، ١٨؛ خر ١٦:٣)...

ويحدث معنا نفس الأمر في سلوكنا وحياتنا، فالبعض بعدما يترك هذا العالم يعود مرة أخرى إلى شهواته الأولي، متحولاً إلى ميوله السابقة الكائنة في قلبه، صانعًا ما صنعه أولئك.

الأب بفنوتيوس

لقد ندموا على خروجهم من مصر، وارتبطت بطونهم بالطعام المصري، حتى وإن كان مجرد رائحة القدور، كما ارتبطت أعماقهم بالعبادة المصرية، كأن يسجدوا لعجل أبيس، وارتبط سلوكهم بالعادات والأخلاقيات التي كانت للمصريين.

"قائلين لهرون:

إعمل لنا آلهة تتقدم أمامنا،

لأن هذا موسى الذي أخرجنا من أرض مصر،

لا نعلم ماذا أصابه". [٤٠]

"فعملوا عجلاً في تلك الأيام،

وأصعدوا ذبيحة للصنم،

وفرحوا بأعمال أيديهم". [٤١]

بالرغم من كل هذه البركات التي تسلمها آباؤهم من يد الله خلال موسى، إلا أنهم رفضوا الله ونبيه موسى. اشتهوا الرجوع إلى مصر، إذ طلب الشعب من هرون أن يصنع لهم تمثالاً ذهبيًا لعجل أبيس معبود المصريين (خر٣٢: ١٦، ١٨). وقد برروا تصرفهم بأن موسى قد اختفى عنهم، ولا يعلمون شيئًا عن مصيره.

في أيام موسى صنع الشعب عجلاً من ذهب ليعبدوه ويقدموا ذبيحة للصنم بفرح، وفي أيام السيد المسيح طلبوا قيصر ملكًا، ورفضوا مملكة المسيح الروحية.

كأنه يوبخهم: من الذي جدف على الله وعلى موسى؟ هل أنا الذي قبلت من تنبأ عنه موسى، ومن كان هو نفسه رمزًا له، أم آباؤكم الذين رفضوا قيادة موسى، وندموا على خروجهم من مصر، واشتهوا الطعام المصري الذي كانوا يقدمونه للعبيد (رائحة القدور)، ويتعبدون للعجل، وكسروا الناموس وقاوموا أقوال الله الحية؟

"فرجع اللّه وأسلمهم ليعبدوا جند السماء،

كما هو مكتوب في كتاب الأنبياء:

هل قرّبتم لي ذبائح وقرابين أربعين سنة في البريّة يا بيت إسرائيل؟" [٤٢]

افتبس القدّيس استفانوس هذه النبوّة من عاموس ٥: ٢٥، ليكشف لهم عن انحرافهم من أقوال الأنبياء أنفسهم.

أعطاهم الله سؤل قلبهم، فقد اشتهوا الرجوع عن الله، والارتداد إلى مصر حيث حياة العبودية. وهبهم طلبتهم فرجع عنهم وسلمهم لشهوة قلوبهم.

"بل حملتم خيمة مولوك،

ونجم إلهكم رمفان التماثيل التي صنعتموها،

لتسجدوا لها،

فأنقلكم إلى ما وراء بابل". [٤٣]

ارتبطت عبادة كواكب السماء بعبادة الإلهين مولوك ورمفان.

مولوك: مقتبسه من العبرية كما من العربية ومعناها "ملك". وهو إله العمونيين، حيث كانوا يقدمون له ذبائح بشرية. وقد حذر موسى النبي الشعب في مواضع مختلفة من تقديم أطفالهم ذبائح للإله مولوك، حيث كانوا يجيزوهم في النار (لا ١٨: ٢١؛ ٢٠: ٢-٥).

عبد الإسرائيليون مولوك بعد دخولهم أرض الموعد؛ فبنى سليمان هيكلاً له على جبل الزيتون (١ مل ١١: ٧)؛ وأجاز منسى ابنه في النار تكريمًا لهذا التمثال (٢ مل ٢١: ٣، ٦). وكان تمثال هذا الإله مصنوع من النحاس، ويداه ممتدتين كما لو كانتا تطلبان أن تحتضنا الطفل المُقدم ذبيحة. كانوا يوقدون نارًا في التمثال النحاسي حتى يحمر تمامًا، ويضعون الطفل على الذراعين المحميتين بين دقات الطبول والرقص، فيحترق الطفل تمامًا. يظن البعض أن هذا كان يتم تكريمًا لكوكب زحل ساتورن وهو إله الزراعة عند الرومان، والبعض يحسبونه تكريمًا للشمس، والبعض كوكب عطارد (رسول الآلهة، وإله التجارة والفصاحة والمكر واللصوصية عند الرومان).والبعض كوكب الزهرة، فينوس، إلهة الحب والجمال عند الرومان الخ.

"**نجم إلهكم رفعان**": اقتبسها القديس إستفانوس عن الترجمة السبعينية. تطلق كلمة رفعان في القبطية على كوكب زحل.

إذ بلغوا أقصى حدود التمرد حيث فضلوا العبادة للأوثان عن عبادة الله الحي، أعطاهم سؤل قلوبهم، فنقلهم بالسبي إلى بابل، حيث العبادة الوثنية التي طالما ارتدوا إليها. سلمهم الله لفكر قلوبهم (عا ٥: ٢٥-٢٧).

٦. خيمة الشهادة في البرية

بعد هذا العرض التاريخي المؤلم الذي يكشف عن إصرار آبائهم على التمرد على الله، مع وجود قلة أمينة مقدسة للرب لا ترتبط بالحرف القاتل، بل بالإيمان الحي العملي، مثل إبراهيم واسحق ويعقوب وموسى النبي والأنبياء، الآن يتحدث عن الخيمة والهيكل.

تسلل هذا الاتجاه لعبادة الأصنام إلى العبرانيين عبر كل تاريخهم، وبلغ القمة أثناء السبي البابلي. اعتادوا الإقتداء بجيرانهم المحيطين بهم، فكانوا يؤلهون كواكب السماء ويعبدونها (تث ٤: ١٩؛ ١٧: ٣؛ ٢ مل ٢١: ٣، ٥؛٢٣: ٤-٥؛ إر ٨: ٢؛ ١٩: ١٣؛ صف ١: ٥)

"وأمّا خيمة الشهادة، فكانت مع آبائنا في البرية،

كما أمر الذي كلم موسى أن يعملها،

على المثال الذي كان قد رآه". [٤٤]

كان من عادة الوثنيين أن يأخذوا آلهتهم معهم أينما ذهبوا، فيضعون التمثال الصغير في هيكل صغير أو خيمة صغيرة. ولكي يحفظ الله شعبه من عبادة الأوثان أظهر لموسى المثال السماوي الذي بناء عليه يصنع خيمة الاجتماع التي كان فيها تابوت العهد، تُحمل الخيمة في مسيرة الشعب في البرية، وتُنصب أينما حلوا، علامة الحضرة الإلهية (خر ٢٥: ٩، ٤٠؛ ٢٦: ٣٠؛ ٢٧: ٨).

"التي أدخلها أيضًا آباؤنا،

إذ تخلفوا عليها مع يشوع في مُلكِ الأمم،

الذين طردهم اللَّه من وجه آبائنا إلى أيام داود". [٤٥]

أحضر الآباء خيمة الاجتماع معهم في أرض الموعد تحت قيادة يشوع بن نون، حتى متى طرد أمامهم الأمم الوثنية، وجب تطهير كنعان من كل أثرٍ وثني لتبقى الحضرة الإلهية وحدها علامة اتحادهم بالله، وقبوله ملكًا يشبع أعماقهم ويدير أمورهم.

حقًا، لقد صنع موسى خيمة الاجتماع، سرّ قوتها إنها "**على المثال الذي كان قد رآه**"، أي تحمل ظل السماويات. رأى موسى ما هو غير مصنوع بأيدٍ بشرية، وقدم ظلاً لذلك على الأرض، لكي يختبر المؤمنون ظل السماويات.

كان القديس استفانوس يحدثهم عن خيمة الاجتماع لكي يسحب قلوب الرؤساء المجتمعين إلى الفكر السماوي، أما هم فأقاموا خيمة مولوك في قلوبهم.

٧. لا يسكن الله في مصنوعات الأيادي

"الذي وجد نعمة أمام اللَّه،

والتمس أن يجد مسكنًا لإله يعقوب". [٤٦]

وجد داود النبي نعمة لدى الله الذي أغدق عليه بالبركات، ووهبه نصرة على الأعداء، أما رد فعل داود النبي فهو التهاب قلبه بأن يقيم هيكلاً دائمًا يُوضع فيه تابوت العهد، رمز الحضرة الإلهية (٢ صم ٧: ١، أي ٢٢: ٧).

"ولكن سليمان بنى له بيتًا". [٤٧]

كان داود الملك يشتهي أن يبني لله بيتًا (٢ صم ٢:٣-٧)، وإذ وجد نعمة في عيني الله، سمح لابنه سليمان أن يبني الهيكل.

v لقد ظنوا أن سليمان كان عظيمًا (لأنه بني الهيكل)، لكنه لم يكن أفضل من أبيه، ولا حتى على مستوى أبيه، هذا أمر واضح... فإن حتى (هذه الأبنية) لا تليق بالله، إذ هي أمور مصنوعة، متطلعًا إلى أن هذه مخلوقات هي من صنع يديه.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"لكن العلي لا يسكن في هياكل مصنوعات الأيادي،

كما يقول النبي". [٤٨]

أزال القديس استفانوس الاتهام الموجه ضده أنه يتحدث ضد الهيكل، فقد أظهر أن هذا الهيكل كان موضوع شهوة قلب الملك البار داود، وأنه بُني بأمرٍ إلهي. وفي نفس الوقت يؤكد أن الله لا يحد نفسه بهذا الهيكل المصنوع بالأيادي. إنه ليس في حاجة إليه، فعرشه هو السماء، فمع تقدير القديس استفانوس للهيكل في أورشليم، لكن ما يشغل قلب الله أن يقبل جميع الأمم الإيمان الحي، فلا يحد العبادة بمدينة أورشليم وبهيكل سليمان.

v [بمناسبة الاحتفال بعيد لتدشين كنيسة:]

كلنا أيها الأحباء كنا هياكل للشيطان قبل العماد، وتأهلنا بعد العماد أن نصير هياكل المسيح. إن تأملنا إلى حدٍ ما بدقة في خلاص نفوسنا، ندرك أننا هيكل الله الحي. الله ليس فقط يسكن في مبانٍ مصنوعة بأيدٍ بشرية، أو منشأة من خشب وحجارة، وإنما فوق الكل يسكن في النفس التي خُلقت على صورة الله، وتشكلت بيد الخالق نفسه. لذلك يقول الرسول الطوباوي بولس: "هيكل الله مقدس، الذي أنتم هو" (كو ٣: ١٧).

v هذه الهياكل مصنوعة من خشب وحجارة لكي ما تجتمع هياكل الله الحية فيه، وتصير معًا هيكل الله. المسيحي المنفرد هو هيكل الله، والمسيحيون الكثيرون هم هياكل الله.

لاحظوا أيضًا أيها الإخوة، يا لجمال الهيكل الذي تتشكل من الهياكل؛ وذلك مثل أعضاء كثيرة تكَّون جسدًا واحدًا، هكذا هياكل كثيرة تكَّون هيكلاً واحدًا.

الآن تلك الهياكل التي للمسيح، نفوس المسيحيين التقية مبعثرة في العالم، ولكن إذ يحل يوم الدينونة، يجتمعون معًا، ويكَّونون هيكلاً واحدًا في حياة أبدية...

لنفرح أننا تأهلنا أن نكون هيكل الله، لكن لنخشى لئلا نفسد هيكل الله بأعمال شريرة. لنخشى ما يقوله الرسول: "إن كان أحد يفسد هيكل الله، فسيفسده الله" (١ كو ٣: ١٧).

الله الذي استطاع دون صعوبة أن يشَّكل السماء والأرض بقوة كلمته، رسم أن يسكن فيكم، لذا وجب أن تعملوا بطريقة بها لا تضادون مثل هذا الساكن.

ليت الله لا يجد فيكم، أي في هيكله، شيئًا دنسًا أو مظلمًا أو متشامخًا. فإن عانى هناك من مضايقة ينسحب سريعًا، وإذ يفارقه المخلص للحال يقترب الشيطان، كم تكون حالة النفس التعيسة حينما يفارقها الله ويمتلكها الشيطان؟ مثل هذه النفس تُحرم من النور، وتمتلئ ظلمة، تفقد العذوبة، وتمتلئ مرارة. إنها تحطم الحياة، وتجد الموت. إنها تنال عقوبة، وتفقد الفردوس.

الأب قيصريوس أسقف آرل

"السماء كرسي لي،

والأرض موطئ لقدمي،

أي بيت تبنون لي؟ يقول الرب،

وأي هو مكان راحتي؟" [٤٩]

"أليست يدي صنعت هذه الأشياء كلها؟" [٥٠]

إن كان الله في تنازله سمح بإقامة خيمة الاجتماع، ثم ببناء الهيكل، فإن راحته ليس في موضع معين، بل في حضوره وسط شعبه، الذي يحمل شعبه إلى العلى، ويرتفع بهم إلى ما فوق الحرف والمادة ليتمتعوا بالروح والسماء!

٨. اضطهد آباؤهم الأنبياء ولم يحفظوا الناموس

"يا قساة الرقاب وغير المختونين بالقلوب والآذان،

أنتم دائمًا تقاومون الروح القدس،

كما كان آباؤكم كذلك أنتم". [٥١]

إن كان الهيكل كمبنى ليس موضوع سرور الله، ولا كل المتعبدين فيه هم أبرار في عيني الله، فإن القديس استفانوس من هذا المنطلق يتهم المتعبدين في الهيكل في حرفيةٍ بغير روحٍ أنهم قساة الرقاب وغير مختوني القلوب والآذان؛ إذ يقاومون الروح القدس، ويضطهدون القدوس، متشبهين بآبائهم المتمردين.

اتهموا القديس استفانوس بأنه يجدف على ناموس موسى. وقد جاءت إجابته أنه ليس هو المرتكب هذه الخطية، بل اليهود الذين لم يؤمنوا بما هيأ لهم الناموس، هؤلاء الذين منذ أيام موسى وهم يعصون كلمة الله. أُتهم بالتجديف على الله بتجاهله للهيكل، وجاءت إجابته أن تاريخ إسرائيل نفسه يؤكد أن الهيكل مؤسسة وقتية ليست جوهرية في العبادة الصادقة لله.

"**يا قساة الرقاب**"، اتسم هذا الشعب بهذا اللقب منذ البداية، وقد وجهه الله نفسه لهم خلال موسى النبي مرارًا وتكرارًا (خر ٣٢: ٩؛ ٣٣: ٣، ٥؛ ٣٤: ٩؛ تث ٩: ٦، ١٣)، أُستخدم عن الشعب اليهودي في تمردهم على الله، وعدم رغبتهم في الالتزام بحدود الوصية الإلهية، وهو تعبير رمزي يشير إلى الثيران التي تقاوم ولا تريد الانصياع للنير الموضوع على أعناقها.

"**وغير المختونين بالقلوب والآذان**"، كان الختان هو العلامة التي تميز اليهودي الذي يخضع لسلطان الناموس من أجل تمتعه بالوعد الإلهي. كان إشارة إلى النقاوة الداخلية ورفض كل دنس أو رجاسة. عدم ختان القلب يشير إلى رفض الإنسان الخضوع الداخلي للناموس وعدم اكتراثه بالتمتع بالوعود الإلهية. طالبهم الرب بختان القلب والأذن (تث ١٠: ١٦؛ إر ٤: ٤؛ ٩: ٢٦). فأغلف القلب أو الأذنين هو ذاك الذي لا يتمتع بالعهد مع الله، فيكون كمن ينتسب للأمم، ولم يصر إسرائيليًا بالروح.

"**غير المختونين بالآذان**" يعني عدم رغبة الإنسان إلى الاستماع لصوت الله (لا ٢٦: ٤١؛ إر ٩: ٢٦).

"**وأنتم دائما تقاومون الروح القدس**": يقابلون حب الله ومراحمه بالمقاومة. "في كل ضيقهم تضايق، وملاك حضرته خلصهم"، بمحبته ورأفته هو حلهم ورفعهم وحملهم كل الأيام القديمة، ولكنهم تمردوا وأحزنوا روح قدسه، فتحول لهم كأنه عدو يحاربهم (إش ٦٣: ٩-١٠).

إنّهم كآبائهم يهتمّون بختان الجسد، ولا يهتمّون بختان القلب والأذن الروحي، لهذا تمتلئ قلوبهم كراهيّة وبغضة للروح القدس، تتحوّل إلى سلوك خطير، حيث قتل آباؤهم الأنبياء العامل فيهم الروح، وها هم يكملون مكيال آبائهم فيقاومون الروح القدس العامل في رسل المسيح وخدّامه. لا، بل ازدادوا شرًا عن آبائهم إذ خانوا البار وقتلوه! هنا يقدّم ضدّهم أخطر جريمة وأبشع ما فعله الإنسان منذ خلقته إلى انقضاء الدهر، وهي جريمة ثابتة لا يستطيعون إنكارها.

إذ لمس القديس استفانوس عدم اكتراث الرؤساء بالحقائق الكتابية، وانحصار فكرهم في أمرٍ واحدٍ، وهو الخلاص من اسم يسوع، وتبرئة أنفسهم في قرارهم بصلب يسوع، تحول من الدفاع إلى الهجوم، فكشف لهم أن السنهدرين الذي حكم على السيد المسيح بالصلب يحمل نفس روح التمرد اذي كان في الشعب منذ خروجه من مصر.

يرى **القديس يوحنا الذهبي الفم** أنهم كآبائهم دائمًا يقاومون الروح. فعندما كان يُطلب منهم تقديم ذبائح حيوانية لم يقدموا، وحين يريدهم ألاَّ يقدموا ذبائح دموية لأن ذبيحة المسيح قد حققت الهدف يريدون أن يقدموا ذبائح. وحينما طالبهم بعبادته في الهيكل عبدوا الأوثان مع الأمم، وحين طالبهم ألاَّ ينشغلوا بالهيكل بل أن يعبدوا بالروح والحق انشغلوا بالهيكل.

v هكذا كانت جسارة إنسان حاملٍ للصليب في الحديث. ليتنا نحن أيضًا نتمثل به، فإنه وإن كان الوقت ليس زمن حرب (اضطهاد)، إلاَّ أنه دائمًا وقت للجسارة في الحديث (شهادة عن المسيح). يقول أحدهم: "أنطق بشهاداتك أمام الملوك ولا أخجل" (مز ١١٩: ٤٦). إن كانت لنا فرصة أن نكون بين وثنيين فلنُبكم أفواههم، لا بالسخط ولا بالعنف... فإن الجسارة هي نجاح، وأما الغضب فهو فشل. فإن كانت لنا جسارة يلزمنا أن نتطهر من الغضب. فلا ينسب أحد كلماتنا للغضب.

ليس من المهم الكلمات التي تنطقون بها عندما تغضبون، فإنكم بالغضب تحطمون كل شيء... انظروا إلى هذا الإنسان، كيف كان متحررًا من الأهواء وهو يخاطبهم. فإنه لم يتهمهم، إنما ذكَّرهم بكلمات الأنبياء.

ولكي أظهر لكم أنه لم يكن في غضبٍ في اللحظات التي فيها قاسى شرورًا على أيديهم، صلى لأجلهم: "لا تقم لهم هذه الخطية" [٦٠]. كان أبعد من أن ينطق هذه الكلمات بغضبٍ، لا بل كان يتكلم في حزنٍ وأسى عليهم.

القديس يوحنا الذهبي الفم

v لقد أظهر (بولس) أن اليهود أيضًا مذنبون. بينما يظهرون أنهم يعيشون تحت ناموس الله، ويدافعون عن امتيازهم الذي باستحقاق أسلافهم، بالحقيقة أساءوا سمعة نعمة الله إذ استخفوا بالوعد الذي قُدّم لأسلافهم.

أمبروسياستر

v إن كنّا جميعًا نخلص بالنعمة، قد يحتجّ البعض: لماذا لا يخلص كل أحدٍ؟ لأنّهم لا يريدون أن يتجاوبوا. فإن النعمة، مع أنّها نعمة لكنّها تخلّص الذين يريدونها وليس الذين يرفضونها ويهربون منها.

القديس يوحنا الذهبي الفم

v تُعطى النعمة ليس لأننا نصنع أمورًا صالحة، وإنّما لكي ننال قوّة لصنعها، وليس لأننا نتمّم الناموس، وإنّما لكي تكون لنا القدرة على تحقيقه.

القديس أغسطينوس

"أيّ الأنبياء لم يضطهده آباؤكم؟

وقد قتلوا الذين سبقوا فأنبأوا بمجيء البار،

الذي أنتم الآن صرتم مسلّميه وقاتليه؟" [٥٢]

جاء التعبير حازمًا وقاطعًا، أنه لم يوجد نبي واحد لم يضطهده اليهود، وكأن اضطهاد الأنبياء قد صار في طبيعة الشعب عبر الأجيال، يسري في دمهم.

لقد قتل آباؤهم الأنبياء الذين كانت رسالتهم الرئيسية هي الإعلان عن مجيء المسيا مخلص العالم. لقد تفاقمت معاصيهم للغاية، إذ قتلوا رسل الله الذين تنبأوا عن أعظم البركات التي تتمتع بها الأمة، بل وتعم على العالم.

إن كان هذا ما فعله آباؤهم، فإن أبناءهم تعدوا جرائم آبائهم، إذ قتلوا المسيا نفسه.

تكلم هنا معهم بكلمات جريئة وصريحة، إذ يتهمهم بأنهم أبناء قتلة الأنبياء الذين سبقوا فتنبأوا عن يسوع البار، وها هم قد شاركوا آباءهم في سفك دم الأنبياء، بل وأكملوا الكيل، إذ سلموا ذاك الذي هو موضوع شهوة الأنبياء. لقد وجه إليهم ذات الاتهام الذي وجهه إليهم السيد المسيح نفسه (مت ٢٣: ٢٩-٣٤).

لم يخشاهم القديس استفانوس، إذ حسب ذلك تكريمًا له أن يفعلوا به ما فعله آباؤهم بالأنبياء، وأن يشارك السيد المسيح البار آلامه.

v قتلوا الأنبياء القدّيسين، وهم مذنبون بدم كثير من الأبرار، لذلك قيل لهم بوضوح: "أي الأنبياء لم يقتله آباؤكم؟!" وأيضًا: "يا أورشليم، يا أورشليم، يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها، كم مرّة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا، هوذا بيتكم يُترك لكم خرابًا" (لو ١٣: ٣٤-٣٥). لكن أعمالهم الشرّيرة لم تمتد فقط إلى الأنبياء القدّيسين، بل تصاعدت حتى إلى ذاك الذي هو رب الأنبياء، أي المسيح. وإذ

هم متغطرسون، كما لو كانوا يتشامخون برقابهم المتعجرفة، لم يعطوا أي اهتمام للالتزام بالإيمان به، بل قاوموا تعليمه الجهاري بخبثٍ، ووبّخوا الذين أرادوا أن يكونوا معه على الدوام، الذين تعطّشوا لتعليمه....

v لم تمتد أعمالهم الشرّيرة فقط إلى الأنبياء القدّيسين، بل تصاعدت حتى إلى ذاك الذي هو رب الأنبياء، أي المسيح... لذلك لم يُعط لهم أن يعرفوا أسرار ملكوت السموات، بل بالأحرى أُعطي لنا نحن الذين أكثر استعدادًا لقبول الإيمان.

القديس كيرلس الكبير

"الذين أخذتم الناموس بترتيب ملائكة ولم تحفظوه". [٥٣]

تُستخدم كلمة *diatages* "**ترتيب**" في التنظيم العسكري في الجيش، يعرف كل شخصٍ رتبته بما لها من سلطة ومدى حدودها. وكأن الملائكة، كل في رتبته، وقفوا في دهشة أمام حب الله للإنسان وهو يسلمهم الشريعة التي هي كلمته الحية. إنهم شهود لهذا العمل الإلهي الممتع. يرى البعض أن الملائكة في خدمتهم لله محب البشر تسلموا الشريعة، وقدموها للإنسان ليشاركهم تسابيحهم، ويشاركونه عبادته الروحية.

ولما كانت كلمة "**ملائكة**" معناها "رسل"، لهذا يرى البعض أنه يعنى هنا الذين أرسلهم الله وعهد إليهم كلمته ليعلونها لشعبه عبر الأجيال. ويرى آخرون أن استلام الشريعة صاحبه بروق ورعود ودخان وزلازل... هذه كلها أرسلها الله لكي يتلامس الشعب مع مهابة الوصية. هذه تسمى ملائكة أو رسل لله.

أخيرًا إذ يملأون مكيال آبائهم بسفك الدماء البريئة، يكسرون الناموس الذي تسلموه بترتيب ملائكة. ولعل تسليم الناموس بترتيب ملائكة هو تقليد يهودي يعتمد على ما ورد في تث ٣٣: ١-٤ (الترجمة السبعينية). وقد أخذ القديس بولس بهذا التقليد (غل ٣: ١٩؛ عب ٢:٢).

v أعطي كل تدبير العهد القديم خلال ملائكة... يعملون أحيانًا شخصيًا، وأحيانًا بشخص الله.

القديس أغسطينوس

v يقصد بالملائكة رسل الله، أي موسى، وابن نون، وغيرهما من الأنبياء حتى يوحنا المعمدان. خلال هؤلاء أُقيم ورُتّب الناموس والأنبياء بواسطة الله بيد المخلّص أي بقوّته. فإنّه هو الوسيط، ومصالح الله مع البشريَّة، لكي يخلّص من يريد من الذين تسلّموا الناموس من الملائكة.

أمبروسياستر

v في كل موضع يقول إن كلمة الله أعطيت بواسطة ملائكة (عب ٢: ٢؛ غل ٣: ١٩؛ أع ٧: ٥٣). حقًا يقول البعض أنه يعني هنا بهم موسى، لكن دون سبب مقبول. فإنه يذكر الملائكة بصيغة الجمع، والملائكة الذين يتحدث عنهم هنا هم الذين في السماء.

القديس يوحنا الذهبي الفم

٩. السماء المفتوحة

"فلما سمعوا هذا حنقوا بقلوبهم،

وصروا بأسنانهم عليه". [٥٤]

إذ أتهمهم القديس استفانوس بالتجديف لم يستطيعوا أن يجيبوه، لأن حديثه كله كتابي. لم يستطيعوا أن يضبطوا حقدهم وثورتهم، فأصروا بأسنانهم عليه، حملوا له كل مرارة.

جاءت الكلمة اليونانيّة المترجمة "حنقوا" *deprionto* هي بعينها المترجمة نشروا في عب١١: ٣٧. فإن الشرّ الذي فيهم ليس فقط بعث روح العداوة وألهب فيهم الغضب، إنّما مزّق قلوبهم وقتلها كما بمنشار. فعدم الإيمان مع الحسد يهلك القلب، بينما الإيمان العامل بالمحبّة يشفي القلب ويهبه سلامًا في الرب.

"**وصرّوا بأسنانهم عليه**" علامة عجزهم تمامًا عن الاستماع إليه. صاروا يصرّون بأسنانهم كوحوش مفترسة تود أن تفتك بمن هم أمامها، متعطّشة لسفك الدم.

لم يشغلهم وجهه المشرق كوجه ملاكٍ، لكنهم حسبوا خطابه هجومًا على الديانة اليهودية منذ بدء نشأتها، إذ حسب آباءهم قتلة الأنبياء، وتحدث عن الهيكل أن الله لا يسكن في بيت مصنوع بأيدٍ بشريةٍ، حسبوا هذا أقسى أنواع الإهانات، إذ يسيء إلى الهيكل أعظم فخر للأمة كلها، لذا سدوا آذانهم، وحنقوا بقلوبهم، وصروا بأسنانهم، حيث وجب رجمه قبل أن تصدر المحكمة بالحكم. فقد اندفع الكل في غيرة بشرية للتنفيذ، وانقضوا عليه، حاسبين أنه لا يوجد وقت لإصدار الحكم عليه.

"وأمّا هو فشخص إلى السماء،

وهو ممتلئ من الروح القدس،

فرأى مجد اللَّه،

ويسوع قائمًا عن يمين اللَّه". [٥٥]

بينما كانت قلوبهم قد امتلأت بالبغضة ارتفع قلبه بالحب للناس وللبشرية حتى لمضطهديه. تطلع أيضًا بعينيه نحو السماء ليرى مجد الله ويسوع قائمًا عن يمين العظمة.

لماذا رفع عينيه نحو السماء؟ حتمًا إذ أصروا بأسنانهم، وظهرت عليهم نية القتل، سحب الرب قلبه كما نظره نحو المجد السماوي. الضيق هو المجال الخصب الذي فيه يطمئن الله على المؤمن ليعاين رؤى وأمجاد سماوية دون أن يسقط في كبرياء أو اعتداد بالذات.

"**يمين الآب**": لا يعنى أن للآب يمين أو يسار، إنما يشير تعبير "**اليمين**" إلى القوة والمجد، لهذا يُصور السيد المسيح أنه عن يمين الآب (مز١١٠: ١؛ عب١: ١٣).

إذ كان القديس استفانوس ممتلئًا من الروح القدس تركزت أنظاره لا على مقاومة الرؤساء له، ولا على ملامحهم المملوءة شراسة، ولا على الحجارة التي حملوها ليرجموه بها، وإنما على السماء المفتوحة، ليرى مجد الله وقد أشرق عليه، ويسوع قائمًا عن يمين الله، كمن يقدم قوته الإلهية للشهيد حتى يعبر به إلى الفردوس.

في دراستنا لسير الشهداء ندرك حقيقة هامة وهي أنه في عصور الاستشهاد، خاصة في الليالي السابقة لتنفيذ الأحكام كثيرًا ما يشرق نور الله علانية في السجون، ويتمتع المُقدمون للاستشهاد برؤى وأحلام إلهية، ويظهر أحيانًا السيد المسيح نفسه لهم. لهذا يقال إنه يُوهب للشهيد أن يرى السيد المسيح قادمًا إليه عند انتقاله، ولهذا يُدعى شهيدًا، فهو يشهد للحق، ويشاهد المسيح الحق، كما يشهد له المسيح أمام الآب، وأمام كل السمائيين.

v باقتفاء الشهيد استفانوس أثر معلمه في أفعاله وأقواله لم ينقصه شيء، فقد أبان تسليم أمره لله ونضوج صبره أهّله للمعاينة الإلهية. لقد كتب: "**شخص إلى السماء، فرأى مجد الله، ويسوع قائمًا عن يمين الله**" (أع ٧ :٥٥).

هذا هو المجد الذي قدمه المخلص للشهيد: أنه **يُكرم فوق الملائكة أنفسهم...** فإنه رأى "موضوع" حبه عينه، حيث تخشى الملائكة أن تطلع عليه (١ بط ١: ١٢). فقد شخص الشهيد إلى حيث "يستر الشاروبيم وجوههم" (إش ٦ :٢). إنه يعاين ما لا يجسر السيرافيم على التطلع إليه. لقد ارتقى بعينيه إلى علو لا حد له. وبدا هكذا أعلى من الملائكة، وأسمى من الرئاسات، متخطيًا العروش. لأن صوت المعلم هو الذي استماله، بوعده إياه: "حيث أكون، هناك أيضًا يكون خادمي" (يو ١٢ : ٢٦).

لقد كان أول خادم... لذا هتف قبل بولس: "كونوا متمثلين بي، كما أنا أيضًا بالمسيح" (١ كو ١١ : ١)... أنا أول من جاهد مع المعلم، وأول من رأى الخفيات في السماء. لأني رأيت، نعم رأيت الابن قائمًا عن يمين الآب. عاينت حقيقة ما قيل: "قال الرب لربي: اجلس عن يميني، حتى أجعل أعداءك موطئًا لقدميك" (مز ١٠٩ : ؛ مت ٢٢ : ٤٤، مر ١٢ : ٣٦؛ لو ٢٠ : ٤٢-٤٤؛ أع ٢ : ٣٤ - ٣٥؛عب ١ : ١٣).

القديس يوحنا الذهبي الفم

- على ما أظن أن القيام والجلوس يدلان على الثبات في الطبيعة والاستمرار المطلق كما قال باروخ، دالاً على عدم الحركة (التغيير) والتنقل في تصرف الله: "إنك أنت تجلس إلى الأبد، أما نحن فنهلك إلى الأبد" (باروخ ٣: ٣). فمن الواضح إذن أن الجهة "**اليمنى**" تعني أن الرتبة متساوية في الكرامة.

القديس باسيليوس الكبير

عادة كان الأنبياء متى رأوا مجد الرب ارتبط المنظر برؤية ملائكة أو إحدى الطغمات السماويّة مثل الشاروبيم أو السيرافيم، أمّا هنا فلم يرَ القدّيس استفانوس الملائكة ولا أيّة طغمة سماويّة، ربّما لأن تطلّعه إلى بهاء السيّد المسيح ونوره الفائق جعل كل كيانه منشغلاً به دون المحيطين به. أو لأن ربّنا يسوع المسيح أراد أن يؤكد لاستفانوس أن لحظات رجمه هي لحظات مجدٍ عظيمٍ، شغلت السيّد المسيح الذي قام لمساندته والترحيب به دون أن ينشغل بخدّامه السمائيّين.

"فقال: ها أنا انظر السماوات مفتوحة،

وابن الإنسان قائمًا عن يمين اللّه". [٥٦]

رفع استفانوس عينيه إلى السماء لينظر السموات مفتوحة، وابن الإنسان قائمًا عن يمين الله. فمن يفتح قلبه بالحب العملي الباذل من أجل إيمانه بمسيحه المحبوب، يجد أبواب السماء مفتوحة له، وابن الإنسان مشغولاً به.

من أخبر الإنجيلي لوقا بما رآه الشهيد استفانوس في لحظاته الأخيرة؟ بلاشك أن صوته الهادئ الوديع اخترق قلوب كثير من الواقفين، خاصة شاول الطرسوسي الذي كان راضيًا بقتله. ولعل بعض الحاضرين الأتقياء قد هالهم منظر وجه استفانوس الملائكي، واشتركوا معه في الرؤيا، فشاهدوا ما شاهده. وكأن القديس استفانوس شهد لقيامة السيد المسيح حتى اللحظات الأخيرة من عبوره من العالم إلى الفردوس.

ما رآه دانيال النبي في القرن السادس ق.م (دا ٧: ١٣-١٤) شاهده استفانوس في النصف الأول من القرن الأول الميلادي. فالقرون الطويلة لن تفصل قديسي الله، ولا تغير الحق الإلهي العجيب.

كما وهب الروح القدس القديس استفانوس قوة للشهادة بالكلمة، واستنارة للحديث عما تنبأ به الأنبياء، قدم له البصيرة المفتوحة ليرى الحق السماوي بعينيه، ليشهد أمام راجميه أن المسيح المرفوض هو قائم في السماء، موضوع تهليل الأنبياء والسمائيين!

اتهمه الرؤساء بأنه مستحق للرجم، لأنه أهان الهيكل، وإذا بهم يسمعونه أنه يرى الله إله آبائهم قد فتح له هيكل السماء ليرى المسيا واقفًا عن يمين العظمة، ينتظر اللقاء معه وجهًا لوجه. إنها شهادة سماوية حية وجرئية بأن مجد الله قد فارق الهيكل، وها هو يملأ نفوس المؤمنين ببهائه، ويقيم بروحه القدوس هيكله داخلهم.

- يجلس (السيد المسيح) كديان للأحياء والأموات، ويقوم كمحامٍ عن شعبه. لقد وقف إذن ككاهن بينما كان يقدم لأبيه ذبيحة شماس صالح. لقد وقف كمن يفصل في الأمر لكي يهب جائزة. كما لو كان للمصارع الصالح جائزة على صراعه القدير.

- ليته يقوم في وسطكم لكي ما تعلن السماوات مجد الله (مز ١٩: ١)، تُفتح لكم فتتممون إرادته، وتمارسون عمله.

- كان يسوع قائمًا كمدافع عنه. كان وافقًا كمن هو متحفز، لكي يعين مصارعه استفانوس في جهاده. كان قائمًا كمن يستعد ليكلل شهيده.

v ليكن قائمًا من أجلكم، كي لا تخافوا من جلوسه، إذ يجلس لكي يدين كقول دانيال (دا ٧: ٩-١١).

القديس أمبروسيوس

v [في تعزية أوستوخيوم لنياحة والدتها]

إذ صوب الألم سهمه إليها فاحتملته بصبرٍ عجيبٍ، هكذا كمن قد رأت السماوات مفتوحة وهى تقول: "آه يا ليت لي جناحين كحمامة فأطير، وأصير في راحة" (مز ٥٥: ٦).

القديس جيروم

١٠. استشهاد استفانوس

"فصاحوا بصوت عظيم،

وسدوا آذانهم،

وهجموا عليه بنفسٍ واحدةٍ". [٥٧]

صاحوا بصوتٍ عظيم لكي يطغوا على صوته، وسدّوا آذانهم لئلا تتنجّس بتجاديفه.

ظهرت علامات الغضب على أعضاء المجمع، فأثاروا الشعب ليصرخوا ويتحركوا للقتل دون إصدار قرار من مجمع السنهدرين، فقد أخذ الشعب النور الأخضر للتحرك. فما فعله الشعب، إنما هو تحقيق لما في قلوب أعضاء المجمع.

لقد اتهمه المجمع بالتجديف، وأشاروا بطريق أو آخر أن ما ينطق به استفانوس هو تأكيد وشهادة حية لصدق الاتهام.

"**سدوا آذانهم**": كمن لا يريدون أن يسمعوا تجديفًا أكثر حتى لا تتدنس آذانهم.

"وأخرجوه خارج المدينة ورجموه،

والشهود خلعوا ثيابهم عند رجليّ شاب يقال له شاول". [٥٨]

تحول المجمع إلى حالة هياج شديدٍ وصياح، وحسبوا ما نطق به القديس استفانوس تجديفًا لن يسمحوا له بالدخول إلى آذانهم لئلا تتنجس. تحوّل المجمع من محكمة عليا للعدالة تصدر الحكم بعد المداولة إلى هيئة تنفيذية للرجم دون صدور حكم رسمي به.

كان الرجم هو عقوبة التجديف (لا ٢٤: ١٦). بحسب الشريعة يقوم الشهود بالبدء في الرجم. أما سحْبه خارج المدينة فهو أمر طبيعي، إذ جاء في لاويين ٢٤: ١٤، أن يسحب من كان تحت اللعنة خارج المحلة.

كان شاول يتطلع إلى رجم استفانوس بكونه حلم حياته، فهو يود الخلاص من ذاك الذى كان يجادله ويفحمه، حاسبًا في هذا العمل خدمة لله، وتطهيرًا للشعب من روح التجديف على الله وعلى الشريعة وموسى والهيكل!

لكن كيف رجموه دون الالتجاء إلى الحاكم الروماني، إذ قالوا لبيلاطس أثناء محاكمة يسوع المسيح: "لا يجوز لنا أن نقتل أحدًا" (يو ٨: ٣١)؟ قيل أن رجم استفانوس تم في غيبة بيلاطس عن البلاد.

خلع الشهود ثيابهم، ووضعوها عند رجلي شاول الطرسوسى لكي يلقوا بأول حجرٍ على الشخص إثباتا أنهم مسئولون عن صدق شهادتهم. وقد تم ذلك عند رجلي شاول الذي دخل في حوار مع القديس استفانوس مرات ومرات بكونه أحد أعضاء مجمع الكيليكيين (أع ٦: ٩).

ولعله كانت شهوة قلب شاول أن يختفي استفانوس عن الوجود، لأنه أفحم الكثيرين في المجامع. ويرى البعض أن قرار شاول كان له اليد الأولى لرجم استفانوس، لهذا سمع الصوت الإلهي: " لماذا تضطهدني؟" (أع ٩: ٦) وقد بقيت صورة وجه استفانوس الملائكي لا تفارق عيني شاول الطرسوسى أو بولس الرسول، وصارت أحاديثه منهجًا لاهوتيًا له. إنه يعترف "وحين سُفك دم استفانوس شهيدك كنت أنا واقفًا وراضيًا بقتله، وحافظًا ثياب الذين قتلوه" (أع ٢٢: ٢٠)، أي كان مشتركًا في الحكم عليه ومسرورًا بقتله.

"فكانوا يرجمون إستفانوس وهو يدعو ويقول:

أيها الرب يسوع اقبل روحي". [٥٩]

القديس استفانوس الممتلئ بالروح القدس حياته صلاة دائمة، فإنه وإن كان لم يخدم لسنوات، وإنما لأشهر قليلة أو أسابيع معدودة، لكنه عاش رجل صلاة حتى في لحظات رجمه، فجاء ثمر الروح فيه متكاثرا، ويكفي انه باستشهاده سحب قلب شاول الطرسوسى للبحث عن الحق.

v لقد سمعتم كيف كان استفانوس قاسيًا [٥١-٥٢]، الآن اسمعوا كيف قد أحب! لقد قاوم الذين كان ينتهرهم ورُجم بواسطتهم... كان آخر صلاته هي من أجل أعدائه. علّموا هنا أن يكون لكم ثوب العرس (الحب حتى للأعداء).

القديس أغسطينوس

v يا لسعادة ذاك الذي يواجه عنف الشيطان بالاجتهاد بكل أنواع أطايب الاحتمال!

العلامة ترتليان

"ثم جثا على ركبتيه،

وصرخ بصوت عظيم:

يا رب لا تُقم لهم هذه الخطية.

وإذ قال هذا رقد". [٦٠]

ختم القديس استفانوس حياته بصلاة وداعية فائقة، إذ قدم شفاعة لدي الله من أجل مضطهديه.

إذ واجه القديس استفانوس الموت شهد للسيد المسيح أنه واحد مع الآب في يديه، يستودعه روحه. لقد تشبَّه بسيده في لحظات صلبه. "ونادي يسوع بصوتٍ عظيمٍ وقال: يا أبتاه في يديك استودع روحي" (لو ٢٣: ٤٦). لقد سبق فصرخ المرتل: "أخرجني من الشبكة التي خبأوها لي، لأنك أنت حصني، في يدك استودع روحي" (مز ٣١: ٥)

تحت قيادة الروح القدس جثا بركبتيه لكي يستشهد وهو في حالة صلاة. وقد وهبه الروح قوة ليصرخ بصوت عظيم، بينما كان الجسد ضعيفًا للغاية تحت ضربات الحجارة القاسية. كما كشف الروح عن قلبه المتسع بالحب، فتشبَّه بسيده على الصليب: "لا تقم لهم هذه الخطية".

أخيرًا: "لما قال هذا رقد"، إنه لم يمت، لكنه رقد في ليل هذا العالم ليستيقظ على نور نهار الله الذي يمسح كل دمعةٍ، ويدخل به إلى فرح سيده ويشارك السمائيين تهليلهم وبهجتهم!

v إذ قال هذا رقد في موته. يا له من نومٍ طوباوي، وراحة حقيقية! انظروا ماذا يعني أنه يستريح سعيدًا: أن يصلي من أجل أعدائه.

v بحبك لإنسان هو عدوك تصير صديقًا لله؛ في الحقيقة ليس صديقه فقط بل وابنه، كما يقول الرب نفسه: "أحبوا أعداءكم، أحسنوا إلى مبغضيكم، هذا يبرهن أنكم أبناء أبيكم السماوي" (راجع مت ٥: ٤٤-٤٥) .

v لنجاهد أن نعمل كأطباء نحو كل الأشرار. لنكره أعمالهم الشريرة، لا الناس أنفسهم. لنصلي من أجل كل الصالحين لكي ما يرتفعون دومًا إلى حياة أفضل، ومن أجل الأشرار لكي ما يتمتعون سريعًا بحياة صالحة خلال أدوية التوبة. عندما نصلي من أجل هذا، فإنه يهبنا نحن ذلك.

v حزن (استفانوس) بالأكثر على خطاياهم أكثر من حزنه على جراحاته. حزن على شرورهم أكثر من حزنه على موته. تصرف بحق؛ بالتأكيد يوجد في تصرفهم الشرير ما يلزم النوح عليه، بينما لم يوجد شيء في موته ليحزن عليه. الموت الأبدي تبع شرهم بينما الحياة التي بلا نهاية تبعت موته... ليتنا نحب اخوتنا في الكنيسة بذات الروح التي بها أحب استفانوس أعداءه.

v إن كان القديس استفانوس قد سيم شماسًا بواسطة الرسل، فقد سبق الرسل أنفسهم بموته المنتصر المبارك. الذي كان أقل في الرتبة صار الأول في الألم؛ والذي كان تلميذًا صار معلمًا باستشهاده متممًا ما قاله النبي الطوباوي في المزمور: "ماذا أرد للرب من أجل كل إحساناته عليَّ؟" (مز ١١٦: ٢) .

الأب قيصريوس أسقف آرل

v كان سلوك المسيح نفسه فوق كل الآخرين، وذلك كمثالٍ لنا. لأنّه بينما كان لايزال معلقًا على الصليب الثمين، وجموع اليهود يهزأون به، قدّم للّه الآب صلوات لحسابهم، قائلاً: "اغفر لهم، لأنّهم لا يعلمون ماذا يفعلون" (لو٢٣: ٣٤). وأيضًا الطوباوي استفانوس بينما كان يُرجم بالحجارة، جثا على ركبتيه، قائلاً: "**يا رب لا تقم لهم هذه الخطية**". وبولس الطوباوي أيضًا يقول: "نُشتم فنبارك، يُفترى علينا فنعظ" (١ كو ٤: ١٢).

القديس كيرلس الكبير

v إن كان ربّكم مثالاً عاليًا جدًا عليكم أن تحوّلوا أفكاركم نحو زميلكم الخادم. فقد كان القديس استفانوس يُرجم، وإذ كانوا يرجمونه كان يصلّي بركبٍ منحنية لأجل أعدائه، قائلاً: "يا رب لا تقم لهم هذه الخطية" [٦٠]. لقد كانوا يقذفونه بالحجارة ولم يكونوا طالبين العفو، ومع ذلك صلّى لأجلهم. أريد أن تكونوا مثله. فلتتقدّموا إلى الأمام بالنسبة لأعدائكم. إن لم تستطيعوا أن تحبّونهم أثناء قسوتهم، فلتحبّونهم على الأقل عندما يسألونكم العفو.

القديس أغسطينوس

v أنه لم يقف عند عدم قذف جالديه باللعنات، بل وصلى من أجلهم، وأنتم لا تكتفون بعدم الصلاة من أجل أعدائكم، بل تلعنوهم. بقدر ما كان استفانوس جديرًا بالإعجاب، بنفس القدر أنت بائس... أية عقوبة نحن لا نستحقها؟ قد تظنون أنكم تجرحون عدوكم، في الحقيقة أنتم تصوبون السلاح ضد أنفسكم. إذ لا تعطون فرصة للديان أن يكون رحيمًا من جهة خطاياكم، وذلك بإثارته ضد خطايا الغير. "لأنكم بالدينونة التي بها تدينون تُدانون، وبالكيل الذي به تكيلون يُكال لكم" (مت ٧: ٢). لنكن رحماء، فننال الرحمة من قبل الرب.

v لن يسكن الروح القدس حيث يوجد الغضب، بل ملعونون هم الغضبى. لا يمكن أن يحل الأمان قط حيث يوجد الغضب. إنما كعاصفة في البحر، اضطراب عظيم، صخب شديد، لا مجال قط لتعلم دروس الحكمة، هكذا عندما يوجد السخط.

v عندما صمت صوت استفانوس، صار صوت بولس المبوّق يدوي.

القديس يوحنا الذهبي الفم

v هكذا كان سلوك المسيح نفسه فوق كل الآخرين، وذلك كمثالٍ لنا، لأنه بينما كان لايزال معلقًا على الصليب الثمين، وبينما كان الشعب اليهودي يهزأون به، قدّم للّه الآب صلوات من أجلهم، قائلاً: "اغفر لهم، لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون" (لو ٢٣: ٣٤).

وأيضًا استفانوس الطوباوي بينما كان يُرجم بالحجارة، جثا على ركبتيه، قائلاً: "يا رب الذي تُقم لهم هذه الخطية" (أع ٧: ٦٠).

وبولس الطوباوي أيضًا يقول: "نُشتم فنبارك، يُفترى علينا فنعظ" (١ كو ٤: ١٢)...

لكن ربّما تعترضون قائلين في داخلكم: المسيح هو اللّه، أمّا أنا فإنسان ضعيف، وليس لي إلا عقل ضعيف عاجز عن أن يُقاوم هجمات الشهوة والألم. إنك تتكلم بالصواب، لأن عقل الإنسان ينزلق بسهولة إلى الخطأ، ومع ذلك أقول أن الرب لم يتركك محرومًا من رحمته، فأنت مقتنيه في داخلك بواسطة الروح القدس، لأننا نحن مسكنه، وهو يسكن في نفوس الذين يحبّونه. إنه يعطيك قوّة لكي تحتمل بنبلٍ كل ما يحلّ بك، وأن تقاوم برجولة هجمات التجارب. لذلك "لا يغلبنّك الشر، بل اغلب الشرّ بالخير" (رو ١٢: ٢١).

القديس كيرلس الكبير

- إذ تمثّل التلاميذ أيضًا بالسيد المسيح، عندما كانوا يسقطون تحت الآلام بنفس الطريقة، صلوا من أجل قاتليهم.

المعارف

- يليق بشهيد المسيح الأول أن يكون هكذا، هذا الذي هو سابق للشهداء يتبع المسيح في موته المجيد، لا يكرز فقط بآلام المسيح، بل ويقتدي أيضًا بصبره الفائق المملوء لطفًا.

الشهيد كبريانوس

- تفوق شريعة الرب ناموس الطبيعة والناموس الذي أعلنه موسى. لأن غير المستطاع عند البشر مُستطاع عند اللّه (لو١٨: ٢٧). لكن المسيح لم يشترع المستحيلات، فإن استفانوس أظهر ذلك في وقت آلامه، عندما أحنى ركبتيه وصلّى من أجل الذين كانوا يرجمونه. بنفس الطريقة، فإن بولس الذي عانى الكثير من أيدي اليهود صلّى أيضًا لأجلهم. فإن ندرة حدوث هذه الأمور لا يُظهر أنّها مستحيلة. لأن أغلب الشعب يظنّون أنّها أمور يصعب تنفيذها، وذلك بسبب عدم الرغبة في الصراع للبلوغ إلى قمّة الفضيلة.

ثيوّدور أسقف هيراقليا

اختار القديس استفانوس حتى في لحظات رجمه أن يركع ليصلي. لذا جثا على ركبتيه غير متطلع إلى الحجارة التي تنهال عليه بل إلى خلاص مضطهديه.

رقد القديس استفانوس بقلبٍ مملوءٍ حبًا ونفسٍ مملوءةٍ سلامًا فائقًا. لم يشغله خروج نفسه من جسده، ولم يفكر فيما يعانيه جسده من الآم أثناء الرجم، لكن وقد اختبر الحياة السماوية، لم يكن ممكنًا للموت ولا لقوةٍ ما، أن تفقده سلامه حتى تسليم النفس الأخير.

شتان ما بين موت الأشرار ورقاد القديسين! فالأشرار يرتعبون في لحظات الموت لدخولهم إلى ما هو مجهول، أما القديسون فيتهللون عند رقادهم لأنهم طالما اشتاقت نفوسهم إلى تلك اللحظات السعيدة!

من وحي أعمال الرسل ٧

أينما حللت أراك في داخلي،

تسكب بهاءك عليَّ!

- لقبك مفرح يا إله المجد.

أعلنت مجدك **لأبي إبراهيم،**

لا ليمجدك، بل لكي يتمتع ببهاء مجدك!

لم يرك في أورشليم، ولا في الهيكل،

لكنه تمتع بك في كور الكلدانيين الوثنيين!

- وعدته بأرض الموعد، لكنك لم تعطه وطأة قدم فيها.

لكي يطلب الأرض الجديدة والسماء الجديدة!

وعدته أن ينعم نسله بأرض الموعد،

لكنه لن يدخلها ما لم يُستعبد أبعمائة عام.

هل لي أن أحتمل كل ألم وتجربة،

فأدخل لا أرض الموعد، بل كنعان السماوية؟

- هب لي مع يوسف البار القلب المتسع لمبغضيَّ.

مؤمنًا أنهم وإن باعوني عبدًا،

فذلك لمجدي ولخلاصهم!

ليغلقوا أبواب قلوبهم،

أما قلبي فدومًا متسع لهم.

ليدبروا الشر،

فأنت تقيم من شرهم خيرًا لي ولهم.

لترسلني إلى مصر عبدًا،

هناك أراك يا خالق الكل، قد صرت عبدًا لأجلي!

- ما كان لوالديّ **موسى** أن يحتفظا به سوى ثلاثة شهور.

عجزت أياديهما البشرية، فامتدت يدك لخلاصه.

كنت ترعاه في قصر فرعون،

ولم تفارقه قوتك!

قدمت له لبن كنيستك المقدسة غير الغاش،

إذ رعته أمه وسط الجو الوثني.

تدرب على حكمة العالم وفلسفته،

لكنه استهان بكل مجدٍ وعلمٍ ملوكي،

من أجل عار صليبك.

- رفضه شعبه، فهرب إلى البرية،

هناك نسي العالم ومباهجه وحكمته،

هناك اختلى بك يا أيها القدوس،

هناك رعى حواسه ومشاعره وكل طاقاته كقطيعك المقدس.

في سكون برية نفسه،

رآك في العليقة الملتهبة نارًا.

ما لم يره نبي أو رئيس كهنة في الهيكل،

رآه نبيك في سكون البرية.

خلع حذائه لأنه صار واقفًا فيما هو أعظم من قدس الأقداس!

هب لي بروحك القدوس أن أخلع كل ما هو ميت فيّ،

فيؤهلني للتمتع بنور أسرارك.

- قاومه الشعب وحاولوا قتله،

حتى في لحظات إحساناته عليهم كقائدٍ يعمل بقوتك!

بقي قلبه مفتوحًا لمقاوميه حتى آخر نسمة في حياته!

أقام لك **سليمان** هيكلاً،

مع كل المجد الذي ناله، هل صار في مرتبة داود أبيه؟

بنى لك هيكلاً، أما قلب داود فكان على مثال قلبك!

- هب لي أن أراك في داخلي،

تسكب بهاء حبك ومجدك في أعماقي!

أتمتع بالأرض الجديدة مع أبي إبراهيم،

والقلب المتسع مع يوسف البار،

وإدراك أسرارك مع موسى النبي،

ونقاوة القلب مع داود الملك!

١ فقال رئيس الكهنة اترى هذه الامور هكذا هي
٢ فقال ايها الرجال الاخوة و الاباء اسمعوا ظهر اله المجد لابينا ابراهيم و هو في ما بين النهرين قبلما سكن في حاران
٣ و قال له اخرج من ارضك و من عشيرتك و هلم الى الارض التي اريك
٤ فخرج حينئذ من ارض الكلدانيين و سكن في حاران و من هناك نقله بعدما مات ابوه الى هذه الارض التي انتم الان ساكنون فيها
٥ و لم يعطه فيها ميراثا و لا وطاة قدم و لكن وعد ان يعطيها ملكا له و لنسله من بعده و لم يكن له بعد ولد
٦ و تكلم الله هكذا ان يكون نسله متغربا في ارض غريبة فيستعبدوه و يسيئوا اليه اربع مئة سنة
٧ و الامة التي يستعبدون لها سادينها انا يقول الله و بعد ذلك يخرجون و يعبدونني في هذا المكان
٨ و اعطاه عهد الختان و هكذا ولد اسحق و ختنه في اليوم الثامن و اسحق ولد يعقوب و يعقوب ولد رؤساء الاباء الاثني عشر
٩ و رؤساء الاباء حسدوا يوسف و باعوه الى مصر و كان الله معه
١٠ و انقذه من جميع ضيقاته و اعطاه نعمة و حكمة امام فرعون ملك مصر فاقامه مدبرا على مصر و على كل بيته
١١ ثم اتى جوع على كل ارض مصر و كنعان و ضيق عظيم فكان اباؤنا لا يجدون قوتا
١٢ و لما سمع يعقوب ان في مصر قمحا ارسل اباءنا اول مرة
١٣ و في المرة الثانية استعرف يوسف الى اخوته و استعلنت عشيرة يوسف لفرعون
١٤ فارسل يوسف و استدعى اباه يعقوب و جميع عشيرته خمسة و سبعين نفسا
١٥ فنزل يعقوب الى مصر و مات هو و اباؤنا
١٦ و نقلوا الى شكيم و وضعوا في القبر الذي اشتراه ابراهيم بثمن فضة من بني حمور ابي شكيم
١٧ و كما كان يقرب وقت الموعد الذي اقسم الله عليه لابراهيم كان ينمو الشعب و يكثر في مصر
١٨ الى ان قام ملك اخر لم يكن يعرف يوسف
١٩ فاحتال هذا على جنسنا و اساء الى ابائنا حتى جعلوا اطفالهم منبوذين لكي لا يعيشوا
٢٠ و في ذلك الوقت ولد موسى و كان جميلا جدا فربي هذا ثلاثة اشهر في بيت ابيه
٢١ و لما نبذ اتخذته ابنة فرعون و ربته لنفسها ابنا
٢٢ فتهذب موسى بكل حكمة المصريين و كان مقتدرا في الاقوال و الاعمال
٢٣ و لما كملت له مدة اربعين سنة خطر على باله ان يفتقد اخوته بني اسرائيل
٢٤ و اذ راى واحدا مظلوما حامى عنه و انصف المغلوب اذ قتل المصري
٢٥ فظن ان اخوته يفهمون ان الله على يده يعطيهم نجاة و اما هم فلم يفهموا
٢٦ و في اليوم الثاني ظهر لهم و هم يتخاصمون فساقهم الى السلامة قائلا ايها الرجال انتم اخوة لماذا تظلمون بعضكم بعضا
٢٧ فالذي كان يظلم قريبه دفعه قائلا من اقامك رئيسا و قاضيا علينا
٢٨ اتريد ان تقتلني كما قتلت امس المصري
٢٩ فهرب موسى بسبب هذه الكلمة و صار غريبا في ارض مديان حيث ولد ابنين
٣٠ و لما كملت اربعون سنة ظهر له ملاك الرب في برية جبل سيناء في لهيب نار عليقة
٣١ فلما راى موسى ذلك تعجب من المنظر و فيما هو يتقدم ليتطلع صار اليه صوت الرب
٣٢ انا اله ابائك اله ابراهيم و اله اسحق و اله يعقوب فارتعد موسى و لم يجسر ان يتطلع
٣٣ فقال له الرب اخلع نعل رجليك لان الموضع الذي انت واقف عليه ارض مقدسة
٣٤ اني لقد رايت مشقة شعبي الذين في مصر و سمعت انينهم و نزلت لانقذهم فهلم الان ارسلك الى مصر
٣٥ هذا موسى الذي انكروه قائلين من اقامك رئيسا و قاضيا هذا ارسله الله رئيسا و فاديا بيد الملاك الذي ظهر له في العليقة
٣٦ هذا اخرجهم صانعا عجائب و ايات في ارض مصر و في البحر الاحمر و في البرية اربعين سنة
٣٧ هذا هو موسى الذي قال لبني اسرائيل نبيا مثلي سيقيم لكم الرب الهكم من اخوتكم له تسمعون

٣٨ هذا هو الذي كان في الكنيسة في البرية مع الملاك الذي كان يكلمه في جبل سيناء و مع ابائنا الذي قبل اقوالا حية ليعطينا اياها
٣٩ الذي لم يشا اباؤنا ان يكونوا طائعين له بل دفعوه و رجعوا بقلوبهم الى مصر
٤٠ قائلين لهرون اعمل لنا الهة تتقدم امامنا لان هذا موسى الذي اخرجنا من ارض مصر لا نعلم ماذا اصابه
٤١ فعملوا عجلا في تلك الايام و اصعدوا ذبيحة للصنم و فرحوا باعمال ايديهم
٤٢ فرجع الله و اسلمهم ليعبدوا جند السماء كما هو مكتوب في كتاب الانبياء هل قربتم لي ذبائح و قرابين اربعين سنة في البرية يا بيت اسرائيل
٤٣ بل حملتم خيمة مولوك و نجم الهكم رمفان التماثيل التي صنعتموها لتسجدوا لها فانقلكم الى ما وراء بابل
٤٤ و اما خيمة الشهادة فكانت مع ابائنا في البرية كما امر الذي كلم موسى ان يعملها على المثال الذي كان قد راه
٤٥ التي ادخلها ايضا اباؤنا اذ تخلفوا عليها مع يشوع في ملك الامم الذين طردهم الله من وجه ابائنا الى ايام داود
٤٦ الذي وجد نعمة امام الله و التمس ان يجد مسكنا لاله يعقوب
٤٧ و لكن سليمان بنى له بيتا
٤٨ لكن العلي لا يسكن في هياكل مصنوعات الايادي كما يقول النبي
٤٩ السماء كرسي لي و الارض موطئ لقدمي اي بيت تبنون لي يقول الرب و اي هو مكان راحتي
٥٠ اليست يدي صنعت هذه الاشياء كلها
٥١ يا قساة الرقاب و غير المختونين بالقلوب و الاذان انتم دائما تقاومون الروح القدس كما كان اباؤكم كذلك انتم
٥٢ اي الانبياء لم يضطهده اباؤكم و قد قتلوا الذين سبقوا فانباوا بمجيء البار الذي انتم الان صرتم مسلميه و قاتليه
٥٣ الذين اخذتم الناموس بترتيب ملائكة و لم تحفظوه
٥٤ فلما سمعوا هذا حنقوا بقلوبهم و صروا باسنانهم عليه
٥٥ و اما هو فشخص الى السماء و هو ممتلئ من الروح القدس فراى مجد الله و يسوع قائما عن يمين الله
٥٦ فقال ها انا انظر السماوات مفتوحة و ابن الانسان قائما عن يمين الله
٥٧ فصاحوا بصوت عظيم و سدوا اذانهم و هجموا عليه بنفس واحدة
٥٨ و اخرجوه خارج المدينة و رجموه و الشهود خلعوا ثيابهم عند رجلي شاب يقال له شاول
٥٩ فكانوا يرجمون استفانوس و هو يدعو و يقول ايها الرب يسوع اقبل روحي
٦٠ ثم جثا على ركبتيه و صرخ بصوت عظيم يا رب لا تقم لهم هذه الخطية و اذ قال هذا رقد

الباب الثالث

في اليهودية والسامرة

ص ٨- ص ٩

الأصحاح الثامن

شاول يضطهد الكنيسة

كان استشهاد القديس استفانوس بداية لحركة اضطهاد قاسية على الكنيسة، دفعت كثير من المؤمنين إلى ترك أورشليم وتشتيتهم. فتح هذا التشتيت الباب للخدمة بكل قوة خارج أورشليم، في اليهودية والسامرة.

١. اضطهاد عظيم على الكنيسة ١-٣.

٢. خدمة فيلبس في السامرة ٤-٨.

٣. إيمان سيمون الساحر ٩-١٣.

٤. بدء فكرة السيمونية ١٤-٢٥.

٥. إيمان الوزير الأثيوبي ٢٦-٣٥.

٦. عماد الوزير الأثيوبي ٣٦-٣٨.

٧. القديس فيلبس في أشدود ٣٩-٤٠.

١. اضطهاد عظيم على الكنيسة

"وكان شاول راضيًا بقتله،

وحدث في ذلك اليوم اضطهاد عظيم على الكنيسة

التي في أورشليم،

فتشتّت الجميع في كور اليهودية والسامرة، ماعدا الرسل". [١]

أعلن السيد المسيح لتلاميذه وهو في طريقه للصليب "العالم يفرح، وأنتم تحزنون" (يو ١٦: ٢٠). الآن إذ رُجم القديس استفانوس حزن كثير من المؤمنين عليه، بينما فرح شاول الطرسوسي، لأنه تخلص منه، وقد ظن أن هذه بداية نهاية التلاميذ والكنيسة وذِكرْ اسم يسوع المصلوب في العالم. فقد جاءت كلمة "**راضيًا**" تحمل الرضا القلبي مع البهجة، إذ وجد مسرته في ذلك. ولعل بولس الرسول اعترف بذلك أمام كثيرين من بينهم القديس لوقا، تبكيتًا لنفسه، وشهادة حية لنعمة الله الغنية التي حولته عن البهجة بقتل الكارزين، ليجد لذته في احتماله اليومي للموت من أجل الكرازة باسم يسوع المصلوب. كان بولس الرسول يشعر بالذنب والندم على تلك الأيام التي كان يُسر فيها باضطهاد المسيحيين، حيث كان يود أن يشبع مشاعره الداخلية أنه يقدم خدمة لله.

لم يكن في ذهن المؤمنين بعد فكرة الكرازة بين الأمم، فقد كانت أفكارهم محصورة في الكنيسة داخل أورشليم. ولعل التلاميذ والرسل أنفسهم وقد سمعوا الوصية المتكررة من فم السيد المسيح حتى قبيل صعوده أن يشهدوا له في كل العالم لم يعرفوا كيف يبدأون الخدمة خارج أورشليم.

استشهاد استفانوس وتفجير حركة اضطهاد ضد الكنيسة في أورشليم دفع المؤمنين للهجرة خارجًا، فكانوا أشبه بالبذار التي غُرست في بلاد كثيرة لنشأة كنائس هناك.

١. استشهاد القديس استفانوس فجَّر اضطهادًا عظيمًا على الكنيسة التي في أورشليم، فما سرّه؟

يصعب جدًا تبرير بقاء الرسل في أورشليم بينما تشتّت الشعب خارجها، إنّما يمكن القول أولاً وآخرًا أن هذه هي مسرّة السيّد المسيح رأس الكنيسة، الذي أراد أن يبقى الرسل في أورشليم للعمل في الكنيسة الناشئة حديثًا، لكي تكون مركز قوّة روحيّة تسند الكنائس التي تنشأ بواسطة الذين تشتّتوا، وأيضًا الرسل فيما بعد. أراد السيّد المسيح أن يعلن خطّته، أن المدينة التي قاومته وصلبته تبقى مركزًا حيًا للعمل الروحي بواسطة رسله القدّيسين.

٢. إلى ذلك الحين كان اليهود والرومان يحسبون المسيحيين طائفة يهودية ملتزمة بالاشتراك في عبادة الهيكل، ولم تكن القيادات اليهودية، حتى مجمع السنهدرين، تدرك الموقف الحقيقي للإيمان المسيحي. لكن حديث القديس استفانوس الصريح وتأكيده لما سبق فأعلنه السيد المسيح أن الهيكل سيُنقض، وأن العادات اليهودية ستتغير، مثل ختان الجسد وحفظ السبت وقوانين التطهيرات، أثار اليهود للخلاص نهائيًا من أتباع يسوع، لأن وجودهم، خاصة في أورشليم، حيث الهيكل وطقوس الأعياد يمثل خطرًا فادحًا.

٣. امتلأت القيادات اليهودية مرارة إذ أدركوا في خطاب القديس استفانوس اتهامًا علنيًا بأن مجمع السنهدرين قد ارتكب جريمة قتلٍ ليسوع البار. لقد خشوا من نشر هذا الاتهام على مستوى شعبي، حتى بين اليهود غير المؤمنين بيسوع، فيهز صورة قدسية المجمع وربما سلطانه. لذا وجب الخلاص من أتباع المصلوب بأسرع ما يمكن.

٤. يُدعى سافكو الدماء في الكتاب المقدس "عطشى لسفك الدماء"، فيظن المحب لسفك الدماء أنه إذ يمارس الجريمة تشبع أعماقه فيستريح. لكن حينما يسفك الشخص دم أخيه يزداد ظمأ نحو سفك الدم، وهذا بدوره يولد رغبة أحر نحو سفك دمٍ آخر، وذلك كما يولد الغضب ثورة في النفس أكثر، فيزداد الغضوب حدة وكراهية.

٥. لعل استشهاد القديس استفانوس بروح الحب والقوة وهب حتى الضعفاء من المؤمنين قوة للشهادة ليسوع المسيح، فتحول كثيرون بسبب ذلك إلى الشهادة للسيد علانية، ودخل كثيرون في حوار مع اليهود، مما ألهب الموقف جدًا في أورشليم.

٦. كان لا بد أن تُطرد الكنيسة خارج أورشليم لتحمل مع سيدها عار الصليب خارج المحلة.

٧. الآن تخلص شاول الطرسوسي من القديس استفانوس الذي كان يفحمه، لكنه خشي أن يظهر استفانوس آخر يحمل ذات الأفكار، لذلك كرّس شاول طاقاته لمقاومة الكنيسة وتبديدها تمامًا.

٧. لقد ظن شاول أن بموت استفانوس يتنسم الحياة من جديدٍ بلا مقاومة روحية لاهوتية وفكرية، ولم يدرك أن موت استفانوس كان بداية انطلاقة ثورة فكرية في داخله، ليبدأ حياة جديدة على ذات الخط الذي عاش فيه استفانوس. وأن انطلاق استفانوس السريع إلي الفردوس صار سندًا لتحول شاول إلى الإيمان، وقبوله بفرحٍ الآلام والاضطهادات، بل والموت اليومي من أجل اسم يسوع المسيح. هنا يربط القديس لوقا بين استشهاد القديس استفانوس ودخول شاول الطرسوسي في إنجيل الكنيسة، حيث يبدأ الفصل الأول من هذا السفر العملي كأعنف مضطهدٍ للكنيسة، الذي يدفع بالمؤمنين إلى تشتتهم في كور اليهودية والسامرة. لم يدرك أن الروح القدس يستخدم حتى عنفه الشديد لكي ينطلق المؤمنون بعيدًا عن الهيكل بكل طقوسه واجتماعاته اليومية، فينفتح باب الإيمان للأمم.

لقد بقي الرسل في أورشليم، ربما لأن جميعهم عبرانيون فلم يخشَ مجمع السنهدرين من أن يغّيروا العوائد اليهودية، لكن المجمع لم يحتمل بقاء مؤمنٍ واحدٍ يهودي يوناني متنصر، لئلا يظهر استفانوس جديد يقاوم الهيكل والعوائد. ولعل الرسل بقوا هناك، لأنهم شعروا من واجبهم أن يحثوا الشعب على الهروب من الاضطهاد، حتى لا يسقط أحد الضعفاء في إنكار الإيمان، ولكي يشهدوا ليسوع خارج أورشليم. أما هم ففي شجاعة يواجهوا أول حلقة من حلقات الاضطهاد.

"وحمل رجال أتقياء استفانوس،

وعملوا عليه مناحة عظيمة". [٢]

يرى البعض أن "**الأتقياء**" هنا يُقصد بهم الدخلاء الذين بروح التقوى تركوا الوثنية وقبلوا اليهودية، ربما كان استفانوس نفسه واحدًا منهم. بينما يرى آخرون أنها تحمل معنى أوسع، وهم المؤمنون بالسيد المسيح أيا كان أصلهم، وقد كانوا مملوءين بروح التقوى والغيرة؛ هؤلاء اهتموا بالجثمان الذي تحطم بالحجارة وتهرأ، ليقوموا بدفنه.

يرى آخرون أنه يمكن أن يعني الأتقياء سواء من المسيحيين واليهود أيضًا الذين مع عدم قبولهم الإيمان المسيحي، لكنهم لم يحملوا روح عداوة ضد يسوع المسيح، ولا ضد تلاميذه وأتباعه، وربما اقتنعوا داخليًا بالإيمان المسيحي لكنهم لم يقدروا أن يجاهروا به بعد. هؤلاء لم يستريحوا لرجم القديس استفانوس. وربما شعروا بالظلم، إذ رأوا وجهه كوجه ملاكٍ حتى اللحظة الأخيرة من انتقاله، وسمعوا كلماته الخاصة بانفتاح السماء، وأيضًا طلب المغفرة لراجميه.

يرى البعض أن كلمة "**مناحة**" في اليونانية كوبتون kopeton معناها الضرب على الصدر؛ ومنها جاءت كلمة "اجيتو" أو "قبطي"، حيث كانت عادة المصريين الدق على الصدر في النواح. وقد تعلم اليهود ذلك منهم، كما حدث في دفن يعقوب حيث "ناحوا نوحًا (ضرب الصدور) عظيمًا وشديدًا جدًا، وصنع لأبيه مناحة (الضرب على الصدور)..." (تك ٥٠: ٧، ١٠، ١١).

بحسب المشناة لا تُعمل مناحة لمن صدر عليهم حكم بسبب خروجهم على الناموس. لكن يبدو أن كثير من الفريسيين رأوا في رجم استفانوس خروجًا عن القانون، لذلك سمحوا بعمل مناحة عظيمة.

ربما يتعجب البعض متسائلين: لماذا صُنعت مناحة عظيمة لشهيدٍ رأى السماوات مفتوحة، ويسوع قائمًا عن يمين الله، وقد صار وجه استفانوس قبل استشهاده كوجه ملاكٍ؟

سألت القديسة باولا Paula **القديس جيروم**: لماذا لا أبكي على بلاسيلا Blaesilla التي تنيحت خلال ثلاثة شهور من قبولها الإيمان؟ أجابها: [لا نتعجب عندما نقرأ عن موسى وهرون أنه قد عُملت عليهما مناحة حسب العادة القديمة، فإنه حتى في أعمال الرسل، في كمال بهاء الإنجيل، نرى الإخوة في أورشليم قد عملوا مناحة عظيمة على استفانوس. لا تشير هذه المناحة العظيمة إلى الحزانى، **وإنما إلى موكب الجنازة والجمهور الذي رافقها**. هذا ما يقوله الكتاب المقدس عن يعقوب: "فصعد يوسف ليدفن أباه وصعد معه **جميع عبيد فرعون شيوخ بيته وجميع شيوخ أرض مصر**، وكل بيت يوسف واخوته وبيت أبيه" (تك ٥٠: ٧-٨). وبعد أسطر قليلة أكمل: "وصعد معه مركبات وفرسان، فكان الجيش كثيرًا جدًا"، وأخيرًا "ناحوا هناك نوحًا عظيمًا وشديدًا جدًا" (تك ٥٠: ١٠). لم تفرض هذه المناحة المهوبة على المصرين أن يستمروا في بكائهم، إنما تصف مراسيم الجنازة. ففي يسوع، أي في إنجيل المسيح الذي فتح لنا باب الفردوس، صار الموت يصحبه الفرح لا الحزن.]

أقيمت هذه الجنازة الفخمة للتعبير عن الآتي:

أ. أراد هؤلاء الأتقياء تكريم ذاك الذي رُجم ظلمًا.

ب. عبَّر المسيحيون عن عدم خجلهم من العلة التي بسببها رُجم القديس استفانوس، وأنهم لن يخشوا غضب مجمع السنهدرين أو غيرهم ممن يحملون عداوة نحو المؤمنين.

ج. إذ كان القديس استفانوس أول شهيد على اسم السيد المسيح بعد حلول روحه القدوس على الكنيسة، أعلنت الكنيسة اعتزازها بهذا الاستشهاد، بكونه ثمينًا في عيني الله وعيني الكنيسة، علامة كرامة ونصرة. إنهم يكرمون ذاك الذي يكرمه الله نفسه. أرادوا تقديم شهادة عملية لإيمانهم بالقيامة من الأموات وحياة الدهر الآتي.

الكلمة المترجمة "**حمل**" ترجمتها "جمع"، كما يُجمع محصول الفاكهة. لعل جثمان القديس قد تهرَّأ، فجمعوه ولفوه في أكفان، ووضعوا عليه أطياب. إنه بالحق أشبه بفاكهة سماوية، جُمعت من حديقة الحب الإلهي، ليجد فيها السمائيون نسمات المسيح الزكية ورائحة الحب الفائق.

"وأمّا شاول فكان يسطو على الكنيسة،

وهو يدخل البيوت ويجر رجالاً ونساء،

ويسلّمهم إلى السجن". [٣]

الكلمة اليونانية *elumaineto* المترجمة "**يسطو**" في الأصل اليوناني تُستخدم لسطو الوحوش المفترسة على الإنسان لتمزقه، وهي قريبة من الكلمة التي استخدمها الرسول نفسه عندما اعترف: "كنت اضطهد كنيسة الله بإفراط وأتلفها" (غل ١: ١٣). هكذا كان شاول كوحشٍ مفترسٍ "لم يزل ينفث تهددًا وقتلاً" (أع ٩: ١).

في أكثر من موقفٍ يصف الرسول بولس نفسه كيف كان يضطهد الكنيسة بسلطان من قِبَلْ رئيس الكهنة، مستخدمًا كل وحشية (أع ٢٢: ٤-٥، ١٩؛ ٢٦: ٩-١١؛ ١ تي ١: ١٣). وقد نتج عن هذا الاضطهاد قتل بعض المؤمنين كما شهد الرسول بولس عن نفسه (أع ٢١: ٤؛ ٢٦: ١٠).

كان السنهدرين يصادر ممتلكات المسيحيين، وكان اليهود ينهبون ثرواتهم، وكما يقول الرسول بولس عن خبرة عاشها: "قبلتم سلب أموالكم بفرحٍ، عالمين في أنفسكم أن لكم مالاً أفضل في السماوات وباقيًا" (عب ١٠: ٣٤).

كان بسلطانٍ يقتحم كل بيتٍ به شخص مسيحي أو أكثر، ليلاً أو نهارًا، يكسر الأبواب بالقوةِ. يقيد الرجال والنساء، ويجرهم في الشوارع، غير مبالٍ بمريضٍ أو شيخٍ أو سيدةٍ، مقتادًا الكل إلى السجن، حتى يصدر الحكم عليهم بالقتل، اللهم إلا إذا أنكروا الإيمان، وجدفوا على اسم يسوع المسيح، وقد ألزم البعض على ذلك (أع ٢٦: ١١).

كان في سلطان مجمع السنهدرين أن يسجن من يراهم مجرمين ضد الدين، لكن ليس من حقهم الحكم برجمهم أو قتلهم بدون إذن السلطات الرومانية.

كان شاول الفريسي الشاب المملوء غيرة على تقليدات آبائه أفضل أداة في نظر رئيس الكهنة لتحقيق هدفه، وأفضل رسول لمجمع السنهدرين لإتمام رسالته. وكان شاول مقتنعًا بما يفعله. ففي نظره كيف يمكن لمجرمٍ مصلوبٍ أن يدعي بأنه المسيا، وقد شهد الكتاب المقدس أنه ملعون من علق على خشبة. لهذا كان في نظر نفسه رجلاً مؤمنًا كتابيًا يتطلع إلى يسوع أنه مخادع، وإلى هذه الحركة الجديدة إنها تجديف على الله وعلي ناموسه وهيكله، كما على الأمة اليهودية كلها.

٢. خدمة فيلبس في السامرة

"فالذين تشتّتوا، جالوا مبشرين بالكلمة". [٤]

تحقق قول السيّد المسيح: "جئت لألقي نارًا، فماذا أريد لو اضطربت؟" (لو١٢: ٤٩). فقد شعرت القيادات اليهوديّة بأن نار الكرازة بالمسيح المخلّص قد التهبت في أورشليم، وإذ أرادوا إخمادها صبّوا غضبهم وأثاروا الاضطهاد على من التهبت نفوسهم بنار الروح القدس. تشتّت المؤمنون خارج أورشليم، لكن لم يكن ممكنًا لقوّات الظلمة أن تطفئ نار الروح، بل التهبت النيران في المناطق المحيطة.

أرادوا طردهم من مدينة اللّه أورشليم، فإذا باللّه يقيم له مدنًا وقلوبًا يسكن فيها في مواضع كثيرة، بلغت إلى السامرة التي يكنّ اليهود لها كل عداوة.

تشتت المُضطهدون، فجالوا يبشرون بالكلمة. وجاءت الكلمة اليونانية للتشتت تشير إلى نثر البذور. فقد أثمرت دماء الشهداء، وقدم الاضطهاد نموًا في حياة الكنيسة، فلم تحل بالكنيسة حالة من الإحباط والشكوى والتذمر والضيق، بل على العكس جال المُضطهدون ينثرون بذار الإيمان في بلادٍ كثيرةٍ، فلم يعد الإيمان حبيس مدينة أورشليم.

ليس من دليلٍ على أن الذين تشتتوا كانوا مُسامين للعمل الكرازي، بل كانوا من الشعب، فحيث يمتلئ القلب بالحب يفيض الفم بالحديث عن المخلص. ليس شيء أحب لدى المسيحي من الاهتمام بخلاص كل نفس، والعمل لحساب ملكوت الله كي يتمتع كل إنسان بعمل الله الفائق.

الكرازة أو الشهادة لإنجيل الخلاص هي **عمل جوهري يمارسه كل مؤمن**، سواء كان كاهنًا أو من الشعب، رجلاً أو امرأة، صاحب ثقافة عالية أو أمّيًا. بدون روح الكرازة يفقد المؤمن سمته كإنسانٍ مسيحي. وكما يقول **القديس يوحنا الذهبي الفم**: [أي نفع لمصباحٍ بلا نورٍ، وأي نفعٍ للمسيحي بدون المحبة (حبه لخلاص إخوته).]

في مقال عن **رسالة المسيحي** وجه **القديس يوحنا الذهبي الفم** حديثه للشعب، قائلاً:

[يا لها من خسارة عظيمة في الإخوة! قليلون هم الذين يهتمون بالأمور الخاصة بالخلاص.

يا له من جزء كبير من جسد الكنيسة يشبه الميت الذي بلا حراك!!

تقولون: **وماذا يخصنا نحن في هذا؟**

إن لديكم إمكانية عظمى بخصوص إخوتكم. فإنكم مسئولون إن كنتم لا تنصحوهم، وتصدون عنهم الشر، وتجذبونهم إلى هنا بقوة، وتسحبوهم من تراخيهم الشديد. لأنه هل يليق بالإنسان أن يكون نافعًا لنفسه وحده، بل يلزم أن يكون نافعًا لكثيرين أيضًا.

ولقد أوضح السيد المسيح ذلك عندما دعانا "ملحًا" (مت ٥:١٣)، و"خميرة" (مت ١٣:٣٣)، و"نورًا" (مت ٥:١٤)، لأن هذه الأشياء مفيدة للغير ونافعة لهم.

فالمصباح لا يضيء لذاته، بل للجالسين في الظلمة. وأنت مصباح، لا لتتمتع وحدك بالنور، إنما لترد إنسانًا ضل، **لأنه أي نفع لمسيحي لا يفيد غيره؟! ولا يرد أحدًا إلي الفضيلة؟!**

مرة أخرى لا يُصلح الملح نفسه، بل يصلح الطعام لئلا يفسد ويهلك... هكذا جعلك الله ملحًا روحيًا، لتربط الأعضاء الفاسدة أي الإخوة المتكاسلين المتراخين، وتشددهم وتنقذهم من الكسل كما من الفساد، وتربطهم مع بقية جسد الكنيسة.

هذا هو السبب الذي لأجله دعانا الرب "خميرة"، لأن الخميرة أيضًا لا تخمر ذاتها، لكن بالرغم من صغرها تخمر العجين كله مهما بلغ حجمه. هكذا افعلوا أنتم أيضًا. فإنكم وإن كنتم قليلين من جهة العدد، لكن كونوا كثيرين وأقوياء في الإيمان والغيرة نحو الله. وكما أن الخميرة ليست ضعيفة بالنسبة لصغرها، إذ لها قوة وإمكانية من جهة طبيعتها... هكذا يمكنكم إن أردتم أن تجتذبوا أعدادًا أكثر منكم، ويكون لهم نفس المستوى من جهة الغيرة.]

"فانحدر فيلبس إلى مدينة من السامرة،

وكان يكرز لهم بالمسيح". [٥]

إذ كانت اليهوديّة تخشى ظهور استفانوس آخر يحاجج بروح القوّة، غالبًا ما تطلّعت إلى الرجل الثاني بعد استفانوس مباشرة وهو الشمّاس فيلبّس. هنا في طاعة لوصيّة السيّد المسيح ترك المدينة وهرب إلى مدينة أخرى (مت ١٠: ٢٣). اضطرّ إلى ترك أورشليم والهروب إلى السامرة، لا خوفًا على حياته، وإنّما للكرازة بإنجيل الخلاص. لقد سمح اللَّه له بالضيق لكي ينطلق للعمل خارج أورشليم، فتتحقّق خطّة اللَّه. فقد صار نجاح الخدمة في السامرة جسرًا للعبور بالإنجيل إلى الأمم. لأن السامريّين هم شعب مهجّن من اليهود والأمم.

ليس من الواضح إن كان يتحدث عن مدينة السامرة أم يقصد الإقليم ككل، فكلمة "**السامرة**" في العهد الجديد غالبًا ما يُقصد بها الإقليم لا المدينة. هنا تحقق لغز شمشون: "يخرج من الآكل أكلاً، ومن الجافي حلاوة"، فقد أخرج الاضطهاد نموًا للكنيسة واتساعًا لها. إذ لم يهرب المُضطهدون خوفًا من الضيق والألم، بل في طاعة لوصية سيدهم أنهم متى اضطهدوهم يهربون إلى مدينة أخرى، لا في رعبٍ وخوفٍ، بل للشهادة في موقعٍ جديدٍ يقبل الكلمة. إنه هروب لأجل انتشار الكرازة ولتنصير العالم.

مدينة السامرة: يظن البعض أنها هي بعينها شكيم أو سوخار، مدينة المرأة السامرية التي التقت مع السيد المسيح (يو ٤: ٢٥). كانت مدينة السامرة القديمة عاصمة إقليم السامرة، قام بتدميرها هركانوس Hyrcanus تدميرًا كاملاً حتى لم يبقَ لها أثر. وكما يقول المؤرخ يوسيفوس أنه نزع عنها العلامات ذاتها التي تدل على وجود مدينة هناك. قام هيرودس الكبير فيما بعد ببنائها ودعاها سبسطية Sebaste التي تعني أوغسطا Augusta، تكريما للإمبراطور أوغطس Augustus. ولعلها كانت مدينة السامرة، ويرى البعض أن المدينة هي جت Gitta.

انطلق الشماس التالي للقديس استفانوس، وكان مملوءً من الروح القدس للخدمة الإنجيلية لأهل السامرة، الذين وجد بينهم من سبقوا فاعترفوا: "نحن قد سمعنا ونعلم أن هذا هو بالحقيقة المسيح مخلص العالم" (يو ٤: ٤٢).

"**انحدر**" وهو تعبير يطلق على كل من نزل من أورشليم بكونها مرتفعة على الجبل.

حُسب ذهاب القديس فيلبس إلى السامرة لتبشيرها خطوة شجاعة وجريئة، حيث يكرز رجل عبراني بين السامريين، بالرغم مما كان يحمله اليهود من عداوة للسامريين. غير أننا نقرأ في قصة المرأة السامرية (يو ٤: ٢٥) كيف كان السامريون يترقبون مجيء المسيا بكل شوقٍ وغيرةٍ.

سلك على منوال القديس استفانوس الذي كشف عن جوهر الإيمان المسيحي والتحرر من الطقوس اليهودية الحرفية، وكأنه كان تلميذًا له. وفي نفس الوقت فتح الباب أمام بولس الرسول ليكرز بين الأمم. وكان القديس فيلبس مع القديس استفانوس يمثلان حلقة الوصل بين بطرس الرسول رسول الختان وبولس الرسول رسول الأمم، أو بين كنيسة أورشليم وكنيسة الأمم.

جاءت كلمة "**يكرز**" تحمل معنى الإعلان عن ظهور ملكٍ. جاء القديس فيلبس يعلن لهم أنه قد جاء المسيا المنتظر لكي يملك. لم يكن الكارزون يبشرون بشيء آخر سوى تحقق النبوات والوعود الإلهية بمجيء يسوع المسيح مخلص العالم ليملك على القلوب.

"وكان الجموع يصغون بنفسٍ واحدةٍ إلى ما يقوله فيلبس،

عند استماعهم،

ونظرهم الآيات التي صنعها". [٦]

دهشت المرأة السامريّة حين تحدّث معها يسوع المسيح طالبًا منها أن يشرب، ولم تصدّق نفسها، قائلة: "كيف تطلب منّي لتشرب، وأنت يهودي، وأنا امرأة سامريّة؟" (يو ٤: ٩). الآن هوذا قادم السيّد المسيح في القدّيس فيلبّس المبّشر ليذبح العداوة، ويهبهم روح الحب حتى فيما بينهم، فكانت الجموع تصغي بنفسٍ واحدةٍ. قدّمت كلمة الإنجيل مصالحة بين النفس والجسد في الرب، ومصالحة بين السامريّين وبعضهم البعض ليحملوا النفس الواحدة، ومصالحة مع اليهود الذين قبلوا الإيمان، وحتى مع أعدائهم... هذا كلّه خلال مصالحتهم مع اللّه واهب الحب والسلام.

شتان ما بين موقف اليهود وموقف السامريين، فاليهود كجماعة كانوا يقاومون الحق في أيام خدمة السيد المسيح كما في عصر الرسل، فكانوا يتحركون وراء القديس بولس ليفسدوا عمله في كل مدينة، لكن وُجد قلة قليلة قبلت الإيمان، أما السامريون ففي أيام خدمة السيد المسيح جاءت مدينة سوخار بأكملها لمجرد شهادة امرأة سامرية أنها وجدت من قال لها كل ما قد فعلته (يو ٤: ٣٩-٤٢)، وها هم في عصر الرسل قد أنصتوا للقديس فيلبس بنفسٍ واحدةٍ. تحركوا كجماعةٍ معًا لقبول الإيمان.

"لأن كثيرين من الذين بهم أرواح نجسة،

كانت تخرج صارخة بصوتٍ عظيمٍ،

وكثيرون من المفلوجين والعُرج شُفوا". [٧]

إذ كان السامريون يتلهفون على مجيء المسيا، كانوا يصغون بنفسٍ واحدةٍ إلى ما يقوله فيلبس، وقد أيده الروح القدس بكلمات الحكمة واخراج شياطين وعمل أشفية، فتحولت المدينة إلى فرحٍ عظيمٍ، أو إلى عرسٍ سماوي.

كلما انتشرت كلمة الكرازة بالإنجيل انهارت مملكة إبليس، ولم يعد لعدو الخير بجنوده موضع في المؤمنين، ولا أن يجدوا راحة في عقولهم، لأنها صارت في حيازة المخلص، يقيم مملكته فيهم. إذ يدخل القدوس الإنسان الداخلي، ويتجلى داخل النفس، لا يمكن للأرواح النجسة أن تبقى فيها، ولا للظلمة أن تسيطر عليه.

"فكان فرح عظيم في تلك المدينة". [٨]

كان القدّيس استفانوس قد صار موضوع سرور السماء، لأنّه تشبّه بمخلّصه حتى في لحظات رجمه، وحمل على ملامح وجهه سمات ملائكيّة، وصار الشهيد الأول والمثل الرائع للمؤمن شريك المسيح في صلبه. الآن زميله أو تلميذه فيلبّس موضوع سرور السامرة، عاصمة السامريّين، يفرحون لأنّهم اكتشفوا أنّهم موضوع حب اللّه الفائق، وأن أبواب السماء مفتوحة أمامهم، وحضن اللّه ينتظرهم. صار فيلبّس المبّشر الأول خارج أورشليم.

تهلّلت مدينة السامرة، فقد دخل إليها السيّد المسيح ليسكن في قلوب المؤمنين، محطمًا العداوة القديمة بينهم وبين اللّه، وبينهم وبين اخوتهم اليهود، فقد جمع السيد اليهود والأمم معًا أعضاء في جسده المقّدس، الذي هو الكنيسة.

قبول الإنجيل أو البشارة المفرحة بالخلاص يرد النفس كما الجماعة إلى بهجة الخلاص. فتسمع هنا عن الفرح العظيم الذي عمّ مدينة السامرة. سرّه حلول السيد المسيح مصدر الفرح في أعماقهم وفي وسطهم. كما تهللوا حين رأوا مملكة إبليس تنهار تحت أقدامهم، ولم يعد للأرواح الشريرة سلطان عليهم. لقد شُفيت نفوسهم، كما رأوا المرضى جسديًا ينالون الصحة. أخيرًا، إذ صار لهم الروح الواحد، عمّ فيهم الفرح المشترك حيث يفرح كل عضو لفرح الأعضاء الأخرى ونموها.

البشارة بالخلاص أو بالإنجيل "الأخبار السارة" تنزع عن البشريَّة روح الكآبة التي ملكت عليهم بالخطيّة، لتقيم ملكوت اللّه المفرح في أعماق النفس. فالمسيحيَّة دعوة لخبرة الحياة السماويّة المتهلّلة في الداخل.

٣. إيمان سيمون الساحر

"وكان قبلاً في المدينة رجل اسمه سيمون،

يستعمل السحر،

ويُدهش شعب السامرة،

قائلاً أنه شيء عظيم". [٩]

كان استخدام السحر أمرًا شائعًا في العالم القديم. في البداية كان السحرة يدرسون الفلسفة وعلم التنجيم والأفلاك والطب الخ. لكن صار اسم "**السحرة**" يشير إلى الذين يستخدمون معرفة الفنون بغرض التعرف على المستقبل، بدعوى أن ذلك يتحقق خلال تحركات الكواكب، ويشفون المرضى بالتعاويذ السحرية (إش ٢: ٦؛ دا ١: ٢٠؛ ٢: ٢). وقد حرّمت الشريعة ذلك (لا ١٩: ٣١؛ ٢٠: ٦).

"وكان الجميع يتبعونه،

من الصغير إلى الكبير،

قائلين: هذا هو قوة اللّه العظيمة". [١٠]

يرى بعض الدارسين أن سيمون هذا هو الذي أشار إليه المؤرخ يوسيفوس، الذي وُلد في قبرص، وكان ساحرًا. استخدمه فيلكس الوالي لكي يغوي دروسللا Drusilla أن تترك زوجها عزيزوس Azizus وتتزوجه. لكن رفض بعض الدارسين ذلك، لأن سيمون هنا غالبًا ما كان يهوديًا أو سامريًا، كرَّس حياته لدراسة فنون السحر. درس الفلسفة في الإسكندرية، وعاش بعد ذلك في السامرة.

ادعي أنه المسيح، ورفض ناموس موسى، وكان عدوًا للمسيحية، وإن كان قد اقتبس بعض تعاليمها لكي يجتذب بها البعض.

"وكانوا يتبعونه

لكونهم قد اندهشوا زمانًا طويلاً بسحره". [١١]

إذ رأى عدو الخير كلمة الله يتجسد، وربما أدرك أن مملكته تنهار، بذل كل الجهد لإقامة العقبات في كل موضع، فحث سيمون على عمل السحر زمانًا طويلاً، وخدع الجميع من الصغير إلى الكبير.

كان سيمون الساحر (ماجوس) شخصية خطيرة، لها سمعتها في الأوساط التاريخية والعلمية، استخدم وسائل شيطانية كثيرة، وحسبه الجميع قوة الله العظيمة. وبحسب **القديس إيريناوس** كان يجول بامرأة تدعى هيلانة، تُدعي أنها من تجسد سابق من إله العقل، أو من فكر الإدراك الإلهي الذي خرجت منه كل القوة الملائكية والمادية. ويقدم **القديس هيبوليتس** تقريرًا شاملاً لمنهجه القائم على أساس غنوسي، دعاه "الكشف الأعظم".

ويروي **الشهيد يوستين** كيف استطاع هذا الساحر أن يجتذب أشخاصًا يكرسون حياتهم لنظامه بواسطة قوة السحر، ليس فقط في السامرة، بل وفي إنطاكية أيضًا وروما. وقد عُمل له تمثال في روما نُقش عليه: "تذكار لسمعان الإله المقدس". وقد أثار الحكام في روما ضد المسيحيين. ويُقال أنه دخل في صراعٍ مريرٍ مع القديس بطرس انتهي بدحره. وبتقرير **العلامة أوريجينوس** بقت جماعة السيمونيين تخرب في الكنيسة حتى منتصف القرن الثالث.

"**قوة الله العظيمة**"، وتعني: "الله القوي" أو "يهوه الجبار". جاء في كتاب اليوبيل (أبوكريفا يهودي) أن الشعب في مصر كان يخرج وراء يوسف ويصيحون El- El wa abir El، ومعناه "الله والقوة الذي من الله". ويرى البعض أن الترجمة الدقيقة لعبارة "**قوة الله العظيمة**" هي: "**هذا هو قوة الله، الإله الذي يُدعى العظيم**".

تسبب سيمون في عزل بيلاطس بنطس، فقد أعلن أنه سيذهب إلى جبل جرزيم، ويستخرج من تحت أنقاض هيكل جرزيم الآنية التي كان يستخدمها موسى نفسه. فانطلقت وراءه الجماهير، مما اضطر بيلاطس أن يرسل حملة من الجنود فحدثت مذابح رهيبة. اشتكى السامريون للحاكم الروماني في سوريا، فأبلغ روما التي استدعت بيلاطس بلا عودة.

يروي **هيبوليتس** أنه في استعراض له بروما طلب أن يدفنوه حيًا، مدعيًا أنه سيقوم في اليوم الثالث، فدُفن ولم يقم.

"ولكن لمّا صدقوا فيلبس،

وهو يبشّر بالأمور المختصّة بملكوت اللّه،

وباسم يسوع المسيح،

اعتمدوا رجالاً ونساء". [١٢]

يقول لوقا البشير: "**ولكن لما صدقوا فيلبس**" [١٢]، وكأنهم قارنوا بين الحق الذي شهد له فيلبس الرسول، والسحر والأعمال المبهرة التي مارسها سيمون، فأعطى الروح القدس قوة لكرازة فيلبس حطمت أباطيل إبليس وجنوده.

يقرن القديس فيلبس ملكوت السماوات بالعماد باسم يسوع المسيح.

في عرضٍ رائعٍ، يقدم لنا **الشهيد كبريانوس** خبرته بخصوص معموديته، قائلاً:

[إنني مثلك، ظننت مرة إنني كنت حرًا، مع إنني كنت أسيرًا، مقيدًا في ظلمةٍ روحيةٍ.

نعم كنت حرًا، أحيا كيفما أشاء. ولكنني كنت في فراغٍ إلي زمنٍ طويلٍ. كنت أبحث على الدوام عن شيءٍ أؤمن به. مع تظاهري بأنني واثق من نفسي، كنت كموجةٍ تلطمها الريح. كنت أيضًا أنجذب إلي كل أمور هذه الحياة معتزًا بالممتلكات والسلطة. بينما كنت أعرف في قلبي أن كل هذه الأمور ليست إلا كفقاعةٍ علي البحر، تظهر الآن ثم تتفجر لتزول إلي الأبد. مع تظاهري باليقين الخارجي، كنت أعرف أنني مجرد تائه في الحياة، ليس لي خطة أسلكها، ولا مسكن تستقر فيه نفسي.

يمكنك أن ترى إنني لم أعرف شيئًا عن الحياة الحقيقية، الحياة الجديدة المقدمة لنا من فوق. لأنني كنت أبحث عن الحق خلال خبراتي الذاتية، معتمدًا علي طرق منطقي الذاتي، لذا بقي الحق مراوغًا. وإذ اعتمدت علي فهمي الخاص، كان نور الحضرة الحقيقية لله مجرد إشراقة بعيدة.

سمعت أن رجالاً ونساءً يمكنهم أن يُولدوا من جديد، وأن الله نفسه أعلن طريق تحقيق هذا الميلاد الجديد بالنسبة لنا، وذلك لمحبته للخليقة التائهة مثلي.

في البداية ظننت أن هذا مستحيل. كيف يمكن لشخص مثلي عالمي وعنيف أن يتغير ويصير خليقة جديدة؟ كيف يمكن لمن هو مثلي أن يعبر من تحت المياه ويعلن أنه قد وُلد من جديد؟ هذا بالنسبة لي أمر غير معقول، أن أبقى كما أنا جسمانيًا، بينما يتغير صُلب كياني ذاته، وأصير كأنني إنسان جديد.

لم أرد أن أترك عدم إيماني، ومقاومتي لهذه الفكرة بأنني أولد من فوق. لقد اعترضت: "نحن من لحمٍ ودمٍ، مسالكنا طبيعية، غريزية، مغروسة بحق في أجسامنا. إننا بالطبيعة نقدم أنفسنا على الغير، ونسيطر ونتحكم ونصارع لكي نغلب الآخرين مهما كانت التكلفة. توجد بعد ذلك عادات اقتنيناها حتى وإن كانت تضرنا، صارت هذه العادات جزءً منا، كأنها أجسامنا وعظامنا. كيف يُمكن لشخصٍ أحب الشرب والولائم أن يصير ضابطًا لنفسه ومعتدلاً؟ كيف يمكنك أن تستيقظ صباحًا ما وبمسرةٍ ترتدي ثوبًا بسيطًا وقد اعتدت علي الملابس الفاخرة وما تجلبه من الأنظار والتعليقات؟ كيف يمكنك أن تحيا ككائنٍ متواضعٍ بينما قد نلت كرامة في أعين الجماعة؟...

هكذا كان تفكيري الطبيعي، إذ كنت في عبودية لأخطاء لا حصر لها تسكن في جسدي. بالحقيقة يئست من إمكانية التغيير. فقد تكون تلك العادات ضارة لي، لكنها كانت جزءً مني. لذلك كان التغير مستحيلاً، فلماذا أصارع؟ فإنني كنت أشبع رغباتي بتدليلٍ.

ولكن... في يومٍ أخذت خطوة وحيدة بسيطة وضرورية متجهًا نحو الله. تواضعت أمامه وكطفل قلت: "أؤمن". نزلت تحت المياه المباركة... فغسلت مياه الروح الداخلية وسخ الماضي، وكأن بقعة قذرة قد أُزيلت من كتانٍ فاخرٍ، بل وحدث ما هو أكثر.

أشرق نور عليَّ كما من فوق. اغتسلت في سلامٍ لطيفٍ. تطهرت في الحال. قلبي المظلم يتشبع بحضرته، وعرفت... عرفت... أن الحاجز الروحي القائم بيني وبين الله قد زال. تصالح قلبي وقلبه. أدركت الروح، نسمة الآب، قد حلّ فيّ من هو فوق هذا العالم. وفي تلك اللحظة صرت إنسانًا جديدًا.

منذ ذلك الحين وأنا أنمو في معرفة كيف أحيا بطريقٍ ينعش حياتي الجديدة المعطاة لي ويعينها. ما كنت أتشكك فيه صار لازمًا أن أتعامل معه بكونه الحق واليقين. ما كنت أخفيه يلزم أن يخرج إلي النور. بهذا ما كنت أسيء فهمه بخصوص الله والعالم الروحي بدأ يصير واضحًا.

وأما عن عاداتي الخاصة بإنساني القديم، فقد تعلمت حسنًا كيف تتغير... حيث تُعاد خلقة هذا الجسد الأرضي بواسطة الله. **في كل يوم أنمو علي الدوام**، صرت أكثر قوة، وحيوية في روح القداسة.

الآن أخبرك ببساطة الخطوة الأولي في طريق الروح: **قف أمام الله كل يومٍ بوقارٍ مقدسٍ، كطفلٍ بريءٍ ثق فيه. هذا الاتجاه يحمي نفسك. يحفظك من أن تصير مثل الذين ظنوا أنهم متأكدون أنهم يخلصون، فصاروا مهملين. بهذا فإن عدونا القديم، الذي يتربص دومًا، أسرهم من جديد.**

لتبدأ اليوم أن تسير في طريق البراءة، الذي هو طريق الحياة المستقيمة أمام الله والإنسان. لتسر بخطوة ثابتة. أقصد بهذا أنك تعتمد علي الله بكل قلبك وقوتك.

ألا تشعر به، الآب، إذ هو موجود حولك؟ إنه يود أن يفيض عليك... فقط اذهب إليه وأنت متعطش للحياة الجديدة... افتح الآن نفسك واختبر نعمته، التي هي الحرية والحب والقوة، تنسكب عليك من أعلى، تملأك وتفيض.

افتح نفسك أمامه الآن، هذا الذي هو أبوك وخالقك. كن مستعدًا أن تنال الحياة الجديدة وتمتلئ بها... هذه التي هي الله نفسه.]

"وسيمون أيضًا نفسه آمن،

ولمّا اعتمد كان يلازم فيلبس،

وإذ رأى آيات وقوات عظيمة تُجرى اندهش". [١٣]

استطاع سيمون في البداية أن يميز بين الحق والباطل، وما هو من الله وما هو من الشيطان، فآمن وصار مرافقًا لفيلبس الرسول. لقد أبهرته الآيات والقوات العظيمة، وللأسف اندهش فاشتهاها، وصمم أن يشتريها بالمال.

v عندما نسمع: "من آمن واعتمد خلص" (مر ١٦: ١٦)، فبالطبع لا نفهم ذلك على من يؤمن بأيّة طريقة، فالشيّاطين يؤمنون ويقشعرّون (يع ٢: ١٩). كما لا نفهم ذلك على من يتقبّلون المعموديّة بأيّة طريقة كسيمون الساحر الذي بالرغم من نواله العماد إلا أنه لم يكن له أن يخلص. إذن عندما قال: "من آمن واعتمد خلص" لم يقصد جميع الذين يؤمنون ويعتمدون بل بعضًا فقط، هؤلاء الذين يشهد لهم أنهم راسخون في ذلك الإيمان الذي يوضّحه الرسول: "العامل بالمحبّة" (غل ٥: ٦).

القديس أغسطينوس

v حتى سيمون الساحر جاء يومًا إلى الجرن (أع ٨:١٣) واعتمد دون أن يستنير، فمع أنه غطس بجسمه في الماء، لكن قلبه لم يستنر بالروح. لقد نزل بجسمه وصعد، أما نفسه فلم تُدفن مع المسيح ولا قامت معه (رو ٦:٤، كو ٢:١٢).

ها أنا أقدم لكم مثالاً لساقطٍ حتى لا تسقطوا أنتم. فإن ما حدث كان عبرة لأجل تعليم المتقرّبين لهذا اليوم (يوم العماد).

إذن ليته لا يكون بينكم من يجرب نعمة اللَّه، لئلا ينبع فيه أصل مرارة ويصنع انزعاجًا (عب ١٢:١٥)!

ليته لا يدخل أحدكم وهو يقول: لأنظر ماذا يعمل المؤمنون! لأدخل وأرى حتى أعرف ماذا يحدث؟! (أي يدخل لمجرد حب الاستطلاع).

أتظن أنك ترى الآخرين وأنت (في نيتك أن) لا ترى؟! أما تعلم إنك وأنت تفحص ما يحدث معهم، يفحص اللَّه قلبك؟!

القديس كيرلس الأورشليمي

٤. بدء فكرة السيمونية Simony

"ولما سمع الرسل الذين في أورشليم أن السامرة قد قبلت كلمة اللَّه،

أرسلوا إليهم بطرس ويوحنا". [١٤]

القديس يوحنا الذي سبق فطلب مع أخيه يعقوب من رب المجد يسوع أن يرسل نارًا ليحرق قرية سامرية (لو ٩: ٢٥ الخ)، هو نفسه الآن ينطلق مع القديس بطرس، منتدبين من الكنيسة في أورشليم، لمساندة القديس فيلبس في خدمته في السامرة. ذهبا الآن لكي تنزل نار الروح القدس الذي يجدد القلوب ويسكب المحبة الإلهية فيها، ويشكّل النفوس لتصير العروس المقدسة للسيد المسيح.

إذ قبل السامريون الكلمة بأعداد كبيرة صار العمل يحتاج إلى أيدٍ أخرى للعمل بجانب القديس فيلبس. إنها أول حركة كنسية جريئة من أورشليم، أن تبعث رسولين إلى خارج اليهودية لخدمة السامريين، لينضم سامريون إلى العضوية الكنسية.

إرسال بطرس ويوحنا إلى السامرة من قبل الكنيسة في أورشليم يؤكد العمل الكنسي الجماعي، ودور الكنيسة في أورشليم القيادي، وأنه لم يكن بين الرسل رئيس، بل كان الكل متساوين في السلطان الرسولي. لا يحمل القديس بطرس رئاسة ليرسل رسلاً، بل في تواضعٍ وحبٍ وشركةٍ أطاع صوت جماعة الرسل الذين أرسلوه مع القديس يوحنا للعمل بحكمة. اختار الرسل القديس بطرس المعروف بغيرته واندفاعه ومعه القديس يوحنا المعروف بهدوئه ورقته؛ وقد حدث انسجام بينهما مع اختلاف سماتهما، إذ شعر كل منهما محتاجًا للآخر. فاختلاف السمات أو المواهب علامة صحية للكنيسة مادام الحب مع التواضع يعملان في حياة الجماعة.

"اللذين لمّا نزلا صلّيا لأجلهم،

لكي يقبلوا الروح القدس". [١٥]

"لأنه لم يكن قد حلّ بعد على أحدٍ منهم،

غير أنهم كانوا معتمدين باسم الرب يسوع". [١٦]

"حينئذ وضعا الأيادي عليهم،

فقبلوا الروح القدس". [١٧]

كان المؤمنون قد نالوا سرّ العماد، الآن وضع الرسولان بطرس ويوحنا الأيادي ليحل الروح القدس عليهم. وقد تسلم الأساقفة هذا التقليد أو التسليم: "**وضع الأيادي**"، وقد دُعي **سرّ المسحة**" أو "**سرّ الميرون**" حيث يسكن الروح القدس في أعماق النفس، ويقدس حياة المؤمن، ويقوده لكي يحمل أيقونة المسيح، وسأتحدث عنه في ملحقٍ خاص به في نهاية الحديث عن هذا الإصحاح.

لقد سبق فأوصى تلاميذه ألا يدخلوا مدينة للسامريين (مت ١٠: ٥)، الآن بعد صعوده وإرسال روحه القدوس فتح أبوابها لهم ليكرزوا ويعمدوا.

قام القديس فيلبس بتعميدهم باسم الرب يسوع، فلماذا لم يضع يده عليهم ليحل عليهم الروح القدس؟ يرى البعض أن موضوع قبول الأمم للإيمان ونوالهم سرّ العماد وحلول الروح القدس كان أمرًا غاية في الخطورة، لم يكن ممكنًا لليهود المتنصرين في البداية أن يقبلوه. فلو تم ذلك خلال فيلبس وحده لأخذ اليهود المتنصرين منه موقفًا متشددًا، وربما حسبوا عمله باطلاً. لهذا قام بالكرازة والعماد، وجاءت كنيسة الختان ممثلة في شخصي بطرس ويوحنا تثبت صحة العمل بوضع الأيادي ليقبلوا الروح القدس. فما فعله الرسولان لا يقلل من شأن القديس فيلبس، ولا يضعه في موقف العجز عن وضع اليد لقبول الروح القدس، إنما كان بخطة إلهية لتأكيد وحدة العمل جميعًا في فتح باب الإيمان للأمم.

كان قبول الروح القدس في بداية الكرازة يختلف من حالة إلي أخرى حسب ما يراه الروح من أجل ظروف الكنيسة.

v في أيام موسى كان الروح يُعطي بوضع الأيدي (عد ١١: ٢٩)، وبوضع الأيدي يعطي بطرس الروح.

القديس كيرلس الأورشليمي

"ولما رأى سيمون أنه بوضع أيدي الرسل يُعطى الروح القدس،

قدّم لهما دراهم". [١٨]

ظن سيمون أنه قادر أن ينال سلطان الرسل في صنع الآيات والعجائب بدفع دراهم للرسل، ولم يدرك أن الرسل أنفسهم تمتعوا بها كنعمةٍ مجانيةٍ، مُقدمة لهم من الله نفسه؛ وأن هؤلاء الرسل قد باعوا كل ما لهم ليتبعوا المصلوب. فما أراد أن يقدمه لهم سيمون ليس له موضع في قلوبهم ولا في فكرهم.

مع أن سيمون قد قبل الإيمان المسيحي، لكن قلبه كان لا يزال أسيرًا لعمل أمور فائقة خلال السحر، ولعله ظن في السلطان الرسولي أنه نوع من السحر، ولكن بطبيعة أخرى غير التي مارسه قبل الإيمان.

إنه مثل بلعام، قدم مالاً ليقتنى الموهبة، فكانت غايته نوال مكاسب مادية وراء هذا العمل.

أخيرًا فإن تصرف سيمون يكشف عما في قلبه من كبرياء واعتداد بالذات.

v أحب سيمون الساحر سلطان المسيحيين أكثر من البرّ.

القديس أغسطينوس

"قائلاً: أعطياني أنا أيضًا هذا السلطان،

حتى أي من وضعت عليه يدي يقبل الروح القدس". [١٩]

يرى **القديس ايريناؤس** أن سيمون الساحر ظن أن ما يمارسه الرسل من عجائب هو عن معرفة أعظم للسحر وليس بقوة الله، لذلك أراد اقتناء هذه الموهبة بدراهمٍ، لكشف السرّ له. لقد أظهر رغبته في التعرف على أسرار أعظم للسحر عوض إيمانه بالله وتوبته.

v لا يقدر أن يرجو ملكوت السماوات من يفسد السماء بإصبعه وعصاته السحرية (أي باستخدامه النجوم في السحر).

العلامة ترتليان

v إذ تقبلت الكنيسة العطايا مجانًا من الله تخدم الآخرين مجانًا.

القديس إيريناؤس

v لم يقل: "أعطياني أنا أيضًا شركة الروح القدس" بل قال: "**هذا السلطان**"... لقد قدم مالاً لمن ليس لهم مقتنيات، مع أنه رأى الناس يقدمون ثمن الأشياء المُباعة ويضعونها عند أرجل الرسل.

القديس كيرلس الأورشليمي

v عندما رأى سيمون ذلك ظن أن هذه القوّة هي من البشر، فأراد أن تكون له هو أيضًا. ما ظنّه أنه من البشر، أراد أن يشتريه من بشر.

القديس أغسطينوس

"فقال له بطرس:

لتكن فضتك معك للَّهلاك،

لأنك ظننت أن تقتني موهبة اللَّه بدراهم". [٢٠]

كشف له القديس بطرس عن جريمته، وهي اعتقاده أنه قادر أن يقتني المواهب الإلهية التي لا تُقدر بثمن بدفع دراهمٍ.

يؤمن القديس بطرس أن محبة المال مدمرة للنفس، فإن كان قلب سيمون مرتبطًا بهذه الرذيلة إنما يهلك مع ما لديه من فضة، التي حتمًا تزول وتتبدد، بل والأرض كلها تزول. لقد ربط نفسه بما هو زائل فينحدر مع ما ارتبط به.

ظن سيمون أنه قادر أن يشتري من الله إحساناته الإلهية وعطاياه السماوية بالمال؛ وهو بهذا يهين الله الكلي الحنو.

"ليس لك نصيب ولا قرعة في هذا الأمر،

لأن قلبك ليس مستقيمًا أمام اللَّه". [٢١]

"**نصيب**": تستخدم في توزيع الميراث حيث ينال كل شخص نصيبه منه. فإذ كان قلب سيمون غير مستقيمٍ لم يعد يُحسب ابنا لله القدوس، وبالتالي ليس من حقه أي نصيب في الميراث. وكأن ما يشغل ذهن المسيحي ليس نواله النصيب من الميراث، مهما بلغت قيمته، وإنما التمتع بالبنوة لله، والثبات فيها، عندئذ ما يناله من مواهب في هذا العالم، أو من ميراث في الحياة الأبدية، هو ثمر طبيعي للبنوة الفائقة.

"**قرعة**": كانت تستخدم حين تتحقق نصرة جيشٍ ما، فيجمع الغنائم وتُستخدم القرعة في توزيعهما. ليس من حق سيمون أن يتمتع بالقرعة، لأنه عزل نفسه عن جيش الله، ولم يعد بالجندي الصالح الذي يهدم حصون إبليس ويسحقه بالنعمة تحت قدميه، فأي قرعة تعمل لحسابه؟

أخيرًا، فإن علاج الموقف ليس مجرد التراجع عن طلب الموهبة بدراهمٍ، بل التحول من الاعوجاج أو عدم استقامة قلبه إلى الاستقامة والقداسة والإخلاص في محبته لله.

لقد آمن سيمون واعتمد، لكنه أصر على الاعوجاج وعدم التمتع بالحياة الجديدة التي في المسيح يسوع. فالله يراه حسبما يكون قلبه عليه، لأنه فاحص القلوب والكلي.

تُنسب السيمونية لسيمون الساحر الذي ظن أنه قادر أن يقتني مواهب الروح القدس بدراهمٍ، إما لمكسبٍ مادي أو لنوال كرامةٍ زمنيةٍ. تناقض السيمونية عمل الروح، لأن مواهب الروح تقدم لمن باعوا العالم وصلبوا الذات مع الشهوات من أجل المجد السماوي. فمن كان نصيبه السماء لا ينتظر مكاسب مادية أو مجدًا زمنيًا.

جاء في إبيفان Epiphan [قال سيمون عن نفسه أنه الابن، وأنه لم يتألم حقيقة، بل بدا لهم هكذا.] [وأنه جاء بنفسه بين اليهود بكونه الابن، وبين السامريين الآب، ولبقية الأمم بكونه الروح القدس.]

في دفاعه الموجه إلى أنطونيوس بيوس كتب **الشهيد يوستينوس** [كان يوجد سيمون السامري من قرية تدعى Gitton في أيام حكم كلاديوس قيصر في روما مدينتكم الملكية، هذا صنع أعمالاً وسحرًا، وذلك بواسطة الشياطين العاملة فيه. لقد حسبوه إلهًا وكُرم بينكم بعمل تمثال له، حيث أقيم في نهر التيبر بين جسرين، وحمل هذا النقش "Simoni Deo Sanceto" الذي هو "سيمون، اللَّه القدوس."] وذكر **القديس إيريناؤس** و**العلامة ترتليان** ذات القصة.

v سيمون الساحر هو مصدر كل هرطقة، هذا الذي جاء عنه في سفر أعمال الرسل أنه فكَّر أن يشتري بمالٍ نعمة الروح القدس، فسمع القول: "ليس لك نصيب في هذا الأمر" الخ.، وعنه أيضًا كُتب: "منا خرجوا، لكنهم لم يكونوا منا، لأنهم لو كانوا منا لبقوا معنا" (١ يو ٢:١٩).

هذا الإنسان بعدما طرده الرسل جاء إلى روما، حيث استمال إليه زانية تدعى هيلين Helene. وقد تجاسر بفمه المملوء تجديفًا أن يُدعي أنه هو الذي ظهر على جبل سيناء كالآب، وظهر كيسوع المسيح بين اليهود، ليس في جسدٍ حقيقيٍ بل كان يبدو هكذا، وبعد ذلك كالروح القدس الذي وعد المسيح أن يرسله كمعزٍ.

لقد خدع مدينة روما حتى أقام له كلوديوس تمثالاً نقش عليه من أسفل بلغة الرومان: Simoni Deo Sancto، وهى تعني "إلى سيمون اللَّه القدوس".

القديس كيرلس الأورشليمي

v اشترى سيمون من صور، وهي مدينة فينيقية، زانية معينة تدعى هيلين، اعتاد أن يأخذها معه، معلنًا أن هذه السيدة هي أول إدراكات ذهنية، وأنها أم الجميع، بواسطتها أدرك منذ البداية خلقة الملائكة ورؤساء الملائكة.

القديس ايريناؤس

كشف له الرسول عن سمات شخصيته الخفية وهي "عدم استقامة قلبه"؛ فجريمته تكمن في أعماقه، ولا تقف عند ما نطق به أو سلك به. فهو في حاجة إلى تجديدٍ داخليٍ للقلب. إنه يحمل فكرًا عالميًا ماديًا، أو طبيعيًا، لا يقبل ما لروح لله، فكيف ينال مواهب الروح؟

"فتبْ من شرك هذا،

وأطلب إلى اللَّه،

عسى أن يغفر لك فكر قلبك". [٢٢]

قدم له الرسول العلاج وهو "التوبة"، فقد آمن واعتمد، لكن لم يرجع إلى الله بالتوبة... متى قدم توبة يمكنه أن يرفع عينيه إلى الله، فيراه غافر الخطايا، مهما كان جرمها. فالصلوات والطلبات والتضرعات لن تُقبل بدون التوبة.

"**فكر قلبك**": إنك محتاج ليس فقط إلى التوبة عن تصرفك بطلب مواهب الله المجانية بدراهم، وإنما أيضًا عن فكر قلبك الذي تخفيه في داخلك، لكنه ظاهر أمام الله.

طالبه أن يحول نظره عن المال الذي بين يديه، أو الذي يتوقع نواله، كما يحوله عن حب السلطة والكرامة، ليتطلع إلى أعماقه ويكتشف ما بلغه قلبه من فسادٍ ونجاسةٍ ويصرخ إلى الله مخلصه ليغفر له خطاياه.

مع قوله: "لتكن فضتك معك للهلاك"، بمعنى دعْ سيدك في جيبك لدمارك، يفتح له باب التوبة: "**تب من شرك هذا**" [٢٢].

"لأني أراك في مرارة المرْ، ورباط الظلم". [٢٣]

"**مرارة**": تشير الكلمة هنا إلى السائل الأخضر باصفرار الذي يوجد خفية في الكبد، فإن الخطية تفيض في داخل النفس سائلاً مرًا، يُفقد القلب سلامه، والنفس فرحها، ليعيش الإنسان مرْ النفس، أحيانًا بلا سبب خارجي.

نال سيمون شهرة عظيمة، حسده الكثيرون عليها، وظنه الكثيرون من أسعد الناس وأقواهم، أما القديس بطرس فرأى مرارته الداخلية، وقيود نفسه التي تكبله وتحبسه داخل الظلمة.

"**لأني أراك في مرارة المر ورباط الظلم**" [٢٣]. أدرك القديس بطرس كيف دخل الشيطان بسيمون إلى الكنيسة ليفسدها، فقد كان لعمله هذا أثره على الشرق والغرب إلى قرابة ثلاثة قرون. بل ولازال عدو الخير يبذل كل الجهد لإفساد كنيسة الله بالسيمونية. إنه لا يزال يثمر سيمون علقمًا وأفسنتينًا (تث ٢٩: ١٨).

يفضل البعض ترجمتها: "مرًا وأفسنتينا".

"**رباط الظلم**" الأصل اليوناني معناه "**قيود الشر**". كان الرسول بولس يطالبه بالتوبة والرجوع إلى الله، وهو يراه مقيدًا بقيود الشر.

v لماذا لم يضرباه بالموت كما حدث مع حنانيا وسفيرة؟ فإنه حتى في الأوقات القديمة الذي جمع الحطب في يوم السبت قُتل (رجمًا) ليكون عبرة للآخرين (عد ١٥: ٣٢)، ولم يحدث هذا بعد في الأمثلة التي بعد ذلك، هكذا في المناسبة الحاضرة.

v هذه كلمات تحمل سخطًا شديدًا. لكنه لم يعاقبه، حتى لا يكون الإيمان بالإكراه، ولكي لا يبدو الأمر فيه قسوة، لكي يفتح باب التوبة، فإنه يكفي لإصلاح أمره أن يقنعه ويخبره بما في قلبه حتى يجتذبه إلى الاعتراف بخطئه. فإن قوله: "أطلبا أنتما إلى الرب من أجلي" هو اعتراف أنه ارتكب خطأ.

القديس يوحنا الذهبي الفم

تُمثل الخطية هنا بالمرارة، السم القاتل، الحرمان من الفرح، هذه كلها من عمل الخطية بكونها مدمرة لكل ما هو صالح، كما تُمثل أيضًا بقيود العبودية والحرمان من حرية الحركة والعمل، والتمتع بالبرّ الإلهي (مز ١١٦: ١٦؛ أم ٥: ٢٢؛ رو ٧: ٢٣- ٢٤).

"فأجاب سيمون وقال:

أطلبا أنتما إلى الرب من أجلي،

لكي لا يأتي عليّ شيء مما ذكرتما". [٢٤]

اظهر سيمون انزعاجًا شديدًا بسبب اللعنة التي حلت عليه، لكن يبدو أنه لم يكن جادًا في توبته. لقد طلب الرسول بطرس منه أن يتوب وأن يصلي، لكي ما يكشف الله عن خطاياه كما يكشف له عن نعمة الخلاص، حيث ينال مغفرة خطاياه ويتمتع بالبركات الأبدية، أما سيمون فيبدو أنه لم يكن يشغله خلاص نفسه، بل يشغله ما تحل به من إهانات وفقدان للكرامة، أي عقوبة الخطية. لهذا لم يطلب من الرسولين أن يسنداه بصلواتهما لأجل توبته، بل لكي لا تحل به العقوبة. حسن أن نطلب صلوات الآخرين عنا، على أن تكون سندًا لنا في صلواتنا؛ نطلبها في شعورٍ حقيقي بالحاجة إلى التوبة، لا بالخوف من العقوبة الإلهية أمام الناس.

لقد تمثل سيمون بفرعون في طلبه من موسى الصلاة عنه (خر ٨: ٢٨، ٣٢)، وأيضا يربعام (١ مل ١٣: ٦). هكذا يطلب أحيانًا الأشرار الصلاة من أجلهم، مع تشبثهم وإصرارهم على ممارسة الشر.

"ثم أنهما بعدما شهدا وتكلّما بكلمة الرب،

رجعا إلى أورشليم،

وبشّرا قُرى كثيرة للسامريّين". [٢٥]

إذ نجح الرسولان في مهمتهما عادا إلى أورشليم، وفي طريقهما كانا يبشران في القرى السامرية التي في الطريق. هكذا مع كل تحرك كان الرسل يهتمون بالشهادة للسيد المسيح والكرازة بالإنجيل.

لماذا عادا إلى أورشليم؟ يرى بعض الدارسين أن الرسل اهتموا بالخدمة في أورشليم حيث صُلب السيد وقام من الأموات، حتى متى آمن به من صلبوه يمكن الكرازة في كثير من البلاد بسهولة، لأن الصالبين آمنوا بقيامته.

"**رجعا إلى أورشليم**"، لم يستخدم الأصل اليوناني صيغة المثنى مما يدل على أن الرسول فيلبس رجع معهما إلى أورشليم حيث قاده الروح القدس إلى غزة.

٥. إيمان الوزير الأثيوبي

ثم أن ملاك الرب كلم فيلبس قائلاً:

قم واذهب نحو الجنوب على الطريق المنحدرة من أورشليم،

إلى غزة التي هي بريّة". [٢٦]

جاءت كلمة "**ملاك**" في الكتاب المقدس تحمل معانٍ كثيرةٍ. ولعل ملاك الرب هنا يشير إلى رسول سماوي من قبل الله، ظهر له إما في حلم أثناء نومه، أو في يقظته شاهد رؤيا سماوية.

لم يُعهد العمل الكرازي للملائكة بين البشر، لكنه يُعهد لهم تبليغ رسائل إلهية خاصة لرجال الله سواء في العهد القديم أو الجديد، لتشجيعهم وللكشف عن إرادة الله وخطته، خاصة فيما لا يتوقعه رجل الله.

ظهر له ملاك الرب ودعاه للذهاب في الطريق المنحدرة من أورشليم إلى غزة، أما كيف ذهب، وكيف عرف موضع المركبة، وكيف لحق بها، فهذا كان من عمل الروح القدس قائد الكنيسة في طريق الملكوت.

كان هذا الوزير يسير في طريقه بمركبته التي تجرها الخيول السريعة، فكيف لحق به الرسول فيلبس؟ حتمًا نقله الروح القدس بطريقةٍ أو أخرى.

v انظروا، فإن الملائكة تساعد في الكرازة، لكنهم لا يقومون بالكرازة نفسها، إنما يدعو (البشر) للعمل.

القديس يوحنا الذهبي الفم

v إننا نعلم أن الخصي الذي كان يقرأ إشعياء النبي ولم يفهم ما كان يقرأه، لم يُرسل إليه ملاك كرسول، ولم يقم ملاك يشرح ما لم يفهمه، ولا استنار داخليًا بنعمة الله دون تدخل إنسانٍ، بل على العكس بناء على مشورة الله جاء إليه فيلبس هذا الذي فهم النبي، وجلس معه، وبكلمات بشرية، ولسان إنساني، شرح له الكتب المقدسة.

القديس أغسطينوس

يا لها من صورة رائعة وحية عن اهتمام الله بنفسٍ واحدةٍ تشتاق إلى معرفة الحق. فإن الله نفسه يعمل، ويحرك أحد السمائيين للعمل، ويبعث أحد خدامه (القديس فيلبس) ليلحق به بوسيلةٍ أو أخرى. إنه لا يكف عن العمل من أجل كل نفس!

غزة أو عزة (تك ١٠: ١٩)، وهي إحدى مدن الفلسطينيين، وهبها يشوع ليهوذا (يش ١٥: ٤٧؛ ١ صم ٦: ١٧)؛ وهي إحدى المدن الخمس الرئيسية للفلسطينيين، تبعد حوالي ٦٠ ميلاً جنوب غرب أورشليم.

توجد مدينتان تحملان ذات الاسم، غزة القديمة، وغزه الجديدة. تنبأ النبي صفنيا عن هجر غزة أي دمارها. وقد قام الاسكندر الأكبر بإعادة بناء جزء منها. بنيت مدينة أخرى فيما بعد حملت ذات الاسم تبعد قليلاً عن غزة القديمة التي هُجرت تمامًا.

توجد طرق كثيرة بين غزة وأورشليم. الطريق المشهور حاليًا وهو أطول الطرق، هو خلال رملة.

"**التي هي برية**": هنا يشير إما إلى الطريق إليها بكونه طريق صحراوي أو إلى الموضع نفسه.

"فقام وذهب،

وإذا رجل حبشي خصي وزير لكنداكة ملكة الحبشة،

كان على جميع خزائنها،

فهذا كان قد جاء إلى أورشليم ليسجد". [٢٧]

v يوجد خصيان كثيرون يظنون في أنفسهم أنهم أشجار جافة... اسمع فم إشعياء القائل أنه يوجد مكان مُعد لهم في السماء ولأبناءٍ وبناتٍ لهم (إش ٥٦: ٣). رمزهم هو عبد ملك الخصي المذكور في ارميا (إر ٣٨: ٧)، والخصي للملكة كنداكة في سفر أعمال الرسل (٨: ٢٧) الذي بسبب قوة إيمانه اقتنى اسم "**رجل**" هؤلاء هم الذين كتب لهم إكليمنضس خلف الرسول بولس والذي أشار إليه الرسول رسائل موجهًا كل حديثه تقريبًا إلى طهارة البتولية.

القديس جيروم

v من هو هذا إذن؟.. يقول النبي بوضوح فيما بعد: "لأني حينئذ أقدم للشعوب لغة" (صف ٣:٩). إذ بعد القيامة أرسل الروح القدس وأعطيت موهبة الألسن "ليعبدوه بكتفٍ (نير) واحدٍ".

كذلك تنبأ النبي نفسه قائلاً: "ليعبدوه بكتف واحد، ومن عبر أنهار كوش يقدمون تقدمتي" (صف ٣:١٠).

إنكم تعلمون ما جاء في سفر الأعمال حينما جاء الخصي الحبشي عبر أنهار أثيوبيا "كوش".

القديس كيرلس الأورشليمي

لم يخبره ملاك الرب عن سبب دعوته للسير في هذا الطريق، ولم يطلب القديس فيلبس أيضًا توضيحًا للموقف، لكنه في طاعةٍ كاملةٍ لخطة الله قام ينفذ ما قيل له.

"**خصي**": كان الخصيان قديمًا يحتلون مراكز سامية في القصور الملوكية في الشرق، ربما لأنهم كانوا على اتصال بنساء الملك وسراريه، وقد صارت كلمة "**خصي**" لا تعنى بالضرورة أن الشخص مخصي جسديًا، وإنما صاحب مركز سامٍ يأتمنه الملك (أو الملكة) على أسراره ويستشيره في أمور الدولة.

كنداكة: ليس اسم الملكة، بل هو لقب. يرى البعض أن هذا الخصي كان يهوديًا يعمل في قصر الملكة، كما كان دانيال في بابل، ويوسف في مصر، وربما كان دخيلاً إلى الديانة اليهودية.

"وكان راجعًا،

وجالسًا على مركبته،

وهو يقرأ النبي إشعياء". [٢٨]

قيل إنه يُقصد بإثيوبيا في ذلك الوقت منطقة النوبة، تمتد من الشلال الأول بأسوان حتى الخرطوم، وأن مدنها الكبرى هي ميروي Meroe العاصمة، ونباتا Napata، وأن ملك إثيوبيا يُقدس كإله "ابن الشمس"، له مهابته الدينية، لا يليق به أن يهتم بأمور الدولة المدنية لأنه شخص روحي، والذي يحكم البلاد الملكة الأم، تلقب دومًا كنداكة Candake، Candace.

كان هذا الخصي متديًا متعلمًا، سافر إلى أورشليم ليسجد في الهيكل؛ كان ضليعًا في قراءة الترجمة السبعينية للعهد القديم. كان في رحلته يقرأ في سفر إشعياء، وقد انشغل قلبه بالبحث عمن يشير إليه هذا النبي.

يقدم لنا **القديس ايريناؤس** هذا الخصي مثلاً لتأكيد أهمية دراسة الأنبياء، فالكرازة معه لم تأخذ جهدًا من فيلبس بسبب إيمان الخصي بالأنبياء.

v في الحال عندما عمده (فيلبس) فارقه، لأنه لم يعد محتاجًا إلى شيء، إذ كان مهيئًا خلال تعليم الأنبياء. لم يكن يجهل الله الآب، ولا أحكام طريقة الحياة (اللائقة)، إنما كان يجهل مجيء ابن الله. وإذ تعرف عليه ففي وقت قصير من الزمن ذهب في طريقه فرحًا ليكون مبشرًا في إثيوبيا بمجيء المسيح. لذلك لم يجد فيلبس تعبًا عظيمًا أن يدخل إلى حياة هذا الرحل، لأنه كان معدًا في خوف الله بواسطة الأنبياء.

القديس ايريناؤس

v بقراءة النبي صار خصي كنداكة ملكة أثيوبيا مستعدًا لنوال معمودية المسيح.

القديس جيروم

v رافق الروح فيلبس وهو يسلك هذا الطريق. لم يكن الخصي نفسه متراخيًا، ولم تحل به الغيرة فجأة لكي يعتمد، وإنما بعد صعوده إلى الهيكل ليصلي انشغل بالكتاب المقدس.

العلامة ترتليان

تعتبر شخصية هذا الخصي مثلاً رائعًا في التزام الإنسان أن يجاهد في قراءة الكتاب المقدس بمثابرة، طالبًا أن يتفهم الحكمة، ليس فقط من كتب الفلاسفة، وإنما بالأكثر من رجال الله القديسين. كتب **القديس جيروم** إلى بولينوس أسقف نولا:

v ظهر في سفر الرؤيا سفر مختوم بسبعة ختوم، هذا الذي إذا تسلمه شخص متعلم ويُقال له: اقرأ. هذا يجيب: "لا أقدر لأنه مختوم". كم من كثيرين اليوم يتباهون بأنفسهم أنهم متعلمون، مع أن الكتاب المقدس بالنسبة لهم مختوم. إنهم لا يقدرون أن يفتحوه إلا بذاك الذي له مفتاح داود، "الذي يفتح ولا أحد يغلق، ويغلق ولا أحد يفتح". فإن الخصي في أعمال الرسل عندما قرأ إشعياء سأله فيلبس: "**ألعلك تفهم ما أنت تقرأ؟**" [٣٠]، أجاب: "**كيف يمكنني إن لم يرشدني أحد؟**" [٣١]...

إنني لست أقدس من هذا الخصي، ولا أكثر منه مثابرة، هذا الذي جاء من أثيوبيا، أي من أقصى العالم إلى الهيكل، تاركًا قصر الملكة، وبحبٍ عظيمٍ للناموس والمعرفة الإلهية كان يقرأ الكتب المقدسة حتى وهو في المركبة. ومع أن الكتاب كان في يده وفي ذهنه كلمات الرب، لا بل وكانت على لسانه تنطق بها شفتاه، مع هذا لم يعرفه، لم يعرف ذاك الذي يتعبد له في الكتاب. عندئذ جاء فيلبس وأظهر له يسوع الذي كان مخفيًا وراء الحرف.

يا له من معلمٍ رائعٍ عجيبٍ!

في نفس اللحظة آمن الخصي واعتمد؛ صار أحد المؤمنين وصار قديسًا. لم يعد تلميذًا بل صار معلمًا، ووجد في جرن معمودية الكنيسة وهو في البرية أكثر مما وجده في هيكل المجمع المطلي بالذهب.

القديس جيروم

كان من عادة القدماء أن يقرأوا بصوتٍ عالٍ، فسمعه القديس فيلبس وهو يقرأ في اشعياء من الترجمة السبعينية للعهد القديم، التي تمت في عهد بطليموس لكي تودع في مكتبة الإسكندرية.

لم يتوقع الخصي أنه يتمتع بفهمٍ لما يقرأه بما حدث معه. لكن لأنه كان محبًا للكلمة، لم يرجع من العيد ليحمل ذاكرة عن الأعداد الضخمة للمشتركين في العيد، ولا انشغل بمدح العاملين في الهيكل أو ذمهم، إنما ألهب العيد قلبه للتمتع بكلمة الرب، مشتاقًا أن يتعرف على أسرارها. **هكذا يليق بنا بعد عودتنا من العبادة الجماعية أن يكون إنجيلنا رفيقًا لنا.** نقرأ الكتاب أينما وجدنا، حتى وإن كنا في رحلة، حتى يحفظ قلوبنا من الاهتمامات الزمنية، ويشغلها بالحب الإلهي. لنقرأ الكتاب كلما وُجدت فرصة، واثقين في عمل روح الله القدوس الذي ينير عقولنا وقلوبنا للتلامس مع الكلمة بطريقٍ أو آخر.

"فقال الروح لفيلبس:

تقدّم ورافق هذه المركبة". [٢٩]

هنا كشف الروح القدس عن غاية الرؤيا، إنه قد أرسله لا ليعظ في مجمع، ولا ليتحدث في بيت مع جماعة كبيرة أو صغيرة، أو حتى مع أسرة، وإنما أرسله ليكرز لفردٍ واحدٍ في الطريق.

لا يخفي الله أسراره عمن يطلبها بتواضعٍ واخلاصٍ. وقد اتسم هذا الخصى بهاتين السمتين كما يظهر من حديثه مع الرسول فيلبس. لهذا في غير محاباة أرسل له الله فيلبس الرسول في لحظاتٍ معينة وبخطةٍ إلهيةٍ فائقة.

بدأ القديس فيلبس يشرح له سرّ الحمل الذبيح، المخفي منذ الدهور. ما كان لغزًا بالنسبة له قبل تعرفه على المصلوب صار بسيطًا وسهلاً، بل وموضع عذوبة بعد أن اكتشف سرّ الصليب. لا يعوقه الجسد عن الحركة السريعة، وكأنه قد حمل نصيبًا من سمة الجسد المقام.

"فبادر إليه فيلبس،

وسمعه يقرأ النبي إشعياء فقال:

ألعلّك تفهم ما أنت تقرأ". [٣٠]

في غيرةٍ متقدةٍ وشوقٍ حقيقيٍ لخلاص كل نفس أطاع القديس فيلبس دعوة الروح القدس، فبادر أو جرى مسرعًا نحو المركبة دون تردد أو تفكير في العقبات التي قد تمنعه عن العمل. فمن المعروف أن الحوار مع العظماء والأغنياء فيما يخص الإيمان غالبًا ما يكون صعبًا. هذا والقديس فيلبس كان يسير على قدميه بينما الخصي كان في مركبة تقودها خيول سريعة وقوية، فكيف يلحق بها، وكيف يطلب أن يصعد إلى المركبة ليتحدث معه.

كان الخصي يقرأ بصوتٍ عالٍ، فتجاسر القديس وسأله: **"ألعلك تفهم ما أنت تقرأ؟"**

لعل من أهم السمات التى اتصف بها هذا الخصي جديته في الإهتمام بخلاص نفسه، فلم ينشغل في مثل هذه الرحلة الشاقة بتسليةٍ ما أو قراءة بعض القصص الهزلية أو قراءة في السياسة، بل في التمتع بكلمة الله. إنه كقائدٍ في الدولة شعر أن مسئوليته مضاعفة، ليس فقط من أجل نفسه، بل

ومن أجل الآخرين، يلتزم أن يختبر الحياة التقوية القائمة على كلمة الله. وأن كثرة مشغولياته تضاعف إحتياجاته للحياة المقدسة.

يدرك هذا الخصي قيمة الوقت، فلا يفسد منه أي نصيب، ولا يعطي عذرًا أنه على سفر في رحلة شاقة.

v لم يخجل من أن يعترف بجهله، وتوسل أن يتعلم، لذلك أعطي لذاك الذي صار معلمًا له عطية الروح.

البابا أثناسيوس الرسولي

"فقال: كيف يمكنني إن لم يرشدني أحد،

وطلب إلى فيلبس أن يصعد ويجلس معه". [٣١]

في تواضعٍ لم يستخف الخصي بالمتحدث، بل طلب منه أن يصعد ويجلس معه في المركبة، ويفسر له ما ورد في السفر.

بلا شك أدرك الخصى من نبرات صوت القديس أنه لم يحمل السؤال نوعًا من الكبرياء أو التشامخ عليه، بل لمس فيه الروحانية المتسمة بالتواضع مع المحبة لذلك كان رد الفعل هو شعور الخصي بالحاجة الى من يعينه. كشف عن شوقه الحقيقي والملتهب نحو المعرفة، يتقبلها ولو عن طريق شخصٍ غريبٍ لم يسبق له أن تعَّرف عليه.

v حسنًا، لم يتطلع الخصي إلى المظهر الخارجي للرجل، ولم يقل له: "من أنت؟" لم يوبخه ولا أوقفه عن الكلام، ولا قال أنه يعرف؛ بل على العكس اعترف بجهله لذلك تعلم. لقد أظهر جرحه للطبيب... انظروا كيف كان متحررًا من التشامخ... كان راغبًا في التعلم، منصتًا باهتمامٍ لكلماته، فتحقق فيه القول: "من يطلب يجد" (مت ٧: ٨).

القديس يوحنا الذهبي الفم

"وأمّا فصل الكتاب الذي كان يقرأه فكان هذا:

مثل شاةٍ سيق إلى الذبح،

ومثل خروفٍ صامتٍ أمام الذي يجزّه،

هكذا لم يفتح فاه". [٣٢]

هذا النص مقتبس من الترجمة السبعينية (إش ٥٣: ٧-٨). ولعله سمع هذا الفصل أثناء عبادته في أورشليم، فعاد في مركبته يقرأ ما سمعه ويتأمل فيه.

v يُدعى "الحمل" (يو ١:٢٩؛ إش ٥٣:٧، ٨؛ أع ٨:٣٢) لا كغير عاقلٍ، بل لأن بدمه الثمين يطهر العالم من خطاياه، ويقف صامتًا أمام جازيه. هذا الحمل دُعي مرة بـ "الراعي" إذ يقول: "أنا هو الراعي الصالح" (لو ١٠:١١) هو حمل من جهة ناسوته، وراعٍ بالحب المترفق الذي

للاهوته. هل تريد أن تعرف حملان عاقلة؟! اسمع المخلص يقول للرسل: "ها أنا أرسلكم كحملانٍ بين ذئابٍ" (مت ١٠: ١٠، ١٦).

القديس كيرلس الأورشليمي

"في تواضعه أنتزع قضاؤه،

وجيله من يخبر به؟

لأن حياته تنتزع من الأرض". [٣٣]

جاءت ترجمة النص العبري: "أخذ من الحبس، ومن الحكم" وقد وردت كلمة "الحبس" هنا أو "السجن" بمعنى أنه تحت الحفظ، فقد قُيدت يدا السيد، واقتيد تحت الحفظ للمحاكمة.

"فأجاب الخصي فيلبس، وقال:

أطلب إليك عن منْ يقول النبي هذا؟

عن نفسه؟ أم عن واحدٍ آخر؟" [٣٤]

تساءل الخصي: عن من يقول النبي هذا، عن نفسه أم عن واحدٍ آخر؟" بلا شك تطلع إشعياء إلى هذا السرّ بروح النبوة كما من خلال الظل، ولم يكن ممكنًا له ولا للأنبياء جميعًا ولا للسمائيين إدراك كمال هذا السرّ حتى رُفع السيد المسيح على الصليب.

قبل مجيء ربنا يسوع كان اليهود يحسبون أن ما ورد هنا يشير إلى شخص المسيا، وأن الحديث عن آلام العبد إنما هو نبوة عن آلام المسيا. لكن بعد رفضهم يسوع المصلوب بدأوا يفسرون النص أنه خاص بآلام النبي نفسه، ويفسره البعض أنها آلام شعب إسرائيل.

بدأ القديس فيلبس يوضح للخصي أنها نبوة مسيانية، وأنها تحققت في شخص ربنا يسوع المسيح.

"ففتح فيلبس فاه، وابتدأ من هذا الكتاب،

فبشّره بيسوع". [٣٥]

بلا شك كان حديث القديس فيلبس معه مطولاً، فتعرض للكشف عن شخص السيد المسيح من خلال النبوات كما تحدث عن عمله الخلاصي، وأيضًا عن الحاجة الى العماد للتمتع بالميلاد الثاني. الآن الروح القدس الذي أملى على إشعياء النبي بالنبوة هو بعينه كشف عن عيني الخصي ليدرك غنى هذا السرّ.

v لقد عاد إلى الملكة ليس كوزيرٍ لخزائنها المادية، وإنما وزير كنوز الروح القدس والحكمة الإلهية والحياة الأبدية. لاحظوا حديثه، كان أبعد ما يكون عن الجفاف (الخشونة) أو التملق، بل بالأحرى كان صادرًا عن شخصٍ لطيفٍ يحمل صداقة.

القديس يوحنا الذهبي الفم

٦. عماد الوزير الأثيوبي

"وفيما هما سائران في الطريق أقبلا على ماء،

فقال الخصي:

هوذا ماء ماذا يمنع أن اعتمد؟" [٣٦]

يوجد في شمال شرقي غزة وادي حيث فيه ماء جاري، وقد جاء في الديداكية (٧: ١-٣) التي ترجع إلى القرن الأول وبدء القرن الثاني أن العماد يتم في ماءٍ جارٍ إن أمكن.

- أما عن العماد، فعمدوا هكذا:

بعدما تعلمون كل ما تقدم،

عمدوا باسم الآب والابن والروح القدس بماء جار (حيّ).

فإذا لم يكن هناك ماء جار فعمد بماءٍ آخر.

إذا لم تستطع أن تعمد بماء بارد فعمد بماء دافيء.

إذا كنت لا تملك كليهما فاسكب الماء فوق الرأس ثلاثًا،

باسم الآب والابن والروح القدس.

الديداكية

لا يوجد في هذه المنطقة نهر، لكن غالبًا ما كان هذا مجرى ماء أو ينبوع ماء.

"فقال فيلبس: إن كنت تؤمن من كل قلبك يجوز،

فأجاب وقال:

أنا أؤمن أن يسوع المسيح هو ابن اللَّه". [٣٧]

تطلع الخصى إلى نبع في وادي الحسي Wadi El Hessi في شمال شرقي غزة برية، فتهللت نفسه، وطلب نوال سرً المعمودية، فتمتع بهذا الكنز المفرح.

"فأمر أن تقف المركبة،

فنزلا كلاهما إلى الماء: فيلبس والخصي، فعمّده". [٣٨]

٧. القديس فيلبس في أشدود

"ولما صعدا من الماء

خطف روح الرب فيلبس،

فلم يبصره الخصي أيضًا،

وذهب في طريقه فرحًا". [٣٩]

في فترة قصيرة للغاية تتلمذ الخصي على يديّ القدّيس فيلبّس المبّشر، وفتح الرب عينيه ليّدرك سرّ خلاصه. لكنّه ما أن نال العماد حتى خطف روح الرب فيلبّس فلم يره الخصي. لقد فقد معلّمه في لحظات، لكنّه وجد المسيّا المخلص، نال ما هو أعظم بما لا يُقاس من معلّمه، لقد شعر أنّه قد صار إنسانًا جديدًا قائمًا كما من بين الأموات، ليسلك في النور عوض الظلمة، بل صار بالرب نورًا. قيل أنّه عاد إلى أثيوبيا يكرز بالخلاص، فيُنير الطريق لإخوته.

واضح أن العماد كان يتم بالتغطيس، وإلا كان يمكن عماد الخصي داخل المركبة، ولما قيل: **"ولما صعدا من الماء"**.

نال الخصي العماد ليرجع إلى أثيوبيا يكرز ببشارة الخلاص. وخطف روح الرب فيلبس فلم يعد يبصره. ما كان يشغله ليس لقاؤه بفيلبس، بل تمتعه بالمعمودية ونوال فرح الروح القدس، فقد نال ميلادًا جديدًا، وصار خليقة جديدة.

"وأمّا فيلبس فوُجد في أشدود،

وبينما هو مجتاز كان يبشّر جميع المدن حتى جاء إلى قيصرية". [٤٠]

في لحظة حمله الروح إلى أشدود التي تبعد حوالي ٢٠ ميلاً شمال غزة. صار فيلبس أشبه بروح بلا جسد.

أشدود، وفي اليونانية Azotus، وهي إحدى المدن التي لم يأخذها يشوع بل بقيت في يد الفلسطينيين. في هذه المدينة نقل تابوت العهد عندما أخذه الفلسطينيون من الإسرائيليين. وفيها سقط تمثال داجون أمام التابوت (١ صم ٥: ٢-٣)، وهي تبعد حوالي ٣٠ ميلاً من غزة، كانت تقع على ساحل البحر الأبيض المتوسط، بها ميناء ليس له أثر الآن. صارت المدينة الآن على بعد ميلين من البحر، إذ ترسب الرمل على الشاطئ كما انتقلت الرمال من الصحراء خلال الرياح.

عاد فيلبس الرسول يكرز ويعمد، ويحصد الثمر، وأخيرًا استقر في قيصرية. بشر جميع المدن حتى جاء إلى قيصرية؛ هذه المدن هي يافا، وليدة، واسكلون، واريمارها Arimarha الخ.، جميعها تقع على ساحل البحر.

قيصرية: كانت قديمًا تدعى برج ستراتو Strato's Tower تقع على ساحل البحر عند فم نهرٍ صغيرٍ، وكان بها ميناء جميل يبعد حوالي ٣٦ ميلاً جنوب اقرا Acra وحوالي ٦٢ ميلاً شمال غرب أورشليم، ونفس المسافة تقريبًا شمال شرق أشدود. يرى البعض إنها هي هازر Hazor الواردة في يشوع ١١: ١، أعاد بناؤها هيرودس الكبير، ودعيت قيصرية تكريما لأوغسطس قيصر. صارت مركز الحاكم الروماني عندما كانت اليهودية ولاية رومانية (أع ٢٣: ٣٣).

يقول د. كلارك أنه لا يوجد في التاريخ مثل لمدينة سمت بسرعة فائقة في وقت قصير، وانهارت في وقت قصير مثل قيصرية. لم يعد بها مسكن واحد. قصورها ومعابدها التي كانت غاية في

الإبداع والفن يصعب جدًا وجود أثر لها. في خلال عشر سنوات بعد وضع الأساسات صارت من أعظم مدن سوريا كلها، الآن نجد خرابًا تامًا!

ملحق للأصحاح الثامن

عن

حلول الروح القدس

ووضع الأيدي

المسحة المقدّسة والعُرس الأبدي

الأسرار الكنسيَّة في جوهرها هي تمتّع بعمل نعمة اللَّه القدّوس في حياة الكنيسة، كما في حياة كل عضوٍ فيها، لكي تتهيّأ للعرس الأبدي. بها تنفتح أبواب السماء أمامه، فيمتلئ المؤمن رجاءً في غنى نعمة اللَّه الفائقة، فيعبر قلبه من مجدٍ إلى مجدٍ، حيث يختبر عربون السماء وهو بعد يجاهد على الأرض.

ففي **سرّ العماد** يتمتّع المؤمن بعمل الروح القدس في مياه المعموديّة لينال الميلاد الجديد، ويحمل طبيعة الإنسان الجديد الذي على صورة خالقه. إنّه يولد كطفلٍ يحتاج أن يرضع من لبن أمِّه، الكنيسة، غير الغاش، لكنّه **يبقى محتاجًا إلى النموّ والنضوج** ليتهيّأ بالحق للعرس الأبدي، فتصير نفسه عروسًا تحمل مع كل يوم إشراقات بهاء عريسها، ملك الملوك، وتسمع صوته يناجيها: "جمُلتِ جدًا جدًا، فصلحتِ لمملكة، وخرج لك اسم في الأمم لجمالك لأنّه كان كاملاً ببهائي الذي جعلته عليكِ يقول السيد الرب" (حز١٦: ١٣-١٤).

هذا ما تود كلمة اللَّه وتعليقات آباء الكنيسة أن نختبره خلال ما يُدعى "**سرّ المسحة**".

إلهنا الذي يود أن يقيم من شعبه ملكة سماويّة، تحمل أيقونة عريسها ملك الملوك يهبنا خبرة يوميّة لعمل الروح القدس الساكن فينا والذي نلناه في سرّ المسحة المقدّسة.

لنرى الآن كيف بدأ هذا السرّ في عصر الرسل **بوضع الأيادي**، ثم لماذا استخدمت الكنيسة المسحة المقدسة مع وضع الأيادي.

حلول الروح القدس ووضع الأيادي

تَقدّم ربّنا يسوع المسيح كنائبٍ عنّا إلى مياه المعموديّة ليعتمد على يد القدّيس يوحنا المعمدان، لكي يهبنا البنوّة للآب فيه. وقد حلّ **الروح القدس بعد نزوله المعموديّة مباشرة** وهو في نهر الأردن (مت ٣: ١٦؛ مر ١: ١٠؛ لو ١٣: ٢١-٢٢؛ يو ١: ٣١-٣٤).

وإذ كان الرسل يعمّدون يصلّون طالبين حلول الروح القدس على المعمّدين حديثًا بوضع الأيدي عليهم (أع ٨: ١٤-١٧؛ ١٩: ١-٦). وكان الأساقفة أيضًا يضعون الأيادي على المؤمنين بعد عمادهم مباشرة لنوال عطيَّة الروح القدس. وإذ تزايد عدد الراغبين في الانضمام إلى كنيسة

المسيح، وأيضًا المولودين من عائلات مسيحيَّة صار الكاهن يقوم بمسح المعمّد حديثًا بزيت الميرون xrisma. وهي كلمة يونانيَّة وقبطيّة معناها "طيب" أو "دهن"، هذا الطيب يُصنع من عقاقير وأطياب كثيرة، يقدَّس بكلمة اللَّه والصلاة، يقوم الأساقفة بإعداده؛ يُمسح به المعمّد حديثًا على إشارة الصليب على ستّة وثلاثين عضوًا من أعضاء الجسم ليمتلئ كل كيانه بالروح القدس، ويصير مسيحًا للرب. غير أن هذه المسحة لم تبطل طقس وضع الأيادي بالنسبة للأساقفة.

سرّ الميرون أو المسحة Chrism يُعرف في الغرب بسرّ التثبيت Confirmation. ومنذ بدء انطلاق الكنيسة عُرف باسم "ختم الروح" يُوهب مع العماد.

بين سرّ العماد وسرّ المسحة

نتمتّع في سرّ العماد بالميلاد الجديد وغفران الخطايا، وفي سرّ المسحة ننال الروح القدس ساكنًا فينا. ولمّا كان السرّان يتمّان غالبًا في وقتٍ واحدٍ، لهذا يتحدّث البعض عن سرّ العماد بمعنى واسع يضمّ معه سرّ المسحة.

وردت عبارة في كتابات **العلامة أوريجينوس** توضّح الاستخدام المحدّد والمتّسع لكلمة "العماد". إذ يقول: [في أعمال الرسل **يُعطى الروح القدس بوضع الأيادي في المعموديّة.**] هذا هو المعنى الواسع للعماد، حيث يضم السرين معًا. ويكمل **العلامة أوريجينوس** بعد قليل: [كانت نعمة الروح القدس وإعلانه تُسلّم **بوضع أيادي الرسل بعد العماد.**] هنا المعنى المحدد للعماد. جاءت العبارتان تكمّلان بعضهما البعض، وتوضّح التمييز بين السرّين، مع ارتباطهما معًا.

يميّز **القديس أغسطينوس** بين العماد والمسحة، الأول يدعوه "**ميلادًا بالروح**" والثاني "**قوتًا بالروح**". بالعماد يولد المؤمن بالروح، فيتقبّل غفران الخطايا. هذه الهبة الأولى تهيئ لعطايا أخرى للروح. إنّها تهب قبول الروح نفسه الذي به نتطهّر حيث نقبل العفو، ويسكن فينا لعمل البرّ ونموّه وكماله.

- لسنا نقبل الروح القدس في مياه المعموديّة، بل نتطهّر في الماء... وبهذا نتهيّأ لقبول الروح القدس.

- تُوضع اليد علينا في البركة، داعيًا ومستدعيًا الروح القدس... عندئذ يحلّ الروح الكلي القداسة بإرادته من عند الآب على أجسامنا التي تطهّرت وتباركت.

العلامة ترتليان

- لا يولد الإنسان ثانية خلال وضع اليد عندما يقبل الروح القدس، وإنّما في العماد، فإذ يكون بالفعل قد وُلد ينال الروح القدس.

الشهيد كبريانوس

لن يتم العماد بدون عمل الروح القدس

- الماء وحده لا يقدر أن يزيل الخطايا ويقدّس الإنسان، وإنّما فقط عندما يصاحبه الروح القدس... ليس من عماد حيث لا يوجد الروح القدس، فإنّه لا يمكن العماد بدون الروح.

القديس كبريانوس

وضع الأيادي

وضع اليد علامة على نقل القوّة، ليس من شخص إلى آخر، وإنّما من اللّه مصدر كل قوّة ونعمة إلى من تكرّس للعمل الإلهي. كما فعل موسى النبي (عد ٢٧: ١٨)، وكما فعل الرسل ليحلّ الروح القدس على المعمّدين (أع ٨: ١٧-١٨) والتي دُعي بسرّ "**ختم الروح**" أو "**سرّ التثبيت**" أو "**سرّ المسحة**" موضوع حديثنا، وأيضًا في السيامات (أع ٦: ٦؛ ٢ تي ١: ٦؛ ١ تي ٤: ١٤)، وفي طلب الحِلّ (١ تي ٥: ٢٢)، وفي مسحة المرضى (مر ١٦: ١٨)، واعتبر القدّيس بولس "**تعليم المعموديّات ووضع الأيادي**" من كلام بداءة المسيح (عب ٦: ١-٢)، أي ألف باء أو أحد الأساسيات في الحياة المسيحيّة.

استخدم الرسول بولس بخصوص مسحة الروح القدس في ٢ كو ١: ٢١-٢٢ أربع كلمات يونانيَّة: **التثبيت والمسحة والختم وعربون الروح**. يقول: "ولكن الذي **يثبتنا** معكم في المسيح، وقد **مسحنا** هو الله. الذي **ختمنا** أيضًا وأعطى **عربون الروح** في قلوبنا".

يتحدّث **العلامة ترتليان** في القرن الثاني عن المسحة كعادة مستقرّة في أيّامه، وأنّها مرتبطة بالعماد، مع وضع الأيادي.

v بعد الخروج من مكان الغسل (أي من جرن المعموديّة بالتغطيس)، نُدهن بالكامل **بالمسحة الغبوطة**... تجري المسحة على الجسد لكنّها تفيدنا روحيًا. بنفس الطريقة كما أن العماد في ذاته عمل مادي حيث فيه نغطس في الماء، لكن فاعليّته روحيّة، إذ نتحرّر من الخطايا. بعد هذا **توضع اليد** للبركة مستدعيًا وداعيًا الروح القدس (ليحلّ) خلال البركة.

العلامة ترتليان

وكان هذا الطقس قائمًا في أيام **القديس كبريانوس**.

v السامريّون الذين عمّدهم فيلبّس الشمّاس الذي أرسله الرسل] نالوا عماد الكنيسة القانوني، ولم يكن لائقًا أن يعمّدوا من جديد، وإنّما ما كان ينقصهم هو ما مارسه بطرس ويوحنا، أعني الصلاة التي قدّموها عنهم **ووضع الأيدي**، لكي يستدعوا الروح القدس وينسكب عليهم. **والآن أيضًا يحدث هذا بيننا**، الذين يعتمدون في الكنيسة ُيقدّمون لأساقفة الكنيسة وبالصلاة ووضع الأيادي يقبلون الروح القدس ويكملون بختم الرب.

القديس كبريانوس

ويتحدّث **القديس أغسطينوس** أيضًا عن وضع الأيادي والمسحة أيضًا في علاقتهما بعطيّة الروح القدس.

v صلّى التلاميذ لكي يحلّ الروح القدس على الذين وضعوا عليهم أياديهم؛ لم يعطوا هم الروح القدس. ولاتزال الكنيسة تحافظ على هذه العادة في قادتها الرئيسيين. لذلك عندما قدّم سيمون الساحر مالاً لم يقل: "أعطوني أنا أيضًا هذا السلطان لكي **أعطي الروح القدس**، وإنّما "على من أضع يدي **يقبل الروح القدس**..."، لذلك فإن الرب يسوع المسيح نفسه ليس فقط أعطي الروح القدس بكونه هو اللّه، وإنّما كإنسان أيضًا قبله. لهذا قيل أنّه كان ممتلئًا بالنعمة والروح القدس (يو

١: ١٤). وبأكثر وضوح في أعمال الرسل قيل أنّه مسحه اللّه بالروح القدس (أع ١٠: ٣٨)، ليس بمسحة منظورةٍ وإنّما بعطيّة النعمة التي يعني "المسحة المنظورة التي تمسح بها الكنيسة المعمّدين... لقد قبل الروح القدس كإنسانٍ، وبكونه اللّه سكب الروح القدس (أع ٢: ٣٢). ونحن تبعًا لذلك يمكننا أن نقبل هذه العطيّة حسب قياسنا، أمّا أن نسكبه على الآخرين فهذا خارج قوّتنا. لكي يتم ذلك نصلّي عليهم للّه الذي يتمّم ذلك.

القديس أغسطينوس

وجاء في القانون ٦٠ من القوانين الخاصة بالكنيسة الإنجليزيّة (الأسقفيّة) عام ١٦٠٣م أن كل أسقف يتمّم التثبيت عند زيارته للإيبارشيّة كل ثالث سنة. يبدأ القانون هكذا: [كما كانت هناك عادة قديمة مكرّمة لدى كنيسة اللّه استمرّت **منذ عصر الرسل**، أنّه **يلزم على كل الأساقفة أن يضعوا أياديهم** على الأطفال المعمّدين والذين تعلّموا التعليم (كاتكيزم catechism) للدين المسيحي، مصلّين عليهم ومباركين إيّاهم، الذي تدعوه عامة بالتثبيت.]

وفي طقس التثبيت في الكنيسة الأسقفية يُقرأ الفصل الخاص بوضع الرسولين بطرس ويوحنّا الأيادي لحلول الروح القدس على السامريّين (أع ٨).

بين يد القدير واليد البشريَّة

يذكر فريدريك أن طقس وضع الأيادي أشير إليه ٢٠ مرّة في صيغة فعل و٤ مرّات في صيغة اسم. هذا الطقس المُستخدم في الشفاء، وفي حلول الروح القدس، وفي السيامات يشير إلى تحالف يد القدير مع العمل البشري. فاللّه القدير في محبّته للإنسان وتقديره يقدّم إمكانيّاته خلال كنيسته على الأرض، ولا يحتقر اليد البشريَّة، وإن كانت العطيّة هي من اللّه لا من الإنسان.

ولعلّ كثير من اليهود خاصة القادة لاحظوا أن يسوع المسيح اعتاد أن يضع يديه على المرضى عند شفائهم، إذ جاءه يايرس أحد رؤساء المجمع، وقال له وهو ساجد عند قدميه: "ابنتي الصغيرة على آخر نسمة، ليتك تأتي **وتضع يدك عليها** لتُشفى فتحيا "(مر ٥: ٢٣). والملاحظ أنّه في وصف عمل السيد المسيح هذا أنه كان يضع **يديه على كل واحدٍ منهم** (لو ٤: ٠)، وليس يده، غالبًا ما يضعهما على شكل صليب.

لقد فنّد **القديس أغسطينوس** بكل قوّة مقاومًا ايّة فكرة بأن الروح القدس يُوهب خلال طقس سحري، أو يُسلّم من رسول أو أسقف بذاته. يقول أن هذا الفكر غريب عن الكنيسة، فإن وضع اليد في المسحة كما الماء في المعموديّة وأيضًا وضع اليد في سيامة الكهنة هذه علامات خارجيّة تصحبها الصلوات لنوال مواهب الروح القدس من عند اللّه، وليس من إنسانٍ ما.

النمو الروحي الدائم والنضوج

قيل عن ربّنا يسوع: "وكان **الصبي ينمو يتقوّى بالروح** ممتلئًا حكمة، وكان نعمة اللّه عليه" (لو٢: ٤٠). صار طفلاً لكي يحملنا فيه كأطفالٍ بولادتنا الجديدة في المعموديّة، وإذ كان ينمو ويتقوّى بالروح إنّما لكي بروحه القدّوس **ننمو ونتقوّى فيه**، فلا نبقى أطفالاً على الدوام، بل نبغي النضوج حتى تكمل أيقونته فينا تمامًا. وكما يقول القدّيس يوحنّا: "ولكن نعلم أنّه إذا أُظهر نكون مثله، لأنّنا سنراه كما هو" (١ يو ٣: ٢). هذا هو عمل الروح القس الدائم فينا، والذي نلناه في سرّ المسحة أو وضع الأيادي بعد العماد. يقول الرسول بولس: "لا بأعمال في برّ عملناها نحن بل

بمقتضى رحمته **خلصنا بغسل الميلاد الثاني وتجديد الروح القدس**. الذي سكبه بغنى علينا بيسوع المسيح مخلصنا" (تي ٣: ٥-٦).

v يُطحن الموعوظون كالقمح خلال الصوم ويعجنون بالماء في المعموديّة، ويتشكّلون كجسد المسيح، ويُخبزون بنار الروح القدس في الدهن بالمسحة.

القديس أغسطينوس

v روحك القدّوس يا رب الذي أرسلته على تلاميذك القدّيسين ورسلك المكرّمين في الساعة الثالثة، هذا لا تنزعه منّا أيّها الصالح، لكن جدده في أحشائنا. قلبًا نقيًا اخلق فيّ يا اللّه، وروحًا مستقيمًا جدّده في أحشائي.

من صلوات الساعة الثالثة

الأجبيّة

سرّ التثبيت

يقول الرسول بولس: "ولكن **الذي يثبتنا معكم في المسيح**، وقد مسحنا هو الله. الذي ختمنا أيضًا وأعطى عربون الروح في قلوبنا" (٢ كو ١: ٢١-٢٢). كما يقول القيس يوحنا الحبيب: "ومن يحفظ وصاياه **يثبت فيه** وهو فيه وبهذا نعرف انه يثبت فينا من الروح الذي أعطانا" (١ يو ٣: ٢٤)

v وسمك اللّه الآب بعلامة المسيح ربّنا **وثبّتك**، وأعطاك الروح القدس عربون الخلاص كما يُعلّم الرسول.

القديس أمبروسيوس

v كانت سفينة نوح تبشّر بمجيء المزمع أن يقود كنيسته في المياه، وأن يرتدّ أعضاؤها إلى الحرّيّة باسم الثالوث القدّوس (اليهوديّة في المعموديّة). وأما الحمامة فكانت ترمز إلى الروح القدس المزمع أن يصنع مسحة هي سرّ الخلاص.

القدّيس مار أفرآم السرياني

v الذين وضعوا (الرسل) أياديهم عليهم قبلوا الروح القدس الذي هو الطعام القوي للحياة (مقابل اللبن الذي قال القدّيس بولس أنّه أطعمهم به).

القديس إيريناؤس

مسحاء

جاء ذكر "المسحة" في الكتاب المقدّس لأول مرّة عندما رأى يعقوب في حلمٍ سلمًا منصوبًا على الأرض ورأسه يمس السماء، والرب واقف عليه وملائكة اللّه صاعدين ونازلين، قال: "ما أرهب هذا المكان، ما هذا إلاّ بيت اللّه! وهذا باب السماء!" ثم أخذ الحجر الذي وضعه تحت رأسه، وصبّ زيتًا على رأسه (تك ٢٨: ١٢-١٨). جاءت المسحة تعلن تقديس الموضع وتكريسه ليكون

"بيت إيل" أو "بيت اللَّه". وأوصت الشريعة الموسويّة بمسح أشخاص (الملوك والكهنة)، وأماكن (الهيكل)، والآنية المكرّسة لخدمة بيت الرب... غاية هذه المسحة أن الشخص أو الشيء يصير مكرّسًا للَّه وحده. كان هذا كلّه عبر الأجيال يشير إلى مجيء المسيح الذي مسحه الآب بزيت البهجة (مز ٤٥: ٧) ليبشّر المساكين (إش ٦١: ١). فهو موضع سرور وبهجة الآب، لأنّه وهو الكلمة الإلهي والابن وحيد الجنس يتجسّد ليصالح البشريَّة كلّها مع الآب، فيبعث بالفرح السماوي على المساكين الذين حرموا من فيض بهجة الحياة السامريّة.

مُسح لكي نمسح نحن فيه، بكوننا أعضاء جسده، فنُحسب مسحاء.

- دُعي المسيحيّون بهذا الاسم، لأنّهم ممسوحون بزيت اللَّه.

القدّيس ثيؤفيلس الأنطاكي

- من اعتمد يلزم أن يُمسح أيضًا، لكي يصير بواسطة المسحة ممسوحًا للَّه ويأخذ نعمة المسيح.

- الذي يتخلّص من خطاياه في العماد يتقدّس ويتجدّد روحيًّا في إنسانٍ جديد، وبهذا يتهيّأ لقبول الروح القدس.

القديس كبريانوس

- إن اسم المسيح من المسحة، فكل مسيحي يقبل المسحة، إنّما ذلك ليس للدلالة على انّه صار شريكًا في الملكوت فقط، بل صار من المحاربين للشيطان.

القديس أغسطينوس

- بحق دُعيتم للمسيح، وعنكم قال اللَّه: "لا تمسوا مسحائي، ولا تسيئوا إلى أنبيائي" (مز١٠٥:١٥).

جُعلتم مسحاء بقبولكم نموذج الروح القدس. وكل الأشياء عُملت فيكم امتثالاً (بالمسيح) لأنكم صورة المسيح. هو اغتسل في نهر الأردن ونشر معرفة ألوهيته في الماء. وصعد منها وأضاء عليه الروح القدس في تمام وجوده وحلّ كذلك عليه. ولكم أنتم فشبه ذلك بعد أن صعدتم من الينابيع المقدسة صار لكم دهن شبه الذي مُسح به المسيح. وهذا هو الروح القدس الذي قال عنه المطوّب إشعياء في نبوته عن شخص الرب: "روح السيد الرب عليّ، لأن الرب مسحني" (إش ٦١:١).

لأنه لم يُمسح المسيح بأناسٍ بزيتٍ أو دهنٍ ماديٍ، لكن الآب عيّنه من قبل ليكون مخلصًا للعالم أجمع، كما قال بطرس: "يسوع الذي من الناصرة، كيف مسحه اللَّه من الروح القدس" (أع ١٠:٣٨).

صرخ داود النبي أيضًا قائلاً: "كرسيك يا اللَّه إلى دهر الدهور، قضيب استقامة قضيب ملكك. أحببت البرّ وأبغضت الإثم لذلك مسحك اللَّه إلهك بدهن الابتهاج أكثر من رفقائك" (مز ٤٥:٦، ٧).

وإذ صُلب المسيح ودفن وقام حقًا، أنتم في العماد حُسبتم جديرين أن تصلبوا وتدفنوا وتقوموا معه على مثاله: هكذا في الدهن أيضًا. وكما مسح بزيتٍ مثالي، زيت الابتهاج، لأنه منشئ الفرح الروحي، هكذا أنتم مسحتم بدهن، إذ أصبحتم شركاء للمسيح وأتباعه.

v لكن احذروا أيضًا لئلا تظنوه دهنًا بسيطًا، لأنه كما في خبز الإفخارستيا بعد حلول الروح القدس لا يصير خبزًا عاديًا بعد بل جسد المسيح، هكذا هذا الدهن لا يكون دهنًا بسيطًا أو عاديًا بعد الصلاة، لكن هي موهبة المسيح بالنعمة وبحلول الروح القدس أصبح لائقًا لعلم طبيعته الإلهية.

الدهن الذي يرمز بالرشم على جبهتك وحواسك الأخرى.

وإذ يُرشم جسدك بالدهن المنظور تطهر نفسك بالروح القدس واهب الحياة.

ورُشمت على الجبهة كأنك تتخلص من العار الذي حمله الإنسان الأول معه في كل مكان، وأنه بوجه مكشوف كما في مرآة ناظرين مجد الرب (٢ كو ٣:١٨). ثم على آذانك حتى تتقبل الآذان سريعًا سماع الأسرار الإلهية التي قال عنها إشعياء النبي: "أعطاني الرب أذنًا للسمع" (إش ١:٤). وقال سيدنا الرب يسوع المسيح: "من له أذنان للسمع فليسمع" (مت ١١:١٥، مت ١٣:٩، ٤٣، مر ٤:٩، ٢٣، ١٧:١٦، لو ١٤:٣٥). ثم على الأنف حيث تتقبل الدهن المقدس، فيمكنك أن تقول: "لأننا رائحة المسيح الذكية لله في الذين يخلصون" (٢ كو ٣:١٨). بعد ذلك على صدرك حيث "قد لبستم درع البرّ" (أف ٦:١٤) ، حتى تقدروا "أن تثبتوا ضد مكايد إبليس" (أف ٦:١١).

لأن المسيح بعد عماده وحلول الروح القدس ذهب وغلب الشرير، هكذا أنتم أيضًا بعد العماد المقدس والمسحة السرية، إذ لبستم كل سلاح الروح القدس، لكي تقفوا ضد قوة الشرير وتقهروه قائلين: "أستطيع كل شي في المسيح الذي يقويني" (في ٤:١٣).

القديس كيرلس الأورشليمي

v هكذا أيضًا توضح عبارة داود في مز ٤٤: ٧- ٨ أنه ما كان لنا أن نصير شركاء الروح القدس ولا أن نتقدس لو لم يكن اللوغوس المتجسد، الذي هو واهب الروح قد مسح نفسه بالروح لأجلنا، ولهذا فمن المؤكد أننا كنا نحن الذين قبلنا الروح القدس حينما قيل انه مُسح بالجسد. لأن جسده الخاص هو الذي تقدس أولاً، وإذ قيل عنه كإنسان، إن جسده قد نال هذا (الروح)، فلأجل هذا ننال نحن نعمة الروح آخذين إياها "من ملئه".

القديس أثناسيوس الرسولي

v كان سكب للروح علينا، أما للرب يسوع الذي كان في شكل إنسانٍ، فالروح استقر عليه... بخصوصنا فإن سخاء المُعطي يعين بفيضٍ، أما بالنسبة له فيسكن فيه كمال الروح أبديًا. يسكب إذن حسبما يكفينا، وما يسكبه لا ينفصل ولا ينقسم، أما ما هو له فهو وحدة الكمال الذي به ينير بصيرة قلوبنا حسب قدرتنا على الاحتمال. أخيرًا نحن نتقبل حسب ما يتطلبه تقدم ذهننا. من أجل كمال نعمة الروح غير منظور، ولكنه يساهم فينا حسب إمكانية طبيعتنا.

القديس أمبروسيوس

v لداود الحق أن يصرخ، كإنسانٍ قد تجدد، "وسآتي إلى مذبح الله، إلى الله الذي يعطي فرحًا لشبابي" (مز ٤٣:٤). كما قال قبلاً إنه شاخ وسط أعدائه... وهو يقول هنا إنه قد استعاد الشباب بعد طول شيخوخة وسقوط الإنسان. لأننا قد تجددنا بالتجديد الذي نلناه في **المعمودية**، وتجددنا خلال **سكب الروح القدس**، وسنتجدد أيضا **بالقيامة**، كما يقول في نصٍ آخر: "فيتجدد مثل النسر شبابك" (مز ١٠٣:٥) فاعلموا طريقة تجديدنا: "تنضح عليَّ بزوفاك فأطهر، تغسلني فأبيَّض أكثر من الثلج" (مز ٥١:٩) وفي إشعياء: "إن كانت خطاياكم حمراء كالقرمز، تبيض كالثلج" (إش ١:١٨) **ومن يتغير من الظلمة، ظلمة الخطية، إلى نور الفضيلة وإلى النعمة، إنما قد تجدد فعلاً**. لهذا فإن ذاك الذي تلطخ قبلاً بالدنس الأحمق، يشرق الآن بسطوع أكثر بياضًا من الثلج.

القديس أمبروسيوس

ختم الله على النفس

"ولا تحزنوا روح الله القدوس، الذي به خُتمتم ليوم الفداء" (أف ٤: ٣٠).

"الذي فيه أيضًا أنتم إذ سمعتم كلمة الحق إنجيل خلاصكم، الذي فيه أيضًا إذ آمنتم، خُتمتم بروح الموعد القدوس. الذي هو عربون ميراثنا لفداء المقتنى لمدح مجده" (أف ١: ١٣-١٤).

v كما أن الرسولين بطرس ويوحنا بعد صلاة واحدة استحدرا الروح القدس على سكّان السامرة بوضع الأيادي (أع٨: ١٤-١٧)، هكذا الكنيسة أيضًا منذ ذلك الحين، ينال جميع المعمّدين الروح القدس، ويُختمون بختمه عند دعاء الكهنة ووضع أياديهم.

القديس كبريانوس

v قد ختمت جميع قواكم النفسيّة بختم الروح القدس... وقد وضع الملك عليكم رسالته، خاتمًا إيّاها بختم النار لكي لا يقرأها الغرباء ويحرّفوها.

القدّيس مار أفرآم السرياني

v يمسحك اللَّه ويختمك المسيح. كيف ذلك لأنّك تُختم برسم صليبه وآلامه.

v قد قبلت الختم الروحي... حافظ على ما اقتبلت... فقد وسمك اللَّه الآب بعلامة المسيح ربّنا وثبّتك وأعطاك الروح القدس.

القديس أمبروسيوس

تدشين النفس وتكريسها

"أما تعلمون أنكم هيكل الله وروح الله يسكن فيكم" (١ كو ٣: ١٦).

v يُغسل الجسد لكي تتطهّر النفس من الدنس (بالمعموديّة)؛ ويُمسح الجسد لكي تتكرّس النفس؛ يُرسم الجسد (بعلامة الصليب) لكي ما تُحفظ النفس؛ يُظلّل الجسد بوضع اليد لكي ما تستنير الروح، يتغذّى الجسد بجسد المسيح ودمّه لكي ما تقتات النفس باللَّه. لا يمكن فصلهما (الجسد والنفس)... عندما يتّحدا معًا في أعمالهما.

العلامة ترتليان

كهنة وملوك وأنبياء

بالخطيّة عزل الإنسان نفسه عن اللَّه واهب المجد، ولم يعد ممكنًا لروح اللَّه أن يستقر في نفسٍ بشريّة، حتى بالنسبة الآباء العظماء والأنبياء. وإذ أراد الرب أن يرد للإنسان مجده وهب شعبه أن يُمسح ملوك بدهن مقدّس كداود الذي مسحه صموئيل النبي، ويُمسح البعض كهنة كهرون، ويُعتبر الملك كما الكاهن مسيح الرب. وكما يقول **العلامة أوريجينوس** أنّه لم يكن ممكنًا أن يوجد إنسان يحمل مجد الملوكيّة والكهنوت معًا. لأن الملوك يُقامون من سبط يهوذا والكهنة من سبط لاوي. أمّا وقد جاء يسوع المسيح ملك الملوك من سبط يهوذا فهو الوحيد الملك والكاهن (على طقس ملكي صادق). خلال مسحة الميرون ترجع إلينا كرامة الكهنوت مع الملوكيّة.

من يقدر أن يعبّر عن مدى حزن حزقيال الكاهن والنبي في أرض بابل وهو يتطلّع في رؤيا مجد الرب يفارق الهيكل (حز ١٠: ١٨)، بهذا فقد إسرائيل الملوك حيث سقطت خيمة داود وسُبي السبط الملوكي في بابل، وها هو يسقط الكهنة حيث لم يعد مجد الرب موضع في هيكل أورشليم. لكن في ملء الزمان سمعت ابنة إسرائيل الصوت الملوكي المتهلّل يبشّرها: "الروح القدس **يحل عليك** وقوّة العليّ تظلّلك، فلذلك أيضًا القدّوس المولود منكِ يُدعى ابن اللَّه" (لو ١: ٣٥). لم يرجع مجد الرب إلى هيكل أورشليم، إنّما **بحلول الروح القدس جاء رب المجد**، كلمة اللَّه ليتجسّد في أحشاء البتول، فصارت أمًا لملك الملوك ورئيس الكهنة السماوي الأعظم. صارت ملكة فريدة تجلس عن يمين الملك (مز ٤٥: ٩).

انفتح الباب لكل المؤمنين عبر كل العصور ليحلّ الروح القدس (خلال وضع الأيادي أو مسحة الميرون) فيظلّل على النفس البشريَّة، ويقيم منها **مريم ثانية**، لا ليتجسّد الكلمة مرّة أخرى، وإنّما ليحل المسيح بالإيمان فيها (أف ٣: ١٧)، فتصير ملكة وكاهنة ونبيّة روحيًا. هكذا في مسحة الميرون نُمسح ملوكًا أصحاب سلاطين حتى على أفكارنا وحواسنا، وكهنة نقدّم تقدمات شكر وذبائح تسابيح للَّه (رو ١:١٢)، وأنبياء ندرك بكل وضوح مستقبلنا في حضن أبينا السماوي.

مسحة الميرون تهبنا اعتزازًا بنعمة الروح القدس العجيب الذي يهبنا مجدًا لا ينقطع!

لقد صارت القدّيسة مريم أمًا لذاك الذي تجسّد منها، أمّا نحن فنحمل ملك الملوك في قلوبنا. وكما يقول الرسول بولس: "يا أولادي الذين أتمخّض بكم أيضًا إلى أن **يتصوّر المسيح فيكم**" (غل ٤: ١٩).

يقول الرسول يوحنا: "وجعلنا **ملوكًا وكهنة لله أبيه** له المجد والسلطان إلى أبد الآبدين آمين" (رؤ ١: ٦).

v انظروا كيف صرتم مشاركي اسم المسيح كهنوتيًا، وكيف أُعطي لكم ختم شركة الروح القدس.

الشهيد كبريانوس

v أظن انّه ليس أحد من بين المؤمنين يشك بأن كهنوت اليهود كان رمزًا للكهنوت الملوكي الذي كان يلزم أن يتحقق بالكهنوت الذي في الكنيسة، حيث يتكرّس الكل، هؤلاء الذين ينتمون إلى جسد المسيح، رئيس الكهنة الأعظم والأسمى. فالآن الكل ممسوحون، بينما في تلك الأيّام كانت المسحة

للملوك والكهنة وحدهم. وعندما كتب بطرس إلى الشعب المسيحي تحدّث عن "**كهنوت ملوكي**"، وأظهر بوضوحٍ أن هذا الشعب يوصف باللقبين معًا هذه التي من أجلها قد تخصّصت المسحة.

القديس أغسطينوس

v يُمسح كل مؤمن كاهنًا وملكًا، غير أنّه لا يصير ملكًا حقيقيًا ولا كاهنًا حقيقيًا، بل ملكًا روحيًا وكاهنًا روحيًا، يقرّب للّه ذبائح روحيّة وتقدمات الشكر والتسبيح.

القديس أمبروسيوس

v الذين كانوا يُمسحون في العهد القديم هم إمّا كهنة أو أنبياء أو ملوك. أمّا نحن المسيحيّون، أصحاب العهد الجديد، فيلزم أن نُمسح لكي نصير ملوكًا متسلّطين على شهواتنا، وكهنة ذابحين أجسادنا، ومقدّمين إيّاها ذبيحة حيّة مقدَّسة مرضيّة عبادتنا العقليّة، وأنبياء لإطلاعنا على أسرارٍ عظيمةٍ جدًا وهامة للغاية.

القديس يوحنا الذهبي الفم

مسحة ربّانيّة كهنوتيّة

أول ما عُرف عن مسحة الأشخاص في تاريخ الخلاص هو مسحة الكهنة، هرون وبنيه، (خر ٢٩: ٧). وكان هرون كرئيس للكهنة يلتزم أن يضع الصفيحة التي من ذهب نقي ونُقش عليها "قدس للرب" على جبهته دائمًا للرضا عن الشعب أمام الرب (خر ٢٨: ٣٦-٣٨). ونحن إذ صرنا كهنة الرب نحمل هذه الصفيحة على جباهنا وأذهاننا وحواسنا وكل طاقاتنا التي للجسد والنفس والروح.

مسحة ربّانيّة ملوكيّة

كما مُسح أول رئيس كهنة وبنوه بالدهن المقدّس ليكونوا مقدَّسين ومكرّسين للرب، هكذا مُسح أول ملك بالدهن. هذه المسحة قام بها صموئيل النبي، لكنّه قال له: "أليس لأن **الرب قد مسحك** على ميراثه رئيسًا؟!" (١ صم ١٠: ١). وفي عتاب ناثان النبي لداود حين أخطأ قال له: "هكذا قال الرب إله إسرائيل: **أنا مسحتك ملكًا**" (٢ صم ١٢: ٧)، فإن كان النبي قد مارس طقس المسحة بسكب الدهن المقدّس على رأس الملك، **لكن يد الرب الخفيّة هي التي تمتد لتمسح الشخص**، فيتمتّع بمسحة ربّانيّة، بكونه رمزًا للسيّد المسيح القادم لخلاص العالم، وبكونه كملكٍ صار يمثّل كل الشعب في عيني اللّه.

مسحة زيجيّة مفرحة

والعجيب في المزمور ٤٥ حيث يتغنّى المرتّل بسرّ اتحاد السيّد المسيح بكنيسته أو زواجه بها، يرى اللّه الآب نفسه يقوم بالمسحة الإلهيَّة الفريدة غير المنظورة، فيقول: "**مسحك اللّه إلهك** بزيت البهجة" (مز ٤٥: ٧). وقد أخذت الكنيسة القبطيّة عن هذا المزمور المسياني الزيجي طقس دهن العروسين بالزيت أثناء سرّ الزيجة.

الإنارة العقليّة والتمتّع بالحماية الإلهيَّة

"وأما المعزي الروح القدس الذي سيرسله الآب باسمي فهو يعلمكم كل شيء، ويذكركم بكل ما قلته لكم" (يو ١٤: ٢٧).

v إنّك تُحفظ بختمك (أي بالمسحة) من هجمات الشرّير الشرّيرة، هذا الذي بعمادك لم يعد له سلطان عليك.

v احفظوا هذه المسحة طاهرة، لأنّها تعلم كل شيء إذا لبثت فيكم كما سمعتم أقوال يوحنا الطوباوي (١ يو ٢: ٢٠، ٢٧) الذي نطق بأقوالٍ حكيمة كثيرة في هذه المسحة، لأن الروح القدس حرز للجسد وخلاص للنفس.

القديس كيرلس الأورشليمي

v كيف يدافع عنك الملاك الحارس، كيف يحفظك من العدو، إن لم يكن قادرًا على رؤية ختم المسحة؟ ألا تعلم أن المُهلك عبر على بيوت المختومين بالدم في الأيّام الأولى لموسى المنقذ، وقتل أبكار البيوت التي لغير المختومين؟ الكنز غير المختوم يسرقه اللصوص بسهولة، والقطيع الذي لا يحمل علامة يسرق بأمان.

القديس باسيليوس الكبير

التبكيت على الخطية

"ومتى جاء ذاك يبكت العالم على خطية وعلى برٍّ وعلى دينونة" (يو ١٦: ٨).

يهب تعزيات روحية

"وأنا أطلب من الآب فيعطيكم معزيًا آخر ليمكث معكم إلى الأبد" (يو ١٤: ١٦).

يشفع فينا

"وكذلك الروح أيضًا يعين ضعفاتنا، لأننا لسنا نعلم ما نصلي لأجله كما ينبغي، ولكن الروح نفسه يشفع فينا بأناتٍ لا ينطق بها. ولكن الذي يفحص القلوب يعلم ما هو اهتمام الروح لأنه بحسب مشيئة الله يشفع في القديسين" (رو ٨: ٢٦-٢٧).

يعلن لنا الحق الإلهي

"روح الحق الذي لا يستطيع العالم أن يقبله، لأنه لا يراه ولا يعرفه، وأما أنتم فتعرفونه لأنه ماكث معكم ويكون فيكم" (يو ١٤: ١٧).

يقدم مواهب روحية

"ولكن هذه كلها يعملها الروح الواحد بعينه قاسما لكل واحد بمفرده كما يشاء" (ا كو ١٢: ١١).

من وحي أعمال ٨

افتح عن بصيرتي يا روح اللَّه،

وقدني في بهجة القيامة!

- تهلّل السمائيّون بلقائهم بأول شهيد مسيحي!

واضطربت أورشليم، إذ لم تحتمل عملك العجيب!

تهلّل شاول برجم استفانوس،

في نظره المناحة العظيمة على استفانوس غباوة!

شمّر عن ساعديه، ليتحرّك كوحشٍ مفترس.

ظن أن في عنفه خدمة للّه،

وحسب تدميره بناءً للملكوت!

- في تشفٍ شاهد شاول أفواج الهاربين من أورشليم.

ظن في نفسه أنّه القدير.

قادر بعنفه أن يطفئ نارك الإلهيَّة،

ويمحو اسم يسوع عن الأرض.

تبعثر المؤمنين كفحمٍ ملتهب بنارك.

فاشتعلت نار حبّك الإلهي في مواضع كثيرة!

- أغلق اليهود أبواب قلوبهم أمامك،

فانفتحت قلوب السامريّين، لتستقبل الشاهدين لك.

استنارت أعينهم، إذ تجلّى الملكوت السماوي أمامهم.

وامتلأوا فرحًا، إذ انهارت مملكة إبليس المسيطرة عليهم.

صارت المدينة في عيد عجيبٍ، وفرحٍ عظيمٍ!

- رأى سيمون الساحر قوّتك العجيبة،

فظنّ أنّه قادر أن يشتري مواهبك بماله!

قدّم مالاً لعلّه يغري الرسل،

ولم يدرك أن ما اقتنوه مجّانًا لا يبيعونه بمالٍ.

قدّم لهم ما قد صار عند أقدامهم بلا قيمة!

v في حركة سريعة كنت تحرك فيلبّس المبّشر.

ألهب السامرة بنارك الإلهيَّة.

وها هو منطلق تحت قيادتك، ليلحق بخصي كنداكة ملكة أثيوبيا.

لم يصنع أمامه عجائب وآيات كما في السامرة.

لكن تحدث معه حديث الروح الجدّاب.

سحبت قلب الخصي، لأنّه جاد في خلاص نفسه.

جاء يطلب تعزية في الهيكل،

وفتح الأسفار المقدّسة في مركبته يطلب معرفة الحق الإلهي.

تطلّعت إلى قلبه المشتاق للحق،

فاجتذبته إلى الصليب، ينعم برؤية حمل اللَّه حامل خطية العالم!

اشتهى أن يُصلب معه ويدفن،

ليقوم، حاملاً سمات القائم من الأموات.

وجد ضالته المنشودة، حين رأى ماءً في الطريق.

غطس ليعتمد، وخرج ليرى ما لا يُرى.

رأى فيلبّس اختفى من أمام وجهه،

لكن يسوع المصلوب يتجلّى أمامه.

رأى النبوّات قد تحقّقت،

ووعود اللَّه الفائقة بين يديه.

صار بالعماد ابنًا للَّه، مصدر كل فرح.

v لك المجد يا أيّها الروح الناري!

عجيبة هي أعمالك في كل جيل!

ولتهبنا مسحتك، فنُحسب ملوكًا وكهنة وأنبياء.

هبنا ختمك الإلهي، فتهرب من أمامنا قوّات الظلمة.

هبنا العربون، فنحيا في السماويّات!

١ و كان شاول راضيا بقتله و حدث في ذلك اليوم اضطهاد عظيم على الكنيسة التي في اورشليم فتشتت الجميع في كور اليهودية و السامرة ما عدا الرسل
٢ و حمل رجال اتقياء استفانوس و عملوا عليه مناحة عظيمة
٣ و اما شاول فكان يسطو على الكنيسة و هو يدخل البيوت و يجر رجالا و نساء و يسلمهم الى السجن
٤ فالذين تشتتوا جالوا مبشرين بالكلمة
٥ فانحدر فيلبس الى مدينة من السامرة و كان يكرز لهم بالمسيح
٦ و كان الجموع يصغون بنفس واحدة الى ما يقوله فيلبس عند استماعهم و نظرهم الايات التي صنعها
٧ لان كثيرين من الذين بهم ارواح نجسة كانت تخرج صارخة بصوت عظيم و كثيرون من المفلوجين و العرج شفوا
٨ فكان فرح عظيم في تلك المدينة
٩ و كان قبلا في المدينة رجل اسمه سيمون يستعمل السحر و يدهش شعب السامرة قائلا انه شيء عظيم
١٠ و كان الجميع يتبعونه من الصغير الى الكبير قائلين هذا هو قوة الله العظيمة
١١ و كانوا يتبعونه لكونهم قد اندهشوا زمانا طويلا بسحره
١٢ و لكن لما صدقوا فيلبس و هو يبشر بالامور المختصة بملكوت الله و باسم يسوع المسيح اعتمدوا رجالا و نساء
١٣ و سيمون ايضا نفسه امن و لما اعتمد كان يلازم فيلبس و اذ راى ايات و قوات عظيمة تجرى اندهش
١٤ و لما سمع الرسل الذين في اورشليم ان السامرة قد قبلت كلمة الله ارسلوا اليهم بطرس و يوحنا
١٥ اللذين لما نزلا صليا لاجلهم لكي يقبلوا الروح القدس
١٦ لانه لم يكن قد حل بعد على احد منهم غير انهم كانوا معتمدين باسم الرب يسوع
١٧ حينئذ وضعا الايادي عليهم فقبلوا الروح القدس
١٨ و لما راى سيمون انه بوضع ايدي الرسل يعطى الروح القدس قدم لهما دراهم
١٩ قائلا اعطياني انا ايضا هذا السلطان حتى اي من وضعت عليه يدي يقبل الروح القدس
٢٠ فقال له بطرس لتكن فضتك معك للهلاك لانك ظننت ان تقتني موهبة الله بدراهم
٢١ ليس لك نصيب و لا قرعة في هذا الامر لان قلبك ليس مستقيما امام الله
٢٢ فتب من شرك هذا و اطلب الى الله عسى ان يغفر لك فكر قلبك
٢٣ لاني اراك في مرارة المر و رباط الظلم
٢٤ فاجاب سيمون و قال اطلبا انتما الى الرب من اجلي لكي لا ياتي علي شيء مما ذكرتما
٢٥ ثم انهما بعدما شهدا و تكلما بكلمة الرب رجعا الى اورشليم و بشرا قرى كثيرة للسامريين
٢٦ ثم ان ملاك الرب كلم فيلبس قائلا قم و اذهب نحو الجنوب على الطريق المنحدرة من اورشليم الى غزة التي هي برية
٢٧ فقام و ذهب و اذا رجل حبشي خصي وزير لكنداكة ملكة الحبشة كان على جميع خزائنها فهذا كان قد جاء الى اورشليم ليسجد
٢٨ و كان راجعا و جالسا على مركبته و هو يقرا النبي اشعياء
٢٩ فقال الروح لفيلبس تقدم و رافق هذه المركبة

٣٠ فبادر اليه فيلبس و سمعه يقرا النبي اشعياء فقال العلك تفهم ما انت تقرا
٣١ فقال كيف يمكنني ان لم يرشدني احد و طلب الى فيلبس ان يصعد و يجلس معه
٣٢ و اما فصل الكتاب الذي كان يقراه فكان هذا مثل شاة سيق الى الذبح و مثل خروف صامت امام الذي يجزه هكذا لم يفتح فاه
٣٣ في تواضعه انتزع قضاؤه و جيله من يخبر به لان حياته تنتزع من الارض
٣٤ فاجاب الخصي فيلبس و قال اطلب اليك عن من يقول النبي هذا عن نفسه ام عن واحد اخر
٣٥ ففتح فيلبس فاه و ابتدا من هذا الكتاب فبشره بيسوع
٣٦ و فيما هما سائران في الطريق اقبلا على ماء فقال الخصي هوذا ماء ماذا يمنع ان اعتمد
٣٧ فقال فيلبس ان كنت تؤمن من كل قلبك يجوز فاجاب و قال انا اومن ان يسوع المسيح هو ابن الله
٣٨ فامر ان تقف المركبة فنزلا كلاهما الى الماء فيلبس و الخصي فعمده
٣٩ و لما صعدا من الماء خطف روح الرب فيلبس فلم يبصره الخصي ايضا و ذهب في طريقه فرحا
٤٠ و اما فيلبس فوجد في اشدود و بينما هو مجتاز كان يبشر جميع المدن حتى جاء الى قيصرية

الأصحاح التاسع

اهتداء شاول

يبدأ هذا الأصحاح بالحديث عن اهتداء شاول الطرسوسى إلى الإيمان المسيحي، وتكريس كل طاقاته لبنيان كنيسة المسيح، بعد أن كانت موجهة بالتمام لاضطهادها ومقاومة الإيمان. بتحوله كرس الرب طاقاته للعمل بين الأمم بقوة الروح القدس، وتأسيس كنائس كثيرة في العالم.

١. اهتداء شاول ١-٩.

٢. لقاء شاول مع حنانيا ١٠-١٩.

٣. انطلاقه للكرازة ٢٠-٢١.

٤. تهريبه من دمشق ٢٣-٢٥.

٥. شاول في أورشليم ٢٦-٣١.

٦. بطرس الرسول في اللد ويافا ٣٢-٤٣.

١. اهتداء شاول

كان شاول من مدينة طرسوس في سهول كيليكية جنوب شرقي آسيا الصغرى، كانت تحت الحكم الروماني. وكان أبواه من اليهود المحافظين على التقاليد والعادات اليهودية وهما في الشتات. كان الوالد ذا شخصية ممتازة، أتى بأعمال باهرة، فكافأته الدولة الرومانية بالرعوية الرومانية، فصارت له هو وأهل بيته امتيازات المواطن الروماني. هذا وكان شاول يعتز بأنه عبراني، كما أتقن اليونانية لغة وفلسفة.

كان والده فريسيًا، وهو نفسه كان فريسيًا، أي من أرقى طبقات اليهود، تحيا حياة ناموسية حرفية مدققة للغاية، يحسب نفسه من جهة الناموس بارًا. اتسم شاول بالقلب الملتهب غيرة على تراث آبائه، فكان مستعدًا أن يبذل حياته حتى الموت من أجل أمانته لديانته.

تكشف رسائله عن شخصية رقيقة للغاية، يذرف دموعه بسهولة حبًا وترفقًا بكل أحدٍ. مستعد أن ينفق نفسه، وينفق كل ما لديه. لكنه إذا آمن بمبدأ ما صار كالوحش المفترس من أجل دفاعه عن هذا المبدأ (ذلك قبل قبوله الإيمان المسيحي)، ظانًا أنه يقدم خدمة لله ودفاعًا عن الحق.

يدعو **القديس يوحنا ذهبي الفم** الرسول بولس: "معلم الكنيسة الجامعة".

"أمّا شاول فكان لم يزل ينفث تهدُّدًا وقتلاً على تلاميذ الرب،

فتقدم إلى رئيس الكهنة". [١]

لم يكن ممكنًا لشاول أن يجد راحة ما دام يوجد مسيحي مستريح. وإذ علم أن المسيحيّين في دمشق في سلام انطلق كالوحش المفترس ينقض عليهم، لعلّه يفقدهم سلامهم وراحتهم.

كان شاول أشبه بحيوانٍ مفترسٍ، يبث سمومه لعله يقتل تلاميذ الرب، فكان ينفث تهددًا، لن يشبع قلبه قط، بل يطلب مزيدًا من سفك الدماء، حاسبًا ذلك عملاً مقدسًا لحساب خدمة الله. إذ ظن أن اسم يسوع يمثل كارثة على الديانة اليهودية انقض على الكنيسة في أورشليم ينفث تهددًا وقتلاً، مستندًا على رسائل رئيس الكهنة.

"وطلب منه رسائل إلى دمشق إلى الجماعات،

حتى إذا وجد أناسًا من الطريق رجالاً أو نساء،

يسوقهم موثقين إلى أورشليم". [٢]

لم يكن رئيس الكهنة محتاجًا إلى من يثيره لاضطهاد أتباع يسوع، لكنه وُجد في هذا الشاب الثائر تحت دافع الغيرة على مجد الله وشعبه والناموس والهيكل وتقليدات الآباء ما يلهبه بالأكثر، فيكرس مجمع السنهدرين طاقاته لهذا العمل. وجد رئيس الكهنة فرصته لإبراز بطولته ليس في المقاومة في أورشليم وحدها، بل ولإعلانها خارج أورشليم. أعطي هذا الشاب رسائل يسأل المجامع والمجتمعات وكل يهوديٍ في دمشق لمقاومة كل من يؤمن بيسوع المسيح. كما وجد هذا الشاب في قلب رئيس الكهنة ما يحقق شهوة قلبه، ألا وهو خدمة الله بكل غيرة، ومقاومة ما كان في نظره بدعة خطيرة على مستقبل شعب الله كله.

طلب الرسائل من مجمع السنهدرين، ربما يكشف عن سلطة هذا المجمع في ذلك الوقت على كل المجامع اليهودية في العالم من الجانب الديني. أو لعله وجد المجمع فرصته لتثبيت هذا السلطان بظهوره بالغيرة على مجد الله ومقاومة كل بدعة أينما وجدت.

دمشق

كانت عاصمة سوريا، تقع في منطقة ممتازة تبعد حوالي ١٢٠ ميلاً شمال شرق أورشليم و١٩٠ ميلاً جنوب شرق إنطاكية. وهي في سهل متسع للغاية محفوف بأشجار السرو والنخيل، وهي

أرض خصبة جدًا، يرويها نهر بارادي Barady، كان قبلاً يدعى أبانة (٢ مل ٥: ٢١). على بعد حوالي خمسة أميال من المدينة يوجد موضع يُدعى "ملتقى المياه" حيث يلتحم نهر بارادي بنهر آخر وينقسم إلى عدة مجاري تفيض على السهل. هذه المجاري الستة أو السبعة كفيلة بإرواء الحقول هناك كما تمثل منظرًا طبيعيًا فائقًا. يُعتبر هذا الموقع من أروع مناطق العالم. كان الشرقيون أنفسهم يدعونه: "فردوس الأرض".

أشير إليها في العهد القديم، كانت مدينة في أيام ابراهيم (تك ١٥: ٢)، ولا يُعرف من الذي أسسها. استولى عليها داود (٢ صم ٨: ٦؛ ١ أي ١٨: ٦). يُشار إليها بكونها من المواقع الهامة جدًا في الصراع بين اليهود وسوريا (٢ مل ١٣: ٢٥؛ ١٦: ٥؛ إش ٩: ١١).

استولى عليها الرومان حوالي عام ٦٠ ق.م، واستولى عليها العرب عام ٧١٣م، وفي عام ١٢٥٠م استولى عليها المسيحيون في الحروب الصليبية، وفي عام ١٥١٧م استولى عليها سليم، وصارت تحت حكم العثمانيين.

كانت من أهم المدن التجارية في الإمبراطورية العثمانية، وقد تميزت بالمصانع، خاصة صناعة الحديد، ولهذا دعيت "دمشق الحديد".

المجامع

إذ انتشر اليهود في كل البقاع المحيطة باليهودية حتمًا كان في دمشق عدد كبير منهم، وكانت لهم مجامع فيها. يؤكد المؤرخ يوسيفوس أن عشرة آلاف شخص ذُبحوا في ساعةٍ واحدةٍ هناك، وفي وقت آخر ١٨٠٠٠ رجلاً مع نسائهم وأطفالهم.

لعل البعض منهم قد آمنوا بالسيد المسيح في يوم الخمسين، وإذ رجعوا من أورشليم كرزوا بالإنجيل في سوريا.

انطلق شاول إلى دمشق لكي يقيد المسيحيين ويأتي بهم إلى أورشليم لمحاكمتهم أمام مجمع السنهدرين، الذي يحسب نفسه المسئول الأول عن الأمور الدينية اليهودية، وكان اليهود حتى الغرباء يحترمون سلطانه الديني.

هذا الطريق: دعي المؤمنون "أصحاب الطريق"، ربما من اليهود، إذ حسبوهم قد سلكوا طريقًا مختلفًا عن الطريق الموسوي، وأنهم انحرفوا عن طريق شعب الله والالتزام بالناموس وتقديس الهيكل. ولعل المؤمنون أنفسهم دعوا أنفسهم هكذا بكونهم وجدوا الطريق الحق، وأنهم يسلكون فيه حتى يبلغوا إلى بيتهم الأبدي، ماداموا في العالم فهم في الطريق.

v في كل موضع يدعى تدبيرنا "**الطريق**"، وإذ نُوجد في الطريق الذي للصلاة لا نذهب إلى الآب ونحن في غضبٍ.

العلامة ترتليان

"وفي ذهابه حدث أنه اقترب إلى دمشق،

فبغتة أبرق حوله نور من السماء". [٣]

في أحلك لحظات شرّه أشرق نور القدّوس البار عليه، ليفضحه أمام نفسه، فيرجع ويتمتّع بنور البرّ. اللّه في حبّه للإنسان لا يكف عن الاشتياق للالتقاء مع الإنسان الذي جاء لا للأصحّاء بل للمرضى.

لا يعرف بالضبط أين تم ذلك، فالبعض يرى أنه خارج الباب الشرقي للمدينة، والبعض يرى أنه على بعد ميلٍ واحدٍ من المدينة.

النور الذي أبرق على وجه شاول كان بلا شك هو بهاء مجد السيد المسيح، فقد قال الرسول بولس: "آخر الكل ظهر لي أنا أيضًا" (١ كو ٥: ٨)، كما قال: "ألم أرَ يسوع المسيح ربنا؟" (١كو ٩:١)، كما أعلن برنابا كيف رأى شاول الرب في الطريق (أع ٩: ٢٧).

إعتاد الله أن يظهر لليهود في سحابة، أو عمود دخان أو نار؛ هكذا كان يعلن الله أيضًا عن حضرته في الشكناة على تابوت العهد. هذه العلامات تمثل مجد يهوه (إش ٦: ١-٤؛ خر ١٦: ٧). وعندما تجلى السيد المسيح على جبل تابور أحاط به هذا المجد (مت١٧: ١-٥).

لم تحدث هذه الرؤيا في داخل الهيكل أو في وسط اجتماع المؤمنين مقابل في الهواء الطلق حتى يدرك شاول أن روح الله لا يحد عمله بمكان معين، ولكي لا يظن أحد أن ما حدث كان بخداعٍ من المؤمنين المجتمعين حوله.

لم يحدث هذا في أورشليم، مدينة الله، بل على مقربةٍ من دمشق، فكان يليق بمن يدعى للكرازة بين الأمم أن يهتدي إلى الحق في أرض أممية، حتى لا يرتبط قلبه ويحصر في اليهود أو في أورشليم أو في هيكل سليمان.

لم يظهر له السيد المسيح طوال الطريق، بل انتظر حتى اقترب جدًا من دمشق، ولعله ظهر له في لحظات كانت أفكاره قد بلغت القمة وهو يتصور نفسه راجعًا يقتاد الكثيرين في قيود ليذلهم ويلزمنهم بالتجديف على اسم يسوع الناصري.

هكذا لشراق السيد المسيح بنور مجده على شاول الطرطوسي، وظهوره له في اللحظات العصيبة التي كان فيها شاول متعطشًا إلى محو اسم يسوع عن جهالة، يكشف عن عطش الله إلى النفوس لكي ترتوي من ينابيع حبه وتكتشف خطته لتمجيدها!

v كالإيل الذي يشتلق إلى مجاري المياه (مز ٤٢: ٢)، هكذا نزل إلى بولس، فأضاء حوله (أع ٩: ٣)، وقفز فوق كنيسته التي هي بيت إيل، أي بيت الله (مي ٥: ١)، لأن دعوة بولس هي قوة الكنيسة.

القديس أمبروسيوس

"فسقط على الأرض،

وسمع صوتًا، قائلاً له:

شاول، شاول، لماذا تضطهدني؟" [٤]

ما حلّ بشاول الطرسوسي حين أبرق عليه النور يشبه ما حدث مع دانيال النبي عندما شاهد رؤيا، إذ شعر بأن قوته قد فارقته (دا ٨: ١٧؛ ١٠: ٨).

دعوة شاول باسمه، وتكرار الاسم كشف لأعماق شاول اهتمام اللَّه به وحنوّه نحوه شخصيًّا. إعتاد الرب أن يكرر اسم الشخص الذى يدعوه عندما يريد تأكيد الرسالة (لو١٠: ٤١؛ ٢٢: ٣١؛ ٢٣: ٣٧). هذا أسلوب الله في النداء المزدوج: "إبراهيم، إبراهيم"، موسى، موسى"، "صموئيل، صموئيل"، "مرثا، مرثا"، "سمعان، سمعان"، هذا النداء يحمل تحذيرًا مع تشجيع.

بعتابه له: "**لماذا تضطهدني؟**" يذكره بالقول: "ابغضوني بلا سبب".

بلا شك كان كثير من المؤمنين قد علموا أن شاول في طريقه إلى دمشق قادم كذئبٍ مفترسٍ يهاجم الحملان الوديعة، وربما ارتبكوا للخبر، كما يظهر من كلمات حنانيا [١٣-١٤]. لكنهم لم يدركوا أن رب الحملان قادر أن يحول الذئب المفترس إلى حملٍ وديعٍ، يشتهي أن يُذبح من أجل حمل الله، ويتألم من أجل هذه الحملان الوديعة.

امتلأ كأس شاول بالشر، لكنه إذ فعل هذا بجهالة لحقت به مراحم الله في اللحظات الأخيرة قبل دخوله دمشق، لكي تحوله عن شره، وتهبه استنارة وإدراكًا للحق الإلهي. كما أن الشيطان يحل في النفس البشرية خلال الظلمة، فإن رب المجد، نور العالم، يشرق على النفس بنوره لكي تتمتع بشركة مجده، ولكي يجعل من المؤمنين أبناء النور.

غالبًا ما سقط شاول من عن فرسه إلى الأرض؛ ربما لم يحتمل الفرس النور، فإرتعب من بهاء النور الذي اشرق فجأة، وبالتالي سقط شاول. لكن الله حفظ عظامه، فلم يصبها كسر ما.

ما كان يمكن لشاول أن يصعد إلى العمل الرسولي بإمكانيات سماوية فائقة ما لم يسقط أولاً على الأرض، وتصاب عيناه بالعمى، ويشعر بحاجته إلى من يقوده في الطريق، بهذا يدرك حقيقة إمكانياته الضعيفة، وعجزه الكامل حتى يتقبل نعمة الله الغنية.

v بكلمة واحدة إذ جاءته الدعوة من السماء: "**شاول، شاول، لماذا تضطهدني؟**" [٤] اسقط الثائر بجنونٍ، وأقامه سليمًا؛ قتل المضطهد، وأحيا الكارز.

v أنا في السماء وأنت على الأرض، ومع هذا فأنت تضطهدني. إنك تلمس جسدي لكنك تطأ على أعضائي. ماذا تفعل؟ ماذا تربح؟

v (يسوع المسيح) هو فوق وتحت في نفس الوقت، فوق بنفسه وتحت في من له. فوق مع الآب، وتحت معنا. لهذا كان أيضًا ذاك الصوت لشاول: "**شاول، شاول، لماذا تضطهدني؟**" [٤] ما كان يقول: "**شاول، شاول**" لو لم يكن هو فوق، لكن شاول لم يكن يضطهده فوق. إذن ذاك الذي هو فوق ما كان يقول: "**لماذا تضطهدني؟**" ما لم يكن هو أيضًا تحت.

خفْ المسيح الذي هو فوق، وتعرّف عليه تحت.

إذ لك المسيح فوق يهبك خيراته، أعرفه هنا وهو في احتياج.

المسيح هنا فقير، وهناك غني.

بكونه فقيرًا هنا يخبرنا: "كنت جائعًا، كنت عطشانًا، كنت عريانًا، كنت غريبًا، كنت مسجونًا" (راجع مت ٢٥: ٣٥ الخ)...

لكن ذاك المسيح غني، من لا يعرف ذلك؟ من بين الغنى الذي له أنه حوّل الماء خمرًا. فإن كان الذي لديه خمر هو غني، فكم يكون غنيًا من يصنع الخمر؟

فالمسيح غني وفقير، إنه غني بكونه اللَّه، وفقير بكونه إنسانًا.

غني الآن بكونه صعد إلى السماء ويجلس عن يمين الآب، ولكنه لا يزال فقيرًا وجائعًا وعطشانًا وعريانًا هنا.

القديس أغسطينوس

v لاحظوا أن الرب نفسه قال بأنه هو نفسه في السماء (يو ٣: ١٣) وعلى الأرض. نحن نعترف أيها الأحباء الأعزاء أن المسيح الرب هو رأس الكنيسة.

إن كان هذا حقيقي فهو في السماء بكونه الرأس، وهو على الأرض في ما يخص الجسد.

علاوة على هذا عندما كان الرسول الطوباوي بولس يضطهد الكنيسة أعلن المسيح من السماء: "**شاول، شاول، لماذا تضطهدني؟**" إنه لم يقل: "لماذا تضطهد خدامي؟" ولا قال: "لماذا تضطهد أعضائي؟" بل قال: "**لماذا تضطهدني؟**" الآن اللسان يصرخ إذ يُداس على القدم.

لقد دست عليّ، مع أنه لا يستطيع أحد أن يدوس على اللسان قط، لكن خلال انسجام الحب يصرخ الرأس عن كل الأعضاء.

الأب قيصريوس أسقف آرل

"فقال: من أنت يا سيد؟

فقال الرب: أنا يسوع الذي أنت تضطهده،

صعب عليك أن ترفس مناخس".[٥]

خرج من أورشليم متجهًا إلى دمشق، حاسبًا أنه يتمم رسالة إلهية سامية، ويبيد تجديفًا ضد الله، ولم يعلم أن خططه تتبخر وتتلاشى، ولا يعود ثانية إلى أورشليم يهوديًا فريسيًا. هذا لم يكن ممكنًا أن يخطر على ذهنه.

مع إرهاق الرحلة المضنية كانت أعماله الوحشية ضد المسيحيين تزعجه وتربكه، فهو لن ينسى وجه القديس استفانوس الذي كان له وجه ملاك، ولن يغيب عن ذهنه سلام المسيحيين الداخلي الذي انعكس على تصرفاتهم حتى أثناء اضطهاداتهم. وكانت أصواتهم ترن في أذنيه، حين كانوا يشهدون بأنهم يروا السماء مفتوحة، ويتمتعون برؤية يسوع المسيح عن يمين العظمة. هذا كله كان ينخس ضميره، فكان يحاول أن يرفسها ويهدئ من ضميره، مؤكدًا لنفسه أنه إنما يقدم خدمة لله.

وسط هذه الدوامة أشرق الرب بوجهه من السماء على شاول الذي لم يستطع أن يتطلع إلى بهاء مجده، فسقط على الأرض كميتٍ. سمع صوته فظنه صوت إنسانٍ عادي، ففوجئ أنه صوت يسوع الحي يوبخه ويحذره.

لم يبلغ شاول إلى معرفة المتكلم، فما كان يتوقع أنه يسوع الذي لم يحفظ الناموس، والذي قال: "انقضوا الهيكل"، والذي تعالى على إبراهيم، فحسب نفسه كائنًا قبله، وتعالى على موسى الذي قدم المن من السماء. لكن سرعان ما عرّفه يسوع بشخصه، فأدرك أنه قد أخطأ الطريق تمامًا، واضطهد كنيسة المسيح، وقاوم الحق الإلهي، وأحزن قلب الله! أدرك أنه ألقى بنفسه في موت أبدي، وهو يظن أنه يخدم العلي.

تحدّث معه كمن هو على حافة هوّة عظيمة كاد أن يسقط فيها، وقد تحرّك إله السماء نفسه لينقذه منها. يا لغنى حب اللَّه الفائق حتى لمقاوميه من البشر!

"**أنا يسوع**": واضح من هذا أنه ظهور شخصي للمخلص مُقدم لشاول، لكن هل ظهر له كابن الإنسان في مجده أم ظهر نوره الإلهي فقط، هذا ما لا يمكن تأكيده. أعلن له عن شخصيّته أنه يسوع الذي صُلب منذ فترة قصيرة، وكأنّه يقول له: "لقد صُلبت من أجلك، الآن أود أن أُصلب من خلالك... تشاركني آلام الحب!"

"**الناصري**": هذا هو اللقب الذي كان به يسخر شاول بالمسيحيين.

لم نسمع من قبل أن يسوع يشتكي لأجل اضطهاد أحد له، إنّها المرّة الأولى التي فيها يعاتب بقوّة، فقد قبل صلبه بفرح، والآن يئن مع أنّات شعبه، يقف ليحوّل مضطهديه إلى كارزين له وشهود لحبّه الإلهي.

"**مناخس**": الجزء الحديدي في نهاية العصا، الذي به ينخس الشخص الثور أو الحصان ليثيره. قتل شمجر ٦٠٠ رجلاً بمنخسٍ واحد (قض ٣: ٣١).

يستحيل على الإنسان ان يقاوم الله وخطته وناموسه ويبقى سعيدًا.

v دُعي (شاول) شابًا فقط في هذه العبارة عندما حفظ ثياب الذين رجموا استفانوس (أع ٧: ٥٨)... مع هذا فقد رآه المسيح عندما أشرق النور حوله (أع ٩: ٣)، لأن الشباب يُدعون من الخطية بالخوف أكثر منه بالإقناع، لذلك استخدم المسيح المنخس وبرحمةٍ دعاه ألا يرفس مناخس.

القديس أمبروسيوس

"فقال وهو مرتعد ومتحيّر:

يا رب، ماذا تريد أن أفعل؟

فقال له الرب:

قم وادخل المدينة،

فيُقال لك ماذا ينبغي أن تفعل". [٦]

لم يكن حلمًا وهو نائم، بل رؤيا صادقة، دخل في حوارٍ مع يسوع المسيح، الرب الذي في السماء. رأى نورًا أبهر عينيه، وأسقطه على الأرض، وسمع صوتًا واضحًا، ودخل في حوارٍ وهو في كامل وعيه. ارتعد شاول الطرسوسي وتحيَّر، فهو في نظر نفسه كما في نظر مجمع السنهدرين،

بل وفي نظر الله نفسه، كما كان يظن، بار وخادم أمين، باذل حياته وطاقته لحساب مجد الله، فأية جريمة ارتكبها؟ لعله لم يدرك في البداية ما هذا اللقاء الغريب، ومن هو المتحدث معه.

انحنت نفس شاول في انسحاق لتعلن أنها مستعدة أن تتنازل عن كل مفاهيمها ومعرفتها، حتى عن طاعتها لمجمع السنهدرين، لكي تطيع هذا الصوت السماوي. رفض الآن شاول الخضوع لأية سلطة على الأرض، مادام قد أعلن هذا السماوي ذاته له.

وجهه السيد المسيح إلى دمشق ليعرف طريق خلاصه خلال الكنيسة. لقد اهتدى شاول إلى الايمان بعمل معجزي فائق، وظهر له المخلص نفسه في مجده، فلن يشك بعد في أنه هو المسيا الذي طالما انتظره. أول عمل يلتزم به المؤمن الطاعة لإرادة الله، وأن يلتصق بالله خلال كنيسته المقدسة. لذا صدر له الأمر الإلهي أن يذهب إلى المدينة، وهناك تخبره الكنيسة ماذا يفعل. لم يفكر شاول في سمعته، ولا في خبرته الطويلة، ولا ماذا يقول الناس عنه.

إنها لحظات رهيبة حيث يختار السيد المسيح السماوي إناءً أهان اسم المسيح وكنيسته وجدّف وافترى، ليصير إناءً مختارًا يحمل حبًا للأمم كما لليهود، يتسع قلبه لكل من يلتقي معه، أو يسمع عنه. تمتع شاول الطرسوسي بالسماء المفتوحة والحديث الصريح، إذ لم يتحدث معه خلال ألغاز، كما فعل مع القديس بطرس حين رأى ملاءة نازلة من السماء وصوت يتكلم باللغز.

v عندما نادى السيد المسيح بولس ودعاه فتح له طريق الكمال، لكنه استحسن أن يوجهه إلى حنانيا، طالبًا منه أن يتعلم الحق عن طريقه، قائلاً: "...قم وادخل المدينة فيُقال لك ماذا ينبغي أن تفعل" (أع ٩:٦).

أرسله إلى رجل شيخ، معتبرًا أن ذلك أفضل من أن يتسلم تعاليمه منه مباشرة. لئلا يصير بولس مثلاً سيئًا في اعتماد الإنسان على ذاته في التعليم، إذ يُقنع كل أحد نفسه أنه هو أيضًا يتعلم أحكام الله وتعاليمه بنفسه دون حاجةٍ إلى طريق تعاليم الآباء. يعلمنا الرسول نفسه عن عدم الاكتفاء الذاتي في التعليم قدر المستطاع، وذلك ليس بالكلام بل بالعمل، فيقول أنه ذهب بمفرده إلى أورشليم لهذا الهدف، أي ذهب إلى مجمع غير رسمي يعرض فيه على زملائه الرسل والسابقين عنه الإنجيل الذي يبشر به بين الأمم، ونعمة الروح القدس المصاحبة له بعلامات قوية وعجائب، إذ يقول "...وعرضت عليهم الإنجيل الذي أكرز به بين الأمم ولكن بالانفراد على المعتبرين، لئلا أكون أسعى أو قد سعيت باطلاً" (غل ٢:٢).

فمن هو هذا المكتفي بذاته، الأعمى، الذي يتجاسر فيثق في أحكامه الخاصة وتمييزه الشخصي، بينما يعترف الإناء المختار باحتياجه للاجتماع والتشاور مع زملائه الرسل؟!

إذن، رأينا أن الله لم يكشف لأحدٍ طريق الكمال، طالما كانت له فرص للتعلم من الآباء واختباراتهم، لئلا يصيروا غير مكترثين بمشورة الآباء، لذلك يقول: "اسأل أباك فيخبرك، وشيوخك فيقولوا لك" (تث ٣٢:٧).

الأب موسى

v لنحذر من تجارب الكبرياء الخطيرة هكذا. بالأحرى لندرك الحقيقة أن الرسول بولس نفسه مع كونه قد سقط وتعلم بواسطة صوت الله من السماء أُرسل إلى إنسانٍ ليتقبل الأسرار، ولكي يُضم إلى الكنيسة. وكرنيليوس قائد المائة، مع أن ملاكًا قد أعلن له أن صلواته قد سمعت، وصدقاته

صارت تذكارًا، لكنه سُلم لبطرس من أجل التعلم، لم يتقبل فقط الأسرار من يدي الرسول بل وتعلم بواسطته الحقائق الصادقة للإيمان والرجاء والمحبة.

القديس أغسطينوس

يعود **القديس أغسطينوس** فيكمل بأن هذا التصرف يعطي الإنسان كرامة لأن الله يتكلم خلال هيكله البشري. "لأن هيكل الله مقدس، الذي أنتم هو" (١ كو ٣: ١٧). أضاف أيضًا أن هذا التصرف يربط البشر معًا بالحب [علاوة على هذا فإن الحب نفسه الذي يربط البشر معًا برباط الوحدة لا يكون له وسيلة لسكب النفس في النفس كما لو كان يمزجهما معًا، إن لم يتعلم البشر شيئًا من إخوتهم في البشرية.]

"وأمّا الرجال المسافرون معه فوقفوا صامتين،

يسمعون الصوت ولا ينظرون أحدًا". [٧]

يبدو أنهم أولاً سقطوا على الأرض (أع ٢٦: ١٤) عندما أبرق النور، ثم قاموا عندما سمعوا الصوت وإن كانوا لم يميزوا الكلمات، فوقفوا في دهشةٍ صامتين. لقد أدركوا أن حوارًا بين شاول والكائن السماوي يحدث، إذ سمعوا صوت شاول وفهموه، لكنهم لم يفهموا الصوت السماوي.

كان شاول منطرحًا على الأرض، عاجزًا عن الحركة، أفقد النور الإلهي البصر الخارجي ليكشف عن اصطدامه بالظلمة التي غشت قلبه وكل كيانه الداخلي. لقد سقط الكل حين أشرق النور، لكن الكل قاموا ماعدا شاول، وسمعوا الصوت، لكن شاول وحده يفسر كل كلمة ويجيب ويتساءل، أما من كانوا حوله فلم يروا وجه السيد ولا فسروا كلماته، إنما وقفوا في صمتٍ لا ينظرون أحدًا. إنه ظهور خاص بشاول وحده. حسب نفسه من الأخصاء الذين اختارهم الرب، وأظهر ذاته لهم، "وآخر الكل، كأنه للسقط ظهر لي أنا" (١ كو ١٥: ٨).

كان لهذا اللقاء له معناه الخاص عند شاول الطرسوسي. حسب هذا اللقاء شهادة عملية لقيامة الرب من بين الأموات، وصعوده إلى السماء. هذا اللقاء دعوة للشهادة للمسيح الحيّ القائم من بين الأموات.

فتح هذا اللقاء عن بصيرة شاول ليدرك خطة الله للخلاص، فيقبل تجسد الكلمة الإلهي، ويعترف بلاهوته، ويؤمن بالصليب كذبيحة فريدة لخلاص العالم، ويتلامس مع قوة المسيح السماوي المحب لكنيسته والمدافع عنها.

"فنهض شاول عن الأرض،

وكان وهو مفتوح العينين لا يبصر أحدًا،

فاقتادوه بيده،

وأدخلوه إلى دمشق". [٨]

إذ ابرق النور حتمًا أغمض عينيه، ومن الدهشة مع بهاء النور لم يفكر أن يفتح عينيه حتى تم الحوار، وإذ حاول بعد ذلك أن يفتحهما أدرك أنه لم يعد يبصر. هذا العمى أمر طبيعي يحدث من شدة بهاء النور الذي لا تستطيع العينان أن تتطلعان إليه، يدعى هذا المرض *amaurosis* أو

gutta serena وهو لا يؤذي العينين، بل يجعلهما عاجزين عن الرؤية. هذا المرض يصيب البعض عندما يحملقون في نور الشمس حين تكون في كمال قوتها، خاصة في المناطق الاستوائية، كما يحدث عندما يحملق الإنسان في الشمس أثناء كسوفها.

خارت قوة شاول الجسدية، وفقد بصيرته الخارجية إلى حين حتى يتقبل في أعماقه ما هو فائق للطبيعة، فيتعرف على شخص السيد المسيح مترنمًا: "بنورك يا رب نعاين النور" (مز ٢٦: ٤٩ LXX). كان شاول يظن أنه جبار بأس، يزلزل كنيسة المسيح ويحطمها، وإذا به يتلمس الطريق كأعمى يسنده ويقوده من هم حوله. دخل دمشق لا في تشامخٍ، بل كان صامتًا لا يتكلم، ولا يريد أن يأكل أو يشرب. أدخلوه بيت يهوذا حيث انزوى في ركن يسترجع ما حدث خلال كل حياته، وما حدث معه في الطريق. شعر بالحاجة إلى نعمة الله الغنية، وإرشاد روح الله القدوس، ليبدأ حياة جديدة، ويرافقه في الطريق حتى النهاية. أرعبته الرؤيا وفي نفس الوقت وهبته شوقًا فائقًا لرؤية وجه ربنا يسوع وسماع صوته. لقد اختبر مفهوم التوبة في أروع صورها حيث تنحني النفس لتسمع الصوت الإلهي، وتئن شوقًا نحو اللقاء معه في دائرة الحب.

v إن كان بولس الذئب المفترس، بنيامين الصغير قد أُصيب بالعمى مغشيًا عليه، إنما لكي ينال بصيرته، ولكي ما يقوده الرعب المفاجئ الذي للظلمة المحيطة به أن يدعو ذاك الذي كان يضطهده كإنسان ربًا.

القديس جيروم

v ما كان يمكن لشاول المضطهد أن يموت ما لم يُجرح من السماء (أع ٩:٤)، وما كان يمكن للمبشر أن يقوم إلا بالحياة التي أعطيت له بدم (المسيح).

v هُدم شاول، وبُني بولس المبشر...

قيل لإرميا: "قد وكلتك... لتقلع وتهدم وتهلك وتنقض، وتبني وتغرس" (إر ١:١٠). لهذا فإن هذا هو صوت الرب: "أنا أجرح وأنا أشفي" (تث ٣٢:٣٩). إنه يضرب فساد العمل، ويشفي ألم الجرح. هذا ما يفعله الأطباء حينما يقطعون ويجرحون ويشفون. يمسكون بالسلاح (المشرط) لكي يضربوا، يحملوا حديدًا، ويأتوا لكي يشفوا.

v أغلقت عيناه عن أباطيل هذا العالم، لكن بصيرة أخرى استنارت. ما كان إناء للهلاك إلى حين، صار إناء مختارًا.

القديس أغسطينوس

"وكان ثلاثة أيام لا يبصر،

فلم يأكل ولم يشرب". [٩]

توقف عن الأكل والشرب، ربما لأنه لم يكن يتصور أنه سقط في خطية عظمى كهذه، أنه قاوم المسيا الذي طالما اشتهي الآباء والأنبياء أن يروه ويتمتعوا بعمله الخلاصي. أدرك أنه جدف على الله، وافترى على كنيسته واضطهدها بكل عنف. بقي هذه الأيام الثلاثة في حالة ارتباك شديد، فما كان يظنه خدمة لله وعمل برٍّ، اكتشف أنه مقاومة للحق الإلهي، وتحطيم لما هو حق.

لست أظن أنه قد امتنع عن الأكل والشرب كصومٍ اختياريٍ، بل كان نتيجة طبيعية لمرارة نفسه مما فعله في جهالة. أدرك أنه باختياره رفض النور وسقط تحت سلطان قوات الظلمة.

v لقد أُصيب بالعمى في الجسد وحده، لكي يستنير قلبه.

القديس أغسطينوس

٢. لقاء شاول مع حنانيا

"وكان في دمشق تلميذ اسمه حنانيا،

فقال له الرب في رؤيا: يا حنانيا.

فقال: هأنذا يا رب". [١٠]

حنانيا: لسنا نعرف عنه الكثير، إنما واضح أنه من سكان دمشق، ولم يكن لاجئًا إليها هاربًا من أورشليم بسبب الاضطهاد [١٣]. فهو ليس من أورشليم، لكنه يهودي من دمشق، ربما آمن في يوم العنصرة حين كان في العيد، وسمع القديس بطرس، فآمن وتاب واعتمد، وانطلق إلى دمشق يبشر. ولعله كان أحد السبعين رسولاً، وقد سمع عما يفعله شاول الطرسوسي، لكنه لم يكن يعرفه شخصيًا.

"فقال له الرب:

قم، واذهب إلى الزقاق الذي يُقال له المستقيم،

واطلب في بيت يهوذا رجلاً طرسوسيًا اسمه شاول،

لأنه هوذا يصلّي". [١١]

لم يتخلَ الله عن شاول المصاب بالعمي والعاجز حتى عن أن يأكل أو يشرب بسبب مرارة نفسه، بل أرسل له حنانيا. سمح الله بأن يُضرب كما بالعمى، بل ويبقى خلال هذه الأيام الثلاثة كمن هو في حالة موت، الآن يهبه الشفاء فتتمتع النفس بقوة القيامة.

طلب الله من حنانيا أن يذهب ويطلب شاول الطرسوسي، ولا ينتظر كي يأتي إليه شاول؛ هكذا كما يبادر الله بالحب فقد أرسل ابنه إلينا يليق بخادم الله أن يبادر بالحب، ويبحث عن النفوس ويطلب شفاءها. إنه كالمرأة التى توقد سراجًا وتبحث عن الدرهم المفقود، وكالراعي الذي يترك التسعة وتسعين خروفًا ويبحث عن الخروف الضال، وكالآب الذي يركض مسرعًا ليرتمي على عنق ابنه ويقبله. طالبه الرب أن يسرع إلى شاول ليفرح مع الرب كما مع السمائيين، فقد وجد الراعي الصالح خروفه الضال، وها هو يدعو أصحابه ليفرحوا معه!

"**االمستقيم**": هذا الزقاق أو الطريق يمتد حاليًا من الباب الشرقي إلى الغربي، ويبلغ طوله ثلاثة أميال، عابرًا بكل المدينة وأحيائها كطريق مستقيم. جاء في التقليد أن بولس الرسول اعتمد في ينبوع ماء موجود في هذا الطريق، كان المسيحيون يشربون منه.

"**لأنه هوذا يصلي**": تكشف لنا هذه العبارة عن كيفية سلوك شاول الطرسوسي خلال هذه الأيام الثلاثة التي قضاها بلا طعام ولا شراب. إنه كان يصلي لذاك الذي كان يضطهده! إنه لأول مرة يقدم صلاته لا على مستوى الفريسية التي عاشها قبلاً في اعتزاز ببرِّه ومعرفته، وإنما بقلب منكسر خاشع أمام المصلوب، واثقًا في غنى نعمة الله التي ينالها في المسيح يسوع السماوي. هذه هي علامة صدق اهتدائه للحق، إنه صار رجل صلاة! قبلاً كان في تشامخ يصلي، والآن في انسحاق قلب يطلب المغفرة!

"**هوذا يصلي**" كأن الرب يقول لحنانيا: "إني أب حنون لا احتمل صرخات طفلي الصغير، أسرع إليه! قدم له اللبن ليرضع، فإنه جائع. ذاك الذي كان ينفث بالسم كثعبانٍ قاتلٍ، ويرفس ليقاوم حتى المناخس، الآن قد صار في بساطة الطفل الرضيع ووداعته يصلي مترقبًا لبنًا يشبعه!"

"وقد رأى في رؤيا رجلاً اسمه حنانيا،

داخلاً، وواضعًا يده عليه لكي يُبصر". [١٢]

الآن رأى شاول الطرسوسي حنانيا قادمًا إليه، يضع يده عليه فيبصر وذلك في حلم قبل حضور حنانيا. كما طمأن الرب حنانيا أن شاول المضطهد للمسيحيين قد صار رجل صلاة خاشعًا يترقب نعمة الله المجانية، هكذا طمأن شاول الطرسوسي أنه لن يتركه في عماه، بل يبعث إليه سفيره ليهبه تعزيات إلهية، وينال استنارة القلب خلال المعمودية.

"فأجاب حنانيا: يا رب قد سمعت من كثيرين عن هذا الرجل،

كم من الشرور فعل بقديسيك في أورشليم". [١٣]

لا تحمل إجابة حنانيا معنى عدم الرغبة في الذهاب إلى شاول، ولا الرغبة في عدم الطاعة للصوت الإلهي، ولا الخوف من احتمال الآلام أو الموت؛ إنما كان هذا في حَلم ليهبه السيد المسيح ثقة أن ذاك الذي سمع عنه سواء خلال رسائل مرسلة إليه من بعض الأحباء في أورشليم أو من أولئك الذين جاءوا إلى دمشق بسبب الاضطهاد قد دُعي بالحق إناءً مختارًا للكرازة بين الأمم، وأنه قد صار رجل صلاة. هكذا كشف الله عن خطته الإلهية بخصوص شاول الطرسوسي.

"**القديسون**"، هنا يدعو المؤمنين قديسين *hagioi*، فقد تقدسوا للرب وكرس الروح القدس قلوبهم لملكوته.

"وههنا له سلطان من قبل رؤساء الكهنة،

أن يوثق جميع الذين يدعون باسمك".[١٤]

"فقال له الرب:

اذهب، لأن هذا لي إناء مختار،

ليحمل اسمي أمام أمم وملوك وبني إسرائيل". [١٥]

السيد المسيح الذي اختار رسله أثناء خدمته على الأرض هو نفسه الذي اختار شاول رسولاً له بعد صعوده. كما سبق أن أعلن السيد: "لستم أنتم اخترتموني، بل أنا اخترتكم" (يو ١٥: ١٦).

سأله السيد المسيح أن يسرع إلى شاول، ويقدم له كل عونٍ ممكنٍ، لأنه إناء مختار، أداة في يد السيد المسيح، يثق السيد فيه أن يكون رسولاً للأمم، إناءً لكرامة، يحمل في داخله كنز الإنجيل ليقدمه للكثيرين. حقا إنه إناء خزفي (٢ كو ٤: ٧)، لكنه مختار، يستخدمه الله نفسه ويُسر به.

"**يحمل اسمي أمام الأمم**": إنه أداة مقدسة يحركها الروح القدس ليعلن عن معرفة المسيح الفائقة أمام الأمم، يحمل البشارة المفرحة للأمم الوثنية. إنه رسول الأمم (رو ١١: ١٣؛ ١٥: ١٦؛ غل ٢: ٨). يشهد للسيد المسيح أمام ملوك، مثل الملك اغريباس وقيصر نفسه (أع٢٥: ٢٣؛ ٢٦: ٣٢؛ ٢٧: ٢٤). وأيضا أمام بني إسرائيل، فإنه حيثما ذهب يبدأ كرازته في مجامع اليهود حتى يطردوه فيذهب إلى الأمم.

لقد أراد السيد أن يشجع حنانيا، مؤكدًا له أنه سيريه ليس فقط أن يكف عن عداوته للكنيسة واضطهاده لها، بل يجد مسرته في قبوله الاضطهاد من أجلها بفرحٍ. أينما حلّ بولس تلاحقه المتاعب والضيقات من محاكمات ومقاومة، فيجد فيها شركة مع المصلوب.

أدرك شاول الحق الإلهي، فإنه إناء مختار مدعو من الله الذي أفرزه من بطن أمه ودعاه بنعمته (غل ١: ٥). إنه يتقبل تعليمًا إنجيليًا يكمل الناموس، لا يتسلمه من جبل سيناء، بل من السماء عينها. ولا يرى وجه موسى المضيء، بل وجه الرب الأكثر لمعانًا من الشمس في وقت الظهيرة، هذا الذي أمامه يخفت جدًا بهاء وجه موسى النبي.

v أكرر ما أقول، لا تزنْ الإيمان بعدد السنوات، ولا تظن إني أفضل منك لمجرد أن اسمي تسجل تحت لواء المسيح قبلك، فإن الرسول بولس، **الإناء المختار**، تشكل من مُضطهد، ومع كونه الآخر في قائمة الرسل إلا أنه **الأول في الاستحقاق**. فمع كونه الأخير جاهد أكثر من الكل (١ كو ١٥: ١٠).

v **الإناء المختار** الذي له اسم المسيح دومًا على شفتيه... اخضع جسده (لنفسه). ومع هذا كانت تقاومه رغبة جسدية، فكان يفعل ما لا يريده. كإنسان يعاني من العنف صرخ: "ويحي أنا الإنسان الشقي من ينقذني من جسد هذا الموت؟" (رو ٧: ٢٤).

القديس جيروم

v ذاك الذي كان الآخر صار عظيمًا، لا بنفسه بل بذاك الذي كان قبلاً يضطهده، إذ أرسله إلى الأمم. تحوّل من سارقٍ إلى راعٍ، ومن ذئبٍ إلى حملٍ. أرسل آخر التلاميذ إلى الأمم، وتعب كثيرًا بين الأمم، وآمن الأمم عن طريقه، وها هي رسائل شهود لذلك.

v قبل بولس نير الإيمان، واخُتير معلمًا للأمم، ونموذجًا للشهداء، ورُعبًا للشياطين، وغافرًا للأخطاء، وجرئًا للفضائل.

القديس أغسطينوس

v جُعل بولس **إناءًا مختارًا**، لأنه اهتدى فقط بواسطة حب الرب العميق، لهذا لم يعز أي شيء لاستحقاقه، بل كان ينسب كل شيءٍ للمسيح، ويقول: "لأني أصغر الرسل، ولست مستحقًا أن أُدعى رسولاً، لأنني اضطهدت كنيسة الله، ولكن بنعمة الله أنا ما أنا، ونعمته فيّ لم تكن باطلة" (١ كو ١٥: ٩-١٠).

سكن بثقة في البيت (تث ٣٣: ١٢) الذي اعتاد أن يفرغه من ساكنيه.

سكن في منازل المسيح، بينما اعتاد قبلاً أن يجول في الغابات كذئب!

لقد ستره الله (تث ٣٣: ١٢) عندما ظهر له المسيح، وعلى الرغم من أنه لم يرَ شيئًا حينما كانت عيناه مفتوحتين (أع ٩: ٨) إلا أنه رأى المسيح.

كان لائقًا أن يرى المسيح حاضرًا وسمع أيضًا كلامه.

القديس أمبروسيوس

v بولس **الإناء المختار** [١٥] فسّر كل هذه البركات (النبوات) الواردة في الناموس بطريقة روحية. لقد عرف أنها ليست بركات جسدية. يقول لأهل أفسس: "مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح الذي **باركنا بكل بركة روحية**" (أف ١: ٣).

العلامة أوريجينوس

v من هو أفضل من كل البشر؟ من هو إلاّ صانع الخيام (أع ١٨: ٣)، معلّم كل المسكونة، ذاك الذي عبر فوق البرّ والبحر كما لو كانت له أجنحة، الإناء المختار، المرافق للمسيح العريس، الذي غرس الكنيسة (١ كو ٣: ٦)، البنّاء الحكيم (١ كو ٣: ١٠)، الكارز، الذي ركض في الميدان وجاهد الجهاد الحسن (٢ تي ٥: ٧)، الجندي، مدرّب المصارعين، الذي ترك ذكريات لفضائله في كل موضعٍ في العالم.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"لأني سأريه كم ينبغي أن يتألم من أجل اسمي". [١٦]

بينما ظهر الرب لشاول ليحول نظره إلى السماء، إذا به يظهر لحنانيا يدعوه للذهاب إلى بيت يهوذا ليلتقي مع شاول الطرسوسي، فقد اختاره إناءً مختارًا ليحمل اسمه أمام أممٍ وملوكٍ وبني إسرائيل، وأنه سيهبه أن يتألم من أجل اسمه. اختاره الرب إناءً يجد مسرته في التألم من أجل اسمه أكثر من جميع الرسل (٢ كو ١١: ٢٢-٢٣). "الآن أفرح في آلامي لأجلكم، وأكمل نقائص شدائد المسيح في جسمي لأجل جسده الذي هو الكنيسة" (١ كو ١: ٢٤).

v ليس أحد أحب المسيح بغيرة أكثر من بولس، ولا من سرَّ الله أكثر من بولس.

v كان بولس يبلغ إلى كمال أعظم في كل يومٍ، كان يتوق إلى المتاعب العظمى، والجهاد الأعظم والمخاطر الأكثر والآلام العظمى من أجل المسيح، بنفس الطريقة كما تنتشر النار في الغابة حتى أتصير كل الغابة لهيبًا.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"فمضى حنانيا ودخل البيت،

ووضع عليه يديه، وقال:

أيها الأخ شاول،

قد أرسلني الرب يسوع،

الذي ظهر لك في الطريق الذي جئت فيه،

لكي تبصر،

وتمتلئ من الروح القدس". [١٧]

"**وضع عليه يديه**"، كان ذلك طقس كنسي لتقديم البركات الإلهية ونوال موهبة الروح القدس.

دعاه "**الأخ شاول**" كشريكٍ معه في الإيمان المسيحي.

"**الرب يسوع**" جاءت في العبرية "**أرسلني الرب الذي هو يسوع**"، حتى يدرك شاول أن الرب الذي يعبده أو يهوه هو يسوع.

"**الذي ظهر لك في الطريق**": فما حدث مع شاول في الطريق أعلمه به الرب وهو في دمشق، حتى يتأكد شاول أن ما حدث معه في الطريق هو من قبل الرب يسوع. لقد أشار إليه بطريق غير مباشر أن دعوته هي من الرب مباشرة. وكما يقول الرسول نفسه: "بولس رسول، لا من الناس ولا بإنسانٍ، بل بيسوع المسيح والله الآب الذي أقامه من الأموات" (غل ١: ١). "وأعرفكم أيها الإخوة الإنجيل الذي بشرت به أنه ليس بحسب إنسانٍ، لأني لم أقبله من عند إنسانٍ ولا عُلمته، بل بإعلان يسوع المسيح" (غل ١: ١١-١٢).

v بولس مضطهد الكنيسة، الذئب المفترس الخارج من سبط بنيامين (تك ٤٩: ٢٧) أحنى رأسه أمام حنانيا أحد قطعان المسيح، واستعاد بصره فقط عندما استخدم دواء العماد.

v ليست فضائل الوالدين ولا رذائلهم تسقط على أبنائهم. الله يحاسبنا فقط منذ نوالنا الميلاد الجديد في المسيح. بولس، مضطهد الكنيسة الذي كان في الصباح ذئب بنيامين المفترس (تك ٤٩: ٢٧) أخضع نفسه للحمل حنانيا (أع ٩: ١٧).

القديس جيروم

v بينما كان في استطاعته أن يعيد لشاول بصيرته إلا أنه أرسله إلى تلميذه حنانيا لكي ببركته تُصلح عينا شاول، البصيرة التي فقدها.

القديس أمبروسيوس

"فللوقت وقع من عينيه شيء كأنه قشور،

فأبصر في الحال،

وقام واعتمد". [١٨]

لم تسقط من عينيه قشور كقشور السمك، وإنما **كما لو كانت قشورًا**. كان لابد أن يسقط من عينيه ما يشبه القشور حتى يستطيع أن يبصر، ففي تمسكه بالحرف أصابه عمى. وإذ وُضعت اليد عليه لكي يحل عليه الروح القدس سقطت قشور الظلمة التي تتبدد بحلول النور.

v ليس دائمًا أن الذي يُعمّد أعظم من الذي يعتمد (منه). حنانيا لم يكن أعظم من بولس. فيلبّس عمّد (أع ٨: ١٣، ٣٨)، وبطرس أعطى الروح بوضع الأيدي.

العلامة أوريجينوس

يقول **العلامة ترتليان** أن شاول الطرسوسي التقى بالرب وآمن أن الناصري هو الرب ابن الله، لكنه كان في حاجة إلى العماد، لهذا أرسله الرب إلى حنانيا.

v تحول بولس من مضطهدٍ إلي كارزٍ. أصيبت عيناه الجسديتان بالعمى لكي تنفتح عينا نفسه، والذي كان يسوق خدام المسيح في قيود أمام مجمع اليهود (أع ٨: ٣) عاش فيما بعد في مجد قيود المسيح.

القديس جيروم

v كان بولس أناءً وقد أثبت نفسه بالشهادة للحق وليس للغش. لقد رفض كل شيء أرضي من خلال العماد الذي أزال القشور من عينيه (أع ٩:١٨)، وأصبح طفلاً للروح القدس، لأنه تكوّن من طيب رائحته العطرة. بعد ذلك صُنع هذا الإناء من نحاس مُختار، وأصبح أناءً يُصب منها خمر كلمة الله، وملآنة بمعرفة الأسرار. فلا تحتاج إلى عملٍ إنسانيٍ، فلم يأخذ بولس تعاليمه من لحمٍ ودمٍ (غل ١:١٦)، لكنه يُنتج المشروب المقدس، ويصبه لمن يريده، بينما تُشبه الفضائل المختلفة العطور برائحة المسيح الذكية. وتُعدل هذه حسب حاجة الأشخاص المختلفة الذين يستقبلون كلمة الله - اليهود واليونانيين، النساء والرجال، الأسياد والعبيد، الآباء والأطفال، وكل من كان خاضعًا أو غير خاضع للناموس. وتتحد روّعة هذه التعاليم المتنوعة مع كل فضيلة. ويمزج العطر في الإناء حسب حاجة كل شخص يستقبل كلمة الله.

القديس غريغوريوس النيسي

"وتناول طعامًا فتقوّى،

وكان شاول مع التلاميذ الذين في دمشق أيامًا". [١٩]

لم يذكر لوقا البشير زيارة شاول للعربية، لكنه لم ينكرها. لقد بقي شاول بعد عماده عدة أيام مع المؤمنين (التلاميذ) لا نعرف عددها، ثم ذهب من دمشق إلى العربية، ثم عاد إلى دمشق ومنها إلى أورشليم (غل ١: ١٧).

تحول شاول الطرسوسي إلى الإيمان المسيحي يحمل شهادة قوية لصدق الإيمان للأسباب التالية:

١. اتسم شاول كيهودي بالمعرفة والعلم، وقد بلغ القمة في الفكر اليهودي بثقافة عالية، فجاء اهتداؤه للإيمان مثيرًا لقادة اليهود الذين كانوا يأملون أن يكون هو الأداة القوية لاقتلاع جذور المسيحية.

٢. لم تكن دعوته للإيمان قائمة على إغراء مادي أو للكرامة، فقد كان المسيحيون فقراء وموضع سخرية اليهود والأمم، بل ومُستهدفين للاضطهاد حتى الموت. فلم يكن أمام شاول أي افتراض انه يُستثنى من التعرض للموت، بل كان بالأكثر مستهدفًا لذلك.

٣. كانت مفاهيم شاول معارضة تمامًا للفكر الإنجيلي، فما كان يمكن إقناعه بهذه السرعة العجيبة ليتحول إلى الفكر الذي كان يحمل له كل عداوة وبغضة، لو لم تتدخل نعمة الله الفائقة.

٤. ما أن قبل الإيمان حتى صار كارزًا وشاهدًا للإنجيل، يتحرك من بلدٍ إلى بلدٍ، معلنًا فرحه بالإيمان، مشتهيًا إن أمكن أن تتمتع كل البشرية بما يتمتع هو به.

٥. لا يمكن تحقيق تحوله من مضطهدٍ إلى كارزٍ، إلا بدعوةٍ من السماء وبإمكانيات إلهية تعمل في قلبه وفكره وتوجه قدراته ومواهبه إلى ما كان يحمل له عداوة.

٣. انطلاقه للكرازة

"وللوقت جعل يكرز في المجامع بالمسيح،

أن هذا هو ابن اللَّه". [٢٠]

بدأ الكرازة فورًا معلنًا أن يسوع هو المسيح، لا ليؤكد أنه صادق في إيمانه فحسب، وإنما لأن قلبه الناري المقاوم للحق قد تحول إلى ادراكه للحق، فاشتهي أن يتعرف الكل على ما تعرف هو عليه، وأن يتمتعوا بالمسيا مشتهي الآباء والأنبياء. لقد وجد المسيا ابن الله الذي هو عصب كل العهد القديم.

أبصر شاول نور الحب الإلهي الفائق والعهد الجديد بدم رب المجد يسوع، قام واعتمد، فنال الميلاد الجديد وتقوى بطعام الإيمان. الآن صار الذئب حملاً، والعدو خادمًا محبًا ومحبوبًا.

انطلق يشهد للنور في وسط المجامع، مشتهيًا أن يتمتع الكل بما ناله. بدأ يكرز أن المسيح ابن الله. فقد اختبر بنوة المسيح الطبيعية للآب بتمتعه هو بالبنوة خلال نعمة المعمودية باسم يسوع. أعطته الرؤيا الإلهية أو اللقاء الشخصي ومحبة المسيح له كشفًا حقيقيًا عن شخص يسوع المسيح. كان قبلاً يردد مع إشعياء النبي: "حقًا أنت إله محتجب يا إله إسرائيل المخلص" (إش ٤٥: ١٥)، الآن يدرك قول السيد المسيح: "الابن الوحيد الذي في حضن الآب هو خبّر".

إذ يتحدث **القديس يوحنا الذهبي الفم** عن قيام القديس بولس بعد تحوله مباشرة يقول:

- هل رأيت إخلاص قلب بولس؟ هل رأيته يؤكد لنا أن تلك الأحداث التي تصرفها قبلاً قد مارسها عن جهل؟...، على أي الأحوال عندما عرف من معطي الشريعة نفسه أنه كان في الطريق الخاطئ لم يؤجل تركِه لخطأِه، ولا تأخر، بل ما أن استنار بنور الروح حتى ترك خطأه وصار كارزًا بالحق.

- هل رأيته هائجًا كالأسد مندفعًا في كل موضع؟ أنظر إليه مرة أخرى، فقد تغير في الحال إلى حملٍ وديعٍ. الذي كان قبلاً يُقيد من يؤمنون بالمسيح ويسجنهم ويضطهدهم ويتعقبهم، الآن يتدلى من السور في سلةٍ ليهرب من مؤامرات اليهود (أع ٩: ٢٥).

القديس يوحنا الذهبي الفم

"فبُهت جميع الذين كانوا يسمعون، وقالوا:

أليس هذا هو الذي أهلك في أورشليم الذين يدعون بهذا الاسم،

وقد جاء إلى هنا لهذا،

ليسوقهم موثقين إلى رؤساء الكهنة". [٢١]

هذا التغير المفاجئ والذي صاحبه تحرك عملي لا لقبول الإيمان فحسب، بل والكرازة به، أدهش الكثيرين، فالذي جاء ليخرب ويدمر الكنيسة في دمشق صار صديقًا لها وعاملاً باذلاً لحسابها.

من يستطيع أن يصف حال المجامع التي كانت تترقب مجيء شاول الطرسوسي لكي يقودهم على حملة اضطهاد وإبادة تامة للمسيحيين، الآن يدخل إليهم بروح القوة ليدعوهم للتمتع بنعمة السيد المسيح وعمله الخلاصي الفائق، والعبادة له بكل خشوع! بلا شك سمع كثيرون منهم عن شخص يسوع وعن الآيات والعجائب التي تُصنع باسمه، وفي نفس الوقت كان قرار السهندرين حازمًا، وتكريس شاول الطرسوسي الفريسي البار لإبادة اسم يسوع قد أربكهم.

v يعلن بولس عن المسيح قائلاً: "فإننا لسنا نكرز بأنفسنا، بل بالمسيح يسوع ربًا، ولكن بأنفسنا عبيدًا" (٢ كو ٤:٥)...

من هو هذا المتكلم؟ المضطهد السابق! يا للقدرة العجيبة! المضطهد السابق يكرز بنفسه بالمسيح!...

لقد ذهب ليضطهد وبعد ثلاثة أيام صار مبشرًا في دمشق، بأية قوة؟

يأتي الآخرون بأصدقائهم كشهودٍ، أما أنا فأقدم لكم عدوًا سابقًا كشاهدٍ.

إن شهادة بطرس رغم قوتها لكن قد تجد بابًا للشك، لأنه صديقه، أما ذاك الذي كان قبلاً عدوًا، فيقبل بعد ذلك أن يموت من أجله، من يقدر أن يشك في الحق بعد ذلك؟!

في هذه النقطة امتلئ دهشة من تدبير الروح القدس الحكيم، كيف قلل عدد رسائل الباقين بينما أعطى لبولس المضطهد السابق الامتياز ليكتب أربعة عشر رسالة... لنصير نحن جميعًا مؤمنين هكذا، إذ الجميع اندهشوا منه قائلين: أليس هذا هو المضطهد السابق؟! (راجع أع ٩:٢١) ألم يأتِ إلى هنا لكي يقودنا مقيدين إلى أورشليم؟!

يقول بولس: لا تندهشوا فإنني أعلم أنه صعب عليّ أن أرفس مناسخ. إنني أعلم إنني لست أهلاً أن أُدعى رسولاً، لأنني اضطهد كنيسة الله (١ كو ١٥:٩)، لكنني فعلت هذا في جهل (١ تى ١:١٣). إذ ظننت أن التبشير بالمسيح يحطم الشريعة، والآن أعرف أنه جاء ليكمل الناموس لا لينقضه (مت ٥:١٧)، لكن "تفاضلت نعمة ربنا جدًا" في (١ تى ١:١٤).

القديس كيرلس الأورشليمي

"وأمّا شاول فكان يزداد قوة،

ويُحيِّر اليهود الساكنين في دمشق،

محققًا أن هذا هو المسيح". [٢٢]

أن كان الاعلان الإلهي في الطريق قد وهبه يقينًا أن يسوع هو المسيح، فإن عمل الله اليومي معه وهبه قوةً جديدةً يومية، شجعته بالأكثر على العمل الكرازي بكل جسارة. هذه القوة المتزايدة يوميًا خلقت جوًا مثيرًا بين اليهود، فتساءلوا عن شخص يسوع الناصري الذي له هذه الفاعلية حتى بعد صلبه.

يقول **القديس يوحنا الذهبي الفم** أن اليهود وقد رأوا قوة كرازته لم يجدوا وقتًا للتخطيط لمحاكمته، ولا لاختلاق اتهامات وتدبير شهود زور. كان الأمر بالنسبة لهم يمثل خطورة عظيمة تحتاج إلى تحرك سريع.

لقد رُجم استفانوس الذي كان يحاجج اليهود في المجامع بأورشليم ويفحمهم. هوذا الآن خليفته شاول الطرسوسي الذي كان يقاومه وله يد في رجمه يقوم بذات عمله بقوة خارج أورشليم. صار شاول شاهدًا بقيامة المسيح ليس معتمدًا على شهادة استفانوس وحدها، خاصة في لحظات رجمه، وإنما على شهادته الشخصية، إذ قيل: "لأني لهذا ظهرت لك لانتخبك خادمًا وشاهدًا بما رأيت، وبما سأظهر لك به" (أع ٢٦: ١٢).

"**يزداد قوة**" تتناسب مع قول الرب: "بما سأظهر لك به"، فإن إعلان الله لشاول كما لكل مؤمنٍ حقيقيٍ عمل ديناميكي ينمو بلا توقف. خبرتنا مع الله يومية، تدخل بنا دومًا إلى معرفة أعمق وتمتع أعظم بقوته العاملة فينا. يشتهي الله أن يقدم إعلانات إلهية مستمرة مادامت النفس جادة في شوقها لذلك. وكما يقول الرب: "والذين يبكرون إليّ يجدونني" (أم ٨: ١٧).

"**محققًا**" أي في جدية بدأ يدرس الناموس والنبوات والأحداث بمنظارٍ جديدٍ ليتعرف على أسرار ملكوت الله التي حجبتها قشور عينيه عن الرؤية.

٤. تهريبه من دمشق

"ولما تمَّت أيام كثيرة تشاور اليهود ليقتلوه". [٢٣]

تضم هذه الأيام الكثيرة الفترة التي قضاها الرسول في العربية ما بين عامين وثلاثة أعوام (غل ١: ١٨). لقد وضع اليهود خطة مع ممثل الملك أريتاس العربي لقتل الرسول بسب غيرته المتقدة ونجاح خدمته.

"فعلم شاول بمكيدتهم،

وكانوا يراقبون الأبواب أيضًا نهارًا وليلاً ليقتلوه". [٢٤]

لا نعرف كيف تعرف الرسول بولس على هذه الخطة التى أشار إليها في رسالته الثانية إلى أهل كورنثوس (٢ كو ١١: ٣٢-٣٣).

إذ شعروا بأن الخبر قد تسرب إلى القديس بولس حرسوا أبواب المدينة لكي لا يهرب. ربما كان الحاكم يهوديًا، وكان يشارك اليهود فكرهم، ويود الخلاص من القديس بولس. ولعله لم يكن

يهوديًا، لكن اليهود في دمشق صوروا له الرسول بأنه مقاوم للسلطات، لذلك طلب الحاكم مراقبة تحركاته، دخوله المدينة وخروجه منها.

هكذا انتقل الرسول بولس بسرعة عجيبة من مضطهدٍ إلى مؤمنٍ، وبسرعة من مؤمنٍ إلى كارزٍ، وأخيرًا من كارز إلى رجل آلام يعرف كيف يتألم لأجل اسم المسيح. لقد أنعم عليه الرب ببركات دخوله في آلام كثيرة.

"فأخذه التلاميذ ليلاً،

وأنزلوه من السور،

مدلّين إيّاه في سلَّة". [٢٥]

انقسمت المجامع إلى ثلاثة فرق، فريق جاد في البحث عن خلاصه، اكتشف الحق خلال عمل الله الفائق في شاول الطرسوسي. فاشتهوا أن يروا ما رآه، ويختبروا ما يعيش فيه من فرح الملكوت. وفريق آخر وقف في حيرة بين ما ورثه من أفكارٍ وما يحمله من نظرة حرفية مع احترام وطاعة كاملة للسنهدرين وبين ما يرويه شاول الطرسوسي ويلمسوه فيه. وأما الفريق الثالث فأدرك أن الحل الوحيد هو قتل شاول حتى يصمت هذا الصوت الملتهب بالروح. لقد وضعوا خطة لمراقبة أبواب دمشق حتى لا يفلت من أياديهم. أخفاه المؤمنون في النهار وبالليل دلوه بزنبيل (سلة) من نافذة في سور المدينة، وذلك كما فعلت راحاب بالجاسوسين (يش ٢: ١٥) وكما هرب داود من وجه شاول (١ صم ١٩: ١٢).

تصرف هؤلاء المؤمنين وقبول الرسول ذلك فيه تحقيق لوصية السيد المسيح الذي يطالب تلاميذه أن يهربوا من مدينة إلى أخرى متى اضطهدوهم (مت ١٠: ٢٣).

لقد خدم وسط المجامع ثلاث سنوات كما ذكر في غلاطية ١: ١٨، لكن الدعوة الموجهة إليه هي خدمة أهل الغرلة لا الختان، لهذا كان لزامًا أن يُطرد من دمشق لينطلق للخدمة التي دُعي إليها. يروي لنا الرسول هذا الطرد: "في دمشق والي الحارث (أريتاس) الملك كان يحرس مدينة الدمشقيين يريد أن يمسكني، فتدليت من طاقة في زنبيل من السور، ونجوت من يديه" (٢ كو ١١: ٣٢-٣٣). لم يعرف أحد اسم الوالي الذي عينه الحارث على رعاياه في دمشق.

هذا والي الحارث الملك هو أريتاس الرابع (٤٠-٩ ق.م.) كان يحكم بلاط النبطيين، وعاصمتها بترا التي أمضى فيها بولس عزلته، وهي تُدعى العربية، وتخومها من حول دمشق حتى خليج العقبة. اتفق هذا الوالي مع اليهود الثائرين ضد بولس على حراسة الأبواب للقبض عليه.

تدليه بواسطة سلة من طاقة بالسور نوع من الإذلال لرجل كانت كل أورشليم تهتز لحركاته، وكانت دمشق تترقب دخوله كبطلٍ مدافعٍ عن الحق، في مسرة قبل هذه المذلة من أجل الرب، وقد حسبها الرسول أحد الآلام التي اجتازها (٢ كو ١١: ٣٢).

بدأ شاول الطرسوسي خدمته في الوسط اليهودي، وكان يظن أن معرفتهم له أنه كان يضطهد الكنيسة، وأنه كان أكثر غيرة من غيره على حفظ الناموس وتقليدات آبائه وفريسيته السابقة هذه كلها تكون سندًا له في إقناع اليهود على صدق الإيمان المسيحي وإعلان المسيح له. لكن الله أصر أنه رسول الأمم، إذ يعلم كيف لم يكن ممكنًا لليهود أن يقبلوه. وكما يقول **القديس يوحنا الذهبي الفم** في العظة الأولى على الرسالة إلى العبرانيين أن هذه كلها سببت كراهية أكثر من بني جنسه

له، لأنه كان منهم وتركهم فجأة، فتطلعوا إليه كعدوٍ لا يُحتمل. لهذا قاومه ليس فقط اليهود بل حتى اليهود المتنصرون، كمن يهدد نظام الناموس والعوائد اليهودية.

v يقول البعض أن هذا التصرّف لم يكن لائقًا ببولس لأنّه لم يُنقذ بعون اللَّه. ولكن ما الحاجة إلى ذلك (تدخل عون اللَّه دون العمل البشري) مادام يُمكن إنقاذه بعون البشر. فإن الوقت لتدخل عون اللَّه ضروري عندما يفشل العون البشري.

أمبروسياستر

٥. شاول في أورشليم

"ولما جاء شاول إلى أورشليم حاول أن يلتصق بالتلاميذ،

وكان الجميع يخافونه غير مصدّقين أنه تلميذ". [٢٦]

كيف لم يسمع التلاميذ عن اهتداء شاول الطرسوسي؟

١. لم تكن وسائل الاتصال بين البلاد قوية وسريعة كما في عصرنا الحالي.

٢. كانت هناك عداوة بين هيرودس وأرتياس ملك العربية، فقد تزوج الأول بابنة الثاني ثم طردها فيما بعد، هذا سبب خلافًا بينهما وقيام حرب، مما جعل الاتصال بين البلدين شبه منقطع.

٣. ربما سمع بعض اليهود، خاصة القيادات اليهودية، عن اهتداء شاول، وقد حاولوا كتمان الخبر خاصة عن المسيحيين، حتى لا يستغلوا هذا الحدث لجذب اليهود للإيمان المسيحي.

٤. عدم مجيء شاول إلى أورشليم بعد اهتدائه مباشرة، وتأخره لمدة ثلاث سنوات، جعل حتى الذين سمعوا عن خبر اهتدائه ليس لديهم شهادة أكيدة عن الحدث.

لم يذهب إلى أورشليم بعد اهتدائه مباشرة، وإنما ذهب أولاً إلى العربية. لقد جاهد لكي ينضم إلى جماعة المؤمنين، لكنهم لم يستطيعوا أن يصدقوا أنه قد آمن بالسيد المسيح، إنما تشككوا في أمره، وربما ظنوه أنه يخدعهم لكي يدخل في وسطهم ويتقن ضرباته ضدهم. أما علة تشككهم فإن ماضيه يقدم صورة مرة عن مقاومته للإيمان.

عند عودته إلى أورشليم لأول مرة بعد ثلاث سنوات لم يذهب إلى رئيس الكهنة والفريسيين ولم يلتق بمجمع السنهدرين، بل أراد أن ينضم إلى المؤمنين، فقد صاروا في عينيه مجتمعًا أشبه بالمجتمع السماوي.

"فأخذه برنابا وأحضره إلى الرسل،

وحدّثهم كيف أبصر الرب في الطريق وأنه كلّمه،

وكيف جاهر في دمشق باسم يسوع". [٢٧]

قدمه القديس برنابا للقديسين بطرس ويعقوب (غل ١: ١٨-١٩)؛ ربما لأن بقية التلاميذ والرسل كانوا غائبين عن أورشليم.

"فكان معهم يدخل ويخرج في أورشليم،

ويجاهر باسم الرب يسوع". [٢٨]

إذ اطمأنوا له قبلوه معهم في الشركة، فكان ملازمًا معهم، وقد مكث في أورشليم ١٥ يومًا فقط (غلا ١: ١٨).

"وكان يخاطب ويباحث اليونانيين،

فحاولوا أن يقتلوه". [٢٩]

كان يلتقي باليهود المتكلمين باللغة اليونانية، وهي الجماعة التي كان القديس استفانوس يشهد أمامهم للسيد المسيح (أع ٦: ٩). كان يتحدث بكل جرأة عن يسوع أمام اليهود الهيلينيين، شاهدًا أنه هو المسيح، لذا حاولوا قتله، إذ لم يستطيعوا الحوار معه، ومقاومةالروح القدس العامل فيه. دخل شاول في هذه الفترة القصيرة إلى ذات المجامع التي كان استفانوس يحاور فيها، وكان قبلاً شاول واحدًا منهم يقاوم استفانوس. الآن يجتمع بهم ليباحثهم بذات الروح الذي كان به يباحثهم استفانوس. لم يحتملوا ذلك فأرادوا قتله.

"فلما علم الإخوة أحدروه إلى قيصرية،

وأرسلوه إلى طرسوس". [٣٠]

إذ سمع الإخوة المؤمنون بذلك، خشوا أن يُرجم كما سبق أن رجموا القديس استفانوس منذ قرابة ثلاث سنوات أو أكثر، فساعدوا شاول على الهروب إلى قيصرية، ومن هناك ذهب إلى طرسوس بلده، وغالبًا ما انشغل هناك بالكرازة بالإنجيل.

كان اسم شاول الطرسوسي مصدرًا للرعب، فلم تمحُ السنوات الثلاث التي قضاها في دمشق وما حولها "العربية" سمعته في أورشليم بسبب ما عاناه المسيحيون من اضطهاد على يديه. حاول الالتصاق بالكنيسة، فظنوه جاسوسًا جاء ليتمم خطته السابقة وينكل بهم. وإذ قدمه برنابا للرسل وتأكدوا من صدق تحوله صارت بهجة في الكنيسة. حقًا لقد سمعوا عن تحوله خلال هذه السنوات لكن لم يكن من السهل تصديقها، حتى رأوه وتلامسوا مع نعمة الله العاملة فيه، فمجدوا الله على قبول صلواتهم من أجله. "ولكني كنت غير معروفٍ بالوجه عند كنائس اليهودية التي في المسيح. غير أنهم كانوا يسمعون أن الذي كان يضطهدنا قبلاً يبشر الآن بالإيمان الذي كان قبلاً يتلفه، فكانوا يمجدون الله فيّ" (غل ١: ٢٢-٢٤).

لم يبقَ في أورشليم سوى أسبوعين، وكان يود أن يبقى فيها يخدم اليهود واليونانيين (كما سبق أن قلنا أنهم إما يهود عاشوا في بلاد يونانية أو من الأمم دخلوا اليهودية).

ظهر له السيد المسيح في رؤيا وهو في الهيكل يصلي يأمره بالخروج عاجلاً من أورشليم، لكنه حاول أن يقنع الرب بأن خدمته في أورشليم أجدى (أع ٢٢: ١٧-٢١). بحسب منطقه البشري أنه إذ كان مضطهدًا للكنيسة في أورشليم والآن صار كارزًا بالسيد المسيح، فتكون لخدمته أثرها الفعّال في حياة اليهود هناك، لكن الرب نفسه، حكمة الله اختاره، لا لخدمة أهل الختان بل أهل الغرلة.

كرر له السيد أن يخرج، فإنه مدعو للعمل في أممٍ كثيرة، وإذ أخبر الإخوة أحضروه إلى قيصرية، ومن هناك ذهب إلى طرسوس موطنه الأصلي، عاصمة إقليم كيليكية.

"وأمّا الكنائس في جميع اليهودية والجليل والسامرة،

فكان لها سلام،

وكانت تُبنى وتسير في خوف الرب،

وبتعزية الروح القدس كانت تتكاثر". [٣١]

توقف الاضطهاد على الكنيسة إلى حين، فانتفع القادة بهذا الهدوء للكرازة، فازداد العدد والرعاية، ونمت الكنيسة روحيًا، وتقدمت في المعرفة. هكذا يعمل القادة الروحيون وسط الضيق كما وسط السلام، ويجدون أن كل الأمور تعمل معًا للخير للذين يحبون الله.

يرى البعض أن اليهود في ذلك الحين انشغلوا بأحداث خطيرة تمس وجودهم نفسه في أورشليم مما شغلهم عن مقاومة المسيحيين. يقول د. لاردنر Dr. Lardner أنه بعد أن اعتلى كالجيولا Caligula العرش عاني اليهود من اضطهاد المصرين لهم في الإسكندرية، وقد خربت أماكن عبادتهم هناك بالكامل. وفي السنة الثالثة من تولي كاليجولا العرش (سنة ٣٩ م)، أرسل بترونيوس إلى سوريا ومعه أوامر بوضع تمثال الإمبراطور في الهيكل بأورشليم. جاء هذا الأمر الصادر من كاليجولا كالصاعقة على اليهود. فلم يعد يشغلهم أمر آخر غيره، كما يخبرنا كل من فيلون اليهودي السكندري والمؤرخ يوسابيوس. يقول يوسابيوس أن بترونيوس جاء إلى أورشليم بجيش لإقامةالتمثال في الهيكل، وكانت الأوامر الصادرة إليه هي قتل كل من يقاوم هذا العمل مع أخذ بقية الأمة عبيدًا. لهذا سار برتونيوس من إنطاكية إلى اليهودية بثلاثة فرق لتحقيق ذلك.

وصف فيلون الوضع بأن اليهود قد تركوا مدنهم وقراهم وحقولهم عند مجئ بترونيوس إلى فينيقية (لبنان)، خرجوا رجالاً ونساء، الشيوخ والشباب والصغار، وارتموا على الأرض أمام بترونيوس يبكون وينوحون.

كان حتمًا لا يشغلهم موقفهم من المسيحيين، إنما وضع تماثيل الإمبراطور في الهيكل بالقوة، وأن مقاومة ذلك ثمرته الموت والعبودية. أمام هذه الكارثة كفوا عن اضطهاد المسيحيين، وحلّ السلام داخل الكنيسة، وتوقف أول اضطهاد عام ضد الكنيسة. ونمت الكنائس التي في منطقة فلسطين، أي في اليهودية والجليل والسامرة.

أيضًا بتحول شاول الطرسوسي إلى الإيمان وبقائه في العربية ثلاث سنوات بدأت عاصفة الاضطهاد في أورشليم وكل اليهودية والجليل والسامرة تهدأ، وكانت الكنيسة تنمو في هدوء وسلام.

الآن انطلقت الكنيسة حتى بلغت السامرة حسب وعد ربنا يسوع المسيح لتلاميذه وخطته الإلهية. إذ سمع المؤمنون عن الذين قبلوا الإيمان على يدي فيلبس الرسول، ازدادوا فرحًا في الرب.

٦. بطرس الرسول في اللد ويافا

"وحدث أن بطرس وهو يجتاز بالجميع،

نزل أيضًا إلى القديسين الساكنين في لدّة". [٣٢]

إذ رجع القديسان بطرس ويوحنا من السامرة يبدو أن الرسول بطرس استراح للخدمة خارج أورشليم، فانطلق يخدم في البلاد التي حولها حتى بلغ لدة متجهًا نحو الساحل. وكان قد سبق وعبر القديس فيلبس في نفس الخط.

لدة أو اللد: مدينة قديمة (١ أي ٨: ١٢؛ عز ٢: ٣٣؛ نح ١١: ٥٣)، تقع في الطريق ما بين أورشليم وقيصرية فيليبي. تبعد ما بين ١٠ و١٢ ميلاً جنوب شرقي يافا، وهي في اختصاصات سبط افرايم. دعاها اليونانيون ديوسبوليس أو مدينة جوبتر، يُحتمل أن هيكل جوبتر كان قد أُقيم في وقت ما في هذه المدينة. الآن صارت مُدمرة تمامًا، صارت قرية بائسة. جاء في التقليد أن الإمبراطور يوستنيان أنشأ كنيسة هناك. فيها صارع الشهيد مار جرجس التنين - حسب التقليد المسيحي - وقد أشيع أن السيد المسيح سيأتي فيها ويقتل التنين "ضد المسيح". اشتهرت اللد بالأرجوان.

قام القديس بطرس بزيارة الكنائس التي نشأت حديثا بواسطة الكارزين الذين تشتتوا. كرسول لم يحد نفسه بموضعٍ معين، ولا التزم برعاية كنيسة معينة دون غيرها، بل افتقد كثير من الكنائس، ليثبتها في الإيمان الذي تسلموه خلال الذين تشتتوا بسبب الاضطهاد وانطلقوا من أورشليم. لقد تشبه هو وغيره من الرسل بمعلمهم الذي كان يجول يصنع خيرًا.

"**إلى القديسين**"، إذ اتسم المسيحيون بروح القداسة، يدعوهم الكتاب المقدس قديسين (مز ١٦: ٣).

"فوجد هناك إنسانًا اسمه اينياس،

مضطجعًا على سرير منذ ثماني سنين،

وكان مفلوجًا". [٣٣]

إذ وجد القديس بطرس في اللد إنسانًا مفلوجًا منذ ثماني سنوات شفاه باسم يسوع المسيح. بلا شك فقد اينياس ومن حوله كل رجاء في شفائه، متوقعين بقاءه على السرير في مرضه حتى يدخل القبر، وقد أبرز الله خلال رسوله بطرس أنه إله المستحيلات!

"فقال له بطرس: يا إينياس يشفيك يسوع المسيح،

قم وافرش لنفسك.

فقام للوقت". [٣٤]

قد تطول فترة الفالج إلى ثماني سنين، لكن في الوقت المعيّن يعمل اللَّه فينا ليهبنا كمال الصحّة، فنقوم من سرائرنا ونتحرّك للعمل بلا توقف.

قبل أن يشفيه وجه نظره إلى الطبيب الحقيقي، واهب الشفاء، يسوع المسيح. في المسيح يسوع حملت كلمات القديس بطرس قوة الشفاء العاجل والتام، لأنها قدمت اسم يسوع المسيح مصدر كل قوةٍ. وأمره أن يفرش لنفسه، أي يتحول الشلل إلى صحةٍ مع قوةٍ وحركةٍ.

مسيحنا إله المستحيلات، يهتم بالمرضى الميؤس من شفائهم، لكي يعلن قوّة اسمه كمصدر شفاء، ويهب المرضى قوّة للقيامة، فيحمل المريض سريره ويشهد بقوّة فترجع النفوس إلى الربّ.

"ورآه جميع الساكنين في لدة وسارون،

الذين رجعوا إلى الرب". [٣٥]

إذ رأوا قوة اسم يسوع المسيح رجعوا إلى الحق، وقبلوا الرب يسوع في حياتهم.

سارون أو شارونة يتاخمها سهل شارون، وهي أرض خصبة ممتدة حتى جبل الكرمل.

"وكان في يافا تلميذة اسمها طابيثا،

الذي ترجمته غزالة،

هذه كانت ممتلئة أعمالاً صالحة وإحسانات كانت تعملها". [٣٦]

يقدم لنا القديس لوقا معجزة أخرى، صنعها القديس بطرس لتثبيت الإنجيل، تفوق المعجزة السابقة، إذ أقام طابيثا بعد موتها.

يافا: على ساحل البحر الأبيض المتوسط، تبعد عشرة أميال شمال غربي اللد. كانت تابعة لسبط دان، تبعد حوالي ٣٠ ميلاً جنوب قيصرية، و٤٥ ميلاً شمال غربي أورشليم. كانت ميناءً رئيسيًا لفلسطين، مع أن الميناء نفسه كان فقيرًا. استخدمه سليمان في استقبال الخشب الذي استورده من صور لبناء الهيكل (٢ أي ٢: ١٦).. أُستخدم لذات الغرض في وقت عزرا (عز ٣ :٧). وهي مدينة قديمة جدًا ذُكر اسمها في نقوش تحتمس الثالث (١٤٩٠ - ١٤٣٦ ق.م). وردت في يش ١٩: ٣٦ أثناء دخول الشعب أرض الموعد، لكنها ظلت تابعة للفلسطينيين. استطاع يوناثان المكابي أن يغزوها ويستولي عليها من ملوك سوريا عام ١٤٨ ق.م. لكن بومبي الروماني استعادها للسوريين سنة ٤٧ ق.م أُعطيت لهركانوس الثاني المكابي، الملك والكاهن اليهودي. كان أكثر مواطنيها من اليونان، وقد حطمها فسبسيان عام ٦٨م. تُعرف يافا حاليًا بحدائقها وفواكهها الممتازة عن فواكه أغلب المناطق الأخرى.

"**طابيثا**" اسم عبري، باليونانية دوركاس، ومعناها غزالة، وهو حيوان مبهج. كانت "**تلميذة**"، أي قبلت الإيمان بالسيد المسيح، ونالت العماد، وتتلمذت على السيد المسيح خلال أحد المعلمين. اتسمت بالجهاد في الأعمال الصالحة كثمرٍ متكاثرٍ لإيمانها الحي. ترجمت إيمانها إلى عملٍ مستمرٍ، كانت شهادتها لمسيحها، لا بالكلمات، بل بالأعمال المملوءة حنوًا وحبًا.

"وحدث في تلك الأيام أنها مرضت وماتت،

فغسّلوها ووضعوها في عُليّة". [٣٧]

غسل الجثمان كعادة كثير من الشعوب، وضع في العلية استعدادًا للجنازة، وربما كانوا يتوقعون مجيء القديس بطرس الرسول كطلب التلاميذ، ولعلهم كانوا يترجون إقامتها من الأموات.

"وإذ كانت لدّة قريبة من يافا،

وسمع التلاميذ أن بطرس فيها،

أرسلوا رجلين يطلبان إليه أن لا يتوانى عن أن يجتاز إليهم". [٣٨]

لعل التلاميذ استدعوا القديس بطرس من أجل تعزية النفوس الحزينة، إذ كانت سندًا لكثير من الأرامل والفقراء. أما توقعهم أن يقيمها من الموت، فغالبًا لم يكن واردًا، لأننا لا نسمع عن اقامة موتى بواسطة الرسل منذ صعود السيد المسيح أو حلول الروح القدس على الكنيسة وإلى تلك اللحظات.

"فقام بطرس وجاء معهما،

فلما وصل صعدوا به إلى العُليّة،

فوقفت لديه جميع الأرامل يبكين،

ويرين أقمصة وثيابًا مما كانت تعمل غزالة وهي معهن". [٣٩]

كانت طابيثا إحدى التلميذات، أي المؤمنات، كرست حياتها لخدمة الأرامل. لم يقدم أحد مراثٍ وقصائدٍ شعرية في مديح القديسة طابيثا، لكن قدمت الأرامل أعمال حبها وحنوها شهادة حية لتقواها. لم تخجل الأرامل الفقيرات من الإعلان علانية أنهن مدينات لها بأعمال الرحمة والصدقة. اتسمت هؤلاء الأرامل بروح الشكر والعرفان بالجميل، وأعلنت الأرامل حاجتهن الماسة إلى هذه التلميذة التقية.

كانت الأقمصة في العادات اليونانية والعبرية تُرتدى فوق الملابس، لهذا عندما دخل السيد المسيح أورشليم فرشوا القمصان أمامه، أي الأقمصة الخارجية.

يرى البعض أن أهل يافا بعثوا يستدعون بطرس الرسول ليسير عشرة أميال ويأتي ليقيم طابيثا بعد موتها. إنه الإيمان العجيب للأرامل اللواتي رأين وتلامسن مع إيمان طابيثا الرائع التي عبَّرت عنه بحبها العملي لهن. كان لديهن اليقين في إمكانية الإيمان وإدراك لضعف الموت وهزيمته أمام قوة قيامة السيد المسيح.

v عندما يقترب إنسان من الموت ليت صديق ذلك الشخص الذي يموت يُعد له الأكفان، ويحث الراحل أن يترك شيئًا للمحتاجين. ليرسله بهذه الثياب إلى القبر، تاركًا المسيح وارثًا له.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"فأخرج بطرس الجميع خارجًا،

وجثا على ركبتيه وصلى،

ثم التفت إلى الجسد وقال:

يا طابيثا قومي.

ففتحت عينيها،

ولمّا أبصرت بطرس جلست". [٤٠]

طلب القديس بطرس خروج الجميع، فإنه لم يطلب مديحًا من إنسانٍ ولا مجدًا باطلاً من العالم. جاء، لا لكي يستعرض إمكانياته وقدراته، بل ليمارس حنوه الداخلي في الرب. أراد أن يتحدث مع الله مخلصه في هدوءٍ، بعيدًا عن الضجيج. قدم صلاة بروح تقوي وفي خشوع، يطلب عون لله، يعلن خضوعه كخادمٍ للرب، وليس كما أقام السيد المسيح لعازر بسلطانه الإلهي.

يطالبنا **القديس يوحنا الذهبي الفم** أنه يكون لساننا كلسان المسيح ينطق بذات كلماته. فقد نطق الرسول بطرس (أع ٩: ٤٠) بذات كلمات الرب (مت ٥: ٥). [ليتنا نتكلم بنفس الطريقة التي بها يتضح بجلاء مما نقوله إننا ننطق بكلمات المسيح... فإنه ليس فقط إن قلت: "قم وامش" (مت ٥: ٥) أو "طابيثا قومي" (أع ٩: ٤٠) أكون قد نطقت بكلمات المسيح، بل ما هو أكثر عندما أُشتم فأبارك، عندما يُساء إليَّ فأصلي من أجل المسيئين إليّ. أقول إن لساننا هو اليد التي تلمس قدمي المسيح (تتوسل إليه)... لساني هو لسان متمثل بالمسيح، إن أظهر الغيرة اللائقة، وإن نطق بالأمور التي يريدنا أن ننطق بها. ما هي هذه الأمور؟ كلمات مملوءة تواضعًا ووداعة، كما نطق هو عندما تحدث مع من أساءوا التعامل معه.

"فناولها يده وأقامها،

ثم نادى القديسين والأرامل وأحضرها حيّة". [٤١]

- هذه التي منحت الأرامل المتألمات معونة ليعشن بها، تأهلت أن تسترد الحياة بطلبات الأرامل.

الشهيد كبريانوس

"فصار ذلك معلومًا في يافا كلها،

فآمن كثيرون بالرب". [٤٢]

هذه كانت أول معجزة من نوعها تمت على يدي رسول، فأدرك كثيرون أن الإنجيل رسالة سماوية، وآمنوا به.

إقامة طابيثا لم تمجّد القدّيس بطرس بل ربّنا يسوع إذ "**آمن كثيرون بالرب**"، إذ ذاقوا قوّة إنجيل الخلاص.

"ومكث أيامًا كثيرة في يافا عند سمعان رجل دبّاغ". [٤٣]

إقامة طابيثا فتحت الباب للقدّيس بطرس للعمل في يافا فمكث فيها أيّامًا كثيرة. انفتح باب الكرازة وقَبِلَ كثيرون في يافا الإيمان، فمكث القديس بطرس أيامًا كثيرة في هذه المدينة. لم يمكث في بيت طابيثا التي أقامها، مع أنها كانت غنية، حتى لا يظن أحد أن الرسول صنع هذه الآية لمنفعةٍ خاصةٍ به.

ليس جزافًا أن يذكر لوقا البشير صناعة سمعان الذي مكث عنده الرسول بطرس أيامًا كثيرة. فإن الدباغة مهنة غير طاهرة بالنسبة لليهود، وكل ما في البيت يُحسب دنسًا، لأن بها جلود حيوانات ميتة، وأحيانًا تكون عفنة. هنا بدأ الرسول بطرس يتحرر تدريجيًا من حرف الناموس.

من وحي أع ٩

لتتجلّى في داخلي، فأشهد لحبك!

v ظن شاول أنّه الرجل الأول بعد غمالائيل،

فمن جهة الناموس، من هو أبرّ منه؟

ومن جهة تقليدات آبائه، من هو أكثر منه غيره؟

من جهة أسرته، عبراني أصيل، روماني الجنسيّة، ويوناني الثقافة!

اليد اليّمنى لرئيس الكهنة المقاوم ليسوع وأتباعه.

الإرادة القويّة في يد مجمع السنهدرين لإبادة المسيحيّين.

في نظر نفسه، من يخدم اللَّه وشعبه مثله؟

v انطلق هذا الشاب الثائر ليحقق شهوة قلبه.

انطلق في الطريق إلى دمشق، يبحث عن أصحاب الطريق.

انطلق في طريق قلبه المملوء بغضة، يطلب من هم في طريق الحب الإلهي!

v اقترب جدًا من دمشق،

لا يفكّر في شيء، إلا ألاّ يفلت أحد من أهل الطريق من يده.

فجأة، سقط هو في يد محب البشر.

أشرق بنور مجده عليه!

لم يره في سحابة، ولا خلال عمود دخَّان، أو نار.

لم يره في الهيكل بأورشليم، بل في الطريق، قرب دمشق الأمميّة!

رآه في نور سماوي إلهي.

لم يكن ممكنًا لعينيه أن تبصر ذاك الذي لا يُرى!

سقط كميّت ليقوم محمولاً على ذراعي القائم من الأموات.

فقد بصره الجسدي إلى حين،

ليتمتّع مع بصر الجسد البصيرة الأبديّة.

سمع اتهامًا موجّهًا إليه من رب السماء!

لا لكي يدخل به إلى السجن الأبدي،

بل ليرفعه إلى مستوى ملائكي فائق.

v الآن أدرك من هو يسوع!

إنّه الحب عينه، يسكب محبّته حتى على مقاوميه.

لا يحطّم الطاقات المضادة له، بل يحولها إلى طاقات لبناء الكثيرينّ.

إنّه خالق السماء والأرض، لا تحدّه مدينة أورشليم، ولا هيكل سليمان!

v سمع شاول رأس الكنيسة يصرخ:

شاول، شاول لماذا تضطهدني؟

أتطأ بقدميك على قدميّ (الكنيسة) ولا تحسب ذلك إهانة لي؟

من يمس أحد أصابع قدمّي، يهين الرأس ذاته!

عدْ إلى نفسك،

لتدرك من هو ذاك الذي تقاومه؟

صعب عليك أن ترفس مناخس!

v ما كان يحسبه خداعًا،

حين كان المسيحيّون يعلنون عن رؤية أبواب السماء المفتوحة،

قد رآه هو بعينيه،

وسمع السماوي يتحدّث معه شخصيًّا.

لم يصدّق نفسه،

إن ذاك الذي قال: "انقضوا الهيكل"، قائم في مجده السماوي، في الأقداس الإلهيَّة.

سمع السماوي يدعو نفسه "الناصري"!

اللقب الذي كان يسخر به يعتزّ به خالق السماء!

v تحدّث معه رب الكنيسة،

لكنّه لم يعَلِمَه إلاّ أن يرجع إلى كنيسته،

هناك يتلقن الحق، ويتمتّع بالحياة الجديدة!

لم يعلمه الرب المتواضع الكبرياء والاعتداد بالذات،

بل في تواضع ينحني تحت يدي حنانيا،

ليقبل من الكنيسة عطايا الروح!

- بقي ثلاثة ايّام صائمًا مصليًا.

أدرك أنّه في حاجة إلى توجيه إلهي.

عاش ثلاثة ايّام كمن هو في قبرٍ.

وأرسل له اللّه حنانيا ليختبر قوّة القيامة من الأموات.

أدرك أن قيامة يسوع المسيح ليست من وحي خيال أحدٍ،

بل حقيقة يعيشها ويختبرها بنفسه كل يوم!

صار المقاوم شاهدًا، لقد رأى يسوع القائم من الأموات، والصاعد إلى السماوات!

- لم يبعث بشاول إلى حنانيا،

بل انطلق حنانيا إلى شاول يسأل عنه.

إنّه يحمل روح الكنيسة التي تطلب من قد هلكّ!

وتبحث عن الدرهم المفقود،

والابن الضال التارك بيت أبيه!

- سقط من عينيه ما يشبه القشور،

لكي يرى بالروح أسرار اللّه،

ويتفهّم الناموس روحيًّا،

ويُدرك تحقيق النبوّات في شخص يسوع المسيح.

سقطت قشور الحرف التي تطمس البصيرة،

وصار له نور الروح الذي لا يُعبر عنه.

- صار شاول إناءً مختارًا،

يحمل أطياب الروح القدس، الحاملة رائحة المسيح الزكيّة.

أطيابه ليست من عمل يديه،

لكنّها كلمة اللّه، المقدّمة لليهود كما للأمم،

للسادة كما العبيد،

الكبار مع الصغار.

يقدّم من إنائه لبنًا للصغار، وطعامًا قويًا للناضجين.

يا لغنى نعمة اللّه الفائقة!

- بعد ثلاثة أيّام في خلوته الفريدة،

نال شاول الطرسوسي سرّ العماد.

انطلق بالروح القدس من العماد إلى الكرازة.

الذي جاء ليقتل ويهلك، صار يشتهي أن يموت معهم!

المضطهد صار في لحظات كارزًا بالحق!

- انطلق للكرازة، يشهد لما يختبره بنفسه كل يوم.

ويتجلّى قدّامه معلمه استفانوس في لحظات رجمه.

وفي جديّة عاد يدرس العهد القديم بمنظارٍ جديدٍ.

صار يتحقّق أسرار اللّه ويكتشفها بالروح اللّه الساكن فيه.

- كان لابد من الثورة ضدّه،

فينزل في مذلّة في زنبيل، متدلّيًا من سور دمشق.

نزل لكي تنفتح أمامه أبواب الخدمة بين الأمم.

- في أورشليم خشاه المؤمنون لئلا يكون مخادعًا لهم.

وإذ تلامسوا مع عمل اللّه فيه مجّدوا الرب.

اشتهى أن يخدم شاول إخوته في أورشليم.

وفي داخل الهيكل ظهر له الرب في رؤيا ليخرج للأمم.

في طاعة كاملة تحرّك، فإنّه أداة مطيعة للّه!

- الذي حوّل شاول المضطهد إلى كارز،

كان يعمل في بقيّة التلاميذ.

باسم يسوع المسيح شَفي بطرس إينياس.

وباسمه أقام طابيثا من الموت!

- أعدّت طابيثا لنفسها أكفانًا لا يمسّها عث!

كفنت جسدها بأعمال الحب والرحمة.

لم يستطع الموت أن يلحق بنفسها.

حتى جسدها تمتّع بالإقامة إلى حين،

لكي يقوم فيما بعد أبديًا!

١ اما شاول فكان لم يزل ينفث تهددا و قتلا على تلاميذ الرب فتقدم الى رئيس الكهنة
٢ و طلب منه رسائل الى دمشق الى الجماعات حتى اذا وجد اناسا من الطريق رجالا او نساء يسوقهم موثقين الى اورشليم
٣ و في ذهابه حدث انه اقترب الى دمشق فبغتة ابرق حوله نور من السماء
٤ فسقط على الارض و سمع صوتا قائلا له شاول شاول لماذا تضطهدني
٥ فقال من انت يا سيد فقال الرب انا يسوع الذي انت تضطهده صعب عليك ان ترفس مناخس
٦ فقال و هو مرتعد و متحير يا رب ماذا تريد ان افعل فقال له الرب قم و ادخل المدينة فيقال لك ماذا ينبغي ان تفعل
٧ و اما الرجال المسافرون معه فوقفوا صامتين يسمعون الصوت و لا ينظرون احدا
٨ فنهض شاول عن الارض و كان و هو مفتوح العينين لا يبصر احدا فاقتادوه بيده و ادخلوه الى دمشق
٩ و كان ثلاثة ايام لا يبصر فلم ياكل و لم يشرب
١٠ و كان في دمشق تلميذ اسمه حنانيا فقال له الرب في رؤيا يا حنانيا فقال هانذا يا رب
١١ فقال له الرب قم و اذهب الى الزقاق الذي يقال له المستقيم و اطلب في بيت يهوذا رجلا طرسوسيا اسمه شاول لانه هوذا يصلي
١٢ و قد راى في رؤيا رجلا اسمه حنانيا داخلا و واضعا يده عليه لكي يبصر
١٣ فاجاب حنانيا يا رب قد سمعت من كثيرين عن هذا الرجل كم من الشرور فعل بقديسيك في اورشليم
١٤ و ههنا له سلطان من قبل رؤساء الكهنة ان يوثق جميع الذين يدعون باسمك
١٥ فقال له الرب اذهب لان هذا لي اناء مختار ليحمل اسمي امام امم و ملوك و بني اسرائيل
١٦ لاني ساريه كم ينبغي ان يتالم من اجل اسمي
١٧ فمضى حنانيا و دخل البيت و وضع عليه يديه و قال ايها الاخ شاول قد ارسلني الرب يسوع

الذي ظهر لك في الطريق الذي جئت فيه لكي تبصر و تمتلئ من الروح القدس
١٨ فللوقت وقع من عينيه شيء كانه قشور فابصر في الحال و قام و اعتمد
١٩ و تناول طعاما فتقوى و كان شاول مع التلاميذ الذين في دمشق اياما
٢٠ و للوقت جعل يكرز في المجامع بالمسيح ان هذا هو ابن الله
٢١ فبهت جميع الذين كانوا يسمعون و قالوا اليس هذا هو الذي اهلك في اورشليم الذين يدعون بهذا الاسم و قد جاء الى هنا لهذا ليسوقهم موثقين الى رؤساء الكهنة
٢٢ و اما شاول فكان يزداد قوة و يحير اليهود الساكنين في دمشق محققا ان هذا هو المسيح
٢٣ و لما تمت ايام كثيرة تشاور اليهود ليقتلوه
٢٤ فعلم شاول بمكيدتهم و كانوا يراقبون الابواب ايضا نهارا و ليلا ليقتلوه
٢٥ فاخذه التلاميذ ليلا و انزلوه من السور مدلين اياه في سل
٢٦ و لما جاء شاول الى اورشليم حاول ان يلتصق بالتلاميذ و كان الجميع يخافونه غير مصدقين انه تلميذ
٢٧ فاخذه برنابا و احضره الى الرسل و حدثهم كيف ابصر الرب في الطريق و انه كلمه و كيف جاهر في دمشق باسم يسوع
٢٨ فكان معهم يدخل و يخرج في اورشليم و يجاهر باسم الرب يسوع
٢٩ و كان يخاطب و يباحث اليونانيين فحاولوا ان يقتلوه
٣٠ فلما علم الاخوة احدروه الى قيصرية و ارسلوه الى طرسوس
٣١ و اما الكنائس في جميع اليهودية و الجليل و السامرة فكان لها سلام و كانت تبنى و تسير في خوف الرب و بتعزية الروح القدس كانت تتكاثر
٣٢ و حدث ان بطرس و هو يجتاز بالجميع نزل ايضا الى القديسين الساكنين في لدة
٣٣ فوجد هناك انسانا اسمه اينياس مضطجعا على سرير منذ ثماني سنين و كان مفلوجا
٣٤ فقال له بطرس يا اينياس يشفيك يسوع المسيح قم و افرش لنفسك فقام للوقت
٣٥ و راه جميع الساكنين في لدة و سارون الذين رجعوا الى الرب
٣٦ و كان في يافا تلميذة اسمها طابيثا الذي ترجمته غزالة هذه كانت ممتلئة اعمالا صالحة و احسانات كانت تعملها
٣٧ و حدث في تلك الايام انها مرضت و ماتت فغسلوها و وضعوها في علية
٣٨ و اذ كانت لدة قريبة من يافا و سمع التلاميذ ان بطرس فيها ارسلوا رجلين يطلبان اليه ان لا يتوانى عن ان يجتاز اليهم
٣٩ فقام بطرس و جاء معهما فلما وصل صعدوا به الى العلية فوقفت لديه جميع الارامل يبكين و يرين اقمصة و ثيابا مما كانت تعمل غزالة و هي معهن
٤٠ فاخرج بطرس الجميع خارجا و جثا على ركبتيه و صلى ثم التفت الى الجسد و قال يا طابيثا قومي ففتحت عينيها و لما ابصرت بطرس جلست
٤١ فناولها يده و اقامها ثم نادى القديسين و الارامل و احضرها حية
٤٢ فصار ذلك معلوما في يافا كلها فامن كثيرون بالرب
٤٣ و مكث اياما كثيرة في يافا عند سمعان رجل دباغ

الباب الرابع

إلى أقصى الأرض

ص ١٠ - ص ٢٨

الأصحاح العاشر

انفتاح عينيّ بطرس الرسول على خدمة الأمم

الآن إذ انتهى الأصحاح السابق بإقامة طابيثا من الموت باسم يسوع المسيح، هذه التي قدّمت أعمال محبّة في سخاء للأرامل والمحتاجين، فما الموقف بالنسبة للأمم، خاصة المشتاقين لخلاص نفوسهم؟ هل يُتركون في قبورهم موتى لمجرّد أنّهم من الأمم؟

لقد أعلن السيد بكل وضوح عن الكرازة بين الأمم (مت٢٨: ١٩)، وفي عيد العنصرة تحدث القدّيس بطرس عن تحقيق نبوّة يؤئيل وأن "كل من يدعو باسم الرب يخلص" (أع ٢: ٢١). لكن حتى بعد سنوات من العنصرة كان الرسل أنفسهم يظنّون أنّه لا دخول للأمم إلى الإيمان بيسوع المسيح إن لم يتهوّدوا أولاً.

يقدم لنا هذا الأصحاح بدء حقبة جديدة في تاريخ خدمة الرسل، إذ لم تعد رسالة الإنجيل قاصرة على اليهود، بل تمتد نحو الأمم لتُعلن لكل البشرية.

يقدم لنا القديس لوقا خلال الأصحاحات السابقة الكرازة في أورشليم ثم اليهودية فالسامرة، وفي نفس الوقت كان روح الرب يهيء الجو لانفتاح باب الإيمان للأمم. كانت الخدمة محصورة في دائرة أهل الختان، الآن يصدر الأمر واضحًا لرسول أهل الختان، بطرس، مؤكدًا بدء انفتاح الباب، وقد اختار القديس بطرس حتى لا يحدث شق في كنيسة المسيح، فتصير كنيستين منفصلتين ومتعارضتين، واحدة تضم الذين من أصل يهودي أو من المتهودين والأخرى تضم أهل الغرلة. كان يلزم أن يُعلن لرسول أهل الختان رفع نير حرف الناموس حتى لا يُتهم الكارزون بين أهل الغرلة أنهم مقاومون للناموس، ومستهينون ببركات العهد القديم.

انفتاح الباب للأمم كان سرًا حتى بالنسبة للرسل، وموضوع دهشتهم بالرغم من تهيئة الرب لأذهانهم لقبوله (مر١٦: ١٥)؛ وبالرغم من وجود نبوات متعددة في العهد القديم عن ذلك. فلا نعجب إن كان الله قد دفع القديس بطرس دفعًا للكرازة لبكر الأمم وتعميده. الآن قد رُفع الحجاب الذي يفصل أهل الختان عن أهل الغرلة، حتى يجلس الاثنان معًا على مائدة الرب الواحدة بلا تمييز، ويشتركان معًا في العبادة والتمتع بمواهب الروح الواحد، ويصير الكل أعضاء في جسد المسيح الواحد، وينتسبون للآب الواحد.

١. رؤيا كرنيليوس ١-٨.

٢. رؤيا بطرس الرسول ٩-١٦.

٣. لقاء مع رجال كرنيليوس ١٧-٢٣.

٤. لقاء مع كرنيليوس ٢٤-٣٣.

٥. حديث للقدّيس بطرس ٣٤-٤٣.

٦. عماد كرنيليوس ومن معه ٤٤-٤٨.

١. رؤيا كرنيليوس

"وكان في قيصرية رجل اسمه كرنيليوس،

قائد مائة من الكتيبة التي تدعى الإيطالية". [١]

في الأصحاح السابق يقدم لنا القديس لوقا صورة ممتعة لرجلٍ دخل تحت الناموس مع عظمة مركزه يتمتع بعظمة تقواه وشوقه العجيب لدراسة الكتاب المقدس، وغيرته المتقدة نحو خلاص نفسه (خصي كنداكة). وفي هذا الأصحاح يقدم لنا إنسانًا عظيمًا في رتبته، ومع كونه لم يكن يهوديًا، ولا تحت الناموس، لكنه كان عظيمًا في تقواه. وكما يقول **القديس يوحنا الذهبي الفم:** [إنه يظهر عظمة تقواهما، فإنه من المدهش أن نجد شخصًا ما هكذا وهو في غنى وسلطان مثل هذين الشخصين].

v ما يسبب مدحًا للأول أنه قام برحلة طويلة بينما لم يكن في وقت عيد يستلزم هذا، وقراءته في الطريق، وهو في المركبة، وتوسله لفيلبس، وأمور أخرى عديدة. وأما عظمة مديح الأخير (كرنيليوس) أنه يقدم صدقات وصلوات، وكان تقيًا ويتمسك بوصية كهذه.

القديس يوحنا الذهبي الفم

اختار السيد المسيح بكور مؤمنيه من اليهود من صيادي السمك البسطاء ليخزي بهم الحكماء؛ أما بالنسبة للأمم فاختار قائدًا رومانيًا. لم يختر فيلسوفًا يونانيًا ولا كاهن أوثان، بل قائدًا، كل ما يشغله حفظ الأمن وتنفيذ القوانين وتمتع البشر بالحرية، خاصة أصحاب الجنسية الرومانية. إنه صاحب فكر حر، ليس من يضغط عليه، ولا من يقدر أن يخدعه.

كان كرنيليوس قائدًا في الجيش الروماني تحت قيادته مئة جندي. سبق فسمعنا عن قائد المئة الذي سبق بإيمانه كل من في إسرائيل ليتكىء في ملكوت السماوات مع إبراهيم وإسحق ويعقوب (مت ٨: ١١ - ١٢). أما القائد الثاني فهو الذي شهد للسيد المسيح ومن معه أثناء الزلزلة، قائلين: "حقًا كان هذا ابن الله" (مت ٢٧: ٥٤). والآن نحن أمام قائد مئة ثالث الذي اشتاق إلى الحق الإلهي، فاستخدمه الله درسًا للقديس بطرس لفتح باب الإيمان للأمم. انضم إلى هذه الفئة قائد مئة رابع كان مكلفًا بحراسة الرسول بولس في الأسر ليذهب به إلى روما، هذا رفض قتل الأسرى حين انكسرت السفينة حتى يخلص بولس (أع ٢٧: ٤٢-٤٣).

يقول المؤرخ بوليبيوس Poliybius أن قواد المائة في الجيش الروماني كانوا معتبرين ملح الجيش الروماني، ممتدحًا أخلاقهم، إذ يُشترط أن يكونوا متعقلين، مستقيمين، ذوي حكمة ورزانة، قادرين على ضبط نفوسهم.

"**من الكتيبة الإيطالية**": كان قوامها ما بين ٦٠٠ و ١٠٠٠ جندي، لكن لم تكن مثل هذه القوات الكبيرة موجودة في فلسطين حتى سنة ٤١م، ولكن في أيام أغريباس الأول (أع ١٢: ١) وُجدت عدة قوات مثل هذه.

دُعيت الكتيبة الإيطالية، ربما لأن كل جنودها كانوا رومانيين قادمين من الجيش الروماني في إيطاليا، وهم متميزون عن بقية الجنود في الجيش المختارين من ولايات أخرى. هؤلاء كانوا

موضع ثقة الإمبراطور، حتمًا يعملون لحساب السلطة الرومانية، لن يقوم من بينهم خائن للإمبراطورية.

"وهو تقي وخائف اللَّه مع جميع بيته،

يصنع حسنات كثيرة للشعب،

ويصلّي إلى اللَّه في كل حين". [٢]

بلا شك أن بعض اليونانيين والرومانيين، حتى الذين كانوا يعملون في الجيش تأثروا ببعض اليهود الأتقياء، فصاروا يعبدون الله الواحد (المجهول) بروح التقوى ومخافة الرب، فكانوا لا يميلون إلى عبادة التماثيل، ولا ينغمسون في الملذات والشهوات الجسدية، مثل هؤلاء فتح الروح القدس قلوبهم ليقبلوا الإيمان المسيحي.

v يقول: "**وهو تقي خائف الله، مع جميع بيته**"، فلا تظن أن ما حدث كان بسبب رتبته العظمى.

عندما أُجتذب شاول لم يظهر ملاك بل الرب نفسه، لم يرسله إلى شخصٍ عظيمٍ، بل إلى رجل عادي جدًا.

هنا على العكس جلب رسولاً عظيمًا لهؤلاء الأمم ولم يرسلهم إليه، لقد نزل إلى ضعفهم، فهو يعرف كيف يتعامل معهم.

في حالات كثيرة نجد المسيح نفسه مسرعًا إليهم بسبب أنهم أكثر ضعفًا. أو لأن كرنيليوس لم يكن قادرًا أن يترك بيته. هنا أيضًا نجد المديح العلوي للصدقات كما قُدم في حالة طابيثا.

v "**خائف الله مع جميع بيته**". ليسمع هذا من كان منا مهملاً لأهل بيته، بينما كان هذا الرجل يعتني بجنوده أيضًا.

القديس يوحنا الذهبي الفم

كان كرنيليوس رجلاً متديًا، لا يعبد الأصنام، ولا آلهة باطلة، ولا يسمح لنفسه أن ينغمس في الرجاسات التي اتسم بها العالم الوثني. كل ما يعرفه ويؤمن به هو وجود إله خالق السماء والأرض، إله واحد حقيقي حي، لكنه مجهول بالنسبة له.

مع كونه صاحب سلطان كقائد مئة، لكنه يحمل مخافة وخشية لله المجهول اتسم بثلاث سمات هامة:

v قاد بيته إلى الحياة التقوية التعبدية، لم يضم تحت سقفه أي عابد للأوثان، ولا من يسلك بالشر، بل كان جميع أهل بيته وكل العاملين في البيت يخشون الله.

v اتسم بالحنو العملي وتقديم الصدقات؛ غالبًا وهو روماني يعمل في الكتيبة الإيطالية في قيصرية كعاصمة الولاية مدنيًا، يقدم صدقاته للفقراء والمحتاجين من اليهود. مع كونه أمميًا كان يعطي بسخاء للمحتاجين من اليهود.

v كان رجل عبادة وصلاة، يمارس الصلاة الدائمة في كل حين، يمزج العمل الصالح بحياة الصلاة.

ظن البعض أن كلمات القديس بطرس وأيضًا غيره من التلاميذ أنه كان أمميًا غريب الجنس، لم يختتن ولم يقبل الناموس (أع ١١: ١-٣؛ ١٠: ٢٨). ربما أعجب بالديانة اليهودية من جهة الإيمان بالله الواحد، كما أُعجب بالمبادئ الأخلاقية والسلوكية وبالإلتجاء إلى الله والصلاة إليه، لكنه لم ينضم إليهم كعضوٍ في الأمة اليهودية أو كأحد أفراد الشعب، ولا حُسب دخيلاً. يدعوه البعض شبه دخيل.

"فرأى ظاهرًا في رؤيا نحو الساعة التاسعة من النهار،

ملاكًا من اللَّه، داخلاً إليه، وقائلاً له:

يا كرنيليوس". [٣]

إذ كان اليهود يعتزون أنهم تسلموا الناموس بخدمة ملائكة، فهوذا رجل أممي تقي محب للصلاة يتمتع بخدمة الملائكة.

في الساعة التاسعة، أي الثالثة بعد الظهر، حيث كان ذلك موعد الصلاة عند اليهود ظهر ملاك مرسل من الله، لا في الهيكل وسط المتعبدين، بل لرجلٍ أممي يتعبد مع أسرته في بيته، ظهر له لا في حلم بل علانية.

لعله تعلم من اليهود ممارسة الصلاة في ساعات معينة، إذ كانوا يصلون ثلاث مرات: الصباح الباكر، والتاسعة من النهار، والغروب.

قدم كرنيليوس صلاته فصعدت كبخورٍ طيبٍ، كتقدمةٍ أو تذكارٍ أمام الله، مع أنه كان أمميًا. لقد قبل الله صلواته وصدقاته ذبائح سرور أمام الله، وإن كان محتاجًا إلى التمتع بالدم الثمين الذي بدونه لا تحصل مغفرة.

وضعت الكنيسة تدبيرًا للمؤمن أن يصلّي في ساعات معيّنة، حتى لا يهمل الصلوات، وإن كان هذا التدبير لا يمنع رفع الصلوات في كل حين، وانشغال الفكر باللَّه. في هذه الصلوات نتذكّر أعمال اللَّه الخلاصيّة، حتى لا يفارق الصليب فكرنا، ولا تُنزع صورة المخلّص عن قلوبنا.

v لتقم صلواتك **في الساعة الثالثة** (مر١٥: ٢٥)، ففي ذلك الوقت أصدر بيلاطس الحكم على ربّنا ومخلّصنا بصلبه... ولتقم صلواتك أيضًا **في الساعة السادسة**، لأنّه وقت الصلب... أنّنا نلاحظ أيضًا **الساعة التاسعة**، ففي ذلك الوقت اِظلمّت الشمس وارتعدت الأرض، إذ لم تكن قادرة أن تتطلّع إلى مرارة القسوة.

القوانين الرسوليّة

v إذا كنت بالحقيقة في بيتك، فصلِّ **في الساعة الثالثة** وسبّح اللَّه، وإن كنت في موضع آخر وجاء ذلك الوقت فصلِّ في قلبك إلى الله. لأنه في تلك الساعة نُظر المسيح وهو يُسمرّ على الخشبة. ولأجل هذا ففي (العهد) القديم يأمر الناموس أن يُقدّم خبز التقدمة دائمًا في الساعة الثالثة

(مثالاً لجسد المسيح ودمّه). ودُبح الحمل الصامت الذي هو مثال الحمل الكامل، لأن المسيح هو الراعي وهو أيضًا الخبز الذي نزل من السماء.

صلِّ أيضًا **في الساعة السادسة**، لأنّه في تلك الساعة عُلّق المسيح على خشبة الصليب، وانشق ذلك اليوم، وحدثت ظلمة عظيمة. فليُصلَّ إذن في تلك الساعة صلاة قويّة، متشبّهين فيها بصوت من صلّى وصيَّر كل الخليقة مظلمة لليهود غير المؤمنين.

ليقيموا أيضًا صلاة عظيمة وتسبحة عظيمة **في الساعة التاسعة**، لتعرف أن نفوس الأبرار تبارك الرب الإله الحق، هذا الذي ذكر قدّيسيه، وأرسل لهم ابنه الذي هو كلمته لينير عليهم. لأنّه في تلك الساعة طُعن المسيح في جنبه بالحربة، فخرج دم وماء، وأنار بقيّة ذلك اليوم إلى المساء. لذلك عندما بدأ ينام ابتدأ يوم آخر، فأعطى بذلك مثال القيامة.

التقليد الرسولي لهيبوليتس

v لماذا رأى ملاكًا؟ هذا أيضًا كان من أجل التأكيد الكامل لبطرس، أو بالأحرى ليس (لكرنيليوس) بل للآخرين الضعفاء (الذين كانوا معه).

القديس يوحنا الذهبي الفم

v إذ انتهى من اهتماماته وصار في سكون انشغل بالصلوات والندامة.

القديس يوحنا الذهبي الفم

v مع أن كرنيليوس لم يتعلّم وصايا الإنجيل صلّى سرّيًا وبإخلاصٍ في حجرته، فوُجد أهلاً أن يسمع صوت الملاك يتحدّث. وماذا نقول عن يونان، الذي لم يكن حتى في حجرته، بل في فخ مِعْدّة الحوت، تأهّل جدًا أن تُسمع صلواته التي من أعماق البحر، ولم يلحقه أذى من معدة وحشٍ عظيمٍ هكذا، وبقي حيًا؟.

خروماتيوس أسقف أكويلا

تمت هذه الرؤيا في وقت الساعة التاسعة، أي في وضح النهار، فلا مجال أن يسقط كرنيليوس فريسة لأوهام أو تخيلات، فقد كان يقظًا متنبهًا.

هذا وقت تمت هذه الرؤيا وقت الصلاة في الهيكل، حيث كان الكهنة يشتهون أن يسمع الله صلواتهم ويقبل ذبائحهم وتقدماتهم عن الشعب، ولم يدركوا أن الله مهتم بأممي في قيصرية في بيته. وأن الله قد أرسل إليه ملاكه، يعلن له عن قبول صلواته وصدقاته ليرتل مع النبي: **"لتستقم صلاتي كالبخور قدامك. ليكن رفع يدى كذبيحة مسائية"** (مز ١٤١: ٢).

"فلما شخص إليه ودخله الخوف قال:

ماذا يا سيد؟

فقال له:

صلواتك وصدقاتك صعدت تذكارًا أمام اللّه". [٤]

إذ رأى كرنيليوس بهاء الملاك وطريقة ظهوره، أدرك أنه كائن أعظم من الإنسان وليس بأقل من ملاك، فدخله الخوف بسبب الظهور المفاجئ، ودعوته له بالاسم. أدرك أنه رسول سماوي، قادم خصيصًا لأجله، يحمل رسالة شخصية، لكن ما هي هذه الرسالة؟ لذا تساءل: "**ماذا يا سيد؟**"

حمل شوقًا صادقًا للتعرف على فكر الله، وكان مستعدًا أن يسمع ويستجيب لأي أمرٍ سماويٍ يصدر إليه، وذلك كما سبق فقال يشوع بن نون: "ماذا يقول سيدي لخادمه؟" وكما قال صموئيل النبي: "تكلم يا رب فإن عبدك سامع".

كشف له الملاك أن صلواته وصدقاته قد صعدت معا إلى حضرة الله. هكذا لا قيمة للصلاة بلا حب ورحمة، ولا قيمة لعمل الرحمة للبشر بلا حب لله مترجم خلال الصلاة. لقد انطلقت صلواته وأصوامه، لا إلى الشوارع لكي ينال مجدًا من الناس كما كان يشتهي الفريسيون، وإنما صعدت معًا خفية إلي عرش الله، لتُسجل في سفر التذكار الذي يُكتب في حضرة الله، ليضم فيه أسماء خائفي الرب.

"**شخص إليه**": إذ تمتع كرنيليوس بقلبٍ محبٍ لله والناس، أمكن حتى لعينيه أن تتركزا في رؤية كل ما هو سماوي، دون أن تسحبهما الأمور الأرضية الزمنية.

بينما كان اليهود يقدمون الذبيحة المسائية في تلك الساعة، ويأملون أن تكون صعيدة مقبولة إذا بالملاك المرسل من الله يعلن صدقات وصلوات هذا الأممي أنها صعيدة أمكنها أن ترتفع وتصعد حتى أمام العرش الإلهي. فإن الله يطلب صعائد لذبائح الحب والطاعة والتسبيح (إش ١: ١١-١٥؛ عا ٥: ٢١-٢٢؛ ١ صم ١٥: ٢٢؛ هو ٦: ٦؛ جا ٥: ١).

قد يتساءل البعض: كيف صعدت صلوات وصدقات هذا الأممي؟ ألم يكن في حاجة إلى دم ابن الله الوحيد للمصالحة مع الآب؟ ليس من شهادة أن هذا الأممي قد اعتمد على أعماله البارة الذاتية، لكنه كان يقدم صلوات وصدقاته خلال مخافته لله. كان يشتهي أن يتعرف على إرادة الله ويود أن يتممها، لهذا إذ ظهر له الملاك لم يجادل في شيء بل في خضوع كاملٍ تمم ما صدر إليه من أمر إلهي. كان مشتاقا إلى مخلص، لذا أصغى إلى الرسالة السماوية وقبل كرازة القديس بطرس له بخصوص الخلاص بسرور في غير جدالٍ.

- لنتعلم عن السيد المحب المتحنن كيف لا يتجاهل أحدًا. وإنما إذ يرى نفسًا سامية يسكب نعمته عليها بسخاء.

- الصلاة فوق الكل يمكنها أن تحفظ باستمرار بهاء هذا الثوب الروحي. مع الصلاة يكون السخاء في العطاء الذي هو تاجنا في العمل الصالح ووسيلة خلاص نفوسنا. الصلاة مع العطاء يمكنهما أن يمدانا بخيرات علوية بلا عدد، وأن يطفئا نار الخطية في نفوسنا، ويهبانا حرية عظيمة.

- ليسمع ذلك المقيدون في الجيش، وليتعلموا أن الخدمة العسكرية لا تقف عائقًا ضد االفضيلة لمن يرغب أن يكون ساميًا. ليتعلموا أنه يمكن للإنسان أن يعطي اهتمامًا عظيمًا لفضيلته حتى وإن ارتدى حلة الجندية والمنطقة، وإن كان له زوجة ومهتمًا بأطفال، ومديرًا لبيت، حتى وإن كان ملتزمًا بعملٍ عامٍ.

- لا تسمح لحب الغنى أن يلتهب فيكم أو يمتلككم، بل لتهلك هذه الشهوة المفرطة، وتتبدد بنار الروح. لتتمزق بسيف الروح. إنها ذبيحة رائعة لا تحتاج إلى كاهن، بل يقدمها من يمارسها. إنها

ذبيحة رائعة تتم أسفل (على الأرض) لكنها للتو ترتفع إلى العلي... هكذا كانت تقدمات كرنيليوس، فقد قيل: "**صلواتك وصدقاتك صعدت تذكارًا أمام الله**". انظروا إنه أروع اتحاد.

v لاحظوا كيف لم يتحدث الملاك فورًا بل رفع أولاً عقله وسما به. عند رؤية الملاك صار خوف، لكنه خوف معتدل، قدرما يخدم تركيز ذهنه. الخوف رفعه، والمديح خفف ما في الخوف مما هو غير مبهج.

القديس يوحنا الذهبي الفم

v علمنا الرب نفسه أن الشياطين العنيفة جدًا لا يمكن أن تُغلب إلا بالصلاة والصوم. وُجد كرنيليوس أهلاً لنوال عطية الروح القدس خلال الصدقات والأصوام المستمرة قبل العماد.

القديس جيروم

"والآن أرسل إلى يافا رجالاً،

واستدع سمعان الملقّب بطرس". [٥]

لقد أرسل الله ملاكًا لكرنيليوس ليقوده إلى الكنيسة ممثلة في أحد رسلها، لكنه لم يقدم له إنجيل الخلاص، ولا أعلن له عن الإيمان بيسوع المسيح، إنما طالبه باستدعاء الرسول بطرس الذي يقدم رسالة الإنجيل ويقوده إلى طريق الخلاص. فالكرازة بالإنجيل هو عمل خدام الكلمة وليس الملائكة. إنها نعمة فائقة مقدمة لرجال الله تكشف عن غنى المسيح الفائق (أف ٣: ٨). حقا أن الملائكة هم خدام للعتيدين أن يرثوا الخلاص (عب ٢: ٥)، يبعثون من الله إلى المعلمين أو الآباء كما إلى المحتاجين إلي التمتع بكلمة الخلاص.. غايتهم أن يلتقي الكل بالمسيح يسوع في كنيسته المقدسة.

"أنه نازل عند سمعان رجل دباغ،

بيته عند البحر،

هو يقول لك ماذا ينبغي أن تفعل". [٦]

"**بيته عند البحر**" أي عند الشاطىء حيث كان سمعان دباغًا، والدباغة تحتاج إلى ماء كثير، خاصة وأن ماء البحر مفضل في عمليات الدباغة. ولعل ما كان يهم الإنجيلي لوقا هو أن هذا البيت لا تجاوره بيوت أخرى، إذ كان اليهود يحسبون عمل الدباغة دنسًا.

v ألا تلاحظون كيف أحب الرسل الخلوة والسكون فاختاروا الأماكن البعيدة للمدن؟

القديس يوحنا الذهبي الفم

"فلما انطلق الملاك الذي كان يكلم كرنيليوس،

نادى اثنين من خدامه وعسكريًا تقيًّا من الذين كانوا يلازمونه". [٧]

في طاعة وبسرعة في غير تردد أرسل كرنيليوس اثنين من خدامه وجنديًا ليستدعى القديس بطرس. لو أن كرنيليوس وحده كان مشتاقا أن يحقق إرادة الله ويتمتع بالخلاص لذهب بنفسه إلى القديس بطرس، لكن كان كل أهل بيته وربما بعض جنوده وأصدقائه أيضا مهتمين بخلاصهم، لذا أرسل يستدعي القديس.

"وأخبرهم بكل شيء،

وأرسلهم إلى يافا". [٨]

عاشت الكنيسة في مجدٍ عجيبٍ يقدمه لها الروح القدس قائد الكنيسة والمعزي لها. لذا نرى في حركة الكنيسة ظهور ملائكة، وأحلام مقدسة، ورؤى إلهية، بل وأحيانًا يحمل الروح الخدام وينطلق بهم إلى مواضع للكرازة.

حقًا إنه لأمر عجيب أن يرى قائد أممي ملاكًا يصدر له أمرًا باستدعاء رجل يهودي لم يتعرف عليه قبلاً، وربما لم يسمع عنه، فيرسل بعثة، ويحدد لها موقع البيت واسم الشخص، وكأن الأمر قد صدر إليه من أعلى درجات القيادة لجيش السماء. تحرك القائد في طاعة كاملة بغير أدنى تشكك، ليصير بحق بكر كنيسة الغرلة، يتقبل الروح القدس بطريقة فريدة، ليفتح أمام إخوته أهل الغرلة مخازن الروح القدس ونعمه الفائقة.

v لاحظوا شخصية هذا الرجل المتواضعة، فإنه لم يقل لهم: استمعوا إليّ، بل أخبرهم بكل الأمر - ما أفعله إنما أُمرت به من قبل العناية الإلهية. فإنه لم يرد أن يستخدم سلطانه لإحضار بطرس إليه، لهذا "**أخبرهم بكل شيء**".

القديس يوحنا الذهبي الفم

نقف بكل تقديرٍ واعتزازٍ أمام هذا القائد الذي يرى في السلطة حبا واتساع قلب، فإنه لم يصدر أوامره ويلتزم خدامه وجنوده بالطاعة العمياء، وإنما اخبرهم بكل شيء كأب محب يعلن أسراره لأولاده المحبوبين لديه، حتى يشاركونه البركات الإلهية. صورة رائعة لمفهوم القيادة والسلطة كثيرًا ما لا نجدها حتى في حياة الوالدين أو المرشدين أو الكهنة!

أرسلهم إلى يافا، حيث ينطلق القديس بطرس من هناك إلى قيصرية يجتذب بكر المؤمنين من بين الأمم. وهي نفس البقعة التي منها انطلق يونان النبي ليكرز لأهل نينوى، الشعب الأممي، ليقدموا توبة ويتمتعوا بالمراحم الإلهية.

٢. رؤيا بطرس الرسول

"ثم في الغد فيما هم يسافرون،

ويقتربون إلى المدينة،

صعد بطرس على السطح ليصلّي نحو الساعة السادسة". [٩]

إذ انطلقت البعثة إلى مدينة يافا التي تبعد حوالي ٣٠ ميلاً عن قيصرية، تحركت السماء لتعلن للقديس بطرس قبيل وصول البعثة التي انطلقت في الصباح المبكر لتصل في وقت الظهيرة

(تقطع الخيول المسافة في ٦ ساعات). ظهرت الرؤيا لبطرس الرسول، والبعثة على أبواب البيت. كانوا يسألون عن القديس بطرس، وكأن الأمر يصدر أن يقوم فورًا من الغيبة ليعمد الأمم ويقبلهم في شركة مائدة الرب.

كان تحقيق هذا الأمر فيه صعوبة، فقد حرم الناموس الاختلاط بالأممين مهما كان سلوكهم. كان لابد من أمرٍ إلهي يصدر للرسل عند تحركهم العملي للبدء في خدمة الأممين. لهذا كانت هناك حاجة ملحة إلي رؤيا سماوية للقديس بطرس كي ينطلق إلى بيت كرنيليوس، كما كانت الحاجة أيضا إلى رؤيا سماوية لحنانيا، كي يذهب إلى شاول الطرسوسي، ويكرز له ويعمده. فبالرغم من النبوات الصريحة والواضحة في العهد القديم برجوع الأمم إلي الله، ومن دعوة السيد المسيح لتلاميذه أن يكرزوا في الخليقة كلها لم يكن ممكنًا التحرك العملي لتحقيق ذلك دون رؤى سماوية في لحظات البدء بالعمل.

لقد صعد بطرس على السطح ليصلي، ووهبه الرب هذه الرؤيا، لكنه لم يكشف له ما حدث في بيت كرنيليوس، ولا عن الرسل القادمين إليه يستدعونه، ولا عما سيحدث في اللقاء مع كرنيليوس؛ إنما جاءت الرؤيا تدفعه للتحرك مع هؤلاء الرسل. فالله يكشف لخدامه قدر ما يناسب الزمن. كان على القديس بطرس أن يتحرك في طاعة للرؤيا، ليرى بعينيه أعمال الله العجيبة التي لم يكن يتوقعها. عليه ألا يسأل عما سيحدث، وإنما أن يثق في عمل الله الفائق، وأن يدرك أن لكل أمرٍ زمن معين لدى الله.

"**على السطح**": كان الناموس يلزم المؤمنين أن يقيموا سورا يحوط بالسطح حتى لا يسقط أحد. وكان السطح المكشوف أو الحجرة المقامة عليه تعتبر من أفضل الأماكن للخلوة مع الله والصلاة. ولم يكن أحد من الساكنين في المنازل المجاورة أو الذين في الشارع يرى من يجلس أو يركع أو يقف أثناء خلوته على السطح. يرى البعض أن الصلاة على السطح تعطي فرصة أعظم للصلاة، فمن جانب يرى السماء مكشوفة أمامه، فلا ينشغل فكره بالأرضيات، بل يترقب انطلاقه إلى بيته السماوي، متحررًا من كل ما هو أرضي. ومن على السطح يرى نصيبًا كبيرًا من المدينة، فيتحدث مع الله باسم الشعب كله، ويطلب عن إخوته. وعلى السطح لا يسمع أحدًا ولا يسمعه أحد، بل يتحدث في خلوة مع إلهه.

"**نحو الساعة السادسة**": كان غالبية اليهود يحرصون على الصلاة الصباحية والمسائية، أما الأتقياء فيحرصون على الصلاة في وقت الظهيرة، أي يصلون ثلاث مرات، كما كان دانيال النبي يفعل في السبي (دا ٦: ١٠-١٣)، وأيضا داود النبي (مز ٥٥: ١٧). وكان المسيحيون الأوائل يحرصون على هذه الصلوات الثلاث كما يقول **القديس إكليمنضس السكندري**.

"فجاع كثيرًا،

واشتهى أن يأكل،

وبينما هم يهيئون له وقعت عليه غيبة". [١٠]

"**غيبة**": تشير إلى حالة للعقل فيها يمتص بالكامل في فكرٍ معينٍ أو أمرٍ ما حيث تبدو الحواس الخارجية كأنها متوقفة جزئيًا أو بالكامل. هي حالة انسحاب للفكر والقلب عما هو منظور أو مسموع لينسحب كيان الإنسان إلى أعماقه. وكأن لا شيء حوله، أو كأن النفس قد انطلقت من الجسد، لتعبر إلى جوٍ روحي لا يخضع للحواس البدنية. قيل عن بلعام أنه رأى القدير في رؤيا

بينما كان ساقطًا في غيبة (عد ٢٤: ٤، ١٦). والقديس بولس سقط في غيبة وهو في الهيكل (أع ٢٢: ١٧)، وتكرر الأمر معه (٢ كو ١٢: ٢).

جاع القديس بطرس كثيرًا واشتهي أن يأكل، فقدم له السيد المسيح طعامًا يشبع قلوب السمائيين، وهو دخول الأمم إلى الإيمان. لقد جاع السيد المسيح نفسه بعد أن صام أربعين يومًا، وقد طلب الشيطان منه أن يحول الحجارة خبزًا، وقد رفض السيد ذلك، لأنه ترقب هذا اليوم الذي فيه يحول الحجارة البشرية التي صارت صلدة بلا أحاسيس بسبب عبادة الأصنام الحجرية لتصير بالحق طعامًا سماويًا يبهج قلب الله. لقد تحولت الحجارة إلى خبزٍ مشبع، كما تحولت الحجارة إلى أولاد لإبراهيم، كما وعد السيد المسيح بذلك، حين قال أن الله قادر أن يقيم من الحجارة أبناء لإبراهيم.

v ماذا يعني تعبير غيبة ek[ta[ic؟ منظر روحي (ثيؤريا)، فلتقل أن النفس صارت كأنها خارج الجسد. "فرأى السماء مفتوحة...".

القديس يوحنا الذهبي الفم

v طلب والد يعقوب طعام الكلمة، لأن الإنسان لا يحيا بالخبز وحده، بل بكل كلمة من الله (مت ٤:٤؛ لو ٤: ٤). مثل هذا الطعام طلبه اسحق (تك ٢٧: ٤). مثل هذا الطعام جاع إليه بطرس عندما رأى العلامات السرية لمستقبل إيمان الأمم.

القديس أمبروسيوس

" فرأى السماء مفتوحة،

وإناء نازلاً عليه مثل ملاءة عظيمة،

مربوطة بأربعة أطراف،

ومدلاّة على الأرض". [١١]

اعتاد العهد القديم أن يتحدث عن السماء، وقد انفتحت أبوابها لنزول شيء ما منها، وكأنها قد صارت مغلقة أمام البشرية تنفتح أبوابها لتحقيق رسالة معينة لتبقى مغلقة أمام وجه الإنسان الذي أعطى ظهره لله. وقد جاء كلمة الله المتجسد ليفتح أبواب السماء، بل ويقيم ملكوته داخل الإنسان.

ما أن ارتفع قلب القديس بطرس الرسول إلى السماء حتى انفتحت أبوابها ليتكشف غنى نعمة الله وإحساناته.

v إنك ارتفعت إلى السطح مثل الرسول بطرس؛ هذا الذي إذ كان جائعًا بين اليهود أشبع إيمان كرنيليوس جوعه. وكبح الرغبة الجامحة التي سببها عدم إيمانهم خلال تحول قائد المئة والأمميين الآخرين إلى الإيمان. تعلم من الإناء النازل من السماء إلى الأرض بجوانبه الأربعة كرمز للأناجيل الأربعة أن كل البشر يمكن أن يخلصوا. أضف إلى ذلك هذه الملاءة البيضاء الجميلة التي في الرؤيا التي ارتفعت مرة أخرى، كانت رمزًا للكنيسة التي تحمل المؤمنين من الأرض إلى السماء، تأكيدًا أن وعد الرب حتمًا يتحقق: "طوبى للأنقياء القلب، لأنهم يعاينون الله" (مت ٥: ٨).

القديس جيروم

v قد يسأل أحد: لماذا ظهرت ملاءة (إناء عظيم على شكل ملاءة) حوت هذه الحيوانات؟ بالتأكيد لم يكن هذا بدون سبب. نحن نعلم أن العث الذي يفسد الثياب الأخرى لا يصيب الملاءة لهذا كل من يرغب أن يبلغ سرّ الكنيسة الجامعة يلزمه أن يستبعد من قلبه فساد الشهوات الشريرة. يلزمه أن يثبت في الإيمان بطريقة لا يمكن إفساده، حتى أنه لا يفسد بالأفكار الشريرة كأنها عث، إن أراد أن يبلغ سرّ تلك الملاءة التي ترمز للكنيسة.

لماذا نزلت من السماء ثلاث مرات إلا لأن كل الأمم الذين ينتمون إلى أربع جهات الأرض حيث تنتشر الكنيسة، يُعمدون باسم الثالوث؟ أُشير إلى الكنيسة في الأركان الأربعة التي تنتمي للإناء، إذ يجدون الذين يؤمن باسم الآب والابن والروح القدس حتى يبلغوا مرافقة القديسين وشركتهم. لهذا فإن أربعة أركان أو اتجاهات العالم والثلاثة ظهورات التي تشير إلى سرّ الثالوث، هذه الحقيقة تشير إلى رقم ١٢ الذي للرسل، حيث يُبعث ثلاثة إلى الأربعة، فأربعة ثلاث مرات تعادل ١٢. ولما كان الاثنا عشر رسولاً قد عُينوا للكرازة بسرّ الثالوث في أركان العالم الأربعة، لهذا فإن الأربعة أركان نزلت من السماء ثلاث مرات.

الأب قيصريوس أسقف آرل

v شاركْ القديس بطرس في هذا النوع من الغيبة عندما كان جوعانًا ومخمورًا في نفس الوقت. كان بطرس جوعانًا قبل أن يُقدم له غذاء المادي، وأراد أن يتذوقه، وبينما كان أعضاء عائلته يجهزون الطعام (أع ١٠:١٠) جرب بطرس هذه الغيبة المقدسة الصاحية. وخرج من نفسه بواسطتها ورأى الرؤيا الآتية: "فرأي السماء مفتوحة، وإناءً نازلاً عليه مثل ملاءة عظيمة مربوطة بأربعة أطراف ومدلاة على الأرض. وكان فيها دواب الأرض والوحوش والزحافات وطيور السماء. وصار إليه صوت: قم يا بطرس واذبح وكلْ. فقال بطرس: كلا يا رب لم آكل قط شيئًا دنسًا أو نجسًا. فصار إليه أيضًا صوت ثانية ما طهره الله لا تدنسه أنت. وكان هذا على ثلاث مرات" (أع ١٠:١١-١٥). نتعلم من الصوت الذي ناداه في المرة الأولى أن الله الآب هو الذي يُطهر، وفي المرة الثانية أن الابن الوحيد هو الذي يُطهر، وفي المرة الثالثة أن الروح القدس هو الذي يطهر كل شيء. تحدث هذه الغيبة من الخمر الذي يقدمه الله لكل من يجلس على مائدته. فالله يُشجع بحق كل من يعيش حياة الفضيلة ويقترب منه، وليس للبعيدين عنه: "كلوا أيها الأصحاب اشربوا، واسكروا أيها الأحياء". "لأن الذي يأكل ويشرب بدون استحقاق يأكل ويشرب دينونة لنفسه غير مميزٍ جسد الرب" (١ كو ١١:٢٩) فهو يطلق كلمة "إخوة" على المستحقين لهذا الطعام. "لأن من يصنع مشيئة الله هو أخي وأختي وأمي"(مر ٣:٣٥).

القديس غريغوريوس النيسي

"وكان فيها كل دواب الأرض والوحوش والزحافات وطيور السماء". [١٢]

كانت هذه الملاءة النازلة من السماء تشير إلى الكنيسة المقدسة، فإن كانت الملاءة لا تضم حيوانات أليفة فحسب بل ووحوش أيضًا؛ لا تضم فقط حيوانات ودواب الأرض بل وطيور السماء، هكذا فإن الكنيسة كجسد المسيح محب كل البشرية يفتح أبواب الإيمان أمام كل الناس، أصحاب الطبائع الهادئة أو الضعيفة، الذين عاشوا وسط وحل الأرض، والذين كانت قلوبهم تشتهي ان تحلق في السماوات... إنه يقيم منهم جميعًا شعبًا مقدسًا متشبهًا بالملائكة. تضم الكنيسة اليهود والأمم، السادة والعبيد، الكبار والصغار، ليس بربري ولا سكيثي (كو ٣: ١١). تضم شبكة الكنيسة من كل صنفٍ، تقدس الكل، وتقيم من الكل أعضاء متنوعة للجسد الواحد المتناغم معًا.

"وصار إليه صوت:

قم يا بطرس، اذبح وكل". [١٣]

طلب من القديس بطرس أن يذبح ويأكل دون تمييز بين طاهر ونجس في نظر الناموس، إذ يصير الكل شركاء المسيح في الصليب، يشتهون أن يُذبحوا معه بروح الحب والبذل، فيصير الكل مقدسين فيه، لأنه هو قدوس. كان الأكل يميز بين اليهودي والأممي، فاليهودي لا يأكل ما نجس حسب الناموس، ولا يشارك أيضا الأممي في أطعمته المقدمة للأوثان.

لم يظهر للقديس بطرس ملاك من السماء، بل سمع الصوت الإلهي نفسه يدعوه أن يذبح ويأكل. فالأمر جد خطير، ويصعب تصديقه، لذلك تحدث الرب نفسه مع بطرس، كما هو واضح من إجابة القديس بطرس نفسه.

v واضح أن الناموس نفسه خلال العالم كله له أربعة أركان: الشرق والغرب والجنوب والشمال، كما يقول الكتاب. ولهذا فإن الإناء الذي حوى كل الحيوانات الرمزيّة الذي أُعلن لبطرس عندما قيل له: "**اذبح وكلْ**" [١٣] لكي يظهر أنه يلزم أن يؤمن الأمم، ويدخلوا في جسد الكنيسة، كما يدخل في جسمنا ما نأكله، وأن هذا الإناء كان نازلاً من السماء بأربعة أركان، مظهرًا أن العالم كله حتمًا سيؤمن.

القديس أغسطينوس

v عندما قيل لبطرس: "اذبح وكُل"، يشير هذا إلى الكنيسة الجامعة أن تذبح أولاً ثم تأكل كل من يؤمنوا بالمسيح. بمعنى آخر، يُذبح عدم الإيمان حتى يُغرس الإيمان. إذ لا يستطيع أحد أن يؤمن بالمسيح ما لم يمت أولاً. وكما يقول الرسول: "قد متم وحياتكم مستترة مع المسيح في الله" (كو ٣: ٣).

الأب قيصريوس أسقف آرل

"فقال بطرس:

كلاّ يا رب،

لأني لم آكل قط شيئًا دنسًا أو نجسًا". [١٤]

في البداية رفض بطرس أن يأكل، لأنه حسب أن المواعيد الإلهية والبركات السماوية الطاهرة لا تُقدم للأمم الأنجاس، إذ كانوا في عينيه بلا إلهن وليسوا من رعوية إسرائيل!

ما هو الفرق بين الدنس والنجس؟

الدنس هو الشيء الذي لا يُكرس لله، فمن يعبد آلهة غريبة غير الله فبحسب ناموس موسى يُحسب دنسًا. في الأصل اليوناني معناه "عمومي" أو "عام"، أي ليس مخصصًا لله. لذلك يتطلع اليهود إلى كل الأمم أنهم دنسون. أما النجس فهو ما لم يتطهر. فاليهودي متى لمس ميتًا يُحسب نجسًا حتى المساء، حيث يستحم ويتطهر. والأوزة التي يذبحها آخر غير الحاخام نجسة لا تؤكل، أما إذا ذبحها حاخام وصفى دمها، فتُحسب حلالاً وطاهرة.

فالرسول بطرس كسائر اليهود يتطلع إلى الأمم ليس كأنجاس يحتاجون إلى تطهير، كما يتنجس أي يهودي فيتطهر، وإنما كأدناس غرباء عن الله لا يمكن تطهيرهم.

يميز العهد القديم بين الحيوانات الطاهرة وغير الطاهرة (لا ١١: ٢- ٢٧؛ تث ١٤: ٣-٢٠). لم يكسر القديس بطرس قط هذا المبدأ. الآن قد حان الوقت لتحقيق الناموس، لا في حرفيته القاتلة، بل بالروح المحيي، فإن لهذه الشرائع مفاهيمها الروحية، وقد سبق لنا توضيحها أثناء تفسير سفري العدد والتثنية.

"فصار إليه أيضًا صوت ثانية:

ما طهره اللَّه، لا تُدنسه أنت". [١٥]

ماذا يقصد بالقول: ما طهره الله؟ ما أعلن الله عنه أنه طاهر، أو ما يأمرك به الله أن تفعله، فإنه حتمًا لا يكون دنسًا ولا خطأ. ما كان لديك في فكرك من تمييز بين ما هو طاهر وما هو غير طاهر يقوم على التفسير الحرفي كبعض الشرائع في الناموس. الآن لتحمل فكرًا روحيًا، لترى ما هو طاهر وما هو دنس، ليس بمنظار ناموسي حرفي، فترى الأمم دنسين. الآن يدعون لنوال ذات الإحسانات والبركات التي يقدمها لله لليهود. لقد انشق الحجاب الحاجز بين الفريقين، ودُعي العالم كله للشركة معًا والتمتع بإنجيلٍ واحدٍ وإيمانٍ واحدٍ (أف ٢: ١٤؛ غل ٣: ٢٨). الآن يلزم إعادة النظر في فهم الشرائع الناموسية بعد انهيار الحجاب الحاجز.

لقد كان بين اليهود والأمم حائط، فيظن اليهود أنهم وحدهم لهم نصيب في هيكل الرب، وأن الآخرين مرذولون. لقد جاء حجر الزاوية الذي يضم بالحق الحائطين معًا في الهيكل الجديد.

في حديث **القديس إكليمنضس السكندري** عن "الطعام" يعلق على هذه العبارة، قائلاً: [ليس هناك اعتبار لما نستخدمه من هذه الأشياء (الأطعمة)، إذ تتساوى كلها، "لأنه ليس ما يدخل الفم ينجس الإنسان..." أكلة من البقول حيث تكون المحبة خير من ثور معلوف ومعه بغضة" (أم ١٥: ١٧)... البقول والأعشاب ليست هي المحبة، بل ما يجب علينا هو أن نتناول وجباتنا بالمحبة، وذلك ما نقصده بالأغابي أو وليمة المحبة. في هذا من الأفضل إتباع الاعتدال في الأمور... فإن الإفراط (في الأكل) فيه خطورة، والمغالاة (في الصوم) مكروه، وأما اختيار الوسط في الأمور فجيد.]

"وكان هذا على ثلاث مرات،

ثم ارتفع الإناء أيضًا إلى السماء". [١٦]

لعل الملاءة التي نزلت من السماء كانت ترتفع وتنزل مع الصوت الذي تكرر ثلاث مرات، وكأن كنيسة المسيح تتمتع بالبنوة لله القدوس، لكي يصير كل مؤمن حقيقي مقدسًا وطاهرًا في الرب خلال مياه المعمودية وعمل الروح القدس، وذلك بالعماد بالتغطيس باسم الثالوث القدوس. يصر الله على إعلان إبداع حبه للأمم، فإنهم إذ يؤمنون يتطهرون بالمعمودية ويصيرون أبناء الله.

ارتفعت الملاءة (الإناء) إلى السماء. فما لم يقبله بطرس ويخشى أن يتنجس ويتدنس إذا بالسماء تقبله. صارت التي ليست بمحبوبة محبوبة لدى الله، والتي ليست شعبه شعبه (رو ٩: ٢٥).

v إذن تشير الملاءة إلى الأرض، والوحوش التي فيها هم من الأمم، والأمر "اذبح وكُلْ" يشير إلى الالتزام بالذهاب إليهم أيضًا، وقد تكرر ثلاث مرات إشارة إلى المعمودية.

القديس يوحنا الذهبي الفم

٣. لقاء مع رجال كرنيليوس

"وإذ كان بطرس يرتاب في نفسه،

ماذا عسى أن تكون الرؤيا التي رآها؟

إذا الرجال الذين أرسلوا من قبل كرنيليوس،

وكانوا قد سألوا عن بيت سمعان،

وقد وقفوا على الباب". [١٧]

كان شاول بعد خدمته قرابة ثلاث سنوات في العربية وخدمته في دمشق التقى بعد ذلك بالقديسين بطرس ويعقوب ويوحنا في أورشليم، ولعلهم قد أدركوا دعوة شاول للخدمة بين الأمم. لم يكن في مخيلة القديس بطرس أن يخدم الأمم، إذ هو مدعو لخدمة الختان، لكن الله أراد له أن يبدأ بإذابة هذا الثلج الذي يسود على العلاقة بين الأمم والختان، فيقوم هو بحصاد بكر خدمة الأمم، حتى لا يظن أهل الختان وجود تضاد بين الخدمتين.

"ونادوا يستخبرون،

هل سمعان الملقّب بطرس نازل هناك". [١٨]

"وبينما بطرس متفكر في الرؤيا،

قال له الروح:

هوذا ثلاثة رجال يطلبونك". [١٩]

يدعوه الروح القدس نفسه قائد الكنيسة أن يكف عن التأمل فيما قد رآه وما سمعه وينزل للعمل، فإن الروح الإلهي الذي قدم له الإعلان الإلهي يقدم له التفسير في حينه.

لعل القديس بطرس كان يترقب من الروح القدس تفسيرًا واضحًا للرؤيا، لكن الروح أصدر أمره بالعمل، ليقدم له التفسير أثناء العمل. ونحن أيضًا كثيرًا ما نجلس في هدوء للتأمل في كلمة الله، ويكشف لنا الروح القدس مفاهيم حية للكتاب المقدس، لكننا نكتشف أعماق جديدة لكلمة الله كلما تحولت الكلمة إلى عمل تحت قيادة الروح القدس. فالعمل ليس نقيضًا للتأمل، بل هو واحد معه، لا ينقسمان!

"لكن قم وانزل،

واذهب معهم غير مرتاب في شيء،

لأني أنا قد أرسلتهم". [٢٠]

صدر له الأمر بالعمل السريع بلا توانٍ وبغير ريبةٍ. لينطلق إلى الرجل الأممي متهللاً، وإن كان لا يعرف ماذا سيفعل، ولا لماذا اختير هذا دون غيره. كان الرسول بطرس متحيرًا، وفيما هو

يفكر ما عسى أن تكون الرؤيا، إذا بالروح يفسرها له عمليًا، معلنًا له أن البعثة القادمة إليه هي من قبله، إذ هو الذي أرسلهم. كان بطرس الرسول مرتبكًا كيف تأمره السماء أن يأكل مما هو دنس أو نجس، وإذا بالروح يحركه كما بغير إرادته لينزل إلى قيصرية، حيث يذهب إلى من يستدعوه. وكأن الروح القدس قد منطق بطرس الرسول، منطق عقله وقلبه وكل كيانه الداخلي ليسير به حيث لا يشاء (يو ٢١: ٢٨).

جاءت الرسالة لكرنيليوس عن طريق ملاك، وأما القديس بطرس فتكلم بالروح، فبقدر ما يمتلئ الإنسان بالروح القدس يتمتع بقيادة الروح وحديثه معه.

v يقول (الروح) **"أنا قد أرسلتهم"**. عظيم هو سلطان الروح، ما يفعله الله يقول الروح أنه يفعله. أما الملاك فبخلاف ذلك بل قال أولاً: "صلواتك وصدقاتك صعدت تذكارًا أمام الله"، مظهرًا أنه قد جاء من هناك، وبعد هذا قال: "الآن أرسل..." لم يفعل الروح هكذا، بل قال: "أنا قد أرسلتهم".

القديس يوحنا الذهبي الفم

"فنزل بطرس إلى الرجال الذين أرسلوا إليه من قبل كرنيليوس،

وقال: ها أنا الذي تطلبونه،

ما هو السبب الذي حضرتم لأجله؟" [٢١]

لم يسمع أحد طرقات الرجال، ولعلهم لم يطرقوا الباب نهائيًا فقد نزل إليهم القديس بطرس بناء علي أمر الروح القدس. ربما نزل من السلم الخارجي من السطح إلى الباب، وإذ أخبروه بقصدهم انكشف له لغز الرؤيا، وأدرك أن الله يدعوه لرسالة يتممها خارج دائرة اليهود، أسمى من البحث في طعام طاهر أو غير طاهر.

استقبلهم القديس بطرس هم ورسالتهم، واستفسر منهم عن سبب مجيئهم الذي أخفاه عنه الروح القدس لسمعه منهم.

v لم يقل الروح: "لهذا السبب أظهرت لك الرؤيا" بل قال: **"أنا قد أرسلتهم، فنزل بطرس"**. هذه هي الطريقة التي بها يجب أن يُطاع الروح دون طلب المسببات. يكفي أن يتأكد تمامًا بأن الأمر صادر من الروح، وعليه أن يؤمن بهذا، ليس إلاَّ.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"فقالوا أن كرنيليوس قائد مئة،

رجلاً بارًا وخائف اللَّه،

ومشهودًا له من كل أمة اليهود،

أوحى إليه بملاك مقدس أن يستدعيك إلى بيته،

ويسمع منك كلامًا". [٢٢]

قدموا له شخصية قائد المئة كرجلٍ بارٍ يخاف الله، ومع كونه ليس يهوديًا تشهد له كل أمة اليهود عن تقواه، بل وتشهد له السماء حيث بعثت إليه ملاكًا مقدسًا لكي يستدعي القديس بطرس، وأنه الآن مستعد أن يسمع للقديس ويتعلم منه.

"فدعاهم إلى داخل وأضافهم،

ثم في الغد خرج بطرس معهم،

وأناس من الإخوة الذين من يافا رافقوه". [٢٣]

استضافهم القديس بطرس كمن هو صاحب البيت، وقضوا معه اليوم بعد سفر دام حوالي ٦ ساعات، لكي ما يذهب معهم في اليوم التالي. استضافهم مع أنهم أمميون ولم يستنكف من أن يأكل معهم، وكان من بينهم خادمان وكان الثالث جنديًا. لقد بدأ يدرك ما وراء الرؤيا التي شاهدها.

لم نسمع عن معارضة أبداها رب البيت، ولا الجماعة التي كانت تجتمع معًا هناك بكونها كنيسة يافا. لكن بلا شك وقف الكل في دهشةٍ يسمعون ما يقوله الرجال عن كرنيليوس ورؤياه ولا يفهمون ماذا يحدث. كان الله يعد الأذهان مع القلوب لقبول انفتاح باب الإيمان للأمم تدريجيًا.

انطلق في اليوم التالي، بعد أن قضى معهم ليلة، إلى قيصرية وكان في رفقتهم ٦ مسيحيين من يافا (أع ١١: ١٢)، فقد كان من عادة الرسل أن يكون معهم رفقاء في رحلاتهم. وإذ كان لهذه الرحلة أهميتها الخاصة أمام التاريخ كان لا بد من أن يشهد هذا الحدث بعض المؤمنين ليعلنوا الأحداث كشهود عيانٍ.

٤. لقاء مع كرنيليوس

"وفي الغد دخلوا قيصرية،

وأمّا كرنيليوس فكان ينتظرهم،

وقد دعا أنسباءه وأصدقاءه الأقربين". [٢٤]

إذ قطع هذه الرحلة غالبًا على قدميه دخل بيت كرنيليوس ليجده هو وأسرته وأقرباءه يترقبون مجيئه. فقد دعاهم كرنيليوس ليتمتعوا معه بالبركات الإلهية التي كان يتوقعها بناء على حديث الملاك معه.

v هذا هو دور الصديق، دور التقي، فإنه حيث توجد البركات، يهتم بأصدقائه المقربين ليكونوا شركاء معه فيها.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"ولما دخل بطرس استقبله كرنيليوس،

وسجد واقعًا على قدميه". [٢٥]

تطلع إليه كرنيليوس كسفير لله، لذلك سجد عند قدميه، فقد اعتادوا في الشرق قديمًا السجود عند أقدام الملوك وأصحاب الكرامة العظيمة. ولعله ظن في بطرس أن اللاهوت قد تجسد أو أنه المسيا الذي يترقبه اليهود.

v فعل هذا ليعلم الآخرين، ويعبر عن شكره لله، ويظهر تواضعه.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"فأقامه بطرس قائلاً:

قم أنا أيضًا إنسان". [٢٦]

أقصى ما يقدمه قائد الجيش هو انحناء رأسه وإلا يُحسب كمن أهان إمبراطوره الحامل لواء كرامته. لكن كرنيليوس انحنى حتى السجود إلى الأرض، وإن كان قد اختلط في ذهنه، فلم يميز بين الراسل والمرسل. فأسرع القديس، وأقامه ليسجد الكل بالروح والحق لمن له حق السجود والعبادة. رفض القديس بطرس مثل هذه التكريم، لذلك احتضنه بيديه، ورفعه كصديقٍ له. لا يحتمل الإنسان المقدس ولا الملاك أن يتقبل سجودًا للعبادة (رؤ ١٩: ١٠؛ ٢٢: ٩). لقد أوضح لقائد المئة أنه أيضًا إنسان. إنه إناء خزفي يحمل في داخله الكنز السماوي. كأنه يقول له: أنا في ذاتي لست بشيء، إني مثلك إنسان مجرد، لا يليق بي قبول تكريمٍ كهذا.

v ألا ترون أنه قبل كل شيء يعلمنا الرسل هذا الدرس ألاَّ نظن فيهم أنهم شيء عظيم.

القديس يوحنا الذهبي الفم

v لا يعبد المخلوق مخلوقًا آخر، بل يعبد العبد الرب، والمخلوق اللَّه.

لذا عندما أراد كرنيليوس أن يسجد لبطرس منعه الرسول بطرس قائلاً: "**أنا أيضًا إنسان**" [٢٦].

وعندما أراد يوحنا أن يسجد للملك في الرؤيا منعه الملاك، قائلاً: "أنظر لا تفعل فإني عبد معك، ومع إخوتك الأنبياء، ومع الذين يحفظون أقوال هذا الكتاب. اسجد للَّه" (رؤ ٢٢: ٩).

لذلك فالسجود يكون للَّه وحده. وقد عرف الملائكة أنفسهم هذا بالرغم من أنهم يفوقون غيرهم في المجد. فهم جميعًا مخلوقات، وليسوا من الذين يُسجدون لهم، بل هم من بين الذين يسجدون للرب.

البابا أثناسيوس الرسولي

"ثم دخل وهو يتكلم معه،

ووجد كثيرين مجتمعين". [٢٧]

لعله التقى به عند الباب، فقد خرج إليه يعَبر عن فرحه الشديد بحضوره، واستعداده للاستماع إليه. وإذ رآه القديس بطرس وقفا لحظات يتحدثان، ثم انطلقا معًا إلى الداخل. فوجئ القديس بكثرة عدد الحاضرين، الأمر الذي لم يكن يتوقعه، فقد عمل الروح القدس في قلب كرنيليوس حتى قبل قبوله الإيمان لكي يجتذب الكثيرين، ليسمعوا معه، ويتمتعوا بما دعته السماء إليه.

"فقال لهم:

أنتم تعلمون كيف هو محرَّم على رجل يهودي،

أن يلتصق بأحد أجنبي، أو يأتي إليه،

وأمّا أنا فقد أراني اللّه أن لا أقول عن إنسانٍ ما أنه دنس أو نجس". [٢٨]

لقد منعت الشريعة اليهودية من الدخول في علاقات زوجية أو معاهدات مع الأمم المحيطة بهم (لا ١٨: ٢٤- ٣٠؛ تث ٧: ٣-١٢؛ عز ٩: ١١-١٢)، وقد فسرها اليهود بالامتناع حتى عن علاقات الصداقة معهم أو العلاقات التجارية.

حدثهم الرسول عن الرؤيا التي شاهدها كيف أراد الله أن يزيل الحجاب الحاجز بين اليهود والأمميين بالكرازة بإنجيل الخلاص للعالم كله. حسب القديس بطرس أنه يلزم ان يكشف لهم أن تغيير نظرته لهذا الأمر لم يكن من فكره الخاص بل بدعوة إلهية.

بدأ حديثه بالكشف عن مراحم الله الغنية لكل البشرية، وأن ما حدث من غنى نعمة الله، لا فضل لبطرس فيه. هكذا تحدث بروح التواضع، ما يفعله إنما بكونه أداة في يد الله.

تعلم القديس بطرس مبدأ إلهي كان يصعب جدًا عليه قبوله، وهو "**أراني الله أن لا أقول عن إنسان ما أنه دنس أو نجس**". هكذا يعترف القديس بطرس أنه قد جاء بناء على إعلان إلهي، حاسبًا تلك اللحظات هي بدء افتتاح طريق الإيمان للأمم، كي يتمتعوا على قدم المساواة مع اليهود بالوعود الإلهية.

- كان الذين مع القديس بطرس يشكون إن كان يمكنه أن يعمد الغرل.

القديس أغسطينوس

"فلذلك جئت من دون مناقضة إذ استدعيتموني،

فاستخبركم لأي سبب استدعيتموني". [٢٩]

جاء إليهم دون مقاومة أو تردد، وأنه مستعد لتقديم كل مساعدةٍ. حتمًا كان قلب القديس بطرس كغيره من الرسل يشتهي خلاص العالم كله، لكن كان يصعب عليه الالتصاق بالأمم، حتى قدمت له السماء تصريحًا بالعمل بلا تخوف ولا تردد. ولعل الرسل في البداية ظنوا أن تحقيق ما أمرهم به السيد المسيح أن يكرزوا للخليقة كلها يتحقق بعدما يدخل الأمم إلى اليهودية، ويرتبطوا بحرف الناموس، لكن الآن أدرك القديس أن الباب مفتوح دون حاجة إلى ذلك. الآن فمن جانب الرسول صار من حقه أن يعلن الحق، فماذا من جانبهم هم، لماذا استدعوه؟

حقًا لقد ضيقت الشريعة على اليهودي في تعامله مع الأممي، لأن عبادة الأمم للأوثان وممارستهم للرجاسات والأمور المخلة بالأخلاقيات، كانت تمثل خطرًا على المؤمنين. أما الآن وقد حلّ الروح القدس على الكنيسة، فصار واجبها الشهادة للسيد المسيح أمام الأمم حتى ينضم الكل إلى الرأس، كأعضاء في جسده الواحد، لم تعد الكنيسة تخشى النجاسات والرجاسات، لأن دم المسيح قادر أن يطهر من كل خطية، وذراعاه مبسوطتان لتضم كل الأمم معًا بروح الحب والوحدة في حياة مقدسة طاهرة.

"فقال كرنيليوس:

منذ أربعة أيام إلى هذه الساعة كنت صائمًا،

وفي الساعة التاسعة كنت أصلّي في بيتي،

وإذا رجل قد وقف أمامي بلباس لامع". [٣٠]

يرى **القديس يوحنا الذهبي الفم** أن النص هو "منذ اليوم الرابع" من الأسبوع، وليس منذ أربعة أيام.

"وقال: يا كرنيليوس،

سُمعت صلاتك،

وذُكرت صدقاتك أمام اللَّه". [٣١]

v انظروا عظمة فضيلة العطاء في المقال السابق (أصحاح ٩) وهنا. هناك أنقذ العطاء من الموت المؤقت، وهنا من الموت الأبدي، وفتح أبواب السماء.

v هكذا هو العطاء، بجانب هذا الينبوع لا تجد شجر السنديان والصنوبر والسرو، بل نباتات أخرى تختلف عن هذه، أفضل منها بكثير لها مكانتها الفاضلة، وهي: الصداقة مع الله، مديح الناس، مجد لله، مسرة للجميع، محو للخطايا، دالة عظيمة واستخفاف بالثروة. هذا هو الينبوع الذي يروي نبات الحب. فإنه ليس شيء اعتاد أن يرتوي به الحب مثل أن يكون الشخص رحيمًا، يجعل فروع شجرة الحب ترتفع إلى العلا. هذا الينبوع أفضل من ذاك الذي كان في الفردوس (تك ٢: ١٠)، فإنه ليس بالينبوع الذي ينقسم إلى أربعة رؤوس، بل يصعد إلى السماء عينها. إنه يلد ذلك النهر الذي ينبع إلى حياة أبدية (يو ٤: ١٤).

القديس يوحنا الذهبي الفم

v كرنيليوس الأممي الذي لم يتهوّد قبل عطيَّة اللَّه، وواضح من الكتاب المقدّس أنّه قد تبرّر.

أمبروسياستر

"فأرسل إلى يافا، واستدعي سمعان الملقّب بطرس،

إنه نازل في بيت سمعان رجل دبّاغ عند البحر،

فهو متى جاء يكلمك". [٣٢]

"فأرسلت إليك حالاً،

وأنت فعلت حسنًا إذ جئت،

والآن نحن جميعًا حاضرون أمام اللَّه

لنسمع جميع ما أمرك به اللَّه". [٣٣]

بدأ أول اجتماع لكنيسة الأمم في قيصرية بقيادة قائد مئة روماني مع كل بيته وأصدقائه ليسمع الكل ما أمر به الرب على لسان القديس بطرس، ويتمتعوا بالإيمان ونوال المعمودية.

والعجيب لم يقتحم الرسل الأمم ليكرزوا لهم، بل اقتحم الأمم الرسل، وطلبوا أحدهم ليأتي إليهم ويبشرهم.

لقد سبق فطلب السيد المسيح أن يشهدوا له بين الأمم، إذ تأخر الرسل عاتبهم الأمم على تأخيرهم، وحثوهم على إتمام رسالتهم، إذ يقول قائد المئة باسم جميع الأمم: "**الآن نحن جميعًا حاضرون أمام الله لنسمع جميع ما أمرك به الله**"، وكأنه يعاتب الرسل بطريقة مهذبة عن تأخيرهم في الكرازة لهم، وإغفالهم حقهم في التمتع بالوعود الإلهية.

٥. حديث للقدّيس بطرس

"ففتح بطرس فاه، وقال،

بالحق أنا أجد أن اللَّه لا يقبل الوجوه". [٣٤]

يقدم لنا القديس لوقا مختصرًا لحديث بطرس أو لعظته التبشرية لكرنيليوس وأسرته وأصدقائه.

بقوله: "**فتح بطرس فاه**"، يعبر القديس لوقا عن أفواه الرسل التي كانت مغلقة بالنسبة للأمم الغرل، لم يكن لديهم ما ينطقون به إليهم، لكن الروح القدس فتح أفواههم للحديث ووهبهم تصريحًا بالكرازة لهم، بل وتكلم هو بنفسه خلال أفواههم. ما بدأ ينطق به القدّيس بطرس هو حديث جديد من نوعه، لم يكن يخطر على فكره، ولا استعد له بحكمة بشريّة، لكنّه حديث الروح القدس على فمه.

"**لا يقبل الوجوه**"، أي لا يقدم إحسانًا لشخصٍ ما من أجل رتبته أو أسرته أو غناه أو لسببٍ شخصيٍ خاص به. فقد ظن اليهود أنهم دون سواهم لهم حق التمتع بإحسانات الله، لا لشيء إلا لأنهم نسل إبراهيم حسب الجسد، ولأنهم يهود. ظنوا أن الخلاص خاص بهم دون سواهم.

نجد ذات التعليم في رو ٢: ١١؛ أف ٦: ٩؛ كو ٣: ٢٥. إنه يؤكد أن الله لا يخلص الإنسان لمجرد أنه يهودي ولا لأنه متعلم أو غني أو صاحب كرامة، إنما حسب شوقه الداخلي الجاد للخلاص. إنه لن يسمح بهلاك إنسانٍ لمجرد أنه أممي، بل من أجل إصراره على مقاومة الحق، ورفض نعمة الله المجانية.

- إن كان الله لم يغفل المجوس ولا الإثيوبي (الخصي) ولا اللص ولا الزانية فبالأكثر لا يتغاضى عن الذين يعملون البرّ.

- لاحظوا تدبير عناية الله. فإنه لم يسمح بأن ينتهي الحديث، ولا أن المعمودية تُمارس بأمرٍ من بطرس، بل أوضح الله كيف أن أذهانهم عجيبة، وقد بدأ عمل التعليم، وقد آمنوا بالتأكيد أن المعمودية لغفران للخطايا. لهذا حلّ الروح القدس عليهم فورًا. لقد تم ذلك بتدبير الله لكي يسند بطرس، ويجد أساسًا لتدبير موقفه. لم يحلّ الروح القدس عليم فحسب، بل وجعلهم يتكلمون بألسنة، الأمر الذي أدهش الحاضرين. هذا الأمر لم يكن يحبه الكل، أن الكل لله، ويمكن القول

بالنسبة لبطرس أنه كان حاضرًا لكي يتعلم معهم الدرس، وأنهم هم الأشخاص الذين يتحقق معهم هذا. لأنه بعد كل هذه الأحداث العظيمة بقي البعض في قيصرية وأورشليم يتساءلون عما حدث.

v لا يُظهر اللَّه محاباة للأشخاص، إنّه يحكم بالأعمال. يقول بولس أن اليهود يختلفون عن الأمم، لا في أعمالهم بل في أشخاصهم فقط. وأنّه ليس بسبب هذا واحد يُكرّم والآخر يُهان. إنّما من الأعمال تحلّ الكرامة أو الإهانة.

القديس يوحنا الذهبي الفم

v فاض أيضًا بطرس العظيم بالسوّسن المنير لكلمة اللّه عندما كان في منزل كرنيليوس، وملأ مستمعيه بالمرّ. وعندما استقبلوا كلمة اللّه دُفنوا مع المسيح، وأماتوا أنفسهم بالنسبة لهذه الدنيا (أع ١٠:٣٤-٤٨). وتوجد أمثلة كثيرة في حياة القديسين. لأنهم أصبحوا فم الكنيسة العام، وملأوا مُستمعيهم بالمرّ الذي أمات أهواءهم وحملوا ثمارًا بسوّسن الكلمة.

القديس غريغوريوس النيسي

"بل في كل أمة الذي يتقيه،

ويصنع البرّ مقبول عنده". [٣٥]

هنا يؤكد أن إحسانات الله ليست محدودة باليهود، بل ممتدة إلى كل الأمم يتمتع بها من يُكرم الله ويحفظ وصاياه، ذاك الذي يتعبد لله مشتهيًا الشركة معه كصديقٍ له. لم يقل: "**في كل دين**"، بل "**في كل أمّة**"، فالباب مفتوح لكل الشعوب، لكن الخلاص يلتزم الإيمان الحقيقي الصادق. ففي يوم الرب العظيم لا يُسال الإنسان عن جنسه، من أي أمّة هو قادم.

"**يصنع البرّ**"، أي يلتزم بالسلوك مع إخوته حسب برّ الله بغير ممارسة للظلم.

تعلم القديس بطرس من الرؤيا أنه لا يدعو إنسانًا ما نجسًا أو دنسًا، ولا يميز بين يهودي ويوناني، فالله لا يحابي اليهودي على حساب الأممي. هذا التعليم وإن بدا جديدًا على ذهن الرجل اليهودي، لكن الله سبق فأعد لهذا المبدأ في العهد القديم، إذ يقول: "ألستم لي كبني الكوشيين يا بني إسرائيل، يقول الرب؟ ألم أُصعد إسرائيل من أرض مصر، والفلسطينيين من كفتور، والآراميين من قير؟" (عا ٩: ٧)

يرى **القديس إكليمنضس السكندري** أن أبواب الرب مفتوحة، يدخل فيها الأبرار من كل الأمم (مز ١١٨: ١٩-٢٠)، وأن الرب على المياه الكثيرة (مز ٣٩: ٣)، لأن التعاليم المتباينة تقدم لليونانيين والبرابرة تقودهم إلى البرّ.

v بحق يقول الكتاب المقدس: "الثور والدب يرعيان معًا" (إش ١١: ٧)، لأن اليهودي يُشار إليه بالثور، إذ هو تحت النير ويُحسب طاهرًا حسب الشريعة، والثور له ظلف مشقوق ويجتر. ويُرمز للأممي بالدب الذي هو نجس ومفترس... فمن يهتدي من الأمم، يتشكل من الافتراس إلى الوداعة بواسطة الكلمة، وإذ يُروض يصير طاهرًا كالثور.

القديس إكليمنضس السكندري

v "طوبى لكل من يتقي الرب" (مز ١٢٨: ١). تعلن الكلمة المُوحى بها الطوبى ليس لذاك الذي من صُلب إبراهيم، ولا من ذرية إسرائيل، بل للشخص الذي يتزين بالمخافة (التقوى) الربانية.

v "هكذا يُبَارك الرجل المتقي الرب" (مز ١٢٨: ٤). الله هو ديان السلوك لا الجنس. هكذا هو الطريق الذي به كافأ الله أيوب بالإكليل، الذي هو من نسل عيسو. هذا هو الطريق الذي به قاد أبيمالك إلى الحق (تك ٢١: ٢٢، ٢٦). هذا هو طريق الخصي، طريق كرنيليوس، وطريق كل الأمم.

الأب ثيؤدورت أسقف قورش

v حيثما تصنع يد البار رحمة، تراقبها عين اللَّه. وحيثما يصلّي لسانه يجتذب الأذن الإلهية للاستماع، وكمثال لذلك صلاة كرنيليوس قد نالت مكافأة.

أندرياس

كتب **القديس جيروم** رسالة تعزية إلى سالفينا Salvina إحدى نساء القصر الإمبراطوري لوفاة زوجها Nebridius مقارنًا إياه بقائد المئة كرنيليوس.

v كعسكري، نيبريديوس لم يصبه أي ضرر من ثوبه العسكري ولا من حزام السيف وفرق المنظمة، بينما كان يلبس الزي الخاص بالقصر الإمبراطوري كان اسمه مسجلاً في قائمة خدمة الله.

القديس جيروم

v تُدعى الكنيسة الفندق الذي يُقبل الكل ويتّسع للكل، بعكس المفهوم الضيق للناموس اليهودي والعبادة الشكليّة. فبدلاً من أن تسمع القول: "ولا يدخل عموني ولا موآبي في جماعة الرب" (تث ٣٢:٣)، تسمع: "اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم" (مت ٢٨: ١٩). وأيضًا: "**في كل أمة الذي يتّقيه ويصنع البرّ مقبول عنده**" [٣٥]... المسيح الذي يحب الفضيلة يقبل كل الذين يجتهدون في المساعي الصالحة.

القديس كيرلس الكبير

v يظهر بولس أن اللَّه لا يرفض اليهود ولا الأمم إن آمنوا بالمسيح، بل الكل يتبرّرون بالإيمان.

إمبروسياستر

v يُقال عن اللَّه أنّه بعيد عن الأشرار كقول الأمثال (١٥: ١٩)... وكما أن الأشرار بعيدون عنه، هكذا هو قريب من القدّيسين.

القديس جيروم

"الكلمة التي أرسلها إلى بني إسرائيل،

يبشر بالسلام بيسوع المسيح،

هذا هو رب الكل". [٣٦]

إذ كان السامعون من الأمم أظهر أنهم وإن كانوا مهتمين بإنجيل المسيح الذي هو غاية الكلمة التي أرسلها لبني إسرائيل، فإن هذا الموعود به في العهد القديم إنما هو رب الكل، وليس خاصًا بإسرائيل وحده. حقًا لقد جاءت الكلمة لإسرائيل من أجل التمتع بالسلام الداخلي في الإنسان كما مع أخيه في المسيح يسوع، وبالتالي بين اليهود وإخوتهم الأمم.

يعلن القديس بطرس أن العطية المقدمة لبني إسرائيل هي ظهور الكلمة المتجسد يسوع المسيح، حيث بشرت الملائكة بالسلام، لأمة اليهود وحدها، بل للعالم كله، لأن المتجسد "**هو رب الكل**". لقد بشرت الملائكة كل البشرية: "المجد الله في الأعالي، وعلى الأرض السلام، وبالناس المسرة" (لو ٢: ١٣-١٤). تشهد السماء نفسها أن السيد المسيح قد جاء للناس ككل وليس لليهود وحدهم. وقد عبّر عن ذلك القدّيس بولس في صورة مبدعة للغاية: "ولكن الآن في المسيح يسوع أنتم الذين كنتم قبلاً بعيدين صرتم قريبين بدم المسيح، لأنّه هو سلامنا الذي جعل الاثنين واحدًا، ونقض حائط السياج المتوسّط، أي العداوة، مبطلاً بجسده ناموس الوصايا في فرائض، لكي يخلق الاثنين في نفسه إنسانًا واحدًا جديدًا، صانعًا سلامًا، ويصالح الاثنين في جسدٍ واحدٍ مع اللّه بالصليب، قاتلاً العداوة به، فجاء وبشّركم بسلام أنتم البعيدين والقريبين الخ." (أف٢: ١٣-١٧).

v لكن عندما يقول "**الكل**"، هل تستثني ربوبيته على أحد، لأنه سواء ملائكة أو رؤساء ملائكة أو رئاسات أو سلاطين أو أي مخلوق آخر دعاه الرسول، يخضع الكل لربوبية الابن...

القديس كيرلس الأورشليمي

v كانوا في وقتٍ ما بعيدين عن المسيح الخالق، وعن طريق الإسرائيليّين، والعهود، والرجاء في الوعد، واللّه نفسه. كانوا يومًا ما بعيدين، الآن صار الأمم ملتصقين بالمسيح في الأمور التي كانوا بعيدين عنها.

v وُلد بطريقة فريدة من عذراء بالروح القدس. وُلد لكي يصالح كلاً من الأمم واليهود مع اللّه، فكلاهما أخطأ في حق اللّه. صالحهما في جسدٍ واحدٍ بالصليب. قتلت العداوة بهذا الأسلوب. تمّت المصالحة في جسده إذ تألّم على الصليب.

العلامة ترتليان

v صار أولئك الذين يعرفون الناموس الروحي ويعيشون به في رعويّة إسرائيل أكثر من الإسرائيليين حسب الجسد فقط.

العلامة أوريجينوس

v إنّه يصالح الاثنين، أي الذين من أصل أممي والذين من أصل يهودي، صالحهما في جسدٍ واحدٍ قُدّم عن الكل، لكي يصيروا في النهاية جسدًا واحدًا. إنّه يدعو كل المؤمنين إنسانًا واحدًا، لأن المسيح ربّنا هو الرأس الواحد، والذين يتمتّعون بالخلاص يقومون بدور الأعضاء.

الأب ثيؤدورت أسقف كورش

"أنتم تعلمون الأمر الذي صار في كل اليهودية،

مبتدئًا من الجليل بعد المعمودية التي كرز بها يوحنا". [٣٧]

بعد أن شهدت السماء للعطية الفائقة: "مسيح الجميع" بدأ القديس بطرس يروي قصة السيد حيث ظهر في اليهودية واعتمد، ثم انتقل إلى الجليل ليختار تلاميذه، ويبدأ الخدمة.

إذ لم تكن قيصرية بعيدة عن الجليل، فحتمًا قد بلغت أخبار أعمال السيد المسيح ومعجزاته الفائقة في الجليل إلى سكان قيصرية، لهذا يقول: "**أنتم تعلمون**".

"يسوع الذي من الناصرة،

كيف مَسحَه اللَّه بالروح القدس والقوّة،

الذي جال يصنع خيرًا،

ويشفي جميع المتسلط عليهم، إبليس،

لأن اللَّه كان معه". [٣٨]

أعلن الآب أنه قد مسح يسوع الناصري بالروح القدس والقوة، إنه المسيا، جال يصنع خيرًا ويحرر من تسلط عليهم إبليس. فإن كان في ميلاده قد بشرت السماء الأرض كلها، والبشرية بأجمعها، فالسيد في خدمته جاء ليخلص العالم من رئيس هذا العالم الشرير، إبليس. فإن كانت الأمم قد سقطت أسرى لهذا العدو، فالسيد قد جاء ليحررهم منه كما حرر الذين تسلط عليهم من اليهود.

هنا يتحدث عن قصة السيد المسيح وأعماله وأهدافه في اختصارٍ شديدٍ دون سرد لقصصٍ أو معجزاتٍ معينة، مما يشير إلى أن السامعين، خاصة قائد المئة، كانت لهم دراية وافية عما فعله السيد المسيح، وأن عمل القديس بطرس هو الكشف عن خطة السيد في كل هذه الأعمال.

v نزول الروح عليه في الأردن إنّما كان نزولاً علينا نحن، بسبب لبسه جسدنا.

وهذا لم يصر من أجل ترقي اللوغوس، بل من أجل تقديسنا من جديد، ولكي نشترك في محبته، ولكي يُقال لنا: "ألستم تعلمون أنكم هيكل اللَّه، وروح اللَّه يسكن فيكم؟" (١ كو ٣: ١٦)

فحينما اغتسل الرب في الأردن كإنسانٍ، كنّا نحن الذين نغتسل فيه وبواسطته. وحينما اقتبل الروح، كنّا نحن الذين صرنا مقتبلين للروح بواسطته. ولهذا السبب، فهو ليس كهرون أو داود أو الباقين، قد مُسح بالزيت هكذا، بل بطريقة مغايرة لجميع الذين هم شركاؤه، أي بزيت الابتهاج (مز ٤٥: ٧-٨)، التي فُسّر أنه يعني الروح قائلاً: "**كيف مسحه اللَّه بالروح القدس**" [٣٨].

متى قيلت عنه هذه الأشياء، إلا عندما صار في الجسد، واعتمد في الأردن، ونزل عليه الروح (مت ٣: ١٦)؟ وحقًا يقول الرب لتلاميذه إن "الروح يأخذ مما لي" (يو ١٦: ١٤)، و"أنا أرسله" (يو ١٦:٧)، و"اقبلوا الروح القدس" (يو ٢٠: ٢٢). إلا أنه في الواقع هذا الذي يُعطي للآخرين ككلمة الآب وبهاءه، يُقال الآن أنه يتقدّس يسوع، وهذا من حيث أنه قد صار إنسانًا، والذي يتقدّس هو جسده ذاته.

البابا أثناسيوس الرسولي

الذي قام بمسحه ملكًا ليس إنسانًا بل الله الآب نفسه، وقد جال لا ليسيطر ويتسلط بل ليحرر من الأمراض ومن قوة إبليس.

"ونحن شهود بكل ما فعل في كورة اليهودية وفي أورشليم،

الذي أيضًا قتلوه،

معلّقين إيّاه على خشبة". [٣٩]

إن كان الله قد أرسل الكلمة لليهود أولاً، فإن الرسل يشهدون أنهم قد صلبوه على أرض يهودية خارج أورشليم.

"هذا أقامه اللَّه في اليوم الثالث،

وأعطى أن يصير ظاهرًا". [٤٠]

بعد أن تحدث عن غاية ميلاده، ثم عماده، واختياره للرسل، وخدمته لصالح البشرية وتقديم النصرة لهم على عدو الخير، تحدث عن عمله الخلاصي بالصليب والقيامة في اليوم الثالث. وهنا يركز القديس على تأكيد القيامة، وأنها تكشف عن أمور تمس مستقبل كل البشرية، فهي تؤكد أنه ديان الأحياء والأموات، وأن فيه تحققت النبوات لينال كل من يؤمن به غفران الخطايا. إنه ذبيحة الفصح الحقيقي، الذي وُضع إثم كل البشرية عليه.

لقد ظهر السيد المسيح القائم من الأموات لكثيرين علانية، فقيامته حقيقة لا يمكن أن يُشك فيها، ليس فيها خداع.

"ليس لجميع الشعب،

بل لشهودٍ سبق اللَّه فانتخبهم لنا،

نحن الذين أكلنا وشربنا معه بعد قيامته من الأموات". [٤١]

لقد تم الصلب علانية أمام الجماهير، لعلهم يدركون أنه المسيا الذي فيه تحققت النبوات، فيقبلونه ويؤمنون بخلاصه العجيب. أما قيامته، فأعلنها لكثيرين من أهل الثقة والمشتاقين إلى اللقاء معه، لطالبي الحق.

أكد قيامته ليس بظهوراته فحسب، وإنما أكل التلاميذ معه وشربوا بعد قيامته.

"وأوصانا أن نكرز للشعب،

ونشهد بأن هذا هو المعين من اللَّه

ديانًا للأحياء والأموات". [٤٢]

إن كان كرنيليوس ومن معه لم يتمتعوا بمجيء السيد المسيح للخلاص، فهو قادم سيلتقي بمن يكونوا أحياء يوم مجيئه وأيضًا يلتقي بالراقدين (١ تس٤: ١٦، ١٧؛ ١ كو ١٥: ٥٢)، يأتي ديانًا ليهب مؤمنيه شركة المجد، وأما رافضوه فيسقطون تحت الدينونة.

v سيأتي في مجيئه الأخير على السحاب ليدين الأحياء والأموات، وذلك كما بشّر من السحاب في صوته الأول الذي أعلنه في الأناجيل: "يبصرون ابن الإنسان آتيًا على سحاب السماء بقوّةٍ ومجدٍ كثيرٍ" (مت ٢٤: ٣٠)... لقد جاء أولاً في الكرازة، وملأ كل العالم المتّسع. **ليتنا لا نقاوم مجيئه الأول حتى لا نرتعب عند مجيئه الثاني.**

القديس أغسطينوس

v السلام لك يا ملك كل الأحياء!

السلام لك يا ديّان كل الأموات!

تجلس على العرش عن يمين أبيك، في القوّة العلويّة.

من هناك تدين الخطاة،

فستأتي يومًا ما.

برودنتيوس

v دعا بولس اللَّه "الآب" لأنّه لا يدين أحدًا، لكنّه دعا الابن "الرب" لأنّه الديّان. إنّه يدعو اللَّه "الآب" ليُشير إلى حمايته لنا. ويدعو الابن "الرب" لكي نُدرك أنّنا دُعينا أبناء خلال صلاح اللَّه وأن يسوع هو اللَّه الحقيقي بالطبيعة وهو ربّنا.

سفيريان أسقف جبالة

"له يشهد جميع الأنبياء،

أن كل من يؤمن به ينال باسمه غفران الخطايا". [٤٣]

بقيامته أُعلن أن الذبيحة المقدمة باسم كل البشرية الأحياء والأموات قد قَبلت، لينال كل مؤمنٍ غفران خطاياه. وبقوله: "**كل من يؤمن به**" يرفع الامتياز الذي خص اليهود وحدهم، ليصير امتيازًا عامًا لكل البشرية. فالإيمان ليس حبيس أمة معينة، والوعود الإلهية ليست قاصرة على شعب خاص.

٦. عماد كرنيليوس ومن معه

"فبينما بطرس يتكلم بهذه الأمور،

حلّ الروح القدس على جميع الذين كانوا يسمعون الكلمة". [٤٤]

في يوم الخمسين، في أورشليم، حث القديس بطرس سامعيه على التوبة ونوال المعمودية لغفران الخطايا وقبول الروح القدس (أع ٢: ٣٨). أما هنا في قيصرية فقد جاء الترتيب مختلفًا، إذ حل الروح القدس على كرنيليوس ومن معه قبل العماد. هنا ليس يوم بنطقستي جديد، إنما هو امتداد للبنطقستي الذي تحقق مع اليهود قبلاً، يتحقق بعينه مع الأمم بما يناسب بدء فتح باب الإيمان لهم.

ما كان يمكن للقديس بطرس أن يعلم بهذا لو لم يتمتع بالرؤيا، لكن كان محتاجًا إلى شهادة السماء لصدق هذا التعليم وتأكيده، لذلك لم ينتظر الروح القدس أن يكمل خطابه، ولا انتظر حتى ينال الحاضرون العماد، بل "**حل الروح القدس على جميع الذين كانوا يسمعون الكلمة**". وكأن البيت قد صار علية صهيون الثانية، أو كأن يوم الخمسين قد تكرر. أراد الروح القدس أن يعلن عدم محاباة الله لشعبٍ معينٍ، فبادر بالحلول على هؤلاء الأمم حتى قبل عمادهم، وقبل أن يمد القديس بطرس يده ليضعها على رؤوسهم. لقد أعلن الروح القدس راحته في الأمم الراجعين إليه بإخلاص. وأنه ليس من فضلٍ لشخصٍ ما في هذه العطية، بهذا استطاع الرسول أن يعلن بكل قوة: "فلما ابتدأت أن أتكلم حلّ الروح القدس عليهم كما علينا أيضًا من البداية... فإن كان الله قد أعطاهم الموهبة كما لنا أيضًا بالسوية، مؤمنين بالرب يسوع، فمن أنا؟ أقادر أن أمنع الله؟" (أع ١١: ١٥-١٧). كما قيل: "الله العارف القلوب شهد لهم معطيًا لهم الروح القدس كما لنا أيضًا" (أع ١٥: ٨).

تحقّق حلول الروح القدس قبل إنهاء الرسول حديثه ليطمئن الرسول ومن معه أن حلول الروح على الأمم صدر بأمر إلهي، وليس بفضل إنسانٍ ما فيتجاسر ويعمّدهم بلا تشكّك ولا خوف من أهل الختان. ومن الجانب الآخر حلول الروح القدس في هذا التوقيت يُحسب أشبه بختم سماوي مقدّم للأمم لكي يصدّقوا ما تحدّث عنه الرسول بطرس معهم. وكأن اللَّه يشهد على صدق كرازته لهم ويصادق عليها بقوّته الإلهيَّة، بل وبحلول روحه نفسه عليهم.

حلول الروح القدس على كرنيليوس كان بدء إشارة لتحقيق الوحدة أو المصالحة بين اليهود والأمم في المسيح يسوع، إذ يقول الرسول بولس: "لأن به لنا كلينا قدومًا في روح واحد إلى الآب" (أف٢: ١٨). ويعلّق على هذه العبارة الأب **ماريوس فيكتور**ينوس، قائلاً: [صار لكلٍ من اليهوديّة والأمم قدوم إلى الآب بالمسيح نفسه. لكن كيف؟ "في روحٍ واحدٍ". لأن الروح الذي هو واحد مع المسيح يدخل فينا عندما نؤمن بالمسيح. عندئذ نشعر بحضور اللَّه، نعرف اللَّه ونعبده، هكذا نأتي إلى الآب بذات الروح الواحد بالمسيح. لا يأتي أحد سواء كان يهوديًا أو أمميًّا إلى الآب إلا بالمسيح.]

"فاندهش المؤمنون الذين من أهل الختان،

كل من جاء مع بطرس،

لأن موهبة الروح القدس قد انسكبت على الأمم أيضًا". [٤٥]

لم يكن بعد يدرك المسيحيون الذين رافقوا القديس بطرس أن الإنجيل يمتد إلى الأمم، فإن تعصبهم اليهودي أغمض أعينهم عن إدراك هذه الحقيقة. ولعلّ سرّ دهشتهم أن مجد اللَّه صار ظاهرًا، وحلوله علنًا، بينما تدرّبوا حسب التقليد اليهوديّ أن الحضرة الإلهيَّة المعلنة أحيانًا خلال الكاروبين اللذين على غطاء الهيكل داخل قدس الأقداس! الآن انشق الحجاب، وانفتحت أبواب السماء، وصار روح اللَّه حالاً علانيّة على الأمم خارج الهيكل في أورشليم!

"لأنهم كانوا يسمعونهم يتكلّمون بألسنة،

ويعظمون اللَّه،

حينئذ أجاب بطرس". [٤٦]

وهبهم اللَّه التكلم بألسنة، لأنّه أمر ملموس يكشف عن نوالهم قلوب جديدة مع الألسنة الجديدة.

لما كان دخول الأمم إلى الإيمان أمر يكاد يستحيل على اليهودي أن يقبله قدم الروح القدس علامات ظاهرة تؤكد هذه الحقيقة أنها صادرة من الله. لذلك صار المؤمنون الذين من أهل الختان يسمعون الأمم يتكلمون بألسنة، ويعظمون الله. التكلم بالألسنة تأكيد استمرار يوم الخمسين حتى يدخل الأمم الإيمان، وتعظيم اسم الله، هو أهم خاصية خاصة بشعب الله تميزه عن بقية الشعوب. صار الذين كانوا من أهل الختان شهودًا لعمل الله مع الأمم وقبولهم كشعب الله.

v كان الروح القدس يُعطى بهذا النوع في ذلك الحين، حتى أنه كان يُظهر نفسه منظورًا. فإن الذين قبلوه تكلّموا بألسنة كل الأمم، ليعني أن الكنيسة التي بين الأمم يلزمها أن تتحدّث بألسنة الكل. لهذا فإنهم قبلوا الروح القدس، وظهر هو بوضوح فيهم.

القديس أغسطينوس

"أترى يستطيع أحد أن يمنع الماء،

حتى لا يعتمد هؤلاء الذين قبلوا الروح القدس،

كما نحن أيضًا". [٤٧]

لقد رأى الرسول ومن معه، وسمع بأذنيه، وتأكد الجميع أن الروح القدس قد حلّ عليهم، لهذا وجد الرسول نفسه مُلزمًا أن يعمدهم. ما نطق به الرسول هنا كان يحدث به نفسه كما يحدث الذين حوله من أهل الختان... لقد تأكد: "**ما طهره الله لا تدنسه أنت**". لم يعد بعد قادرًا أن يقول عن الأمم أنهم دنسون.

لو لم يحل الروح القدس بطريقة علنية وبتأكيدات وبراهين ظاهرة ما كان يمكن لبطرس الرسول أن يقبل عمادهم، اللهم إلاَّ إذا تهودوا أولاً. الآن يقول: "**لم يميز بيننا وبينهم، إذ طهر بالإيمان قلوبهم**" (أع ١٥: ٩).

v من جانبي، لا أستريح للذين يؤجلون تكريسهم الكامل لله. عندما نقرأ عن قائد المئة كرنيليوس أنه بار للحال نسمع عن عماده.

القديس جيروم

v في مناسبة إذ حلّ الروح قبل استخدام الماء لم يقف الرسول عند هذا الحد، فإذ كان الماء ضروريًا وليس أمرًا ثانويًا لاحظ ماذا يقول: "**أترى يستطيع أحد أن يمنع الماء حتى لا يعتمد هؤلاء الذين قبلوا الروح القدس كما نحن أيضًا؟**"

القديس يوحنا الذهبي الفم

"وأمر أن يعتمدوا باسم الرب،

حينئذ سألوه أن يمكث أيامًا". [٤٨]

ألزمه الروح القدس بتعميدهم، فقد بادر وأعلن قبول السماء لهم. لكن لماذا لم يقم الرسول نفسه بتعميدهم، بل طلب من المرافقين له أن يقوموا بهذا العمل؟ ربما لكي تصير الشهادة أقوى حين يقف هؤلاء الخدام (الكهنة) بإعلان أن الروح القدس بحلوله على الأممين ألزمهم بهذا العمل، وأنهم قاموا بهذا العمل بأنفسهم. ولعل القديس بطرس أراد تأكيد ذات فكر القديس بولس الرسول أن الله لم يرسله ليعمد بل ليكرز، فيترك العماد، إن أمكن، للخدام المساعدين له (١ كو ١: ١٤-١٧).

في مجمع الرسل لمعالجة قضية قبول للإيمان لم يأخذ القديس بطرس كرسول الختان موقفًا متشددًا من جهة الأمم، بل حسب ما تم على يديه خلال عمل الروح القدس موضوع اعتزاز: "أيها الرجال أنتم تعلمون أنه منذ أيام قديمة اختار الله بيننا أنه بفمي يسمع الأمم كلمة الإنجيل ويؤمنون" (أع ١٥: ٦-٧).

"**يعتمدوا باسم الرب**"، فمن يعتمد باسم الرب يسوع، إنما يعتمد بناء على إيمانه بالسيد المسيح أنه هو الرب، فيقبل الآب أبًا، والروح القدس روح المسيح الرب.

v ما أقوله هذا ليس من عندي، إنما هو كلام الرب يسوع صاحب السلطان في هذا الأمر. أنه يقول: "إن كان أحد لا يولد من الماء والروح لا يقدر أن يدخل ملكوت اللَّه" (راجع يو ٣:٣) فمن يعتمد بالماء ولا يكون متأهلاً للروح (بسبب سوء نيته) لا يتقبل نعمة الكمال، كذلك إن كان فاضلاً في أعماله ولم يتقبل الختم بالماء لا يدخل ملكوت السماوات.

هذا القول فيه جسارة، لكنه ليس مني بل أعلنه يسوع.

وفيما يلي برهان على ذلك بشهادات من الكتاب المقدس. يقول الكتاب أن بطرس أمرهم أن يعتمدوا باسم يسوع المسيح [٤٨] حتى تُولد النفس مرة أخرى بالإيمان، ويكون للجسد شركة في النعمة بواسطة الماء.

كان كرنيليوس إنسانًا بارًا، تكرّم برؤية ملائكة، وصعدت صلواته وصدقاته تذكارًا صالحًا أمام اللَّه في السماء. جاءه بطرس وانسكب الروح القدس على المؤمنين، وتكلموا بألسنة، وتنبأوا، وبعد نعمة الروح يقول الكتاب أن بطرس أمرهم أن يعتمدوا باسم يسوع المسيح حتى تُولد النفس مرة أخرى بالإيمان، ويكون للجسد شركة في النعمة بواسطة الماء.

القديس كيرلس الأورشليمي

نالوا عطيَّة الروح فاشتهوا بالأكثر أن يتمتّعوا بالتعاليم الرسوليّة لنموّهم الروحي المستمرّ، لذلك سألوا القدّيس بطرس أن يمكث أيّامًا، حسبوها أيّامًا ذهبيّة لن تنسى!

من وحي أع١٠

لك أيّها الرب الأرض وملؤها!

v لك في كل أمّة شهود أمناء!

لك في قلوب الكثيرين موضع خاص!

بحث عنك قائد المئة الأممي.

لم يكف عن الصلاة، طالبًا أن يتعرّف عليك!

قدّم صدقات للمساكين من أجلك.

بينما أغلق بعض الكهنة قلوبهم أمام وجهك.

سكنوا أورشليم وخدموا في الهيكل،

لكنّهم كانوا بعيدين عنك!

- أعلنت لرسولك بطرس خطة حبّك.

تفتح أبواب الإيمان للجميع بلا محاباة!

ليس أمامك يهودي وأممي،

ولا رجل وامرأة،

فأنت خالق الكل، ومخلّص الجميع.

- أرسلت ملاكك يخدم الأممي،

وتحدّثت صراحة مع تلميذك بطرس!

إنّك لن تحابي الوجوه!

أنت تطلب خلاص الجميع!

- أرسلت روحك على كرنيليوس ومن معه.

روحك القدّوس هو روح الوحدة.

يحلّ على اليهودي والأممي،

يقيم من الكل أعضاء لجسدك الواحد.

بروحك يصير الكل واحدًا فيك،

فأنت الرأس الواحد للجسد الواحد!

١ و كان في قيصرية رجل اسمه كرنيليوس قائد مئة من الكتيبة التي تدعى الايطالية
٢ و هو تقي و خائف الله مع جميع بيته يصنع حسنات كثيرة للشعب و يصلي الى الله في كل حين

٣ فراى ظاهرا في رؤيا نحو الساعة التاسعة من النهار ملاكا من الله داخلا اليه و قائلا له يا كرنيليوس
٤ فلما شخص اليه و دخله الخوف قال ماذا يا سيد فقال له صلواتك و صدقاتك صعدت تذكارا امام الله
٥ و الان ارسل الى يافا رجالا و استدع سمعان الملقب بطرس
٦ انه نازل عند سمعان رجل دباغ بيته عند البحر هو يقول لك ماذا ينبغي ان تفعل
٧ فلما انطلق الملاك الذي كان يكلم كرنيليوس نادى اثنين من خدامه و عسكريا تقيا من الذين كانوا يلازمونه
٨ و اخبرهم بكل شيء و ارسلهم الى يافا
٩ ثم في الغد فيما هم يسافرون و يقتربون الى المدينة صعد بطرس على السطح ليصلي نحو الساعة السادسة
١٠ فجاع كثيرا و اشتهى ان ياكل و بينما هم يهيئون له وقعت عليه غيبة
١١ فراى السماء مفتوحة و اناء نازلا عليه مثل ملاءة عظيمة مربوطة باربعة اطراف و مدلاة على الارض
١٢ و كان فيها كل دواب الارض و الوحوش و الزحافات و طيور السماء
١٣ و صار اليه صوت قم يا بطرس اذبح و كل
١٤ فقال بطرس كلا يا رب لاني لم اكل قط شيئا دنسا او نجسا
١٥ فصار اليه ايضا صوت ثانية ما طهره الله لا تدنسه انت
١٦ و كان هذا على ثلاث مرات ثم ارتفع الاناء ايضا الى السماء
١٧ و اذ كان بطرس يرتاب في نفسه ماذا عسى ان تكون الرؤيا التي راها اذا الرجال الذين ارسلوا من قبل كرنيليوس و كانوا قد سالوا عن بيت سمعان و قد وقفوا على الباب
١٨ و نادوا يستخبرون هل سمعان الملقب بطرس نازل هناك
١٩ و بينما بطرس متفكر في الرؤيا قال له الروح هوذا ثلاثة رجال يطلبونك
٢٠ لكن قم و انزل و اذهب معهم غير مرتاب في شيء لاني انا قد ارسلتهم
٢١ فنزل بطرس الى الرجال الذين ارسلوا اليه من قبل كرنيليوس و قال ها انا الذي تطلبونه ما هو السبب الذي حضرتم لاجله
٢٢ فقالوا ان كرنيليوس قائد مئة رجلا بارا و خائف الله و مشهودا له من كل امة اليهود اوحي اليه بملاك مقدس ان يستدعيك الى بيته و يسمع منك كلاما
٢٣ فدعاهم الى داخل و اضافهم ثم في الغد خرج بطرس معهم و اناس من الاخوة الذين من يافا رافقوه
٢٤ و في الغد دخلوا قيصرية و اما كرنيليوس فكان ينتظرهم و قد دعا انسباءه و اصدقاءه الاقربين
٢٥ و لما دخل بطرس استقبله كرنيليوس و سجد واقعا على قدميه
٢٦ فاقامه بطرس قائلا قم انا ايضا انسان
٢٧ ثم دخل و هو يتكلم معه و وجد كثيرين مجتمعين
٢٨ فقال لهم انتم تعلمون كيف هو محرم على رجل يهودي ان يلتصق باحد اجنبي او ياتي اليه و اما انا فقد اراني الله ان لا اقول عن انسان ما انه دنس او نجس
٢٩ فلذلك جئت من دون مناقضة اذ استدعيتموني فاستخبركم لاي سبب استدعيتموني
٣٠ فقال كرنيليوس منذ اربعة ايام الى هذه الساعة كنت صائما و في الساعة التاسعة كنت اصلي في بيتي و اذا رجل قد وقف امامي بلباس لامع
٣١ و قال يا كرنيليوس سمعت صلاتك و ذكرت صدقاتك امام الله
٣٢ فارسل الى يافا و استدع سمعان الملقب بطرس انه نازل في بيت سمعان رجل دباغ عند البحر فهو متى جاء يكلمك

٣٣ فارسلت اليك حالا و انت فعلت حسنا اذ جئت و الان نحن جميعا حاضرون امام الله لنسمع جميع ما امرك به الله
٣٤ ففتح بطرس فاه و قال بالحق انا اجد ان الله لا يقبل الوجوه
٣٥ بل في كل امة الذي يتقيه و يصنع البر مقبول عنده
٣٦ الكلمة التي ارسلها الى بني اسرائيل يبشر بالسلام بيسوع المسيح هذا هو رب الكل
٣٧ انتم تعلمون الامر الذي صار في كل اليهودية مبتدئا من الجليل بعد المعمودية التي كرز بها يوحنا
٣٨ يسوع الذي من الناصرة كيف مسحه الله بالروح القدس و القوة الذي جال يصنع خيرا و يشفي جميع المتسلط عليهم ابليس لان الله كان معه
٣٩ و نحن شهود بكل ما فعل في كورة اليهودية و في اورشليم الذي ايضا قتلوه معلقين اياه على خشبة
٤٠ هذا اقامه الله في اليوم الثالث و اعطى ان يصير ظاهرا
٤١ ليس لجميع الشعب بل لشهود سبق الله فانتخبهم لنا نحن الذين اكلنا و شربنا معه بعد قيامته من الاموات
٤٢ و اوصانا ان نكرز للشعب و نشهد بان هذا هو المعين من الله ديانا للاحياء و الاموات
٤٣ له يشهد جميع الانبياء ان كل من يؤمن به ينال باسمه غفران الخطايا
٤٤ فبينما بطرس يتكلم بهذه الامور حل الروح القدس على جميع الذين كانوا يسمعون الكلمة
٤٥ فاندهش المؤمنون الذين من اهل الختان كل من جاء مع بطرس لان موهبة الروح القدس قد انسكبت على الامم ايضا
٤٦ لانهم كانوا يسمعونهم يتكلمون بالسنة و يعظمون الله حينئذ اجاب بطرس
٤٧ اترى يستطيع احد ان يمنع الماء حتى لا يعتمد هؤلاء الذين قبلوا الروح القدس كما نحن ايضا
٤٨ و امر ان يعتمدوا باسم الرب حينئذ سالوه ان يمكث اياما

الاصحاح الحادي عشر

خصومة بسبب خدمة الأمم!

ما كان يمكن أن يختم الإنجيلي لوقا لقاء القديس بطرس ومن معه بكرنيليوس عند نهاية الأصحاح السابق. كان لزامًا أن يصور لنا موقف القادة والشعب في أورشليم من قبول هذه المجموعة في الإيمان دون إشارة إلي اختتانهم والتزامهم بحفظ الشرائع الموسويّة. خاصة وأن القديس بطرس قد بقى في قيصرية مع تلك الجماعة أيامًا كثيرة. لقد نما إلي علمهم أنه كان يأكل معهم وهم غلف.

انفتح الباب على مصراعيه أمام الأمم ليتمتّعوا بالإيمان وينالوا البركات السماويّة على نفس المستوى مع إخوتهم اليهود المتنصّرين. لم يقف عدو الخير صامتًا بل أثار الرسل والإخوة الذين من أهل الختان ضد القدّيس بطرس، لأنّه أكل مع رجالٍ ذوي غلفة. اتّهموه بأنّه تهاون في حفظ الشريعة وتدنس!

١. خصومة مع الرسول بطرس ١-٣.

٢. القدّيس بطرس يشرح الموقف ٤-١٧.

٣. الخصومة تتحوّل إلى تسبيح مفرح ١٨.

٤. الكنيسة في أنطاكيّة ١٩-٢١.

٥. القدّيس برنابا في إنطاكيّة ٢٢-٢٤.

٦. القدّيس برنابا يطلب شاول ٢٥-٢٦.

٧. إنطاكيّة تسند أورشليم ٢٧-٣٠.

١. خصومة مع الرسول بولس

ذهاب القديس بطرس إلى قيصرية ودخوله بيت كرنيليوس وما تبع ذلك من أحداث أثار دهشة بعض المسيحيين الذين كانوا من أصل يهودي، كما أثار اليهود غير المؤمنين. لقد سمعوا بالخبر قبل وصول بطرس الرسول إلى أورشليم، وذلك لقرب المسافة بين قيصرية وأورشليم.

"فسمع الرسل والإخوة الذين كانوا في اليهودية،

أن الأمم أيضًا قبلوا كلمة اللَّه". [١]

يبدو أن الرسول مكث مدة طويلة في قيصرية يتمتع بعمل الروح القدس في حياة الأمم، وإذ سمع المسيحيون في أورشليم الذين كانوا من أهل الختان، دخلوا في نزاعٍ فكريٍ مع القديس بطرس.

كان لهذا الحدث ضجة عظمى في اليهودية، سواء داخل الكنيسة أو بين اليهود غير المؤمنين. إذ حسبوا تصرفات القديس بطرس تتعارض مع كل أفكار اليهود ومبادئهم، فلا عجب أن سبب هذا مخاصمتهم له.

"ولما صعد بطرس إلى أورشليم،

خاصمه الذين من أهل الختان". [٢]

دخلوا معه في نزاع بكونه قد ارتكب جريمة عظمى.

لا يمكن تجاهل الصراع الخفي بين أورشليم وقيصريّة، إذ كانت أورشليم في نظر اليهود العاصمة، مدينة اللَّه العظمى، تضم أقدس موضوع في العالم، هيكل سليمان. بينما اختار الرومان قيصريّة لتكون العاصمة، وهي مدينة لها ثقافة يونانيَّة، سكّانها الرئيسيّون وثنيّون ويونانيّون وسريان. فكان اليهود في أورشليم يحملون نوعًا من الضيق إن لم تكن الكراهيّة نحو قيصريّة والوالي الروماني المقيم فيها.

ما قد حدث مع القديس بطرس يجب أن يتوقعه كل من تمتد يده للعمل في الخدمة، فإنه يتعرض للمقاومة، لا من الذين هم خارج الكنيسة فحسب، بل والذين من داخلها، ليس فقط من القيادات التي على نفس المستوى أو في مركز الرئاسة، بل وحتى من الشعب. يجد مقاومة، لا على أخطاءٍ ارتكبها فحسب، وإنما حتى على الأعمال الصالحة، ولو كانت قد تمت بناء على أمرٍ إلهي.

"قائلين: أنك دخلت إلى رجال ذوي غُلْفة،

وأكلت معهم". [٣]

مع ظهور الرؤيا للقديس بطرس، وظهور ملاك لكرنيليوس، وحلول الروح القدس على الأمم، وتكلمهم بالألسنة وعظائم الله قبل عمادهم، انزعجت نفوس الذين كانوا من أهل الختان، وحسبوا القديس بطرس متهاونًا في الناموس. ولعل دخول بعض كهنة اليهود والفريسيين إلى الإيمان المسيحي كان مشروطًا من جانبهم أن تبقى غيرتهم على الهيكل وحفظهم للختان والناموس حرفيًا باقية. هؤلاء لن يقبلوا دخول الأمم للإيمان ما لم يختتنوا ويتعلموا الناموس والطقوس والعادات اليهودية.

v انظروا بماذا يحتجون فإنهم لا يقولون: لماذا بشرتهم؟ بل لماذا أكلت معهم؟ لم يتوقف بطرس عن إدراكه لهذا الاعتراض الذي يحمل فتورًا في المشاعر، فإنه بالحقيقة هو عدم مبالاة من جانبهم. لقد وقف صامدًا أمامهم على هذا الأساس: إن كان الروح نفسه قد أُعطي لهم، فمن يقدر أن يمنع نوالهم العماد؟ هذا لم يحدث بخصوص السامريين، بل على العكس، فإنه لم يوجد اعتراض على ذلك لا قبل العماد ولا بعده ولا امتعضوا لهذا، فإنهم ما أن سمعوا عن قبول السامريين الإيمان حتى أرسلوا رسولين لهذا الهدف (أع ٨: ١٤). حقًا حتى في هذه الحالة الحاضرة أدركوا أنها نعمة إلهية، أما ما قالوه فهو: لماذا أكلت معهم؟... وقد سمحت خطة الله بهذا الاتهام بهذه الصورة حتى يتعلموا، فإنه بدون هذا ما كان قد أعلن بطرس عن الرؤيا. لكن لاحظوا، إنه أعلنها وهو متحرر من كل تشامخ أو مجدٍ باطلٍ.

القديس يوحنا الذهبي الفم

٢. القدّيس بطرس يشرح الموقف

"فابتدأ بطرس يشرح لهم بالتتابع قائلاً". [٤]

لا نرى هنا في حوار القديس بطرس الرسول الرقيق من يتكلم من مركز الرئاسة العليا والسلطة، ولا كمن يأمر وينهي، بل بالحب يشرح ويحاور. واضح من موقف الشعب نفسه أنه لم يكن في حسبانه رئاسة عليا للقديس بطرس وأن له الكلمة الأخيرة القاطعة، إنما قاوموا القديس وخاصموه، وإذ شرح لهم الأمر بروح الحب والتواضع قبلوا التصرف ومجدوا الله.

"**بالتتابع**"، أي بدأ يروي لهم الأحداث بالترتيب.

يصر القديس لوقا على سرد ما قاله القديس بطرس مكررًا قصة قبول الأمم بتفاصيلها. هذه هي المرة الثالثة التي يعرض فيها ذات القصة. المرة الأولى لما حدثت وقائعها، والثانية يرويها كرنيليوس، والثالثة يرويها بطرس الرسول أمام كنيسة أورشليم. وبنفس الطريقة عرض القديس لوقا قصة دخول شاول الطرسوسي إلى الإيمان ثلاث مرات.

يحمل هذا التكرار التأكيد بكل قوة على انفتاح الكنيسة على الأمم دون التزامهم بالتهود، واختيار الله شاول الطرسوسي لخدمة الأمم. فإن التخلص من عبودية الحرف للناموس كان أمرًا ليس بالسهل قبوله، وقد سبب انقسامات خطيرة، ليس فقط في أورشليم، بل وفي كثير من المدن مثل غلاطية وروما، فلم يكن ممكنًا لليهودي أن يقبل الأممي شريكًا له في الإيمان على قدم المساواة دون أن يختتن ويتمسك بحفظ الناموس.

"أنا كنت في مدينة يافا أصلّي،

فرأيت في غيبة رؤيا،

إناء نازلاً مثل ملاءة عظيمة مدلاّة بأربعة أطراف من السماء،

فأتى إليّ. [٥]

بدأ الرسول يروي لهم كل ما جرى، ليس دفاعًا عن نفسه، إنما ليفتح قلوبهم بالحب والفكر الروحي لقبول الأمم وللكرازة بينهم.

روى قصة رؤيته كما سبق فوردت في الإصحاح السابق (أع ١٠: ٩). بقوله "**فأتي إليَّ**" يوضح حاجته إلى التعرف على خطة الله نحو الأمم، فجاءت الرؤيا إليه شخصيًا، لأنه كان من الصعب عليه أن يدرك هذه الخطة الإلهية ويقبلها، كما هم عليه. فما يعانون هم منه الآن كان هو يعاني منه، واحتاج إلى تفسيرٍ إلهي لكي يقبل خطة الله، ويقدمها لهم كما لغيرهم. هنا يخفف الرسول من حدة مخاصمتهم له، لأنه هو نفسه كان حاله كحالهم، وفكره كفكرهم، لولا تدخل الله نفسه ليشرح له سرّ حبه للأمم كما لليهود.

"فتفرست فيه متأملاً،

فرأيت دواب الأرض والوحوش والزحّافات وطيور السماء". [٦]

اهتم الرسول بأن يروي لهم اختباره مع الله، والرؤيا التي تمتع بها أكثر من حديثه عن رؤيا كرنيليوس حتى لا يثيرهم، فإنهم حتمًا يثقون في صدق الرسول، لكنهم كيف يتأكدون من صدق كرنيليوس، اللهم إلاّ إذا جاءت الرؤيتان متطابقتان تكملان الواحدة الأخرى.

"وسمعت صوتًا قائلاً لي:

قم يا بطرس،

اذبح وكل". [٧]

"فقلت: كلا يا رب،

لأنه لم يدخل فمي قط دنس أو نجس". [٨]

في تفسيره لرسالة القدّيس بولس الرسول إلى أهل أفسس يلمح **القديس يوحنا الذهبي الفم** إلى هذه العبارة ليؤكّد أن بعض الأمور كانت مخفيّة حتى عن الرسل، وكانوا في حاجة إلى إعلانات إلهيّة للتعرّف عليها لنفع المخدومين.

v ألا تلاحظوا إنه يقول إني قمت بما هو من جانبي: "**فقلت كلا يا رب، لأنه لم يدخل فمي قط دنس أو نجس**". هنا يشير إلى قولهم: "**دخلت وأكلت معهم**". لم يقل هذا لكرنيليوس إذ لم تكن توجد حاجة إلى الإشارة إلى ذلك... لاحظوا كيف يبرر نفسه، ويسمح لنفسه أن يستخدم سلطانه كمعلمٍ. فبقدر ما كان لطيفًا للغاية ووضَّح موقفه، جعلهم بالأكثر يقبلون التعليم بسهولة.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"فأجابني صوت ثانية من السماء:

ما طهره اللَّه لا تنجسه أنت". [٩]

بقبول الأمم لا يوجد كسر للناموس، لأنه إن كان الناموس قد منع أكل ما هو نجس، فإن العهد الجديد لم يطالبنا بغير ذلك، لكن الوضع قد تغير، لأن الله طهّر ما كان دنسًا أو نجسًا. فما كنا نظنهم دنسين الآن خلال عمل السيد المسيح الخلاصي صاروا طاهرين، فلا يليق بنا بعد دعوة الأمم دنسين. إذن، ليس من حقهم لوم الرسول بطرس، لأن الله طهر الأمم.

"وكان هذا على ثلاث مرات،

ثم انتشل الجميع إلى السماء أيضًا". [١٠]

تكرر الأمر ثلاث مرات لتأكيد أن ما يراه وما يسمعه ليس وهمًا ولا تخيلاً، بل هو أمر إلهي. لذلك لم تنتهِ الرؤيا بزوالها، بل برفع الملاءة إلى السماء من حيث نزلت، للتأكد أن الأمر بالحق هو سماوي.

"وإذا ثلاثة رجال قد وقفوا للوقت عند البيت الذي كنت فيه،

مُرسلين إليّ من قيصرية". [١١]

لقد أكد له الرب أن ما رآه ليس من قبيل المصادفة، بل هو بتدبيرٍ إلهيٍ في اللحظات اللائقة والمناسبة. لذلك ما أن انتهت الرؤيا حتى كان المرسلون من كرنيليوس عند الباب يسألون عنه.

"فقال لي الروح أن أذهب معهم غير مرتاب في شيء،

وذهب معي أيضًا هؤلاء الاخوة الستّة،

فدخلنا بيت الرجل". [١٢]

مع كل هذه التأكيدات السماوية تحدث الروح القدس نفسه مع القديس بطرس ليطمئنه، وينزع عنه كل ارتياب في الأمر. وكأن الرسول يؤكد لهم أنهم إن كانوا في ارتياب في أمر تصرفه هذا، فهو نفسه كان مرتابًا مثلهم ولم يكن محتاجًا إلى تفسير من إنسانٍ بل من الروح القدس نفسه الذي أمره بالذهاب معهم دون ارتياب. فمع كون الدعوة قد جاءت إليه خلال أممين للذهاب إلى بيت أممي، لكنه لم يذهب بدون دعوة الروح؛ ولم يذهب وحده بل وأخذ معه ستة أخوة هم شهود للأحداث الفائقة. لقد كان معهم السابع من أهل الختان حتى يتأكد الجميع فيما بعد أن كل المرتبطين بالأحداث من أهل الختان التزموا بقبول الأمم برأي جماعي، لأن العمل كان صادرًا من الله نفسه.

- ألا تلاحظوا أن الروح هو الذي يسن القوانين.

القديس يوحنا الذهبي الفم

لم يشر القدّيس بطرس إلى اسم الرجل "كرنيليوس" ولا إلى مركزه كقائد مئة، ولا تحدّث عن تقواه أو صلواته وصدقاته، لئلاّ يظنّوا أنّه تأثر بهذه الأمور، إنّما ما يشغله أنّه ذهب بناء على دعوة إلهيّة بغض النظر عن الظروف المحيطة.

"فأخبرنا كيف رأى الملاك في بيته قائمًا، وقائلاً له:

أرسل إلى يافا رجالاً،

واستدع سمعان الملقّب بطرس". [١٣]

إذ بلغ بيت كرنيليوس وحده هو أيضًا سبق فتمتع برؤيا سماوية، فقد أرسل له الرب ملاكًا لكي يستدعيه من يافا. لم يرَ الملاك في الهيكل، ولا في بيت رجل يهودي، وإنما في بيته. وكأنه يقول: قد تبادلنا خبرتنا المشتركة في الرؤيا السماوية، فرأينا تطابقًا عجيبًا. ما أخفاه الله عني كشفه للأممي، وما أخفاه الله عنه كشفه لي، فجاءت الرؤيتان له ولي أشبه برؤيا واحدة متكاملة، غايتها إعلان حب الله الفائق لكل البشرية.

"وهو يكلمك كلامًا به تخلص أنت وكل بيتك". [١٤]

ركز القديس بطرس على أمرٍ واحدٍ، وهو أن كل ما حدث كان بقيادة الروح القدس، وأن هذه خطة الله، لهذا لم يشر إلى كلمات الملاك لكرنيليوس عن قبول الله لصلواته وصدقاته، ولا عن تقوى الرجل ومخافته للرب، حتى لا يثير مشاعرهم كيف يقبل الله عبادة رجلٍ أممي، وكيف تُنسب له التقوى ومخافة الرب.

كما طمأن الروح القدس بطرس للانطلاق للعمل، هكذا طمأن كرنيليوس أن ما سيسمعه من القديس بطرس هو دعوة صادقة إلهية للتمتع بالخلاص، يناله هو وأهل بيته.

ربنا يسوع المسيح الذي قال للعشار: "اليوم حصل خلاص لأهل هذا البيت" (لو١٩: ٩)، هو بعينه أرسل ملاكًا يؤكد لكرنيليوس أنه يحدث خلاصًا لبيته خلال الإيمان بإنجيل المسيح. الذي قدم خلاصًا للعشار، هو بعينه يقدم الخلاص للأمم.

"فلما ابتدأت أتكلم،

حلّ الروح القدس عليهم كما علينا أيضًا في البداءة". [١٥]

السيد المسيح الذي دخل بيت العشار ليحل الخلاص فيه، أرسل الآن روحه القدوس ليحل خلاص المسيح في بيت قائد المئة الأممي. لقد حسم الرب نفسه الخلاف، فقد حلّ الروح القدس على الأممين كما حل على أهل الختان في يوم الخمسين؛ فما ناله اليهود في البداءة، صار حقًا للأمم أيضًا. لم ينتظر الروح حتى يُنهي القديس بطرس حديثه معهم حتى لا يظن أحد أن الروح القدس هو هبة من الرسول، إنما هو عطية مجانية مقدمة من الله نفسه.

"فتذكرت كلام الرب،

كيف قال أن يوحنا عمَّد بماء،

وأمّا أنتم فستعمدون بالروح القدس". [١٦]

هذه هي المرة الثالثة لهذه العطية الفائقة، عطية الروح القدس نفسه واهب العطايا:

- عطية الروح القدس **لأهل الختان** في يوم البنطقستي (أع ٢).
- عطيته للمؤمنين **السامريين** (أع ٨: ١٧).

v عطيته **لباكورة الأمم** هنا (أع١١: ١٥). ولعل العطية التي نالها المؤمنون السامريون هيأت ذهن القديس بطرس جزئيًا لقبول الأمم ذات العطية.

هنا تذكر القديس بطرس وعد السيد المسيح لهم قبل صعوده: يوحنا عمد بالماء، وأنتم ستعمدون بالروح القدس (أع ١: ٥).

"فإن كان اللَّه قد أعطاهم الموهبة كما لنا أيضًا بالسوية،

مؤمنين بالرب يسوع المسيح،

فمن أنا؟

أقادر أن أمنع اللَّه؟" [١٧]

أما ختام الأمر فهو أن القرار خطير: إما قبول عمل الله وحبه للبشرية، أو رفضه ومقاومة إرادته وخطته. وكأنه يقول هم: يلزمكم ألا تتطلعوا إلى تصرفي هذا لا كتقييم للموقف، وإنما أخذ قرار خطير يخص خطة الله نفسها، لكم أن تقبلوها أو ترفضوها، أما من جهتي فماذا، هل أقاوم الله وأضاد إرادته الإلهية؟ أي سلطان في يدي لأقبل الأمم في الإيمان أو أرفضهم؟ إن كان الله يفتح أبواب كنيسته أمام الأمم، فهل أستطيع أنا أن أغلقها أمام وجوههم؟

٣. الخصومة تتحوّل إلى تسبيحٍ مفرحٍ

"فلما سمعوا ذلك سكتوا،

وكانوا يمجدون اللَّه قائلين:

إذًا أعطى اللَّه الأمم أيضًا التوبة للحياة". [١٨]

جاء خطاب الرسول بطرس يؤكد عضوية الأمم الكاملة في كنيسة المسيح، وإن الختان وحفظ الشريعة الموسويّة حرفيًا ليسا ضروريّين للخلاص. وأنه ليس من تميز بين طعام وطعام، ولا بين شعب وشعب. مع هذا قدّم الحاضرون تسبحة شكر، ممجدين الله على غنى حبه لكل البشريّة، مع أن هذا الخطاب تحمل تدميرًا للنظرة اليهوديّة الحرفيّة.

جاءت إجابة القديس بطرس شافية للمؤمنين من أهل الختان، ولكن إلى حين، فقد بقي التساؤل عن وضع الأمم القابلين للإيمان في الكنيسة يثور ليسبب مشكلة خطيرة.

لم يقل أنه قد طلب عمادهم، لكن كانت كل الأمور تسير بأوامر إلهية فائقة، ولم يكن الرسل إلا أداة طيّعة للروح القدس القائد لهذا العمل.

لم يقل الرسول: "أعطاهم الله الموهبة كما لكم" بل كما لنا، وكأنه يقول إني واحد منكم، وإني مندهش لخطة الله الذي لم يميز بينهم وبيننا، لذا فإني معكم أتقبل هذا الحب الإلهي لكل البشرية بفرحٍ.

٤. الكنيسة في أنطاكيّة

"أمَّا الذين تشتّتوا من جراء الضيق الذي حصل بسبب استفانوس،

فاجتازوا إلى فينيقية وقبرس وإنطاكية،

وهم لا يكلمون أحدًا بالكلمة إلا اليهود فقط". [١٩]

يبدأ هذا القسم بالحديث عن مرحلة جديدة خاصة بامتداد الكنيسة من المجتمع اليهودي في أورشليم إلى المجتمع الخارجي خاصة إنطاكية. روى القديس لوقا سابقًا دخول السامريين إلى الكنيسة، ثم تحول أسرة أممية في قيصرية. الآن يروي لنا عن بدء ظهور المسيحية في إنطاكية، المدينة الرئيسية في سوريا تصير الكنيسة الأم للكرازة بين الأمم في آسيا وأوربا.

اهتم القديس لوقا بنجاح الخدمة في إنطاكية لأنها سرعان ما تصير مركز خدمة القديس بولس رسول الأمم، يبدأ رحلاته بها، ويرجع إليها ليبدأ رحلات جديدة.

أول الكارزين فيها بالإنجيل هم الذين تشتتوا بسبب الضيق بعد استشهاد القديس استفانوس، هذا الضيق الذي قام منذ حوالي خمس أو ست سنوات كما يقدر البعض. هكذا حول الله غضب الإنسان وعنفه بركة لكثيرين ومجدًا له في بلاد كثيرة. لقد نفذ المؤمنون وصية السيد المسيح أنهم متى اضطهدوهم يهربون من مدينة إلى أخرى، لكنهم وهم هاربون حملوا معهم الشركة الحية مع الله والشهادة لإنجيل المسيح أينما حلوا. لم يسيطر عليه الخوف من الضيق أو حتى الموت، بل شهوة الحب نحو البشرية لخدمتهم في المسيح يسوع. إذ نجحت الخدمة في اليهودية والسامرة والجليل خرجوا إلى ما وراء حدود كنعان ليكرزوا في فينيقية وجزيرة قبرص وسوريا. لكنهم كانوا يخدمون خلال مجامع اليهود فقط لاخوتهم اليهود، ويتركون الأمم، إما أن يتهودوا ثم يصيروا فيما بعد مسيحيين أو يبقوا كما هم.

"ولكن كان منهم قوم وهم رجال قبرسيّون وقيروانيّون،

الذين لمّا دخلوا إنطاكية

كانوا يخاطبون اليونانيين،

مبشّرين بالرب يسوع". [٢٠]

سبق فتحدث الإنجيلي لوقا عما سببه حوار استفانوس قبل استشهاده من ضيق شديد، فتشتت المؤمنون وصاروا يكرزون (أع ٨: ٤). هنا إذ يتحدث عن تأسيس كنيسة أنطاكية يبدأ بالحديث عن دور الذين تشتتوا، إذ انطلقوا نحو البحر وساروا شمالاً مارين بمدن الساحل الكبرى مثل بيروت Berytue وأرادوس ولاودكية Leodicea وهي غير لاودكية آسيا الصغرى، حتى بلغوا أنطاكية في سوريا، ثم أبحروا غربًا حتى بلغوا قبرص.

كانت أنطاكية بلد سورية يونانية تحمل الثقافة السريانية ومعها الهيلينية، تقع على نهر الأورنتس، تعتبر المدينة الرومانية الثالثة بعد روما في الغرب والإسكندرية في الشرق. بدأت بذار المسيحية تُغرس فيها بسبب يوم الخمسين.

أخذ بعض المؤمنين الذين جاءوا من جزيرة قبرص ومن قيروان (ليبيا) إلى إنطاكية اتجاها آخر في الكرازة، هؤلاء كرزوا لليونانيين في إنطاكية. فمع وجود جماعة ضخمة لليهود في إنطاكية، إلا أن إنطاكية كانت أولاً أممية ولها ثقافة يونانية.

كان من أهم القبروسيين القديس برنابا الذي باع حقلاً كان يملكه وأعطى ثمنه للرسل (أع ٤: ٣٦-٣٧).

ومن بين القيروانيين سمعان القيرواني الذي حمل صليب ربنا يسوع، وابناه اللذان انتشرت بواسطتهم المسيحية في أنطاكية: اسكندر وروفس (مر ٥: ٢١؛ رو ١٦: ٣١).

هؤلاء كانوا يهودًا يتكلمون اليونانية لذلك دُعوا باليونانيين تجاوزًا.

يرى البعض أن كلمة "**اليونانيين**" هنا لا تعني اليهود الذين لهم ثقافة يونانية، بل اليونانيين من الأمم. وكأنه في إنطاكية ظهر فريقين فريق قادم من أورشليم واليهودية يكرزون في المجامع لليهود وللدخلاء من الأمم، وفريق قادم من قبرص وقيروان يكرزون بين اليونانيين الأمميين.

"وكانت يد الرب معهم،

فآمن عدد كثير،

ورجعوا إلى الرب". [٢١]

رافقتهم القوة الإلهية في كرازتهم، "**وكانت يد الرب معهم**"، وكما يفسر البعض أن هذا التعبير يشير إلى عمل آيات وعجائب تسند كرازتهم (مر ١٦: ٢٠)، إذ كان الرب يعمل معهم وبهم. غير أن ما هو أعظم أن روح الله القدوس كان يعمل في قلوب السامعين فيتقبلوا كلمة الإنجيل ويتجاوبوا معها. كان روح الله ينقش الكلمة في قلوبهم، ويفتح بصيرتهم الداخلية لإدراك أسرارها.

كانت الكنيسة في أنطاكية تقف في الوسط بين كنيسة أورشليم التي ركزت بالأكثر على العبرانيين، وكنيسة الأمم التي كرز بها الرسول بولس وقد ركزت على الأمم، أما كنيسة أنطاكية فركزت على اليونانيين الأتقياء خائفي الرب، وهم يهود يتكلمون اليونانية. كان لها طابعها التقوي التقليدي، لذلك بذلت محاولات كثيرة لتهويد المسيحيين. ودخلت في صراع شديد مع القديسين بولس وبرنابا اللذين كانا يكرزان بين الأمم. حتى أدى الأمر إلى عقد مجمع في أورشليم لحسم الخلاف.

يعتبر القديس بطرس هو أول أسقف لأنطاكية، وكان منحازًا لليهود المسيحيين ظاهريًا، لكنه بقلبه كان يميل إلى المسيحيين الأممين مما ألزم القديس بولس إلى مقاومته في هذا الأمر.

٥. القدّيس برنابا في إنطاكيّة

"فسمع الخبر عنهم في آذان الكنيسة التي في أورشليم،

فأرسلوا برنابا لكي يجتاز إلى إنطاكية". [٢٢]

أرسلت الكنيسة الأم في أورشليم برنابا لكي يثبت الكنيسة الناشئة هناك، كما سبق فأرسلت بطرس ويوحنا لتثبيت العمل الجديد في السامرة (أع ٨: ١٤-١٧)

اختيار برنابا دون أي رسول آخر يكشف عن حكمة الرسل، فإنه قبرصي يوناني، كان صالحًا وممتلئًا من الروح القدس والإيمان وسبق له الخدمة بين الأمم، لن يدخل في منازعات الختان والناموس، لذلك فهو أقدر على الخدمة هناك بين اليونانيين. ولعل كنيسة أورشليم وقد أدركت نمو الخدمة بين الأمم خشت أن تفقد صلتها بكنيسة الأمم.

"الذي لمّا أتى ورأى نعمة اللَّه،

فرح ووعظ الجميع أن يثبتوا في الرب بعزم القلب". [٢٣]

أرسلت برنابا لتشجيع الكارزين والمؤمنين، ولكي تكشف عن فرحتها بعمل الله وسطهم. تتهلل الكنيسة بنجاحٍ عمل الرب خاصة في الأماكن التي لم تكن تتوقعها، فإنه ليس ما يفرح قلب الكنيسة مثل رؤيتها للنفوس وقد تركت الخطية والتصقت بالرب.

"**يثبتوا في الرب**"، فإذ ينضم الإنسان إلى الكنيسة تلاحقه التجارب، ويصب عدو الخير الضيقات عليه، لكي ينتزعه من الإيمان، يأسره في عدم الإيمان. لهذا فإن عمل الكنيسة هو تثبيت المؤمن في الرب، لتكون له معه شركة لا تقدر قوات الظلمة أن تفسدها.

"**بعزم القلب**": أي يكون للمؤمن الذهن الثابت والقلب الملتهب. فلا ينحرف عن خطة الله من نحوه (رو ٨: ٨؛ أف ١: ٣؛١١: ٢؛١١ تي ١: ٣؛٩: ١٠). يشير عزم القلب إلى وضوح الهدف والثبات فيه دون انحراف أو تردد، فيبقى الإنسان مخلصًا في إيمانه.

"لأنه كان رجلاً صالحًا،

وممتلئًا من الروح القدس والإيمان،

فانضم إلى الرب جمع غفير". [٢٤]

إذ رأى عمل النعمة الإلهية في حياة الناس تهللت نفسه جدًا، والتهب قلبه فصار يعظهم ويثبتهم في الرب بشدة وقوة.

كلمة "برنابا" معناها "ابن الوعظ"، كان قلبه الممتليء بالفرح والحامل روح القوة يشدده لمسانده الكثيرين بكلمات النعمة.

v إن وُجد أي شيء يُدعى صالحًا في الكتاب المقدّس مثل ملاك (طو ٥: ٢١) أو إنسان (مز ٣٧: ٢٣؛ ١١٢: ٥)، أو عبد (سيراخ ٧: ٢١)، أو كنز (طو ٤: ٩؛ لو٦: ٤٥)؛ أو قلب صالح (يهوديت ٨: ٢٨)، أو شجرة صالحة (٢ مل ٣: ١٩؛ مت ٧: ١٧-١٩)، هذه كلّها تُدعى هكذا باستخدام غير دقيق للكلمة، لأن الصلاح الذي فيهم عرضي وليس جوهريًا.

العلامة أوريجينوس

٦. القدّيس برنابا يطلب شاول

"ثم خرج برنابا إلى طرسوس ليطلب شاول،

ولمّا وجده جاء به إلى إنطاكية". [٢٥]

استخدمه الرب للعمل لتثبيت الذين في الداخل، ولجذب الذين في الخارج. كان يعمل لبنيان المؤمنين ولجذب غير المؤمنين. أما سرّ نجاحه فهو:

١. كان رجلاً صالحًا، فالله القدوس يُسر بأن يعمل خلال القديسين الذين تجاوبوا مع روحه القدوس بروح الحب والوداعة والتواضع والعذوبة.

٢. كان ممتلئًا من الروح القدس. لم يكن فقط محبًا ومتواضعًا، لكنه كان خاضعًا لقيادة روح الله الذي يملأ إنسانه الداخلي ويهبه ثماره.

٣. كان ممتلئًا من الإيمان المستقيم: له ملء الثقة في الحق الإلهي ووعود الله الصادقة. فلا يعتمد على قدراته ومواهبه، ولا على بره الذاتي وقداسته، بل على قوة الله ووعوده.

v جاء إلى المصارع القوي، القائد (اللائق بقيادة جيوش)، المقاتل في معركة منفردة، الأسد؛ تنقصني الكلمات التي أريدها: كلب الصيد، قاتل الأسود، الشبيه بالثور في القوة، سراج البهاء، الفم القادر على الحديث مع العالم.

القديس يوحنا الذهبي الفم

لعل نجاح القديس برنابا في خدمته بين الأمم ألهب قلبه للبحث عن شاول الذي دُعي لخدمة الأمم، حتى يعملا معًا. فالخادم الناجح يبحث دومًا عمن يعمل معه، طالبًا لا مجد ذاته، بل بنيان ملكوت الله على الأرض.

"فحدث أنهما اجتمعا في الكنيسة سنة كاملة،

وعلّما جمعًا غفيرًا،

ودُعي التلاميذ مسيحيين في إنطاكية أولاً". [٢٦]

إذ وجده أخذه معه إلي إنطاكية، فقضيا معًا سنة كاملة، وهي تعتبر مدة طويلة بالنسبة لخدمة القديس برنابا أو القديس بولس، فقد شعرا بأهمية العمل هناك لتكون مركز إشعاع روحي قوي لخدمة الأمم في آسيا وأوروبا.

فرح برنابا، إذ عبر أبواب كيليكية التي تفصل بين الأقليم شمالاً وسوريا جنوبًا، حيث التقى بشاول الطرسوسي ليرجع به إلى أنطاكية، وكانا يعملان معًا في أنطاكية لمدة سنة كاملة. ارتبط الاثنان بصداقة حميمة في الرب، فالاثنان يحملان ذات الفكر من جهة غيرتهما وشوقهما للكرازة بين الأمم، وعدم الاستعباد لحرف الناموس القاتل. عمل معًا حيث التهبت الخدمة هناك، وشعر الرسولان ضرورة بدء اشعال العالم كله بنار الروح القدس ونور المسيح.

مع اهتمام القديس بولس بإنشاء كنائس جديدة في مناطق كثيرة، وكثيرًا ما كان هذا يكلفه خدمة يوم أو يومين أو أسابيع قليلة، كان يهتم أيضًا بإنشاء مراكز عمل يقضي فيها بعض سنوات. فقد قضى في أفسس ثلاث سنوات (أع ٢٠: ٣١)، وسنة ونصف في كورنثوس (أع ١٨: ١١).

رأى القديس لوقا أن يسجل حدثًا هامًا وهو دعوة المؤمنين لأول مرة "مسيحيين" في إنطاكية، لأنهم اتباع السيد المسيح. من الذي دعاهم هكذا؟ هل دعاهم أعداؤهم هكذا لتمييزهم كجماعة تُنسب ليسوع المسيح في نوعٍ من الاستخفاف، أم دعا التلاميذ أنفسهم هكذا كاعتزاز بشخص ربنا

يسوع، ولكي يحمل اللقب مفهومًا لاهوتيًا وهو أن الإيمان المسيحي هو شركة مع السيد المسيح؟ غالبًا ما أراد اليونانيون المتنصرون أن يحملوا اسم المسيح كنوع من الاستقلال حيث كان كثيرون يتطلعون إلى التلاميذ كجماعة يهودية وليست دينًا مستقلاً. لقد أراد الأنطاكيون في صراعهم مع الذين هم من أهل الختان أن يتخلصوا من العادات اليهودية. في كل الأحوال لقد حمل اللقب تمييزًا خاصًا بهم، أنهم أتباع السيد المسيح، لهم سماتهم الخاصة ومشاعرهم وتعاليمهم ورجاؤهم الخاص، حتى وإن اختلفوا فيما بينهم من جهة الجنسية أو اللغة أو الثقافة.

كلمة "**دعوا**" في الأصل اليوناني معناها ليس مجرد لقب أو اسم، وإنما الالتزام بقيام بعملٍ لائقٍ، فمن يخدم القضاء يدعى قاضيًا. ومن يتبع المسيح ويتمتع بالشركة معه يُدعى مسيحيًا.

كثيرًا ما تُدعى جماعات معيّنة على اسم المعلم الذي يقودهم، فالأفلاطونيّون مدينون لأفلاطون بتعاليمه، وأيضًا الآبيقوريّون لآبيقور الخ. أمّا بالنسبة للسيّد المسيح، فالمسيحيّون يدينون له، ليس فقط بتعاليمه، وإنّما بحلوله فيهم، حيث يثبتون فيه وهو فيهم. يتمتّع المسيحيّون بالشركة مع مسيحهم، بالاتّحاد معه كرأسٍ للجسد الواحد.

حقًا، لقد دعوا قبلاً **تلاميذ** بكونهم يتتلمذون على يديه ويسلكون حسب منهجه، كما دُعوا **قدّيسين** لأنّهم يعتزّون ببرّه وقداسته حيث يسلكون كأيقونة له. ودُعوا أيضًا **مؤمنين**، لإيمانهم به، ويُدعون **كنيسته** لأنّهم شعبه الحال في وسطهم. وكان المقاومون لهم يدعونهم **الناصريّين** نسبة إلى يسوع الناصري للاستهانة به وبهم، وأيضًا **الجليليّين** لأن التلاميذ كانوا من الجليل غير متعلّمين. ودُعوا أيضًا **أصحاب الطريق**، وربّما دعوهم **مسيحيّين**. على أي الأحوال إنّنا نعتزّ بهذا اللقب، فهو في أعيننا لقب مجيد نفخر به، وهبة أنعم بها علينا إلهنا. وقد ورد في العهد الجديد ثلاث مرّات: هنا وفي أع٢٦: ٢٨؛ ١بط٤: ١٦.

إدراكنا أن اسم يسوع المسيح يحمل قوّته ويمثّل حضوره الإلهي يجعلنا بالأكثر نعتزّ بهذا اللقب.

v إنك تدعوني مسيحيًا، كما لو كان هذا الاسم لعنة لمن يحمله، أما من جهتي فإنني أجاهر بأني مسيحي، وأحمل هذا الاسم المحبوب لدى الله، راجيًا أن يكون في ذلك خدمة الله.

v أما عن سخريتك بي بدعوتي مسيحيًا، فأنت لا تعرف ما تقول: أولاً لأن ما يُمسح فهو حلو وخادم وبعيد عن ما هو مزدري به... أية سفينة يمكن أن تستخدم وتتأهل للإبحار ما لم تُدهن (بالقار) أولاً؟ وأية قلعة أو منزل يكون جميلاً أو نافعًا ما لم يُدهن؟... ونحن نُدعي مسيحيين لأننا نُمسح بدهن الله.

القديس ثيؤفيلس الأنطاكي

٧. إنطاكيّة تسند أورشليم

"وفي تلك الأيام انحدر أنبياء من أورشليم إلى إنطاكية". [٢٧]

بينما كان القديسان برنابا وبولس في إنطاكية جاء أنبياء من أورشليم. غالبًا ما يقصد بالأنبياء المعلمين الذين يكرزون بالأمور السماوية المستقبلية، وليس بالضرورة يتنبأون عن أحداث زمنية مقبلة، إنما بالأكثر قادرون على تفسير الأسرار السماوية. كان الروح القدس يكشف لهم أحيانًا عن أحداث مقبلة تمس كيان الكنيسة والكرازة، لا لاستعراض معرفتهم، وإنما لأجل بنيان النفوس، ولمعالجة بعض المتاعب كما سنرى هنا عن تنبوء أغابوس عن المجاعة التي تسود

المسكونة. هؤلاء غالبًا ما سمعوا عن نجاح الخدمة في إنطاكية فشعروا بالالتزام للعمل في مساندة القديسين برنابا وبولس.

هنا يبدأ القديس لوقا موضوع اتصال كنيسة أنطاكية بكنيسة أورشليم على أثر المجاعة.

"**انحدر أنبياء من أورشليم**": تحدث سفر الأعمال عن وجود أنبياء في كنيسة العهد الجديد (أع ١٣: ١؛ ١٥: ٣٢؛ ٢١: ١٠) بينما كانت النبوة منقطعة عن إسرائيل بعد العودة من السبي البابلي. جاء في سفر المكابيين الأول: "فوضعوا الحجارة (الخاصة بمذبح المحرقة المهدم) في وضعٍ لائقٍ به إلى أن يأتي نبي ويجيب عنها" (١ مك ١: ٤٦)، فحل بإسرائيل ضيق عظيم لم يحدث مثله منذ لم يظهر فيهم نبي" (١ مك ٩: ٢٧). "وأن كهنتهم قد حسن لديهم أن يكون سمعان رئيسًا وكاهنًا أعظم مدى الدهر إلى أن يقوم نبي أمين" (١ مك ١٤: ٤١). ظهرت النبوة في العهد الجديد تتمثل أولاً في الشهادة للسيد المسيح بالروح القدس الساكن فيهم، وأن يعلنوا عن الحق الإلهي، ويخبروا بأمور مستقبلية لبناء ملكوت الله.

يعلق **أمبروسياستر** على قول الرسول بولس: "فوضع اللَّه أُناسًا في الكنيسة أولاً رسلاً، ثانيًا أنبياء، ثالثًا معلّمين..." (١كو١٢: ٢٨)، قائلاً: [وضع بولس الرسول الرسل على رأس الكنيسة... يوجد نوعان من الأنبياء، أولئك الذين يتنبّأون عن المستقبل، والذين يفسّرون الأسفار المقدّسة. الرسل أيضًا هم أنبياء، لأن الرتبة العُليا تضم فيها كل ما هو تحتها. حتى الأشرار مثل قيافا نطق بنبوّات خلال قوّة (سلطان) الرتبة، وليس لفضيلةٍ ما فيه (يو١١: ٤٩-٥١).]

"وقام واحد منهم اسمه أغابوس،

وأشار بالروح أن جوعًا عظيمًا

كان عتيدًا أن يصير على جميع المسكونة،

الذي صار أيضًا في أيام كلوديوس قيصر". [٢٨]

أشار كثير من المؤرخين الرومانيين إلى هذه المجاعة التي حلت في السنة الثانية لمُلك كلوديوس قيصر، واستمرت حتى السنة الرابعة ما لم يكن إلى أكثر من هذا.

لقد بعث الله للعالم خبز الحياة، بل جاء كلمة الله نفسه متجسدًا كي يشبع النفوس، وإذ رفضوه حلت المجاعة، إذ صارت الأرض قحطًا. في القديم، تنبأ يوسف عن المجاعة وكانت الحاجة ملحة لإنشاء مخازن قمح لأجل إشباع الكثيرين أثناء السبع سنوات التي للجفاف. أما الآن فإذ يعلن أغابوس عن المجاعة، فالحاجة مُلحة، لا إلى بناء مخازن، بل إلهاب القلوب بالحب والحنو على الآخرين، هذا الذي يهب شبعًا لمن يعطي ولمن يأخذ، يفرح الأغنياء مع المحتاجين من أجل كنوز الحب العملي، فتتبارك الأرض (مز ٤١: ١-٢).

ذكر أغابوس أيضًا في أع ٢١: ١٠-١١ إذ تنبأ لبولس الرسول عما سيحل به من الأمم.

"**جميع المسكونة**"، غالبًا ما تشير إلى العالم المسكون، أي الجزء من الأرض الذي يسكنه بشر ويستخدمونه، أحيانا يُستخدم بمعنى كل منطقة اليهودية أو جميع منطقة دولة ما.

كلوديوس قيصر: بدأ حكمه عام ٤١م، ملك لمدة ١٣ عامًا، وأخيرًا مات مسمومًا بواسطة إحدى زوجاته أغربينا لكي يستلم ابنها نيرون العرش. كانت أيام حكمه مليئة بالقلاقل والمحن التي رافقتها أيام قحط وجوع، ربما بسبب اضطهاده التي أخّلت بالنظام والأمن مع فساد الحكم وانهيار اقتصاديات البلاد. أثناء حكمه حدث على الأقل أربع مجاعات أشار إليها الكتّاب لقدامى إحداها كانت مجاعة قاسية للغاية حلت في اليهودية ؛ غالبًا هذه هي ما يشير إليها الكتاب المقدس هنا.

١. المجاعة الأولى في روما، حدثت في السنة الأولى أو الثانية من ملك كلوديوس، سببها صعوبة استيراد المئونة من الخارج.

٢. المجاعة الثانية حدثت على وجه الخصوص بطريقة عنيفة في اليونان، يقول يوسابيوس إنها حدثت في السنة التاسعة من حكم كلوديوس.

٣. المجاعة الثالثة في الفترة الأخيرة من حكمه عام ٥١م، حدثت في روما، أشار إليها سوتينوس وتاكيتوس الذي اعتبرها تأديبًا إلهيًا.

٤. المجاعة الرابعة: حدثت على وجه الخصوص في اليهودية. قال يوسابيوس إنها كانت عنيفة، وهي في أيام كلوديوس، وقد مات كثيرون بسبب قلة الطعام. أرسلت الملكة هيلينا بعض خدمها إلى الإسكندرية ليشتروا قمحًا، وآخرين إلى قبرص لشحن تين مجفف.

يقول **القديس يوحنا الذهبي الفم** أن رجال أنطاكية لم ينتظروا حتى تحل المجاعة، بل تحركوا قبل أن تحدث، أرسل كل واحدٍ حسبما تيسر.

كثيرًا ما يتحدث الآباء عن الجمع للفقراء أنه نافع للفريقين للذي يعطي، إذ العطاء غذاء للنفس، يهبها النمو والنضوج الروحي، ونافع للمحتاجين حيث ينالوا احتياجاتهم المادية.

v هذا الجمع له نفع مزدوج، فإنه يعين القديسين المذكورين بعالية (١ كو ١٦: ١)، ويعين الشعب الفقير الذي في الكنيسة

أمبروسياستر

يئن **القديس يوحنا الذهبي الفم** لأن الكنيسة في عصره لم تفعل ما فعله رجال أنطاكية، فمع وجود مجاعة أكثر خطرًا إلا أنه ليس من يبالي بها. ما هي هذه المجاعة؟ يقول: [توجد مجاعة لها جانبان، كما يوجد فيض له جانبان. إنها مجاعة قاسية، مجاعة ليس في الاستماع لكلمة الرب، بل مجاعة للانتعاش بالصدقة. فقد انتفع كل من الفقراء في اليهودية والمتيسرين في إنطاكية الذين قدموا مالاً. نعم، لقد انتفع هؤلاء أكثر من أولئك، أما الآن، فإننا نحن فقراء، في جوع. الفقراء في عوزٍ إلى الضروريات، ونحن في (مجاعةٍ حيث) نمارس الحياة المترفة التي تنقصها رحمة الله. وهذا (العطاء) هو طعام ضروري ليس أكثر من أي شيء آخر. إنه طعام به تُزال تخمة الشرور... ليس شيء أكثر جمالاً ولا أكثر صحة من النفس التي تنتعش بهذا الطعام. فإنها ترتفع فوق كل مرضٍ وكل وباءٍ وكل سوء هضمٍ وكل فسادٍ. ليس من يقدر أن يغلبها. هكذا كما أنه إذا كان جسد شخص ما مصنوعًا من الماس فإنه لا يستطيع الحديد أو أي شيء آخر أن يحمل قوة لأذيته، هكذا النفس التي تندمج تمامًا مع الصدقة ليس شيء قط يقدر أن يقهرها.]

v أي شيء أكثر عريًا من ذاك الغني الذي كان يلتحف بالأرجوان؟ ومن كان أكثر فقرًا من لعازر؟ ومع هذا فمن الذي كان ينطق بكلمات الشحاذين؟ من منهما كان في فيض؟ قولوا لي: إن

زين أحد بيته بفيض من الستائر الفاخرة، بينما هو في الداخل يجلس عريانًا، فما المنفعة؟ هذا هو حال هؤلاء النسوة (اللواتي يلبسن الثياب الفاخرة ويتجاهلن الفقراء). حقًا إن الجسد هو بيت النفس، يزينونه بالثياب الفاخرة، وأما سيدة البيت فجالسة في الداخل عارية. أقرضني عيني النفس، وأنا أريك عري النفس. فما هو ثوب النفس؟ حتمًا الفضيلة. وما العري؟ الرذيلة... لنرتدي مجد المسيح، ولنلتحف بذاك الجمال، فنُمدح هنا، وننال البركات الأبدية بنعمة ورحمة ربنا يسوع المسيح الذي له المجد والسلطان والكرامة مع الآب والابن إلى أبد الأبد وإلى انقضاء الدهر.

القديس يوحنا الذهبي الفم

يبدو أن لوقا البشير كان في أنطاكية في ذلك الحين، إذ جاء في النسخة المسماة بيزا Beza Text "نطق بنبوته هذه ونحن مجتمعون". جاء في التقليد الكنسي أن لوقا البشير كان مواطنًا أنطاكيًا. جاء في مقدمة تفسير إنجيل لوقا (سنة ١٧٠) في الوثيقة المضادة للهرطوقي مارقيون: "إن لوقا كان مواطنًا أنطاكيًا من سوريا"، ويشير كل من يوسابيوس القيصري **والقديس چيروم** إلى هذه الحقيقة.

"فحتم التلاميذ حسبما تيسر لكل منهم،

أن يرسل كل واحد شيئًا،

خدمة إلى الإخوة الساكنين في اليهودية". [٢٩]

أخذ الكل النبوة كأمرٍ صادرٍ من الله، وفي جدية جمعوا من الكل، حسب إمكانيات كل واحدٍ منهم. لم يذكر أن الأغنياء هم الذين ساهموا في العطاء للمحتاجين، إنما ساهم كل واحدٍ قدر إمكانياته، ليمارس الكل حياة الشركة القائمة على الحب والوحدة.

"ففعلوا ذلك،

مرسلين إلى المشايخ بيد برنابا وشاول". [٣٠]

يرى كثير من الدارسين إن هذه الرحلة التي قام بها الرسولان لخدمة فقراء اليهودية هي التي أشير إليها في غل ٢: ١.

جاءت كلمة "**الشيوخ**؟ في اليونانية تعني كهنة كبار في السن. هذه هي المرة الأولى التي يشار فيها إلى الكهنة في سفر الأعمال.

واضح أن برنابا وشاول بعثا بهذه الارسالية بيد رؤساء الشعب (الأراخنة من الشعب) قبل بدء المجاعة، أما الرسولان فاحتفظا بخدمة الكلمة (أع ٦: ٢).

لقد عانت الكنيسة من متاعبٍ ماديةٍ حتى في غير وقت المجاعة، وقد اهتمت الكنائس في الأمم بفقراء أورشليم، فكانت تسند الكنيسة الأمم ماديًا (غل ٢: ١٠)، وهذا ما اعتنى به الرسول بولس (١كو ١٦: ١)، وقد أشار القديس بولس إلى ذلك في خطابه أمام فيلكس الوالي: "وبعد سنين كثيرة جئت أصنع صدقات لأمتي وقرابين..." (أع ٢٤: ١٧).

من وحي أعمال الرسل ١١

لأفرح بعطيّتك لكلك نفس!

- هب لي بروحك القدّوس أن أشاركك حبّك لكل البشر.

مشتهيًا بالحق أن يتمتّع العالم كلّه بشركة مجدك.

- انزع عنّي الفكر الضيّق،

حتى لا يقتلني الحرف الجامد.

بل أبقى متهلّلاً مع كل الكنيسة بامتداد ملكوتك.

- روحك القدوس عجيب في عطاياه.

يعمل في حياة الكثيرين بلا انقطاع.

أعطيت الرسول بطرس حكمة، فكسب ناقديه.

رفعهم بالحكمة والنعمة فوق الحرف.

وكشف لهم عن عملك العجيب وسط الأمم.

حوّل نقدهم وخصومتهم إلى تسبحة مجد لك.

لم يسعَ أن يبرّر نفسه،

لكنّه سعى أن يمجّدك في حبّك للكل!

عِوض مرارة الخصومة، صار لهم روح الفرح والتهليل!

لم يتحدّث معهم من مركز صاحب سلطان،

ولا حاور معهم كمتّهمٍ،

لكنّه بالحب الصادق والتواضع أعلن لهم أسرار حبّك.

- أعطيت الرسول برنابا غيرة متّقدة.

لم يطلب ما لنفسه، بل ما هو لك.

سعى بجدّيّة، فاجتذب شاول ليعمل معه.

خدما معًا سنة كاملة في أنطاكية.

بحبّهما المشترك لك وللنفوس صارت أنطاكية مدينة اللّه العظيمة.

تحوّلت إلى مركز يشع بنورك على أممٍ كثيرة.

- في تهليل نسب المؤمنون أنفسهم لك.

حسبوا أنفسهم غير أهلٍ أن يُدعوا مسيحيّين.

وفي سخريّة دعاهم المقاومون بذات الاسم كمن هم في عارٍ.

تهلّل المؤمنون كمن هم في مجدٍ لا يُعبّر عنه.

وفي جهالة عاش المقاومون يفسدون حياتهم.

- أنطاكية الأممية فتحت قلبها لأورشليم.

قدّمت مع مالها حبّها للفقراء القدّيسين.

قدّمت مالاً للغير، وتسلّمت شبعًا من واهب العطاء.

وهي تعطي أخذت من خالق السماء،

وهي تحب ذاقت الحب الإلهي الفائق.

١ فسمع الرسل و الاخوة الذين كانوا في اليهودية ان الامم ايضا قبلوا كلمة الله
٢ و لما صعد بطرس الى اورشليم خاصمه الذين من اهل الختان
٣ قائلين انك دخلت الى رجال ذوي غلفة و اكلت معهم
٤ فابتدا بطرس يشرح لهم بالتتابع قائلا
٥ انا كنت في مدينة يافا اصلي فرايت في غيبة رؤيا اناء نازلا مثل ملاءة عظيمة مدلاة باربعة اطراف من السماء فاتى الي
٦ فتفرست فيه متاملا فرايت دواب الارض و الوحوش و الزحافات و طيور السماء
٧ و سمعت صوتا قائلا لي قم يا بطرس اذبح و كل
٨ فقلت كلا يا رب لانه لم يدخل فمي قط دنس او نجس
٩ فاجابني صوت ثانية من السماء ما طهره الله لا تنجسه انت
١٠ و كان هذا على ثلاث مرات ثم انتشل الجميع الى السماء ايضا
١١ و اذا ثلاثة رجال قد وقفوا للوقت عند البيت الذي كنت فيه مرسلين الي من قيصرية
١٢ فقال لي الروح ان اذهب معهم غير مرتاب في شيء و ذهب معي ايضا هؤلاء الاخوة الستة فدخلنا بيت الرجل
١٣ فاخبرنا كيف راى الملاك في بيته قائما و قائلا له ارسل الى يافا رجالا و استدع سمعان الملقب بطرس
١٤ و هو يكلمك كلاما به تخلص انت و كل بيتك
١٥ فلما ابتدات اتكلم حل الروح القدس عليهم كما علينا ايضا في البداءة
١٦ فتذكرت كلام الرب كيف قال ان يوحنا عمد بماء و اما انتم فستعمدون بالروح القدس
١٧ فان كان الله قد اعطاهم الموهبة كما لنا ايضا بالسوية مؤمنين بالرب يسوع المسيح فمن انا اقادر ان امنع الله
١٨ فلما سمعوا ذلك سكتوا و كانوا يمجدون الله قائلين اذا اعطى الله الامم ايضا التوبة للحياة

١٩ اما الذين تشتتوا من جراء الضيق الذي حصل بسبب استفانوس فاجتازوا الى فينيقية و قبرس
و انطاكية و هم لا يكلمون احدا بالكلمة الا اليهود فقط
٢٠ و لكن كان منهم قوم و هم رجال قبرسيون و قيروانيون الذين لما دخلوا انطاكية كانوا
يخاطبون اليونانيين مبشرين بالرب يسوع
٢١ و كانت يد الرب معهم فامن عدد كثير و رجعوا الى الرب
٢٢ فسمع الخبر عنهم في اذان الكنيسة التي في اورشليم فارسلوا برنابا لكي يجتاز الى انطاكية
٢٣ الذي لما اتى و راى نعمة الله فرح و وعظ الجميع ان يثبتوا في الرب بعزم القلب
٢٤ لانه كان رجلا صالحا و ممتلئا من الروح القدس و الايمان فانضم الى الرب جمع غفير
٢٥ ثم خرج برنابا الى طرسوس ليطلب شاول و لما وجده جاء به الى انطاكية
٢٦ فحدث انهما اجتمعا في الكنيسة سنة كاملة و علما جمعا غفيرا و دعي التلاميذ مسيحيين في
انطاكية اولا
٢٧ و في تلك الايام انحدر انبياء من اورشليم الى انطاكية
٢٨ و قام واحد منهم اسمه اغابوس و اشار بالروح ان جوعا عظيما كان عتيدا ان يصير على
جميع المسكونة الذي صار ايضا في ايام كلوديوس قيصر
٢٩ فحتم التلاميذ حسبما تيسر لكل منهم ان يرسل كل واحد شيئا خدمة الى الاخوة الساكنين في
اليهودية
٣٠ ففعلوا ذلك مرسلين الى المشايخ بيد برنابا و شاول

الأصحاح الثاني عشر

هيرودس أم بطرس الرسول؟

انتهت الخصومة في داخل كنيسة أورشليم إلى تقديم ذبائح شكر وتسبيح للّه الذي فتح أبواب الإيمان للأمم. وازدهرت الخدمة في إنطاكية على يديّ القدّيسين برنابا وشاول، وصارت أنطاكية سندًا لأورشليم في احتياجاتها الماديّة. الآن جاءت الحرب من الخارج حيث مدّ هيرودس الملك يده فقتل يعقوب الرسول. ظنّ أنّه قادر أن يقتل بقيّة الرسل، فسجن بطرس أثناء عيد الفصح ليقتله، لكن الرب أنقذ بطرس بصلوات الكنيسة المجتمعة معًا تصلّي بلجاجة، وضرب ملاك الرب هيرودس المتعجرف.

١. هيرودس يقتل الرسول يعقوب ١-٢.

٢. سجن بطرس الرسول ٣-٥.

٣. خلاص بطرس من السجن ٦-١١.

٤. القدّيس بطرس في العُلّية ١٢-١٧.

٥. اضطراب العسكر ١٨-١٩.

٦. ملاك الرب يضرب هيرودس ٢٠-٢٥.

١. هيرودس يقتل الرسول يعقوب

تحركت السماء لفتح باب الإيمان أمام الأمم لكي يتمتع العالم كله بالخلاص. فتمتع بطرس الرسول برؤيا سماوية ليخرج من دائرة الحرفية اليهودية ويذهب يبشر كرنيليوس، وهو ضابط أممي، هو وأهل بيته. كما تمتع شاول الطرسوسي برؤية السيد المسيح نفسه ليعده إناءً مختارًا للكرازة بين الأمم. لم يحتمل عدو الخير ذلك، فأثار هيرودس الملك، فمد يده وقتل يعقوب الرسول أسقف أورشليم، وأراد أن يمد يده على بقية الرسل.

منذ اهتداء شاول الطرسوسي إلى الإيمان. لم نسمع عن موجات اضطهاد عنيفة في أورشليم ضد القديسين. الآن ظهرت موجة من جانب آخر، أي من السلطات المدنية.

"وفي ذلك الوقت مد هيرودس الملك يديه،

ليسيء إلى أناس من الكنيسة". [١]

هيرودس أغريباس: وهو ابن أرستوبولس Aristobulus الحفيد الأكبر لهيرودس الكبير من المدعوة مريمن Mariammne، أحدى الأميرات الحشمونيات. وُلد سنة ١١ ق.م.، وذهب إلى روما مع أمه ليتعلم هناك بعد إعدام أبيه أرستوليوس سنة ٧ ق.م. كوَّن صداقة مع أفراد عائلة الإمبراطور، وخاصة مع غايس كاليجولا Caligula ابن أخت الإمبراطور طيباريوس. وإذ صار غايس إمبراطورًا عام ٤٧م منحه المناطق التي كانت تحت حكم فيلبس وليسانيوس في شمال سورية (لو ٣: ١)، كما منحه لقب "ملك". بعد سنتين أضاف إليه أعمال مناطق الجليل وبيريه.

بعد اغتيال غايس صار كلوديوس قيصر إمبراطورًا في سنة ٤١م، فأضاف إلى الملك أغريباس منطقة اليهودية وأراضي باتانيا Batania وتراخونيتس Trachonitis والجليل والسامرة.

تقول المشناة إنه اجتذب مشاعر اليهود لما قام في أحد الأعياد اليهودية ومسك التوراة وقرأ قانون تدبير المملكة (تث ١٧: ١٤-٢٠)، وكان عيد المظال، وكانت السنة سبتية حيث يتم فيها إراحة الأرض (لا ٢٥: ١-٧). ولما جاء نص الآية التي تقول: "لا يحل لك أن تجعل عليك رجلاً أجنبيًا ليس هو أخوك" (تث ١٧: ١٥) بكى بصوتٍ مسموعٍ لأنه ينتسب إلى عائلة أدومية، هي عائلة الهيرودسيين. تأثر الشعب إذ تذكروا أنه أيضًا من عائلة حشمونية يهودية مكابية فصرخوا: "لا تجزع، أنت أخونا أيضًا". اتسع مُلكه ليشمل جميع الأراضي التي كان يحكمها هيرودس الكبير جده.

كان من أعمامه أرخيلاوس (مت ٢: ٢٢) وهيرودس أنتيباس Herod Antipas الذي قطع رأس يوحنا المعمدان (مت ١٤: ١-١٢)، وكانت أخته هيروديا الراقصة.

مّد هيرودس يده على بعض المؤمنين، غالبًا من عامة الشعب، مع أثار مضيقات لهم كنوعٍ من جس النبض. وإذ رأى رضا اليهود وسرورهم بسلوكه هذا تطاول وارتكب جريمة قتل الرسول يعقوب بالسيف.

v هذا نوع جديد من المحن. لاحظوا ما قلته منذ البداية كيف امتزجت الأمور معًا، كيف اختلطت الراحة مع المتاعب معًا في نسيج التاريخ كله. الآن ليس اليهود ولا السنهدرين وإنما الملك يقاوم. قوة أعظم، وحرب أشد، وقد تم هذا لإرضاء اليهود... يا له من شر متزايد! لحساب من يرضيهم بارتكاب جرائمٍ كهذه بدون تدبيرٍ أو تعقلٍ؟

القديس يوحنا الذهبي الفم

"فقتل يعقوب أخا يوحنا بالسيف". [٢]

القديس يعقوب الرسول هو أول شهيد بين الرسل، أثرت حياته التقوية على السجان، فآمن بالسيد المسيح ونال الاستشهاد معه. وهو غير يعقوب بن حلفى، ويُدعى يعقوب الصغير الذي استشهد في عصر نيرون بواسطة حنان. لقد تحقق قول السيد المسيح له ولأخيه: "أما الكأس التي أشربها أنا فتشربانها، وبالصبغة التي أصطبغ بها أنا تصطبغان" (مر ١٠: ٣٩). إنه أحد أعمدة الكنيسة المعتبرين "بطرس ويعقوب ويوحنا".

لعل غيرته المتقدة للشهادة للسيد المسيح القائم من الأموات والكرازة بإنجيل الخلاص وعمله الرعوي الذي لا يخمد، هذا كله أثار هيرودس ليبدأ بقتله بالسيف. لم يرو لنا الإنجيلي لوقا شيئًا عن أحداث استشهاده كما فعل بالنسبة للاستشهاد استفانوس.

كان اليهود يوقعون عقوبة الموت بإحدى أربعة طرق، وهى الرجم أو الحرق أو القتل بالسيف أو الشنق. وكان قطع الرقبة بالسيف عقوبة يستخدمها اليهود كما الرومان، يشير إليها التلمود.

- فعل هذا بالرغم من التحذيرات غير المحصاة في حالتي جده ووالده هيرودس، كيف عانى الأول من مصائب كثيرة إذ قتل الأطفال، والأخير صار في حرب خطيرة إذ قتل يوحنا (المعمدان).

القديس يوحنا الذهبي الفم

٢. سجن بطرس الرسول

"وإذ رأى أن ذلك يُرضي اليهود،

عاد فقبض على بطرس أيضًا،

وكانت أيام الفطير". [٣]

استشهد القديس يعقوب أخي يوحنا سنة ٤٤م، وهي نفس السنة التي مات فيها هيرودس. استحسن اليهود قتل يعقوب الرسول، وإذ شعر هيرودس بذلك أراد أن يثبت دعائم ملكه على اليهود، فقبض على بطرس الرسول في أيام الفطير، كأنه يود أن يطهر الأمة اليهودية من خمير الشر، حتى يعيدوا الفصح بفرح. لكن الله لم يمهله حتى يقتل أيضًا بطرس الرسول. سمح الله باستشهاد يعقوب، ولم يحن وقت استشهاد بطرس، إذ بقيت له رسالة حتى ينال إكليل الشهادة على يد نيرون.

سفك دم القديس يعقوب لم يُشبع شوق هيرودس المحب لسفك الدماء بل زاده عطشًا لذلك. لذا بدأ يضع خطة لسلسلة من سفك دماء بقية قادة الكنيسة، فابتدأ بالقديس بطرس. هذا من سمات كل الخطايا، ليس من خطية يمكنها أن تحقق شبعًا للنفس، لكن مع بداية ممارسة الخطية، ولو في صورة بدائية، يصير للخطية الحق أن تسحب القلب والفكر وكل طاقات الإنسان لسلسلة من الممارسات لا تنقطع. ومع كل ممارسة تؤكد الخطية حقها في السيادة على قلب الإنسان وسلطانها

على توجيه إرادته حسبما تشاء! بل وكل خطية تحدر الإنسان إلى أسفل لتسلمه إلى خطية أخرى، ويبقى في تدحرج مستمر ما لم تسنده نعمة الله بالتوبة الصادقة.

"ولما أمسكه وضعه في السجن،

مسلِّمًا إيّاه إلى أربعة أرابع من العسكر ليحرسوه،

ناويًا أن يقدمه بعد الفصح إلى الشعب". [٤]

لم يكن ممكنًا أن يقتل بطرس في الحال إذ كانت أيام الفطير، وكانت المدينة مزدحمة من القادمين ليس فقط من اليهودية بل ومن دولٍ كثيرة. خشي أن يتعاطف معه اليهود الغرباء الذين يحملون نوعًا من التحرر من جهة حرف الناموس، خاصة وأنه وضع في خطته أن يحاكمه علانية، مقدمًا إياه للشعب.

إذ خشي أن يهرب بعد قتل يعقوب أمسكه، ووضعه في السجن تحت حراسة مشددة "أربعة أرابع من العسكر". وقدر ما كانت الأوامر مشددة بالحراسة صار الخلاص عجيبًا! وُضعت هذه الحيطة خشية أن يتعاطف معه أحد أعوان المسيحيين من العاملين في السجن فيخطط لهروبه.

v لم يهرب خادم الله، بل وقف بثباتٍ دون مرور أي فكر للخوف. صلَّت الكنيسة من أجله، أما الرسول فنام في السجن علامة أنه لم يكن في خوفٍ. أُرسل ملاك ليوقظه إذ نام، واقتاد بطرس خارج السجن، وهرب من الموت إلى حين.

القديس أمبروسيوس

"فكان بطرس محروسًا في السجن،

وأمّا الكنيسة فكانت تصير منها صلاة بلجاجة إلى اللَّه من أجله". [٥]

ماذا فعل السجن؟ وماذا أمكن للحراسة المشددة أن تعمل؟ لقد تزكى بطرس الرسول كإنسانٍ شجاعٍ يقبل الضيق بفرحٍ من أجل الرب، وتمتعت الكنيسة بحياة الصلاة بلجاجة، وتحركت السماء للعمل، وآمن حارس السجن وأهل بيته. كان النفع عجيبًا لحساب ملكوت الله!

شعرت الكنيسة بجدية عزم هيرودس على قتله، فالتهب قلب الكنيسة ليس خوفًا على موت بطرس، وإنما لكي يكمل رسالته، شعرت الكنيسة أن المعركة ليست بين الملك والقديس بطرس، بل بين مملكة المسيح وقوات الظلمة، لذا صارت تصلي بلجاجة إلى الله.

جاءت الكلمة اليونانية تعني **بغيرة متقدة**، وأيضًا **مثابرة**. هذا هو سلاح الكنيسة القوي، الصلاة الجماعية الحارة بلا انقطاع، خاصة وهي تحمل مع الإيمان بعمل الله وقدرته علي الخلاص رائحة الحب والتسليم، حب لله ولبعضهم البعض.

v إنها صلاة تصدر عن حب (بنوي) مُقدم من أبٍ، ومن أجل أبٍ لطيفٍ.

القديس يوحنا الذهبي الفم

يقول **القديس يوحنا الذهبي الفم** أن الجميع قدموا الصلاة بلجاجة دون دخول في مناقشات أو انقسامات، كما لم يستخف أحد بنفسه كيف يصلي من أجل الرسول، فإن الحب لن يسمح لمثل هذه الأفكار أن تتسلل إليهم.

v صلى دانيال، وصلاته سدت أفواه الأسود (دا ٦)، أغْلق الفم المفترس أمام جسد البار وعظامه... صلواته أيضًا ردت السبي بعد إتمام السبعين سنة (دا ٩: ٢٣). هكذا تسلح كل واحدٍ من آبائنا السابقين بسلاح الصلاة عندما قابلتهم شدائد، وبالصلاة خلصوا من الضيق.

الأب أفراهات

v يليق بنا ألا نقصر خدمتنا (صلواتنا) على أوقات معينة ثابتة للسواعي، بل أمرنا الرسول أن نصلي في كل حين (أف ٦: ١٨) بالروح، وأن نبقى ساهرين في الصلاة في كل لحظة، مصلين على الدوام بلا انقطاع. مرة أخرى يقول: "لتُعلم طلباتكم لدى الله" (في ٤: ٦) بكل أنواع الطلبة. "مواظبين على الصلاة" (رو ١٢: ١٢). "امتلئوا بالروح، مكلمين بعضكم بعضًا بمزامير وتسابيح وأغاني روحية، مترنمين ومرتلين في قلوبكم للرب" (أف ٥: ١٨-١٩). يحدثنا في كل موضع في رسائله بقوة أن نثابر على الصلاة، لأنه يعرف أن **الصلاة هي سلاح القدير للمسيحيين، وحصن منيع، يصير قويًا بالله. الصلاة تفعل ما تشاء، حسب قدرة (إرادة) الله. أنها تصدر أوامر على الأرض وترتد إلي السماء.**

الأب مارتيروس

يليق بنا الإشارة إلى الخط الواضح في إنجيل لوقا وأعمال الرسل ألا وهو الصلاة. فيقدم لنا لوقا الإنجيلي يسوع المسيح صديقًا لكل البشرية. هذه الصداقة التي قدم ثمنها مسيحنا، دمه على الصليب، تستلزم منا الحديث المستمر معه. نذكر على سبيل المثال:

* أثناء عماد السيد المسيح: "إذ كان **يصلي** انفتحت السماء" (لو ٣: ٢١)

* وقبل اختياره للتلاميذ الإثني عشر "خرج إلي الجبل **ليصلي**، وقضى الليل في **الصلاة** لله" (لو ٦: ١٢).

* وفي تجليه: "صعد إلى الجبل **يصلي**، وفيما هو يصلي صارت هيئة وجهه متغيرة" (لو ٩: ٢٨-٢٩).

* قدم السيد المسيح ثلاثة أمثال عن الصلاة: صديق نصف الليل (لو ١١: ٥-١٣)؛ القاضي الظالم والأرملة "ينبغي أن **يُصلي كل حين ولا** يُمل" (لو ١٨: ١-٨)؛ مثل الفريسي والعشار اللذين صعدا إلى الهيكل ليصليا (لو ١٨: ٩-١٣).

* عند حديثه عن نهاية الأزمنة ختم خطبته بالقول: "اسهروا إذًا **وتضرعوا في كل حين** لكي تُحسبوا أهلاً للنجاة من الجميع هذا المزمع أن يكون وتقفوا أمام ابن الإنسان" (لو ٢١: ٣٦).

أما سفر الأعمال فهو سفر **الكنيسة المثابرة على الصلاة**.

* هؤلاء كانوا يواظبون **بنفسٍ واحدة على الصلاة والطلبة"** (أع ١: ١٤).

* "وكانوا يواظبون على تعليم الرسل والشركة وكسر الخبز **والصلوات"** (أع ٢: ٤٢).

* "كانوا كل يوم يواظبون في الهيكل بنفس واحدة... **مسبحين الله"** (أع ٢: ٤٦-٤٧).

* **صلواتك وصدقاتك صعدت تذكرًا أمام الله"** (أع ١٠: ٤).

* "وأما الكنيسة فكانت تصير منها **صلاة بلجاجة** إلى الله من أجله" (أع ١٢: ٥).

* **"كان كثيرون مجتمعين وهم يصلون"** (أع ١٢: ١٢).

٣. خلاص بطرس من السجن

"ولما كان هيرودس مزمعًا أن يقدمه،

كان بطرس في تلك الليلة نائمًا بين عسكرين، مربوطًا بسلسلتين،

وكان قدام الباب حراس يحرسون السجن". [٦]

كان السجين في النظام الروماني يُربط بسلسلة في خسر يده اليمنى ونهايتها في يد الجندي اليسرى، وتُترك يده اليمنى حرة لإبطال أية محاولة لهروب السجين. وفي الحالات الخطيرة يُربط السجين بيديه اليمنى واليسرى مع جنديين، واحد من كل جانب، ويحرس جنديان باب الزنزانة. لعل هذا الأجراء التحفظي تم بالنسبة للقديس بطرس كسجينٍ خطيرٍ بناءً على توصية من رئيس الكهنة، كما سبق فأوصى بختم القبر لئلا يأتي التلاميذ ويسرقون الجسد.

هكذا كانت قوات الظلمة تشعر بضعفها، وتبذل كل جهودها لتحبس عمل الله وتحَّجمه، أما بطرس الرسول فكان نائمًا، لا يشغله ما سيحل به من مخاطر. كان بينه وبين الموت خطوة، أما هو فكان يحمل في داخله واهب القيامة، ومعطي السلام الفائق.

"وإذ ملاك الرب أقبل،

ونور أضاء في البيت،

فضرب جنب بطرس وأيقظه، قائلاً: قم عاجلاً،

فسقطت السلسلتان من يديه". [٧]

كانت الكنيسة تصلي بلجاجة ولم تدرِ أن الله قد سمع صلاتها، وتحركت السماء ليضيء ملاك الرب بالنور السماوي في الزنزانة المظلمة. تعجل ملاك الرب القديس بطرس، فضربه في جنبه في حنوٍ ورقةٍ بالقدر الذي به يوقظه. وسأله أن يقوم عاجلاً، ويتمتع بعمل الله العجيب! ويفّرح قلوب المجتمعين بالصلاة، فيدركوا تحقيق الوعد الإلهي: "أفلا ينصف الله مختاريه، الصارخين إليه نهارًا وليلاً، وهو متمهل عليهم؟ أقول لكم إنه أنصفهم سريعاً" (لو ١٨: ٧-٨).

ألقى الرب على الجنديين ثباتًا فناما نومًا عميقًا، ولم يشعرا بالنور الملائكي ولا بسقوط السلسلتين من يدي القديس بطرس. سقطت السلسلتان المحكمتان الإغلاق، إذ لم يكن ممكنًا للقيود الحديدية أن تقف أمام أمر الله بإطلاق الأسير. ذاك الذي يطلق الأسرى في القبور، ويهب الموتى الحياة، والذي يحلّ رباطات الخطية المرة، لا يصعب عليه أن يحل القيود من يدي رسوله، فلا تبقى مطبقة إلاَّ على أيدي الحراس.

تمتع الرسول في تلك اللحظات بعمل الله واهب الحرية للنفس، الذي لا تستطيع المتاريس الحديدية ولا الحراس المسلحين، ولا القيود الصلبة أن تحده بالزنزانة، بل خرج حرًا تحت قيادة ملاك الرب!

"وقال له الملاك: تمنطق والبس نعليك،

ففعل هكذا،

فقال له: البس رداءك واتبعني". [٨]

سأله الملاك أن يتمنطق ويلبس نعليه ورداءه بينما يرقد حارس عن يمينه، والآخر عن يساره والسلسلتان في أيديهما.

كانت هذه هي الليلة الأولى والوحيدة له في السجن، ومع هذا لم ينشغل بشيء، بل في سلامٍ كاملٍ خلع المنطقة والرداء والنعلين، لينام بين الجنديين في راحةٍ وسلامٍ.

طلب منه أن يتبعه لكي يرفع عنه كثافة الحيطان والأبواب الحديدية والمتاريس، فيعبر من السجن، وكأنه روح بلا جسد، أو ملاك لا إنسان. حقًا "يكونون كملائكة الله" (مت ٢٢: ٣٠). لقد اختبر القديس بطرس عربون القيامة في صورة رائعة.

يرى **القديس يوحنا كاسيان** في كتابه عن أنظمة الشركة أن الرهبان المصريين كانوا يرتدون منطقة لتأكيد ارتداء منطقة روحية، حيث يكون الذهن مستعدًا لكل عمل للدير دون عائق لثيابه. وأنهم بهذا يتشبهون بالقديس بطرس إذ طلب منه الملاك أن يتمنطق، والقديس بولس الرسول حيث قال له أغابوس أن من له هذه المنطقة سيجتاز شدائد في أورشليم (أع ٢١: ١١).

"فخرج يتبعه،

وكان لا يعلم أن الذي جرى بواسطة الملاك هو حقيقي،

بل يظن أنه ينظر رؤيا". [٩]

لم يصدق القديس بطرس ما قد حدث، وظن أنه في رؤيا. أما الذين في السجن، فغطتهم الظلمة الكثيفة، ولم يروا شيئًا، ولا شعروا بحركة وسط هدوء الليل.

"فجازا المحرس الأول والثاني،

وأتيا إلى باب الحديد الذي يؤدي إلى المدينة،

فانفتح لهما من ذاته،

فخرجا وتقدّما زقاقًا واحدًا،

وللوقت فارقه الملاك". [١٠]

عبر به الملاك من السجن الداخلي ثم الخارجي، ليجد نفسه معه في ردهة مؤدية إلى باب السجن العام المؤدي إلى المدينة. هذا الوصف يطابق قلعة أنطونيا. تُرى هل كان الحرس ساهرين ولم يروا الملاك والقديس بطرس، أم ألقى الرب عليهم ثباتًا، فنام الجميع، ولم يشعروا حتى بانفتاح الباب الحديدي الضخم؟

انفتح الباب الحديد من ذاته، أي بقوة إلهية، عندئذ تنسم بطرس الرسول نفحات الحرية بعد أن سار معه الملاك زقاقًا واحدًا، فصار بعيدًا عن دائرة السجن. لم يعد هناك حاجة لظهور ملائكة لبطرس بعد أن خرج من محيط الخطر. لم يرافق الملاك القديس بطرس حتى يدخل به إلى العلية، فإن الله يقدم معونة ملائكية علنية للمؤمنين قدر احتياجهم، أما إذا لم تكن هناك حاجة، فيلزم على المؤمنين أن يسيروا مجاهدين تسندهم نعمة الله وترافقهم الملائكة خفية.

"فقال بطرس وهو قد رجع إلى نفسه،

الآن علمت يقينًا أن الرب أرسل ملاكه،

وأنقذني من يد هيرودس،

ومن كل انتظار شعب اليهود. [١١]

رجع بطرس الرسول إلى نفسه أو في نفسه، كما لو كان قد دخل في حالة دهشٍ إلهي، خرج من نفسه ليتمتع برؤيا فائقة، وعمل سماوي عجيب. ترنم الرسول بتسبحة للرب نطق بها بقلبه لا بلسانه، يمجد فيها الله مخلصه الذي أنقذه من يد هيرودس، وكأنه يردد ما قاله نبوخَذْنَصَّر: "تبارك إله شدرخ وميشخ وعبدنغو الذي أرسل ملاكه، وأنقذ عبيده الذين اتكلوا عليه" (دا ٣: ٢٨). وما سبح به يثرون حمى هرون: "مبارك الرب الذي أنقذكم من أيدي المصريين، ومن يد فرعون" (خر ١٨: ١٠). وما أنشد به زكريا الكاهن: "مبارك الرب إله إسرائيل، لأنه افتقد وصنع فداءً لشعبه... خلاص من أعدائنا ومن أيدي جميع مبغضينا" (لو ١: ٦٨، ٧١).

ما تمتع به هؤلاء جميعًا يقدم لنا صورة حيَّة لتدخلات الله في تاريخ الكنيسة، كما في حياة كل مؤمن، علانية أو خِفية.

"**من كل انتظار شعب اليهود**": كان اليهود المجتمعون للاحتفال بعيد الفصح منتظرين هدية هيرودس لهم، وهي قتل القديس بطرس، لكن يد الله تدخلت لتنقذ حياته.

يرى بعض الدارسين أن خلاص بطرس من السجن كان في آخر الليالي الخاصة بالاحتفال بالفصح، فجاء سجن بطرس وخلاصه وتسبحته الداخليّة واجتماع الكنيسة، كل هذا كان مرتبطًا بالفصح! جاء في المدراش عن ليلة خروج الشعب من مصر (خر ١٢: ٤٢) إنها ليلة سهر، يصنع الله فيها العظائم مع قديسيه، كما فعل مع شعبه أيام موسى. ففي تلك الليلة أنقذ الرب حزقيا الملك، والثلاثة فتية من آتون النار، ودانيال من جب الأسود، وفي هذه الليلة يُظهر المسيح قوته وأيضًا إيليا (عند مجيء المسيح الأخير). هكذا ارتبط الفصح في ذهن اليهود بخلاص الله العجيب في حياة الكنيسة عبر العصور، وفي حياة كل مؤمن مقدس للرب.

ويرون أيضًا أنها ليلة تسبيح وتهليل حيث ينشد الشعب ورجال الله تسابيح الحمد لله المخلص، فيرى الرابانيون أن يشوع سبح الله في مثل هذه الليلة عندما غلب ملوك الكنعانيين الخمسة، ودبورة وباراق حين انتصرا على سيسرا، وحزقيا حين أنقذه الله من حصار سنحاريب، والثلاثة

فتية عندما خلصوا من أتون النار، واستير ومردخاي حين أنقذ الله شعبه من خطة هامان لإبادتهم، وكأن أعمال الله الخلاصيّة عبر العصور ترتبط بذبيحة الفصح، أي خلاص الله العظيم بالصليب وتتويجه بالقيامة.

٤. القدّيس بطرس في العُلّية

"ثم جاء وهو منتبه إلى بيت مريم أم يوحنا الملقّب مرقس،

حيث كان كثيرون مجتمعين،

وهم يصلّون". [١٢]

توجه القديس بطرس إلى العلية ليخبرهم بعمل الله الفائق معه، ورعاية الله لكنيسته.

لقد انفتحت له الأبواب من ذاتها، لكنه وقف على باب الكنيسة يقرع، وللأسف شكت الكنيسة في الأمر، وقالت: "**إنه ملاكه**". إذ كان المؤمنون يعتقدون بوجود ملاك حارس لكل مؤمنٍ.

وسط هذا الجو الروحي البديع للصلاة وقف بطرس يخبرهم كيف اختبر عربون القيامة، يرسل الله ملائكته، يفك الراقدين من السجن، يشرق بنورٍ سماويٍ عليهم فيضيء لهم، يترك قوات الظلمة داخل السجن، وقد قيدوا أنفسهم بالسلاسل، تنفتح الأبواب أمام المؤمنين...

v لم يوجد الليل لكي نقضيه كله في النوم والخمول، بل نشهد أمام أن كنيسة المسيح تقوم في منتصف الليل. قوموا أنتم أيضًا وتطلعوا إلى أفلاك النجوم في صمتٍ عميقٍ وتجاوبٍ سليمٍ، متأملين في نظام سيد الأسرة (المسكونة) المهوب. فإن كانت نفسك أنقى (من النجوم)، أخف منها، وأكثر لطفًا، فإنها تسبح في حرية، فالظلمة ذاتها والسكون عينه يكفيان أن يقوداك إلى الندامة... النوم هو صورة للموت، صورة لنهاية كل الأشياء. إن تطلعت من نافذة نحو الشارع لن تسمع صوتًا، وإن نظرت في البيت تجد الكل راقدين كما في مقبرة، هذا كله يوقظ النفس، ويقودها إلى التفكير في نهاية كل الأشياء...

يتحرك الله بالصلوات التي تُقام في الليل، عندما تجعل وقت الراحة وقت الحزن (التوبة). تذكر ما نطق به الملك: "تعبت في تنهدي، أعوم كل ليلة سريري، وبدموعي أذوب فراشي" (مز ٦: ٦).

v ليكن البيت كنيسة تضم رجالاً ونساء، فلا تظن أنك أنت الرجل الوحيد الموجود في البيت، ولا هي المرأة الوحيدة الموجودة فيه، فإن هذا يمثل عائقًا. يقول: "لأنه حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي فهناك أكون في وسطهم (مت ١٨: ٢٠). وحيث يوجد المسيح في الوسط تكون جموع عظيمة. حيث يوجد المسيح يوجد الملائكة. وبالضرورة رؤساء الملائكة أيضا وقوات أخرى. فأنت لست وحدك، إذ لديك ذاك الذي هو رب الكل. اسمع أيضًا ما يقوله النبي: "واحد يفعل إرادة الرب أفضل من ربوة من العصاة" (راجع ابن سيراخ ١٦: ٣). **ليس شيء أضعف من جمهور الأشرار، ولا من هو أقوى من إنسان بار يسلك بناموس الله.**

القديس يوحنا الذهبي الفم

v الكلمات "أقوم في نصف الليل" ليست بلا قيمة. فإنّهم يعرفون أنّه في تلك الساعة قُتل أبكار المصريّين، وفي ذلك الوقت انحلّت قيود بطرس وبولس وسيلا الذين ألقوا في السجن، وأيضًا يأتي العريس في نصف الليل (مت ٢٥: ٦).

الأب كاسيودوروس

"فلما قرع بطرس باب الدهليز،

جاءت جارية اسمها رُودا لتسمع". [١٣]

غالبًا ما كان الباب الخارجي، وهو يبعد عن مبنى البيت، إذ كانت المنازل الكبيرة تُحاط بفناء حوله سور، ويوجد دهليز يربط بين الباب الخارجي وباب البيت.

"فلما عرفت صوت بطرس لم تفتح الباب من الفرح،

بل ركضت إلى داخل،

وأخبرت أن بطرس واقف قدام الباب". [١٤]

يرى البعض في هذا الحدث صورة أو ظلاً لفصح المسيح، أي آلامه وقيامته، حيث يود أن تتمتع الكنيسة بشركة آلامه وتختبر بهجة فصحه أو قيامته. فقد كان الرسول راقدًا في السجن، وكأنه قد دُفن مع السيد المسيح في القبر. وكان محاطًا بالعسكر والأبواب مغلقة، صورة للسيد المسيح في القبر تحت الحراسة، والحجر على باب القبر وعليه الختوم. ظهر لبطرس ملاك الرب، ووُجدت ملائكة في القبر.

لم يهلك بطرس، بل عاد إلى الشعب يعلن مجد الله. والسيد المسيح لم يرَ جسده فسادًا، بل قام حيًا يعلن حضوره وسط شعبه.

جاءت رودا (معناها وردة) الجارية تسمع صوت بطرس وتبشر الكنيسة بالخبر، وجاءت المريمات إلى القبر والتقَيْن بالمسيح القائم من الأموات، وسمعن صوته. وعادت المريمات يبشرن بالقيامة.

قال المجتمعون: "**أنت تهذين**"، ولم يصدق حتى الرسل والتلاميذ ما أخبرت به المريمات عن القيامة (مت ٢٨: ٧-٨).

"فقالوا لها أنت تهذين،

وأمّا هي فكانت تؤكد أن هكذا هو،

فقالوا أنه ملاكه". [١٥]

يعتقد اليهود أن الملائكة تحمي الأبرار وتعينهم. وأن ملاكين، واحد صالح والآخر شرير، يصاحبان الإنسان عند عودته من المجمع إلى بيته في عشية السبت.

يظهر هذا التعليم الخاص بالملاك الحارس في الكتابات المسيحية المبكرة، ذُكر في **برناباس وكتاب الراعي لهرماس** وفي أعمال **القديس إكليمنضس السكندري، وأوريجينوس**. ووجد له أساس في الكتاب المقدس (تك ٤٨:١٦؛ طو ٣:٢٥؛ مت ١٨:١٠؛ أع ١٢:١٥).

يظهر من قول السيد المسيح نفسه أن ملائكة هؤلاء الأصاغر يرون وجه الآب السماوي.

جاء في سفر الأعمال قول المجتمعين للجارية عن الذي يقرع الباب إنه ملاكه.

أوصى الرسول بولس المرأة أن يكون لها غطاء للرأس لأجل الملائكة.

قول المرتل: "ملاك الرب حال حول خائفيه".

قول يعقوب بن اسحق أن الملاك كان يقوته، وأنه قاده في حداثته.

٦ **v** يجب أن نؤمن أن الملائكة، وهم خدام الله والحراس المعينين من قِبَله، متواجدون مع الإنسان الذي يصلي، حتى ينضمون إليه فيما يلتمسه. والحقيقة أن الملاك المخصص لكل منا، حتى للصغار في الكنيسة، والذي يعاين دائمًا وجه الآب، ويشاهد ألوهية الخالق، يصلي معنا ويدعمنا على قدر الإمكان فيما نطلب.

v كل واحدٍ من المؤمنين حتى وإن كان الأصغر في الكنيسة، يعاونه ملاك، قال عنه المخلص أنه يعاين وجه الله الآب.

v لابد أن نقول إن النفس البشرية هي تحت إشراف ملاك بالنسبة لها بمثابة الوالد.

v إذ يقبل إنسان الإيمان، يعهد به المسيح الذي فداه بدمه من الشرير إلى ملاك مقدس الذي بسبب نقاوته يعاين وجه الله الآب.

v حتى لا يحدث أن تجد الأرواح الشريرة فيما بعد مكانًا فيها (النفس البشرية)، رأت حكمة الله وعنايته أن تُزوّد الأطفال الصغار، وأولئك الذين هم ليسوا إلا أطفالاً رُضّع في المسيح، وغير القادرين على الدفاع عن أنفسهم ضد غواية الشيطان وهجمات الأرواح الشريرة، بملائكة وحراس أبطال، معينين من قِبَله، كمرشدين ومُربّين لصغار السن أو غير القادرين على الدفاع عن أنفسهم (١ كو ٣:١؛ أف ٦:١١؛ غل ٤:٢).

v حيث أن الله عالم بالإرادة الحرة لكل إنسان، إذ سبق فرأى ما يفعله الإنسان لذلك رتب بعنايته لكل واحدٍ ملاكًا يليق به حسب استحقاقه، معطيًا إياه لكي ما يصلي عن أجله...

يقول الله لمن يتصف بهذه الصفات، أو تلك أرسل إليه ملاكًا حارسًا يعمل معه لخلاصه، وذلك ابتداء من الوقت المعين ويبقى معه إلى وقت آخر. ويقول عن آخر: سأبعث بملاك آخر ربما يكون برتبة أعلى بما يتناسب مع أفضليته عمن سبقه. ولآخر ممن كرّسوا أنفسهم للتعليم السامي، ثم أدركه الضعف فعاد به إلى الأمور المادية، سأجرده من معاونة القوي، الذي برحيله عنه - بحسب استحقاقه - سوف تقتنصه قوة شريرة معينة، وتجد لها فرصة للانتفاع بضعفه هذا، فتستدرجه - إذ أظهر استعدادًا للخطية - لاقتراف هذه الرذيلة أو تلك.

v كل الناس يحركهم ملاكان: أحدهما شرير يحرضه على الشر، والآخر صالح يحثه على الصلاح"... فإن كان يوجد فكر صالح في رأسنا، فما من شك في أن ملاك الرب هو الذي يتحدث معنا. أما إن جاءت أمور شريرة إلى قلوبنا، فالذي يخاطبنا هو ملاك الشر.

العلامة أوريجينوس

يعتقد آباء القرن الرابع نفس هذه العقيدة. فبالنسبة **للقديس باسيليوس**، يُخصص ملاك لكل مؤمن؛ هذا إذا لم نستبعده عنا بالخطية، يحرس النفس مثل جيش.

v **يشهد الكتاب المقدس عن وجود ملاكين، أحدهما صالح والآخر شرير، يكونان ملاصقين لكل واحدٍ منا. يقول المخلص عن الملاك الصالح:** "لا تحتقروا أحد هؤلاء الصغار، لأني أقول لكم إن ملائكتهم في السماوات كل حين ينظرون وجه أبي الذي السماوات" (مت ١٨:١٠). وأيضًا: "ملاك الرب حال حول خائفيه وينجيهم" (مز ٣٤:٧). وأيضًا ما قيل في أعمال الرسل عن بطرس: "إنه ملاكه" (أع ١٢:١٥).

الأب سيرينوس

"وأمّا بطرس فلبث يقرع،

فلما فتحوا ورأوه اندهشوا". [١٦]

انفتح الباب الحديدي للسجن من ذاته، حيث كان الموقف خطيرًا. أما وقد أُنقذ بطرس فالتزم أن يقرع، ويلبث يقرع حتى يفتحون له. في وسط الضيق تتدخل عناية الله لتنقذ في اللحظات الحاسمة، أما في وقت الفرج، فيُسمح للشخص أن يقف وينتظر لعل أحد أحبائه يفتح له.

"فأشار إليهم بيده ليسكتوا،

وحدثهم كيف أخرجه الرب من السجن،

وقال: اخبروا يعقوب والإخوة بهذا،

ثم خرج وذهب إلى موضع آخر". [١٧]

إذ رأوه حدث ارتباك شديد وضوضاء مع فرحٍ وتهليلٍ، فكان كل منهم يُحدِّث الآخر: ماذا حدث؟ لذلك أشار إليهم بيده ليسكتوا، ثم بدأ يحدثهم عن عمل الله معه، طالبًا أن يخبروا يعقوب (غالبًا الصغير) والإخوة، ربما يقصد بهم الرسل زملاءه.

٥. اضطراب العسكر

"فلما صار النهار حصل اضطراب ليس بقليلٍ بين العسكر،

ترى ماذا جرى لبطرس؟" [١٨]

"وأمّا هيرودس فلما طلبه ولم يجده فحص الحراس،

وأمر أن ينقادوا إلى القتل،

ثم نزل من اليهودية إلى قيصرية،

وأقام هناك". [١٩]

"**فحص الحراس**": أراد هيرودس أن يعرف حقيقة الموقف، هل تراخى الحراس عن عملهم أم حدثت خيانة وأخذوا رشوة. يرى **القديس يوحنا الذهبي الفم** أن هيرودس تضايق جدًا ظانًا أن حراس السجن سخروا به كما سخر المجوس بجده عند ميلاد السيد المسيح ولم يرجعوا إليه بعد سجودهم للملك الطفل.

يبدو أن هيرودس ظن بأن ما حدث فيه إهمال من جانب الحراس لذلك أمر باقتيادهم للقتل، لكن إذ ترك اليهوديَّة وذهب إلى قيصريّة، حيث ضربه ملاك الرب ومات [٣٣]، لا نعرف إن كان قد نُفذ حكم الإعدام عليهم أم لا.

٦. ملاك الرب يضرب هيرودس

"وكان هيرودس ساخطًا على الصوريين والصيداويين،

فحضروا إليه بنفسٍ واحدةٍ،

واستعطفوا بلاستس الناظر على مضجع الملك،

ثم صاروا يلتمسون المصالحة،

لأن كورتهم تقتات من كورة الملك". [٢٠]

هدد هيرودس أغريباس الأول بقطع إمدادات الطعام عن صور وصيدا، لأن شعب المدينتين أغضبوا الملك لأسباب لم يذكرها معلمنا لوقا البشير. جاءوا يطلبون الصلح والصفح مستعينين ببلاستس القائم على مخدع الملك، وهو من أقرب الناس إلى قلبه. وقد روى يوسيفوس ذات القصة بالتفصيل، وقد جاءت مطابقة لما ورد في السفر.

"ففي يوم معين لبس هيرودس الحُلّة الملوكية،

وجلس على كرسي الملك وجعل يخاطبهم. [٢١]

"فصرخ الشعب: هذا صوت إله لا صوت إنسان". [٢٢]

"ففي الحال ضربه ملاك الرب،

لأنه لم يعطِ المجد للَّه،

فصار يأكله الدود ومات". [٢٣]

مات في الحال في صورة مخجلة، ليس من أجل اضطهاده لبطرس فحسب، وإنما لأجل قبوله للمجد الباطل، حيث ظن أنه مستحق أن يُعبد كإله. هذا، وقد قدم الله درسًا سريعًا للذين في مداهنة له وتملق ادعوا أنه إله. لعلهم يرجعوا إلى الله بالتوبة.

سمح الله بذلك ليكشف عن شخصية يسوع المسيح. فإن كان الملك الذي لم ينطق بكلمة إنما في غروره صرخت الجماهير إن صوته صوت إله لا إنسان ضُرب في الحال، فإن يسوع المسيح أعلن مرارًا وتكرارًا عن مساواته للآب، وقد وأقامه الآب من الأموات... يستحيل أن يكون مجدفًا حين يعلن عن ربوبيته!

"**فصار يأكله الدود ومات**": كثيرًا ما يقدم الكتاب المقدس هذا الوصف عن الذين باغتهم الموت بنوعٍ من النقمة، مثل أنطيخوس الرابع (٢ مك ٩: ٩)، وهيرودس الكبير ويهوذا الاسخريوطي (بابياس وأخذ عنه أولينياريوس)، جالريوس، يوليانوس الكافر.

"وأمّا كلمة اللَّه فكانت تنمو وتزيد". [٢٤]

بينما كان أغريباس يسهر ليخطط ضد الكنيسة، كان الله ساهرًا على كلمته. كلما اشتدت الضيقة وسفكت دماء الشهداء تُستعلن ذراع الرب وينمو ملكوته على الأرض.

لقد أغلق الهيكل بابه في وجه المؤمنين، لكي تفتح الأمم أبوابها وتصير هي هيكل الرب المقدس الذي يسكنه روح الرب.

لم يروِ لنا الإنجيلي لوقا شيئًا ما بين موت أغريباس وبدء أول رحلة تبشيرية للرسول بولس ومعه برنابا ومرقس، تُقدر هذه الفترة بحوالي سنتين. فقد مات أغريباس عام ٤٤م وبدأت الرحلة عام ٤٦م.

"ورجع برنابا وشاول من أورشليم،

بعدما كملا الخدمة،

وأخذا معهما يوحنا الملقّب مرقس". [٢٥]

"**يوحنا الملقب مرقس**": القديس مرقس الرسول هو ابن أخت القديس برنابا (١ كو ٤: ١٠). يبدو أن الصديقين الحميمين بولس وبرنابا كانا قد أقاما في أورشليم في بيت يوحنا مرقس، حيث كان التلاميذ يجتمعون.

من وحي أعمال الرسل ١٢

يا لبؤس هيرودس كل عصر!

v يا لغباوتك يا هيرودس الكبير،

ظننت أنك تلحق بيسوع بقتلك أطفال لحم.

حطمت ذاتك، وخسرت كل شيء.

يا لبؤس ابنك قاتل القديس يوحنا المعمدان،

ظن أنه يحقق السعادة بالخلاص منه.

فصارت حياته جحيمًا ورعبًا.

ويا لغباوة حفيدك، فقد ظن أنه يقتل كل الرسل.

أراد إرضاء صالبي يسوع بالخلاص من رسله.

ها هو هيرودس كل عصر يقاوم مملكة النور،

ظانًا أنه قادر أن يحبسها،

فيحل به الفساد ويفقد مملكته!

- ماذا فعل هيرودس؟

ظن أنه قتل يعقوب، هذا الذي تهللت نفسه بانطلاقها.

ظن أنه يرعب بطرس، فتزكى بطرس أمام الله والناس.

السجن بكل حصونه يشهد لانهياره أمام الله.

فلت بطرس من أيدي الحراس بكل جبروتهم!

السماء تحركت، فجاء ملاك الرب نائبًا عنها يخدم بطرس!

الكنيسة في ضيقتها تحولت إلى جماعة صلاة بلجاجة وقوة!

- صدَّق هيرودس تملق الجمهور.

ظن في نفسه أنه إله، فصار وليمة للدود.

مات هيرودس، وانطلقت الكنيسة تكمل رسالتها!

١ و في ذلك الوقت مد هيرودس الملك يديه ليسيء الى اناس من الكنيسة
٢ فقتل يعقوب اخا يوحنا بالسيف
٣ و اذ راى ان ذلك يرضي اليهود عاد فقبض على بطرس ايضا و كانت ايام الفطير
٤ و لما امسكه وضعه في السجن مسلما اياه الى اربعة ارابع من العسكر ليحرسوه ناويا ان يقدمه بعد الفصح الى الشعب
٥ فكان بطرس محروسا في السجن و اما الكنيسة فكانت تصير منها صلاة بلجاجة الى الله من اجله

٦ و لما كان هيرودس مزمعا ان يقدمه كان بطرس في تلك الليلة نائما بين عسكريين مربوطا بسلسلتين و كان قدام الباب حراس يحرسون السجن
٧ و اذا ملاك الرب اقبل و نور اضاء في البيت فضرب جنب بطرس و ايقظه قائلا قم عاجلا فسقطت السلسلتان من يديه
٨ و قال له الملاك تمنطق و البس نعليك ففعل هكذا فقال له البس رداءك و اتبعني
٩ فخرج يتبعه و كان لا يعلم ان الذي جرى بواسطة الملاك هو حقيقي بل يظن انه ينظر رؤيا
١٠ فجازا المحرس الاول و الثاني و اتيا الى باب الحديد الذي يؤدي الى المدينة فانفتح لهما من ذاته فخرجا و تقدما زقاقا واحدا و للوقت فارقه الملاك
١١ فقال بطرس و هو قد رجع الى نفسه الان علمت يقينا ان الرب ارسل ملاكه و انقذني من يد هيرودس و من كل انتظار شعب اليهود
١٢ ثم جاء و هو منتبه الى بيت مريم ام يوحنا الملقب مرقس حيث كان كثيرون مجتمعين و هم يصلون
١٣ فلما قرع بطرس باب الدهليز جاءت جارية اسمها رودا لتسمع
١٤ فلما عرفت صوت بطرس لم تفتح الباب من الفرح بل ركضت الى داخل و اخبرت ان بطرس واقف قدام الباب
١٥ فقالوا لها انت تهذين و اما هي فكانت تؤكد ان هكذا هو فقالوا انه ملاكه
١٦ و اما بطرس فلبث يقرع فلما فتحوا و راوه اندهشوا
١٧ فاشار اليهم بيده ليسكتوا و حدثهم كيف اخرجه الرب من السجن و قال اخبروا يعقوب و الاخوة بهذا ثم خرج و ذهب الى موضع اخر
١٨ فلما صار النهار حصل اضطراب ليس بقليل بين العسكر ترى ماذا جرى لبطرس
١٩ و اما هيرودس فلما طلبه و لم يجده فحص الحراس و امر ان ينقادوا الى القتل ثم نزل من اليهودية الى قيصرية و اقام هناك
٢٠ و كان هيرودس ساخطا على الصوريين و الصيداويين فحضروا اليه بنفس واحدة و استعطفوا بلاستس الناظر على مضجع الملك ثم صاروا يلتمسون المصالحة لان كورتهم تقتات من كورة الملك
٢١ ففي يوم معين لبس هيرودس الحلة الملوكية و جلس على كرسي الملك و جعل يخاطبهم
٢٢ فصرخ الشعب هذا صوت اله لا صوت انسان
٢٣ ففي الحال ضربه ملاك الرب لانه لم يعط المجد لله فصار ياكله الدود و مات
٢٤ و اما كلمة الله فكانت تنمو و تزيد
٢٥ و رجع برنابا و شاول من اورشليم بعدما كملا الخدمة و اخذا معهما يوحنا الملقب مرقس

من تفسير وتأملات

الآباء الأولين

أعمال الرسل

٢٠٠٣

الجزء الثاني

الأصحاحات ١٣ - ٢٨

القمص تادرس يعقوب ملطي

كنيسة الشهيد مار جرجس باسبورتنج

حلة بولس الرسول التبشيرية الأولى

رحلة بولس الرسول التبشيرية الأولى

١. من **أنطاكية سوريا** إلى **سلوكية، ميناء في سوريا** (١٣: ١-٤).

٢. أبحر ومن معه إلى **سلاميس** في جزيرة قبرص (١٣: ٤).

٣. ذهبوا إلى **بافوس** في جزيرة قبرص (١٣: ٥-١٢)، وتغير اسمه إلى بولس.

٤. إلى **برجة بمفيلية** بآسيا الصغرى (١٣: ١٣): عودة يوحنا مرقس إلى أورشليم.

٥. إلى **إنطاكية بسيدية** (١٣: ١٤): إلقاء عظة سُجلت في السفر (١٣: ١٦-٤١).

٦. إلى **أيقونية** عاصمة ليكأونية (١٣: ٥٠-٥١).

٧. إلى **لسترة** بليكأونية (١٤: ٥-٦)، حيث رُجم بولس (١٤: ٨-١٩).

٨. إلى **دربة** بليكأونية (١٤: ٢٠).

٩. **العودة** عن طريق **لسترة** (١٤: ٢١)، **أيقونية**، **أنطاكية بسيدية** (١٤: ٢١)، **وبرجة** ببمفيلية حيث سبق أن أسس كنائس هناك (١٤: ٢١-٢٣).

١٠. إلى **أتالية** ببمفيلية (١٤: ٢٥).

١١. إلى **أنطاكية سوريا** (١٤: ٢٦-٢٨).

الاصحاح الثالث عشر

رحلة بولس الرسول التبشيريّة الأولى

إذ نمت الكنيسة في أنطاكية صارت مركزًا لخدمة القدّيسين بولس وبرنابا ومن معهما، حيث بدأت الكنيسة تنطلق إلى العالم تشهد للسيّد المسيح. في ذلك الحين صارت أنطاكية أشبه بأمٍ لخدمة كنيسة الأمم في دولٍ كثيرة، إن صح التعبير.

١. **أنطاكية مركز للعمل ١.**

٢. **فرز برنابا وشاول للكرازة ٢-٣.**

٣. **بدء الرحلة الأولى ٤-٥.**

٤. مقاومة باربشوع للكرازة ٦-١٢.

٥. خطاب في أنطاكية بيسيديّة ١٣-٤١.

٦. التوجّه إلى الأمم ٤٢-٤٩.

٧. مقاومة اليهود للرسولين ٥٠-٥٢.

١. أنطاكية مركز للعمل

"وكان في إنطاكية في الكنيسة هناك أنبياء ومعلّمون،

برنابا وسمعان الذي يدعى نيجر ولوكيوس القيرواني

ومناين الذي تربّى مع هيرودس رئيس الربع وشاول". [١]

من بركات الاضطهاد الذي أثاره اليهود على الكنيسة في أورشليم بعد رجم القدّيس استفانوس أن انطلق كثيرون إلى أنطاكية. وكان الذين من أصل يهودي لا يكرزون بالكلمة هناك إلا اليهود وحدهم (أع ١١: ١٩). غير أن الذين لهم ثقافة هيلينيّة أو الذين كانوا قبروسيّين أو قيروانيّين فصاروا يركزون بين اليونانيّين هناك. "وكانت يد الرب معهم، فآمن عدد كثير ورجعوا إلى الرب" (أع ١١: ٢١). واستمرت خدمة الرسولين برنابا وشاول الطرسوسي هناك لمدة عام وقد ألهبت قلوب الكثيرين للخدمة. صارت الكنيسة هناك ملتهبة بالروح، لهذا استراحت نفس بولس (شاول الطرسوسي) أن يجعل أنطاكية مركز خدمته، يبدأ منها رحلاته، وإليها يرجع.

يذكر القديس لوقا البشير أنّه "دُعي التلاميذ مسيحيّين في أنطاكية أولاً" (أع ١١: ٢٦). فمع أن الكنيسة قد ضمّت من هم من أهل الختان وأيضًا من هم من أهل الغُرلة، لكن لنموّها أدرك غير المؤمنين أنّه لم تعد الكنيسة شيعة من شيع اليهود، ولا فرقة، بل هي ديانة مستقلّة، حتى وإن اعتمدت على نبوّات العهد القديم وتمسّكت بأسفار التوراة، وحسبت آباء اليهود ووعود الله وعهوده أنّهم آباؤهم وأنبياؤهم والوعود الإلهية هي لهم وعهود الله معهم؛ أنُهم مسيحيّون! من هنا بدأ العالم يدرك ذلك، لذا يقول أغريباس الملك للقدّيس بولس: "بقليل تقنعني أن أصير مسيحيًّا" (أع ٢٦: ٢٨).

يقدّم لنا الإنجيلي لوقا صورة حيّة لنشاط الكنيسة وازدهارها في أنطاكية. وُجد أنبياء ومعلّمون يقومون بخدمة الكنيسة هناك، وذكر قائمة بخمسة أسماء، وجاء برنابا على رأس القائمة، ربّما لأنّه كان أقدمهم عهدًا بالإيمان، وكان له غيرة متّقدة حتى جذب شاول الطرسوسي للعمل معه الذي كان إلى ذلك الحين مرافقًا لبرنابا وشريكًا معه في الخدمة.

كان **الأنبياء** الذين انحدروا من أورشليم إلى أنطاكية (أع ١١: ٢٧) بمثابة زائرين يجولون لخدمة اسم الرب، أما المذكورون هنا فهم أعضاء ثابتون في الكنيسة. كان دور النبي في العهد الجديد هو النطق بالروح القدس، أما المعلم فكان يفسر ما قيل بالروح القدس في الكتاب المقدس، وما ينطق به النبي بالروح. وكان غاية الاثنين هو تمتع المؤمنين بحضرة السيد المسيح المعلم، الحال في كنيسته على الدوام لتعيش به، وهو يحيا فيها.

سمعان الذي يُدعى نيجر: "سمعان" اسم يهودي، واللقب "**نيجر**" لاتيني، ربما لأنه كان أسمر اللون. غالبًا ما كان هو سمعان القيرواني والد ألكسندر وروفس (مر ١٥: ٢١).

لوكيوس القيرواني، وقد سبق لنا الحديث عنه (أع ١١: ٢٠)، وهو بخلاف الوارد في رومية ١٦: ٢١. كان أحد اليونانيين المتنصرين الذين لهم دور فعّال في الكنيسة بأنطاكية مع الرجال القادمين من قبرص. ظن البعض أن لوكيوس ولوقا شخص واحد، لأن الصيغة اللاتينيّة لكلمة لوقا اليونانيّة هي لوكيوس، لكن رفض كثير من الباحثين هذا الافتراض، خاصة وأن اسم لوقا كان شائعًا، فلم يكن ما يدعو الإنجيلي إلى عدم ذكره بالصيغة اليونانيّة.

"**مناين الذي تربى مع هيرودس رئيس الربع**". مناين هو النطق المخفف للاسم العبري مناحم Menahem، ومعناه "المعزي". أما هيرودس فهو أنتيباس بن هيرودس الكبير الذي أرسل بيلاطس إليه السيد المسيح لمحاكمته، والذي تولى على الجليل وبيريه كرئيس ربع سنة ٤ ق.م. حتى سنة ٣٩ م.

مناين نبي أنطاكية التقِي على ما يُظن أنه كان من الأسينيين العارفين بالروح. تربى مناين في قصر هيرودس الكبير مع ابنه انتيباس. وقد تنبأ لهيرودس الكبير بأنه سيصير ملكًا كما كتب يوسيفوس، وكان هيرودس الكبير يوقره. وإليه تُعزى معرفة القديس لوقا بهيرودس وعائلته، وبهذه الجماعة من الأنبياء والمعلمين وأحبار الكنيسة في أنطاكية. والعجيب أن ابن هيرودس وهو قاتل القديس يوحنا المعمدان، كان زميل تربية وتعليم ونشأة مع مناحم النبي التقِي والمعلم.

يذكر **شاول** في آخر جماعة الأنبياء والمعلمين، لأنه لم يكن بعد قد بلغ قامة هؤلاء الأنبياء ودرجتهم، وذلك حسب الأقدمية في الكنيسة.

٢. فرز برنابا وشاول للكرازة

"**وبينما هم يخدمون الرب ويصومون،**

قال الروح القدس:

افرزوا لي برنابا وشاول للعمل الذي دعوتهما إليه". [٢]

بدأت رحلات بولس الرسول التبشيرية بإعلان الروح القدس لا لشاول ولا لبرنابا، بل للكنيسة المجتمعة بروح الصلاة والصوم. وقد جاءت كلمة "**يخدمون**" في اليونانية بمعنى يحتفلون بالليتورجيا (ليتورجوتون)، أي يمارسون ليتورجيا الإفخارستيا.

الكلمة اليونانية المترجمة "**يخدمون**" (ليتورجونتون) تفيد الخدمة العامة غير المدفوعة الأجر كرامة للملك؛ هنا تشير إلى خدمة الصلاة في الكنيسة بتقديم الشكر والتسبيح في الاحتفال بالذبيحة الإلهية.

"**قال الروح**"، غالبًا على لسان أحد الأنبياء المجتمعين للصلاة والصوم، وقد كرسوا قلوبهم في جدية للخدمة والشهادة.

"**افرزوا**"، تعني التخصص لعمل الروح القدس، قائد حركة الشهادة ليسوع المسيح. والعجيب أن الروح قال: "**افرزوا لي**" وليس "**للرب يسوع**"، لأنه هو والابن الوحيد الجنس واحد في الجوهر، لهما ذات السلطان والقوة، والكرازة هي لحساب الثالوث القدوس.

جاءت الدعوة بالاسم شخصيًا لفتح أول طريق نحو الكرازة في العالم الأممي.

v أما الروح القدس فلا ينطق بلسان، إنما هو روح حي يهب الحكمة في الكلام، متحدثًا وواعظًا بنفسه... أنظروا كيف يفرز الروح الحي ويدعو ويرسل بسلطان.

القديس كيرلس الأورشليمي

في عظة **للقديس يوحنا الذهبي الفم** على ١ تي١: ١ يوضح أن الروح القدس هو الذي قال: "**افرزوا لي برنابا وشاول**" (أع ١٣: ١)، وفي نفس الوقت فإن السيد المسيح هو الذي دعاه وأرسله "اذهب فإني سأرسلك إلى الأمم بعيدًا " (أع ٢٢: ٢١)، كما يقول في موضع آخر: "ينبغي لك أن تقف أمام قيصر" (أع ٢٧: ٢٤). وفي نفس الوقت يحسب الرسول ان كل الأوامر صادرة من عند الآب... هنا يؤكد **القديس يوحنا الذهبي الفم** وحدة العمل للثالوث القدوس.

لاحظنا في المقدّمة دور الروح القدس في حياة الكنيسة، بكونه القائد الحقيقي، الذي يقدّم لها ذاته، ويهبها الإمكانيّات الإلهية لتصير أيقونة عريسها السماوي، السيّد المسيح.

v إنّه الروح الذي يعرف كل شيء (١ كو ٢: ١٠)، الذي يعلّم (يو ١٤: ٢٦)، الذي يهِّب حيث يريد وبقدر ما يريد (يو ٣: ٨)، يرشد (مز ١٤٢: ١٠)، ويتكلّم (أع ١٣: ٢) ويُرسل (أع ١٣: ٤)، ويفرز (أع ١٣: ٢)... ويوحي (يو ١٦: ٣)، وينير (يو ١٤: ٢٦)، ويحيي (يو ٦: ٦٣)، أو بالأحرى الذي هو نفسه نور وحياة، ويجعلنا هيكله (١ كو ٣: ١٦)، ويؤلّهنا (١ كو ٣: ١٦)، ويقودنا إلى الكمال (يو ١٦: ١٣)، بحيث إنّه يسبق المعموديّة (أع ١٠: ٤٧)، ويُطلب بعد المعموديّة... يوزّع المواهب الروحيّة (١ كو ١٢: ١١)، يصنع الرسل والأنبياء والمبشّرين والرعاة والمعلّمين (أف ٤: ١١).

القديس غريغوريوس النزينزي

"**فصاموا حينئذ وصلّوا،**

ووضعوا عليهما الأيادي، ثم أطلقوهما". [٣]

يقول **القديس يوحنا الذهبي الفم** أن شاول سيم في إنطاكية حيث كان يخدم.

يقدم لنا القديس لوقا أول طقس سيامة كنسية، فقد جاءت الدعوة أولاً من الروح القدس بعد صوم وصلاة وشوق حقيقي لنمو الخدمة والشهادة للسيد المسيح. قام الروح القدس بتعيين الأسماء لأنه هو العارف القلوب، وجاء وضع الأيادي يتناغم مع إرادة الروح القدس، فدور الكنيسة هو تحقيق هذه الإرادة ليعيش الكل في شركة الروح ووحدتها. هنا صورة حية للسيامة بوضع الأيدي بعد دعوة الروح القدس الأشخاص للعمل الكرازي خلال ليتورجيا الإفخارستيا وممارسة صوم خاص.

تمت السيامة وهم صائمون، فقد احتل الصوم مركزًا خاصًا في حياة الكنيسة الأولى بكونه علامة حية تشير إلى انشغال الكنيسة بالمائدة السماوية، وأنها في ممارستها للحياة اليومية من أكلٍ وشربٍ ونومٍ، إنما من أجل الضرورة، وليس لأية لذة أو متعة جسدية.

v لنطلب الطعام لكي نقتات به لا ليحطمنا. نطلب الطعام كقوتٍ لنا، لا كمجال للأمراض، أمراض النفس والجسد. نطلب الطعام الذي يعطي راحة لا ترفًا حيث يكون مملوء إزعاجًا.

القديس يوحنا الذهبي الفم

٣. بدء الرحلة الأولى

"فهذان إذ أُرسلا من الروح القدس،

انحدرا إلى سلوكية،

ومن هناك سافرا في البحر إلى قبرس". [٤]

هنا تبدأ أول رحلة كرازية للقديس بولس الرسول:

سلوكية: على شاطيء فينيقية مقابل قبرص، وهي ميناء أنطاكية المشهور وتُدعى أيضًا بيرية Pieria الواقعة على بعد ١٦ ميلاً شرق أنطاكية وخمسة أميال شمال مصب نهر الأورنتس. أسسها سلوكيوس نيكاتور أول ملوك السلوقيين سنة ٣٠١ ق.م. ولما نزلوا في قبرص نزلوا في المدينة المقابلة على الساحل الشرقي، وهي مدينة سلاميس.

يا للعجب كان شاول الفرّيسي حتمًا يتحاشى الذهاب إلى قبرص، الذي تغنّى الشعراء بفسادها وانحلالها، بكونها الجزيرة العزيزة على الإلهة فينوس. وها هو الآن شاول المسيحي قد دُعي للانطلاق إليها ليُقاوم كل انحلال فيها، ويُقيم مع شعبها هيكلاً لروح الله القدّوس.

v كمن يطير سافر (القديس بولس) على البر وفي البحر، في اليونان وكل مناطق البرابرة، وباختصار سافر في كل الدول تحت السماء. لم تكن رحلاته باطلة، فإنه حيثما سافر كان ينزع أشواك الخطية، ويزرع بذور التقوى في كل موضع، يزيل الخطأ، ويقدم الحق للشعب، يحول البشر إلى كائنات سماوية، وما هو بالأكثر، أقامهم من شياطين إلى ملائكة.

القديس يوحنا الذهبي الفم

إذ انحدرا إلى سلوكية لم يبقيا فيها لأنها يعلمان أن أهل سلوكية قد انتفعوا كثيرا من الخدمة في إنطاكية حيث بقي القديسين بولس وبرنابا سنة كاملة.

"ولما صارا في سلاميس

ناديا بكلمة الله في مجامع اليهود

وكان معهما يوحنا خادمًا". [٥]

سلاميس: مدينة يونانية على الساحل الشرقي القبرصي، كانت العاصمة ومركز التجارة الأول في قبرص الشرق وقاعدة الحكم لنصفها الشرقي. بينما باغوس هي عاصمة الغرب وأكثر منها أهمية. كانت سلاميس مقصد اليهود بها أكثر من مجمع. وكانت مجامع اليهود هي المقصد الأول للقديس بولس في كرازته ورحلاته حيث وضع في قلبه أن يبدأ بهم دومًا في الكرازة بإنجيل المسيح، لكن عينيه كانت دائمًا مركزة على المترددين من الأمم داخل المجامع، وكانوا معروفين بخائفي الرب أو الأتقياء.

"**وكان يوحنا معهما خادمًا**": يرى البعض أن تعبير "**خادم**" هنا بحسب التقليد الكنسي تعني قيامة بعماد المؤمنين، ويرى آخرون أنها تشير إلى خدمة تعليم الموعوظين.

مرافقة القديس مرقس يوحنا لهما كانت مصدرًا خصبًا للمعلومات الدقيقة التي وردت في سفر أعمال الرسل، إذ كانت اجتماعات الكنيسة الأولى في أورشليم تتم في العلية التي لبيت والدته (أع ١٢: ١٢).

٤. مقاومة باربشوع للكرازة

"ولما اجتازا الجزيرة إلى بافوس،

وجدا رجلاً ساحرا نبيًّا كذابًا يهوديًا اسمه باريشوع". [٦]

بافوس: كانت عاصمة قبرص الغرب، وهي مركز تجمع اليونانيين. كانت بافوس القديمة تبعد سبعة أميال جنوب شرقي بافوس الحديثة. وفي كلتا المدينتين كانت العبادة مقصورة على الإلهة اليونانية بافيان Paphian، والتي عرفها اليونان باسم افروديت Aphrodite وفينوس Venus إلهة الجمال والحب.

باريشوع: اسمه معناه "عليم الساحر"، يدَّعي علم الغيب، غالبًا ما كان يهوديًا عربيًا يحتفظ بصفته كاسمٍ له كعليم بالغيب، وكعالم بقدرته وسلطانه.

"**كان مع الوالي سرجيوس بولس وهو رجل فهيم،**

فهذا دعا برنابا وشاول والتمس أن يسمع كلمة الله". [٧]

سرجيوس الوالي: بالرجوع إلى سجلات الشيوخ بروما وُجد أنه مذكور كأحد الأمناء باسم "حارس التيبر" (نهر في إيطاليا)، لذلك يرى البعض أنه بعد أن قضى ولايته في التيبر نُقل إلى ولاية قبرص، وأنه روماني أصيل.

كان متعلمًا دائم البحث كما اتسم فلاسفة روما. وإذ وُجد في عاصمة قبرص المزدحمة بمجامع اليهود التي كانت تطمح في التقرب من الرؤساء، لذا كان يتداول معهم في شأن الدين اليهودي ومعرفة الله. ومن هنا صارت الصداقة بينه وبين عليم الساحر الذي خدعه بأعماله السحرية الشيطانية.

سمع الوالي عن مجيء بولس وبرنابا وكيف قدما تعاليم سامية، فاستدعاهما، الأمر الذي أثار عليم الساحر وبذل كل الجهد للتشويش عليهما.

إذ كان الوالي حكيمًا ومهتمًا بخلاص نفسه لم يحتج إلى أحاديث طويلة، إنما إذ سمع كلمة الله دعا الرسولين إليه ليحدثاه بالكلمة. كان قلبه ملتهبًا بالمعرفة الصادقة البناءة. لم يكن بعد قد رأى الوالي أية معجزة أو آية صنعها الرسولان لكنه سمع الكلمة فاجتذبته. إذ كان عليم الساحر يقاوم الكلمة اضطر الرسول فيما بعد أن يأسره بالعمى حتى تنفتح بصيرته وبصيرة الوالي لرؤية أسرار الله، ويتلامسا مع النور الحقيقي عوض الظلمة التي كان يعيش فيها الساحر ويجتذب الوالي معه إلى أسرها!

"**فقاومهما عليم الساحر،**

لأن هكذا يترجم اسمه،

طالبًا أن يُفسد الوالي عن الإيمان". [٨]

دَعي هنا "ماجوس"، لكنه لم يكن منتميًا إلى فئة المجوس، علماء الفلك والنجوم، وإنما كان ساحرًا مخادعًا ومشعوذًا، ونبيًا كاذبًا، لا علاقة له بالله.

"وأمّا شاول الذي هو بولس أيضًا،

فامتلأ من الروح القدس،

وشخص إليه". [٩]

في القديم كان الشخص يحمل ثلاثة أسماء ليكّون اسمه الكامل: الأول يسمى Praenomen والثاني Nomen والثالث Logomen أي اللقب أو الكنية أو ما يدعى بالإنجليزية Surname أو Nickname، وهو الذي يميز الشخص.

اسم شاول كان الأصل وأُضيف إليه البديل بولس، ويرى **القديس يوحنا الذهبي الفم** أنه أُعطي له بوضع اليد، وإن كنا نرى أنه لم يُدعى بولس إلاَّ بعد الالتقاء بالوالي لوسيوس سرجيوس بولس. لهذا يرى **القديس چيروم** أن اسم بولس أُعطي لشاول تذكارًا لقبول الوالي الإيمان. ويرى لايتفوت Lightfoot أن شاول أخذ هذا الاسم أثناء الختان كعادة اليهود حيث يحتفظ باسمه الأصلي بين العبرانيين، ويستخدم اسمه الأممي بين الأمم. فقد اشتهر اليهود باستخدام أسماء معروفة لدى المناطق التي يعيشون فيها مع احتفاظهم بأسمائهم العبريّة في الوسط اليهودي.

يرى **القديس أغسطينوس** أن شاول أخذ اسمه عن شاول الملك المتكبر علامة الاعتداد بذاته، لكنه اختار أن يُدعي "بولس" الذي يعني "الأقل" معطيًا إيانا درسًا في التواضع. "أنا أقل الرسل" (١ كو ١٥: ٩).

v لماذا ذاك الذي كان يُدعى شاول في سفر الأعمال الآن يُدعى بولس؟ في الكتاب المقدّس نجد بين القدامى قد تغيّرت أسماء كثيرة، مثال ذلك أبرام دُعي إبراهيم (تك ١٧: ٥)، وساراي دُعيت سارة (تك ١٧: ١٥)، ويعقوب دُعي إسرائيل (تك ٣٢: ٢٨؛ ٣٥: ١٠). وفي الأناجيل أيضًا سمعان قد تغيّر إلى بطرس (مر ٣: ١٦)، وابنا زبدي صارا معروفين بابنيّ الرعد (مر ٣: ١٧). لكن هذا حدث بأمرٍ إلهيٍّ، إلا أن هذا لم يحدث في حالة بولس. لهذا ظن البعض أن الرسول أخذ اسم بولس من والي قبرص الذي تحوّل إلى الإيمان المسيحي (أع ٣: ٤-١٢)، بنفس الطريقة التي كان بها اعتاد الحكّام أن يضيفوا إلى أسمائهم أسماء من غلبوهم. مثال ذلك برثيكوس Parthicus يشير الاسم إلى هزيمة البارثينيّين Parthians، وأيضًا غوثيكوس Gothicus تشير إلى النصرة على الغوصيّين وهكذا. بنفس الطريقة دعا الرسول نفسه بولس إشارة إلى نصرته على الوالي بولس.

لا يمكننا استبعاد هذا السبب تمامًا، لكن لا نجد مثل هذه العادة في الكتاب المقدّس، لذا يجب أن نبحث عن حلٍ آخر من الأمثلة التي لدينا. بالحقيقة نجد في الأسفار المقدّسة أشخاصًا لكل منهم اسمان مختلفان أو أكثر. سليمان دُعي يديديا (٢ صم ١٢: ٢٥)، وصدقيا يُدعى متانيا (٢ مل ٢٤: ١٧)، وعزّيا يُدعى عزاريا (٢ مل ١٥: ٣٢)، وكثيرون هكذا في أسفار القضاة وصموئيل والملوك. بل والأناجيل لم تهجر هذه العادة، كمثال متّى يُدعى "لاوي" (لو٥: ٢٧)... وتدّاوس يظهر أحيانًا بلبّاوس (مت ١٠: ٣). واضح أن كتّاب الأناجيل لم يذكروا أسماء الرسل خطأ، وإنّما كان من عادة العبرانيّين أن يكون للشخص اسمان أو ثلاثة أسماء مختلفة لنفس الإنسان. يبدو لنا أن بولس - بحسب هذه العادة - كان له اسم ثان. مادام يكرز وسط شعبه كان يُدعى شاول، الاسم الذي أعطاه له والداه بلياقة، ولكن حين يكتب نواميس ووصايا لليونانيّين وغيرهم من الأمم كان يُدعى بولس.

العلامة أوريجينوس

"**وقال أيها الممتلئ كل غش وكل خبث،**

يا ابن إبليس،

يا عدو كل برّ،

ألا تزال تُفسد سُبل الله المستقيمة". [١٠]

يا ابن إبليس: إنه ليس "باريشوع" أي ابن يسوع بل هو ابن إبليس، لأنه يمارس عمل أبيه، إذ كلمة إبليس تعني المضلل، والشيطان يعني الخصم أو المقاوم. هكذا يدعوه بالاسم الذي اختاره الساحر خلال تصرفاته. وإذ قاوم برّ الله أي النور، وسلك بروح الظلمة صدر الحكم بالعمى حتى يدرك عماه الداخلي ويتلمس ظلمته، لعله يعترف ويتوب مشتاقًا إلى النور الحقيقي والمعرفة الصادقة بلا خداع. لقد رفض أن يتمتع بأشعة شمس البرّ فحُرم من رؤية الشمس العادية.

يصف القديس لوقا كطبيب كيف غشت عيناه ضباب، فيتوقف جهاز العين عن استقبال النور تمامًا.

"**فالآن هوذا يد الرب عليك،**

فتكون أعمى، لا تبصر الشمس إلى حين،

ففي الحال سقط عليه ضباب وظلمة،

فجعل يدور، ملتمسًا من يقوده بيده". [١١]

v "**فهوذا يد الرب عليك**" لم يكن ذلك انتقامًا بل كان شفاءً. وكأنه يقول له: "لست أنا أفعل ذلك بل يد الرب". لاحظوا تواضعه! لم يشرق نور على الساحر كما في حالة بولس حيث أشرق نور حوله. يقول: "**فتكون أعمى لا تبصر الشمس إلى حين**"، مقدمًا له فرصة للتوبة. فإننا لا نجدهم في أي موضع يرغبون في الظهور كبارزين بالعنف، مستخدمين سلطانهم. فإنهم حتى إن استخدموا ذلك ضد الأعداء يكونوا قساة على الجسد بقصد صالح. إنهم لم يستخدموا هذا مع الذين في الخارج حتى لا يكون الإيمان كرهًا وبالرعب.

v كانت علامة لكي ما هو نفسه يتحول إلى الإيمان. بهذا أراد بسرورٍ أن يحوله إلى الإيمان. فإن تعبير "**إلى حين**" يجعل من هذا العمل ليس عقوبة بل لإيمانه. لو كان ذلك للعقوبة لجعله أعمى على الدوام لكن الأمر بخلاف هذا؛ إنه إلى حين، وأيضًا لكي يربح الوالي.

v يا لحب السيطرة! يا لشهوة المجد الباطل، كيف أنها تسقط وتهلك كل شيء، تجعل البشر يقفون ضد خلاصهم وخلاص الآخرين. تجعلهم بالحق عميان وفي ظلمة ويحتاجون إلى من يقودهم بيديه.

v كيف يمكننا أن نتخلص من المجد الباطل؟ فكروا في أولئك الذين من أجل المجد أنفقوا أموالاً كثيرة، ولم ينالوا شيئًا منه. فكروا فى الأموات، أي مجد قد نالوه، وكيف أن هذا المجد لا وجود له، بل يبدو أنه صار كلا شيء. لتفكروا أنه يحمل مجرد الاسم "**المجد**" ولا يحوي فيه شيئًا حقيقيًا... لنهرب من هذا الهوة، ولنطلب أمرًا واحدًا: المجد الذي من الله، وأن نكون مقبولين لديه، وممدوحين من سيدنا جميعًا، فإذ نعبر حياتنا الحاضرة في الفضيلة ننال البركات الموعود بها مع أولئك الذين يحبونه بنعمة ورحمة ربنا يسوع المسيح الذي له المجد والقدرة والكرامة مع الآب والروح القدس إلى أبد الأبد وإلى انقضاء العالم.

القديس يوحنا الذهبي الفم

v "ماذا تريدون؟ أبعصا آتي إليكم أم بالمحبّة وروح الوداعة؟" (١ كو ٤: ٢١). قصد بولس بالعصا قوّة الروح الرادعة التي استخدمها ضد عليم، هذه التي استخدمها الله ضدّه.

سفيريان أسقف جبالة

"فالوالي حينئذ لمّا رأى ما جرى،

آمن مندهشًا من تعليم الرب". [١٢]

جاء في السجلات التاريخية أن الوالي سرجيوس بولس اعتمد هو وعائلته، وفي الجيل التالي صار بعض أفراد أسرته مسيحيين مثل ابنته وابنها كايوس كاريستانيوس فرونتو وكان عضوًا في عائلة مشهورة تقيم في أنطاكية بسيدية.

٥. خطاب في أنطاكية بيسيديّة

"ثم أقلع من بافوس بولس ومن معه،

وأتوا إلى بِرْجِة بمفيلية،

وأمّا يوحنا ففارقهم ورجع إلى أورشليم". [١٣]

v لاحظوا كيف أنهم لم يتباطؤا هناك كما اعتادوا أن يفعلوا، فإن الحاكم قد صار مؤمنًا، ولا ضعفوا بالتكريم والاحتفال بهم في القصر، إنما في الحال استمروا في عملهم وانطلقوا إلى الساحل المقابل.

القديس يوحنا الذهبي الفم

ركبوا البحر واتجهوا إلى الشمال نحو سواحل آسيا الصغرى، ودخلوا أول مقاطعة على الساحل التي في مقابل شمال قبرص، وهي مقاطعة بمفيلية.

يرى البعض أنه قد برزت أخلاقيات برنابا الكارز التقِي فإنه لما نال بولس الرسول نعمة فائقة أعطاه الأولوية مع أنه أكبر منه سنًا وأقدم في الإيمان والخدمة، فاعتبر نفسه ممن مع بولس، وليس هو القائد. اختار المتكأ الأخير بفرحٍ حين رأى نعمة الله ومواهبه المقدمة لبولس الرسول.

برجة: كانت عاصمة مقاطعة بمفيلية، وهي ليس ميناء، لهذا نزلوا في أتالية ميناء برجة والتي تُدعى حاليًا أنتاليا، ثم انطلقوا إلى برجة على بعد ١٢ ميلاً منها.

بمفيلية: تقع بين طرسوس وساحل البحر في آسيا الصغرى، يتاخمها من جهة الغرب ليكية Lycia ومن الشرق كيليكية Cilicia. كان هذا الإقليم منذ سنة ٤٣ ق. م. إلى ٦٨ م يدعى مقاطعة بمفيلية كيليكية.

يرى البعض أن الرسول بولس أُصيب بالملاريا (شوكة الجسد). ويرى البعض أن القديس مرقس أيضًا أُصيب بمرض لهذا أصر على العودة إلى أورشليم. هذا بجانب أنهم سافروا من أقصى شرق قبرص حتى غربها، أي حوالي ٤٠٠ ميلاً في أرض وعرة وطرق صعبة، بين شعبٍ غريبٍ، حتى اليهود كانوا يقاومونهم. لم يحتمل الشاب مرقس هذا المجهود، لكنه عاد وقطع طرقًا صعبة بين ليبيا ومصر، وسار حتى تهرأ نعله في الإسكندرية من أجل الشهادة للحق والكرازة بإنجيل المسيح.

"**وأمّا هم فجازوا من بِرْجِة،**

وأتوا إلى إنطاكية بيسيدية،

ودخلوا المجمع يوم السبت وجلسوا". [١٤]

"**وأما هما فاجتازا من برجة، وأتيا إلى أنطاكية**": في اليونانية لا توجد قواعد خاصة بالمثنى. لهذا يلازم ترجمتها في العربية بالمثنى (اجتازا، أتيا)، إذ يتحدث عن القديسين بولس وبرنابا وحدهما.

عبرا سلسلة جبال طرسوس التي تفصل برجة عن أنطاكية. إذ صارت أنطاكية عاصمة بيسيدية الكبرى، لذا تُدعى أنطاكية بيسيدية، أي عاصمتها. كانت أكثر المناطق مدنية، كما كانت مركزًا حربيًا. وهي على مرتفعٍ عالٍ يبلغ قمته ٣٦٠٠ قدمًا فوق سطح البحر، وقد حولها الإمبراطور أوغسطس إلى مستعمرة رومانية سماها مستعمرة قيصر Colonia Caesarea وكان بولس الرسول مهتمًا بدخول الإيمان في المستعمرات الرومانية، مثل لسترة وفيلبي وكورنثوس في اليونان.

كانت هذه المناطق يقطنها كثرة من اليهود، وبالتالي كانت بها مجامع كثيرة لهم، بل واستطاع اليهود في أنطاكية بيسيدية أن يكّونوا مهجرًا مستقلاً لهم، واعتبروا انهم كولونية أو مستعمرة مستقلة.

"**وبعد قراءة الناموس والأنبياء أرسل إليهم رؤساء المجمع قائلين**:

أيها الرجال الإخوة إن كانت عندكم كلمة وعظ للشعب فقولوا". [١٥]

"**بعد قراءة الناموس والأنبياء**" **[١٥]**: كان اليهود يقسمون الأسفار المقدّسة إلى ثلاثة أقسام: **الناموس** ويحوي أسفار موسى الخمسة، **والأنبياء** ويضم يشوع والقضاة وسفريّ صموئيل وملوك الأول والثاني وكل الأنبياء ماعدا دانيال، والقسم الثالث يُدعى **الكتابات المقدّسة** *Hagiographa*، ويحوي المزامير والأمثال وأيّوب ونشيد الأناشيد، وراعوث والمراثي، والجامعة واستير ودانيال وعزرا ونحميا وأخبار الأيّام الأول والثاني، وكان هذا القسم يُدعى "**المزامير**" لأنّه أول الأسفار الواردة فيه.

كانت عادة قراءة الناموس علانيّة قديمة جدًا، ثم أُضيف بعض أسفار الأنبياء. وإذ حرق أنتيخوس أبيفانس سفر الناموس ومنع قراءته، اختار اليهود بعض أجزاء من الأنبياء رأوا أنّها مقاربة جدًا للناموس لتُقرأ عوضًا عن الناموس. وإذ عادوا إلى قراءة الناموس بقيت عادة قراءة الأنبياء مع الناموس .

فالعبارة الواردة هنا تشير إلى القراءات المختارة من القسمين: الناموس والأنبياء لتقرأ في المجمع، حاسبين أن بقراءة الجزء كأن كل الأسفار قد قرأت (مت ٥: ١٧، لو ١٦: ٢٩). أمّا القسم الثالث فلم يكن يُقرأ في المجامع.

دخلا المجمع يوم السبت وجلسا في صفوف الربيين، وبهذا نبها الرؤساء والقائمين على نظام المجمع والصلاة أنهما قادران على الوعظ.

كان نظام الصلاة في مجمع اليهود في القرن الأول المسيحي هو هكذا:

- قراءة الشِمَع، أي "اسمع يا إسرائيل الرب إلهنا رب واحد".
- صلاة من فم رئيس المجمع.
- قراءة من الناموس، يضاف إليها قراءة من الأنبياء إن كان يوم سبت أو عيد.
- عظة يلقيها أحد الأعضاء المقتدرين في المجمع، يختاره رئيس المجمع أو رؤساؤه.

"**رؤساء المجمع**" [١٥]: ترد في العهد الجديد أحيانًا بصيغة الجمع كما في النص الحالي، ووردت في صيغة المفرد كما في مر ٥: ٣٥-٣٦، ٣٨؛ لو ٨: ٤١، ٤٩. يبرّر البعض ذلك أنّه في البلاد التي تضمّ مجتمعًا يهوديًّا ضخمًا يوجد أكثر من رئيس مجمع، أمّا حيث

المجتمعات الصغيرة، فيوجد رئيس واحد. وكان رئيس المجمع في الهيكل يحتل المركز الثالث بعد رئيس الكهنة الأعظم ورئيس الكهنة. ولم يكن يحتل هذا المركز ما لم ينل الشخص شهادة من مجمع السنهدرين أنّه يحمل السمات المطلوبة لهذا المركز. وينصبّ علمه على الإشراف على كل ما يخص العبادة. ويرى البعض أن رؤساء المجامع المحليّة تمثل مجمع السنهدرين.

"**فقام بولس وأشار بيده وقال:**

أيها الرجال الإسرائيليون والذين يتّقون الله اسمعوا". [١٦]

كان الرسول بولس يحتل مركز الصدارة في الحديث، ربّما لأنّه كان أكثرهم قدرة على الخطابة. كان له موهبة الوعظ.

كان السيد المسيح يعظ في الهيكل وهو جالس (لو ٤: ٢٠؛ مت ٢٦: ٥٥)، أما الرسل فغالبًا ما كانوا يعظون وهم واقفين.

يخاطب القديس بولس هنا اليهود والأمم المتهودين والذين يدعون أتقياء، هؤلاء كانوا دومًا أكثر استعدادًا لقبول كلمة الخلاص من اليهود أنفسهم.

يرى **الأب ثيؤدورت أسقف قورش** أن الذين جاءوا إلى الناموس من الأمم يُدعون "متقي الله" أو "خائفي الله".

"**إله شعب إسرائيل هذا اختار آباءنا،**

ورفع الشعب في الغربة في أرض مصر،

وبذراع مرتفعة أخرجهم منها". [١٧]

بدأ القديس بولس حديثه بمدحه لهم كمتقي الله. وقد دعا إله كل البشرية "أباهم"، كأنه خاص بهم، مظهرًا احسانات الله عليهم.

اعتاد الرسول بولس في أحاديثه مع اليهود أن يفتتح كلماته بإشارة موجزة لعمل الله مع شعب إسرائيل، حتى يجتذبهم للكلمة، إذ يشعروا أنّه مخلص في اهتمامه بوحدة الشعب واستقامة الإيمان الذي تسلّمه الآباء.

ركزت هذه العظة على اختيار إسرائيل من بين الأمم لكي يأتي منها المسيا الذي اشتاق إليه الآباء والأنبياء. وأن التاريخ الخاص بشعب الله بكل تفاصيله لم يكن إلاَّ تهيئه لمجيئه.

ابتدأ باختيار الآباء، ثم انتقل بسرعة إلى مؤازرة الشعب في مصر حيث رفع رأسه مع أنه كان في غربة، وأخيرًا إذ سقطوا تحت العبودية والسخرة أخرجهم بذراع رفيعة (خر ٦: ٢؛ ١٣٦: ١١).

يلاحظ في مقاله لم يشر إلى فضائل آبائهم، بل ركز على دور الله في اختيارهم وتدبير أمورهم وتقديم نبوات. إنه عمل الله، هذا الذي أرسل ابنه الوحيد يسوع المسيح مخلصًا لهم.

"**ونحو مدة أربعين سنة احتمل عوائدهم في البرية**". [١٨]

استعار القديس بولس من سفر التثنية (١: ٣١) تشبيه إسرائيل في البرية بطفلٍ مشاكسٍ يهتم به أبوه فيحمله على ذراعيه.

"**ثم أهلك سبع أمم في أرض كنعان،**

وقسّم لهم أرضهم بالقرعة". [١٩]

إذ دخل بهم إلى أرض الموعد، من أجلهم أهلك سبع أمم (تث ٧: ١) وقدم لهم أرضهم ليقسموها بين الأسباط بالقرعة.

"**وبعد ذلك في نحو أربع مائة وخمسين سنة،**

أعطاهم قضاة حتى صموئيل النبي". [٢٠]

يأتي هذا الرقم نحو أربعمائة وخمسين سنة لفترة القضاة حتى صموئيل النبي مطابقًا لحسابات المؤرخ يوسيفوس الذي يعطي ٥٩٢ سنة من خروج شعب إسرائيل من مصر إلى بناء الهيكل. وهي ٤٠ سنة في التيه، مضافًا إليها ٢٥ سنة زمن حكم يشوع حسب تقرير يوسيفوس، مضافًا إليها ٤٥ سنة زمن القضاة، ثم حكم شاول ٤٠ سنة، ثم ٤٠ سنة حكم داود (١مل ٢: ١١) ثم أربع سنوات لسليمان للإعداد لبدء بناء الهيكل، فالمجموع ٥٩٩ سنة، ويكون الفارق ٧ سنوات، لهذا يقول الرسول بولس "**نحو**".

"**ومن ثم طلبوا ملكًا،**

فأعطاهم الله شاول بن قيس رجلاً من سبط بنيامين أربعين سنة". [٢١]

يعطي القديس بولس لحكم شاول ٤٠ سنة، ويتفق ذلك مع يوسيفوس في كتابه السادس (ف ١٤؛ ٩)، غير أن يوسيفوس يعود فيحدد مدته بعشرين عامًا، ويعلل البعض ذلك بأن يوسيفوس هنا يتحدث عن مدة حكم شاول بعد استقلاله تمامًا بنهاية خدمة صموئيل النبي.

"ثم عزله وأقام لهم داود ملكًا،

الذي شهد له أيضًا إذ قال:

وجدت داود بن يسى رجلاً حسب قلبي،

الذي سيصنع كل مشيئتي". [٢٢]

رفض شاول لأن قلبه لم يكن مستقيمًا، وأقام داود الذي كان رجلاً حسب قلبه ويتمم مشيئته.

ينتقل القديس بولس من اختيار داود ملكًا إلى إقامة وعدٍ إلهيٍ بملكوت أبدي لابن داود، وذلك على نمط ما ورد في المزمور ٨٩: ١٩-٣٧، حيث يتم الخلاص الإلهي. ما قدمه الله لإسرائيل خلال داود الملك هو ظل لما يقدمه ابن داود للعالم. هكذا عبر بهم بولس الرسول من عصر الآباء إلى مجيء الملك الأبدي، مخلص العالم. وجه أنظار الحاضرين إلى ذاك الراعي الذي تحدث عنه الأنبياء (خر ٣٤: ٢٣-٢٤).

v هنا يقصد بالقلب الرغبة، التي بها كان موضوع سروره خلال استقامة شخصيته.

v لم ينتقم (داود) لنفسه بالحرب، ولا قاوم بقوة ذراعيه الذين كانوا يتربصون له، وإنما كان على مثال الرب، فقد أظهر اسم الرب ووداعته. عندما دُبرت خيانة ضده تضرع (إلى الله)، وعندما كان في خطر تغنى بالمزامير، وعندما اُضطهد لم يحمل ضغينة بل فرح؛ لهذا فقد وُجد رجلاً مثل قلب الله.

القديس هيلاري أسقف بواتييه

"من نسل هذا،

حسب الوعد، أقام الله لإسرائيل مخلصًا،

يسوع". [٢٣]

v لاحظوا كيف أنه يجدل خيوط مقاله بالربط بين الأمور الحاضرة والأنبياء.

يقول: "**من نسل هذا حسب الوعد**" [٢٣]، إذ كان اسم داود عزيزًا عليه جدًا، أليس مشتهاهم هو إن يكون ابنه ملكًا عليهم؟

ثم يورد يوحنا [٢٤]، فالأنبياء حيث يقول أن بمحاكمة (السيد المسيح) قد تمموا كل ما كُتب عنه [١٢].

بعد ذلك يأتي الرسل كشهودٍ للقيامة، مقدمًا داود شاهدًا لها.

فإنه تبدو براهين العهد القديم ليست مقنعة إن أُخذت وحدها، ولا الشهادات الأخيرة إن عزلت عن السابقة. لهذا فإنه جعل الاثنين معًا يثبتان بعضهما البعض بطريقة مشتركة.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"**إذ سبق يوحنا فكرز قبل مجيئه بمعمودية التوبة،**

لجميع شعب إسرائيل". [٢٤]

لكي لا يتشكك المستمعون في يسوع المسيح أنه هو المخلص ابن داود، أورد لهم شهادة القديس يوحنا المعمدان الذي أفصح عن شخصه أنه جاء ليعد الطريق له، وأنه ليس مستحقًا أن يحل سيور حذاء قدميه. ولعل كان من بين الحاضرين من سمع عن القديس يوحنا أو التقى به وآمن به كنبي حقيقي.

"**ولمّا صار يوحنا يكمِّل سعيه،**

جعل يقول من تظنون أني أنا؟

لست أنا إيّاه،

لكن هوذا يأتي بعدي الذي لست مستحقًا أن أحلّ حذاء قدميه". [٢٥]

"**أيها الرجال الإخوة بني جنس إبراهيم،**

والذين بينكم يتّقون الله،

إليكم أُرسلت كلمة هذا الخلاص". [٢٦]

يثير القديس بولس مشاعر اليهود الأتقياء بقوله: "**أيها الإخوة بني جنس إبراهيم**"، فيربط بإبداع بين بنوتهم لإبراهيم وتحقيق الوعد له خلالهم. فما يخبرهم به إنما تحقيق الوعد الإلهي لأبيهم الذي طالما ترقبه وتهلل به.

"**إليكم أرسلت**" جاءت في النسخ الإسكندرانية والسينائية والفاتيكانية: "**إلينا**"، فيضم نفسه معهم، ليتمتع هو معهم بتحقيق الوعد الإلهي، إنه حق لكل أبناء إبراهيم. لقد جاء الرسول إليهم كحامل لكلمة الخلاص، ليتمتعوا بها.

"**لأن الساكنين في أورشليم ورؤساءهم لم يعرفوا هذا،**

وأقوال الأنبياء التي تُقرأ كل سبت تمّموها،

إذ حكموا عليه". [٢٧]

"**لم يعرفوا هذا**"، أو كما يترجمها البعض "أخفقوا في معرفتها". إن كانوا قد فشلوا في معرفة هذا الخلاص فإنهم بلا عذر، لأن كتب الأنبياء بين أيديهم ويقرأونها علانية كل سبت في المجامع، وكان يليق بهم أن يتعرفوا على المخلص. ومن جانب آخر، فإن مقاومتهم له حققت النبوات.

v في كل المناسبات نجدهم (الرسل) يهتمون جدًا بإبراز هذه النقطة أن البركة خاصة باليهود حتى لا يهربوا (من المسيح)، ظانين أنه ليس لهم بسبب ما فعلوه معه حيث أنهم صلبوه. يقول: "**لم يعرفوا هذا**"، لهذا فإن خطيتهم كانت عن جهلٍ. لاحظوا كيف أنه بكل حنو يقدم عذرًا حتى لصالبيه. ليس هذا فقط، وإنما يضيف إلى ذلك أن هذا كان يلزم أن يتم. كيف هذا؟ "**إذ حكموا عليه، تمموا أصوات الأنبياء**".

القديس يوحنا الذهبي الفم

"**ومع أنهم لم يجدوا علة واحدة للموت،**

طلبوا من بيلاطس أن يُقتل". [٢٨]

لئلا يظنوا أن الذين صلبوه بلا عذر، لأنهم "**لم يعرفوه**"، أكد الرسول بولس أن الأنبياء يصرخون إليهم بلا انقطاع لكي يتعرفوا عليه، لكنهم لم ينصتوا لهم. ومن جانب آخر فإنهم "**مع أنهم لم يجدوا علة واحدة للموت، طلبوا من بيلاطس أن يُقتل**". فإن كانت قد تمت فيه النبوات، هذا لن يبرر تصرفاتهم، إنما يعطيهم فرصة لمراجعة أنفسهم والعودة إليه بالتوبة.

بيلاطس الأممي الذي بلا دراية بالنبوات يشهد عليهم إذ لم يجد عليه علة واحدة (يو ١٩: ٤، ٦)، وأما هم الذين كان يليق بهم أن يكرزوا به، فطلبوا قتله (يو ١٩: ٧).

"**ولما تمموا كل ما كُتب عنه،**

انزلوه عن الخشبة،

ووضعوه في قبر". [٢٩]

الذين طلبوا صلبه انزلوه (يو ١٩: ٣١)؛ وإن ظن أحد أن يوسف الرامي ونيقوديموس هما اللذان انزلاه من الصليب، فهما عضوان في مجمع السنهدرين، وكأنهما يمثلان المجمع.

"**ووضعوه في قبر**": في هذا دليل قاطع على موته موتًا حقيقيًا، استلزم الدفن. موت السيد المسيح ودفنه يمثلان جزءً من صُلب قانون الإيمان لا ينفصلان عن صلبه وقيامته. فقد سلم الرسول بولس هذه الحقائق مترابطة معًا لتحقيق الخلاص. "فإني سلمت إليكم في الأول ما قبلته أنا أيضًا أن المسيح مات من أجل خطايانا حسب الكتب، وأنه دفن، وأنه قام في اليوم الثالث حسب الكتب" (١ كو ١٥: ٣).

"**ولكن الله أقامه من الأموات**". [٣٠]

حكم اليهود بقتله، والله الآب أقمه من الأموات. هذه القيامة هي الدليل القاطع أنه ابن الله القدوس (رو ١: ٢-٤).

"**وظهر أيامًا كثيرة للذين صعدوا معه من الجليل إلى أورشليم،**

الذين هم شهوده عند الشعب". [٣١]

ظهوراته بعد القيامة هي براهين قوية وشهادة حية لقيامته. فالذين عاشروه وأحبوه إذ رأوه قد مات ودفن تمتعوا ببهجة قيامته لكي يشهدوا له ليصير فرح المؤمنين به كاملاً (١يو ١: ٣-٤).

"ونحن نُبشّركم بالموعد الذي صار لآبائنا". [٣٢]

بعد هذا العرض التاريخي اللاهوتي انتقل القديس بولس إلى الواقع العملي، فإن هذا الوعد الإلهي مُقدم لكل مستمع، حتى إذ يؤمن يتمتع بقيامة المسيح في حياته. الوعد الذي ثبته الله منذ عصر الآباء وعبر كل الأجيال قد تحقق، لكي يتمتع به الجيل الحاضر.

"أن الله قد أكمل هذا لنا نحن أولادهم،

إذ أقام يسوع كما هو مكتوب أيضًا في المزمور الثاني،

أنت ابني أنا اليوم ولدْتَك". [٣٣]

إذ وقع من عيني شاول الطرسوسي ما هو أشبه بالقشور قام واعتمد وصار يكرز بما رآه بخصوص المسيح: "**هذا هو ابن الله**" (أع ٩: ١٨-٢٠). هذه العقيدة هي موضوع كرازة الرسول بولس، وقد تأكدت بقيامته من الأموات (رو ١: ١-٤). لقد ارتبطت بنوته للآب بكل أحداث الخلاص. ففي تجسده قال الملاك: "يُدعى ابن الله" (لو ١: ٣٥). وفي عماده قال الآب: "أنت ابني الحبيب بك سررت" (لو ٣: ٢١-٢٢). وفي تجليه قال الآب: "هذا هو ابني الحبيب الذي به سررت" (مت ٣: ١٧). وفي قيامته يقول الرسول: "تعيَّن ابن الله بقوة من جهة روح القداسة بالقيامة من الأموات" (رو ١: ٤).

لقد جاءت قيامته تؤكّد عمليًا وبطريقة ملموسة ما شهد عنه الملاك في ميلاده، وما أعلنه الأب علانيّة يوم عماده، ولأخصّائه يوم تجلّيه. هذه القيامة ليست بالأمر الغريب عن شعب الله، فقد سبق فكشفها داود النبي في مزاميره.

هذه البنوّة السرمديّة تمس حياتنا وخلاصنا. إذ نتمتع في الابن الوحيد القائم من الأموات بنعمة البنوة بعمل روحه القدوس الذي له دوره في كل أحداث الخلاص.

"أنه أقامه من الأموات،

غير عتيد أن يعود أيضًا إلى فساد، فهكذا قائلاً:

أني سأعطيكم مراحم داود الصادقة". [٣٤]

إذ قام في اليوم الثالث حيث لم يحل به الفساد، بشهادة داود النبي وخلال الواقع العملي الملموس. إنّه لا يموت بعد، ولن يحل به فساد قط. لقد قام لعازر من القبر بأمر ربّنا يسوع، لكنّه عاد فمات وجسده انحل.

لن يعود السيّد إلى القبر كميّت، حيث يملك الموت، إذ لا سلطان للموت عليه، إنّما قبله مرّة بإرادته من أجلنا.

"ولذلك قال أيضًا في مزمور آخر:

لن تدع قدوسك يرى فسادًا". [٣٥]

جاء التعليم الرسولي مركزًا على قيامة السيد المسيح تحقيقًا للمزمور ١٦: ٩-١١. هذا ما أعلنه القديس بطرس في يوم الخمسين، وما يقدمه بولس الرسول هنا. وقد قام هذا التعليم على حديث رب المجد يسوع مع التلميذين الذين كانا في طريقهما إلى عمواس (لو ٢٤: ٢٦-٢٧).

"لأن داود بعدما خدم جيله بمشورة الله رقد،

وانضم إلى آبائه ورأى فسادًا". [٣٦]

يؤكد الرسول بولس لليهود أن ما نطق به داود النبي لم يتحقّق في شخصه، لأنّه مات وقبره قائم، ليس من ينكر ذلك. لكن ما قاله يخص المسيّا المنتظر، وقد تحقّق عمليًا في شخص يسوع.

"وأمّا الذي أقامه الله فلم يرَ فسادًا". [٣٧]

"فليكن معلومًا عندكم أيها الرجال الإخوة،

أنه بهذا ينادى لكم بغفران الخطايا". [٣٨]

ما لم يتحقّق في شخص داود النبي تحقّق في شخص ابن داود، القادر وحده أن يُقيم عهدًا جديدًا ويهب غفران الخطايا. داود رجل الله الصالح، سرّ صلاحه نعمة الله عليه، لكنّه يعجز أن يتمتّع بالمجد، وأن يهب مجدًا لأبناء أمّته.

بمشورة الله تمتّع داود بالمُلك، وأيضًا أبناءه، لكنّهم فشلوا في ديمومة المملكة وثباتها بسبب الفساد الذي حلّ بالأسرة الملكيّة، كما بالشعب، وصارت الحاجة مُلحّة إلى "ابن داود" الغافر الخطايا والمُنقذ النفوس من الفساد، لكي يُقيم مملكة داود الروحيّة الدائمة.

"**بهذا يتبرّر كل من يؤمن،**

من كل ما لم تقدروا أن تتبرّروا منه بناموس موسى". [٣٩]

إن كان السيد المسيح قد صُلب عن خطايانا، فالقيامة أكدت قبول الذبيحة فننال الغفران، بل وننعم ببرّ المسيح. هذا البرّ الذي لم يستطع الناموس أن يقدمه لأحد.

بالقيامة تحققت المصالحة الإلهية، وصار روح الله القدوس ساكنًا في الكنيسة وقائدها، لذلك نالت الكنيسة خلال رسل المسيح نفخة الروح، فتسمع الوعد المسياني: "اقبلوا الروح القدس، من غفرتم خطاياه تُغفر له، لمن أمسكتم خطاياه أُمسكت" (يو ٢٠: ٢٣).

كشفت القيامة عن حقيقة ذبيحة المسيح الفريدة، إنها ذبيحة حية فعَّالة وقادرة على إبادة الخطية وتحطيم الموت. إنها وإن تحققت خلال التاريخ لكنها تحمل المؤمنين إلى ما فوق التاريخ، تعمل على الدوام وتدخل بنا إلى الأبدية.

٧ نعم ذاك الذي دفن يغفر الخطايا أكثر من الناموس الذي له قوة على فعل هذا. لاحظوا إنه لم يقل: "**ما لم تتبرروا**" بل "**ما لم تقدروا أن تتبرروا منه بناموس موسى**".

القديس يوحنا الذهبي الفم

"**فانظروا لئلاّ يأتي عليكم ما قيل في الأنبياء**". [٤٠]

"**انظروا أيها المتهاونون وتعجبوا واهلكوا،**

لأنني عملاً أعمل في أيامكم،

عملاً لا تصدقون إن أخبركم أحد به". [٤١]

يقتبس الرسول بولس الإنذار النبوي الخطير الذي نطق به حبقوق النبي (١: ٥) في حوالي سنة ٦٠٠ ق.م. على لسان الله. فإذ أصر شعب الله على العصيان هددهم بأمة الكلدانيين

الرهيبة تحطم إسرائيل وتسحق الأمم من حواليه؛ وقد تحقق ذلك. فقد أسرت أشور إسرائيل، وإذ لم ترتدع يهوذا أسرتها مملكة بابل، والتقى الاثنان في السبي. وقد وصف الله رؤساء شعبه المتهاون في الحق والعاصي "**رجال الهزء**" (إش ٢٨: ١٤) ودعاهم "**متهكمين**" (إش ٢٨: ٢٢). هنا يحذر رافضي السيد المسيح ومقاومي عمله الخلاصي بأنهم "**متهاونون**" لا يكترثون بالكارثة التي تحل عليهم كما حلت على إسرائيل ويهوذا قديمًا بسماح من الله، لأنه "يسخط ليفعل فعله، فعله الغريب، ويعمل عمله، عمله الغريب"، أو كما يقول: "لأني عامل عملاً في أيامكم، لا تصدقون به إن أُخبر به" (حب ١: ٥).

يحمل عمل الله الغريب والعجيب معنيين، فمن جانب يسقط المتهاونون تحت الغضب الإلهي، ومن يحتمله؟! والثاني أنه قد تحقق عمل الله الغريب والعجيب بتجسد الكلمة الإلهي من أجل الإنسان، وقبوله الصليب بمسرة، وقيامته ليهب الإنسان قوة قيامته... أمور لا يقدر المتهاونون أن يصدقوها، إذ لا يتمتعوا بنعمة الإيمان!

هكذا ختم الرسول بولس عظته بهذا التحذير حتى لا يتهاونوا أو يتراخوا في الإيمان بالسيد المسيح مخلص العالم. حقًا إنه سمح للآشوريين والبابليين بسبي العصاة من شعبه، بل ويتركهم فيسقطوا في سبي ذاك الذي قبلوه أبًا لهم، إبليس! إنه لن يسحبهم إلى الإيمان قسرًا، وإنما إذ يرفضون شمس البرّ يسقطوا تحت مرارة الظلمة.

٦. التوجّه إلى الأمم

"وبعدما خرج اليهود من المجمع،

جعل الأمم يطلبون إليهما أن يكلماهم بهذا الكلام في السبت القادم. [٤٢]

كان لليهود الأولوية في هذه المجامع في دخولهم وخروجهم، فإذ خرج اليهود أولاً، أما المتهودون من الأمم فترجوا بولس وبرنابا أن يعودا في السبت التالي ليقدما لهم المزيد من الأخبار الإنجيلية المفرحة.

لم تتحرك قلوب بعض اليهود لقبول كلمة الخلاص، فقد جاءوا لممارسة العبادة في شكلياتها إرضاء لضمائرهم، أما المتهودون من الأمم ففتح كثيرون قلوبهم لكي يتمتعوا بكلمة الله المفرحة. وكما يقول النبي: "وجدت كلامك فأكلته، فكان لي للفرح ولبهجة قلبي" (إر ١٥: ١٦).

كان إيمانهم بيسوع، في نظر اليهود، إعلانًا عن عجز الناموس الموسوي عن التبرير وغفران الخطايا. كانت قلوب اليهود في كل موضع ملتهبة بالحنين نحو جبال يهوذا، والتمتّع بمدينة الله أورشليم، والاعتداد بالهيكل. هؤلاء صمتوا عندما سمعوا كلمات الرسول بولس. حقًا كلماته مقنعة ومؤيّدة بالنبوّات، وعيناه تلتهبان بنار الروح الجذّاب، لكنّه ينطق بأمرٍ جديدٍ، في جسارة لم يرونها من قبل ولا سمعوا عنها. يسمعون أنّهم أسرى لعدو خطير، محتاجون إلى التمتّع بحريّة داخليّة، وأنّهم خطاة يحتاجون إلى مخلص إلهي إنّه اتّهام جريء كيف يتجاسر يهودي أن يتفوّه به، مطالبًا بقيام مملكة جديدة لإسرائيل، وتبرير بعمل شخصٍ مصلوب!

لقد رفض اليهود هذا الخطاب الخطير، لكن كلمة الله لن ترجع فارغة، بل تسحب قلوب النفوس الجادة في خلاصها وتدخل بها إلى فرح الملكوت. هذا هو عمل الكلمة لدى المخلصين في معرفة الحق، أما الأشرار فيقولون مع أشرار تسالونيكي: "إن هؤلاء الذين فتنوا المسكونة حضروا إلى ههنا أيضًا" (أع ١٧: ٦). وأيضًا أشرار أفسس: "وأنتم تنظرون وتسمعون أنه ليس من أفسس فقط، بل ومن جميع آسيا تقريبًا استمال وأزاغ بولس هذا جميعًا كثيرًا..." (أع ١٩: ٢٦).

"ولما انفضت الجماعة،

تبع كثيرون من اليهود والدخلاء المتعبدين بولس وبرنابا،

اللذين كانا يكلّمانهم،

ويقنعانهم أن يثبتوا في نعمة الله". [٤٣]

كلمة "**انفضت**" تحمل معنى إخلاء المجمع بالأمر، أشبه بالطرد. لقد شعر رؤساء المجمع بخطورة كلمات القديس بولس على المجمع فأنهوا الاجتماع بسرعة. لكن تجمهر الذين تأثروا بكرازة الإنجيل من اليهود والأمم حول الرسولين، وقد اشتعلت قلوبهم بحب الإنجيل والتمتع بمعرفة الحق الإلهي.

يرى البعض أن كلمة "**دخلاء**" هنا لا تعني بالضرورة أنّهم أمم قبلوا التهوّد، وصاروا من أهل الختان، لكن بعضهم تأثّروا باليهود وآمنوا بالله الواحد، ورفضوا العبادة الوثنيّة وكل رجاساتها دون أن يختتنوا. وكان اليهود يسمحون لهم بحضور الاجتماعات ويشتركوا في العبادة، لكنّهم يشعرون بامتيازهم عنهم.

"وفي السبت التالي اجتمعت كل المدينة تقريبًا،

لتسمع كلمة الله". [٤٤]

واضح أن الذين انضموا إلى الرسولين أكثرهم من الدخلاء، أما اليهود فكثيرون رفضوا الكلمة، بل وقاوموها. شهد الذين قبلوا الإنجيل، وكادت المدينة كلها أن تجتمع في السبت التالي لتتمتع بالكلمة الإلهية.

"فلما رأى اليهود الجموع

امتلأوا غيرة،

وجعلوا يقاومون ما قاله بولس،

مناقضين ومجدّفين". [٤٥]

لم يحتمل اليهود هذه الجمهرة، فامتلأوا حسدًا، وحسبوا أن من واجبهم أن يصرخوا مع يهود أورشليم: "اصلبه، اصلبه" لا يبالوا بما يقوله بيلاطس: "إني لم أجد علة واحدة تستوجب الموت". فإن كانت الجماهير في أورشليم أصرت على صلب يسوع البار، فإن جمهور اليهود هنا يصرون على صلب اسمه؛ لا يطيقون الكرازة به.

بجانب هذه الجمهرة التي تكشف عن نجاح رسالة الرسولين وبالتالي فشل العاملين في المجمع، فإنّ أحاديث الرسول بولس تُحسب إهانة موجّهة ضد الشريعة الموسويّة أمام الدخلاء، وتجريد اليهود كأمّة فريدة في عبادتها للّه من امتيازاتها. هذا بجانب أن دعوة الرسول تدفع إلى المساواة بين اليهود والأمم، هذا ما لا تقبله العقليّة اليهوديّة.

كان شاول الطرطوسي قبلاً مقاومًا للحق الإنجيلي ومجدفًا، وها هي جموع اليهود "**يقاومون ما قاله بولس مناقضين ومجدفين**". كانت نظرات الرسول نحوهم مملوءة شفقة، فقد سقطوا فيما سقط هو فيه، إذ يقول: "أنا الذي كنت قبلاً مجدفًا ومضطهدًا ومفتريًا، ولكنني رُحمت لأني فعلت بجهل في عدم إيمان" (١ تي ١: ١٣). كان يصرخ في قلبه: متى يُرحم هؤلاء كما رُحمت أنا؟ متى تسقط القشور عن أعينهم فيبصروا معي ما أبصره من بهاء مجد شمس البرّ؟

"فجاهر بولس وبرنابا وقالا:

كان يجب أن تتكلّموا أنتم أولاً بكلمة الله،

ولكن إذ دفعتموها عنكم وحكمتم أنكم غير مستحقين للحياة الأبدية،

هوذا نتوجّه إلى الأمم". [٤٦]

هنا يعلن الرسول أسلوبه الكرازي، فقد وضع في قلبه منذ تمتع بسرّ الاستنارة أن يبدأ في كل موضع بعرض بشارة الإنجيل المفرحة على اليهود أولاً بكونهم الورثة الشرعيين للوعود الإلهية ومنهم خرج الأنبياء وجاء المسيا نفسه، وبعد ذلك ينطلق إلى الأمم مع القلة القليلة من اليهود الذين يقبلون الإيمان. بهذا يسبح الرسول مع سمعان الشيخ وهو حامل في قلبه الطفل يسوع قائلاً: "الآن تطلق عبدك يا سيد حسب قولك بسلام، لأن عيني قد أبصرتا خلاصك الذي أعددته **قدام جميع الشعوب**، نور إعلان للأمم، ومجدًا لشعبك إسرائيل" (لو ٢: ٢٩-٣٢).

يرى **القديس يوحنا الذهبي الفم** أن الرسول بولس لم يقل: "نحن نترككم"، بل قال: "**نتوجه إلى الأمم**"، وكأنه يترك باب الرجاء مفتوحًا أمامهم، فإنهم إن استعدوا لقبول الكلمة يعود يبشرهم. كان حتى في توبيخهم رقيقًا.

في التسبحة (لو ٢: ٢٩-٣٢) يبدأ بالأمم ثم يليه إسرائيل، لأن كثير من الأمم يقبلون الإيمان وقلة من اليهود يتجاوبون مع عمل السيد المسيح. لكن السيد المسيح جاء أولاً لليهود ثم لكل الأمم، فقد قال للسامرية: "الخلاص هو من اليهود" (يو ٤: ٢٢).

وكما يقول الرسول بولس: "لأني لست أستحي بإنجيل المسيح، لأنه قوة الله للخلاص لكل من يؤمن، لليهودي أولاً ثم لليوناني" (رو ١: ١٦). "بزلتهم صار الخلاص للأمم لإغارتهم" (رو ١١: ١١). "وإذ كانوا يقومون ويجدفون نفض ثيابه وقال لهم: دمكم على رؤوسكم. أنا بريء، من الآن أذهب إلى الأمم" (أع ١٨: ٦).

v لقد تم العبور الحقيقي إلى بابل الذي سبق أن رُسم في أيام إرميا؛ لقد تم بترتيب روحي في أيام تجسد الرب. ولكن ماذا يقول إرميا عن البابليين الذين عبر إليهم؟ "لأن بسلامهم يكون لهم سلام" (إر ٢٩: ٧ *LXX*). هكذا عندما عبر إسرائيل إلى بابل بواسطة المسيح والرسل، أي عندما بُشر بالإنجيل بين الأمم... قبلوا سلام المسيح، وكفوا عن اضطهاد المسيحيين.

v انظر فإن الشجرة (إسرائيل) قد يبست (مت ٢١: ١٨؛ لو ٢٤: ٢٨)، والمسيح تحرك إلى الأمم، تحرك الجبل إلى البحر.

القديس أغسطينوس

v إذ رفضتم المسيح ولم تعدوا مكانًا لائقًا عليه يُقام مذبح الرب، فإنه سيقيمه على أرض الأمم، أي في قلوب كل الشعب. لهذا يقول الرسول موضحًا لنا: "هيكل الله مقدس الذي أنتم هو" (١ كو٣: ١٧).

v يمكن أن يرمز جيحزي للشعب اليهودي، إذ أصيبوا ببرص الخطية في نفس الوقت عندما تحرر الأمم منه. أخيرًا أعلن اليهود الأشقياء هذا أثناء آلام المسيح: "دمه علينا وعلى أولادنا" (مت ٢٧: ٢٥). عندئذ بالحقيقة استحقوا أن يغطيهم برص الخطية عندما صرخوا بشفاهٍ شريرةٍ ضد الطبيب السماوي: "خذه! خذه! أصلبه" (يو ١٩: ١٥) لهذا لصق البرص بهم في نفس الوقت عندما عبرت النعمة إلينا... عندما عبر تعليم الرسل إلى الأمم، لصق برص الخطية في اليهود البؤساء.

الأب قيصريوس أسقف آرل

v من هذا واضح أن الوضع الطبيعي للأمور كان هكذا: كان يلزم أن يدخل (اليهود) أولاً وبعد ذلك الذين من الأمم، ولكن إذ لم يؤمن اليهود انقلب النظام، فبسبب عدم إيمانهم وسقوطهم يأتي هؤلاء أولاً.

القديس يوحنا الذهبي الفم

v إننا نجد في نبوة إرميا أمرهم الله بالذهاب إلى بابل، مشيرًا إلى أن كل الأنبياء الآخرين الذين يطلبون من الشعب عدم الذهاب إلى بابل هم أنبياء كذبة (إر ٢٧: ١٤-١٥)... لقد هدّد إرميا، حسب أوامر الله، الذين لا يرغبون في الذهاب إلى بابل، بينما وعد الذين يذهبون بالراحة وبنوعٍ من السعادة في زراعة كرومهم ونمو حدائقهم ووفرة ثمراتهم. كيف عبر إسرائيل الحقيقي لا الرمزي إلى بابل؟ فمن أين جاء الرسل؟ أليسوا من أمّة اليهود؟ ومن أين جاء بولس نفسه، إذ يقول: "أنا أيضًا إسرائيلي من نسل إبراهيم من سبط بنيامين" (رو ١١: ١)؟ لقد آمن كثيرون من اليهود بالرب، فمنهم أُختير الرسل، ومنهم كان أكثر من خمسمائة أخ وُهب لهم أن يعاينوا بالرب بعد قيامته (١ كو ١٥: ٦)، ومنهم المائة وعشرون الذين كانوا في العُلّيّة عندما حلّ عليهم الروح القدس (أع ١: ١٥).

ولكن ماذا يقول الرسول في سفر أعمال الرسل عندما رفض اليهود كلمة الحق؟ "**كان يجب أن تُكلَّموا أنتم أولاً بكلمة الله، ولكن إذ دفعتموها عنكم... هوذا نتوجّه إلى الأمم**" (أع ١٣: ٤٦). لقد تم العبور الحقيقي إلى بابل الذي سبق أن رُسم في أيام إرميا. لقد تم بترتيبٍ روحيٍّ في أيام تجسّد الرب. ولكن ماذا قيل عن البابليّين الذين عُبر إليهم؟ "لأنه بسلامهم يكون لكم سلام" (إر ٢٩: ٧)... الآن في هذا السلام الكامل يمكن أن تُبنى الكنائس، وتُزرع الشعوب في حديقة الله، ويُثمر الأمم في الإيمان والرجاء والمحبّة التي في المسيح.

القديس أغسطينوس

v لاحظوا معي ما كُتب عن هذا الشعب "طلّقتها وأعطيتها كتاب طلاقها" (إر ٣: ٨). طلق الله هذا الشعب وأعطاه كتاب طلاق، الذي يُعطى للمتزوّجين. جاء في ناموس موسى أن المرأة التي تُغضب رجلها تأخذ كتاب طلاقها وتذهب، ويسمح للرجل الذي ترك الزوجة السابقة بسبب تصرفها غير اللائق أن يتزوج بامرأة أخرى.

هكذا لاحظوا الذين أخذوا كتاب الطلاق... قد تُركوا في كل شيء بسبب هذا.

فأين الأنبياء بينهم؟

أين الآن الآيات بينهم (مز ٧٤: ٩)؟

أين إعلانات الله؟

أين الطقوس والهيكل والذبائح؟

لقد طُردوا من موضعهم. بهذا أعطاهم كتاب طلاق. الآن نحن - يهوذا - عدنا إلى الرب. نحن يهوذا، لأن المخلّص قام من شجرة يهوذا، وقد سبق فأعلن أن ربّنا قام من يهوذا (عب ٧: ١٤).

v هذا أيضًا انعكس منذ البداية... حيث يُقال للذين هم من إسرائيل: "تدعيني يا أبي، ومن ورائي لا ترجعين. حقًا إنّه كما تخون المرأة قرينها، هكذا خنتموني يا بيت إسرائيل، يقول الرب" (إر ٣: ١٩-٢٠). وعندما قيلت هذه العبارات بخصوص إسرائيل في البداية، وسمع أبناء إسرائيل أنّهم كانوا أشرارًا في طرقهم ونسوا إلههم القدّوس (إر ٣: ٢١ *LXX*)، عندئذ وضع الروح القدس الكلمة أمامنا نحن الذين من الأمم الوثنيّة وقال لنا: "ارجعوا أيّها البنون

العصاة، فأُشفي أمراضكم" (إر ٣: ٢٢). فإنّنا نحن الذين كنّا مرّة غير مؤمنين، أغبياء، مخدوعين، مستعبدين لشهوات وملذّات كثيرة، نقضي أيامنا في الخبث والحسد ممقوتين مبغضين بعضنا بعضًا. ولكن حين ظهر لطف مخلصنا الله وأحسانه بغسل الميلاد الجديد وسكب رحمته علينا (راجع تي ٣:٣-٦).

العلامة أوريجينوس

v لا يتوقّف عمل الله بسبب عدم إيمان اليهود؛ إنّه الحياة الأبديّة لمؤمنيه، هذه التي وعد أن يهبها للذين يؤمنون بالمسيح. فإن الذين لم يؤمنوا حرموا أنفسهم من المكافأة دون أن يُصاب البقيّة بأي ضرر. بقوله هذا يمدح بولس المؤمنين اليهود، فإنّه ليس خطأهم أن كثيرين من بني جنسهم رفضوا الإيمان.

إمبروسياستر

v الذين لم يؤمنوا كانوا عاجزين عن أن يقفوا في طريق بركاته.

الأب ثيؤدورت أسقف كورش

"**لأن هكذا أوصانا الرب:**

قد أقمتك نورًا للأمم،

لتكون أنت خلاصًا إلى أقصى الأرض". [٤٧]

اقتباسات الرسول بولس المستمرّة من الأنبياء غايتها تأكيد أن ما يكرز به ليس بالأمر الجديد، لكن جذوره في الشريعة والأنبياء. فتدبير الإنجيل أساسه في العهد القديم.

اقتبس الرسول بولس هذه الآية عن إشعياء النبي: "قد جعلتك نورًا للأمم، لتكون خلاصي إلى أقصى الأرض" (إش ٤٩: ٦). فقد جاء السيد المسيح "نور العالم" (يو ٨: ١٢). أضاء في قلوب تلاميذه وأقامهم "نور العالم" (مت ٥: ١٤) لا يحملوا نورهم الذاتي، بل شعلة المسيح التي في داخلهم، لتضيء في وسط ظلمة العالم الوثني.

جاءت النبوّة تكشف عن شخص المسيح أنّه النور والمخلّص، يشرق على الأعماق فيهب حكمة وفهمًا ومعرفة لأسرار حب الله، الذي يضم كل البشريَّة، "**إلى أقصى الأرض**"، ولا يُحدّ بشعب معيّن أو جيلٍ محدد.

"**فلما سمع الأمم ذلك،**

كانوا يفرحون ويمجدون كلمة الرب،

وآمن جميع الذين كانوا معينين للحياة الأبدية". [٤٨]

إذ قدم الرسول بولس شهادات نبوية من أسفار العهد القديم الذي بين أيديهم لم يستطيعوا أن يقاوموا بالحجة، لكنهم امتلأوا غيرة وغضبًا، وصاروا يقاومون ويجدفون بغير منطق. أما الأمم فإذ سمعوا "**كانوا يفرحون ويمجدون كلمة الرب**" وقبلوا الإيمان.

أدرك الأمم أنّهم في ذهن الله، موضوع حبّه منذ القدم، وأن ما يعلنه الرسول يمثّل خطّة إلهيّة كشفها الله لأنبيائه في عصر الناموس، حين كان يظن اليهود أنّهم دون سواهم موضع اهتمام الله وخلاصه. ما يتحقّق الآن هو إتمام للوعود الإلهيَّة. هذه الوعود الإلهية المفرحة صارت عثرة لليهود، ومصدر فرح للأمم.

كلمة "**معينين**" هنا في اليونانية تعني "مُسجلين" أو "مكتوبين"، فقد كُتبت أسماء المؤمنين الحقيقيين في السماوات (لو ١٠: ٢٠). أول من استخدم هذا الأسلوب هو موسى النبي القائل: "والآن إن غفرت خطيتهم، وإلا فامحني من كتابك الذي كتبت" (خر ٣٢: ٣٢). لقد سُجلت أسماؤنا في سفر الحياة ليس لإلزامنا بالخلاص قسرًا، ولا كما يظن البعض أنه نوع من القضاء الجبري، لكن سجله الله بسابق معرفته منذ تأسيس العالم. "لأن الذين سبق فعرفهم، سبق فعينهم، ليكونوا مشابهين صورة ابنه" (رو ٨: ٢٩).

"**وانتشرت كلمة الرب في كل الكورة**". [٤٩]

يقصد بالكورة هنا الإقليم كله، أي "كورة غلاطية" (أع ١٦: ٦).

كلمة "**انتشرت**" تكشف أن الشهادة أو الكرازة بالإنجيل لم تعد قاصرة على الرسولين بولس وبرنابا بل التهبت قلوب المؤمنين للعمل الكرازي بين أقربائهم وأصدقائهم وزملائهم، فنهض الكل للشهادة لإنجيل المسيح.

٧. مقاومة اليهود للرسولين

"ولكن اليهود حرّكوا النساء المتعبدات الشريفات ووجوه المدينة،

وأثاروا اضطهادًا على بولس وبرنابا،

وأخرجوهما من تخومهم". [٥٠]

لم يكن ممكنًا أن يمنع اليهود الرسولين من الشهادة للسيد المسيح في بلد أممي تحكمه قوانين الدولة الرومانية، لكنهم التجأوا إلى النساء اللواتي دخلن الإيمان اليهودي وبعض الرؤساء من المتهودين لإثارة حملة ضد الرسولين. قام اليهود بالعمل من وراء الستار لطردهما ونجحوا في ذلك.

كانت للنساء المتعبدات عند اليهود لهن مركزهن الخاص في الخدمة، لهذا قام الثائرون ضد بولس وبرنابا بإثارتهن مع وجوه المدينة لاضطهادهما. ولم يكن للنساء المتعبدات عند اليهود دورهن في أنطاكية بيسيدية، وإنما في أغلب المجتمعات اليهودية فى أورشليم وخارجها. ولعل هذا أيضًا ورثته الكنيسة، ففي أيام السيد المسيح كون النساء جماعة لخدمته والإنفاق عليه، وكان لهن موقفًا مشرفًا في لحظات الصلب والدفن والقيامة، سبقن فيه الرسل والتلاميذ.

"أما هما فنفضا غبار أرجلهما عليهم،

وأتيا إلى أيقونية". [٥١]

عند طردهما نفذا وصية الرب: "ومن لا يقبلكم ولا يسمع كلامكم فاخرجوا خارجًا من ذلك البيت أو من تلك المدينة وانفضوا غبار أرجلكم. الحق أقول لكم ستكون لأرض سدوم وعمورة يوم الدين حالة أكثر احتمالاً مما لتلك المدينة" (مت ١٠: ١٤-١٥).

"**أيقونية**": في أيام الرسول بولس كانت عاصمة ليكأونية، كانت تابعة لإقليم فريجية، مدينة قونية التركية. وهي تبعد حوالي ٢٠ ميلاً عن ساحل البحر الأبيض المتوسط.

"وأمّا التلاميذ فكانوا يمتلئون من الفرح والروح القدس". [٥٢]

يا للعجب كلما اشتدت الضيقة يملأ الروح القدس نفوس المؤمنين بالفرح السماوي والتهليل. مع كل حركة اضطهاد يصاحبها عمل الروح القدس مفرِّح القلوب ومعزي النفوس. "عند كثرة همومي في داخلي تعزياتك تلذذ نفسي".

v كان المعلمون يُضطهدون، والتلاميذ يفرحون.

القديس يوحنا الذهبي الفم

من وحي أع ١٣

روحك القدّوس قائد رحلتي!

v هاجت أورشليم، مدينة الله، على كنيستك،

فانطلق شعبك يكرز في كثير من الأمم،

صارت أنطاكية مدينة الله العظمى.

هناك ألهبَ روحك الناري قلوب الكثيرين،

وانطلق برنابا ومعه شاول يعملان بقوّة في كرمك.

v اختار روحك القدّوس برنابا وشاول،

أفرزهما له، للعمل بين الأمم.

هو العارف بالقلوب،

وهو واهب الكلمة والحق،

وهو الجاذب للنفوس، لتتمتّع بغنى نعمتك.

بالروح صامت كنيستك وصلّت،

فنالت حكمة الروح، واختارت خدّامًا مخلصين.

v انطلق الاثنان ومعهما يوحنا،

طاروا في رحلة كرازيّة فريدة،

كانوا أشبه بملائكة الله،

حوّلوا بنعمتك البشر إلى ملائكة.

اقتحموا قبرص العزيزة على إلهة الجمال أفروديت،

ليقيموا فيها أبناء أعزّاء للّه.

عوض الانحلال تحوّلت الجزيرة إلى القداسة.

v ليمت فيّ شاول الطرسوسي المعتدّ بذاته،

وليقم في داخلي بولس المتواضع،

الأقل بين الجميع.

فأنت ترفع المتواضعين، وتنزل الأعزّاء عن الكراسي.

v هب لي يا رب روح القدّيس بولس، ومتّعني بحكمته،

فأتمم خطّتك من نحوي.

v ليقاومني إبليس بكل قوّاته،

فأنت هو شمس البرّ الذي لن تقف الظلمة أمامك.

يدك الإلهيَّة تحطّم كل شرّ،

وتكشف كل عمى للبصيرة.

لكي تُقيم مملكة النور،

وتشرق بنورك على النفوس التي أسرها العدو بظلمته.

V ليهبني روحك القدّوس روح الحكمة،

فلا أنطق بكلمات من عندي،

بل أشهد لأعمالك العجيبة.

١ و كان في انطاكية في الكنيسة هناك انبياء و معلمون برنابا و سمعان الذي يدعى نيجر و لوكيوس القيرواني و مناين الذي تربى مع هيرودس رئيس الربع و شاول
٢ و بينما هم يخدمون الرب و يصومون قال الروح القدس افرزوا لي برنابا و شاول للعمل الذي دعوتهما اليه
٣ فصاموا حينئذ و صلوا و وضعوا عليهما الايادي ثم اطلقوهما
٤ فهذان اذ ارسلا من الروح القدس انحدرا الى سلوكية و من هناك سافرا في البحر الى قبرس
٥ و لما صارا في سلاميس ناديا بكلمة الله في مجامع اليهود و كان معهما يوحنا خادما
٦ و لما اجتازا الجزيرة الى بافوس وجدا رجلا ساحرا نبيا كذابا يهوديا اسمه باريشوع
٧ كان مع الوالي سرجيوس بولس و هو رجل فهيم فهذا دعا برنابا و شاول و التمس ان يسمع كلمة الله
٨ فقاومهما عليم الساحر لان هكذا يترجم اسمه طالبا ان يفسد الوالي عن الايمان
٩ و اما شاول الذي هو بولس ايضا فامتلا من الروح القدس و شخص اليه
١٠ و قال ايها الممتلئ كل غش و كل خبث يا ابن ابليس يا عدو كل بر الا تزال تفسد سبل الله المستقيمة
١١ فالان هوذا يد الرب عليك فتكون اعمى لا تبصر الشمس الى حين ففي الحال سقط عليه ضباب و ظلمة فجعل يدور ملتمسا من يقوده بيده
١٢ فالوالي حينئذ لما راى ما جرى امن مندهشا من تعليم الرب
١٣ ثم اقلع من بافوس بولس و من معه و اتوا الى برجة بمفيلية و اما يوحنا ففارقهم و رجع الى اورشليم
١٤ و اما هم فجازوا من برجة و اتوا الى انطاكية بيسيدية و دخلوا المجمع يوم السبت و جلسوا
١٥ و بعد قراءة الناموس و الانبياء ارسل اليهم رؤساء المجمع قائلين ايها الرجال الاخوة ان كانت عندكم كلمة وعظ للشعب فقولوا
١٦ فقام بولس و اشار بيده و قال ايها الرجال الاسرائيليون و الذين يتقون الله اسمعوا
١٧ اله شعب اسرائيل هذا اختار اباءنا و رفع الشعب في الغربة في ارض مصر و بذراع مرتفعة اخرجهم منها
١٨ و نحو مدة اربعين سنة احتمل عوائدهم في البرية
١٩ ثم اهلك سبع امم في ارض كنعان و قسم لهم ارضهم بالقرعة
٢٠ و بعد ذلك في نحو اربع مئة و خمسين سنة اعطاهم قضاة حتى صموئيل النبي
٢١ و من ثم طلبوا ملكا فاعطاهم الله شاول بن قيس رجلا من سبط بنيامين اربعين سنة
٢٢ ثم عزله و اقام لهم داود ملكا الذي شهد له ايضا اذ قال وجدت داود بن يسى رجلا حسب قلبي الذي سيصنع كل مشيئتي
٢٣ من نسل هذا حسب الوعد اقام الله لاسرائيل مخلصا يسوع
٢٤ اذ سبق يوحنا فكرز قبل مجيئه بمعمودية التوبة لجميع شعب اسرائيل
٢٥ و لما صار يوحنا يكمل سعيه جعل يقول من تظنون اني انا لست انا اياه لكن هوذا ياتي بعدي

الذي لست مستحقا ان احل حذاء قدميه
٢٦ ايها الرجال الاخوة بني جنس ابراهيم و الذين بينكم يتقون الله اليكم ارسلت كلمة هذا الخلاص
٢٧ لان الساكنين في اورشليم و رؤساءهم لم يعرفوا هذا و اقوال الانبياء التي تقرا كل سبت تمموها اذ حكموا عليه
٢٨ و مع انهم لم يجدوا علة واحدة للموت طلبوا من بيلاطس ان يقتل
٢٩ و لما تمموا كل ما كتب عنه انزلوه عن الخشبة و وضعوه في قبر
٣٠ و لكن الله اقامه من الاموات
٣١ و ظهر اياما كثيرة للذين صعدوا معه من الجليل الى اورشليم الذين هم شهوده عند الشعب
٣٢ و نحن نبشركم بالموعد الذي صار لابائنا
٣٣ ان الله قد اكمل هذا لنا نحن اولادهم اذ اقام يسوع كما هو مكتوب ايضا في المزمور الثاني انت ابني انا اليوم ولدتك
٣٤ انه اقامه من الاموات غير عتيد ان يعود ايضا الى فساد فهكذا قال اني ساعطيكم مراحم داود الصادقة
٣٥ و لذلك قال ايضا في مزمور اخر لن تدع قدوسك يرى فسادا
٣٦ لان داود بعدما خدم جيله بمشورة الله رقد و انضم الى ابائه و راى فسادا
٣٧ و اما الذي اقامه الله فلم ير فسادا
٣٨ فليكن معلوما عندكم ايها الرجال الاخوة انه بهذا ينادى لكم بغفران الخطايا
٣٩ و بهذا يتبرر كل من يؤمن من كل ما لم تقدروا ان تتبرروا منه بناموس موسى
٤٠ فانظروا لئلا ياتي عليكم ما قيل في الانبياء
٤١ انظروا ايها المتهاونون و تعجبوا و اهلكوا لانني عملا اعمل في ايامكم عملا لا تصدقون ان اخبركم احد به
٤٢ و بعدما خرج اليهود من المجمع جعل الامم يطلبون اليهما ان يكلماهم بهذا الكلام في السبت القادم
٤٣ و لما انفضت الجماعة تبع كثيرون من اليهود و الدخلاء المتعبدين بولس و برنابا اللذين كانا يكلمانهم و يقنعانهم ان يثبتوا في نعمة الله
٤٤ و في السبت التالي اجتمعت كل المدينة تقريبا لتسمع كلمة الله
٤٥ فلما راى اليهود الجموع امتلاوا غيرة و جعلوا يقاومون ما قاله بولس مناقضين و مجدفين
٤٦ فجاهر بولس و برنابا و قالا كان يجب ان تكلموا انتم اولا بكلمة الله و لكن اذ دفعتموها عنكم و حكمتم انكم غير مستحقين للحياة الابدية هوذا نتوجه الى الامم
٤٧ لان هكذا اوصانا الرب قد اقمتك نورا للامم لتكون انت خلاصا الى اقصى الارض
٤٨ فلما سمع الامم ذلك كانوا يفرحون و يمجدون كلمة الرب و امن جميع الذين كانوا معينين للحياة الابدية
٤٩ و انتشرت كلمة الرب في كل الكورة
٥٠ و لكن اليهود حركوا النساء المتعبدات الشريفات و وجوه المدينة و اثاروا اضطهادا على بولس و برنابا و اخرجوهما من تخومهم
٥١ اما هما فنفضا غبار ارجلهما عليهم و اتيا الى ايقونية
٥٢ و اما التلاميذ فكانوا يمتلئون من الفرح و الروح القدس

الأصحاح الرابع عشر

تكملة الرحلة التبشيرية الأولى

قدم لنا القديس لوقا في الأصحاح السابق صورة رائعة لعمل الله خلال الرحلة التبشيرية الأولى مع فيض من الضيقات من اليهود حتى اضطر الرسول أن يجاهر أنه يتوجه إلى الأمم. أما أهم البركات فهي: إيمان الوالي سرجيوس بولس في بافوس، وأتباع كثير من اليهود والدخلاء الرسولين بولس وبرنابا، واجتمعت كل المدينة تقريبًا في السبت التالي من حديث الرسول، وانتشار كلمة الرب في بيسيدية، وامتلاء التلاميذ من الفرح والروح القدس. الآن يقدم لنا القديس لوقا تكملة الرحلة، موضحًا عمل الله الفائق حيثما حل الرسولان.

١. إيمان جمهور كثير بأيقونية ١.

٢. انشقاق في المدينة ٢-٥

٣. دعوتهما إلهين في لسترة ٦-١٨.

٤. تحريض ورجم بولس ١٩.

٥. تلمذة كثيرين في دربة ٢٠.

٦. عودة وتثبيت الكنائس ٢١-٢٥.

٧. تقرير مفرح في أنطاكية ٢٦-٢٨.

١. إيمان جمهور كثير بأيقونية

"وحدث في أيقونية أنهما دخلا معًا إلى مجمع اليهود،

وتكلّما حتى آمن جمهور كثير من اليهود واليونانيين". [١]

كالعادة بدأ الرسولان كرازتهما في المجمع اليهودي، وقد مكثا مدة طويلة حتى آمن جمهور كثير من اليهود واليونانيين.

وقد جاء الحديث هنا مقتضبًا للغاية، إذ لم يرو القديس لوقا كيف آمن جمهور كثير من اليهود واليونانيين، ولم يشر إلى أعمال الرسولين، ولا إلى أسماء بعض الشخصيات التي قبلت الإيمان. فإن ما يشغل القديس لوقا ليس تاريخ حياة الرسولين ولا الكنيسة الأولى وتأسيس مراكز الخدمة في كل بلدٍ، وإنما تأكيد عمل الله العجيب في جذب النفوس بالرغم من المقاومة العنيفة التي واجهت الكارزين والكنيسة في كل موضع. لم يهتز الرسولان ولا ارتبكا بسبب المقاومة، إنما كانا يكرزان بكل قوة، ولم يتركا موقعهما إلا عند الضرورة لأجل سلامة الكنيسة المحلية ولاستمرارية العمل. وعند تركهما مدينةٍ ما يهربا إلى أخرى، لا ليختفيا أو يستريحا من المقاومة، وإنما للعمل والكرازة بجرأة وقوة.

ولعل اقتضاب الحديث هنا جاء طبيعيًا لأن ما حدث في أيقونية كان مشابهًا لما حدث في أنطاكية بسيدية:

أ. غالبًا ما كان موضوع الحديث في المجمع في البلدين متشابهًا، فلا حاجة للتكرار.

ب. في البلدين قبل بعض اليهود والدخلاء الإيمان، وأرادوا أن يستمعوا أكثر إلى الرسول.

ج. في البلدين وُجدت مقاومة من اليهود تتزايد مع نمو الكنيسة الناشئة وقبول البعض للإيمان.

أخيرًا فإن خبرة الرسولين السابقة بخصوص مقاومة اليهود لهما لم تمس صدق مشاعرهما نحو خلاصهم ، لهذا أصرا هنا أيضًا أن يدخلا معًا إلى مجمع اليهود ليقدما كلمة الخلاص.

٢. انشقاق في المدينة

"ولكن اليهود غير المؤمنين

غروا وافسدوا نفوس الأمم على الإخوة". [٢]

كان اليهود غير المؤمنين من جانبهم يقاومون ليفسدوا نفوس الأمم الذين قبلوا الإيمان، مما دفع الرسولين للإقامة زمانًا طويلاً حتى يثبتا المؤمنين. فالضيق والمقاومة دفعا الرسولين للعمل بالأكثر.

"**غروا وأفسدوا**" أي أثاروهم وأفسدوا عقولهم، بتلقينهم مبادئ منحرفة لإفساد إيمانهم، وعدم التجاوب مع نعمة الله. هذا هو عمل عدو الخير عبر كل الأجيال، تضليل الناس وإفساد عقولهم بمبادئ خاطئة وفلسفات محطمة للإيمان بالمخلص. لا يكف عدو الخير عن أن يثبت سموم عدم الإيمان التي للحية القديمة المُقامة، ويشكلهم في حب الله وعمله الخلاصي.

في المدن السابقة كانت المقاومة ضد الرسولين الغريبين لمنعهما من الكرازة، أما هنا فبدأوا بالمقاومة خلال شعب المدينة الذي قبل الإيمان وانجذبوا نحو الإنجيل، لإفساد إيمانهم.

"فأقاما زمانًا طويلاً يجاهران بالرب،

الذي كان يشهد لكلمة نعمته،

ويعطي أن تُجرى آيات وعجائب على أيديهما". [٣]

من جانب الرب، فقد سند رسوليه بعمل آيات وعجائب على أيديهما. كلما اشتدت المقاومة يتجلى الرب بعمل نعمته وإجراء الآيات باسمه. إنه يؤازر إنجيله بنعمته ومواهبه للكنيسة.

الخادم الحي يرى في المقاومة إحدى علامات الطريق السليم، حيث يتلمس أنه يشارك مسيحه صليبه، ويدخل معه طريق الجلجثة، ويسلك الطريق الضيق الحق. المقاومة بالنسبة للشاهد للمسيح لا تسبب إحباطًا ولا ندمًا على قيامه بالعمل، بل تهبه خبرة جديدة لكلمة نعمة الرب، وتذوقًا للقيامة في العمل الكرازي.

هنا يشير القديس لوقا إلى مجاهرة االرسولين بالرب يليها إجراء آيات وعجائب على أيديهما. فإن الله لا يعمل حيث الخوف والرعب، بل يسند القلوب المتكئة عليه بإيمان حي. لهذا يحذر العاملين في كرمه من الخوف. وكما أوصى يشوع عند استلامه القيادة: "أنا أمرتك. تشدد وتشجع. لا ترهب، لأن الرب إلهك معك حيثما تذهب" (يش ١:٩).

قدر ما بث عدو الخير سمومه خلال أتباعه لإفساد فكر المؤمنين وحياتهم جاهر الرسولان ومكثا زمانًا طويلاً، ولم ينسحبا من المعركة. لكنهما لم يعتمدا على خبراتهما البشرية أو قدراتهما

البلاغية، إنما على غنى نعمة الله، إذ كان الرب بنفسه "**يشهد لكلمة نعمته**". كان هو العامل فيهما وبهما ومعهما.

إنجيلنا هو "**كلمة نعمة**" التي لن يقدر أحد أن يشهد له سوى السيد المسيح نفسه العامل في خدامه.

"فانشق جمهور المدينة،

فكان بعضهم مع اليهود،

وبعضهم مع الرسولين". [٤]

حدث انقسام في المدينة، فقد قبل البعض إنجيل المسيح، ووقف آخرون يقاومون الحق الإنجيلي. وكما يقول السيد المسيح نفسه: "أتظنون أني جئت لأعطي سلامًا على الأرض، كلا أقول لكم، بل انقسامًا، لأنه يكون من الآن خمسة في بيت واحد منقسمين ثلاثة على اثنين واثنان على ثلاثة" (لو ١٢: ٥١-٥٢). علة هذا الانقسام ليس مقاومة المؤمنين لغير المؤمنين، وإلزامهم لقبول الإيمان قسرًا، وإنما كراهية غير المؤمنين للحق ومقاومتهم كنيسة المسيح بلا سبب، سوى أن الظلمة لا تطيق النور.

وكما كتب "**العلامة ترتليان**" للإمبراطور، أن العالم يكره الكنيسة، لكن الكنيسة تحب العالم وتخدمه. فالمؤمنون يفيضون حبًا من طبيعتهم الجديدة، وغير المؤمنين يثبتون كراهية وبغضة مما هو في داخلهم.

"فلما حصل من الأمم واليهود مع رؤسائهم هجوم

ليبغوا عيهما ويرجموهما". [٥]

إذ لم يفلح اليهود في بث سموم الشكوك في أذهان المؤمنين التجأوا إلى العنف. وكان يلزمهم لتحقيق هذا أن يتحدوا مع الأمم غير المؤمنين ليثيروا الحكام والقيادات على الرسولين كصانعي فتنة.

هذه قصة العالم في كل جيل حيث يتحد الأعداء المقاومين لبعضهم البعض لأجل تدمير كنيسة المسيح. نسي اليهود والأمم العداوة القائمة بينهم، وأثاروا الحكام والرؤساء لرجم الرسولين.

٣. دعوتهما إلهين في لسترة

"شعرا به

فهربا إلى مدينتي ليكأونية لِسترة ودِرْبة

وإلى الكورة المحيطة". [٦]

حدث انشقاق في المدينة، فالبعض انحاز لليهود المقاومين للحق، وآخرون كانوا في صف الرسولين. واستطاع عدو الخير كعادته أن يقيم تحالفًا بين القيادات الدينية المقاومة والشعب الرافض للإيمان وأيضًا القيادات السياسية. فاتفقت القيادات الدينية مع المدنية والسياسية على الانقضاض على الرسولين كفريسة، ورجمهما. يبدو أن القرار قد صدر في المجمع، واستطاعوا

أن ينالوا موافقة السلطات. لكن شاء الله فانكشفت الخطة واستطاع الرسولان أن يهربا إلى مدينة ليكأونية لسترة.

لم يهرب الرسولان من الحقل، ولا أعطيا ظهرهما للعمل الإلهي، لكن من أجل سلام الكنيسة في أيقونية، وليس خوفًا من الموت، هربا إلى لسترة ودربة.

"وكانا هناك يبشّران". [٧]

جاء في كتاب أبوكريفا "أعمال القديس بولس" "أنه لما خرج أُنسيفورس Onesiphorus من ليكأونية لاستقبال بولس [رأى بولس قادمًا، رجلاً بحجم يميل إلى الصغر، ذا حاجبين متقابلين وأنف يبدو منحنيًا، أما رأسه فتنم عن قوة وشجاعة، ورجلاه مقوستان، نوعًا ما ممتلئ الجسم، وممتلئ نعمة، يظهر أحيانًا كأنه ملاك وأحيانًا كإنسان.]

"**فهربا إلى مدينة ليكأونية لسترة ودربة**" جاءت في بعض النسخ القديمة "إلى مدينتي ليكأونية لسترة ودربة". يعتقد البعض أن بولس ختن تيموثاوس في لسترة، التي ربما كانت موطنه. أما دربة فهي مدينة غايس المحبوب.

"وكان يجلس في لِسترة رجل عاجز الرجلين،

مُقعد من بطن أمّه،

ولم يمشِ قط". [٨]

يستعرض القديس لوقا إحدى المعجزات التي صُنعت على يدي الرسول بولس، وهي شفاء مقعد من بطن أمه. ولعله اختار هذه المعجزة مقابل ما حدث مع الرسولين بطرس ويوحنا عند باب الجميل في الهيكل (أع ٣) ليؤكد أنه رسول ليس بأقل منهما.

قدم تأكيدات من أجل غير المؤمنين وهي ثلاثة أمور: عاجز الرجلين، مقعد من بطن أمه، لم يمشِ قط. أما بالنسبة للبسطاء فالأمر لا يحتاج إلى تأكيدات، فعندما تحدث السيد المسيح مع المرأة السامرية قال لها: "صدقيني يا امرأة" (يو ٤: ٢١)، فصدقته.

إنه لم يمشِ قط، فالشفاء هو عمل معجزي لا شك فيه.

"هذا كان يسمع بولس يتكلم،

فشخص إليه،

وإذ رأى أن له إيمانًا ليُشفى". [٩]

كيف عرف القديس بولس أن هذا المقعد كان له إيمان ليُشفى؟ شعر بالروح مدى جديته واهتمامه بالخلاص وشفاء نفسه، وأن قلبه كان يلتهب عند سماعه عن محبة الله.

- الإيمان يدرك ما لا يدركه العقل البشري.
- عظيم هو الإيمان، إنما لا فائدة منه إن خلا من المحبة.

- يلزم على الإيمان أن يسبق الإدراك ليكون الإدراك جزء من الإيمان.
- نستطيع أن نلمس ذاك الجالس في السماء بإيماننا وليس بأيدينا.

القديس أغسطينوس

"قال بصوتٍ عظيمٍ:

قم على رجليك منتصبًا،

فوثب، وصار يمشي". [١٠]

لم يكن الأعرج هنا فقيرًا يطلب صدقة، وإنما كان إنسانًا مهتمًا بخلاص نفسه، يسمع الرسول بكل جدية وشوق.

إذ شعر أنه يطلب خلاص نفسه قدم له العطية الإلهية: "**قم**" لكي تتمتع نفسه بالقيامة من الأموات فيضيء له المسيح (أف ٥: ١٤)، ويتمتع جسده بالشفاء. أما الوثب فيشير إلى بهجة قلبه الداخلية.

"فالجموع لمّا رأوا ما فعل بولس،

رفعوا صوتهم بلغة ليكأونية قائلين:

إن الآلهة تشبهوا بالناس ونزلوا إلينا". [١١]

كان في القديم فكرة سائدة بين الوثنيّين أن الآلهة اعتادوا افتقاد البشر في شكل بشري. وُجد اعتقاد راسخ بين هؤلاء الناس بأن زفس (جوبتر) وهرمس Mercury ظهرا مرّة في فريجيّة لزوجين يدعيان فليمون وباخس Baucis. وأن شخصًا يُدعى ليكاؤن Lycaon أكرم استضافتهما، لذلك دُعيت المقاطعة ليكاؤنيّة.

"فكانوا يدعون برنابا زفس، وبولس هرمس،

إذ كان هو المتقدم في الكلام". [١٢]

صارت الجموع تصرخ، إذ حسبتهما الإلهين زفس وهرمس قد تشبها بالناس ونزلا من السماء إليهم، وإذ كانوا يصرخون بلغة ليكأونية غالبًا لم يفهمهما الرسولان.

اكتشف العالم و.م. كالدر M. Calder .W في حفريات بالقرب من لسترة تمثالاً لهرمس ونصبًا لزفس بواسطة أشخاص أسمائهم ليكأونية.

زفس Zeus، هو چوبتر عند الرومان وأوزوريس عند المصريين. وهو الإله الأعظم بين مجمع آلهة اليونان. له هيكل في لسترة. وقد دعى برنابا زفس، لأنه مظهره وشكله ذا وسامة وعظمة.

هرمس: دعا اليونانيّون ميرسيري Mercury هرمس، وهو ابن جوبتر من مايا Maia وهو بشير الآلهة، ورسول كل الآلهة. لهذا فهو إله الفصاحة والبلاغة والمنطق. كان يُظن أن هذين الإلهين يسافران معًا. دُعي بولس هرمس بسبب بلاغته، يرافق زفس في تحركه.

"فأتى كاهن زفس الذي كان قدام المدينة،

بثيران وأكاليل عند الأبواب مع الجموع،

وكان يريد أن يذبح". [١٣]

ظنت الجماهير أنهم سعداء الحظ، فقد حظوا بافتقاد إلهين لهما من السماء نزلا إلى عالمهما السفلي. والزموا كاهن زفس أن ينطلق إلى الإصطبل الملحق بالهيكل لإحضار ثيران لتقديم ذبائح لهما.

جاء كاهن زفس ومعه الجموع والذبائح، وكان هيكل زفس في مقدمة المدينة متاخم للأبواب مباشرة، كحارس للمدينة. كانوا يضعون أكاليل من الصوف المجدول حول رقبة الذبائح لأنها مقدمة للإله. أما الإله فيضعون له أكليل من الزهور.

كان من عادة الوثنيّين بناء هياكل للآلهة في أحياء المدينة، ويضعون صور الآلهة على أبواب المدينة. وكانوا يزيّنون الآلهة كما الذبائح المقدّمة بأكاليل من أوراق الشجر والزهور. أحيانًا توضع على المذابح، والكهنة والتعبّدين. وإلى وقت قريب كان بعض الوثنيّين يكرّمون الشخصيّات الهامة أو المحبوبة لديهم عند زيارتهم للهياكل بوضع أكاليل من الورد حول أعناقهم.

يا للعجب جاء كلمة الله الحقيقي إلى عالمنا ولم يتحرك أحد ليقدم له ذبيحة، لأنه لم يطلب من العالم شيئًا، بل جاء ليقدم نفسه ذبيحة عنهم!

"فلما سمع الرسولان برنابا وبولس مزّقا ثيابهما،

واندفعا إلى الجمع صارخين". [١٤]

يقدم لوقا البشير برنابا على بولس، ربما لأن الجمع هناك أعطوا كرامة أعظم لبرنابا إذ حسبوه الإله زفس، فكان شكله يحمل وقارًا خاصًا، وحسبوا بولس هرمس إله البلاغة والفصاحة والمنطق، هو المتحدث باسم زفس.

لم يكن ممكنًا للرسولين أن يصمتا، ولا أن يتغاضيا عن الكرامة المنسوبة خطأ إليهما. يكفيهما تلك الكرامة التي تمتعا بها كرسولين للسيد، ولكن لا يقبلا اغتصاب كرامته وانتسابها إليهما.

تمزيق الثياب هنا إشارة إلى الشهادة على تصرف أو سماع كلمات تجديف. هذا ما فعله رئيس الكهنة حين ظن أن يسوع يجدف حين قال: "وسوف تبصرون ابن الإنسان جالسًا عن يمين القوة، وآتيا في سحاب السماء" (مر ١٤: ٦٢).

"وقائلين: أيها الرجال لماذا تفعلون هذا؟

نحن أيضًا بشر تحت آلام مثلكم،

نبشركم أن ترجعوا من هذه الأباطيل إلى الإله الحي،

الذي خلق السماء والأرض والبحر وكل ما فيها". [١٥]

فزع الرسولان للمنظر، ومزقا ثيابهما علامة رفضهما لهذا التجديف، وشهادة على من يجدف (مر ١٤: ٦٣). ويرى **القديس مار إفرآم السرياني** أنهم إذ ذبحوا ثورًا مزق الرسولان ثيابهما حتى يكفوا عن ذلك.

لم يرفض الرسولان تأليهما فحسب، ولا أكدا أنهما شخصان من البشر، وإنما أكدا أنهما خاطئان "**بشر تحت الأمم مثلكم**". صورة رائعة للخدام الذين لن يتعالوا على المخدومين، ولا يحسبوا أنفسهم آلهة، ولا أبرارًا، بل خطاة محتاجين إلى خلاص الله معهم. لا يخجل الرسول بولس من دعوة نفسه "أول الخطاة" (١ تى ١:١٥)، فإنه بهذا يقدر أن يلتصق به الخطاة ليتمتعوا معه بمخلص الخطاة.

v لماذا يُحسب ذلك مشينًا ليسوع أنه اختار أناسًا أشرارًا ذوي سمعة رديئة وقادهم حتى صاروا مثالاً للشخصية الكلية الطهارة، حين تحولوا إلى إنجيل المسيح، مُظهرًا للبشرية مدى قدرته على شفاء النفوس.

العلامة أوريجينوس

v عندما تظن أنك خاطئ وأنت بالحقيقة هكذا، فهذا ليس تواضعًا. لكن حين لا يشعر إنسان في نفسه وهو يمارس أعمالاً عظيمة انه بالشخص العظيم، فهذا تواضع حقيقي. عندما يستطيع شخص كبولس أن يقول: "فإني لستُ أشعر بشيءٍ في ذاتي، لكنني لست بذلك مبررًا" (١ كو ٤:٤)، وأيضًا يقدر أن يقول: "المسيح يسوع جاء إلى العالم ليخلص الخطاة الذين أولهم أنا" (١ تي ١:١٥)؛ هذا الإنسان بحق متواضع، الذي يمجد الأعمال، لكن في ذهنه يرى نفسه أسفل.

القديس يوحنا الذهبي الفم

v كيف كان الأول (بين الخطاة)؟ ألم يوجد يهود كثيرون خطاة قبلة؟ ألم يوجد قبله خطاة في كل الجنس البشري... فماذا هو معنى "الذين أولهم أنا"؟ إنني أشر جميعهم. يقصد بالأول أي الأردأ... تذكروا شاول وأنتم تكتشفون السبب. أليس هو ذاك الذين لم يكفه أن يُرجم استفانوس بيدٍ واحدة فقط، بل كان حارسًا لثياب راجميه، أليس هو ذاك الذي أضطهد الكنيسة في كل موضع؟... فقد كان يُحسب أول مُضطهد. ليس من هو أشر منه!

القديس أغسطينوس

بهذا حول الرسولين أنظار الجمهور عنهما إلى نعمة الله الغنية العاملة في حياة الخطاة القادمين إلى المخلص بروح التواضع لا الكبرياء.

v لنقتدي بهما، فلا نظن أن شيئًا ما هو منا، متطلعين إلى الإيمان نفسه أنه ليس منا بل بالأحرى من الله. إذ يقول: "لأنكم بالنعمة مخلصون؛ بالإيمان وذلك ليس منكم. هو عطية الله" (أف ٢: ٨). لا نظن في أنفسنا أمور عظيمة، ولا ننتفخ، فإننا بشر، تراب ورماد، دخان وظل.

v "لا تستكبر بل خف" (رو ١١: ٢٠)، لا تقلل من شأن فضيلتك بالتشامخ. أتريد أن تفعل شيئًا عظيمًا بالحقيقة؟ لن تسمح أن يدخل إلى فكرك الظن بأن إنجازاتك عظيمة. هل أنت بتول؟ فإن العذارى اللواتي في الإنجيل لم ينتفعن من بتوليتهن بسبب قسوتهن وعنفهن (مت ٢٥: ١٢). ليس شيء يشبه التواضع. إنه أم كل الأعمال الصالحة وأصلها ومربيها وينبوعها ورباطها. بدونه نكون بغيضين وأردياء للغاية وفاسدين. قل، ليُقِمْ إنسان ما موتى وليشفى عرج وليطهر برص،

لكنه بالكبرياء والاعتداد بالذات لا يكون إلا ممقوتًا وشريرًا وكريهًا للغاية. لا تنسب شيئًا إليك. هل لك إمكانية الكلمة ونعمة التعليم؟ لا تظن بسبب هذا أنك أفضل من الآخرين في أي شيء. فإنه يلزمك بالأحرى أن تكون أكثر تواضعًا، لأنك نلت مواهب بفيض.

v لقد نسب كل شيء إلى الملك المعلم، حتى تصرفاته، ولم ينسب لنفسه مجد الله... قيل في موضع آخر: "لأن الله هو العامل فيكم، أن تريدوا وأن تعملوا" (في ٢: ١٣).

القديس يوحنا الذهبي الفم

"نحن أيضًا بشر تحت آلام مثلكم"، ولسنا آلهة تُقدم لها ذبائح.

"**الأباطيل**": تستخدم لمفهوم العبادة الوثنية التي ليس فيها الحق بل الباطل. هذا يكشف أن كرازة بولس وبرنابا في هذه المدينة انصبت بالأكثر على الأمم الوثنيين. لقد جاء الرسولان لينزعا هذه الأباطيل، لكن تصرف الجماهير مع الرسولين جاء على خلاف ما يشتهيه الرسولان، لأن بعملهم هذا يسلكون في ذات الأباطيل! يسألهم الرسولان أن يكفوا عن هذه الأباطيل ويرجعوا إلى الله خالق السماء والأرض الحي، واهب الحياة.

في تعليق الأب **ثيودورت أسقف كورش** على العبارة: "انتهرت الأمم، أهلكت الشرير" (مز ٩: ٥) قدم ما فعله القديسان بولس وبرنابا مثلاً لتحقيق ما ورد في المزمور، حيث قدما الحق للأمم، وأهلكا الشر الذي فيهم، إذ لم يقبلا هذا الشر، أي العبادة لهما كإلهين: [خلال الرسولين القديسين والمبشرين بالحق تُقدم للأمم التعاليم الإلهية، وإذ يقبلونها يتخلصون من الخطأ فيهلك الشر، وتُنزع عن الناس العبادة له بجهالة. هكذا منع بولس وبرنابا أهل ليكاؤنية محاولتهم في تقديم ذبيحة، صارخين في وجوههم: **"لماذا تفعلون هذا؟ نحن أيضا بشر تحت آلام مثلكم، نبشركم أن ترجعوا من هذه الأباطيل"** [١٥].]

"الذي في الأجيال الماضية ترك جميع الأمم يسلكون في طرقهم". [١٦]

"**يترك**" هنا تشير إلى إعطائهم كمال الحرية، فمن جانب قدم لهم الشاهد على وجوده ومحبته ورعايته، لكنه لم يلزمهم بالعبادة له. بقاؤهم حتى تلك اللحظات هو من قبيل طول أناة الله عليهم وعلى آبائهم، إذ لم يهلكهم بسبب انحرافهم عن عبادته، والآن قد جاء إليهم بإعلانه انجيل الخلاص، ليرجعوا إليه ويعبدوه بما يليق به وبهم كخليقة الله، موضوع حبه الفائق.

لتفسير ما حدث في لسترة يقتبس آدم كلارك قصة خرافية رواها أوفيد Ovid. جاء فيها أن جوبتر نما إلى علمه ما حل بالبشرية من انحلال فقرر أن ينزل بنفسه إلى الأرض ويقوم بمسحها. جاء إلى مقاطعة ليكاؤنية في شكل بشري، وأقام في قصر ليكاؤون، فجاء الجمع يعبده. تشكك ليكاؤون في ألوهيته وسخر مما حدث، وأراد أن يضع جوبتر في محنة، لذا إذ جاء إليه سفراء من دولة المولوسيان Molossian، قام عند وصولهم بذبح أحدهم، وطهي جزءً من لحمه وشوي الباقي، ووضعه أمام جوبتر. غضب الإله على هذه الإهانة التي صوبها إليه ليكاؤون فحرق قصره وسخط هذا الملك الشرير إلى ذئب. ومنذ ذاك الحين دُعيت المقاطعة ليكاؤنية.

رأت الجموع البسيطة أن جوبتر عاد ليفتقد المدينة معلنًا عن قوته اللاهوتية الفائقة بشفاء الأعرج من بطن أمه، وغيرها من المعجزات التي صنعها برنابا وبولس، وإذ خشوا سخط الإله جوبتر عليهم لئلا يحسبهم متهاونين في تقديم الكرامة اللائقة به ألزموا الكاهن أن يأتي بثيران ويقدمها ذبائح لبرنابا وبولس.

يعتبر الرسول بولس أن سقوط الأمم في عبادة الأوثان قبل مجيئه علته أنهم كانوا في أزمنة الجهل (أع ١٧: ٣٠).

إذ يتحدث الرسول مع وثنيين لم يدركوا حب الله والفرح به، لأن مسرتهم كانت منصبة في الطعام والشراب، أعلن لهم أن حتى هذا الطعام هو من عنده، كما المسرة والفرح من قبله.

v أعطي الله بكلمته للكون نظامه الحالي، حتى يتمكن البشر من معرفته على أي حال بأعماله، طالما هو غير منظور بالطبيعة. فكثيرًا ما يُعرف الصانع بصنعته حتى لو كان غير منظور.

البابا أثناسيوس الرسولي

"مع أنه لم يترك نفسه بلا شاهد،

وهو يفعل خيرًا،

يعطينا من السماء أمطارًا وأزمنة مثمرة،

ويملأ قلوبنا طعامًا وسرورًا". [١٧]

الطبيعة ذاتها خير شاهد عملي عن حب الله ورعايته للإنسان فيقدم له مطرًا من السماء، وخلق فصول السنة المتنوعة ليجد الإنسان غذاءه. ولا تقف رعايته عند طعام الجسد، إنما يهب الفرح الداخلي والسرور طعامًا بدونه تتحطم النفس.

ركز الرسل في كرازتهم على عطية الفرح الداخلي أو فرح الروح الذي يملأ القلب ويهبه حياة صادقة.

v كما أنه لا يوجد زواج في السماء (مت ٢٢:٣٠)، فإنه لا يوجد أكل وشرب هناك. كل هذا يُترك ولا يُوجد له موضع هناك. بالأحرى يوجد برّ وسلام وفرح في الروح القدس. لهذا يحثنا بولس أن نركز على هذه الأمور، متحققين أننا ننالها هنا فعلاً على الأرض، فنأخذها إذ نذهب إلى الملكوت السماوي. نطلب السلام والبرّ وما إلى ذلك من الروح القدس كطعامٍ وشرابٍ في ملكوت السماء.

العلامة أوريجينوس

v يقصد الناس بالسرور رفع الفكر فوق الأمور التي تستحق التهليل بها. أما المسرات (المباهج) فهي رفع للفكر بطريقة غير مهذبة لا تعرف الاعتدال.

القديس جيروم

"وبقولهما هذا،

كفّ الجموع بالجهد عن أن يذبحوا لهما". [١٨]

واضح أن الجماعة كانت في حماسٍ شديدٍ. وبالكاد استطاع الرسولان أن يمنعا الجموع من تقديم ذبائح لهما.

٤. تحريض ورجم بولس

"ثم أتى يهود من إنطاكية وأيقونية واقنعوا الجموع،

فرجموا بولس وجرّوه خارج المدينة ظانّين أنه قد مات". [١٩]

هؤلاء الذين أرادوا قتل الرسولين في أيقونية، والذين طردوهما من أنطاكية بسيدية جاءوا إلى لسترة لإثارة الجمهور هناك للخلاص منهما.

الذين أرادوا تقديم ذبائح لهما كإلهين هم الذين قاموا برجم بولس. هذا ما يتوقعه الخادم فلا يضطرب أن هاجمه أو اضطهده الذين كانوا يمدحونه الذين كانوا يترنمون ويسبحون السيد المسيح: "مبارك الآتي باسم الرب" هم أنفسهم الذين صرخوا "أصلبه، أصلبه. الذين قدموا له ذبيحة التسبيح أرادوا أن يقدموه ذبيحة!

لقد وقفوا حوله حتى يطمئنوا أنه مات، ظنوه هكذا تركوه. لم يكن ممكنًا للموت أن يلحق به، حتى وإن رُجم، مادام له رسالة لم تتم بعد!

v هؤلاء الأعداء جرحوه بحجارة، توجد جراحات تحدث بالكلام أردأ من الحجارة. فماذا يلزمنا أن نفعل؟ كما فعل هو؛ فإنه لم يبغض من ألقوه بالحجارة، وإنما بعدما جروه خارجًا، عاد ثانية إلى مدينتهم ليحسن إلى الذين صنعوا معه شرورًا. فإن احتملت من يشتمك وصنع بك شرًا، فانك بهذا تُرجم. لا تقل: "إنني لم أصنع به شرا". فإنه أي شر فعله بولس حتى يُرجم؟ كان يعلن عن الملكوت، كان يجتذب الناس من الخطأ، ويقدمهم لله. مثل هذه الإحسانات تستحق الأكاليل... يستحق بركات كثيرة لا حجارة.

v في ذات المدينة التي نالا فيها هذا التكريم نالا معاملة مرعبة للغاية.

القديس يوحنا الذهبي الفم

٥. تلمذة كثيرين في دربة

"ولكن إذ أحاط به التلاميذ

قام ودخل المدينة،

وفي الغد خرج مع برنابا إلى دِربة". [٢٠]

يرى البعض أن رجم بولس الرسول ترك آثارًا في جسمه، لذا يفتخر في الرب قائلاً: "لأني حامل في جسدي سمات الرب يسوع" (غل ٦: ١٧).

قيل أنه إذ رُجم أُخذت روحه إلى السماء الثالثة، وتمتع بأمجاد "لا يسوغ لإنسان أن يتكلم بها" (٢كو ١٢: ٤).

رُجم وجروه إلى خارج المدينة ظانين أنه قد مات، ومع هذا أحاط به التلاميذ، فقام ودخل المدينة، بل وفي اليوم التالي سافر مع برنابا إلى دربة... كيف يمكن هذا؟ حتمًا أن التلاميذ صلوا وأظهر الله قوته، لأنه وإن لم يمت فإن رجمه بالحجارة وجره على الأرض حتى خارج المدينة كان يحتاج إلى عدة شهور للنقاهة. أما أن يقوم في الحال ويمشي ثم يسافر على قدميه في اليوم التالي فهذا ليس من عمل طبيعي، بل من عمل نعمة الله الفائقة. فلا عجب أن ترنم قائلاً: "الذي نجانا من موت مثل هذا، وهو ينجي، الذي لنا رجاء فيه أنه سينجي أيضًا فيما بعد" (٢ كو ١: ١٠).

٦. عودة وتثبيت الكنائس

"فبشّرا في تلك المدينة،

وتلمذا كثيرين ثم رجعا إلى لِسترة وأيقونية وإنطاكية". [٢١]

لم يكن ممكنًا للحجارة أن تخترق فكر بولس وبرنابا، وتحطم غيرتهما على خلاص حتى الراجمين. فقد انطلقا إلى حين إلى دربه ليبشرا، ثم عادا إلى لسترة حيث رجم الرسول، وأيقونية وأنطاكية بيسيدية حيث يوجد المحرضون على رجمه. أنهما محبان للجميع. حبهما هو سرّ قوتهما في كرازتهما، وقد وضع الرسول بولس الحب على قائمة ثمار الروح القدس لأنه عطية الروح.

v أي شيء يستحق أن يحتل رأس قائمة ثمار الروح إن لم يكن الحب؟ بدون الحب لا تُحسب الفضائل الأخرى فضائل. ومن الحب يولد كل ما هو صالح.

القديس جيروم

خلال حبه لخلاص الكثيرين قُدم بولس للرجم، وفي وسط تجربته كرمه الله، إذ لم يقهره الموت ولا حطمته التجربة.

v يمكن أن يُقدم بولس للموت لكنه لن يقهر قط.

البابا غريغوريوس (الكبير)

v تجلب التجارب مراحم الله في تحرك نحو النفس، وذلك كما تجلب الريح المطر. لكن المطر الغزير يفسد النباتات الحديثة الزرع الضعيفة، وتجعلها متعفنة وتحطم ثمارها، غير أن كمية معتدلة من الريح تجففها وتجعلها صلبة، هكذا أيضًا التجارب المعتدلة مع النفس... يقول النبي: "يا رب في الضيق طلبوك" (إش ٢٦: ١٦).

الأب دوروثيئوس أسقف غزة

"يشدّدان أنفس التلاميذ ويعظانهم أن يثبتوا في الإيمان،

وأنه بضيقات كثيرة ينبغي أن ندخل ملكوت اللَّه". [٢٢]

يبرز إيمان القديسين بولس وبرنابا وحبهما العجيب للخدمة أنهما عادا يبشران في البلاد التي طردا منها، ويوجد بها مقاومون كثيرون لهما. عادا يثبتان ويشددان أنفس التلاميذ غير مبالين بالموت، بل بقوة الروح يتحدونه، وكأنهما ليس فقط احتملا شدائد المسيح، بل كان يسعيان إليها. وقد عبَّر الرسول بولس عن عشقه للموت من أجل المسيح حين كتب رسالته الوداعية لتلميذه تيموثاوس: "صادقة هي الكلمة أنه إن كنا قد متنا معه فسنحيا أيضًا معه، إن كنا نصبر فسنملك أيضًا معه" (٢ تي ٢: ١١-١٢).

v كانت الاضطهادات تلي اضطهادات: حروب وصراعات ورجم. هذه كلها ليست بأقل من عمل المعجزات، جعلتهما مشهورين، وأعدت لهما فرحًا عظيمًا. لم يقل الكتاب (عن الرسل) في أي موضع عادوا فرحين لأنهم صنعوا معجزات، لكنه قال أنهم فرحوا إذ حُسبوا أهلاً ان يهانوا من أجل اسمه (أع ٥: ٤١). هذا تعلموه من المسيح القائل: "لا تفرحوا بأن الشياطين تطيعكم (راجع لو ١٠: ٢٠). فإن الفرح الحقيقي والذي بدون تزييف هو التألم من أجل المسيح.

القديس يوحنا الذهبي الفم

v لا يُكلل أحد ما لم يجاهد قانونيًا؛ ليست نصرة مجيدة ما لم يكن الصراع متعبًا.

القديس أمبروسيوس

v يلزمكم أن تحاربوا ضد إبليس كل يوم تحت قيادة المسيح، فلا تطلبوا المكافأة أثناء المعركة، هذه المحفوظة لكم فى الملكوت يليق بكم أثناء المعركة ألا تطلعوا إلى ما هو محفوظ لكم عندما تنالون النصرة، بل بالأحرى أن تركزوا أذهانكم على ما يقوله الرسول: "جميع الذين يريدون أن يعيشوا بالتقوى في المسيح يسوع يُضطهدون" (٢ تي ٣: ١٢) وأيضًا "بضيقات كثيرة ينبغي أن ندخل ملكوت الله".

v لا تطلب الفرح (الراحة) في هذا العالم، لأن الفرح الحقيقي يمكن أن يُعد هنا، ولكن لا يُمتلك هنا. لا تطلب في الرحلة ما هو محفوظ لك في موطنك. فإنه يليق بك أن تحارب ضد الشيطان كل يوم تحت قيادة المسيح، فلا تطلب في وسط المعركة المكافأة المحفوظة لك في الملكوت. أثناء المعركة يلزمك ألا تطلب ما هو محفوظ لك عندما تنال النصرة، بل بالأحرى أن تصغي إلى ما يقوله الرسول: "بضيقات كثيرة ينبغي أن ندخل ملكوت الله" (أع ١٤: ٢٢). إذ يهبنا الله القوة يلزمنا أن نعيش بطريقة نتأهل بها أن نعود إلى وطننا الرئيسي بفرح حيث يشتاق أن يرانا، ويرحب بنا السابقون لنا البطاركة والأنبياء والرسل. هناك رفقاؤنا المواطنون الملائكة في مدينة أورشليم السماوية، والمسيح ملك تلك المدينة، ينتظروننا بأذرع الحب المفتوحة. فإن كنا نطرح الشيطان ونمتلئ بالأعمال الصالحة عندئذ نعود إليهم. فإنكم تعرفون أيها الاخوة أن كل التجار والمسافرين يكونون قلقين وهم في الطريق، لكي

ما يتحرروا من الاهتمام في وطنهم، ويشعروا بفرح عظيمٍ عندما يتأهلوا أن يبلغوا وطنهم مع ربح عظيمٍ. هكذا نحن أيضًا أيها الأعزاء الأحباء نعد نفوسنا للفرح عندما نتأهل للذهاب إلى المسيح. في نفس الوقت لنفرح هنا فقط في رجاء، أما بعد ذلك فنتعين أن نقتني الفرح حقيقة!

v لكي ما يقدم إلهنا القديس يعقوب كذهبٍ نقي في الدينونة المقبلة أزال أولا كل غضن الخطية منه (خلال الضيقات الكثيرة)، حتى تستطيع الشاهد الناري الآخر أن يجده بلا شيء يحترق.

v مادام الإنسان يرغب في إتمام أعمال الشيطان فإنه لا يشعر به يقاومه. ولكن إن تركه إنسان، وشرب من الصخرة، واختار أن يتبع المسيح، يلزمه أن يحتمل عداوة الشيطان الذي رفض أن يفضله عن المسيح بأخذه قرارًا سليمًا. لذلك فكل من يتحد مع المسيح يلزمه أن يستعد للمعركة، لا للمباهج والملذات، لأن "جميع الذين يريدون أن يعيشوا بالتقوى في المسيح يسوع يُضطهدون" (٢ تي ٣: ١٢).

v يلزمنا أن نعرف ونفهم أيها الإخوة الأعزاء أن التجارب لا تفارق المسيحيين ماداموا يعيشون في هذا الجسد... ليته لا يعد أحد نفسه بما لم يعد به الإنجيل، مادام عندما تقترب نهاية العالم - كما يقول الإنجيل - يتزايد الشر وتبرد المحبة (مت ٢٤: ١٢)... يلزمنا أن نعد نفوسنا ليس فقط للتوبة بل وللصبر.

v إن كنا نجاهد أولاً في هذا العالم بإتمام الأعمال الصالحة، فإننا بعد ذلك إذ يكافئنا الرب نبلغ الملكوت.

v حقا عندما نبدأ نبحث عن الله بالحق، سنعاني من شر المتكبرين والأشرار، لأنهم لا يعبدون المسيح بنفس الطريقة التي كرز لهم بها كل يوم.

الأب قيصريوس أسقف آرل

v الألم هو رباط حقيقي، وسند لحبٍ أعظم، وأساس للكمال والصلاح الروحي. لتصغي إلى القول: "إن أردت أن تخدم الرب أعدد نفسك للتجربة" (ابن سيراخ ٢: ١). مرّة أخرى يقول المسيح: "في العالم سيكون لكم ضيق، ولكن تشجّعوا" (يو ١٦: ٣٣). في كل موضع ترون الألم ممدوحًا، في كل موضع يُقبل الألم كأمرٍ ضروري بالنسبة لنا. فإنّه في العالم ليس من ينال إكليلاً بدون ألم، ما لم يتقوَّ بالأتعاب والالتزام بنظام معيّن للأكل والتداريب والأسهار، فكم بالأكثر يكون هذا أمرًا واجبًا لمن في هذه المعركة.

القديس يوحنا الذهبي الفم

v إذ نحن بشر نعيش في حياة غاية في الخطورة وسط حبائل التجربة.

القديس أغسطينوس

v كما أن العالم لابد أن يعبر خلال الشتاء قبل الربيع حيث تتفتّح الزهور، هكذا يليق بالإنسان أن يعبر بتجارب كثيرة قبل ميراث الحياة الأبديّة. وكما قال بولس: "بضيقات كثيرة ينبغي أن ندخل ملكوت الله". تأتي التجارب بطرق ثلاثة: الإغراء، الانجذاب، والقبول. فالشيطان يغوي، والجسد ينجذب، والعقل يقبل.

القديس هيلاري أسقف بواتييه

"وانتخبا لهم قسوسًا في كل كنيسة،

ثم صلّيا بأصوام،

واستودعاهم للرب الذي كانوا قد آمنوا به". [٢٣]

بسماح إلهي مر الرسولان بضيقات عظيمة، كانت لبنيان الكنيسة كما لنموها الروحي. فإذا عادا إلى ذات المدن التي عانوا فيها من الضيقات تطلع إليهما المؤمنون بنظرة أفضل وكرامة أعظم. فلم يجد الرسولان صعوبة في انتخاب قسوس لخدمة الكنائس هناك، خاصة وأنهما لم يتم الاختيار بأوامر رسولية ملزمة، وإنما بشركة الشعب كله في الصوم والصلاة.

استراحت نفسا الرسولين بسيامة قسوس، واستودعا الشعب في كل مدينة، لا في أيدي الكهنة، وإنما "للرب"، فهو الراعي الحقيقي الخادم لكنيسته والمهتم بكل احتياجاته، والحافظ لها.

كان الكل حديثي الإيمان، ويصعب التحقق من إمكانية اختيارهم للصالحين للخدمة، لذلك تم الاختيار بروح الصوم والصلاة، معتمدين على عمل الروح القدس.

"ولما اجتازا في بيسيدية أتى إلى بمفيلية". [٢٤]

"وتكلما بالكلمة في برجة،

ثم نزلا إلى أتالية". [٢٥]

عادا في نفس خط السير الذي جاءا خلاله لافتقاد الكنائس والمؤمنين حتى وصلا إلى ميناء أتاليه (حاليًا انتاليا)، وهي المدينة الوحيدة التي لم يزوراها في مجيئهما، وإنما ربما عبرا بها دون الدخول فيها والكرازة بها.

٧. تقرير مفرح في أنطاكية

"ومن هناك سافرا في البحر إلى إنطاكية،

حيث كانا قد أسلما إلى نعمة اللَّه للعمل الذي أكملاه". [٢٦]

عادا إلى أنطاكية فتمت أول رحلة كرازية للقديس بولس مع القديس برنابا. يرى البعض أنها استغرقت ثلاثة شهور والبعض يرى أنها سنة كاملة.

"ولما حضرا وجمعا الكنيسة

أخبرا بكل ما صنع اللَّه معهما،

وأنه فتح للأمم باب الإيمان". [٢٧]

"وأقاما هناك زمانًا ليس بقليل مع التلاميذ". [٢٨]

إذ عاد السفيران قدما للكنيسة كشف حساب عن نعمة الله العجيبة التي اقتحمت المدن الوثنية لكي تشرق بنور إلهي في مناطق سادها الفساد وارتبطت بالعبادة الوثنية.

بوصول الرسولين انتشر الخبر في أنطاكية، وجاء الكل إلى الكنيسة يسمعون أعجب قصة خاصة بقبول الأمم الإيمان وإنشاء كنائس جديدة وسيامة قسوس.

يبدو أن الرسول بولس بقي سنة كاملة في أنطاكية يعلم ويكرز.

من وحي أع ١٤

أنت هو البداية، وأنت هو النهاية!

- مع بدء رحلات الرسول كنت أنت البداية،

وفي الطريق كنت أنت هو الطريق.

وحتى النهاية حملته كما إليك.

أنت سرّ نجاحه طول الطريق.

بك حمل الرسول كثيرين كما على أجنحة الروح.

- وجد الرسول مقاومة مستمرة،

ومع كل مقاومة تشدد قلبه وتشجع.

حسب الآلام طريق النصرة.

وتمتع مع كل ضيقة بصدرك المتسع.

إيمانه بك تزايد،

ونعمتك لم تفارقه،

فأتي بحصاد وفير، من يقدر أن يحصيه؟!

- اتحد اليهود مع الأمم لمقاومة رسلك.

وأتفق الأعداء المقاومين لبعضهم البعض على تدمير كنيستك.

يتصالح الأعداء معًا، ليبثوا روح العداوة ضد الحق.

- لتتحد كل قوات الظلمة ضدك.

ففي وسط المعركة تتجلى قوتك العجيبة.

آيات وعجائب ظاهرة وخفية لا تنقطع.

ليس من يقدر أن يعطل عملك الإلهي!

مع كل مقاومة، تتجلى نعمتك الغنية.

- لتتجلى أنت وحدك فينا.

وليُقدم كل مجد لك يا مخلص العالم!

لك وحدك تقدم ذبائح التسبيح!

لك وحدك تقدم كل كرامة!

ليختفي خدامك، وتتمجد أنتِ فيهم!

- كثير من الأباطرة والعظماء نسبوا ألوهيتك لأنفسهم،

طلبوا في تشامخهم مجدك مجدًا لهم.

أما خدامك فلن يحتملوا كلمة مجد،

ولا كرامة خاصة بك تُنسب إليهم!

مجدهم أن تتمجد فيهم كما في غيرهم،

وكرامتهم أن يقدم الكل الكرامة لك!

- في تواضع عجيبٍ يقول الرسول بولس:

إنه تحت الآلام مثلهم،

أول الخطاة،

حتى يضم بقلبه المحب المتواضع كل نفس إليك،

يا مخلص الخطاة!

١ و حدث في ايقونية انهما دخلا معا الى مجمع اليهود و تكلما حتى امن جمهور كثير من اليهود و اليونانيين
٢ و لكن اليهود غير المؤمنين غروا و افسدوا نفوس الامم على الاخوة
٣ فاقاما زمانا طويلا يجاهران بالرب الذي كان يشهد لكلمة نعمته و يعطي ان تجرى ايات و عجائب على ايديهما
٤ فانشق جمهور المدينة فكان بعضهم مع اليهود و بعضهم مع الرسولين
٥ فلما حصل من الامم و اليهود مع رؤسائهم هجوم ليبغوا عليهما و يرجموهما
٦ شعرا به فهربا الى مدينتي ليكاونية لسترة و دربة و الى الكورة المحيطة
٧ و كانا هناك يبشران
٨ و كان يجلس في لسترة رجل عاجز الرجلين مقعد من بطن امه و لم يمش قط
٩ هذا كان يسمع بولس يتكلم فشخص اليه و اذ راى ان له ايمانا ليشفى
١٠ قال بصوت عظيم قم على رجليك منتصبا فوثب و صار يمشي
١١ فالجموع لما راوا ما فعل بولس رفعوا صوتهم بلغة ليكاونية قائلين ان الالهة تشبهوا بالناس و نزلوا الينا
١٢ فكانوا يدعون برنابا زفس و بولس هرمس اذ كان هو المتقدم في الكلام
١٣ فاتى كاهن زفس الذي كان قدام المدينة بثيران و اكاليل عند الابواب مع الجموع و كان يريد ان يذبح
١٤ فلما سمع الرسولان برنابا و بولس مزقا ثيابهما و اندفعا الى الجمع صارخين
١٥ و قائلين ايها الرجال لماذا تفعلون هذا نحن ايضا بشر تحت الام مثلكم نبشركم ان ترجعوا من هذه الاباطيل الى الاله الحي الذي خلق السماء و الارض و البحر و كل ما فيها
١٦ الذي في الاجيال الماضية ترك جميع الامم يسلكون في طرقهم

١٧ مع انه لم يترك نفسه بلا شاهد و هو يفعل خيرا يعطينا من السماء امطارا و ازمنة مثمرة و يملا قلوبنا طعاما و سرورا
١٨ و بقولهما هذا كفا الجموع بالجهد عن ان يذبحوا لهما
١٩ ثم اتى يهود من انطاكية و ايقونية و اقنعوا الجموع فرجموا بولس و جروه خارج المدينة ظانين انه قد مات
٢٠ و لكن اذ احاط به التلاميذ قام و دخل المدينة و في الغد خرج مع برنابا الى دربة
٢١ فبشرا في تلك المدينة و تلمذا كثيرين ثم رجعا الى لسترة و ايقونية و انطاكية
٢٢ يشددان انفس التلاميذ و يعظانهم ان يثبتوا في الايمان و انه بضيقات كثيرة ينبغي ان ندخل ملكوت الله
٢٣ و انتخبا لهم قسوسا في كل كنيسة ثم صليا باصوام و استودعاهم للرب الذي كانوا قد امنوا به
٢٤ و لما اجتازا في بيسيدية اتيا الى بمفيلية
٢٥ و تكلما بالكلمة في برجة ثم نزلا الى اتالية
٢٦ و من هناك سافرا في البحر الى انطاكية حيث كانا قد اسلما الى نعمة الله للعمل الذي اكملاه
٢٧ و لما حضرا و جمعا الكنيسة اخبرا بكل ما صنع الله معهما و انه فتح للامم باب الايمان
٢٨ و اقاما هناك زمانا ليس بقليل مع التلاميذ

الأصحاح الخامس عشر

رحلة القديس بولس التبشيرية الثانية

(أعمال ١٥ :٤٠ - ١٨: ٢٢)

١. من أنطاكية إلى **لسترة** (١٥: ٤٠-١٦:١): انضم القديس تيموثاوس إلى بولس وسيلا فى لسترة.

٢. من لسترة إلى **ترواس** (١٦: ٦-٨).

٣. من ترواس إلى **فيلبي** (١٦: ١١-١٢)، حيث اهتدت ليدية (١٦: ١٣-١٥)، بولس وسيلا فى السجن (١٦: ٢٤).

٤. من فيلبي إلى **تسالونيكي** (١٦: ٤٠-١٧: ١)، قام الرعاع بالهجوم على بيت ياسون (١٧: ٥).

٥. من تسالونيكي إلى **بيرية** (ع ١٧: ١٠).

٦. من بيرية إلى **أثينا** (١٧: ١٤-١٥)، هناك وعظ على جبل آريوس باغوس (١٧: ٢٢).

٧. من أثينا إلى **كورنثوس** (١٨: ١). ضرب سوستانيس (١٨: ١٧).

٨. من كورنثوس إلى **أفسس** (١٨: ١٨-١٩) عظته (١٨: ١٩).

٩. من أفسس إلى **أورشليم** (١٨: ٢١-٢٢).

١٠. من أورشليم إلى **أنطاكية** (١٨: ٢٢).

رحلة بولس الرسول التبشيرية الثانية

مشكلتان في أنطاكية

قبل البدء في الرحلة الثانية حدث أمران محزنان، لكنهما سببا نموًا للكنيسة:

١. كان القديس بولس مريضًا وفي حالة ضعف، لكنه تحامل على نفسه وكرز بقوةٍ. وكما كتب إليهم: "ولكن تعلمون إني بضعف الجسد بشَّرتكم في الأول، وتجربتي التي في جسدي لم تزدروا بها ولا كرهتموها... لأني أشهد لكم أنه لو أمكن لقلعتم عيونكم وأطعمتموني" (غل ٤: ١٣-١٥). إذ قبل أمميون كثيرون الإيمان المسيحي، طالب المتعصبون من اليهود بضرورة تهودهم أولاً وبعد ذلك ينالون العماد المسيحي والعضوية الكنسية. هذه الحركة دعيت **بالتهود،** حيث يطلبون من المسيحيين سواء من اليهود أو الدخلاء أو الأمميين أن يحفظوا الناموس الموسوي. أما اليهود أو الدخلاء الذين ارتبطوا بالثقافات الأخرى خاصة اليونانية فقد ضعف عندهم هذا الشعور. والمثل الواضح فيلون اليهودي السكندري الذي كان يرى أنه يكفي ممارسة قوانين العبادة بالمفهوم الروحي دون الحاجة إلى الحرفية.

وإذ حضر القديس بطرس فجأة إلى أنطاكية فرح لنجاح الخدمة وشارك الأمم المنتصرون طعامهم، حتى جاء قوم من أورشليم فتراجع حتى لا يعثرهم، مما اضطر الرسول بولس إلى مقاومته علانية (غل ٢: ١١-١٦)، وقد سبق لنا التعرض لهذا الحدث في تفسير رسالة بولس الرسول إلى أهل غلاطية.

واجهت كنيسة العهد القديم ذات المشكلة، فحينما خرج اليهود من مصر صعد معهم لفيف كثير (خر ١٢: ٣٨) دخلوا العبادة اليهودية وتركوا عبادة الأوثان، وكان يلزم ختانهم (خر ١٢: ٤٨). وفي بلاد كثيرة كان لليهود تأثيرهم، فدخل بعض من الأمميين إلى الإيمان، وكان لهم طقس خاص بختانهم ونوالهم المعمودية وتدريبهم على الطقوس اليهودية، هؤلاء يدعون دخلاء. هذه الفئة كانت جادة في الاهتمام بخلاصها لذلك كثيرون منهم إذ سمعوا الكرازة بالإنجيل قبلوها.

تفاقمت هذه المشكلة حتى صارت هناك ضرورة لعقد أول مجمع كنسي رسولي عام ٤٧م يبحث في الأمور الخاصة بدخول الأمم إلى الإيمان.

٢. حدثت منازعة بين بولس الرسول وبرنابا الرسول، إذ رفض الرسول بولس أن يأخذوا معهما مرقس يوحنا الرسول، لأنه تركهما في منتصف الطريق فى برجة بمفيلية، ربما بسبب المرض، وإذ تنازعا أخذ برنابا مرقس وانطلقا إلى قبرص، بينما أخذ بولس سيلا وانطلقا إلى الرحلة التبشيرية الثانية (١٥: ٤٠).

الأصحاح الخامس عشر

مجمع أورشليم

يقدر البعض الفترة ما بين الزيارة السابقة للقديسين بولس وبرنابا لأورشليم والزيارة الواردة في هذا الأصحاح بحوالي خمس سنوات. فقد جاءا، لا عن حنينٍ شديدٍ وشوقٍ للدخول إلى مدينة الله، وممارسة العبادة في الهيكل، واسترجاع الذاكرة لآبائهم. إنما جاءا يحملان حصادًا هذا مقداره من الأمم الذين قبلوا الإيمان والكنائس التي تأسست في مدن كثيرة؛ جاءا لأخذ قرارٍ جماعيٍ عن موقف الأمم القابلين للإيمان.

١. دعوة للتهود في أنطاكية ١.

٢. صعود بولس وبرنابا إلى أورشليم ٢-٥.

٣. انعقاد أول مجمع كنسي ٦.

٤. خطاب بولس الرسول ٧-١١.

٥. حديث بولس وبرنابا ١٢.

٦. حديث يعقوب الختامي ١٣- ٢١.

٧. إرسالية إلى أنطاكية ٢٢-٢٩.

٨. تعزية في أنطاكية ٣٠-٣٥.

٩. خلاف بين بولس وبرنابا ٣٦- ٣٩.

١٠. بدء الرحلة الثانية ٤٠- ٤١.

١. دعوة للتهود في أنطاكية

"وانحدر قوم من اليهودية،

وجعلوا يعلّمون الإخوة أنه إن لم تختتنوا حسب عادة موسى لا يمكنكم أن تخلصوا". [١]

منذ بداية انطلاق الكنيسة والعدو يحاربها من الخارج كما من الداخل. في الخارج اضطهادات، وفي الداخل يبث روح الانشقاق والانحراف عن الحق.

دخول الأمم إلى الإيمان المسيحي بأعداد كبيرة في بلاد كثيرة أثار حتى المسيحيين الذين من أصل يهودي، فبعدما كان اليهود يمثلون الغالبية العظمى كأعضاء في الكنيسة، صاروا قلة أمام الأمم الداخلين إلى الإيمان، صار هذا يمثل خطرًا في نظرهم من جهة حفظ الناموس. صارت هناك معارضة قوية من اليهود المتنصرين ضد الداخلين إلى الإيمان من الأمم، وإذ لم يكن ممكنًا وقف هذا التيار الإلهي دخلوا في منازعات بالتزام الأمم ان يتهودوا أولاً، أي يختتنوا حسب عادة موسى، ويحفظوا الناموس حرفيًا (١٥: ١).

هؤلاء المتعصبون للناموس في حرفيته حتى بعد الإيمان المسيحي كانوا يمثلون جبهة قوية مقاومة للرسول بولس بكونه رسول الأمم الذي يطلب تحرير الأمم من حرفية الناموس. بقيت هذه الجبهة إلى آخر لحظات عمره، ففي آخر رحلة للرسول قال له الرسل: "أنت ترى أيها الأخ كم يوجد ربوة (عشرة آلاف) من اليهود الذين آمنوا وهم جميعًا غيورون للناموس" (أع ٢١: ٢٠).

والعجيب أن القديس بطرس إذ دعاه الروح القدس للكرازة في بيت كرنيليوس الأممي لم يطالبه بالختان بل حلّ الروح القدس عليه هو ومن معه ونالوا العماد. لكن خشية غضب اليهود المتنصرين في أورشليم إذ كان يأكل مع الأمم وسمع أن قومًا قادمون من أورشليم كان يؤخر ويفرز خائفًا من الذين هم من الختان (غل ٢: ١٢).

امتناع القديس بطرس من الأكل على مائدة الأمم أمام الذين من أهل الختان بمثابة اعتراف عملي بعدم أهليتهم لمعاشرة اليهود المتنصرين ما لم يختتنوا ويقبلوا حفظ الناموس في حرفيته، وإن كان الرسول لم يصرح بهذا لأنه هو نفسه كان يأكل معهم خفية. انتشر هذا الفكر في بلاد كثيرة خاصة غلاطية، بل وبلغ حتى روما فكادت الكنيسة تنقسم إلى كنيسة الأمم وكنيسة الختان، وعالج القديس بولس ذلك في رسالته إلى أهل رومية. وأيضًا هذا الفكر كان أحد العوامل في ظهور انقسامات في كنيسة كورنثوس حتى ادعى البعض أنهم لبولس وآخرون لصفا.

هذا الصراع ليس بجديدٍ، لكنه كان قائمًا بين اليهود قبل المسيحية. لاحظ د. هويتبي Dr. Whitbyما ورد في المؤرخ يوسابيوس انه عندما اعتنق ايزاتس Izates ابن هيلين لملكة أديابيين Adiabene اليهودية أعلن حنانيا بأنه يمكن تحقيق ذلك دون حاجة إلى الاختتان، أما اليعازر فحسب بقاءه أغرل شرًا عظيمًا.

يروي يوسيفوس فى تاريخ حياته أن اثنين من الشخصيات البارزة بين الأمم هربا إليه، فكان اليهود الغيورون يحثانهما على ضرورة الختان، بينما يوسيفوس نصحهم أن يكفوا عن إصرارهم على هذا. وهكذا كان الأمر عبر الأجيال بين اليهود المتعصبين واليهود المعتدلين.

انتقل هذا النزاع مع اليهود حتى بعد قبولهم الإيمان المسيحي، ويعلل المتعصبون تمسكهم بالختان الطقوس الموسوية بالآتي:

١- أنها فرائض إلهية لا يمكن تغييرها.

٢- أن السيد المسيح جاء ليكمل الناموس لا لينقضه.

هؤلاء يظنون أنه لا يمكن التمتع بالخلاص بدون تنفيذ الناموس حرفيًا، خاصة الختان وحفظ السبت والأعياد اليهودية وشرائع التطهيرات. بدونها مصير الإنسان هو الهلاك الأبدي في جهنم. أما المعتدلون فلا ينكرون هاتين الحقيقيتين، لكنهم يرون أنهما لا يتعارضان مع تحقيق

الختان الروحي للذي للحواس، وممارسة الطقوس بفكرٍ روحيٍ بنَّاء، لا حرفي قاتل. هؤلاء يرون أن غاية الناموس هو أن يقودنا إلى ربنا يسوع المسيح الذي يبرر المؤمنين به. فالعودة إلى الناموس حرفيًا هو نكوص وانحراف عن غاية الناموس ذاته.

٢. صعود بولس وبرنابا إلى أورشليم

"فلما حصل لبولس وبرنابا منازعة ومباحثة ليست بقليلة معهم،

رتّبوا أن يصعد بولس وبرنابا وأناس آخرون منهم

إلى الرسل والمشايخ إلى أورشليم،

من أجل هذه المسألة". [٢]

هذه هي الزيارة الثالثة للقديس بولس لأورشليم، وهي الزيارة المعتبرة في رسالة غلاطية (٢: ١)، جاءت بعد أربع عشرة سنة من زيارته الأولى.

زيارته الأولى: بعد أن ظهر له السيد المسيح بثلاث سنوات، حيث خدم في العربية، انتهت بهروبه من دمشق حيث أنزلوه في زنبيل من أسوارها، وقد جاء إلى أورشليم والتقى بالرسول بطرس وتعرف عليه ومكث معه خمسة عشر يوما لم يرَ فيها غيره من الرسل سوى يعقوب أخا الرب (غلا ١: ١٨، ١٩)، وكان ذلك قبل سنة ٤٠م. ونجا من مؤامرة لقتله بصعوبة.

زيارته الثانية: كانت سنة ٤٤م حيث جاء مع بعثة من أنطاكية لتقديم معونة لفقراء اليهودية أثناء المجاعة، عاد بعدها مسرعًا (أع ١١: ٣٠؛ ١٢: ٢٥).

زيارته الثالثة سنة ٤٩ أو ٥٠م، جاء يحمل ثمار الكرازة المفرحة ويقدم ذبيحة شكر على عمل الله الفائق، وقد حظي بيمين الشركة من الثلاثة أعمدة في أورشليم: بطرس ويعقوب أخي الرب الملقب بالبار ويوحنا الحبيب (غل ٢: ٦-١٠). لقد تحققوا من أن الله ائتمن بطرس على إنجيل الختان وائتمن بولس على إنجيل الأمم.

إذ حدثت منازعة بخصوص تهود الأمم قبل قبولهم الإيمان المسيحي، وكان هذا الموضوع حيويًا شعر الرسول بولس أن جهود الكنيسة تضيع في مباحثات ومنازعات عوض الانشغال بالكرازة وسط الأمم. تزايدت المنازعات وأخذ بعض اليهود موقفًا متشددًا مما سبب عثرة

للداخلين حديثًا إلى الإيمان، وأخذ الموضوع اتجاهًا جماعيًا لذا صارت الحاجة ملحة إلى قرار مجمعي رسولي حازم.

يعلق **القديس يوحنا الذهبي الفم** على هذه المنازعة بأنها آلت إلى نفع الكنيسة.

v لا تنزعجوا بسبب الهراطقة. انظروا هنا في مستهل الكرازة ذاتها كم من هجمات قد حدثت. لست أتحدث عن أولئك الذين قاموا عليهم من الخارج، فإن هذه تحسب كلا شيء، بل عن الهجوم الذي في الداخل... ليتنا لا نضطرب إذا وجد هجوم، بل نشكر الله حتى على هذه إذ هذه بالأكثر تزكينا... الإنسان لا يكون محبًا للحق بدرجة عظيمة، يتمسك بالحق عندما لا يقوده أحد إلى الانحراف عنه. أما الذي يتمسك بالحق عندما يحاول كثيرون أن يسحبوه عنه فهذا إنسان مُزكى... **هذه الهجمات تأتي لكنها لن تؤذى بل تكون للمنفعة**، وذلك كما يفيد المضطهدون الشهداء بسحبهم إلى الاستشهاد، ومع هذا فإن هذا السحب ليس بواسطة الله، هكذا هو الحال هنا. ليتنا لا نتطلع إلى هذا كخسارة، فإن هذا عينه علامة سمو التعليم، أن كثيرين يثورون على التعليم ليزيفوه.

القديس يوحنا الذهبي الفم

لماذا اُختيرت أورشليم لانعقاد مجمع الرسل؟

١. غالبا ما كان المسيحيون فى ذلك الحين يتطلعون إلى أورشليم كمصدر سلطة كنسية، حيث هناك تحققت أحداث الخلاص، ومنها انطلقت بذار الخدمة والكرازة إلى كل العالم. تُحسب الكنيسة في أورشليم الكنيسة الأم حتى بالنسبة للمسيحيين الذين من أصل أممى.

٢. كانت أورشليم تضم أغلب الرسل والمسيحيين أصحاب الخبرة، وربما كثير من الرسل كانوا يقومون بالكرازة ويعودون إلى أورشليم كمركز لكل الكنيسة. لذا فهي أفضل موقع لأخذ قرار فيما لم يستقر الأمر فيه بعد، حتى تنتهى كل المنازعات الخاصة بموقف الأمم المتنصرين.

٣. كان أغلب المؤمنين من أصل يهودي، لهذا فمن الأفضل صدور القرارات هناك حتى لا يأخذوا موقف المعارضة إن صدرت قرارات فى كنيسة وسط الأمم.

٤. كان بعض المسيحيين الذين من أصل يهودي يحملون نوعًا من الضيق بسبب انفتاح الخدمة على الأمم، فكان لزامًا أن يتحققوا من فرح الرسل ككل بعمل الله وسط الأمم.

"فهؤلاء بعدما شيعتهم الكنيسة

اجتازوا في فينيقيّة والسامرة يخبرونهم برجوع الأمم،

وكانوا يسبّبون سرورًا عظيمًا لجميع الاخوة". [٣]

صعد القديسان بولس وبرنابا إلى أورشليم وآخرون معهما لعقد مجمع رسولي، وفي طريقهم عبروا بفينيقية (لبنان) والسامرة، فكانوا يتحدثون عن عمل الله وسط الأمم، "**وكانوا يسببون سرورًا عظيمًا لجميع الاخوة**". كانت هذه المناطق عامرة بالمؤمنين اليهود غير المتعصبين، يفرحون بخلاص الأمم وقبولهم للإيمان.

كان القديس بولس ومن معه متهللين بالروح من أجل عمل الله الفائق وخلاص الكثيرين، لهذا ففي طريقهم إلى أورشليم أرادوا أن يشركوا الكنائس في الطريق فرحهم الروحي. فالمسيحي مصدر فرح لكل من هم حوله، يقدم دائمًا الأخبار السارة المفرحة، ليختبر المؤمنون عربون السماء.

"ولما حضروا إلى أورشليم

قبلتهم الكنيسة والرسل والمشايخ،

فأخبروهم بكل ما صنع اللَّه معهم". [٤]

قبلت الكنيسة في أورشليم هذا الوفد برضى واستمع الكل لعمل الله وسط الأمم. في وسط هذا الجو الرائع من الحب والصداقة تحدث القديسان بولس وبرنابا ومن معهما عن عمل الله معهم. لم يستعرضوا مجهوداتهم، ولا تحدثوا عن أنفسهم، وعن حكمتهم وإمكانياتهم، بل كان كل الحديث حول نعمة الله الفائقة.

"ولكن قام أناس من الذين كانوا قد آمنوا من مذهب الفريسيين

وقالوا أنه ينبغي أن يختنوا،

ويوصوا بأن يحفظوا ناموس موسى". [٥]

كانت القيادات الكنسية بلا شك في حرجٍ شديدٍ بين سرورهم باتساع الخدمة في العالم وخشيتهم غضب المتعصبين من اليهود، خاصة وأن كنيسة الأمم بدأت تمتد وتتزايد جدًا.

يرى البعض أن بعض الفريسيين قبلوا الإيمان المسيحي لتأكيد مبدأهم وعقيدتهم في القيامة ضد الصدوقيين، لكن لم يكن ممكنًا لبعضهم أن يتخلوا عن التمسك بحرفية الناموس. فبعد قبولهم الإيمان المسيحي احتفظوا بالخميرة القديمة، ليس جميعهم بل بعضهم، هؤلاء رأوا في حفظ الناموس حرفيًا ضرورة ملزمة قبل دخولهم في الإيمان بالسيد المسيح.

٣. انعقاد أول مجمع كنسي

"فاجتمع الرسل والمشايخ لينظروا في هذا الأمر. [٦]

اجتمع الرسل مع الكهنة presbyters لبحث الأمر؛ لم يقل ليأخذوا قرارات، لكن بروح الحب المتبادل والتواضع أراد الكل مناقشة الأمر فيما بينهم. لم يرد الرسل أن يأخذوا قرارهم دون الكهنة.

٤. خطاب بولس الرسول

"فبعدما حصلت مباحثة كثيرة،

قام بطرس وقال لهم:

أيها الرجال الإخوة،

أنتم تعلمون أنه منذ أيام قديمة اختار اللَّه بيننا،

أنه بفمي يسمع الأمم كلمة الإنجيل ويؤمنون". [٧]

يُعتبر هذا المجمع مثلاً رائعًا للقرارات الكنسية، إذ لم يُحكر على أحد في الرأي، بل أُعطيت الفرصة للفريقين أن يناقشا الأمر بكل صراحة وانفتاح، في جوٍ من الحب. ولم نؤخذ القرارات بطريقة تعسفية ولا بتسرعٍ. تمت مباحثات ليست بقليلةٍ بين الفريقين، وكان بولس وبرنابا يمثلان قيادة الفكر الذي يراه البعض متحررًا، وبعض المؤمنين الذين من مذهب الفريسيين يمثلون الفريق المتعصب.

وقف القديس بطرس الذي من جانبٍ يمثل كنيسة الختان، وقد عرف بحفظه للناموس حتى حسبه البعض كمن يقف في مقابل القديس بولس رسول الأمم، ومن جانب آخر فهو الذي دعاه الروح القدس للكرازة في بيت قائد المائة الأممي كرنيليوس منذ قرابة عشر سنوات، لذلك يقول: "**منذ أيامٍ قديمة**". هذه هي آخر إشارة إلى القديس بطرس في سفر الأعمال، وكأن القديس لوقا بعد أن استعرض عمل الله في خدمته ختم ذلك بتهيئة الجو للخدمة بين الأمم، ليكمل السفر الدور الخطير الذي قام به رسول الأمم بالكرازة في العالم حتى بلغ العاصمة ذاتها.

يرى البعض أن الدور الذي قام به الرسول بولس حين انتهر القديس بطرس وقاومه علانية حين انسحب عن الاشتراك مع المسيحيين الذين من أصل أممي في تناول الطعام كان له فاعليته (غل ٢: ١١). هنا يشير القديس إلى عمل الله معه هذا الذي دعاه لقبول كرنيليوس الأممي في الإيمان، ويعمده هو وأهل بيته. فقد أظهر القديس بطرس نوعًا من التعجب، كيف يناقش أمر قد استقر فعلاً، ومع كونه ليس رسولاً للأمم فإن الله دعاه للخدمة بينهم مبكرًا، "**منذ أيام قديمة**". ما يبحثونه الآن سبق أن ثار في ذهن القديس بطرس وجاءته الإجابة من السماء حين رأى الملاءة، وصدر له الأمر أن يأكل دون أن يقول عن هذا دنس أو نجس.

كأن الرسول بطرس يتساءل: لقد كرزت لأول أممي بدعوة عن الله نفسه ولم يحتج أحد على قبوله هو ومن معه الإيمان دون أن يُختتنوا، فلماذا تحتجون على أولئك الذين يكرز لهم الرسول بولس؟

يرى كثير من الدارسين أن القديس بطرس اتسم بالغيرة المتقدة نحو الخدمة وخلاص الكل: اليهود كما الأمم، لكنه لم يظهر أنه كان رئيسًا للمجمع، فإنه لم يقم بافتتاحه ولا أيضًا بختامه، بل بدأ المجمع بالمباحثات الكثيرة دون الإشارة إلى أسماء المتكلمين، ولا قدم لنا الإنجيلي تفاصيل الحوار. ربما تحدث القديس بطرس بكونه أكبر الحاضرين سنا، ولأنه اعتاد أن يتكلم (أع ٢: ١٤؛ ٣: ٦، ١٢)، هذا بجانب أنه صاحب خبرة إذ وضع في مثل هذا الموقف حين استدعاه كرنيليوس. أخيرًا فإن كثير من المسيحيين من أصل يهودي يتطلعون إليه كرجلٍ محافظٍ على الناموس، لأنه رسول الختان، فكان لديهم استعداد أن يسمعوا له في هذا الشأن. إنه لم يُتهم قط مثل الرسول بولس أنه متحرر من جهة حفظ الناموس حرفيًا.

"**واللَّه العارف القلوب شهد لهم**

معطيًا لهم الروح القدس كما لنا أيضًا". [٨]

الله الفاحص القلوب وعارف بأسرارها يعلم تمامًا إن كان هؤلاء الأمم بكل إخلاص قد رجعوا إليه بكل قلوبهم وصاروا له أم لا، وإذ وهبهم روحه القدوس على نفس المستوى كما وهب اليهود، فأي اعتراض يمكن أن يقدمه الإنسان؟

"**ولم يميِّز بيننا وبينهم بشيء**

إذ طهّر بالإيمان قلوبهم". [٩]

جاءت هذه العبارة المختصرة جدًا أشبه بثورة داخلية يقوم بها الروح القدس نفسه لتقديم مفهومٍ عميقٍ للخلاص، يسمو فوق الحرف، ويخترق النفس، ويملك على القلب. إنه الإيمان الحي العملي بيسوع المسيح المخلص.

لقد انعقد المجمع بخصوص الأمم المتنصرين وموقفهم من الناموس الموسوي، وهوذا القديس بطرس يكشف عن التحرر من حرف الناموس ليس بالنسبة للأمم فقط بل وبكل مؤمن، حتى إن كان من أصل يهودي.

يصرح القديس بطرس أنه لا يقدم رأيًا شخصيًا، بل شهادة الروح القدس نفسه الذي ناله الأمم بواسطة الآب العارف القلوب، وأن الله لم يميز بين يهودي وأممي في تقديم عطية الروح القدس. "**كما لنا أيضًا**"، أي بدون أي إجراء طقسي خاص بالناموس. "**ولم يميز بيننا وبينهم**" [٩].

حلول الروح القدس على الأمم هو إعلان عملي عن حكم الله بخصوص الأمم أنهم قد رجعوا بكل قلوبهم، في إخلاص متمسكين بالإيمان به. حلوله هو ترحيب الله للأمم لكي يشتركوا مع اليهود في ذات الإيمان بلا محاباة أو تمييز بينهم. لماذا إذن يُستبعدون كمن هم بعيدون عن اليهود الذين يظنون أنهم أقدس منهم (إش ٥٦: ٥).

لقد صاروا شركاء معنا في ذات الميراث وشركاء الجسد (أف ٣: ٦)، شركاء في العضوية في جسد السيد المسيح حيث ليس ختان ولا غرلة.

إن كانوا لم يختتنوا ولم يتمموا ناموس موسى حرفيًا إلا أن الله أظهر أن حفظ هذه العادات ليس بالأمر الضروري لقبول الإنسان لدى الله، متمتعًا بالشركة معه. لم يعطِ اليهود أية ميزات على الأمم، بل برر الجميع وقدسهم ووهبهم عطايا الرب على وجه المساواة.

"**طهر بالإيمان قلوبهم**"، فما عجز الناموس عن أن يفعله في حياة اليهود، إذ لم يكن قادرًا على تطهير القلوب والضمائر الخفية حققه الإيمان بالمسيح لدى كلٍ من اليهود والأمم. تطهير قلوبهم هي شهادة عملية عن عدم حاجتهم أو التزامهم بالعادات الخاصة بالشريعة الموسوية.

v تلك المعموديّة أيضًا التي توهب مرّة للجميع تطهّر بالإيمان. يقول الرسول بطرس في رسالته: "أعطانا مثالاً لفلك نوح كيف خلص ثماني أنفس بالماء"، مضيفًا: "لا إزالة وسخ الجسد، بل سؤال ضمير صالح" (راجع ١ بط ٣: ٢٠-٢١)، الذي احتقره الفرّيسيّون وغسلوا ما هو في الخارج، وتركوا الداخل في فساده.

v من لا يهتم ويسهر باحثًا عن الوسائل التي بها ينقّي العيون التي تعاين ذاك الذي يشتاق إليه بحبٍ عميقٍ؟ لقد عبّر الكتاب المقدس عن هذا، قائلاً: "**طهّر بالإيمان قلوبهم**" [٩]. الإيمان باللَّه ينقّي القلب، والقلب النقي يعاين اللَّه... يلزمنا أن نميّز إيماننا غير مكتفين بالاعتقاد، فالاعتقاد لا يكفي ليكون علّة تنقية القلب. لقد قيل: "**إذ طهَّر بالإيمان قلوبهم**"، ولكن بأي إيمان غير ذاك الإيمان الذي عرفه الرسول، قائلاً: "الإيمان العامل بالمحبّة" (غل ٥: ٦). هذا الإيمان يميّزنا عن إيمان الشيّاطين وإيمان فاسدي السيرة... ذلك الإيمان الذي يرجو مواعيد اللَّه. لا يوجد تعريف أكثر دقّة أو كمالاً من هذا التعريف، ففي هذا الإيمان توجد الأمور الثلاثة التالية:

ذاك الذي **إيمانه** عامل بالمحبّة، والذي يترجّى مواعيد اللَّه.

الرجاء أيضًا مشارك للإيمان، إذ بقدر عدم رؤيتنا لما نعتقد به يكون الرجاء ضروريًّا لئلا نفشل بسبب عدم رؤيتنا ويأسنا من أن نراه... فعدم رؤيتنا يحزننا، لكن رجاءنا في الرؤية يعطينا عزاءْ. للرجاء موضع هنا، وهو مشارك للإيمان.

أيضًا **المحبّة** التي بها نشتاق ونجاهد من أجل الحصول على الشيء ونلتهب شوقًا، ونجوع ونعطش.

القديس أغسطينوس

v يؤمن الأمم أيضًا به لكي يتبرّروا، ولا يوجد فرق بين يهودي وأممي في الإيمان، فإنّه إذ يُنزع الختان والغرلة يصيرا واحدًا في المسيح.

أمبروسياستر

"فالآن لماذا تجرّبون اللَّه بوضع نيرٍ على عُنق التلاميذ،

لم يستطع آباؤنا ولا نحن أن نحمله؟" [١٠]

في حزم يوبخ القديس بطرس المعلمين الذين يتركون الجوهر وهو تطهير القلب بالإيمان ليتمتع بالحضرة الإلهية، وينشغلوا بتنفيذ عادات حرفية عاجزة عن أن تتسلل إلى القلب لغسله. إنه بقوة يوبخ الذين يُلزمون الأمم بناموس موسى. جاء حديثه يحمل خفية تحرر حتى اليهودي من حرف الناموس، لأنه نير لا يستطيع أحد أن يحتمله.

إن كان الله يطهر قلوبهم بالإيمان دون أن يلزمهم بناموس موسى، فلماذا يتعدون الله نفسه ويجربونه بضغطهم على الأمم، وإلزامهم ما لا يطلبه الله نفسه منهم؟ لقد قبلهم الله كما هم خلال الإيمان، فلماذا يُغضبون الله بطلب أمور قد أبطلها، لأنها كانت ظلاً لحقيقةٍ تمت فانتهى الظل.

إذ يقارن الرسول بين التزامات الناموس الحرفية ونعمة الإيمان يحسب الأولى نيرًا ثقيلاً، والثانية حرية مجد أولاد الله. الأولى دعاها الرسول بولس "نير العبودية" (غل ٥: ١)، لأن النير هو رمز العبودية (١ تي ٦: ١)، والحزن (مرا ٣: ٢٧)، والعقوبة (مرا ١: ١٤)؛ والضيق.

نير الناموس يعطل حرية الإيمان، حرية مجد أولاد الله. لقد جاء السيد المسيح ليعتق الأسرى ويبشر بالحرية (نح ٥: ٨).

كشف القديس بطرس بكل صراحة عن الأنين الذي في داخله من جهة ثقل حرفية الناموس على عنقه هو ومن معه كما على أعناق آبائه. فقد جاء السيد المسيح ليرفع عنا نير حرفية الناموس غير المحتمل ليهبنا نيره الهين أو الحلو (مت ١١: ٣٠). قدم لنا نير المسيح حتى البرّ الذي في الناموس بلا لوم (في ٣: ٦)، إذ أكمله تمامًا لحسابنا. لقد أظهر الصليب الفارق بين نير الناموس ونير المسيح في شخص اللص اليمين. فقد حكم الناموس عليه بالموت في أبشع صورة، لكنه إذ تطلع بإيمان للسيد، وحوَّله إيمانه إلى عمل بسيط: الشهادة له وسط ضجيج الصالبين (لو ٢٣: ٤٢)، تمتع بنير المسيح: "اليوم تكون معي في الفردوس".

طالب القديس بطرس أن نترفق بالآخرين ولا نكون كالذين "يحزمون أحمالاً ثقيلة عسرة الحمل، ويضعونها على أكتاف الناس، وهم لا يريدون أن يحركوها بإصبعهم" (مت ٢٣: ٤).

v كان الناموس محزنًا للإسرائيليّين كاعترافهم، وكما أدرك الرسل الإلهيّون. فقد وبّخوا الذين كانوا يسعون أن يرجع الذين آمنوا (بالمسيح) إلى ممارسة الطقوس الناموسيّة...

لقد علمنا المخلص نفسه ذلك، صارخًا، قائلاً: "تعالوا إليّ يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال، وأنا أريحكم؛ احملوا نيري عليكم وتعلّموا منّي، فإنيّ وديع ومتواضع القلب، فتجدون راحة لنفوسكم" (مت ٩: ٢٨). يقول إن الذين هم تحت الناموس كانوا في تعب وثقيلي القلب. وقد دعا نفسه وديعًا، حيث لم يكن للناموس هذه السمة. إذ يقول بولس: "من يحتقر ناموس موسى، يموت بدون رحمة على فم شاهدين أو ثلاثة شهود" (عب١٠: ٢٨).

يقول (السيد) ويل لكم أيّها الناموسيّون فإنّكم تأمرون بحزم أحمالٍ مؤلمة لا يمكن احتمالها، تضعونها على من هم تحت الناموس، بينما أنتم أنفسكم لا تلمسوها.

v كان الناموس مرًا، إذ كان يعاقب بالموت، وعن هذا شهد بولس: "من يخالف ناموس موسى فعلى شاهدين أو ثلاثة شهود يموت بدون رأفة" (عب ١٠: ٢٨). فهو إذن مرّ وغير محتمل للقدماء [١٠]، وغير مقبول. لهذا السبب، كما كانت المياه مرّة تمامًا (خر ١٥: ٢٣)، لكنها صارت حلوة بالصليب الكريم... فالآن إذ تغيّر الظل إلى التأمل الروحي، فنحن نرى بعيون العقل سرّ المسيح الذي كان مخفيًا في رموز الناموس، فبالرغم من أن الناموس كان مرًّا، فقد بطل أن يصير هكذا فيما بعد.

القديس كيرلس الكبير

v يبدو لي أن الروح كلي القداسة بدوره يحث المؤمنين أن يقولوا هذه الكلمات: "لنقطع أغلالهم، ونطرح عنا نيرهم" (مز ٢: ٣)، ونضع علينا نير الرب الهين. هذه هي دعوته: "احملوا نيري عليكم، لأن نيري هين وحملي خفيف" (مت ١١: ٢٩-٣٠). الآن يُدعى الناموس نفسه نيرًا بواسطة الرسل القديسين. يقول بطرس المُلهم في سفر الأعمال: "لماذا تجربون الله بوضع نيرٍ على عنق التلاميذ، لم يستطع آباؤنا ولا نحن أن نحمله؟"... لنمنع قلوبنا من الرغبة في خضوعها لها (للقيود)، لندحض نير الناموس. ليتنا لا نعطي أية فرصة للرمز ما لم نفهمه روحيًا؛ ليت الظل يُحسب بلا نفع ما لم يهتم بسرّ المسيح.

الأب ثيؤدورت أسقف قورش

v لقد منعُ (الرسل) من أن يكون لهم ثوبان حتى أنهم يرفضون داخليًا وبطريقة كاملة حفظ حرف الناموس هكذا، فلا يهتم التلاميذ بالخرافات اليهودية، ولا يضعون عليهم نيرًا لم يقدر هم ولا آباؤهم أن يحتملوه. **إنما يكفيهم ثوب واحد، هذا الثوب الداخلي**. فإنهم لا يريدون الثوب الخارجي، بل يطلبون ما هو من فوق. فإن يسوع سمح لهم أن يكون لهم ثوب واحد، وهذا الواحد هو داخلي.

العلامة أوريجينوس

v يعمل اللَّه مالا يستطيع الناموس أن يفعله، لهذا نرفض العادات اليهوديّة (الحرفيّة) على أساس أنّها لا تعنينا، وانّه يستحيل أن يعهد بها لإشباع احتياجات الأمم، بينما نقبل بفرحٍ النبوّات اليهوديّة التي تضم تنبّؤات تخصّنا.

يوسابيوس القيصري

"لكن بنعمة الرب يسوع المسيح

نؤمن أن نخلص كما أولئك أيضًا". [١١]

بينما نادى المعلمون اليهود بأن الختان ضروري للخلاص، إذا بالقديس بطرس يظهر أن الأمر مختلف عن ذلك تمامًا، فإن الأمم يتمتعون بالخلاص تمامًا على مستوى أهل الختان الذين أمنوا بالسيد المسيح، وكأن الختان لا قيمة له بالنسبة للأممي، لن ينفعه شيئًا، إنما ما يركز أنظاره عليه هو نعمة السيد المسيح للخلاص.

كشف الرسول بطرس عن ما وراء الإيمان بالسيد المسيح وهي النعمة الإلهية التي تساند الشخص وتجتذبه، فيتمتع بالخلاص. هذه النعمة المجانية مقدمة لكل طالبيها: "ليس يهودي ولا يوناني، ليس عبد ولا حرّ، ليس ذكر ولا أنثى، لأنكم جميعًا واحد في المسيح يسوع" (غل ٣: ٢٨).

v يقول: "**لأَنَّكُمْ بِالنِّعْمَةِ مُخَلَّصُونَ**" لكي لا تدفعك عظمة البركات الموهوبة نحو التشامخ، لاحظ كيف نزل بك... حتى الإيمان ليس من عندياتنا، لأنه لو لم يأتِ (المسيح) ولو لم يدعنا كيف كان يمكننا أن نؤمن؟!... عمل الإيمان نفسه ليس من ذواتنا. إنه عطية الله، ليس من أعمال. ربما تقول هل يكفي الإيمان لخلاصنا؟ كلا...

v اعترف أنك بالنعمة تخلص، حتى تشعر أن الله هو الدائن... فإن أسندنا لله (أعمالنا الصالحة) تكون مكافأتنا عن تواضعنا أعظم من المكافأة عن الأعمال نفسها...

v لو كانت النعمة لا تنتظر ما يتحقق من جانبنا لانسكبت بفيض في كل النفوس، لكنها إذ تطلب ما هو من جانبنا تسكن في البعض بينما تترك البعض الآخر، ولا تظهر في البعض، لأن الله يشترط أولاً الاختيار السابق.

القديس يوحنا الذهبي الفم

٥. حديث بولس وبرنابا

"فسكت الجمهور كله،

وكانوا يسمعون برنابا وبولس

يحدّثان بجميع ما صنع اللَّه من الآيات والعجائب

في الأمم بواسطتهم". [١٢]

قدم القديس بطرس خدمته في بيت كرنيليوس كمثالٍ حي لعمل الروح القدس الذي لم يطالب بختان الأمم القابلين للإيمان. وأما القديسان بولس وبرنابا فقدما كمًا من أعمال الله الفائقة وآياته وعجائبه لجذب الكثيرين من الأمم في بلاد كثيرة.

سكت الجمهور *pleethos* ليستمع إلى عمل الله وسط الأمم. وكان جمهور الشعب حاضرين في المجمع، ولهم شركة فيه. فمع تسلم الرسل والكهنة القيادة للمجمع إلا أن الشعب كان له دوره.

لم يذكر القديس لوقا تفاصيل أحاديثهم، لأن سفر الأعمال في أغلبه هو عرض لعمل الله الفائق بين الأمم، والعجائب والآيات التي صُنعت بينهم، وكيف تمتع الأمم بمواهب الروح على قدم المساواة مع اليهود، بل كثيرًا ما أثمر الروح القدس في حياة الأمم أكثر بكثير منه فى حياة اليهود بسبب غلق الآخرين قلوبهم أمامه.

رفع القديس بطرس القضية إلى الله واهب الروح القدس بلا تمييز ومقدم النعمة الإلهية للجميع، فهو الذي دعا الأمم، وقد ألزم بطرس الرسول أن يشهد لهم بالإنجيل بغير إرادته، فمن يقدر أن يحتج؟

كان لزامًا أن يقوم بهذا الدفاع القديس بطرس رسول الختان، لأن المتعصبين ما كان يمكنهم قبول هذا الدفاع من القديس بولس أو القديس برنابا.

الآن جاء دور القديسان برنابا وبولس بعد أن مهد لهما القديس بطرس الطريق، فقدما شهادة عملية بصنع الآيات والعجائب في الأمم بواسطتهما.

v المعجزات التي تمّمها (القدّيس بولس) وطاعة الأمم هي دليل على أن بولس تمّم بغرض الإيمان الذي من أجله أُرسل... إنّه يبذل كل جهد ممكن ليظهر أن كل شيء هو من عمل اللَّه، وليس من عمله هو.

القديس يوحنا الذهبي الفم

v تختلف الآيات عن العجائب في أن الآيات هي معجزات تشير إلى أمور مقبلة، بينما العجائب هي مجرّد معجزات تتم.

العلامة أوريجينوس

٦. حديث يعقوب الختامي

"**وبعدما سكتا أجاب يعقوب قائلاً:**

أيها الرجال الإخوة اسمعوني". [١٣]

لعله آخر من آمن بالسيد المسيح من عائلته حسب الجسد، وقد ظهر له خصيصًا بعد القيامة (١كو ١٥: ٧). كان معروفًا بيعقوب البار حتى في الأوساط اليهودية، إذ اتسم بالنسك الشديد والحكمة قبل إيمانه بالسيد المسيح، هذا مع تمسكه الشديد بالناموس والطقوس اليهودية. وكان له تقديره الخاص بعد أن قبل الإيمان بين اليهود المتنصرين المتعصبين لناموس موسى حرفيًا.

يبدو أن القديس يعقوب قد سبق أن سمع من القديسين برنابا وبولس عن عمل الله بين الأمم. وفي المجمع لم يقاطعهما، بل تركهما يتحدثان بكل ما في قلبيهما حتى صمتا.

تحدث بروح الأخوة المملوءة حبًا في تقدير لكل الحاضرين: "**أيها الرجال الإخوة اسمعوني**".

"**سمعان قد أخبر كيف افتقد اللَّه أولاً الأمم،**

ليأخذ منهم شعبًا على اسمه". [١٤]

أشار إلى حديث القديس بطرس وقد ذكره باسمه اليهودي "**سمعان**"، ليجد قبولاً أكثر لدى اليهود المتعصبين.

"**وهذا توافقه أقوال الأنبياء كما هو مكتوب**". [١٥]

قال القديس يعقوب الكلمة الأخيرة القاطعة، وهو لا يشير فيها إلى الرؤيا التي شاهدها القديس بطرس ولا إلى الآيات والعجائب التي تحدث عنها القديسان برنابا وبولسK لكنه أشار إلى أقوال الأنبياء، فإن هذه هي الشهادة التى لن يقدر اليهودي أن يقاومها. فما حدث فى ذلك العصر ليس بجديدٍ عنهم، بل سبق فرآه الأنبياء بروح النبوة. من يقدر أن يقاوم إتمام النبوات؟ لقد تنبأوا عن دعوة الأمم (رو١٠: ١٩)، وقد نادى اليهود الأتقياء بأن المسيا قادم نورًا يشرق على الأمم (لو ٢: ٣٢).

"**سأرجع بعد هذا،**

وابني أيضًا خيمة داود الساقطة،

وأبني أيضًا ردْمها وأُقيمها ثانية". [١٦]

هنا أورد القديس يعقوب نبوة كانت تبدو غامضة ويصعب على اليهود تفسيرها.

عندما كان اليهود يعصون الله ولا يبالون بخلاصهم وارتباطهم بالله كان الله يتحدث مع الأنبياء كمن فارق شعبه أو كزوج يطلق امرأته. الآن إذ يقول: "**سأرجع**"، يعلن حضوره وسط شعبه ليملك على قلوبهم، ويعلن ملكوته فيهم. وكما يقول: "ارجعوا إليّ يقول رب الجنود، فأرجع إليكم".

استخدم القديس يعقوب الترجمة السبعينية للنص. لقد تنبأ عن سقوط خيمة داود وذلك خلال انقسام المملكة إلى مملكة إسرائيل ومملكة يهوذا وسقوطهما في السبي. لم تقم هذه الخيمة حتى بعد الرجوع من السبي، إذ كانت إسرائيل تحت الاستعمار الفارسي فاليوناني ثم الروماني ولم

تُبنَ خيمة داود إلاَّ بمجيء ابن داود الذي أقام كنيسة العهد الجديد عوض كنيسة العهد القديم، وقد دعا إلى عضويتها جميع الأمم. لقد مسح السيد المسيح بدمه وقيامته عار الشعب، وأعطاهم وحدة الروح والقلب والفكر، فقامت الكنيسة، إسرائيل الجديد، تبني ما تهدم، وترد المجد عوض العار. أما سرّ المجد فهو قبول الأمم الإيمان واتحادهم مع اليهود المتنصرين في قبولهم اسم الرب.

كان علامة تخلية عن شعبه الرافض الحضرة الإلهية هو خراب الخيمة، أو السماح للأمم بالاستيلاء على تابوت العهد كما في أيام الملك شاول، أو خراب الهيكل ومدينة أورشليم، وعلامة رجوعه إليهم هي عودة تابوت العهد أو إعادة بناء الهيكل ومدينة أورشليم.

واضح أن ما ورد هنا في النبوة لا يحمل المعنى الحرفي بل الرمزي، لأنه النبي يقدم الوعد الإلهي بعد بناء قصر داود، بل وبعد بناء الهيكل، مع هذا يقول: "ابني خيمة داود الساقطة"، مشيرًا إلى انهيار مملكة داود، وإقامة مملكة ابن داود الروحية في قلب كل مؤمن كما في وسط المؤمنين ككنيسة مقدسة وشعب ملوكي.

"**لكي يطلب الباقون من الناس الرب،**

وجميع الأمم الذين دُعي اسمي عليهم،

يقول الرب الصانع هذا كله". [١٧]

يؤكد هذا الوعد الإلهي على لسان النبي دخول الأمم إلى التمتع بميزات أولاد الله.

يقصد **بالباقين** من الناس، أي الذين هم غير يهود، أو الأمم. في الأصل العبرى "أدوم"، وهى تشير إلى البشر أو البشرية أو الشعب.

"**معلومة عند الرب منذ الأزل جميع أعماله**". [١٨]

ما يحدث هو تحقيق لخطة الله الأزلية من جهة خلاص العالم كله.

ذكر القديس يعقوب نبوة عاموس في القرن الثامن ق.م. حيث تربط بين مجد إسرائيل ودعوة الأمم للإيمان: "في ذلك اليوم أقيم مظلة داود الساقطة، وأحصن شقوقها، وأقيم ردمها، وأبنيها كأيام الدهر، لكي يرثوا بقية أدوم وجميع الأمم الذين دُعي اسمي عليهم يقول الرب الصانع هذا" (عا ٩: ١١-١٢). هذا العمل المجيد، أي قيام خيمة داود الساقطة لتضم في داخلها اليهود

والأمم معًا لشعبٍ واحدٍ، يمثل خطة إلهية معلومة عند الرب منذ الأزل. وهي ليست من عمل إنسانٍ ما وإنما هي أعمال الرب العجيبة.

"**لذلك أنا أرى أن لا يُثقَّل على الراجعين إلى اللَّه من الأمم**". [١٩]

جاءت الكلمة اليونانية بمعنى "أقضي"، وهي كلمة قانونية تصدر عن القاضي في إصدار حكمه.

"**لا يُثقَّل**": الإيمان ليس نيرًا ثقيلاً يلتزم به الشخص، لكنه هبه إلهية تعطي النفس راحة وسلامًا داخليًا.

قدم القديس يعقوب كرئيس للمجمع القرار: "**أرى أن لا يُثقل على الراجعين إلى الله من الأمم**" [١٩]. وضع القديس القرار الذي به فصل في القضية، فلم يعد بعد هناك مجال للمناقشة والمنازعة، ثم رفعت جلسة المجمع.

"**بل يرسل إليهم أن يمتنعوا عن**

نجاسات الأصنام والزنا والمخنوق والدم". [٢٠]

قدم المجمع أربع توصيات تمس الحياة السلوكية التي يلتزم بها الأممي الداخل الإيمان وهي:

١. **الامتناع عن نجاسات الأصنام** مثل أكل اللحوم وشرب الخمر المقدمة ذبائح للأوثان، فهي نجسة في نظر اليهودي. كان أكل هذه اللحوم يعتبر نوعًا من الشركة في العبادة الوثنية. لهذا كان اليهود يرفضونها تمامًا. هذا لا يعني أن هذه اللحوم في ذاتها نجسة، لكن من أجل نية الوثنيين أنها جزء من العبادة، ومن أجل نظرة اليهود إليها يمتنع المؤمن عن أكلها حتى وإن كان ضميره قويًا، متطلعًا إلى أن كل الخليقة طاهرة. فمن أجل محبته لأخيه صاحب الضمير الضعيف يرفض هذه الأطعمة متى علم أنها كانت مُقدمة للأوثان. وقد عالج الرسول هذه النقطة في شيء من التوسع (١ كو ٨: ١؛ رو ١٤).

٢. **الامتناع عن الزنا**، فقد عُرف كثير من الوثنيين بالإباحية الخلقية، كأن تمارس الكاهنات الزنا استرضاء للإله، ولجمع مال لحساب هيكل الوثن. وممارسة الزنا كنوع من العبادة في الأعياد الرسمية للآلهة. كانت هذه الرذيلة شائعة بين الأمم على مستوى العالم، تمارس دون

خجل أو حياء، إذ لم يكن يوجد أي قانون بين الوثنيين يمنعها. لذلك كان لابد للمسيحية أن تأخذ موقفًا واضحًا وصريحًا لمقاومتها.

٣. **الامتناع عن أكل المخنوق** من الحيوانات والطيور، إذ تحسب كجثة ميتة رميمة نجسة (لا ١٧: ١٠؛ تك ٩: ٤).

٤. **الامتناع عن شرب الدم**، وهي تكملة للوصية السابقة، ذلك لأنه يحسب أن الدم هو الحياة، فيه النفس (لا ١٧: ١١). هذا وكان من عادة بعض الوثنيين حين ينتقمون من شخص يقتلونه ويشربون دمه. كان شرب الدم شائعًا بين الأمم، يشربونه أثناء تقديم الذبائح وفي إقامة عهود وفي الاحتفالات.

ربّما يتساءل البعض لماذا لم يشر المجمع إلى امتناع الأمم عن الخطايا والجرائم مثل السرقة والقتل، مكتفيًا بالإشارة إلى ضرورة امتناعهم عن عبادة الأوثان وأكل المخنوق والدم والزنا. ويجيب **العلامة أوريجينوس** بأن المجمع أشار فقط إلى ما كان الأمم يحسبونه مباحًا ولا تعاقب عليه القوانين المدنيّة والجنائيّة للدول. فإن اللَّه يريد أن هذه الجرائم يعاقب عليها القضاة في العالم وليس ممثلو الكنيسة. تتطلّع الكنيسة إلى قضاة هذا العالم وحكّامه كخدّام الله الذين يعاقبون الأشرار.

v أما من جهة الطعام، فلتكن هذه هي قوانينك، إذ توجد عثرات كثيرة من جهته. فالبعض لا يبالي بما يقدم للأوثان. بينما يدرب البعض نفسه "على عدم أكله"، لكنهم في نفس الوقت يدينون من يأكلون منه. وهكذا بطرق متنوعة تتدنس نفوس البشر في أمر الأطعمة بسبب جهلهم الأسباب المعقولة النافعة للأكل أو الامتناع عنه.

فنحن نصوم ممتنعين عن الخمر واللحوم، ليس احتقارًا لهما كأشياء دنسة، بل بسبب تطلعنا إلى المكافأة. فنستهين بالأمور المادية لكي نتمتع بالوليمة الروحية العقلية، وإذ نزرع الآن بالدموع نحصد في العالم الآتي بالفرح (مز ١٢٦:٥).

احفظ نفسك في أمان فلا تأكل ما يُقدم الأوثان... فإن هذا الأمر لست أنا وحدي المهتم به، بل والرسل ويهوذا أسقف هذه الكنيسة كان مملوء غيرة من جهته. فلقد كتب الرسل والشيوخ رسالة جامعة لكل الأمم أنه ينبغي أن يمتنعوا أولاً عما ذبح للأصنام، ثم عن الدم والمخنوق (راجع أع ١٥:٢٠، ٢٩). لأن كثيرين يشربون الدم بصورة وحشية سالكين مثل الكلاب.

وأيضًا يتمثلون بالحيوانات المفترسة التي تفترس المخنوق. أما أنت يا خادم المسيح فاحترس في الأكل مراعيًا أن تأكل بوقار.

القديس كيرلس الأورشليمي

"لأن موسى منذ أجيال قديمة،

له في كل مدينة من يكرز به،

إذ يقرأ في المجامع كل سبت". [٢١]

يرى البعض أن القديس يعقوب يعلل التوصيات السابقة بأنها لازمة، لأنها تمس حياة اليهودي الروحية، والتي تستند على أسفار الناموس المقروءة دومًا في المجامع أينما وجدوا. لهذا يليق بالأممي أن يحمل هذه السمات ذاتها وهي لا تمس طقسًا تعبديًا بل سلوكًا روحيًا.

٧. إرسالية إلى أنطاكية

"حينئذ رأى الرسل والمشايخ مع كل الكنيسة،

أن يختاروا رجلين منهم فيرسلوهما إلى إنطاكية،

مع بولس وبرنابا،

يهوذا الملقّب برسابا وسيلا،

رجلين متقدّمين في الاخوة". [٢٢]

منذ خمس عشرة سنة خرج شاول الطرسوسي يحمل رسائل توصية من رؤساء الكهنة لاضطهاد كنيسة المسيح ومصادرة أموال المسيحيين وقتلهم، وهوذا اليوم يخرج من أورشليم مع برنابا وبرسابا وسيلا يحملون رسائل من الرسل للترفق بالمؤمنين من الأمم العائدين إلى كنيسة المسيح حتى يرفع عنهم ثقل حرفية الناموس.

اجتمع رأي الرسل والشيوخ على إرسال بعثة مؤتمنة من يهوذا برسابا وسيلا، تنقل رأي الكنيسة، وبيدهم رسالة بخط يد الرسل، غالبًا ما كانت باليونانية. هذه البعثة ترافق الرسولين

برنابا وبولس ومن سافر معهما. بهذا القرار أعطت الكنيسة الفرصة للقديسين بولس وبرنابا للعمل في الكرازة والتبشير بين الأمم بحرية عوض إضاعة الوقت في منازعاتٍ لا تنتهي.

"**مع كل الكنيسة**": شركة رائعة بين القادة والشعب حتى في أخذ قرارات جوهرية تمس حياة الكنيسة ومستقبلها.

"**رجلين متقدمين في الإخوة**": أي من بين القادة أو أراخنة الشعب، أصحاب نفوذ وخبرة في الكنيسة.

"**وكتبوا بأيديهم هكذا:**

الرسل والمشايخ والإخوة يهدون سلامًا

إلى الإخوة الذين من الأمم في إنطاكية وسورية وكيليكية". [٢٣]

ساد الكنيسة روح الحب والوحدة، فتكتب الكنيسة التي في أورشليم إلى أخواتها الكنائس التي في سوريا وكيليكية، بروح التقدير والاحترام المتبادل. لم تصدر الرسالة عن رسول معين مثل القديس بطرس أو القديس يعقوب أسقف أورشليم، كمن هو صاحب السلطان، بل صدر عن الرسل والكهنة مع الأراخنة (الإخوة).

لم تعرف الكنيسة السلطة المنفردة، مهما كانت قدسية القائد أو مركزه. فاعتماد البابوية الرومانية على رئاسة القديس بطرس لا أساس لها، حيث لم يأخذ القديس بطرس مركز الرئاسة ولا اشتهاها، ولا أخذ يعقوب الرسول كأسقف أورشليم هذا المركز، بل ما كان يشغل الكل روح الوحدة فى تواضع لأجل مجد الله وحده وبنيان الكنيسة الجامعة (الكاثوليكية).

"**إذ قد سمعنا أن أناسًا خارجين من عندنا،**

أزعجوكم بأقوال،

مقلِّبين أنفسكم،

وقائلين أن تختتنوا، وتحفظوا الناموس الذين نحن لم نأمرهم". [٢٤]

في حزمٍ بروح الحق يوبخون المعلمين المنادين بالتهود، أي حفظ الناموس والعوائد اليهودية الخاصة بالناموس. يبدو هؤلاء انهم نسبوا هذا التعليم للرسل، لذا التزموا بتوضيح الأمر والكشف عن خداعهم لهم وعدم صدقهم.

حسبوا هؤلاء المعلمين خوارج، خرجوا عن كنيسة المسيح وانفصلوا عنا، لم يعودوا ينتسبون إليها. هؤلاء افقدوا المؤمنين سلامهم الداخلي، وسببوا لهم تشويشًا في الفكر.

"**مقلبين أنفسكم**" أو مدمرين لها، الكلمة اليونانية تعنى "تجميع الأواني المستخدمة فى بيت بقصد التخلص منها"، وهى تُستخدم بالنسبة للناهبين واللصوص والأعداء الذين ينهبون الممتلكات. هنا تُستخدم لمن يسبب ارتباكًا وعدم استقرار للذهن، كما يسلب سلام الفكر ووعيه.

"**رأينا وقد صرنا بنفس واحدة،**

أن نختار رجلين ونرسلهما إليكم،

مع حبيبينا برنابا وبولس". [٢٥]

"**رجُلين قد بذلا أنفسهما لأجل اسم ربنا يسوع المسيح**". [٢٦]

شهادة حية للرسولين من الكنيسة أنهما قد بذلا حياتهما من أجل ملكوت الله ونشر الكلمة.

"**فقد أرسلنا يهوذا وسيلا،**

وهما يخبرانكم بنفس الأمور شفاهًا". [٢٧]

مع ذهاب الرسولين بولس وبرنابا المهتمين بالكرازة للأمم، ومع بعث رسالة من مجمع الرسل المنعقد في أورشليم، بعثا بمندوبين هما يهوذا وسيلا ليجيبا على كل أسئلتهم. فلا تكفي الرسالة وحدها، بل مع القراءة يحتاجون على الاستماع من هذه المبعوثين.

"**لأنه قد رأى الروح القدس ونحن**

أن لا نضع عليكم ثقلاً أكثر غير هذه الأشياء الواجبة". [٢٨]

هنا نرى إيمان الحاضرين جميعًا بقيادة الروح القدس للمجمع الرسولي، وقيادته للكنيسة حسب وعد ربنا يسوع المسيح (مت ١٨: ١٨- ٢٠؛ يو ١٤: ٢٦).

v قال الرسل: "**لأنّه قد سُرّ الروح القدس ونحن**" (أع ١٥: ٢٨). وعندما يقولون: "**قد سُرّ**"، يشيرون ليس فقط إلى فاعل النعمة، بل أيضًا إلى مصدر تنفيذ ما أوصى به.

القديس أمبروسيوس

"**أن تمتنعوا عمّا ذبح للأصنام،**

وعن الدم والمخنوق والزنى،

التي إن حفظتم أنفسكم منها فنعمًا تفعلون،

كونوا معافين". [٢٩]

أُفتتح المجمع تحت قيادة الروح القدس، وبدأ القديس بطرس خطابه بإيضاح أن ما يستعرضه ليس رأيه الشخصي، بل ما ألزمه به الروح القدس حين طلب منه أن يكرز في بيت كرنيليوس الأممي. وها هو المجمع يختم بأن القرار قد صدر بناء على رأي الروح القدس العامل في حياة الرسل والمتجاوبين معه.

لقد شعر الرسل أن الجلسة كلها كانت تحت ظل الروح القدس وقيادته.

v كانوا كمن يقوتون أطفالاً صغار، فأعطوهم لبنًا ليشربوا وليس طعامًا (١ كو ٣: ٢) فلم يضعوا لهم أحكامًا خاصة بالعفة ولا قدموا تلميحا عن البتولية، ولا حثوهم على الصوم ،ولم يكرروا التوجيهات المقدمة للرسل في الإنجيل، أن لا يكون لهم ثوبين، ولا كيس ولا مال في مناطق ولا عصا في أيديهم ولا أحذية في أقدامهم (مت ١٠: ١٠، لو ١٠: ٥). وبالتأكيد لم يأمروهم أنهم إن أرادوا أن يكونوا كاملين يبيعوا كل ما لهم ويعطوه للفقراء ويأتوا ليتبعوه (مت ١٩: ٢١).

القديس جيروم

"**فنعمًا تفعلون**" أي تعملون ما هو صحيح وحق.

"**كونوا معافين**"، وهو اصطلاح وداعي يحمل معنى "كونوا أصحاء وأقوياء".

٨. تعزية في أنطاكية

"فهؤلاء لمّا أطلقوا،

جاءوا إلى إنطاكية،

وجمعوا الجمهور ودفعوا الرسالة". [٣٠]

"فلما قرأوها فرحوا لسبب التعزية". [٣١]

قدمت هذه الرسالة الرسولية إلى الشعب فرحًا وتعزية ليست بقليلةٍ، فمن جهة وضعت حدًا للنزاعات الداخلية، بل وربما للصراعات الفكرية للشخص الواحد بين رغبته في التمتع بحرية مجد أولاد الله وخشيته أن يُحسب كاسرًا لناموس موسى الذي تسلمه من الله. ومن جانب آخر فقد شعر المؤمنون الذين من أصل أممي باتساع فكر الكنيسة واهتمامها بالروح لا بالحرف القاتل، مع الحب الحقيقي حيث شعرت كنيسة أورشليم بقيادتها بثقل النير الذى يود المعلمون المنادون بالتهود أن يضعوه على عنقهم.

جاءت الرسالة ليست في صيغة حكم صادر عن محكمة، أو قرار صادر عن صاحب سلطة، وإنما مع روح الحزم حملت الرسالة لمسات حب صادقة وأمينة، تشع بالروح المفرح.

"ويهوذا وسيلا إذ كانا هما أيضًا نبيّين،

وعظا الإخوة بكلامٍ كثيرٍ وشدّداهم". [٣٢]

كان يهوذا وسيلا نبيين، أي كارزين بالأمور المستقبلية والحياة الأبدية، لهما موهبة الكلمة الجذابة للنفوس. يبدو أن بولس وبرنابا قد أعطيا الفرصة لهما للحديث مع الشعب والقادة ليجيبا على كل أسئلتهم حتى لا يُتهم الرسولان بولس وبرنابا أنهما متحرران لا يباليان بالناموس.

"ثم بعدما صرفا زمانًا،

أُطلقا بسلام من الإخوة إلى الرسل". [٣٣]

لم يكونا في عجلة، بل صرفا زمانًا ليس فقط لإقناع المؤمنين اليهود بعدم إلزام الذين من الأمم بحمل نير الناموس، وإنما لخدمة الشعب وبنيانهم الروحي، فمزجا الفكر االلاهوتي بالحياة العملية الروحية.

نجحا فى مهمتهما وامتلأت الكنيسة سلامًا وعادا إلى أورشليم يبلغان الرسل بالأخبار السارة.

"**ولكن سيلا رأى أن يلبث هناك**". [٣٤]

هذه العبارة لم ترد في كثير من النسخ القديمة خاصة القبطية والسريانية والعربية، وجاءت في الفولجاتا: "استحسن سيلا أن يبقى، بينما ذهب يهوذا وحده إلى أورشليم".

"**أمّا بولس وبرنابا فأقاما في إنطاكية،**

يعلّمان ويبشّران مع آخرين كثيرين أيضًا بكلمة الرب". [٣٥]

v لم يمكثا في إنطاكية ليس إلا، وإنما كان يعلمان. بماذا كانا يعلمان وبماذا كان يبشران؟ كلاهما كان يعلمان الذين كانوا بالفعل مؤمنين، ويبشران الذين لم يكونوا بعد قد صاروا هكذا.

القديس يوحنا الذهبي الفم

لا نعرف المدة التي قضاها الرسولان بولس وبرنابا في انطاكية. يرى البعض أنه في هذه الفترة حدث الخلاف بين القديسين بطرس وبولس الوارد في غل ٢: ١١-١٢.

٩. خلاف بين بولس وبرنابا

"**ثم بعد أيام قال بولس لبرنابا:**

لنرجع ونفتقد اخوتنا في كل مدينة نادينا فيها بكلمة الرب كيف هم". [٣٦]

لم يشغل نجاح خدمة القديسين بولس وبرنابا في أنطاكية في جو يسوده الهدوء والسلام عن اهتمام القديس بولس باخوته الذين سبق فكرز لهم مع القديس برنابا، فإشتهي أن يروي ما قد غرسه، وأن يفتقد الإخوة. إحساس القديس بولس بمسئوليته نحو الكرازة بين الأمم لم يكن يفارقه، فأراد أن ينطلق برحلة تبشيرية، مع إدراكه بالمتاعب والضيقات التي تحل به أثناء رحلاته.

مع مركز الرسول بولس الأبوي الفائق، خاصة في المدن التي أنشأ فيها الكنائس، ومع تأكيده انه ليس الكل آباء، حاسبا نفسه انه قد ولدهم في إنجيل ربنا يسوع المسيح، يدعو القديس بولس كل أعضاء الكنيسة: أساقفة وكهنة وشعب "إخوتنا".

سأله أن يذهبا معا إلى الكنائس إلى كرزا فيها وأسساها لينظروا "كيف هم" يفتقد الكنائس، ويشاركها فرحها وتعزياتها بالروح القدس، وآلامها وضيقاتها... يمارسا شركة الحب العملي.

"**فأشار برنابا أن يأخذا معهما أيضًا يوحنا الذي يدعى مرقس**". [٣٧]

تشاور مع القديس برنابا صديقه الحميم في الكرازة، فوجد تجاوبًا من جانبه، غير أن برنابا رأى أن يأخذ معهما ابن أخته القديس مرقس يوحنا الإنجيلي.

"**وأمّا بولس فكان يستحسن أن الذي فارقهما من بمفيلية،**

ولم يذهب معهما للعمل،

لا يأخذانه معهما". [٣٨]

يبدو أن رجوع القديس مرقس في الرحلة التبشيرية الأولى (أع ١٣: ٢٣) لم يكن برضا القديسين بولس وبرنابا. اعترض القديس بولس على مرافقته لهما، مهما كانت أسباب رجوعه، فالرسول بولس لا يجد أي عذر لمن ينسحب عن الخدمة.

"**فحصل بينهما مشاجرة،**

حتى فارق أحدهما الآخر،

وبرنابا أخذ مرقس، وسافر في البحر إلى قبرص". [٣٩]

أصر القديس بولس على رأيه ربما ليكون درسًا للخدام، أن من ينسحب من خدمة لا يُقبل فيها بسهولة، بينما قبل القديس برنابا عذر القديس مرقس فأراد مرافقتهما. وإذ لم يتفق الاثنان حدث نزاع ودي كان حله بركة للكنيسة، حيث انطلق القديسان بولس وسيلا إلى رحلة كرازية ثانية، بينما انطلق القديسان برنابا ومرقس إلى رحلة كرازية أخرى، فتحول الخلاف لا إلى هجوم طرف على آخر، بل انطلاق الكل للعمل، كل فريق إلى مكان ليعمل الكل بروح الحب تحت قيادة روح الله القدوس الصالح، الذي يحول حتى الاختلاف في الرأي إلى نمو الكنيسة وبنيانها.

يرى البعض في هذا الخلاف صورة للضعف البشري حتى بين الرسل الروحيين، لكنه ليس فرصة لتبرير وجود خلافات بيننا أو مشاجرات واحتداد.

هنا ندرك انه ليس بالأمر الغريب أن يحدث خلاف حتى بين الرسل الحكماء، لكن لا تتسلل الكراهية إلى قلب أحدهم، ولا ينسحب أحد عن العمل، أو يحقر من عمل الآخر، ولا تهتز وحدة القلب والروح والفكر، مادام الكل يخدم المسيح الواحد، بإيمانٍ واحد، مستنيرين بنور الروح القدس واهب المحبة.

مرة أخرى لم نرَ القديسين بولس وبرنابا قد اختلفا معًا حين حلت الضيقات من غير المؤمنين وتعرضا لاضطهادات مرة، لكن دبّ الخلاف في فترة الهدوء، وإن كان روح الرب حوله للبنيان.

أخيرًا فإن هذا الخلاف في الرأي لم يدم بل صار القديس مرقس معينًا للقديس بولس في الخدمة كما شهد بذلك في رسالته الوداعية (٢ تي ٤: ١١)

v ما نأخذه في الاعتبار ليس أنهما اختلفا في الرأي، وإنما تكيف الواحد مع الآخر متطلعين إلى أن صلاحًا أعظم يتحقق بمفارقتهما بعضهما البعض... ماذا إذن؟ هل افترقا في عداوة؟ حاشا! ففي الواقع نرى بعد ذلك مديح كثير لبرنابا فى رسائل بولس. إنه نضال حاد ليس عداوة ولا خصام، أدى النضال إلى المفارقة بينهما. "**وبرنابا أخذ مرقس...**" بتعقل كل منهما رأى أن ذلك أنفع فلم يمتنع أحدهما عن الخدمة إذ وجدت شركة مع الآخر. إنني أحسب أن المفارقة قد تمت بروية، وكل منهما قال للآخر: "إذ أنا لا أرغب في هذا وأنت ترغب، لهذا لا نتخاصم، وإنما نوزع مناطق العمل". لقد فعلا هذا وخضع كل منهما للآخر. فقد أراد برنابا أن تنجح خطة بولس لهذا انسحب، ومن الجانب الآخر أراد بولس أن تثبت خطة برنابا فانسحب.

القديس يوحنا الذهبي الفم

١٠. بدء الرحلة الثانية

"وأمّا بولس فاختار سيلا،

وخرج مستودعًا من الاخوة إلى نعمة اللَّه". [٤٠]

v حسن هو إتحاد الشيوخ مع الشبان، واحد يقدم شهادة والآخر يعطي راحة. واحد يقود والآخر يعطي بهجة. أعبر بلوط الذي التصق وهو شاب بإبراهيم إذ كان خارجًا (تك ١٢: ٥). ربما يقول البعض أن هذا حدث بسبب القرابة وليس عن طوعٍ اختياري. ماذا نقول عن

إيليا وأليشع (١مل ١٩: ٢١)؟... وفي سفر أعمال الرسل برنابا أخذ مرقس معه، وبولس أخذ سيلا وتيموثاوس (أع ١٦: ٣) وتيطس (تي ١: ٥).

القديس أمبروسيوس

"**فاجتاز في سورية وكيليكية يشدّد الكنائس**". [٤١]

اجتاز الرسولان في سوريا وكيليكية يفتقدان الكنائس التي سبق أن قام القديسان بولس وبرنابا بغرسها بروح الله القدوس.

كيف كانا يشددان الكنائس؟ حتمًا بكلمة الرب التي تشدد الركب المنحنية وتهب قوة الروح.

يرى **القديس يوحنا الذهبي الفم** أن القديس بولس لم يكن في عجلة، لهذا لم يأخذ البحر بل طريق البر ليثبت الكنائس التي سبق فأسسها وكرز فيها. هذا وأنه كان يفضل تثبيت الكنائس التي كرز فيها عن الكرازة فى مناطق جديدة حتى لا تصير هذه الكنائس عائقا للكرازة بسبب الضعفات التي تحل فيها.

من وحى أع ١٥

مجمع مقدس تحت قيادة الروح القدس

v أعماقنا تصرخ إليك:

هل يمكن أن يعقد مجمع مسكوني مقدس بروح مجمع الرسل؟

ليس من يطلب أن يكون رئيسًا،

ولا من يحتد برأيه!

يسود الحب والتواضع مجمع القديسين.

ويتهلل الكل بأعمالك الإلهية الفائقة!

v لتوجد خلافات في الرأي، ليكن!

لكن روحك الناري يصهر الكل في وحدة رائعة!

ليس ما يشغل كنيستك سوى خلاص العالم كله!

v ليس ما تطلبه عروسك،

سوى أن يختبر الكل العرس المفرح،

فيرتفع الجميع فوق الحرف القاتل.

ويتهلل الكل بأعمالك الخلاصية!

v يا لك من إله عجيب.

روحك الناري يقدم القرارات دون تجاهل كهنتك وخدامك.

وكهنتك يفرحون، إذ يشترك الكل معهم.

يا لها من وحدة عجيبة ومبهجة!

v كنيستك يقودها روحك القدوس.

تشتهى قداسة كل مؤمن، ليتمتع بك أيها القدوس!

لا تود أن تضغط بنير الحرف القاتل،

بل أن يستعذب الكل نير صليبك الحلو،

ويتمجد الكل بحمل صليبك المجيد!

١ و انحدر قوم من اليهودية و جعلوا يعلمون الاخوة انه ان لم تختتنوا حسب عادة موسى لا يمكنكم ان تخلصوا
٢ فلما حصل لبولس و برنابا منازعة و مباحثة ليست بقليلة معهم رتبوا ان يصعد بولس و برنابا و اناس اخرون منهم الى الرسل و المشايخ الى اورشليم من اجل هذه المسئلة
٣ فهؤلاء بعدما شيعتهم الكنيسة اجتازوا في فينيقية و السامرة يخبرونهم برجوع الامم و كانوا يسببون سرورا عظيما لجميع الاخوة
٤ و لما حضروا الى اورشليم قبلتهم الكنيسة و الرسل و المشايخ فاخبروهم بكل ما صنع الله

معهم
٥ و لكن قام اناس من الذين كانوا قد امنوا من مذهب الفريسيين و قالوا انه ينبغي ان يختتنوا و يوصوا بان يحفظوا ناموس موسى
٦ فاجتمع الرسل و المشايخ لينظروا في هذا الامر
٧ فبعدما حصلت مباحثة كثيرة قام بطرس و قال لهم ايها الرجال الاخوة انتم تعلمون انه منذ ايام قديمة اختار الله بيننا انه بفمي يسمع الامم كلمة الانجيل و يؤمنون
٨ و الله العارف القلوب شهد لهم معطيا لهم الروح القدس كما لنا ايضا
٩ و لم يميز بيننا و بينهم بشيء اذ طهر بالايمان قلوبهم
١٠ فالان لماذا تجربون الله بوضع نير على عنق التلاميذ لم يستطع اباؤنا و لا نحن ان نحمله
١١ لكن بنعمة الرب يسوع المسيح نؤمن ان نخلص كما اولئك ايضا
١٢ فسكت الجمهور كله و كانوا يسمعون برنابا و بولس يحدثان بجميع ما صنع الله من الايات و العجائب في الامم بواسطتهم
١٣ و بعدما سكتا اجاب يعقوب قائلا ايها الرجال الاخوة اسمعوني
١٤ سمعان قد اخبر كيف افتقد الله اولا الامم لياخذ منهم شعبا على اسمه
١٥ و هذا توافقه اقوال الانبياء كما هو مكتوب
١٦ سارجع بعد هذا و ابني ايضا خيمة داود الساقطة و ابني ايضا ردمها و اقيمها ثانية
١٧ لكي يطلب الباقون من الناس الرب و جميع الامم الذين دعي اسمي عليهم يقول الرب الصانع هذا كله
١٨ معلومة عند الرب منذ الازل جميع اعماله
١٩ لذلك انا ارى ان لا يثقل على الراجعين الى الله من الامم
٢٠ بل يرسل اليهم ان يمتنعوا عن نجاسات الاصنام و الزنا و المخنوق و الدم
٢١ لان موسى منذ اجيال قديمة له في كل مدينة من يكرز به اذ يقرا في المجامع كل سبت
٢٢ حينئذ راى الرسل و المشايخ مع كل الكنيسة ان يختاروا رجلين منهم فيرسلوهما الى انطاكية مع بولس و برنابا يهوذا الملقب برسابا و سيلا رجلين متقدمين في الاخوة
٢٣ و كتبوا بايديهم هكذا الرسل و المشايخ و الاخوة يهدون سلاما الى الاخوة الذين من الامم في انطاكية و سورية و كيليكية
٢٤ اذ قد سمعنا ان اناسا خارجين من عندنا ازعجوكم باقوال مقلبين انفسكم و قائلين ان تختتنوا و تحفظوا الناموس الذين نحن لم نامرهم
٢٥ راينا و قد صرنا بنفس واحدة ان نختار رجلين و نرسلهما اليكم مع حبيبينا برنابا و بولس
٢٦ رجلين قد بذلا انفسهما لاجل اسم ربنا يسوع المسيح

٢٧ فقد ارسلنا يهوذا و سيلا و هما يخبرانكم بنفس الامور شفاها
٢٨ لانه قد راى الروح القدس و نحن ان لا نضع عليكم ثقلا اكثر غير هذه الاشياء الواجبة
٢٩ ان تمتنعوا عما ذبح للاصنام و عن الدم و المخنوق و الزنا التي ان حفظتم انفسكم منها فنعما تفعلون كونوا معافين
٣٠ فهؤلاء لما اطلقوا جاءوا الى انطاكية و جمعوا الجمهور و دفعوا الرسالة
٣١ فلما قراوها فرحوا لسبب التعزية
٣٢ و يهوذا و سيلا اذ كانا هما ايضا نبيين وعظا الاخوة بكلام كثير و شدداهم
٣٣ ثم بعدما صرفا زمانا اطلقا بسلام من الاخوة الى الرسل
٣٤ و لكن سيلا راى ان يلبث هناك
٣٥ اما بولس و برنابا فاقاما في انطاكية يعلمان و يبشران مع اخرين كثيرين ايضا بكلمة الرب
٣٦ ثم بعد ايام قال بولس لبرنابا لنرجع و نفتقد اخوتنا في كل مدينة نادينا فيها بكلمة الرب كيف هم
٣٧ فاشار برنابا ان ياخذا معهما ايضا يوحنا الذي يدعى مرقس
٣٨ و اما بولس فكان يستحسن ان الذي فارقهما من بمفيلية و لم يذهب معهما للعمل لا ياخذانه معهما
٣٩ فحصل بينهما مشاجرة حتى فارق احدهما الاخر و برنابا اخذ مرقس و سافر في البحر الى قبرس
٤٠ و اما بولس فاختار سيلا و خرج مستودعا من الاخوة الى نعمة الله
٤١ فاجتاز في سورية و كيليكية يشدد الكنائس

الأصحاح السادس عشر

سجن في فيلبي

أم

تسبيح في السماء؟

اختتم الأصحاح السابق ببدء الرحلة التبشيرية الثانية للقديس بولس الرسول، يرافقه فيها القديس سيلا. وقد جاء الأصحاح السادس عشر يروي لنا جزءٍ من هذه الرحلة، ولعل من أهم أحداثها اختيار بولس الرسول للشاب تيموثاوس تلميذًا له يدربه على الخدمة، وسجن القديسان بولس

وسيلا في فيلبي، وكيف تمتع القديسان بالتسبيح كمن هما في السماء وسط السجن الداخلي في ظلمة نصف الليل، وقد امتلأ جسديهما بالجراحات.

١. اختيار تيموثاوس تلميذًا ١-٣.

٢. نمو الكنائس يوميًا ٥.

٣. الروح يمنعهم من الكلمة ٦-٧.

٤. أعبر إلى مكدونية وأعنا ٨-١٠.

٥. بولس وسيلا في فيلبى ١١-١٣.

٦. عماد ليدية وأهل بيتها ١٤-١٥.

٧. إخراج روح العرافة ١٦-١٨.

٨. بولس وسيلا في السجن ١٩-٢٤.

٩. إيمان حافظ السجن ٢٥-٣٤.

١٠. إطلاق الرسولين ٣٥-٤٠.

١. اختيار تيموثاوس تلميذًا

"ثم وصل إلى دِربة ولِسترة،

وإذا تلميذ كان هناك اسمه تيموثاوس،

ابن امرأة يهودية مؤمنة،

ولكن أباه يوناني". [١]

في لستره حيث رُجم القديس بولس أثناء رحلته الأولى التقى في هذه الرحلة بالشاب تيموثاوس، ورأى فيه الرسول إمكانية العمل الروحي القيادي الحي. وهكذا لا ينسى الله تعب المحبة، ففي الموضع الذي عانى فيه الآلام أقتطف ثمرة مفرحة تسر قلب الله، وتكون سبب بركة لكثيرين. إنها نعمة الله الفائقة التي تسمح بالضيق وتعطي تعزيات بطريق أو آخر.

لعل من أهم ملامح القديس بولس أبوته، هنا نراه يتبنى تيموثاوس ويهتم بتعليمه وتدريبه، كما فعل مع كثيرين، بكونه قد ولده في المسيح يسوع خلال كرازته. وقد اتسم بولس كأب بالحب والحنو مع الحكمة. كتب القديس بولس لابنه الصريح في الإيمان رسالتين حملتا اسمه.

١. كان تلميذًا، ربما اعتمد في طفولته، حين قبلت والدته الإيمان، وذلك كما نالت أسرة ليدية العماد عند إيمانها [١٥]، وكما اعتمد السجان والذين له أجمعون [٣٣].

يرى البعض أن تيموثاوس كان من بين التلاميذ الذين أحاطوا بولس الرسول بعد رجمه، نال المعمودية على يديه، كما هو واضح من قوله: "الابن الصريح في الإيمان" (١ تي ١: ٢)، "فتقوَ يا ابني بالنعمة التي في المسيح يسوع" (٢ تي ٢: ١).

٢. رافقه في رحلته الأولى في إنطاكية بسيدية وأيقونية ولسترة كما جاء في ٢ تي ٣: ١٠-١١ "وأما أنت فقد تبعت تعليمي وسيرتي وقصدي وإيماني وأناتي ومحبتي وصبري واضطهاداتي وآلامي مثل ما أصابني في أنطاكية وأيقونية ولسترة. أية اضطهادات احتملت، ومن جميعها أنقذني الرب".

٣. لعل الرسول بولس عاش وسط عائلته وتعرف على دقائق حياتهما، إذ يقول: "إذ أتذكر الإيمان العديم الرياء الذي فيك، الذي سكن أولاً في جدتك لوئيس وأمك إفنيكي، ولكني موقن أنه فيك أيضًا" (٢ تي ١: ٥). كانت والدته في الأصل يهودية آمنت بالسيد المسيح، يتحدث القديس عنها وعن والدتها بكل وقارٍ كمؤمنتين التصقت حياتهما بتعاليم السيد المسيح، وتمتعتا بالشركة معه. هنا يليق بنا أن نقف بكل إجلال للأم والجدة، إذ لا نسمع عن وجود مجمع يهودي في لسترة، وغالبًا لم توجد رعاية دينية في المجتمع اليهودي هناك، لكن قامت الأم والجدة بدور روحي تقوي في تربيته تيموثاوس الذي رضع منذ صباه من لبن الكتاب المقدس الخالص غير الغاش. هنا يبرز دور الأسرة الرئيسي في تنشئة الجيل الجديد وعدم الاتكال بالكامل رعاية الكنيسة والخدام.

v يرتد مديح أسلافنا إلينا إن كنا نشاركهم فيه. وإلا يصير هذا المديح لغوًا بل بالحري دينونة علينا.

القديس يوحنا الذهبي الفم

v بالتعليق على خلفية تيموثاوس اليهودية، يشير بولس إلى أصل تيموثاوس ليؤكد إيمانه. ليس شيء يسند الشخص مثل المثال في الأسرة.

الأب ثيؤودورت أسقف كورش

٤. كان والده يونانيًا أمميًا، مع أنه كان لا يجوز لفتاة يهودية أن تتزوج أمميًا (تث ٧: ٣؛ عز ٩: ١٢)؛ غير أن هذا القانون كان يُنفذ في حدود كنعان فقط. وإذ كان الأب أمميًا لم يختن تيموثاوس. إذ لم يكن الطفل ملتزمًا بالختان مادام الأب غير يهودي. غير أن الأم والجدة علمتا الطفل الإيمان بالله، فاشتاق أن يختتن كعلامة للدخول في عهد مع الله، وذلك قبل أن تؤمنا بالسيد المسيح.

v إذ حدث هذا الخلط بين اليهود والأمم بدأ الناموس (في حرفيته) ينحل تدريجيًا.

القديس يوحنا ذهبى الفم

٥. غالبًا ما قبل تيموثاوس الإيمان في رحلة القديس بولس التبشيرية الأولى.

اتسم تيموثاوس بشخصية فاضلة بين المسيحيين، وقد شهد له الإخوة في لسترة وأيقونية، فاختاره القديس بولس ليكون في صحبته، يعلمه ويدربه على الكرازة والرعاية.

٦. ختنه القديس بولس ليس كضرورةٍ لخلاصه، وإنما لكي يربح اليهود الذين في أورشليم، ولا يُتهم أنه مقاوم للناموس.

لقد تمتع الرسول بولس وسط ثمر الاضطهادات بتلميذٍ خاص صار أسقفًا على كنيسة أفسس، يحسب كنزًا وذخيرة تمتعت بها الكنيسة في المسيح يسوع!

"وكان مشهودًا له من الإخوة الذين في لِسترة وأيقونية". [٢]

أن تعليم تيموثاوس منذ طفولته وتدريبه على الكتب المقدسة بواسطة أمه وجدته قدم له بلا شك معرفة روحية عملية صالحة، وهيأه للعمل الكرازي كتلميذٍ للقديس بولس. فمع صغر سنه شهد له المؤمنون الذين احتكوا به. كما شهد له الرسول نفسه الذي أوصاه: "لا يستهن أحد بحداثتك، بل كن قدوة للمؤمنين في الكلام، في التصرف، في المحبة، في الروح، في الإيمان، في الطهارة" (١ تي٤: ١٢).

"فأراد بولس أن يخرج هذا معه،

فأخذه وختنه من أجل اليهود الذين في تلك الأماكن،

لأن الجميع كانوا يعرفون أباه أنه يوناني". [٣]

من أهم السمات التي اتصف بها الرسول بولس تشغيل الطاقات واضرام مواهب الكثيرين، خاصة الشباب، هنا نجد مثلاً حيًا لتشغيله الشاب تيموثاوس. قدَّر بولس مواهب الشاب وتقواه ومحبته للكتاب المقدس التي تشربها من والدته وجدته، فقبله ليس فقط كتلميذٍ له، بل حسبه شريكًا معه في الخدمة، وعهد إليه رعاية الكنيسة في أفسس.

قام بختانه ليربح اليهود، حسب مبدأه: "صرت لليهودي كأني يهودي، لأربح اليهود" (١ كو ٩: ٢٠). ختنه لأنه نصف يهودي (والدته يهودية)، لكنه رفض ختان تيطس (غل ٣:٢) لأن والديه أمميان، ولا ضرورة لختانه. بالأول أراد كسب اليهود للمسيح، وبالثاني كسب الأمم.

لم يكن سهلاً لدى اليهود أن يجدوا من كان نصف يهودي أن يكرز بالكلمة. وكما يقول **القديس يوحنا الذهبى الفم** أنه لم يرد أن يسدد ضربتين قويتين نحو اليهود لهذا ختن تيموثاوس قبل أن يبدأ الكرازة ويسام أسقفًا. فالختان لا يضر، وفي نفس الوقت، وإن كان غير لازمٍ للخلاص، إلا أن له منفعة حيث يهدئ به روح اليهود حتى يتقبل الكل فكرة عدم ضرورة الختان.

v عجيبة بحق هي حكمة بولس! ذاك الذي دخل معارك كثيرة بخصوص الختان، والذي بلغ بهذه الأمور إلى هذه النهاية، ولم يستسلم حتى بلغ إلى هذه النقطة (عدم ضرورة الختان) نجده الآن بعد أن صار هذا القانون ثابتًا وأكيدًا يقوم بختان تلميذه. فإنه ليس فقط لم يمنع الآخرين من الختان بل هو نفسه مارسه... والعجيب في تلك الأماكن إذ لم يكونوا قادرين أن يسمعوا الكلمة من شخص أغرل. ليست حكمة أعظم من هذه. ففي كل الأمور كان يتطلع إلى ما هو نافع، ولم يفعل شيئًا لمجرد أنه يفضله هو. ماذا إذن؟ لاحظوا نجاحه، فقد ختنه لكي يزيل الختان، إذ يكرز بقوانين الرسل.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"وإذ كانوا يجتازون في المدن،

كانوا يسلمونهم القضايا التي حكم بها الرسل والمشايخ،

الذين في أورشليم ليحفظوها". [٤]

ساروا في مدن سوريا وكيليكية الخ.، وسلموا المسيحيين هناك قرارات مجمع أورشليم الملزمة بخصوص قبول الأمم للإيمان (أع ١٠: ٢٠-٢٩). فبلا شك أن المنازعة التي حدثت في أنطاكية في هذا الشأن بسببها انعقد مجمع أورشليم قد انتشرت أيضًا بين كنائس في مدن بعيدة، وسببت قلاقل كثيرة. فقد جاء انعقاد المجمع في وقتٍ مناسبٍ لعلاج مشكلة يمكن أن تهز إيمان الكثيرين، إذ كانت الكنيسة تضم كثيرين كل يوم من الأمم.

٢. نمو الكنائس يوميًا

"فكانت الكنائس تتشدّد في الإيمان،

وتزداد في العدد كل يوم". [٥]

فصلت قرارت مجمع أورشليم إلى حدٍ كبير في الخلافات التي حدثت بين المسيحيين الذين من أصل يهودي وأولئك الذين من أصل أممي. عوض ضياع الوقت والطاقة في النزاعات اهتم الكثيرون بالعمل الإيجابي لكسب كل نفس للتمتع بخلاص الله، فتشددت الكنائس في الإيمان، وانضم كثيرون إليها.

٣. الروح يمنعهم من الكلمة

"وبعدما اجتازوا في فريجية وكورة غلاطية

منعهم الروح القدس أن يتكلّموا بالكلمة في آسيا". [٦]

فريجية: كانت أكبر ولاية في آسيا الصغرى في الشمال وبسيدية Pisidia وليسيا Lycia في الجنوب، وغلاطية وكبدوكية في الشرق، وليديه وميسيا في الغرب.

كورة غلاطية: شرق فريجية، هذه الكورة سبق أن استولى عليها بنو الغال (فرنسا) في أوقات مختلفة، ودُعيت بعد ذلك على اسمهم "غلاطية". امتلكها على الأقل ثلاث قبائل منهم. أقام فيها أيضًا كثير من اليهود، لهذا وُجد فيها عدة أحزاب، وقامت خصومات كثيرة بين اليهود والأمم الذين قبلوا الإيمان كما هو واضح من الرسالة إلى أهل غلاطية.

كان في خطة الله أن تدخل الكرازة بقوة إلى أوربا، لذلك عندما اجتاز الرسول بولس وسيلا في هذه الرحلة بعض ولايات في آسيا التي كان قد غرس الرسول بذار الكلمة فيها، وكان يود أن يسقيها، كان الروح القدس يحثه على عدم الكلام ليسرع فيخرج منها. ولعله كان في دهشة لعمل الروح الذي كان دومًا يحثه على الخدمة، ولم يكشف له الروح الخطة الإلهية إلا في ترواس حين رأى رجلاً مكدونيًا يدعوه للعبور إلى أوربا لخدمتهم.

"فلما أتوا إلى ميسيّا،

حاولوا أن يذهبوا إلى بيثينية،

فلم يدعهم الروح". [٧]

تكرر الأمر في ميسيا كما في بيثينية.

ميسيا: ولاية في آسيا الصغرى، على شمالها بروبنتس Propontis، وشرقها بيثينية، وجنوبها ليدية، وغربها بحر ايجية Aegean Sea.

حاولوا الاتجاه شرقًا للذهاب إلى بيثينية، لكن الروح منعهم.

v عندما قال بولس: "إنّني مرارًا كثيرة قصدت أن آتي إليكم" (رو ١: ١٣) يظهر الحب الذي له من نحو أهل روما، وعندما أضاف: "ومُنعت حتى الآن"، مع أنّه بالحقيقة يمكن الظن أن اللَّه هو الذي منعه، لكنّه يظهر بهذا أن عمل اللَّه هو أن يلزم أين يذهب الرسل وأين يجب ألاّ يذهبوا. إنّه بتدبير معيّن يحدّد بعضًا للكرازة بكلمة اللَّه وآخرون لا. إذ يقول بولس نفسه في موضع آخر: "فلمّا حاولنا أن نذهب إلى بيثينيّة لم يدعنا روح المسيح" (راجع أع ١٦: ٧)... لقد اشتهى الذهاب ولم يكف عن الصلاة، لعلّه يحمل ثمارًا منهم كما من آخرين من الأمم.

العلامة أوريجينوس

٤. أعبر إلى مكدونية وأعنا

"فمرّوا على ميسيّا

وانحدروا إلى ترواس". [٨]

ترواس: مدينة في فريجية أو ميسيا بين تروي Troy في الشمال وآسوس Assos في الجنوب. أحيانا يُستخدم اسم ترواس أو ترواد Troad على كل دولة التروجان Trojan، وهي ولاية كانت تضم مدينة تروي القديمة. هنا سجل هومر الإلياذة Iliad. ذُكرت ترواس كثيرًا في العهد الجديد (٢ كو ٢: ١٢؛ ٢ تي ٤: ١٣؛ أع ٢٠: ٥).

"وظهرت لبولس رؤيا في الليل،

رجل مكدوني قائم يطلب إليه ويقول:

أعبر إلى مكدونية وأعنّا". [٩]

ظهر له في رؤيا رجل مكدوني ربما عرفه من ملامحه أو لغته أو ملابسه. هل كان القديس بولس نائمًا حين رأى الرؤيا أم في يقظة، هذا ما يصعب التحقق منه. فإن الله يستخدم وسائل مختلفة لإعلان إرادته لرجاله الذين يتممون مشورته. يرى **العلامة أوريجينوس** أن الذي ظهر للقديس بولس هو ملاك راع. [يوجد رعاة هم ملائكة يدبرون أمورًا بشرية (دا ١٠: ١٣)، كل منهم يقوم بحراسته. كانوا يسهرون نهارًا وليلاً.] وهكذا يعتقد جروتنس Grotins أن الذي ظهر هو ملاك مكدونية، كما جاء في دانيال ١٠: ١٢-١٣؛٢٠-٢١ أن لكل أمة ملاك خاص بها.

مكدونية: بلد متسع في اليونان، شمالها تراس Thraceوجنوبها تسالي Thessalyوغربها أبريس Eprisوشرقها بحر ايجه. سكنها أهل كيتيم بن يافإن (تك ١٠: ٤). قامت مملكتها في أيام الإمبراطور فيليب وابنه اسكندر الأكبر. وهي أول منطقة في أوربا دخلها الإنجيل.

تجاوب الرسولان بطرس وسيلا مع الرؤيا وسلما نفسيهما للعمل الإلهي.

هذه الدعوة دائمة تصرخ في أذان الكنيسة من كل جانب لكي تعبر إلى العالم، وتقدم له كلمة الخلاص.

لم يظهر الملاك في شكل والٍ أو حاكمٍ لمكدونية أو أحد رجال الدولة، وإنما في شكل إنسان من عامة الشعب، فالكارز الحي هو الذي لا يميز بين عظيم وعامي، غني وفقير، متعلم وأمي، فقد مات السيد المسيح من أجل كل نفس.

أعلن له المكدوني أن يعبر ويعينهم، فلا يكفي الصلاة من أجلهم، بل يلزمه أن يتحرك ويذهب إليهم، فإن الله في محبته نزل إلى البشرية وعاش في وسطها كواحدٍ منهم. هكذا يليق بالكارز أن يعبر إلى النفوس الجريحة ليقدم لها طبيب النفوس ودواء الروح.

لماذا لم يرسله الروح إلى مكدونية بل رأى في رؤيا رجلاً مكدونيًا يطلب منه المعونة، بينما حينما حاول بولس ومن معه أن يذهبوا إلى بيثينية لم يدعهم الروح [٧]؟ كان منعهم من الذهاب إلى بيثينة يستلزم تدخل الروح القدس مباشرة، حتى لا يتشككوا كيف يمكن الامتناع عن الذهاب إلى موضع معين للكرازة. أكد لهم الروح خطته الإلهية بمنعهم دون تقديم مسببات. أما هنا فإن الرؤيا نفسها هي من عمل الروح القدس نفسه، أما ظهور رجل مكدوني، فلكي يلهب قلب الرسول بولس بالحب الأخوي. فإنه يوجد لنا إخوة كثيرون يصرخون طالبين نجدتنا، بممارسة العمل الإلهي.

لم يكن ممكنًا لرسول ومن معه أن يتشككوا في الرؤيا لأنها صرخة قلب يستنجد من الهلاك الأبدي!

v إذ يحثه على الكرازة أظهر له حلمًا لتحقيق هذا، أما لكي يمنعه عن الكرازة فما كان يمكنه أن يحتمل هذا لهذا أعلن له الروح القدس لتنفيذ ذلك.

القديس يوحنا الذهبي الفم

v كان يوجد ملاك راعٍ في مكدونية احتاج إلى عون الرب. لهذا ظهر لبولس في أحلامه كرجل مكدوني وقال: "أعبر إلى مكدونية وأعنّا". لماذا أتحدّث عن بولس حيث أن الملاك قال هذا لا لبولس بل ليسوع الذي في (قلب) بولس؟ هكذا يحتاج الرعاة إلى حضرة المسيح.

العلامة أوريجينوس

"فلما رأى الرؤيا،

للوقت طلبنا أن نخرج إلى مكدونية،

متحققين أن الرب قد دعانا لنبشرهم". [١٠]

هذه هي أول مرة يشير فيها القديس لوقا إلى نفسه أنه في صحبة الرسول بولس، وأنه شريك معه كما مع سيلا في الكرازة. فإذا رأى الرسول الرؤيا انطلق الكل ساعين بغير تأخير الى تحقيق دعوة الله للعمل في مكدونية. لقد أظهر جميعهم استعدادهم الدائم للعمل حسب توجيه الله بكل مسرة، وبغير تردد أو نقاش أو وضع حسابات بشرية للرحلة إلى هناك. إذ تسلم القديس بولس دعوة إلهية للانطلاق إلى مكدونية لم يتأخر بعد في الكنائس التي في آسيا أو غيرها، بل في طاعة كاملة صار يسعى مع زملائه للتنفيذ السريع.

v كان لدى بولس المادة ليفتخر بالرؤى (٢ كو ١٢: ١)، وبالأمور التي شاهدها (أع ١٦: ١٠؛ ١٨: ٩)، وبالعجائب والآيات (رو ١٥: ١٩؛ ٢ كو ١٢:١٢)، وبالأتعاب التي احتملها من أجل المسيح، وبالكنائس التي بناها بطموحه أن ينشئ كنيسة حيثما لا يُعرف المسيح، كل هذه مادة لافتخاره... ومع ذلك فإن الافتخار حتى بمثل هذه الأمور ليست بدون خطر. لهذا فإن الآب الصالح الذي وهبه هذه الرؤى والأمور التي رآها سلّمه كهبة أن يضايقه ملاك الشيطان حتى لا يفتخر.

العلامة أوريجينوس

٥. بولس وسيلا في فيلبى

"فأقلعنا من ترواس،

وتوجهنا بالاستقامة إلى ساموثراكي،

وفي الغد إلى نيابوليس". [١١]

انطلقوا نحو مكدونية مع أية سفينة مقلعة من ترواس Thrace في استقامة الى ساموثراكي، وفي اليوم التالي الى نيابوليس.

ساموثراكي كانت جزيرة في بحر ايجية ليست ببعيدة عن ثراس، بها جبل عال، وهو أعلى جبل في المنطقة، ولا يعلو عنه إلا جبل أتوس. تُرى ساموتراكي من شاطئ أسيا الصغرى عندما تكون الشمس من ورائها في حالة الغروب. وهي تضم شعبًا هو خليط من ثراس وساموس، لهذا دعيت ساموثراكي. محيط الجزيرة حوالي ٢٠ ميلاً؛ وكانت ملجأ يحتمي فيه الهاربون والمجرمون.

نيابوليس: ميناء بحري على شاطيء مكدونية بالقرب من حدود ثراس، وعلى بعد حوالي ١٠ أميال من فيلبي. يسمى الآن قالا، وبالتركية قوله، وهي موطن محمد على باشا والى مصر التركي.

"ومن هناك إلى فيلبّي،

التي هي أول مدينة من مقاطعة مكدونية،

وهي كولونية،

فأقمنا في هذه المدينة أيّامًا". [١٢]

فيلبي: المدينة الرئيسية في مكدونية، وقد عبر الإنجيلي لوقا عن ذلك بقوله: "أول مدينة من مقاطعة مكدونية"، لهذا فقد اهتم القديس بولس ورفقاؤه بها، لأنها إذا قبلت الإنجيل يمكن بسهولة انتشاره في مدن مكدونية الأخرى. اسمها القديم كان داثوس Dathos. سميت باسم الإمبراطور فيليب الثاني والد الإسكندر الأكبر الذي جددها سنة ٣٥٧ ق.م. كانت مدينة حربية أكثر منها تجارية لذلك كان عدد اليهود فيها قليلاً.

اشتهرت فيلبي بأنها كانت موقع عدة معارك أثناء الحروب الأهلية للرومان، وبينهم وبين غيرهم، وفيها تمت المعركة الحاسمة بين بروتس Brutus وأنطوني، حيث قتل بروتس نفسه في هذا الموقع.

كولونية: أي كانت تحت الرعاية الرومانية مباشرة وللمواطنين فيها حقوق وامتيازات رومانية، كأن لا يجلدون قط، ولا يُقبض عليهم إلا تحت شروط معينة، ومن حقهم رفع شكواهم من تحت تحقيق الحكام المحليين إلى الإمبراطور نفسه. تمتع سكانها بحقوق سكان روما، ذلك لأن أغسطس قيصر المدعو اكتافيانوس سابقا انتصر فيها بجيوشه على أعدائه سنة ٤٢م، فوهبها هذا الشرف. وكلمة "**كولونية**" من الجانب السياسي تعني أن القوانين فيها هي طبق الأصل من القوانين التي تسري في روما نفسها، أي أن فيلبي كانت روما مصغرة.

"وفي يوم السبت خرجنا إلى خارج المدينة عند نهر،

حيث جرت العادة أن تكون صلاة،

فجلسنا وكنّا نكلم النساء اللواتى اجتمعن". [١٣]

كانت أماكن الصلاة تُقام خارج المدن حين يكون اليهود فقراء، عاجزين عن بناء مجمع داخل المدينة، أو يكونوا ممنوعين من بنائه. كانت الصلاة عند شواطئ الأنهار مستحبّة، ففي السبي يقول المرتّل: "على أنهار بابل جلسنا..." (مز١٣٧: ١). ويقول حزقيال النبي أنّه كان عند نهر خابور (حز ١: ١)؛ ودانيال النبي تمتّع برؤيا عند نهر أولاي (دا ٨: ٢)، وبرؤيا أخرى بجانب النهر العظيم دجلة (دا ١٠: ٤).

غالبًا أُجبر اليهود على عدم إقامة مجمع داخل المدينة، فبنوا مكانًا صغيرًا لصلاة على حافة النهر، أشبه بصالة اجتماع تسمى برسفطا *proseuchoe* أي مصلى، غالبًا ما كانت بدون سقف. وكان هذا المبنى خارج أبواب المدينة على شاطئ النهر، إما طلبًا للهدوء أو بسبب كثرة استخدامهم للماء في الغسالات المطلوبة قبل الخدمات الدينية وأثناء ممارستها. ويبدو أنه لم يوجد سوى نساء يتعبدن في هذا المبنى، أو اعتادت النساء على المواظبة على الاجتماع فيها أكثر من الرجال فكانت شبه مخصصة لهن.

٦. عماد ليدية وأهل بيتها

"فكانت تسمع امرأة اسمها ليدية بياعة أرجوان من مدينة ثياتيرا،

متعبدة للّه،

ففتح الرب قلبها لتصغي إلى ما كان يقوله بولس". [١٤]

كانت تجارة الأرجوان بلا شك مربحة للغاية، فاللون الأرجواني كان يستخرج من صدف السمك، يرتديه الرؤساء والأغنياء (إش ١: ١٨؛ لو ١٦: ١٩).

ثياتيرا: موطن ليديا، تدعى الآن اخيسار Akhisar في آسيا الصغرى (رؤ ١: ١١)؛ كانت تشتهر بالصباغة كما يظهر من كتابات هومر. وميناؤها المتاخم لها هو برجاموم Pergamum ، والعلاقة بين فيلبى وثياتيرا علاقة تجارية كبيرة قائمة على شهرة ثياتيرا في إنتاج الأصباغ.

كانت ليديا أممية، لها تقديرها بين اليهود، لها أسرتها وخدمها، اقتدى أهل بيتها بها وقبلوا الإيمان واعتمدوا معها.

كانت عظة القديس بولس في صالة اجتماع فيلبي لهؤلاء النسوة أول عظة يقدمها رسول من رسل المسيح في أوربا؛ وكانت ليدية أول امرأة تستضيف رسولاً في بيتها في تلك المنطقة. وكان نهر جاجتياس أول نهر تتقدس مياهه بالمعمودية لها ولأهل بيتها.

"فلما اعتمدت هي وأهل بيتها،

طلبت قائلة:

إن كنتم قد حكمتم أني مؤمنة بالرب،

فادخلوا بيتي وامكثوا،

فألزمتنا". [١٥]

إذ آمنت اعتمدت في الحال، واعتمد معها أهل بيتها، فقد اعتمد أطفالها على إيمان والدتهم التي تتحمل مسئولية تربيتهم في المسيح يسوع. إذ اتسمت بحب الضيافة حثتهم على الإقامة في بيتها بكونها مؤمنة بالرب.

v "**فألزمتنا**": انظروا إلى حكمتها، كيف ألحت على الرسل، كيف كانت كلماتها مملوءة تواضعًا وحكمة.

القديس يوحنا الذهبي الفم

٧. إخراج روح العرافة

"وحدث بينما كنا ذاهبين إلى الصلاة،

أن جارية بها روح عرّافة استقبلتنا،

وكانت تكسب مواليها مكسبًا كثيرًا بعرافتها". [١٦]

كانوا ذاهبين إلى مكان للصلاة "مصلى*proseuchoe* " [١٣]، فالتقت بهم جارية بها روح عرافة Python وهو أحد أسماء أبوللو. إله الفنون الجميلة اليوناني مثل الموسيقى والشعر والطب والبلاغة، كانوا يعتقدون أنه مخترع الفنون، وكان مشهورا بأنه ثالث ابن للإله جوبتر ولاتونا Latona، له معبد خاص به وكاهن في ديلفي Delphi، ربما الكاهن "الوسيط الروحي" الوحيد الذي له شهرة على مستوى المسكونة، يأتي إليه كثيرون من كل أنحاء العالم. دُعي Pathon، لأنهم يعتقدون نه ما أن ولد حتى أهلك بالسهام حية تحمل ذات الاسم. وقيل أنه أرسله أبوللو ليضطهد Latona؛ من هنا صار اسمه العامPythian Apollo . له معابد على جبل بارناسوس Parnassus وفي دلفي وديلوس Delos وكلاروس Claros وتيندوس Tenedos الخ.، وكانت عبادته مسكونية. في دلفي كانت كاهنة لعبدة تدَّعى بأن الوحي يحل عليها، وكانت تهيج بعنفٍ شديد أثناء حلول الوحي عليها وكانت تدعى Python، هكذا كانت العرافة مكسبًا لربحٍ عظيمٍ، وكان الرسول بولس يتطلع إلى هذا العمل أنه شيطاني.

"هذه اتّبعت بولس وإيّانا،

وصرخت قائلة:

هؤلاء الناس هم عبيد اللَّه العلي،

الذين ينادون لكم بطريق الخلاص". [١٧]

لقد اتبعت القديس بولس ومن معه، ربما لأنها ظنت أنها تتنبأ لهم، فتنال منهم أجرة أو مديحًا علنيًا؛ أو لأنه إذ يسكنها روح شرير خشي الروح أن يطرده من مسكنه. لكن الرأي الأرجح أنها أرادت الشهادة لهم حتى إذ يقبلوا شهادتها علانية تعود فتضل الناس. تبدأ تنطق بما هو حق ليس لحبها في الحق ولا للكرازة به، ولكن كفخٍ لإسقاط سامعيها في الضلال. كما كانت الشياطين تتبع السيد المسيح صارخة: "هذا هو قدوس الله" (مر ١: ٢٤)، لكي تتمكن فيما بعد من تضليلهم، هكذا تبع الروح النجس الذي في العرافة بولس الرسول ومن معه وهو يصرخ: "**هؤلاء الناس هم عبيد الله العلي الذين ينادون لكم بطريق الخلاص**" [١٧].

v لماذا نطق الشيطان بهذه الكلمات؟ ولماذا منعه بولس؟ لأن الأول تكلم بخبثٍ، والثاني بحكمةٍ. لقد أراد الشيطان أن يجعل من نفسه موضع ثقة. فلو أن بولس قبل شهادته لخدع الشيطان الكثير من المؤمنين، إذ صار مقبولاً بواسطة بولس. لهذا قبل أن ينطق بما هو ضد نفسه حتى يؤسس بعد ذلك ما هو لحسابه. هكذا فإن الشيطان نفسه كان يُعد ما هو للدمار.

v لقد رأى الشيطان أنهما قد صاروا مشهورين، فأراد هنا أن يقوم بدور ريائي. بهذا ظن أنه يُسمح له أن يبقى في الجسد مادام يبشر بنفس الأمور. ولكن إن كان المسيح لم يقبل شهادة إنسان (يو ٥: ٣٤)، قاصدًا يوحنا، فكم بالأولى لا يقبل شهادة شيطان. "التسبيح لا يليق بفم الخاطي" (ابن سيراخ ١٥: ٩). فإن هؤلاء يبشرون ما هو ليس من البشر بل من الروح القدس. إذ لم يعملوا بروح الافتخار.

v ألا يدعو شيطان ما اسم اللَّه؟ ألم تقل الشيّاطين: نحن نعرف من أنت، قدّوس اللَّه؟ (مر ١: ٢٤؛ لو ٤: ٣٤) ألم يقولوا لبولس: "هؤلاء الرجال هم خدّام اللَّه العليّ"؟ لقد فعلوا هذا وهم تحت العذاب، فعلوا هذا فقط تحت الضغط، وليس بإرادتهم، ما كانوا يفعلون هذا دون هزيمتهم.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"وكانت تفعل هذا أيّامًا كثيرة،

فضجر بولس والتفت إلى الروح،

وقال: أنا آمرك باسم يسوع المسيح أن تخرج منها،

فخرج في تلك الساعة". [١٨]

ضجر منها الرسول بولس إذ خشي أن يظن السامعون أنه موافق على شهادتها لهم، كما حزن من أجل العرافة نفسها أنها مُستعبده لروحٍ شريرٍ يحركها كما يشاء، ويضلل من يستمع إليها.

في أيام الإمبراطورية الرومانية كان كثيرون يعتقدون في الوحي الذي يحل على كاهنات أبوللو. وكانت الهياكل في كل موضع تزدحم بالقادمين الذين يسيرون وراء هذا الضلال. فكان لا بد للمسيحية أن تكشف هذا الضلال، حتى وإن بدا البعض أنهم يتنبأون أو يشهدون للحق إلى حين.

خروج الروح الشرير كان علامة على السلطان الذي يحمله الرسل من الله، وقوه اسم يسوع المسيح الذي لا يحتمله عدو الخير.

في تعليق **القديس كيرلس الكبير** على قول السيّد المسيح: "فإن كنت أنا ببعلزبول أخرج الشياطين، فأبناؤكم بمن يُخرجون؟" (لو ١١: ١٩) يقول: [كان التلاميذ الطوباويّون يهودًا، وأبناء اليهود حسب الجسد، لكنّهم نالوا سلطانًا من المسيح على الأرواح الشرّيرة ويحرّرون من تملّكوا عليهم باستدعاء الكلمات: "باسم يسوع المسيح". فإن بولس نفسه أيضًا مرّة أمر الروح الشرّير بسلطان رسولي": أنا آمرك باسم يسوع المسيح أن تخرج منها" [١٨].

v حقا إن الشياطين تؤذي الذين يخافون منها، الذين لا تحميهم يد الله القوية العالية، الذين لم يرتبطوا بسرّ الإيمان. لكنهم يخشون الأبرار، أي الذين يعبدون الله، والذين يستحلفونهم باسمه أن يفارقوا الأجسام التي سكنوها. فإنهم يُضربون بكلماتهم كما بجلدات، وأحيانا يكفي مجرد ذكر أسمائهم فيرتعبون.

الأب لكتانتيوس

بولس وسيلا في السجن

"فلما رأى مُواليها أنه قد خرج رجاء مكسبهم،

أمسكوا بولس وسيلا وجرّوهما إلى السوق إلى الحكام". [١٩]

لم يكن يشغل مواليها معرفة الحق الإلهي، إنما تشغلهم المكاسب المادية، فإن محبة المال تعمي قلوب البشر عن رؤية الحق وقبوله، بل تحولهم إلى مقاومة الحق، وتملأ قلوبهم كراهية وسخطًا. إلى يومنا هذا نجد في بعض البلاد من يقاومون الإيمان المسيحي مع إدراكهم عقليًا أنه حق، لكنهم يفعلون هذا بغية المكاسب المادية ونوال كرامة من الجهلاء. روى لي أحد الأحباء وهو صديق لشخص غير مسيحي كاتب له شهرته، كثيرًا ما كان يكتب ضد الإيمان المسيحي مع صداقته لكثير من المسيحيين، ولما سأله هذا الصديق أجابه:" بهذا الهجوم يسرع الكثيرون إلى شراء الجريدة."

v في كل موضع (محبة) المال هي أصل كل الشرور. يا لهم من وثنيين قساة! لقد فضلوا أن تبقى الجارية ممسوسة بالشيطان لكي يربحوا مالاً بواسطتها.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"وإذ أتوا بهما إلى الولاة قالوا:

هذان الرجلان يبلبلان مدينتنا،

وهما يهوديّان". [٢٠]

جاءوا بهما إلى الوالي العسكري، ففيلبي كمستعمرة رومانية يمارس الضباط العسكريون إدارة الشئون العسكرية والمدنية في نفس الوقت.

قدموا اتهامًا ضد الرسولين أنهما مثيرا شغب وضد الشعب، وكأن ما يشغلهم هو سلام المدينة وهدوءها، والغيرة على قوانين الدولة. هكذا يرون في القوة الإلهية والعمل المقدس مقاومة للسلطات وكسرًا للقوانين. هذا الإتهام لا يزال يُقدم كل يوم ضد المؤمنين الحقيقيين في بلاد كثيرة.

"ويناديان بعوائد لا يجوز لنا أن نقبلها،

ولا نعمل بها،

إذ نحن رومانيّون". [٢١]

الاتهام الثاني ضد الرسولين أنهما يقدمان عادات دينية جديدة غريبة عن العادات الرومانية، أي يقدمون دينًا جديدًا لا تعترف به القوانين الرومانية. أظهر هؤلاء الموالين لروح العرافة أنهم غيورون على العبادة الرومانية واليهودية، مع أن ما يشغلهم حقيقة هو المكاسب الدينية.

لم تسمح القوانين الرومانية بالعبادة لآلهة جديدة لم يقرها القانون. يقول **العلامة ترتليان:** "كان يوجد قانون أنه لا يجوز تقديس إله ما لم يقره مجلس الشيوخ senate".

كما أخفى اليهود ما في قلوبهم فاتهموا السيد المسيح بأنه يود أن يقيم نفسه ملكًا، صارخين: "ليس لنا ملك إلا قيصر: من يجعل نفسه ملكًا يتكلم ضد قيصر" (يو ١٩: ١٢، ١٤)، هكذا فإن هؤلاء الرومانيين لم يكشفوا ما في قلوبهم، فلم يقولوا بأن هؤلاء قد اخرجوا الشيطان من الجارية، لئلا يحسبوا أشرارًا، إنما اتهموهما بأنهما يغّيران عوائدهم كرومانيين، وأنهما يبلبلان المدينة.

"فقام الجمع معًا عليهما،

ومزق الولاة ثيابهما،

وأمروا أن يُضربا بالعصي". [٢٢]

واضح أن موالي العرافة استطاعوا أن يثيروا جمهورًا كبيرًا وشغبًا ضد الرسولين وبطريقة غير شرعية، وقد احتج الرسول بولس على ذلك لأنه إجراء غير قانوني [٣٧].

كانت العادة أن يُعرى المجرم قبل جلده أو ضربه بالعصي.

"فوضعوا عليهما ضربات كثيرة،

وألقوهما في السجن،

وأوصوا حافظ السجن أن يحرسهما بضبطٍ". [٢٣]

كان هذا عمل اللكتور lector أو الجلاد، كعقوبة عامة بين الرومان أن يضرب الشخص بالعصي ثلاث مرات (٢ كو ١١: ٢٥).

كانت الشريعة اليهودية تمنع العقوبة بأكثر من ٤٠ جلدة، لهذا كانت العقوبة غالبًا لا تتعدي ٣٩ جلدة حتى إن حدث خطأ في جلده لا يكون الشخص منفذ العقوبة قد كسر الشريعة، أما بالنسبة للرومان فالقانون لا يضع حدودًا لعدد الضربات. هذا ما عبَّر عنه الرسول بأنه ضرب فوق الحدود (٢ كو ١١: ٢٣).

"وهو إذ أخذ وصية مثل هذه،

ألقاهما في السجن الداخلي،

وضبط أرجلهما في المقطرة". [٢٤]

كان المجرمون الخطيرون يُلقون في السجن الداخلي لضمان عدم هروبهم. هذا السجن غالبًا ما يكون مملوء بالقاذورات وغير صحي ومظلم. وُضعت أرجلهما في مقطرة، بين قطعتين من الخشب حتى لا يقدرا على المشي، وغالبًا ما يربط الشخص بطريقة يضطر بها أن ينام على ظهره الذي يمتلئ بالجراحات بسبب الضرب، فيعاني من آلام أشد. استخدام المقطرة قديم للغاية (أي ١٣: ٢٧). يرى البعض أنّها قطعة خشبيّة على شكل برواز، حيث يوجد بها فتحتان تُثبت فيهما القدمان ليكونا مبتعدتين عن بعضهما البعض. وُجدت أكثر من مقطرة قديمة بها خمس فتحات تثبّت فيها القدمان والرجلان والرأس.

يوجد حاليًا في سيلان Ceylon أداة تشبه المقطرة تستخدم، لكن تترك الرأس حرّة دون تثبيت.

٩. إيمان حافظ السجن

"ونحو نصف الليل كان بولس وسيلا يصلّيان،

ويسبحان اللَّه،

والمسجونون يسمعونهما". [٢٥]

وسط مثل هذه الآلام لم يكن ممكنًا للذين في السجن الداخلي أن يناموا، فكانت صرخاتهم تدوي من الآلام الشديدة، أما هذان المسجونان فكانا يرتلان ويسبحان الله بروح التهليل والفرح، تسندهما نعمة الله الفائقة للطبيعة. فالمؤمن الحقيقي، شريك ملك الملوك في آلامه وصلبه، يجد لذة وسط الألم أعظم ممن يجدها ملك أو إمبراطور أو رئيس على عرشه.

لم يكن ممكنًا للسجن بظلمته وقذارته وأوحاله، ولا للقيود والمقطرة ولا للجراحات التي ملأت جسمي بولس وسيلا أن تنزع عنهما روح الفرح والتهليل. فتحول السجن إلى أشبه بسماء، والرسولان إلى طغمة ملائكية مسبحة لله، فاهتزت لهما السماء وتزلزلت الأرض وتزعزعت أساسات السجن. تحولت الآلام إلى أغنية مفرحة حيث يترنم الرسول في مجد داخلي: "أهم خدام المسيح، أقول كمختل العقل، فأنا أفضل، في الأتعاب أكثر، في الضربات أوفر، في السجون أكثر، في الميتات مرات كثيرة" (٢ كو ١١: ٢٣).

v ماذا يمكن أن يعادل هاتين النفسين؟ هذان الرجلان قد جُلدا وتقبلا ضربات كثيرة وأُسيء التعامل معهما، كانا في محنة، ألقيا في السجن الداخلي، موضعين في مقطرة، ومع هذا كله لم يسمحا لنفسيهما أن يناما بل سهرا بالليل. ألا ترون بركات المحن؟ أما نحن ففي أسرة ناعمة، ليس

ما يرعبنا، نقضي الليل نيامًا... لم يكن ممكنًا لطاغية النوم أن يتسلط عليهما، ولا الشعور بالألم أن يحنيهما، ولا الخوف من الشرور أن يطردهم إلى حالة اكتئاب يائسة. لا بل هذه كلها هي بعينها جعلتهما يقظين، ومملوئين بهجة فائقة.

القديس يوحنا الذهبي الفم

هكذا أعلن الرسولان عمليًا أن سعادة الإنسان مصدرها قلبه، حيث يسكن الله ويقيم ملكوته فيه. كما أعلنا أنه لن يقدر إنسان ما أو قوة ما معادية ان تحطم سلام المؤمن الحقيقي؛ قد يمارس الأشرار ضغوطًا شديدة على جسده، أما نفسه فما تقدر قوة ما أن تحنيها.

اهتمت الكنيسة بممارسة السهرات الروحية، إلا أن فيجيلانتيوس Vigilantius هاجم حياة السهر، وقضاء ليالٍ للسهر يكرمون فيها رفات الشهداء والقديسين في الرب، مع أن اسمه معناه "الساهر".

v تخبرني بأن فيجيلانتيوس يشجب السهر. وهو في هذا بالتأكيد يأخذ موقفًا مضادًا لاسمه. الساهر يود أن ينام، ولا يريد أن يسمع كلمات المخلص: "ماذا، أما قدرتم أن تسهروا معي ساعة واحدة؟ اسهروا وصلوا لئلا تدخلوا في تجربة. حقا الروح قوي والجسد ضعيف" (مت ٢٦: ٤٠-٤١). وفي موضع آخر يسبح النبي: "في نصف الليل أقوم وأشكرك على أحكام عدلك" (مز ١١٩: ٦٢) نقرأ أيضًا في الإنجيل كيف قضى الرب ليالٍ كاملة في الصلاة (لو٦: ١٢)، وكيف أن الرسولين عندما وُضعا في السجن حفظا السهر الليل كله، مرنمين مزاميرهما، حتى تزلزلت الأرض، وآمن حافظ السجن، والولاة والمواطنون امتلأوا رعبًا (أع ١٦: ٢٥-٣٨). يقول بولس: "ثابروا على الصلاة واسهروا" (كو ٤: ٢). وفي موضع آخر يتحدث عن نفسه أنه "في أسهار كثيرة" (٢ كو ١١: ٢٧). ليتم فيجيلانتيوس إن كان في ذلك مسرته ويغط نومًا، فيهلكه مهلك مصر والمصريين. لكننا لنقل نحن مع داود: "هوذا حافظ إسرائيل لا ينعس ولا ينام". (مز ١٢١: ٤) " ليأت إلينا القدوس الحارس" (راجع دا ٣: ١٣). وإن كان بسبب خطايانا ينام، فلنقل له: "قم يا رب لماذا تنام؟" (مز ٤٤: ٢٣) وعندما تُلطم سفينتنا بالأمواج لنيقظه قائلين: "يا سيد، خلصنا، فإننا نهلك" (مت ٨: ٢٥ ؛ لو ٨: ٢٤).

القديس جيروم

من ينجذب بنار المسيح يصير كشخصٍ يسكن وحده على الأرض. لا يبالي قط لا بالمجد ولا بالهوان. لن تحركه التجارب والجلدات والسجون، بل يكون كمن يتعذب في جسم ليس له، أو كمن له جسم بلا إحساس (للآلام). إنه يسخر تمامًا بملذات هذه الحياة، ولا يشعر باللذة، كأنه جثة بلا إحساس. وكما لا تذهب الهوام إلى اللهيب بل تهرب منها، هكذا فإن أهواء الروح لا تتجاسر أن تقاومه.

v بولس مواطن السماء، عمود الكنيسة، ملاك أرضي، كائن سماوي. مثل حديد محمي بالنار صار كله متوهجًا هكذا التهب بولس بالحب، فصار الحب نفسه.

القديس يوحنا الذهبي الفم

v يلزمنا أن نصلي في نصف الليل كما كتب لتعليمنا عن بولس وسيلا... قال المرتل: "في نصف الليل كنت استيقظ وأسبحك على أحكام عدلك".

القديس باسيليوس الكبير

v كيف نصلي في كل حين (أف ٦: ١٨، ١ تس ٥: ١٧؛ ١ تي ٢: ٨)، بينما نحن ممنوعون من الصلاة في مكان عام (مت ٦: ٥، ٦)؟ نصلي في أي موضع يعني كلما أتيحت لنا فرصة أو وُجدت ضرورة نحسبها مناسبة. هذا ما فعله الرسولان اللذان كانا في موضع يسمعه المساجين، إذ كانا يصليان ويسبحان الله، ولم يُحسب هذا مخالفًا للوصية، ولا ما فعله بولس وهو في السفينة في حضور الكل إذ قدم شكرًا لله (أع ٢٧: ٣٥).

العلامة ترتليان

"فحدث بغتة زلزلة عظيمة حتى تزعزعت أساسات السجن،

فانفتحت في الحال الأبواب كلها،

وانفكّت قيود الجميع". [٢٦]

بينما ارتفع قلبا الرسولين إلى السماء ليتمتعا بالسيد المسيح الممجد، يشاركان ملائكته تسابيحهم له، إذا بالأرض تتزلزل تحت قدميهما كما في رعب مما يفعله الأشرار بأولاد الله. لم يجد الرسولان من يدافع عنهما، فانطلقت الطبيعة تشهد لهما.

كان حدوث الزلزلة العظيمة إشارة إلى حضرة الله الذي تتزلزل أمامه الجبال، فإن كان الرسولان قد سُجنا في الحبس الداخلي وقيدت أرجلهما، فإن إله السماء والأرض يعلن حضوره ومعيته لهما.

لم يكن ممكنًا للأبواب أن تُغلق أمام العناية الإلهية، ولا للقيود أن تمسك برجال الله الأتقياء. تم هذا كله لكي يُنجح الله طريق الرسولين فيشهدا له أمام السجان والمساجين.

v ليتنا نحن أيضًا نفعل هذا (الصلاة الليلية). فإننا نفتح لأنفسنا لا سجنًا بل السماء. إن كنا نصلي يمكننا أن نفتح السماء. إيليا أغلق السماء وفتحها بالصلاة (يو ٥: ١٧). يوجد أيضا سجن في السماء. يقول: "ما ربطتموه على الأرض يكون مربوطًا في السماء" (مت ١٦: ١٩). لنصلي بالليل، فنحل هذه القيود. فإن هذه الصلوات تحل الخطايا. ليت الأرملة تقنعنا، ليت ذاك الصديق يقنعنا، هذا الذي يأتي في ساعة غير متوقعة بالليل ويصمم قارعًا (لو ١١: ٥). ليقنعنا كرنيليوس إذ قيل: "صلواتك وصدقاتك صعدت أمام الله" (أع ١٠: ٤). ليقنعنا بولس القائل: "ولكن التي هي بالحقيقة أرملة ووحيدة فقد ألقت رجاءها على الله، وهي تواظب الطلبات والصلوات ليلا ونهارا" (١ تي٥: ٥).إن كان يتحدث هكذا عن الأرملة، المرأة الضعيفة، كم بالأكثر يليق بالرجال (أن يسهروا في الصلاة)... لنقم في الليل، وإن كنت لا تقيم صلوات كثيرة، فلتقم صلاة واحدة بيقظة. هذا يكفي، لست أطلب أكثر من هذا. وإن كانت ليست في منتصف الليل، فلتكن في بدء الفجر، لتظهر أن الليل ليس فقط للجسد وإنما للنفس أيضًا. لا تسمح له أن يعبر في خمول، بل رده لسيدك، بل بالأحرى سيرتد النفع إليك.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"ولما استيقظ حافظ السجن،

ورأى أبواب السجن مفتوحة،

استل سيفه وكان مزمعًا أن يقتل نفسه،

ظانًا أن المسجونين قد هربوا". [٢٧]

لم يتطلع الرسولان إلى هذا الحدث كأمرٍ إلهي بالهروب من السجن، بل كفرصة رائعة يقدمها الله للعمل الكرازي. لم يكن يتخيل السجان أن سجينًا ما يبقي في زنزانته وقد تزلزلت الأرض وانفتحت كل الأبواب وانفكت قيود الجميع. لا مفر له من الهروب من المسئولية، فالحل الوحيد هو الانتحار! والعجيب أن فيلبي كأرض لمعارك كثيرة شهدت انتحار كثير من القادة عندما حل بهم الخطر، مثل بروتس Brutus وكاسيوس Cassius وكثير من أصدقائهما، إذ سقط كل منهم على سيفه، وأنهوا حياتهم بالانتحار. هذا التصرف الذي كان منتشرًا نزعته المسيحية عن قلوب المؤمنين، إذ لا يجوز للإنسان أن ينتحر مهما كانت الظروف.

كان من تقليد الشرف الروماني أن السجان الذي يخفق في ضبط سجنه لا ينتظر التحقيق والسقوط تحت العقوبة بل يقضي على نفسه بيده.

حسب القانون الروماني إذا هرب سجين ينفّذ الحكم الصادر ضدّه على الحارس، وإذ ظن الحارس أن بعض المساجين قد هربوا، فهذا معناه أنّه سيقع تحت عذابات كثيرة. فيحسب موته بيديه أفضل من موته مع تعذيبات.

"فنادى بولس بصوت عظيم قائلاً:

لا تفعل بنفسك شيئًا رديًا،

لأن جميعنا ههنا". [٢٨]

هذه هي صرخة الإيمان المسيحي لكل بشر في العالم: "**لا تفعل بنفسك شيئًا رديًا**"، فإنه لا يقدر أحد أن يؤذيك ما لم تؤذِ أنت نفسك. ارفع يدك ولا تضرب بالسيف ذاتك، فإن الله يطلب حياتك الفضلى ومجدك الأبدي.

نادى القديس بولس بصوتٍ عظيمٍ لأن حافظ السجن كان بعيدًا عنه. صرخ وسط ظلمة السجن، وهو يرى بعيني قلبه ما يريد حافظ السجن أن يفعله بنفسه، أدرك ما في فكر حافظ السجن.

"فطلب ضوءًا،

واندفع إلى داخل،

وخرّ لبولس وسيلا وهو مرتعد". [٢٩]

جاءت كلمة "**ضوء**" في اليونانية بصيغة الجمع، ربما لأن حافظ السجن طلب من مساعديه أن يأتوا بمشاعل كثيرة، ويذهب كل منهم في اتجاه للتحقق من الأمر.

انطلق في رعب إلى السجن الداخلي، فقد دُهش كيف لم يتحرك مسجون واحد من زنزانته بالرغم من حدوث الزلزلة العظيمة وانفتاح جميع الأبواب. هذا ومما أدهشه سلام قلبي الرسولين وبشاشتهما وتهليلهما بالرب، فأدرك أنهما في حضرة الله. حسبهما رجلي الله القديسين، فسجد أمامهما مرتعبًا.

"ثم أخرجهما وقال:

يا سيدي، ماذا ينبغي أن أفعل لكي أخلص؟" [٣٠]

تحدث معهما في وقارٍ شديدٍ: "**يا سيدي**"، وهو لقب يُقدم للسادة وأصحاب العبيد.

لم يكن يشغله خلاصه الزمني وموقفه أمام السلطات، وإنما خلاصه الأبدي. لقد أدرك أنهما حتمًا رسولا الله الحقيقي، وأنهما تحت رعايته وحمايته، قادران عن الكشف عن طريق الخلاص. اكتشف حافظ السجن انه خاطئ، ومحتاج إلى خلاص من خطاياه، وأنه ضعيف لا سلطان له بالرغم من مركزه المرعب.

السجان في رعب، والمسجونان في سلام داخلي. السجان يدرك ضعفه الشديد وعجزه حتى عن حماية نفسه، والمسجونان يستظلان تحت جناحي الله، الأرض تتزلزل لأجلهما، والأبواب الحديدية تنفتح أمامهما، والقيود تتساقط!

v ألا تلاحظوا ما حدث في الحالة السابقة (إخراج الشيطان من الجارية) وما حدث هنا؟ هناك فتاة تحررت من روح (شرير)، فطُرحا في السجن لأنهما حرراها من الروح. هنا مجرد أظهرا الأبواب مفتوحة فانفتحت أبواب قلب حارس السجن. وانحل نوعان من القيود، فأشعل السجان النور الحقيقي، لأن النور الذى في قلبه كان مشرقا. واندفع إلى داخل وخرّ أمامهما. ولم يسأل: "كيف حدث هذا؟" بل في الحال سأل: "**ماذا ينبغي أن أفعل لكي أخلص؟**"

القديس يوحنا الذهبي الفم

"فقالا: آمن بالرب يسوع المسيح،

فتخلص أنت وأهل بيتك". [٣١]

قدم توجيهًا واضحًا وبسيطًا وفعالاً، وهو الإيمان بربنا يسوع المسيح، كبدء انطلاق وأساس حي لكل عبادة وسلوك. والعجيب أنه يطلب منه أن يؤمن فيخلص هو وأهل بيته، فإنه إذ يقبل الإيمان يكون له أثره على زوجته، ويكون الاثنان مسئولين على أولادهما، إذ يقدما لهم الإيمان الحي العملي خلال تربيتهما لهم.

"وكلّماه وجميع من في بيته بكلمة الرب". [٣٢]

تحدث الرسول مع كل أهل بيته الكبار والصغار، فالخلاص مُقدم للجميع بلا تمييز.

"فأخذهما في تلك الساعة من الليل،

وغسلهما من الجراحات،

واعتمد في الحال، هو والذين له أجمعون". [٣٣]

مع كل ما صنعه الله من عجائب ليتمجد في رسوليه بولس وسيلا، من أجلهما زلزل الأرض، وفتح أبواب السجن، وحل القيود من الجميع، وعمل في قلب حافظ السجن وأهل بيته، إلا انه ترك الجراحات في جسميهما تحتاج إلى من يغسلها. لعل الله أراد أن يثبت الرسولين في تواضعهما،

فلا يظنا بسبب هذا كله أنهما ليسا في حاجة إلى خدمة حافظ السجن. ترك الله الجراحات لكي ينال حافظ السجن بركة خدمة الرسولين.

رأينا قبلاً كيف أن الخرق والمآزر التي على جسم الرسول بولس كانت تشفي المرضي وتخرج الأرواح الشريرة بقوة السيد المسيح، بينما بقي الرسول نفسه مريضًا ولم يشفه الرب، بل حتى تلاميذه الأخصاء مثل تيموثاوس وغيره لم يكن يشفيهم. ما أبعد أحكام الله! وما أعجب حكمته وحبه لخلاص كل نفس، فهو يخشى على الرسول من الكبرياء، فيحفظه دومًا في تواضعٍ وانسحاقٍ!

"ولما أصعدهما إلى بيته،

قدم لهما مائدة،

وتهلّل مع جميع بيته،

إذ كان قد آمن باللَّه". [٣٤]

تمتع السجان بأهم ثمار الروح، أي الفرح، "**تهلل مع جميع بيته**". سر فرحهم أنهم قبلوا الإنجيل، الأخبار السارة، وتمتعوا بالبنوة لله خلال العماد.

v غسلهما (من جراحاتهما)، واغتسل هو من خطاياه. أطعمهما، فاقتات هو. قيل "**تهلل**" مع أنه لم يوجد هناك سوى كلمات ورجاء صالح.

القديس يوحنا الذهبي الفم

يرى **القديس يوحنا الذهبي الفم** أن إيمان السجان وأهل بيته بهذه الصورة الرائعة هي معجزة أعظم من الزلزلة وفتح أبواب السجن وخروج الرسولين. إنه عمل الروح القدس الفائق في حياة الإنسان.

v من هو أردأ من السجان، من هو أكثر منه قسوة قلب، من هو أكثر منه توحشا؟ لقد أكرمهما بكرامة عظيمة. ليس لأنه صار في آمان وتهلل، بل لأنه آمن بالله..

القديس يوحنا الذهبي الفم

١٠. إطلاق الرسولين

"ولما صار النهار أرسل الولاة الجلادين، قائلين:

أطلق ذينك الرجلين". [٣٥]

ماذا حدث للولاة حتى أرسلوا في الصباح يطلبون من السجان أن يطلق الرسولين؟ هل رأوا رؤى تحذرهم من تصرفاتهم هذه معهما؟

لعلهم سمعوا عن الزلزلة وما تبعها من أحداث، وأثر ذلك على الشعب، فأراد الولاة أن يظهروا اهتمامهم بالشعب الذي تهلل بعمل الله العجيب. أو لعلهم خشوا غضب الآلهة، لأن الرومان كانوا

يتطلعون إلى الزلازل كعلامة من علامات غضب الله، فما حدث هو أشبه بإنذار سماوي موجه إليهم.

"فاخبر حافظ السجن بولس بهذا الكلام،

أن الولاة قد أرسلوا أن تُطلقا،

فاخرجا الآن، واذهبا بسلام". [٣٦]

واضح أن الرسولين بعد أن عمدا حافظ السجن وأهل بيته، وأكلا طعامًا عنده، وتهلل الكل، أنهما بإرادتهما عادا إلى السجن، ربما لكي لا يسببا متاعب لحافظ السجن، وليعلنا أنهما لا يخشيان السجن.

"فقال لهم بولس:

ضربونا جهرًا غير مقضي علينا،

ونحن رجلان رومانيان،

وألقونا في السجن.

فالآن يطردوننا سرًا،

كلاّ بل ليأتوا هم أنفسهم ويخرجونا". [٣٧]

أشار الرسول إلى ثلاثة أمور مخالفة للقانون:

١. كان ضربهما مخالفا للقانون الروماني.

٢. أن الضرب كان جهرًا، بغية وضعهما في خزي وعار أمام الشعب.

٣. سُجنا دون أية محاكمة.

كان تقييد مُواطن روماني وضربه، وعدم إعطائه فرصة للمحاكمة والدفاع عن نفسه ثلاثة جرائم ضد القانون. القانون Valerial law يمنع تقييدهم، وقانون Porcian law يمنع ضربهم؛ يقول شيشرون في مقاله Oration against verres "أنّه كسر للقانون أن يقيّد مواطن روماني، وشرّ أن يُجلد، ولا يمكن أن يُحكم على شخص لا يُسمع له".

مع ما اتسم به الرسول من شوق لمشاركة السيد المسيح آلامه، وفرحه بذلك مع تواضعه ووداعته، لكنه **أراد أن يعلن حق المؤمن في المطالبة بحقوقه القانونية دون أن يتسلل على قلبه أي غضب** أو كراهية أو حب انتقام لظالميه.

يرى **القديس يوحنا الذهبي الفم** أن الرسول طلب ذلك ليس لرد كرامتهما، وإنما لكي لا يُساء إلى السجان، ولا إلى ليدية التي استضافتهما.

v احتمل الرسول بولس اللطم على الخد الأيمن ثم الأيسر. فقد احتمل ما احتمله التلاميذ من تعيير بسبب اسم المسيح الذي دُعي عليهم (أي احتمل اللطم على الخد الأيمن). بعد ذلك قدم الخد الأيسر مضحيًا بأمجاده العالمية (جنسيته الرومانية أع ١٦:٣٧). فعندما أعلن عن جنسيته الرومانية لم يكن يقصد بذلك الافتخار أو الانتقام ممن أساءوا إليه. بل بالعكس كان بولس يعلن عن رومانيته لتهيئ له فرصة للحديث عن المسيح، معلنًا بذلك محبته لخلاص نفوس هؤلاء الذين أكرموه لأجل رومانيته وأهانوه لأجل مسيحيته.

القديس أغسطينوس

"فأخبر الجلادون الولاة بهذا الكلام،

فاختشوا لمّا سمعوا أنهما رومانيان". [٣٨]

خاف الولاة لأنهم يعلمون ما هي عقوبة الشخص، مهما كان مركزه، إن عاقب إنسانًا رومانيًا بخلاف قانون الدولة الرومانية، فقد تبلغ إلى الإعدام ومصادرة أمواله.

إذ صلب أهل رودس Rhodes بعض الرومانيين نزع الإمبراطور كلوديوس عنهم الحرية وجعلهم عبيدا.

"فجاءوا وتضرعوا إليهما وأخرجوهما،

وسألوهما أن يخرجا من المدينة". [٣٩]

في مذلة جاء الولاة يتضرعون إلى الرسولين أن يخرجا من السجن، ويطلبون منهما أن يتركا المدينة. فعلوا هذا ليؤكدوا لهما أنهم لم يكونوا يعلموا أنهما رومانيان. طلبوا منهما ترك المدينة خشية حدوث شغب يعرض حياتهما للخطر.

"فخرجا من السجن،

ودخلا عند ليدية،

فأبصرا الإخوة،

وعزّياهم ثم خرجا". [٤٠]

خرجا من السجن ودخلا بيت ليدية ليعزيا المؤمنين، وبهذا بدأ تأسيس الكنيسة في فيلبي.

من وحي أع ١٦

هب لي في وادي الدموع

تهليل السمائين!

v أسمح لي بروحك القدوس أن أرافق الرسول رحلته.

في غيرته المتقدة يدفع كل مؤمن للعمل.

لا يستهن بحداثة شاب طاهر،

ولا يستخف بموهبة مؤمن ما.

v لم يشغل نفسه بالمناقشات الغبية،

مكتفيًا أن يقدم القرارات الكنسية،

ويتفرغ هو للعمل الإيجابي لكسب كل نفسٍ.

ليس من أمر مهما بلغت أهميته،

أسمىَ من جذب نفس للتمتع ببهجة خلاصك.

v ليقودني روحك الناري،

يفتح ويغلق باب العمل حسب حكمته الإلهية.

أستمع إلى ندائه للعمل على لسان كل إنسانٍ .

v لتكن كل نفس ثمينة قي عيني.

لا أتجاهل من كان غنيًا كليدية بائعة الأرجوان.

ولا أستخف بجارية ملكها روح عرافة.

v ماذا يقدم لي وادي الدموع؟

ضيق ومرارة بلا سبب!

لكنك تحول لي وادي الدموع إلى عربون السماء!

v لم يكن ممكنًا لجراحات الجلدات أن تكتم جراحات القلب!

ولا للقيود والمقطرة أن تعوق النفس عن ارتفاعها إليك.

ولا عنف السجان أن يسحب البصيرة عن غنى رأفاتك.

v تهلل قلبا بولس وسيلا،

وانفتح فمهما للتسبيح في منتصف الليل.

نسى المساجين آلامهم ليستمعوا للصوت الملائكي.

وتهللت السماء مع تهليل المسجونين.

وتزلزلت أساسات السجن!

- انفتحت أبواب السجن الحديدية،

وسقطت القيود من كل المساجين،

واضطرب قلب حافظ السجن العنيف!

تُرى ماذا حدث؟

تحول السجن كما إلى سماء.

وانحنى السجان يطلب خلاصًا أبديًا!

تمتع مع أهل بيته بالميلاد الجديد.

ووجدت البهجة لها مكانًا في أسرته!

- يا للعجب!

الحكام يطلبون من المسجونين أن يخرجا!

والمسجونان لا يشغلهما سوى خروج كل نفس من حبسها!

هكذا تمتع الرسولان بعربون السماء

وتحول وادي الدموع إلى شركة السمائيين!

١ ثم وصل الى دربة و لسترة و اذا تلميذ كان هناك اسمه تيموثاوس ابن امراة يهودية مؤمنة و لكن اباه يوناني
٢ و كان مشهودا له من الاخوة الذين في لسترة و ايقونية
٣ فاراد بولس ان يخرج هذا معه فاخذه و ختنه من اجل اليهود الذين في تلك الاماكن لان الجميع كانوا يعرفون اباه انه يوناني
٤ و اذ كانوا يجتازون في المدن كانوا يسلمونهم القضايا التي حكم بها الرسل و المشايخ الذين في اورشليم ليحفظوها
٥ فكانت الكنائس تتشدد في الايمان و تزداد في العدد كل يوم
٦ و بعدما اجتازوا في فريجية و كورة غلاطية منعهم الروح القدس ان يتكلموا بالكلمة في اسيا
٧ فلما اتوا الى ميسيا حاولوا ان يذهبوا الى بثينية فلم يدعهم الروح
٨ فمروا على ميسيا و انحدروا الى ترواس
٩ و ظهرت لبولس رؤيا في الليل رجل مكدوني قائم يطلب اليه و يقول اعبر الى مكدونية و اعنا
١٠ فلما راى الرؤيا للوقت طلبنا ان نخرج الى مكدونية متحققين ان الرب قد دعانا لنبشرهم

١١ فاقلعنا من ترواس و توجهنا بالاستقامة الى ساموثراكي و في الغد الى نيابوليس
١٢ و من هناك الى فيلبي التي هي اول مدينة من مقاطعة مكدونية و هي كولونية فاقمنا في هذه المدينة اياما
١٣ و في يوم السبت خرجنا الى خارج المدينة عند نهر حيث جرت العادة ان تكون صلاة فجلسنا و كنا نكلم النساء اللواتي اجتمعن
١٤ فكانت تسمع امراة اسمها ليدية بياعة ارجوان من مدينة ثياتيرا متعبدة لله ففتح الرب قلبها لتصغي الى ما كان يقوله بولس
١٥ فلما اعتمدت هي و اهل بيتها طلبت قائلة ان كنتم قد حكمتم اني مؤمنة بالرب فادخلوا بيتي و امكثوا فالزمتنا
١٦ و حدث بينما كنا ذاهبين الى الصلاة ان جارية بها روح عرافة استقبلتنا و كانت تكسب مواليها مكسبا كثيرا بعرافتها
١٧ هذه اتبعت بولس و ايانا و صرخت قائلة هؤلاء الناس هم عبيد الله العلي الذين ينادون لكم بطريق الخلاص
١٨ و كانت تفعل هذا اياما كثيرة فضجر بولس و التفت الى الروح و قال انا امرك باسم يسوع المسيح ان تخرج منها فخرج في تلك الساعة
١٩ فلما راى مواليها انه قد خرج رجاء مكسبهم امسكوا بولس و سيلا و جروهما الى السوق الى الحكام
٢٠ و اذ اتوا بهما الى الولاة قالوا هذان الرجلان يبلبلان مدينتنا و هما يهوديان
٢١ و يناديان بعوائد لا يجوز لنا ان نقبلها و لا نعمل بها اذ نحن رومانيون
٢٢ فقام الجمع معا عليهما و مزق الولاة ثيابهما و امروا ان يضربا بالعصي
٢٣ فوضعوا عليهما ضربات كثيرة و القوهما في السجن و اوصوا حافظ السجن ان يحرسهما بضبط
٢٤ و هو اذ اخذ وصية مثل هذه القاهما في السجن الداخلي و ضبط ارجلهما في المقطرة
٢٥ و نحو نصف الليل كان بولس و سيلا يصليان و يسبحان الله و المسجونون يسمعونهما
٢٦ فحدث بغتة زلزلة عظيمة حتى تزعزعت اساسات السجن فانفتحت في الحال الابواب كلها و انفكت قيود الجميع
٢٧ و لما استيقظ حافظ السجن و راى ابواب السجن مفتوحة استل سيفه و كان مزمعا ان يقتل نفسه ظانا ان المسجونين قد هربوا
٢٨ فنادى بولس بصوت عظيم قائلا لا تفعل بنفسك شيئا رديا لان جميعنا ههنا
٢٩ فطلب ضوءا و اندفع الى داخل و خر لبولس و سيلا و هو مرتعد
٣٠ ثم اخرجهما و قال يا سيدي ماذا ينبغي ان افعل لكي اخلص
٣١ فقالا امن بالرب يسوع المسيح فتخلص انت و اهل بيتك
٣٢ و كلماه و جميع من في بيته بكلمة الرب
٣٣ فاخذهما في تلك الساعة من الليل و غسلهما من الجراحات و اعتمد في الحال هو و الذين له اجمعون
٣٤ و لما اصعدهما الى بيته قدم لهما مائدة و تهلل مع جميع بيته اذ كان قد امن بالله
٣٥ و لما صار النهار ارسل الولاة الجلادين قائلين اطلق ذينك الرجلين
٣٦ فاخبر حافظ السجن بولس بهذا الكلام ان الولاة قد ارسلوا ان تطلقا فاخرجا الان و اذهبا بسلام
٣٧ فقال لهم بولس ضربونا جهرا غير مقضي علينا و نحن رجلان رومانيان و القونا في السجن افالان يطردوننا سرا كلا بل لياتوا هم انفسهم و يخرجونا
٣٨ فاخبر الجلادون الولاة بهذا الكلام فاختشوا لما سمعوا انهما رومانيان

٣٩ فجاءوا و تضرعوا اليهما و اخرجوهما و سالوهما ان يخرجا من المدينة
٤٠ فخرجا من السجن و دخلا عند ليدية فابصرا الاخوة و عزياهم ثم خرجا

الأصحاح السابع عشر

من فيلبي إلى أثينا

يسرد لنا القديس لوقا عبور القديسان بولس وبرنابا من فيلبي بعد سجنهما حتى بلغا أثينا، حيث وقف القديس بولس في أريوس باغوس يعظ الفلاسفة.

١. في تسالونيكي ١-٩.

٢. في بيرية ١٠-١٥.

٣. في أثينا ١٦- ٢١.

٤. في أريوس باغوس ٢٢-٣١.

٥. السخرية بالقيامة من الأموات ٣٢-٣٣.

١. في تسالونيكي

"فاجتازا في أمفيبوليس وأبولونية

وأتيا إلى تسالونيكي حيث كان مجمع اليهود". [١]

انطلق بولس الرسول ومعه سيلا متجهين إلي تسالونيكي، يمارسان عمليهما دون ارتباك لما حدث معهما في فيلبى. فإن السجن لم يحطم نفسيتهما، ولم يثبط همتهما عن العمل الكرازي. وكما كتب في رسالته إلي أهل تسالونيكى: "بل بعدما تألمنا قبلاً وبغي علينا كما تعلمون في فيلبي جاهرنا في إلهنا أن نكلمكم بإنجيل الله في جهاد كثير" (١ تس٢: ٢). فما عاناه الرسولان في فيلبي دفعهما بالأكثر إلى جهاد أعظم في خدمتهما في تسالونيكي. وفي طريقهما إلى تسالونيكي عبرا على أمفيبوليس وأبولونية، الأولى بالقرب من فيلبي، والثانية بالقرب من تسالونيكي. عبرا غربًا في الطريق العسكري العظيم المدعوEgnatia Via. كان في خطة الرسول بولس الاهتمام بالمدن ذات المواقع الاستراتيجية الهامة لكي تكون مراكز كرازة للبلاد والقرى المحيطة بها.

تسالونيكي: تعتبر تسالونيكي ميناءً بحريًا للقسم الثاني من مكدونية. وهي تقع على رأس خليج ثيرماكوسThermaicus . جعلها أميليوس بولس Aemilius Paulus عاصمة القسم الثاني من مكدونية، عندما قسم البلد إلى أربعة أحياء. كانت قبلا تُدعى ثرما Therma، ودعيت بعد ذلك تسالونيكي إما بواسطة كاسندر Cassander تكريمًا لزوجته تسالونيكا ابنة فيليب وأخت إسكندر الأكبر، أو تذكارا للنصرة التي نالها فيليب على جيوش تسالي Thssaly. سكنها اليونان والرومان واليهود تدعى الآن سالونيكيSaloniki . تعتبر ثاني أكبر وأهم مدينة في تركيا الأوربية بسبب أهميتها الجغرافية. منذ نشأتها وحتى الآن لم تفقد أهميتها التجارية. تقع على

المنحنى الداخلي لخليج في منتصف الطريق بين الادرياتيك والهيليسبونت Hellespont على حافة البحر على سهل متسع تسقيه عدة أنهار.

كانت تسالونيكي ليست كولونية، بل مدينة حرة أخذت هذا الامتياز مثل إنطاكية وترواس وأثينا، وذلك بسبب اشتراك مواطنيها في الحرب في صف أغسطس أكتافيانوس. فكانت تسالونيكي تحكم نفسها بنفسها ولم يوجد فيها ولاة من خارجها يحكمونها.

نشأت بها كنيسة تجمعت هناك، كان لها دورها الكرازي في عصر الرسول بولس: "حتى صرتم قدوة لجميع الذين يؤمنون في مكدونية وفي أخائية. لأنه من قبلكم قد أذيعت كلمة الرب، ليس في مكدونية وأخائية فقط، بل وفي كل مكان أيضًا قد ذاع إيمانكم بالله، حتى ليس لنا حاجة أن نتكلم شيئًا" (١ تس ١: ٧-٨). أرسل لها فيما بعد الرسول بولس رسالتين.

من المعروف ان تسالونيكي هي التى أدخلت المسيحية إلى السلاف وإلى البلغار، ودُعيت في العصور الوسطى "المدينة الأرثوذكسية".

هنا يتحول الكاتب من صيغة الجمع الحاضر" نحن" إلى ضمير الغائب "**اجتازا**"، مما يدل على أن الكاتب لوقا البشير ومعه تيموثاوس قد تخلفا في فيلبي للاهتمام بالكنيسة في بدء انطلاقها حيث آمنت ليدية وعائلتها والسجان وعائلته. لكننا نسمع عن التحاق تيموثاوس بهما في بيرية (١٧: ١٣، ١٤). ولم نعد نسمع عن مرافقة بولس حتى نهاية السفر في روما. هناك التقى به حيث كتب الرسول في رسالته الوداعية لتلميذه: "لوقا وحده معي" (٢ تي ٣: ١١).

هذا وان كان يبدو مما ورد في أع ٢٠: ٥، ٦ أن لوقا البشير رافق الرسول بولس في رحلة العودة من فيلبي إلى ترواس.

أمفيبوليس: عاصمة الإقليم الشرقي لمكدونية؛ كانت أصلاً كولونية للأثينيين، صارت عاصمة ذلك الإقليم من مكدونية، وهي تحت الحكم الروماني. موقعها من أهم المواقع في اليونان، قريبه من تراس Thrace ، تقع في طريق حيث تؤدى إلى الجبال المحيطة بخليج ستريمون Strymonic Gulf ، فهي ليست بعيدة عن فم نهر سيتمون Stymon الذي كان يفيض حول المدينة، وقد دعيت أمفيبوليس بسبب فيض المياه حولها، إذ اسمها يعني "حول المدينة" تبعد عن فيلبي ٣٣ ميلاً، وعن أبولونيا ٣٠ ميلاً، ومن ابولونيا إلى تسالونيكي ٣٧ ميلاً. كل مسافة بين مدينة وأخرى يمكن اجتيازها في يومٍ واحدٍ، وإذ لم يذكر عنهما أنهما قد تأخرا، فغالبًا ما اجتازا كل يوم إلى مدينة ويقضيان الليلة فيها.

وهي حلقة الصلة السهلة بين ساحل هذا الخليج وسهول مكدونية التي تمتد لستين ميلاً من خلف ميلينيكوMeleniko إلى فيلبي. كان هذا الموضع يسمى بالتسع طرق Nine Waysوذلك لكثرة الطرق التراسية ThracianوالمكدونيةMacedonian التي تلتقي فيها. وإذ أدرك الأثينيون أهميتها فأنشأوا كولونية هناك.

أبولونية: تقع هذه المدينة بين أمفيبوليس وتسالونيكي وقد اشتهرت قبلاً بتجارتها. وهي مدينة في الليركيون Illyricum(رو ١٥: ١٩). لقد عبر بهده المدن سريعًا، لكنه ألقى بالبذار وهيأ الجو لخدام آخرين أرسلهم للكرازة والخدمة في هذه المدن. يرى البعض أنه لم يبقَ لمدة طويلة في هذه المدن، لأنه لم يكن بها مجامع يهود يكرز فيها، فيكتفي بلقاءات سريعة مع بعض التلاميذ، وربما كانوا يجتذبون معهم أصدقاءهم وأحباءهم ليسمعوا للرسول.

"فدخل بولس إليهم حسب عادته،

وكان يحاجهم ثلاثة سبوت من الكتب". [٢]

جاء إلى تسالونيكي حيث لم يعبر بها سريعًا، إذ كان بها مجمع لليهود، فكان يحاورهم لمدة ثلاثة سبوت متوالية.

يتساءل **القديس يوحنا الذهبي الفم** لماذا يبدأ الرسول خدمته هنا باليهود في مجامعهم مع أنه هو رسول الأمم؟ ويجيب على ذلك بالقول: [حقًا، لكنه كان يحث الأمم خلال اليهود ومن خلال أحاديثه مع اليهود. وهو يعلم أن هذه هي أفضل وسيلة تناسب الأمم، وأفضل موصل للإيمان. لهذا يقول: "بما إني أنا رسول الأمم" (رو ١١: ١٣)، وقد جاءت رسائله أيضا ضد اليهود.]

كان غالبية الشعب من الأمم لا من اليهود، وقد فضح الرسول أعمال اليهود (١ تس ٢: ١٤-١٦). وكعادته كان يبدأ بالحديث مع اليهود والدخلاء في المجمع اليهود، وكان يحاورهم مؤكدًا من الأنبياء أن يسوع هو المسيا.

كلمة يحاجهم *dielegto* يمكن أن تُستخدم في إلقاء حديثٍ عامٍ أو مقالٍ، كما يمكن أن تستخدم في الحوار.

كان يتحدث في المجمع أيام السبوت وكان يمارس حرفة صناعة الخيام في وسط الأسبوع حتى لا يثقل على أحد (١ تس ٢: ٩؛ ٢ تس ٣: ٧-١٢). هذا وكما سبق أن قلنا غالبًا ما يلتقي مع الذين يقبلون الكلمة أو مع الجادين في الحوار خلال أيام الأسبوع.

v "**فدخل بولس إليهم حسب عادته**"، مع أنه قال: "**هوذا نتوجه إلى الأمم**" (أع ١٣: ٤٦)، فإنه لم يتركهم وحده. هكذا كان حنوه الشديد نحوهم. لتسمعوه يقول: "أيها الإخوة إن مسرة قلبي وطلبتي إلى الله لأجل إسرائيل هي للخلاص" (رو ١٠: ١)، وأيضًا: "فإني كنت أود أن أكون أنا نفسي محرومًا من المسيح لأجل إخوتي" (رو ٩: ٣). لكنه كان يفعل هذا من أجل وعد الله ومجده. وألا يكون في هذا علة إساءة للأمم.

v هكذا كان يسوع أيضا يفعل، ففي مناسبات كثيرة نجده يحاجج من الكتب المقدسة وليس في كل المناسبات يحاجج بالمعجزات. لأنه بالنسبة للمعجزات كانوا يأخذون موقف العداوة مدعين أنهم مخادعون ومشعوذون، أما من يقنع الناس بحجج من الكتب المقدسة فلا تلتصق به هذه التهمة. وفي مناسبات كثيرة نجد بولس يقنع الناس بقوة التعليم. ففي "إنطاكية" اجتمعت كل المدينة (تقريبًا لتسمع كلمة الله)" (أع ١٣: ٤٤). إن هذا لأمر عظيم، فإنه في حد ذاته ليس بمعجزة هينة، بل هي معجزة عظيمة جدًا.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"موضحًا ومبينًا أنه كان ينبغي أن المسيح يتألم ويقوم من الأموات،

وأن هذا هو المسيح يسوع،

الذي أنا أنادي لكم به". [٣]

كان موضوع كرازته هو أن يسوع الذى ظهر هو بالحقيقة المسيا، وكان ينبغي أن يتألم ويموت ويقوم من الأموات، فهو الملك الغالب والعبد المتألم، فإنهم لم يكونوا قد اعتادوا السماع عن المسيا كعبدٍ متألمٍ بالرغم من وضوح النبوات خاصة في سفر إشعياء.

كان يوضح *dianoigoon* أي يكشف ما كان غامضًا في أذهانهم، ويبين *paratithemenos* أي يؤكد لهم ما كان يجب أن يدركوه عن شخص المسيا أنه يتألم عن خطايا الشعب.

كان الصليب بالنسبة لليهود عثرة ولليونانيين جهالة، فأوضح الرسول أن الصليب هو علامة صدق شخصية السيد المسيح، وحبه للعالم كله، بكونه قوة الله للخلاص. هذا ما سبق أن أكده يسوع المسيح نفسه (لو ٢٤: ٢٦). الموضوع الرئيسي في كرازة الكنيسة هو إعلان الحب الإلهي المُسجل بالدم الثمين على الصليب.

"فاقتنع قوم منهم وانحازوا إلى بولس وسيلا،

ومن اليونانيين المتعبدين جمهور كثير،

ومن النساء المتقدمات عدد ليس بقليل". [٤]

أثمرت خدمة الأسابيع الثلاثة في تسالونيكي وكان الحصاد كثيرًا:

١. اقتنع قوم من اليهود بما قاله الرسول بولس، وانضموا إلى الرسولين بولس وسيلا، ليس فقط كأصدقاء لهم، بل سلموا حياتهم لله تحت قيادتهما الروحية، في شركة روحية صادقة.

٢. الترجمة الصادقة لإيمانهم أنهم جعلوا نصيبهم مع بولس وسيلا.

٣. كالعادة إن كان قلة من اليهود قد قبلوا الإيمان فإن الأكثرية جاء من فئة الأمم خائفي الرب الأتقياء "المتعبدين".

٤. أيضا انضم إليهما عدد ليس بقليلٍ من النساء المتقدمات المتعبدات لله.

الفئتان الأخيرتان هما دخلاء في اليهودية، قد تركوا عبادة الأوثان والرجاسات الوثنية، وعبدوا الله الحقيقي، وسلكوا بروح تقوي لطقوس الناموس وتنفيذها حرفيًا. هؤلاء وجدوا في الإيمان المسيحي جدية مجد أولاد الله، والتحرر من الحرف القاتل، مع تحقيق نبوات الأنبياء في شخص يسوع.

هذا وغالبًا ما كسب الرسول بعد ذلك كثير من الأمم عابدي الأوثان، وتحولوا إلى عبادة الله الحي كما جاء في رسالته الأولى إليهم (١ تس ١: ٩).

"فغار اليهود غير المؤمنين،

واتخذوا رجالاً أشرارًا من أهل السوق،

وتجمّعوا وسجّسوا المدينة،

وقاموا على بيت ياسون،

طالبين أن يحضروهما إلى الشعب". [٥]

أينما كرزا كانا يتوقعان ضيقًا واضطهادًا في كل مدينة، فإن عدو الخير لا يقف مكتوف الأيدي أمام نزع سلطانه على البشر وانتشار ملكوت الله.

كان اليهود يقاومون الكلمة ويضطهدون الكارزين ومن يقبلوا كرازتهم، خاصة الذين كانوا يهودًا وصاروا مسيحيين. استأجر اليهود أناسًا أشرارًا من السوق أي بلا عمل، يتلكأون في الشوارع والأسواق كعاطلين، لا يشغلهم شيء سوى ممارسة الشر والفساد. استأجرهم اليهود لإثارة الجماهير والاعتداء على المؤمنين. هكذا أخذ اليهود موقف العداء من يسوع المسيح مخلص العالم، وصاروا أداة طيعة في يد عدو الخير.

هجموا على بيت ياسون حيث كان يقيم فيه الرسولان، وأرادوا ان يحضروهما أمام الجماهير الثائرة لكي يمزقوهما.

"ياسون" كلمة يونانية تقابل "يشوع"، أي يهوه مخلص، وهو يهودي آمن بالرب يسوع وفتح بيته لإقامة الرسولين، غالبًا ما كان أحد أقرباء القديس بولس (رو ١٦: ٢١).

الإنسان العاطل الذي لا يشغل فكره ووقته بأمر بناء يستخدمه الأشرار كما عدو الخير كأداة لتحقيق الشر. المثل العام "عقل الأشرار معمل للشيطان".

يقف **القديس يوحنا الذهبي الفم** في إعجاب أمام القديسين بولس وسيلا، فإنهما إذ أدركا أن الله هو الذي اختارهما لهذا العمل بتدبير إلهي سابق لم يظنا في داخلهما أنهما شيئًا عظيمًا بسبب قبول الكثيرين للإيمان، ولا بسبب شعورهما بالالتزام بالعمل بين الجميع والمسئولية الملقاة عليهما سواء من جهة الأمم أو اليهود. حقا قال الرسول بولس: "أعطوني وبرنابا يمين الشركة لنكون نحن للأمم وأما هم فللختان" (غلا ٢: ٩)، ومع هذا فقد كان قلبه متسعًا لهؤلاء وأولئك. محبة الرسول تجعله يعمل أكثر مما يُطلب منه وما هو ملتزم به. مثال ذلك أن الرب أمر بأن الذي يخدم الإنجيل من الإنجيل يعيش (١ كو ٩: ١٤؛ ١: ١٧)، لكن الرسول كان يعمل بيديه لسد احتياجاته واحتياجات من معه حتى لا يكون عثرة للإنجيل. أيضًا لم يرسله السيد المسيح ليعمد بل ليكرز، ومع هذا فقد عمد أحيانا مع التزامه بالكرازة.

"ولما لم يجدوهما جرّوا ياسون وأناسًا من الإخوة،

إلى حكام المدينة،

صارخين أن هؤلاء الذين فتنوا المسكونة،

حضروا إلى ههنا أيضًا". [٦]

إذ لم يجدوا الرسولين في بيت ياسون جروا ياسون وبعض الإخوة إلى حكام المدينة، بكونهم أشخاصًا خطيرين لا يجوز التهاون معهم. إنهم يأوون أناسًا خطيرين على الأمن العام، ويسببون شغبًا أينما ذهبوا، ويفسدون المجتمع.

والعجيب ان هذه الاتهامات كثيرًا ما تُنسب للمؤمنين حتى يومنا هذا، بالرغم مما يتسمون به من لطفٍ وحبٍ وهدوءٍ وبث روح السلام والحياة المقدسة. لكن العالم وهو يرى نفسه في خزي وعار

إذ يترك المؤمنون عبوديتهم له، وعدم الشعور باللذة لمتعته، لهذا ينسب لهم كل ما هو باطل، ظانًا أنه قادر أن يحطمهم.

"وقد قبلهم ياسون وهؤلاء كلهم يعملون ضد أحكام قيصر،

قائلين أنه يوجد ملك آخر يسوع". [٧]

لا يقف الأمر عند هذا وإنما يتعدون قوانين الدولة، وشخص الحاكم، إذ لهم ناموسهم الإلهي المضاد لناموس العالم، ولهم ملك آخر يدعى يسوع عوض قيصر. هذا هو روح الافتراء الذي يعمل في أبناء إبليس حتى اليوم، فيثيروا الحكام على المؤمنين بذات الاتهامين: كسر قانون الدولة، والرغبة في اغتصاب الحكم!

"فأزعجوا الجمع وحكام المدينة

إذ سمعوا هذا". [٨]

انزعج حكام المدينة لئلا يحدث شغب لا يُعرف عقباه، فيكونوا مسئولين أمام قيصر، وانزعج الشعب لئلا يأخذ الحكام موقفًا متشددًا من هذه الجمهرة، إذ عقوبة الجمهرة في القانون الروماني هي الإعدام، فيضيع بعض البسطاء بسبب ما يفعله اليهود.

أدرك الرسول بولس أن ما حدث كان من عمل عدو الخير لكي يعوقه عن زيارة الكنيسة في تسالونيكي مرة أخرى. كتب إليهم: "لذلك أردنا أن نأتي إليكم أنا بولس مرة ومرتين وإنما عاقنا الشيطان" (١ تس٢: ١٨).

"فأخذوا كفالة من ياسون ومن الباقين ثم أطلقوهم". [٩]

٢. في بيرية

"وأمّا الإخوة فللوقت أرسلوا بولس وسيلا ليلاً إلى بيرية،

وهما لمّا وصلا مضيا إلى مجمع اليهود". [١٠]

إذ خشي الإخوة الذين في تسالونيكي على الرسولين بولس وسيلا أرسلوهما ليلاً إلى بيرية، بعد آن تأسست الكنيسة في تسالونيكي.

بيرية: مدينة في مكدونية بجوار جبل كيثانيس Cithanes، على المنحدر الشرقي من سلسلة الجبال الأولمبيةOlympian ، وهي تطل على منظر متسع لسهل يرويه نهرا هالياكمون Haliacmonواكسوس Axius . لها مميزات طبيعية كثيرة وتعتبر من أفضل المدن في روميليRumili . مجارى المياه في كل شوارعها، وحدائقها غنية بالأشجار. تعتبر مدينة من الدرجة الثانية من مدن تركيا الأوربية.

أظهر الإخوة محبتهم الشديدة للرسولين واهتمامهما بسلامتهما، وفي نفس الوقت تمم الرسولان وصية السيد المسيح أنه إن طردوهم من مدينة فليهربوا إلى أخرى. هرب الرسولان من تسالونيكي لكنهما لم يهربا من الخدمة؛ هربا من الضيق وهما يتوقعان أن يتعرضا لضيق في كل مدينة.

"وكان هؤلاء أشرف من الذين في تسالونيكي،

فقبلوا الكلمة بكل نشاط،

فاحصين الكتب كل يوم هل هذه الأمور هكذا". [١١]

كان اليهود الذين في بيرية أشرف *eugenesteroi* من اليهود الذين كانوا في تسالونيكي. جاءت الكلمة اليونانية تعني الشرف من جهة المولد، لكن هنا تشير إلى سمو الفكر والقلب، لهم شوق حقيقي نحو التعرف على الحق، مع جدية في البحث والدارسة. كانوا يصغون بكل اهتمام للكلمة، ويتقبلون الإنجيل بكل تكريم. لم يغلقوا أعينهم عن رؤية النور. كان حوارهم بنَّاء، وليس للدخول في منازعات غير هادفة.

اتسم هؤلاء بعشقهم للكتاب المقدس، فكانوا يقرأون في أسفار العهد القديم كل يومٍ، ويفحصون ما يقوله الرسولان على ضوئه.

إذ كان الرسولان ينطقان بالحق لم يخشيا الدراسة الجادة لليهود في الناموس والأنبياء، بل وجدوا في هذا شهادة للحق. وكما يقول **القديس أغسطينوس** لولا العهد القديم لما آمنت بالعهد الجديد، فالأخير حقق النبوات والوعود الإلهية التي وردت في العهد القديم. وقد طالبنا السيد المسيح أن نفتش الكتب لعلنا نجد فيها حياة (يو ٥: ٣٩).

دراسة الكتاب المقدس عمل يومي مفرح، يشبع النفس ويهب راحة للقلب ولذة للفكر، فهي تقدم الحق الإلهي غذاء يوميًا للنفس. دراسة الكتاب المقدس اليومية ترفع الأعماق كما إلى السماء، ليختبر الإنسان المجد الفائق، صاعدًا كما من مجد إلى مجد حتى يلتقي بالكلمة الإلهي وجهًا لوجه يوم مجيئه الأخير، فيشاركه مجده الأبدي.

"فآمن منهم كثيرون،

ومن النساء اليونانيات الشريفات،

ومن الرجال عدد ليس بقليل". [١٢]

تحقق نجاح عظيم حيث انجذب للحق كثير من اليهود والنساء اليونانيات الشريفات ومن الرجال اليونانيين، وكان العدد بلا شك أكبر ممن في تسالونيكي. ففي تسالونيكي اقتنع قوم منهم [٤]، أما هنا "**فآمن منهم كثيرون**" [١١]، وعلة ذلك حب الأخيرين لدراسة كلمة الله والمواظبة عليها يوميًا بشوقٍ حقيقي للتعرف على الحق.

v من يجهل الكتاب يجهل المسيح.

القديس جيروم

v بدون نور الكتاب المقدس نعجز عن رؤية الله، الذي هو النور (١ يو ١:٥)، وعن إدراك بره المملوء نورا.

الأب مارتيروس

ويعلل القديس يوحنا الذهبي الفم **هذا النجاح إلى الضيق والاضطهاد الذي وقع عليهما في تسالونيكي، فنعمة الله تعمل دومًا في النفوس التي تقبل الألم بشكرٍ من أجله، حتى وإن لم تُجرَ آيات على أيديهم.**

v انظروا كيف أن الاضطهاد في كل حالة يسبب اتساعًا للكرازة.

v لم يرد الرب أن يصنعوا على الدوام آيات، لأن هذا في ذاته آية لا تقل عن صنع الآيات، أنهم **وإذ هم يضطهدون يغلبون بدون آيات**. كما الحال هنا أنهم يغلبون بدون آيات هكذا في حالات كثيرة يريد أن يغلب. لهذا لم يجرِ الرسل وراء صنع الآيات، كما يقول (الرسول) نفسه: "نحن نكرز بالمسيح مصلوبا" (١ كو ١: ٢٣)... فإنه بحق أن المؤمنين أنفسهم هم آيات قديرة بالنسبة للبقية.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"فلما علم اليهود الذين من تسالونيكي أنه في بيرية أيضًا،

نادى بولس بكلمة اللَّه،

جاءوا يهيّجون الجموع هناك أيضًا". [١٣]

v لقد علَّم (بولس) المعرفة التي هي كمال الإيمان، تعدى التعليم الوعظي *catechetical* في تناسق مع عظمة تعليم الرب وتدبير الكنيسة.

القديس إكليمنضس السكندري

جاء اليهود المعادون للحق من تسالونيكي إلى بيرية يهيجون الجماهير على الكارزين بالإنجيل. وذلك كما فعل يهود إنطاكية وأيقونة، إذ جاءوا إلى لسترة لإثارة الشعب ضد الرسولين (أع ١٤: ١٩).

لن يهدأ إبليس عن مقاومة مملكة النور بكل وسيلة، إذ لا يحتمل نشر اسم يسوع المسيح ولا يسكت على خلاص البشر وتحررهم من عبوديتهم له. هذه العداوة تبقى قائمة بين نسل الحية ونسل المرأة كما قال الله لحواء.

كلمة يهيجون *saleuein*هنا تُستخدم للتعبير عن هياج أمواج المحيط، وكأن قوات الظلمة أشبه بمحيط لا تهدأ أمواجه نهارًا وليلاً.

"فحينئذ أرسل الإخوة بولس للوقت ليذهب كما إلى البحر،

وأمّا سيلا وتيموثاوس فبقيا هناك". [١٤]

لما كانت أنظار اليهود المقاومين للكلمة تتركز على الرسول بولس، لذلك طلب الإخوة منه أن ينطلق إلى أثينا بينما بقي سيلا وتيموثاوس إلى حين. تظاهر كما لو ذهب في الطريق للعبور إلى أثينا بالبحر، لكنه ذهب برًا حتى لا يعرف المقاومون طريقه، فيظنوا أنه قد أبحر، فيهدأ الجو في بيرية.

"والذين صاحبوا بولس جاءوا به إلى أثينا،

ولمّا أخذوا وصية إلى سيلا وتيموثاوس،

أن يأتي إليه بأسرع ما يمكن مضوا". [١٥]

هكذا دفعه روح الله للذهاب إلى أثينا، مدينة الفلاسفة ليكرز لهم، هؤلاء الذين يرون في الصليب جهالة، لأنه لا يقدم لهم فيلسوفًا يحاور ويناقش بغية المناقشة في ذاتها.

طلب من القديسين سيلا وتيموثاوس أن يسرعا بالحضور إليه في أثينا؛ وإن كان قد طلب من تيموثاوس أن يعبر أولاً على تسالونيكي ليقدم له تقريرًا عن حال الكنيسة هناك (١ تس ٣: ١-٢).

٣. في أثينا

"وبينما بولس ينتظرهما في أثينا،

احتدت روحه فيه،

إذ رأى المدينة مملوءة أصنامًا". [١٦]

هذه هي الزيارة الأولى للقديس بولس لأثينا، وربما كان أول كارز أو خادم مسيحي يفتقد أثينا. لم يكن نجاحه فيها عظيمًا، ولكنه كسب أفرادًا قليلين [٣٤].

تتسم أثينا بأنها أشهر مدينة في اليونان، تتميز بقدراتها العسكرية والفلسفية واللغوية مع أدب سكانها. أنشأها كسربس Cecropsعام ١٥٥٦ ق.م. بُنيت أولاً على صخرة في وسط سهلٍ متسعٍ، لكن مع الزمن تغطى السهل كله بالمباني، ودُعي بالمدينة السفلية. نشأ فيها كثير من مشاهير المحاربين والشعراء ورجال الدولة والفلاسفة، سواء ولدوا فيها أو تربوا فيها. حرقها الفارسيون مرتين، ودمرها فيليب الثاني من مكيدون Macedon ، كما دمرها بعد ذلك سيلا Sylla؛ وسلبها طيباريوسTiberius . خربها الغوصيون في أيام حكم كلوديوس، وخربت كل المنطقة ودمرت بواسطة Alarie. بقيت المدينة في المجهول منذ حكم جوستنيان إلى القرن الثالث عشر، وإن كانت قد بقيت مدينة على رأس دولة صغيرة. استولى عليها عمر قائد محمد الكبير سنة ١٤٥٥م، ونهبها الفنتانيون Venetiansعام ١٤٦٤، واستولى عليها الأتراك عام ١٦٨٨م. هُجرت بسبب الصراعات والهجمات بين الأتراك واليونانيين حتى بقيت أطلالاً خربة. الآن مدينة حرة يحاول المسيحيون أن يردوا لها شهرتها وأهميتها.

كان أي دارس يزور أثينا يُبهر من عظمتها وينشغل بعلمها ومعرفتها واشتياق المقيمين فيها نحو الحوار لسماع كل يوم شيء جديد. أما القديس بولس فإذ دخل المدينة لأول مرة، وهو دارس للفلسفة كان ما يشغل فكره خلاص كل نفس وتمتعها بالحياة المقدسة في الرب. كان يجول فيها، فيرى ما لا يسر نفسه، فقد امتلأت أصنامًا وهياكل أوثان. قيل أن الأصنام التى كانت في أثينا أكثر من كل الأصنام الموجودة في بقية مدن اليونان معًا. فمع انتشار الثقافة الفكرية كانت الوثنية مزدهرة للغاية. وكما يقول الرسول بولس أن العالم بالحكمة لم يعرف الله (١ كو ١: ٢١).

احتدت نفس بولس فيه لما رأى مدى انهماك الاثينيين في العبادة الوثنية. يقول بوسينياس Pausanias: "فاق الاثينيون غيرهم في غيرتهم على الدين بطريقة فائقة" ويقول لوسيان

Lucianعن مدينة أثينا: "على كل جانب توجد مذابح وذبائح وهياكل ومهرجانات دينية" ويقول ليفي Livyأن أثينا: "كانت مملوءة بصور الآلهة والبشر، مزينة بكل أنواع المواد، بصناعة غاية في المهارة". ويقول بترونيوس Petronius بطريقة هزلية عن المدينة: كان من الأسهل أن تجد إلهًا فيها عن أن تجد فيها إنسانًا".

لم يُعجب الرسول بفن العمارة الفخم، ولا انشغل بفن النحت والتصوير، ولا بما انفردت به من علم وفلسفة الخ. إنما كان قلبه ملتهبًا بسبب دمارهم روحيًا، وفقدانهم المجد الداخلي، بسبب جهلهم وعدم معرفتهم لله الحقيقي. لم تشغله فخامة المعابد وجمالها، إنما ما شغله الظلمة التى غطت قلوب المتعبدين فيها، فاحتدت نفسه بالغيرة على مجد الله.

v "أهلكتني غيرتي لأن أعدائي نسوا كلامك" (مز ١١٩: ١٣٩). يرثي الكاتب الملهم أولئك الذين يعيشون في انحلال، فإذ يرى واضع الناموس قد أُهين بحق يغضب. قدّس فينحاس هذه الغيرة؛ وهذه الغيرة جعلت إيليا مشهورًا، وإذ التهبت في المنتصر استفانوس اتهم اليهود بعدم الإيمان، وإذ يقدم بولس مثلاً لهذه الغيرة التي في داخله صرخ عاليًا: "من يضعف وأنا لا اضعف؟ من يعثر وأنا لا التهب؟" (١ كو ١٢: ٢٦). ويقول عنه الطوباوي لوقا أنه في أثينا احتدت نفسه إذ رأى المدينة مملوءة أصنامًا.

الأب ثيؤدورت أسقف قورش

"فكان يكلّم في المجمع اليهود المتعبّدين،

والذين يصادفونه في السوق كل يوم". [١٧]

يذهب إلى مجمع اليهود ليلتقي بالدخلاء من الأمم الذين تركوا الوثنية لكن لم يتمتعوا بعد بكامل الامتيازات التي لليهود، هؤلاء كانوا يحملون نوعًا من التقوى وحب العبادة لله.

كما كان يذهب إلى السوق الخاص بالحوار العام، حيث كان كثير من الفلاسفة يجتمعون للدخول في مناقشات عامة، فكان يتحدث مع من يلتقي بهم عن بشارة الخلاص.

كانت الأسواق مجالاً ليس فقط للشراء والبيع، وأن يُستأجر أحد، وإنّما أيضًا للحوار. وكان الفرّيسيّون يحبّون الذهاب إليها لينالوا كرامات (مت ٢٣: ٧؛ مر ١٢: ٣٨؛ لو ١١: ٤٣؛ ٢٠: ٤٦).

"فقابله قوم من الفلاسفة الأبيكوريين والرواقيّين،

وقال بعض: ترى ماذا يريد هذا المِهذار أن يقول؟

وبعض أنه يظهر مناديًا بآلهة غريبة،

لأنه كان يبشّرهم بيسوع والقيامة". [١٨]

تعرف الرسول بولس على فريقين من فلاسفة أثينا أو مدرستين: الإبيكوريين والرواقيين Stoics.

الأبيقوريون: نسبة إلى أبيقور الذي عاش حوالي ثلاثة قرون قبل المسيحية. لا يؤمنوا بآلهة، وإن وجد لهم آلهة، فهي لا تنشغل بشيء بخصوص العالم. كانوا يظنون في الله أنه كواحدٍ منهم، كائن خامل، لا يفكر في شيءٍ، ولا يميز بين الخير والشر. لا يقبلون الله خالق العالم أو مدبره، فالعالم هو من صنع نفسه وُجد صدفة أو على أثر حادثة، فهو لا يحتاج إلى قوة أعلى منه تديره. هذا والجسد كما الروح يفنيان بلا عودة (١ كو ١٥: ٣٢). كل ما يشغل الأبيقوري الحقيقي هو هدوء نفسه، ونموذجه الأعظم هو الحيوان الذي يجد راحته في نفسه كما في غرائزه، يمتع نفسه بلا ضابط. فلا يكون الإنسان في حاجة إلى أي ضمير يبكته على ما يقوله أو يفعله، ليس له أن يخشى عقوبة ما، ولا أن يترجى مكافأة؛ كل هذه المبادئ تقف ضدها المسيحية. هذا ويجد الابيقوريون السعادة أو الفضيلة في انغماسهم في الشهوات والملذات الجسدية بلا ضابط؛ الأمر الذي يطالبنا السيد المسيح أن نجحده. يمكن تلخيص كل مبادئهم في العبارة التالية: "عش بدون إله، وانغمس في الملذات كصلاحٍ عظيمٍ لك".

الرواقيون: دعوا رواقيين Stoics، وهي مشتقة من الكلمة اليونانية التي تعنى رواقًا، ذلك لأن مؤسس هذه الجماعة زينون Zenoأقام مدرسته وكان يعلم في رواق بمدينة أثينا. ولد زينون في جزيرة قبرص، لكنه قضى أغلب عمره في أثينا يعلم الفلسفة، مات عام ٢٦٤ ق.م عن ٩٧ عامًا قضى منها ٤٨ عامًا يعلم الفلسفة علانية. يؤمن بأن الله خلق العالم، وأن كل الأمور تسير حسب القدر، حتى الله نفسه تحت سلطة القدر. وأن العالم نفسه هو كيان نفسي عاقل، أوجد كل شيء بنفسه ويجربها لتنتهي بنفسه. فالمادة متحدة بالروح أو الألوهة. فالله لم يخلق العالم لكنه يدبر العالم. الله هو الناموس الطبيعي للمادة. ظهر العالم إلى الوجود كحلقة من حلقات تطور الله، والروح والنفس عندهم مادة تحترق بالموت لتعود، ويمتصها الله في نفسه، لذلك فالقيامة التي بشر بها بولس الرسول بالنسبة لهم منافية للعقل. كل ما لا يتفق مع العقل هو شر، فالحكيم يحكم بعقلٍ كملك ذات عظمة أو كإله. هكذا لا يقبل الرواقي فكرة الخلاص، لأنها مدرسة الكبرياء والتأله. لا يحتاج الحكيم إلى مخلص. ولكي يُخضع الشخص القدر يلزم ضبط الشهوات وكتمانها، فالسعادة تكمن في احتمال النفس للألم. يلزم على الإنسان أن تكون له السيادة المطلقة على شهواته وغرائز طبيعته. نظرتهم للفضيلة متشددة مثل الفريسيين، يفتخرون ببرهم الذاتي. في رأيهم المادة أزلية، وأن الله إما هو نفس soul العالم أو عقله أو أساسه المنعش، وأن كل الأشياء هي جزء من الله. كانوا مترددين بخصوص نظرتهم للمستقبل، فالبعض ينادي بأن النفس تبقى فقط إلى حين دمار المسكونة. آخرون يرون أنها في النهاية تبتلع في الجوهر الإلهي وتصير جزءً من الله. يظن الرواقيون أنهم صالحون مثل الله يطلقون العنان للكبرياء كما أطلق الأبيقوريون العنان لشهوات الجسد وكل الحواس. يرون الإنسان الفاضل ليس بأقل من الله ولا أسمي منه.

لم يكن ممكنًا للفريقين مع تعارضهما لبعضهما البعض أن يقبلا كرازة الرسول بولس خاصة من جهة العفة والطهارة أو من جهة التواضع أمام الله وعمل النعمة الإلهية في حياة المؤمن. تطلعوا إليه باستخفاف كرجلٍ غريبٍ جاء من اليهودية يحمل أفكارا لا يقبلها العقل.

"**مهزار**" أي يتكلم دون أن يفكر، ما يقوله مجرد تخيلات بلا معنى، كلماته باطلة بلا فاعلية، ما يقوله مع هذا ينفيه مع آخر. كلمة "**مهزار**" *spermologos*في اليونانية تعنى "من يلقط البذور"، تستخدم بالنسبة للفقراء الذين يجمعون البذار المنتثرة من الحقل بعد نهاية الحصاد، أو الذي يسير في الطريق يجمع البقايا الملقاة في الأسواق. فالكلمة تشير إلى فئة المحتقرين في المجتمع بسبب شدة فقرهم، كما تشير إلى الطيور المزعجة بأصواتها المستمرة والتي تلقط الحبوب عن الأرض، أي إلى الأشخاص كثيري الكلام يجمعون من هنا ومن هناك أراء بلا منطق، ليست لهم معرفة حقيقية، لكن يتظاهرون بأنهم يعلمون المثقفين من اليونانيين والفلاسفة.

v كلمة مهزار Picher Seed اسم لطائرٍ لا قيمة له، من عادته أن يلتقط البذور من الطريق. وهم إذ يشبِّهون بولس الإلهي به، يهزأ هؤلاء الأغبياء بكلمة الخلاص المقدّمة لهم.

القديس كيرلس الكبير

v بسبب حسن مع أن الأثينيّين لم يعرفوه إلا أنهم أعطوه اسمه، فإنهم إذ سمعوا الكلمة منه قالوا: من هو هذا الباذر للكلمات (المهزار)؟

القديس أغسطينوس

"**آلهة** *daimonioon***غريبة**" أي أرواح أسمي من الكائنات البشرية وأقل من الآلهة.

ظنوا أن **القيامة***Anastasis* إلهة تحمل اسم انستاسيس تسيطر على القيامة. هكذا حسبوا أن الرسول بولس يود أن يُدخل إلهين غريبين إلى أثينا هما يسوع وانستاسيس.

"فأخذوه وذهبوا به إلى أريوس باغوس،

قائلين: هل يمكننا أن نعرف ما هو هذا التعليم الجديد الذي تتكلم به". [١٩]

أريوس باغوس: يشير إما إلى تل مارس Marsالقائم ما بين السوق وأكروبوليسAcropolis ، أو إلى المجلس الذي كان في العصور القديمة يجتمع في تل مارس. لم يكن هذا المجلس مجرد محكمة للقضاء، بل يضم مجموعة من الناس تشرف على الأمور الدينية والتعليمية. ظهر أمامه القديس بولس ليعطي حسابًا عن فلسفته، حتى يقرروا إن كان يسمح له بالتعليم في أثينا. إنه أشبه بدار البلدية للمدينة، فيه يمارس الحكام الأعمال العامة. وهو أشبه بمدرج (مسرح) في جامعة، حيث يجتمع المتعلمون ويتناقشون في الأمور. هو دار العدالة له شهرته، يلجأ إليها الكثيرون من مناطق كثيرة، إن أنكر أحد الآلهة أو أضاف إله جديد دون تصديق منهم يتعرض لنقد هذه المحكمة. حكم على دياجوراس Diagorasبالإعدام بكونه يستخف بالآلهة.

"لأنك تأتي إلى مسامعنا بأمورٍ غريبةٍ،

فنريد أن نعلم ما عسى أن تكون هذه". [٢٠]

أُستدعى بولس لامتحانه، لا كمجرم، وإنما كمن هو مرشح لمنصب معين. لم يُقدم ضده أي إتهام، ولا جاءوا بشهود ضده، ولم تتشكل له محكمة. قدموه لفحصه لأنه يتحدث عن أمورٍ لم يعتادوا سماعها من قبل من فلاسفتهم، فجاءوا به ليعرفوا ما عسى هذا الذي يتحدث عنه بخصوص يسوع والقيامة. هل هما إلهان جديدان؟

"أمّا الأثينيون أجمعون والغرباء المستوطنون،

فلا يتفرغون لشيء آخر،

إلا لأن يتكلّموا أو يسمعوا شيئًا حديثًا". [٢١]

كان الأثينيون والغرباء القادمون إلى أثينا لا يشغلهم شيء سوى أن يخبروا أو يسمعوا شيئًا جديدًا، أسلوبهم النقاش ليس إلا. لهذا تعجبوا مما يعلم به الرسول ما لم يسمعوا به ويتعلموه (١ تي ٤: ١٣، ١٥)، فهم لا يطلبون هذا الأسلوب القديم لنوال المعرفة إنما يفضلون الحوار.

v حتى فرعون عرف أنّه لا يليق بالإنسان أن يُطلب اللَّه حين يكون عاطلاً. لهذا وبّخ إسرائيل: "متكاسلون أنتم، متكاسلون، لذلك تقولون: نذهب ونذبح للرب إلهكم" (خر٥: ١٧). فالراحة في ذاتها صالحة ونافعة... إن كانت تنتج سكونًا لطلب تعاليم نافعة. أمّا فراغ الاثينيّين فكان شرّيرًا هؤلاء الذين "لا يتفرّغون لشيء آخر إلاّ لأن يتكلموا ويسمعوا شيئًا حديثًا".

القديس باسيليوس الكبير

٤. في أريوس باغوس

"فوقف بولس في وسط أريوس باغوس، وقال:

أيها الرجال الأثينييون،

أراكم من كل وجه كأنكم متديّنون كثيرًا". [٢٢]

الآن نستمع إلى عظة يقدمها الرسول بولس في أثينا تختلف تمامًا عما يقدمه الرسل لليهود أو حتى للأمم الذين لهم معرفة بالعهد القديم ويقدرونه، ويعبدون الله الحي الحقيقي. فبالنسبة لليهود والدخلاء كل ما يقدمه الرسل هو تأكيد أن يسوع هو المسيا، أما هنا فالعظة مقدمة لوثنيين يعبدون آلهة باطلة، وليس لديهم معرفة بالله الحقيقي. الأولون في حاجة إلى الكشف عن تحقيق النبوات والتعرف على المخلص خلال المعجزات ليؤمنوا به، أما هؤلاء ففي حاجة إلى من يعَّرفهم عن عناية الله الخالق للتعبد له.

قدم لنا القديس لوقا ملخصًا لحديث الرسول بولس معهم أو الخطوط العريضة له، لكي يكشف لنا عن فكر الرسول، وكيف كان يتعامل مع كل فئة بما يناسبها ليربح الكثيرين للسيد المسيح. تحدث الرسول بهدوءٍ ووقارٍ، يعلن الحق دون أن يجرح مشاعرهم. ينكر العبادة الوثنية لكنه يبدأ بإبراز ما هو حق في رجال أثينا. وهكذا وضع الأساس للإيمان.

استخدم **القديس إكليمنضس السكندري** بعض النصوص مثل أع ١٧: ٢٢- ٢٨؛ ٢٦: ١٧- ١٨، لتأكيد أن الفلاسفة قد بلغوا نصيبا من الحق.

v من الواضح أن الرسول بولس استشهد بنماذج من الشعر الوارد بكتاب الظواهر للشاعر أراتوس Aratus، وهو يوافق على ما قال به اليونانيّون ويتّفق معهم، ويربط بين ذلك القول وبين الإله غير الظاهر، غير المعروف، اللَّه الخالق، ذاك الذي كان اليونان القُدامى يعبدونه، ولكن بأسلوبٍ غير مباشر، ذاك الذي كان يلزم أن ندركه ونعرفه معرفة إيجابيّة حقّة بالابن. لذلك قيل: "الأمم الذين أنا أرسلك إليهم تفتح عيونهم كي يرجعوا من ظلمات إلى نور، ومن سلطان الشيطان إلى اللَّه، حتى ينالوا بالإيمان بي غفران الخطايا ونصيبًا مع القدّيسين" (أع ٢٦: ١٧-١٨). وهكذا انفتحت أعين الذين كانوا عميانًا عن الحق.

القديس إكليمنضس السكندري

v عندما تحدّث الرسول مع الأثينيّين أظهر بوضوح أن الحكماء من بين الأمم قد اكتشفوا الخالق... لقد أدان أولاً عدم إيمان الأمم لكي يظهر أنهم قادرون أن ينالوا نعمة إن اهتدوا للإيمان. فإنّه ليس من العدالة بالنسبة لهم أن يسقطوا تحت عقوبة لعدم الإيمان ولا ينالوا مكافأة الإيمان.

القديس أغسطينوس

"لأنني بينما كنت اجتاز وأنظر إلى معبوداتكم،

وجدت أيضًا مذبحًا مكتوبًا عليه: لإله مجهول.

فالذي تتقونه وأنتم تجهلونه،

هذا أنا أنادي لكم به". [٢٣]

يقول ديوجنيس لارتيوس Diogenes Laertius بأن وباءً حلّ على أثينا، وإذ لجأوا إلى الآلهة هناك واحد يلو الآخر ولم يُرفع الوباء نصحهم البعض أن يطلقوا قطيع غنم بلا قائد ويروا أين يستقر القطيع ويربض، فيقيموا مذبحًا هناك لإله يجهلون اسمه ويقدمون ذبائح لهذا الإله، وكان ذلك في القرن السادس ق.م.

قيل أيضا أن الاثينيين إذ كانوا يودون إرضاء الآلهة أقاموا مذابح نُقش عليها: إلى آلهة آسيا وأوربا وأفريقيا، وأقاموا مذبحًا خشية أن يكونوا قد نسوا إلهًا لا يعرفونه. وكان المواطنون في البلاد المجاورة متى جاءوا إلى أثينا يقسمون بالإله الذي يجهله الأثينيون. يقول **القديس يوحنا الذهبي الفم** أن الأثينيين كانوا يحاولون أن يضموا إليهم كل الآلهة في البلاد الأخرى، وإذ خشوا لئلا يكونوا قد نسوا أحد الآلهة أقاموا مذبحًا للإله المجهول. من هنا دخل الرسول بولس إليهم بأن هذا الإله المجهول هو السيد المسيح إله الكل.

يليق بنا ان نسجل حكمة الرسول بولس في الرب، فإنه لم يعتد أن يبدأ أحاديثه أو رسائله بنقد مستمعيه أو قارئيه، بل يبرز فيهم ما هو حق كي يسحب قلوبهم وأفكارهم لكلمة النقد البناء. فهو يعلم أن الحب واللطف أكثر فاعلية من النقد والهدم، على أن يكون الحب مرتبطًا بالحق مع الحزم في الوقت المناسب.

v انظروا كيف يظهر لهم أنهم بالفعل قبلوه، وأن "ما أخبركم به ليس بالأمر الغريب ولا الأمر الجديد". فإنهم إذ قالوا: **"ما هو هذا التعليم الجديد الذي نتكلم به؟ لأنك تأتي إلى مسامعنا بأمور غريبة"** [١٩-٢٠]، للحال أزال عنهم هذا الظن.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"الإله الذي خلق العالم وكل ما فيه،

هذا، إذ هو رب السماء والأرض،

لا يسكن في هياكل مصنوعة بالأيادي". [٢٤]

بعد أن أكد لهم أنه لا يقدم لهم معرفة عن إله جديد، بل إله هم يعبدونه ولا يعرفونه بدأ يكشف عن سمات هذا الإله بأنه خالق السماء والأرض، فلا يسكن في هياكل مصنوعة بأيدٍ بشرية، وبهذا ينطلق إلى الكشف عن غباوة العبادة للأوثان [٢٩].

"ولا يُخدم بأيادي الناس كأنه محتاج إلى شيء،

إذ هو يعطي الجميع حياة ونفسًا وكل شيء". [٢٥]

"**لا يخدم (بعد) بأيادي الناس**"، أي لا يحتاج الله إلى الذبائح والاحتفالات التي يقدمها البشر (مز ٥٠: ١٠-١٢). هو مصدر الحياة فلا يعتمد على ما وهبه للبشر الذين وهبهم الحياة؛ بل ويهبهم نفسًا، أي يبقى الإنسان مدينًا لله بكل نسمة يتنسمها. هكذا يصحح الرسول بولس مفاهيم بعض الفلاسفة الذين يدعون أن العالم أزلي، أو القائلين بأن الله خامل لا علاقة له بالخليقة.

"وصنع من دم واحد كل أمة من الناس،

يسكنون على كل وجه الأرض،

وحتم بالأوقات المعيّنة وبحدود مسكنهم". [٢٦]

جاءت كل البشرية عن مصدرٍ واحدٍ؛ مهما اختلفت ملامحهم أو لغاتهم أو عاداتهم، لكن يوجد أب واحد وأم واحدة لكل البشر (تك١؛ ٢: ١٠). فالبشر جميعًا متساوون، ولا يليق باليونانيين خاصة الأثينيين أن يفتخروا على جنس البشر بسبب ثقافتهم الهيلينية وظهور فلاسفة كثيرين من بينهم؛ بل يليق بهم أن يتطلعوا إلى البشر كأسرةٍ واحدةٍ.

التباين بين البشر تحقق بسماح إلهي، محددًا الأوقات لازدهار أمة وسقوط أخرى. فما يحدث من ثورات أو حروب أو انتصارات تتحقق بسماحٍ إلهيٍ بحكمة سماوية فائقة.

"لكي يطلبوا اللَّه لعلهم يتلمسونه،

فيجدوه مع أنه عن كل واحد منّا ليس بعيدًا". [٢٧]

مع اختلاف الأمم من جهة اللغات والطباع والعادات ومواقع السكن، فإن الكل يشتركون في اعتمادهم على الله خالقهم ومدبر أمورهم، لهذا يليق بهم أن يعتمدوا على الله، وأن يشعروا بروح الأخوة والمساواة. بهذا فإن عبادة الأوثان وتعدد الآلهة نوع من الغباوة لن تحقق هذا.

أما أين هو الله، فهو ليس ببعيدٍ عن كل أحد، إذ نطلبه نجده في داخلنا قريب إلينا أقرب من التماثيل التي أمامنا. هو حاضر في كل مكان، يملأ السماء والأرض بحضوره الإلهي (مز١٣٩: ٧-١٠؛ إر٢٣: ٢٣-١٤؛ عا ٩: ٢-٤؛ ١ مل ٨: ٢٧).

"لأننا به نحيا ونتحرك ونوجد،

كما قال بعض شعرائكم أيضًا،

لأننا أيضًا ذُريته". [٢٨]

ليس من كلمات أقوى من هذه يمكن أن تعَّبر عن اعتمادنا على الله، فهو مصدر الحياة والمعين والمدبر لكل حياتنا.

في نقد **العلامة أوريجينوس** لمرقيون قال بأن مرقيون اقتبس عبارات من الكتاب المقدّس وأساءوا استخدامها، كما فعل الشيطان نفسه. بينما القدّيس بولس اقتبس عبارات من كتب عالميّة secular ومن الأدب الخاص بالأمم وهي غريبة عنّا ليقدّسها.

- مع أن الهرطوقي يستخدم عبارات من الكتاب المقدّس إلاّ أنّه خطير ومنحرف يُسال بكلمات الروح: "ما لك تحدّث بفرائضي، وتحمل عهدي على فمك؟" (مز ٥٠: ١٦) هكذا مع أن الشيطان ينطق بما في الأسفار المقدّسة إلاّ أن المخلّص أبكمه. ومع أن الرسول بولس نطق مقتبسًا من الكُتّاب الدنسين: "الكرّيتيّون دائمًا كذّابون"، "نحن من نسله"، "المعاشرات الشرّيرة تفسد الأخلاق الصالحة" (أع ١٧: ٢٨؛ ١ كو ١٥: ٣٣؛ ١ تي ٢: ٧)، إلاّ أنّه يقدّم معنى روحيًا بكونه قدّيسًا، معلّم الأمم في الإيمان والحق، إذ له "فكر المسيح" (١ كو ٢: ١٦).

القديس أثناسيوس الرسولي

"**لأننا أيضا ذريته**": وجد هذا في اراتوس Aratusوفي كالينثوسCaleanthus في تسبحة للإله جوبتر، كما في كتابات فلاسفة آخرين. يرى **القديس جيروم** أن استخدام الرسول بولس لمقتطفات من كتابات الفلاسفة قد تعلمه من داود الحقيقي الذي ينتزع سيف العدو من يده وبذات حده يقطع رأس جليات المتشامخ.

أكد لهم من خلال كتابات شعرائهم أو أنبيائهم أن الله مصدر حياتنا وحيويتنا ووجودنا. أنه حاضر في كل مكان، قريب إلى كل نفس أقرب إليها من أي كائن.

- إنه حاضر في كل مكان ومستعد لمعاونة كل أحدٍ.

- يقول الله نفسه بالنبي: "**أنا الله القريب، ولست الله البعيد**" (إر ٢٣: ٢٣ LXX).

الأب ثيؤدورت أسقف قورش

- قال بولس للأثينيين: "**به نحيا ونتحرك ونوجد**، (أع ١٧: ٢٨). كذلك القول: "ألست أنا أملأ السماء والأرض يقول الرب (إر ٢٣: ٢٤). فإنه في القوة هو قريب (إر ٢٣: ٢٣) من كل الأشياء. لا تصعد إليه الصلوات كمن هو إله بعيد (إر ٢٣: ٢٣). كذلك قيل عن الابن: "في العالم كان، والعالم به كون" (يو ١: ١٠). إذ هو نفسه أيضًا القائل: "أنا هو الله القريب" (إر ٢٣: ٢٣). وهو أيضًا قال: "إن اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمى أكون في وسطهم" (مت ١٨: ٢٠) وقال: "ها أنا معكم كل الأيام وإلى انقضاء الدهر" (مت ٢٨: ٢٠).

العلامة أوريجينوس

- الخير معروف لدينا، ليس ببعيدٍ عن أحد منا، إذ "**به نحيا ونتحرك ونوجد**، لأننا نحن أيضًا ذريته" (أع ١٧: ٢٨) كما يجزم الرسول بأن الوثنيين قالوا هذا.

- نحن نتحرك كمن هم على الطريق، ونوجد كمن هم في الحق، ونحيا كما في الأبدية.

v هذا هو الصلاح الذي يدخل في كل شيء؛ فيه نحيا جميعنا، وعليه نعتمد. علاوة على هذا فإننا لا نقتني شيئًا خارجًا عنه، بل نقتني ما هو لله؛ لأنه "ليس أحد صالح إلا الله وحده" (مر ١٠: ١٨). لهذا كل ما هو صالح هو من الله ، وكل ما هو من الله صالح.

القديس أمبروسيوس

v هو الذي أعاد طبيعة الإنسان إلى ما كانت عليه أصلاً. فهو الذي حرّر جسدنا المشحون بالموت من رباطات الموت.

v يُحيي المسيح أولئك الذين يقتربون إليه بإيمان؛ إنه هو الحياة، "**لأننا به نحيا ونتحرّك ونوجد**" [٢٨]. وهو سيقيم الموتى في لحظة في طرفة عين عند البوق الأخير كما هو مكتوب (١كو ١٥: ٥٢). وإذ لنا هذا الرجاء فيه فإننا سوف نصل إلى المدينة التي هي فوق، وسنملك كملوك معه.

v كان الميت (ابن أرملة نايين لو٧) في طريقه إلى الدفن، وكان يشيّعه إلى قبره أصدقاء كثيرون. لكن قابله "الحياة" و"القيامة"، أي المسيح، لأنّه هو مدمّر الموت والفساد. إنّه ذاك الذي به "**نحيا ونتحرّك ونوجد**"؛ إنّه ذاك الذي يعيد طبيعة الإنسان إلى ما كانت عليه في الأصل. إنّه يحرّر جسدنا المشحون بالموت من رباطات الموت.

v كما قلت، المسيح يحيي الذين يقتربون إليه بايمان، إذ هو الحياة: "**لأنّنا به نحيا ونتحرّك ونوجد**". وهو سيقيم الموتى في لحظة، في طرفة يمين عند البوق الأخير كما هو مكتوب (١ كو ١٥: ٥٢). وإذ لنا فيه هذا الرجاء، فإنّنا سنصل إلى المدينة التي هي من فوق، وسنملك كملوكٍ معه، والذي به ومعه، للّه الآب التسبيح والسلطان مع الروح القدس إلى دهر الدهور.

القديس كيرلس الكبير

v إن كنا حسب سفر أعمال الرسل الإلهي نحن "**من ذُريته**"، فإنه ليس فينا شيء غير طاهر.

v هو ختم دقيق، يظهر الآب في ذاته، الكلمة الحي والقوة الحقيقية والحكمة لتقديسنا وخلاصنا (١ كو ١:٣٠).

v كلمة الله غير الجسماني، غير القابل للفساد ولا مادي، جاء إلي عالمنا مع أنه لم يكن قبلاً بعيدًا عنا. ليس جزء من الخليقة خالٍ منه، بل هو يملأ كل الأشياء في كل مكان، ويبقي حاضرًا مع أبيه، لقد جاء متنازلاً ليظهر الحب المترفق نحونا ويفتقدنا.

البابا أثناسيوس الرسولي

"فإذ نحن ذرية اللّه،

لا ينبغي أن نظن أن اللاهوت شبيه بذهبٍ أو فضةٍ أو حجر نقشٍ،

صناعة واختراع إنسان". [٢٩]

هاجم الرسول بولس العبادة الوثنية ليس بعبارات صادرة من الكتاب المقدس، وإنما بأقوال الشعراء اليونانيين أنفسهم. فهو يكلمهم باللغة التي يفهمونها. فالإنسان بكونه من ذرية الله حسب

قول شعرائهم أعظم من كل تمثالٍ خشبيٍ أو حجريٍ، أو فضيٍ أو ذهبيٍ، فكم بالأكثر يكون الله مصدر الحكمة والتعقل. إن كانت التماثيل تصنع من ذهب وفضة، وهي أقل من الإنسان، لأنها عمل يديه، فحتما لن يكون جوهر الله من ذهب أو فضة.

"فاللَّه، الآن يأمر جميع الناس في كل مكان أن يتوبوا،

متغاضيًا عن أزمنة الجهل". [٣٠]

ينادي الرسول بالتوبة عما ارتكبه البشر في أزمنة الجهل، أي ما قبل تعرفهم على الإنجيل. لم يقل أزمنة الشر، حتى لا يتهمهم بالشر، وإنما أزمنة الجهل، لأن ما يرتكبونه ليس عن مقاومة للحق أو كراهية له، وإنما عن جهل له.

"لأنه أقام يومًا هو فيه مزمع أن يدين المسكونة بالعدل،

برجلٍ قد عينه،

مقدمًا للجميع إيمانًا،

إذ أقامه من الأموات". [٣١]

إذ يدعوهم إلى التوبة يوجه أنظارهم إلى الإيمان بالدينونة، وإلى الديان ابن الإنسان الذي أقامه الآب من الأموات، لنقوم فيه ونتمتع بشركة مجده. إنه ليس ديان اليهود وحدهم بل للعالم كله، بكل أممه.

هذا المنهج اتبعه السيد المسيح نفسه. لاحظ **القديس يوحنا الذهبي الفم** أن القديس بولس في حديثه ليس فقط مع اليهود بل ومع الأثينيين يبدأ حديثه عن يسوع المسيح من جهة ناسوته ثم يرتفع بهم ليؤكد لهم لاهوته. فكثيرًا ما يكرر **القديس يوحنا الذهبي الفم** في عظاته على إنجيل القديس يوحنا أن السيد كثيرًا ما كان يؤكد طاعته للآب وأن يتمم مشيئته، وأنه نال منه سلطانًا أن يقيم الموتى الخ. لينتقل بهم إلى إدراك وحدته معه في ذات الطبيعة، وأن له الحياة في ذاته، وأنه ديان المسكونة، فيرفعهم إلى إدراك سرّ لاهوته دون تعثر، إذ هو واحد مع الآب في ذات الطبيعة الإلهية وذات الجوهر. هذا وكأن بأعماله يعلن عن لاهوته بكل وضوح. فإن كان الكلمة الإلهي قد تجسد لأجلنا لكي يحملنا فيه إلى مجده السماوي، لهذا فإن شخصيته ليست موضوع مباحثات، بل موضوع لقاء معه، فنكتشف لاهوته خلال التصاقنا به والتمتع بالشركة معه. فإذ تطلع توما إليه وتلامس مع حبه، وتلاقت عيناه مع عيني سيده صرخ: "ربى وإلهي"، غالبًا قبل أن يلمس جراحاته.

٥. السخرية بالقيامة من الأموات

"ولمّا سمعوا بالقيامة من الأموات كان البعض يستهزئون،

والبعض يقولون:

سنسمع منك عن هذا أيضًا". [٣٢]

ليس بالأمر الغريب أن يسخر الفلاسفة اليونانيون بالاعتقاد بالقيامة من الأموات، خاصة الأبيقوريون الذين يرفضون تمامًا الحياة العتيدة. أما الرواقيون فهم في الغالب الذين طلبوا أن يسمعوا منه عن ذلك.

انتهي الرسول من عظته اللاهوتية في وسط الفلاسفة وهم في شوق لسماع ما هو جديد عليهم، ليكون مادة جدل. لكنهم سرعان ما أدرك الطرفين أنه يحمل فكرًا يناقض المدرستين، فقد اصطدم بكبرياء الرواقيين وعدم إيمان الأبيقوريين بالقيامة من الأموات للنفس أو الجسد.

v ولما سمعوا التعاليم العظيمة السامية لم ينصتوا بل سخروا من القيامة، إذ قيل: "لأن الإنسان الطبيعي لا يقبل أمور الروح" (١ كو ٢: ١٤).

القديس يوحنا الذهبي الفم

"وهكذا خرج بولس من وسطهم". [٣٣]

"ولكن أناسًا التصقوا به،

وآمنوا منهم ديونيسيوس الآريوباغي،

وامرأة اسمها دامرس،

وآخرون معهما". [٣٤]

كان الحصاد قليلاً بالنسبة للثمار في البلاد الأخرى، لكن تعب بولس الرسول لم يضع باطلاً. لقد كسب الرسول الفيلسوف ديوناسيوس الأريوباغي، وامرأة ذات شأن فلسفي وتعليمي، تدعى دامرس، ومعهما آخرين. لقد تحقق الرسول:" إذ أسلحة محاربتنا ليست جسدية بل قادرة بالله على هدم حصون، هادمين ظنونًا وكل علو يرتفع ضد معرفة الله، ومستأسرين كل فكر إلى طاعة المسيح" (٢ كو ١٠: ٤-٥).

كما أن قليلين من الفريسيين آمنوا بالسيد المسيح، هكذا قليلون من الفلاسفة قبلوا الإنجيل، وذلك بسبب تشامخهم وإعتدادهم بذاتهم.

ديونسيوس الأريوباغي: له شهرته في المجلس الذي في آريوس باغوس، كان قاضيًا وسناتور، أحد الذين وقف أمامهم بولس لفحص تعاليمه.

دامرس: يظن البعض إنها زوجة ديونسيوس.

من وحى أعمال ١٧

هب لي كلمة من لدنك!

v لم يقدم الرسول آيات ومعجزات في تسالونيكي.

لكن جاذبية كلمتك هي أعظم معجزة.

قبل كثيرون بهجة خلاصك.

ووقف الأشرار يقاومون الكلمة!

تهلل البسطاء بقوة صليبك،

وتعثر المتعجرفون فيه.

- في ثلاث أسابيع تأسست كنيسة ناجحة،

وامتطى العدو رجالاً من أهل السوق.

استغل تراخيهم وكسلهم،

فصاروا أداة طيعة في يده،

يجدون مسرتهم في مقاومة إنجيلك.

حسبوا خدامك الكارزين بالسلام خطيرين على الأمن العام!

حسبوا الذين ينادون بالطاعة والخضوع

مثيري فتنة ومتعدين على قوانين الدولة!

ادعوا المناداة بك ملكًا تحطيمًا للسلطان واغتصابًا للحكم!

يبقى عدد الخير يلصق هذه التهم رجالك في كل العصور.

- انطلق المَضطهدون إلى بيرية.

وأثمر الضيق نجاحًا فائقًا.

آمن كثيرون لا بسبب معجزةٍ ما،

وإنما خلال نعمتك العاملة مع حاملي صليبك!

هاجت قوات الظلمة لانتشار النور

وظنت أنها قادرة أن تطفئه.

- دخل بولس الرسول أثينا.

لم تبهره الهياكل والمباني الضخمة،

ولا شغلته مدارس الفلسفة المتنوعة.

لكن نفسه احتدت فيه.

يود أن يتمتع الكل ببهجة الخلاص.

- هب لي الحكمة كما وهبت الرسول بولس.

فبالحب والتشجيع أقتني كل نفس إليك.

استخدم كلمات الفلاسفة شبكة أصطاد بها أصحاب الفكر والفلسفة.

لم يستخف الرسول بثقافتهم،

ولا داهنهم على حساب الحق!

- ضرب الوثنية في جذورها بكلمات أنبيائهم،

وكشف لهم حبك العجيب ورعايتك الفائقة.

- كان الحصاد قليلاً، لكن القلة التي كسبها صارت بركة لكثيرين.

هب لي مع الرسول بولس كلمة وحكمة من لدنك!

١ فاجتازا في امفيبوليس و ابولونية و اتيا الى تسالونيكي حيث كان مجمع اليهود
٢ فدخل بولس اليهم حسب عادته و كان يحاجهم ثلاثة سبوت من الكتب
٣ موضحا و مبينا انه كان ينبغي ان المسيح يتالم و يقوم من الاموات و ان هذا هو المسيح يسوع الذي انا انادي لكم به
٤ فاقتنع قوم منهم و انحازوا الى بولس و سيلا و من اليونانيين المتعبدين جمهور كثير و من النساء المتقدمات عدد ليس بقليل
٥ فغار اليهود غير المؤمنين و اتخذوا رجالا اشرارا من اهل السوق و تجمعوا و سجسوا المدينة و قاموا على بيت ياسون طالبين ان يحضروهما الى الشعب
٦ و لما لم يجدوهما جروا ياسون و اناسا من الاخوة الى حكام المدينة صارخين ان هؤلاء الذين فتنوا المسكونة حضروا الى ههنا ايضا
٧ و قد قبلهم ياسون و هؤلاء كلهم يعملون ضد احكام قيصر قائلين انه يوجد ملك اخر يسوع
٨ فازعجوا الجمع و حكام المدينة اذ سمعوا هذا
٩ فاخذوا كفالة من ياسون و من الباقين ثم اطلقوهم
١٠ و اما الاخوة فللوقت ارسلوا بولس و سيلا ليلا الى بيرية و هما لما وصلا مضيا الى مجمع اليهود
١١ و كان هؤلاء اشرف من الذين في تسالونيكي فقبلوا الكلمة بكل نشاط فاحصين الكتب كل يوم هل هذه الامور هكذا
١٢ فامن منهم كثيرون و من النساء اليونانيات الشريفات و من الرجال عدد ليس بقليل
١٣ فلما علم اليهود الذين من تسالونيكي انه في بيرية ايضا نادى بولس بكلمة الله جاءوا يهيجون الجموع هناك ايضا
١٤ فحينئذ ارسل الاخوة بولس للوقت ليذهب كما الى البحر و اما سيلا و تيموثاوس فبقيا هناك
١٥ و الذين صاحبوا بولس جاءوا به الى اثينا و لما اخذوا وصية الى سيلا و تيموثاوس ان ياتيا

اليه باسرع ما يمكن مضوا
١٦ و بينما بولس ينتظرهما في اثينا احتدت روحه فيه اذ راى المدينة مملؤة اصناما
١٧ فكان يكلم في المجمع اليهود المتعبدين و الذين يصادفونه في السوق كل يوم
١٨ فقابله قوم من الفلاسفة الابيكوريين و الرواقيين و قال بعض ترى ماذا يريد هذا المهذار ان يقول و بعض انه يظهر مناديا بالهة غريبة لانه كان يبشرهم بيسوع و القيامة
١٩ فاخذوه و ذهبوا به الى اريوس باغوس قائلين هل يمكننا ان نعرف ما هو هذا التعليم الجديد الذي تتكلم به
٢٠ لانك تاتي الى مسامعنا بامور غريبة فنريد ان نعلم ما عسى ان تكون هذه
٢١ اما الاثينويون اجمعون و الغرباء المستوطنون فلا يتفرغون لشيء اخر الا لان يتكلموا او يسمعوا شيئا حديثا
٢٢ فوقف بولس في وسط اريوس باغوس و قال ايها الرجال الاثينويون اراكم من كل وجه كانكم متدينون كثيرا
٢٣ لانني بينما كنت اجتاز و انظر الى معبوداتكم وجدت ايضا مذبحا مكتوبا عليه لاله مجهول فالذي تتقونه و انتم تجهلونه هذا انا انادي لكم به
٢٤ الاله الذي خلق العالم و كل ما فيه هذا اذ هو رب السماء و الارض لا يسكن في هياكل مصنوعة بالايادي
٢٥ و لا يخدم بايادي الناس كانه محتاج الى شيء اذ هو يعطي الجميع حياة و نفسا و كل شيء
٢٦ و صنع من دم واحد كل امة من الناس يسكنون على كل وجه الارض و حتم بالاوقات المعينة و بحدود مسكنهم
٢٧ لكي يطلبوا الله لعلهم يتلمسونه فيجدوه مع انه عن كل واحد منا ليس بعيدا
٢٨ لاننا به نحيا و نتحرك و نوجد كما قال بعض شعرائكم ايضا لاننا ايضا ذريته
٢٩ فاذ نحن ذرية الله لا ينبغي ان نظن ان اللاهوت شبيه بذهب او فضة او حجر نقش صناعة و اختراع انسان
٣٠ فالله الان يامر جميع الناس في كل مكان ان يتوبوا متغاضيا عن ازمنة الجهل
٣١ لانه اقام يوما هو فيه مزمع ان يدين المسكونة بالعدل برجل قد عينه مقدما للجميع ايمانا اذ اقامه من الاموات
٣٢ و لما سمعوا بالقيامة من الاموات كان البعض يستهزئون و البعض يقولون سنسمع منك عن هذا ايضا
٣٣ و هكذا خرج بولس من وسطهم
٣٤ و لكن اناسا التصقوا به و امنوا منهم ديونيسيوس الاريوباغي و امراة اسمها دامرس و اخرون معهما

الأصحاح الثامن عشر

في كورنثوس

لم نسمع عن مضايقات كثيرة واضطهادات للقديس بولس في أثينا، ولا طُرد منها بمعاملة رديئة كما في مواضع أخرى، لكنهم التقوا به في برودٍ ودون اعتبارٍ أو اهتمامٍ من جانبهم لخلاص نفوسهم.

انطلق بولس الرسول من أثينا معقل الفلسفة إلى كورنثوس المركز التجاري، وكأنه قد انطلق من أكاديمية علمية إلى سوق مزدحم. ترك الاهتمام بالمؤمنين هناك في رعاية ديونيسيوس. جاء ليقيم كنيسة لها اعتبارها في كورنثوس.

١. بولس في كورنثوس ١.

٢. بولس يعمل لأجل معيشته ٢-٣.

٣. خدمته في المجمع ٤-٥.

٤. خدمته في بيت يوستس ٦-١١.

٥. مقاومة اليهود له ١٢-١٧.

٦. عودته إلى إنطاكية ١٨-٢٢.

٧. بدء رحلته الثالثة ٢٣-٢٨.

١. بولس في كورنثوس

"وبعد هذا مضى بولس من أثينا،

وجاء إلى كورنثوس". [١]

كانت كورنثوس المدينة الرئيسية في أخائية، تتسم بالغنى والفخامة، لم يكن يسمح لأي إنسان أيا كان أن يرى كورنثوس *Corinthum contingit adire Non cuivis homini*.

ذهب الرسول إلى كورنثوس حيث ترقب وصول تيموثاوس وسيلا من مكدونية.

في كورنثوس تفرغ الرسول لكتابة أول رسالة له، سجل رسالته الأولى إلى أهل تسالونيكي حيث لا يوجد بين أعضاء الكنيسة كثيرون من أصل يهودي، لهذا جاءت الرسالة لا تحمل طابع الدفاع والمحاجاة، وإنما الكشف عن شخصية السيد المسيح ومجيئه الثاني، كما عن الفداء بآلام المسيح، كشف عن أبوته الحانية وتعلقه بهم. فقد كان لشعب تسالونيكي مكانة خاصة في قلب الرسول. كتب بهذا الأسلوب الرقيق وسط آلام ومعاناة ومقاومة اليهود له.

٢. بولس يعمل لأجل معيشته

" فوجد يهوديًا اسمه أكيلا بنطي الجنس،

كان قد جاء حديثًا من إيطالية وبريسكلاّ امرأته،

لأن كلوديوس كان قد أمر أن يمضي جميع اليهود من رومية،

فجاء إليهما". [٢]

وجد رجلاً يهوديًا مولودًا في بنطس يدعى أكيلا، جاء مع زوجته بريسكلا من روما حيث أصدر كلوديوس أمرًا أن يترك كل اليهود روما. أشير لي في مواضع أخرى كصديقي للقديس بولس (رؤ ١٦: ٣؛ ٢ تي ٤: ١٩؛ ١ كو ١٦: ٩). كان يهوديًا بالميلاد وقد قبل الإيمان المسيحى.

ملك كلوديوس كإمبراطور على روما عام ٤١ ومات مسمومًا عام ٥٤، ولا نعرف متى طرد اليهود من روما؛ بعض اليهود فضلوا ترك إيطاليا كلها لعدم الاطمئنان لموقف كلوديوس. يروي لنا سيوتوينوس Suetonius المؤرخ الروماني في كتابه "حياة كلوديوس" فصل ٢٥، عن طرد اليهود من روما بسبب بعض المشاغب التى حدثت تحت قيادة خريستوس Chrestus، وهو يهودي أجنبي، كان مهتمًا بشئون اليهود ويحسبونه قائدًا لهم.

طُرد أكيلا وبريسكلا مع أنهما مسيحيان، لأنه كان ينظر إلى المسيحيين كطائفة يهودية.

"ولكونه من صناعتهما أقام عندهما،

وكان يعمل لأنهما كانا في صناعتهما خيّاميْن". [٣]

يرى **القديس يوحنا الذهبي الفم** أنه يجب ألا ندهش أن الرسول بولس يقيم مع صانعي الخيام أكيلا وبريسكلا يعملان معهما.

v كان الموضع مناسبًا له أفضل من قصر ملكي. لا تسخروا عندما تسمعون عن هذا العمل، فإنه من الأفضل له كمصارع أن يكون في الجمينازيم عن أن الأماكن المفروشة بالسجاد الفاخر؛ وكمحارب يستخدم سيفًا من الحديد وليس من الذهب. لنخجل إن كنا لا ننشغل بعمل كرازي ونعيش في بطالة.

القديس يوحنا الذهبي الفم

أقام الرسول معهما وكان يعمل معهما بيديه لمعيشته، يصنع الخيام للرعاة، وربما الخيام الخاصة بالجنود، وهي إما من القماش أو الجلود أو شعر الماعز. وكما يقول د. لايتفوت أن اليهود كانوا يعلمون أولادهم مهنة يعيشون منها عند الضرورة، مهما بلغ تعليمهم أو مركزهم الاجتماعي. ويقول الربي يهوذا: "من لا يُعلم ابنه حرفة يكون كمن علمه أن يكون لصًا". وقال آخر: "من لديه حرفة معينة يشبه كرمة محصنة بسور". لم يكن يحتقر اليهود أية حرفة شريفة يعيش منها الإنسان. فشاول الطرسوسي مع كونه فريسيًا وتعلم عند قدمي غمالائيل تعلم منذ صباه حرفة صناعة الخيام، وصار يمارسها عند الضرورة.

كانت الكنائس تمده وله أصدقاء كثيرون، لكنه كان يفضل أن يعمل بيديه ليسد احتياجات معيشته، وأحيانا معيشة الذين معه. كان كسيده يود أن يخدم الآخرين لا أن يطلب منهم أن يخدموه.

ما كان يربط الرسول بهذين الشخصين ليس فقط عملهما كخيامين يمارسان ذات حرفته، وإنما ما حملاه من غيرة في الإيمان، والعمل لحساب ملكوت الله (رو ١٦: ٣).

كان يعمل ليس فقط في كورنثوس، وإنما أيضا في أفسس (أع ٢٠: ٣٤)، وفي تسالونيكي (٢ تس ٣: ٩-١٠). هنا نقف في دهشة أمام العمل الجبار الذي لا يستطيع مئات من الكهنة والكارزين أن يعملوه، قد تممه هذا الرسول ومع هذا وجد وقتًا للعمل بيديه لكي لا يمد يده يطلب الزمنيات لمعيشته.

إنها صورة رائعة للخادم عفيف النفس، الذي لا يطلب ما لنفسه، بل ما هو للآخرين، متنازلاً عن حقوقه أن يأكل من الإنجيل حتى لا يُعثر أحدًا. وقد أوضح الرسول فلسفته هذه وحكمته العجيبة في رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس.

يقدم لنا **القديس يوحنا كاسيان** صورة حية لنظرة الرهبان المصريين لأهمية العمل حتى في حياة الراهب، فيقول **الأب إبراهيم:**

[بفضل الزهد في كل غنى، نختار الحصول على قوتنا اليومي بعمل أيدينا، دون أن نعتمد على غنى أقربائنا، لئلا نميل إلى التأمل في الكتاب المقدس مع كسل، فتصير قراءتنا عقيمة. لكن الأفضل أن يكون لنا الفقر العامل. حقًا لو أن الرسل علمونا هذا بمثالهم أو رأينا هذا في قوانين آبائنا لكان هذا مبهجًا لنا.

هذا ويجدر بك أن تعلم أن **هناك خطر آخر لا يقل عن السابق، وهو أنك تقتات بمعونة الغير وأنت سليم الجسد، قوي البنية، وهذا لا يليق إلا بالضعفاء...** لذا يلزم بالكل أن يعيشوا بالعمل اليومي الذي من أيديهم، ويجدر بنا أن نعود إلى وصية المحبة التي أوصانا بها الرسول الذي يمنع مساعدة الأغنياء للكسالى، قائلاً: "فإننا أيضًا حينَ كُنَّا عندكم أوصيناكم بهذا أنه إن كان أحد لا يريد أن يشتغل فلا يأكل أيضًا" (٢ تس ٣:١٠).

هذه هي كلمات الطوباوي أنطونيوس التي نطق بها مع هذا الإنسان، وقد علمنا الطوباوي هذا بمثاله.]

من أجل العثرة التزم الرسول بولس أن يعمل بيديه لأجل احتياجاته الضرورية له ولمن يعمل معه. لكن كما يقول **القديس أغسطينوس:** [يؤكد بولس الحقيقة أن زملاءه الرسل لم يخطئوا بأي حال عندما لم ينشغلوا بعملٍ يدوي لأجل إشباع احتياجاتهم الضرورية للحياة، وإنما كما وجههم الرب أن يعيشوا من الإنجيل. فقد قبلوا من الذين يخدمونهم روحيًا الأمور الجسدية دون أجرة، إذ قدموا لهم الروحيات بلا مقابل.]

كما يقول: [يقول بولس هذا (في ٢ تي ٢: ٣-٦) لكي يدرُك تيموثاوس أن ما يأخذه من أولئك الذين يحارب من أجلهم، ويزرع كرمهم، ويرعى قطيعهم، ليس هو صدقة من جانبهم، بل هو حق له.]

غير أن **القديس يوحنا الذهبي الفم** يؤكد أن الخادم الروحي يطلب الضروريات لا الكماليات، [أنت جندي روحي. مثل هذا الجندي، لا ينام على فراش من العاج، بل على الأرض. لا يدهن نفسه بروائح عطرية، فإن هذا من اهتمام الفاسدين الذين يغازلون الشريرات، والذين يمارسون التمثيل على المسارح، ويحيون بغير مبالاة.]

٣. خدمته في المجمع

"وكان يحاج في المجمع كل سبت،

ويقنع يهودًا ويونانيين". [٤]

كان يعمل طوال الأسبوع ربما ماعدا السبت والأحد، فيكرس السبت للعبادة مع اليهود في المجمع لكي يتحدث عن بشارة الإنجيل، والأحد للعبادة مع أكيلا وبريسكلا، وربما وجد أفرادًا قليلين مسيحيين يشاركونه العبادة.

كان يلتقي مع اليهود والدخلاء في الاجتماعات العامة يوم السبت في المجمع اليهودي، وربما كانت له لقاءات فردية مع بعضهم أثناء الأسبوع.

استطاع أن يقنع بعضًا من اليهود والدخلاء (اليونانيين الذين تهودوا) بالإيمان المسيحي.

"ولمّا انحدر سيلا وتيموثاوس من مكدونية،

كان بولس منحصرًا بالروح،

وهو يشهد لليهود بالمسيح يسوع". [٥]

إذ طلب الرسول بولس سيلا وتيموثاوس حضرا من مكدونية ليصحباه مرة أخرى، إذ لم يكن ممكنًا أن يذهب هو إلى مكدونية، فوجداه منحصرًا بالروح، منشغلاً بالكرازة بالمسيح يسوع، بكونه المسيا الذي وعد الله به الآباء وكانوا يترقبون مجيئه.

إذ بقى الرسول سنة كاملة وستة أشهر يؤسس الكنيسة وافاه سيلا وتيموثاوس هناك ليعملا معه وسط مكائد اليهود. في اختصار قدم الرسول تقريرًا عن خدمته في كورنثوس بقوله: "وأنا كنت عندكم في ضعفٍ وخوفٍ ورعدةٍ كثيرةٍ، وكلامي وكرازتي لم يكونا بكلام الحكمة الإنسانية المقنع، بل ببرهان الروح والقوة..." (١ كو٢: ٣-٤). إذ كان يحرص على عمل اليدين غير مبالٍ بالتعب والسهر كان يشهد للسيد المسيح، لا بكلمات فلسفية بل بقوة الروح.

v لو أن أسفارنا المقدسة اجتذبت الناس للإيمان لأنها مكتوبة ببلاغة ومهارة فلسفية، لقيل دون شك أن إيماننا قام على فن الكتابة وعلى الحكمة البشرية، وليس على قوة الله.

العلامة أوريجينوس

كما قال في رسالته إليهم: "لأننا لما أتينا إلى مكدونية لم يكن لجسدنا شيء من الراحة، بل كنا مكتئبين في كل شيء، من خارج خصومات، من داخل مخاوف، لكن الله الذي يعزي المتضعين عزانا" (٢ كو ٧: ٥-٦). وسط المر الذي عاشه الرسول في كورنثوس كانت تعزيات الله تسنده بعمل النعمة الإلهية فيهم إذ يقول: "بالتعزية التى تعزي بها (تيطس) بسببكم، وهو يخبرنا لشوقكم ونوحكم وغيرتكم لأجلي حتى إني فرحت أكثر" (٢ كو٧: ٦-٧).

في رسالته إلى أهل رومية أشار إلى كثيرين من كورنثوس (مقاطعة اخائية) معطيًا لكل منهم لقبًا خاصًا يعتز به الرسول. كما كان يعتز بأنه عمَّد كريسبس رئيس المجمع (١ كو ١: ١٤).

لم تمض شهور كثيرة حتى بعث من كورنثوس رسالته الثانية إلى أهل تسالونيكي إذ قام البعض بتأويل ما كتبه الرسول عن مجيء السيد المسيح الأخير.

٤. خدمته في بيت يوستس

"وإذ كانوا يقاومون ويجدفون نفض ثيابه، وقال لهم:

دمكم على رؤوسكم،

أنا بريء،

من الآن أذهب إلى الأمم". [٦]

كالعادة في بلاد كثيرة كان اليهود يقاومون الكلمة، فيعلن الرسول أنه بريء من دمهم وينطلق لخدمة الأمم والكرازة بينهم.

حقًا، لم يكونوا قادرين على الدخول في حوار مع الرسول، مع أنه كان يفتح لهم باب الحوار. كثيرًا ما يلجأون إلى التجديف وإساءة المعاملة للرسول عوض الحوار المفتوح معه، وربما وجد الرسول نفسه غير قادرٍ بعد أن يتحدث في المجمع بحرية، إذ أصروا على موقفهم، فنفض الغبار عن ثيابه إشارة إلى تبرئة نفسه منهم، معلنًا دينونة الله لهم بسبب عنادهم. فمن جانبه بذل كل الجهد وتمم ما يليق به أن يفعله. وأنه ليس لهم أن يلوموه إذ يتركهم ويكرز بين الأمم. هكذا صار سقوط اليهود غنى للأمم. وتحولت الخدمة إلى الأمم لإغارة اليهود (رو ١١: ١٢، ١٤).

لعل نفض ثيابه أمامهم يشير إلى ان الله ينفضهم كالتراب المتعلق بثيابه، فلا موضع لهم بعد في كنيسته، التي هي ثوبه المقدس.

"فانتقل من هناك وجاء إلى بيت رجل اسمه يوستس،

كان متعبدًا للَّه،

وكان بيته ملاصقًا للمجمع". [٧]

يوستس: كان بيته ملتصقا بمبنى المجمع، وكان أمميًا تقيًا، قبل الإيمان المسيحي. كان يعبد الله كما كان كرنيليوس، وربما تعرف على الله خلال اليهود، أما إن كان قد صار يهوديًا دخيلاً أم لا، فلا نعرف. وربما كان يستضيف بعض اليهود بعد خروجهم من المجمع كعمل محبة ويسمع لهم، خاصة الذين بدأوا يتجاوبون مع الرسول بولس في كرازته.

"وكريسبس رئيس المجمع آمن بالرب،

مع جميع بيته،

وكثيرون من الكورنثيين

إذ سمعوا آمنوا واعتمدوا". [٨]

كريسبس: رئيس المجمع اليهودي، آمن بربنا يسوع، هو وكل أهل بيته. قبل كلمة الإنجيل بدراسته للكتاب المقدس (نبوات العهد القديم ورموزه) وغيرته على خلاص نفسه، وربما قام الرسول بعمادهم (١ كو ١: ١٤).

إيمانه هو وأهل بيته حتمًا سبب سخطًا في الدوائر اليهودية، كما شجع كثير من الكورنثيين على الإيمان بالسيد المسيح.

العجيب أن كورنثوس التي اتسمت بالفساد ضمت نفوسًا متعطشة لمعرفة الحق والتمتع بالخلاص، فإذ سمعوا بقبول كريسبس رئيس المجمع الإيمان آمنوا واعتمدوا بعد أن التقوا بالرسول بولس وسمعوا تعاليمه. لعلهم جاءوا أولاً بغرض حب الاستطلاع، لكن لقاءهم مع الرسول حوَّلهم إلى الجدية.

"فقال الرب لبولس برؤيا في الليل:

لا تخف، بل تكلم ولا تسكت". [٩]

قدرما لاحظ بولس من فساد رهيب في كورنثوس ومقاومة عنيفة من اليهود كانت نعمة الله تعمل به بسخاءٍ عجيبٍ، فكسب كثيرين خاصة من الأمم إلى الإيمان كما كسب رئيس مجمع اليهود. الآن يشجعه الرب نفسه برؤيا في الليل، ليدرك عمل الله به في هذه المدينة.

سمع الصوت الإلهي يؤكد له: "**لا تخف**". لا يخف من ثورة اليهود ومقاومتهم وتجاديفهم، خاصة بعد أن إيمان كريسبس رئيس المجمع قد آثارهم. ولا يخف من الأممين حيث اتسموا بالغنى والتجارة مع عدم المبالاة بالحياة السلوكية. لهذا يشير إليهم في رسالته الأولى أنه كان بينهم في ضعف وخوف ورعدة (١ كو ٢: ٣). أراد الرب أن يؤكد له حضرته الإلهية، فلا يخشى الأغنياء والمتعلمين والعظماء. يسأله ألا يسكت، فإن ربنا نفسه يتكلم على لسانه، وروحه القدوس يعمل في أذان وقلوب سامعيه.

v لم يسمح لهم باحتمال شرور (آلام) على الدوام حتى لا يضعفوا للغاية. ليس شيء كان يحزن بولس مثل عدم إيمان الناس ووقوفهم ضد الحق، فإن هذا كان أشر من كل المخاطر. لذلك ظهر له المسيح في ذلك الحين "فأقام سنة وستة أشهر..." [١١].

القديس يوحنا الذهبي الفم

"لأني أنا معك،

ولا يقع بك أحد ليؤذيك،

لأن لي شعبًا كثيرًا في هذه المدينة". [١٠]

أكد ربنا يسوع معيته "**أنا معك**"، فلا يليق به أن يخاف أو يضطرب، ولا أن ييأس. لم يعده بأنه لا يتعرض له أحد، إنما لا يقدر أحد يؤذيه. ليفعل الأشرار المقاومون ما يريدون، لكن لن تصيب الرسول أذية، ولن تتوقف خدمته، إذ هي خدمة السيد المسيح الذي يطلب له شعبًا يصيرونه خاصته.

"فأقام سنة وستة أشهر يعلم بينهم بكلمة اللَّه". [١١]

إذ اشتدت المقاومة جدًا ضده ظهر له الرب بنفسه في رؤيا بالليل يسنده، ويشجعه، ويطلب منه الاستمرار في العمل بالمدينة.

اهتم الرب بنفسه بكورنثوس لأنها مُلتقى ثلاثة مراكز رئيسية في ذلك الحين: روما والإسكندرية وأفسس، فانتشار الكرازة فيها حتمًا يكون له أثره على القادمين من هذه البلاد، خاصة وان أكبر عدد من اليهود قد تجمع في كورنثوس بعد طردهم من روما بأمر كلوديوس (أع ٨: ٢-٣).

٥. مقاومة اليهود له

"ولمّا كان غاليون يتولى آخائية،

قام اليهود بنفس واحدة على بولس،

وأتوا به إلى كرسي الولاية". [١٢]

إذ استولى الرومان على اليونان قسموها إلى ولايتين: مكدونية وآخائية، كل منهما يحكمها والٍ.

كان اسم غاليون Annaeus Novatus Marcus، وإذ تبنته أسرة الخطيب غاليون Gallio، أخذ اسمه. وصفه الكتَّاب القدامى بأنه كان رقيقًا للغاية، ودودًا. قال عنه أخوه سينيكا: "كان لطيفًا جدًا مع كل أحد كما مع الجميع، يحمل فيه قوة طبيعية للصلاح، ليس في مظهره أي خداع أو مكر.

في نهاية هذه الفترة جاء والي جديد إلى آخائية التى عاصمتها كورنثوس يُدعى غاليون، الأخ الأكبر للفيلسوف سينيكا، ربما في يوليو ٥٢م. أراد اليهود أن يمارسوا نوعًا من الضغط على الوالي الجديد لمحاكمة القديس بولس.

"قائلين أن هذا يستميل الناس أن يعبدوا اللَّه بخلاف الناموس". [١٣]

ربما يقصدون هنا بالناموس القانون الروماني، فهم كيهود يتعبدون بدين شرعي يعترف به القانون، أما هو فإذ انحرف عن العبادة اليهودية وفي نفس الوقت لا يمارس العبادات الوثنية الرومانية واليونانية المعترف بها فينادي بدينٍ جديدٍ غير شرعي، ويكون بهذا كاسرًا للقانون الروماني.

"وإذ كان بولس مزمعًا أن يفتح فاه،

قال غاليون لليهود:

لو كان ظلمًا أو خبثا رديًا أيها اليهود لكنت بالحق قد احتملتكم". [١٤]

جاء اليهود معًا بيدٍ واحدةٍ يقدمون بولس كمفسدٍ لشريعتهم، دون أن يعطوا الوالي الجديد الفرصة لدراسة الموقف وتقديم بولس للمحاكمة. لم يستطيعوا أن يقدموا دليلاً على أنه عاق إنسانًا عن عبادة الله أو الآلهة، لكن في نظرهم أنه طالب بالعبادة بطريقة مخالفة للناموس الموسوي.

لقد أعطي الرومان كمال الحرية لليهود أن يتعبدوا لله حسب شريعتهم، لكن هل يحسبون ذلك جريمة إن عبد أحد الله بغير طريقتهم؟ هل يلزمون الناس قهرًا بعبادة الله حسب طقوسهم وعاداتهم؟ هذا ما لم يكن ممكنًا للوالي أن يقبله أو حتى يناقشه.

لم يكن ممكنًا لليهود أن يقبلوا أحاديث الرسول بولس عن عبادة الله في المسيح يسوع، وأن يعبدوه بالروح والحق.

غاليون لم يقبل القضية من أولها، واعتبر الإجراءات التي استخدمها اليهود، مهما كان عددهم، باطلة، بجانب أن موضوع القضية باطل.

لقد أدرك غاليون الوالي أن الرسول بولس لم يرتكب أية جريمة يعاقب عليها القانون، وفي ذهنه أن ما ينادي به الرسول هو شكل جديد لتفسير الشريعة اليهودية، مشكلته تمثل خلافات دينية داخلية بين اليهود لا يود أن يشغل ذهنه بها.

"ولكن إذا كان مسألة عن كلمة وأسماء وناموسكم،

فتبصرون أنتم،

لأني لست أشاء أن أكون قاضيًا لهذه الأمور". [١٥]

المشكلة في ذهن الوالي لا تتعدى اختلاف في الرأي بخصوص كلمات، ربما يقصد تفسير كل منهما للنبوات بطريقة مغايرة، وأيضا بخصوص أسماء، إذ لم يقبل اليهود يسوع أن يدعى المسيا كما ينادى الرسول بولس، وأيضا بخصوص شرائع الناموس مثل طقوس التطهيرات والختان الخ.

لا يود أن يكون حكَمًا في هذه الأمور، فإنها ليست من اختصاصه، ولا في دائرة عمله كوالٍ روماني.

"فطردهم من الكرسي". [١٦]

رفض أن يسمع أو يقرر شيئًا بخصوص هذا الخلاف. جاءت كلمة "**طردهم**" في اليونانية لا تحمل معنى استخدام القوة، لكنه رفض دعواهم وصرفهم بسلطانه كوالٍ.

"فأخذ جميع اليونانيين سوستانيس رئيس المجمع،

وضربوه قدّام الكرسي،

ولم يهم غاليون شيء من ذلك". [١٧]

ربما جاء سوستانيس رئيس المجمع اليهودي كقائدً للشعب الثائر ضد القديس بولس، فقد قام اليونانيون الذين هم يهود دخلاء بضرب هذا الرئيس لأنه إذ سمع ما قاله الوالي انسحب للحال، فحسبوا هذا خزلانًا لهم وإهانة لموقفهم.

يرى البعض أنه كان قد آمن بالمسيحية، وصار مساعدًا للرسول بولس في كرازته (١ كو ١: ١-٢)، فأراد الثائرون التعبير عن غضبهم، فضربوه أمام الوالي. ويرى البعض أن الأمم فعلوا ذلك تعبيرًا عن غضبهم على ثورة اليهود التي بلا معنى، وكانوا يحملون مشاعر كراهية لليهود بصفة عامة.

لم يتدخل الوالي بالرغم من اعتداء الجماهير على سوستانيس، ربما لأنه لاحظ عدم اضطرابه، فتركه كنوع من تنفيس الجماهير عن غضبها، ولكن في حدود معينة.

v لنصد الضربة بالضربة وذلك بالوداعة والصمت وطول الأناة. فإن هذه الجراحات أخطر وهذه الضربة أعظم وأكثر ثقلا. فبكونك تظهر أن قبول ضربة في الجسد ليست خطيرة، بل الضربة التي في الذهن، بهذا غالبًا ما نسد ضربة قوية على الناس، وحيث هذا هو طريق الصداقة... لنضرب قلوبهم، لأن الوداعة هي ضربة أعظم من الشراسة.

القديس يوحنا الذهبي الفم

٦. عودته إلى إنطاكية

"وأمّا بولس فلبث أيضًا أيامًا كثيرة،

ثم ودع الإخوة وسافر في البحر إلى سورية،

ومعه بريسكلاً وأكيلا بعدما حلق رأسه في كنخريا،

لأنه كان عليه نذر". [١٨]

إذ قرر الرسول أن يرحل من كورنثوس متجهًا نحو أورشليم أخذ معه أكيلا وبريسكلا اللذين قررا ترك كورنثوس. وقد تكونت صداقة حميمة بينهم، فسألوه أن يذهبا معه.

في ميناء كنخريا شرقي كورنثوس حلق بولس أو أكيلا رأسه، إذ لم يوضح النص اليوناني من الذي حلق رأسه من أجل النذر. كنذير هذا كان يتم في أورشليم في الهيكل بالنسبة لسكان اليهودية، أما الذين يعيشون خارجها فيمكن ممارسة ذلك في أماكن أخرى.

كان اليهود يقدمون هذا النذر كنوعٍ من الشكر لله على عمل معين صنعه معهم في حياتهم كشفاء من مرض أو إنقاذ من خطر.

ليس عجيبًا أن الرسول بولس الذي سمح للأمم القابلين الإيمان ألا يمارسوا هذه الطقوس في حرفية يخضع هو لها حتى لا يتعثر به اليهود ككاسرٍ للناموس.

"فأقبل إلى أفسس وتركهما هناك،

وأمّا هو، فدخل المجمع وحاج اليهود". [١٩]

ذهب إلى أفسس عاصمة آسيا الصغرى، وهي ميناء بحري. هناك ترك أكيلا وبريسكلا لكي يمارسا عملاً روحيًا وخدمة للإنجيل في أفسس، فقد اعتاد الرسول تشغيل طاقات أصدقائه وأحبائه لحساب إنجيل المسيح.

لم يضيع الرسول الفرصة للحديث والحوار في المجمع لحساب السيد المسيح، مع أنه كان متعجلاً للذهاب إلى أورشليم، ورفض أن يتأخر في أفسس. ولا يعرف أحد تفسيرًا لاستعجاله.

"وإذ كانوا يطلبون أن يمكث عندهم زمانًا أطول لم يجب". [٢٠]

"بل ودّعهم قائلاً:

ينبغي على كل حال أن أعمل العيد القادم في أورشليم،

ولكن سأرجع إليكم أيضًا إن شاء اللّه،

فأقلع من أفسس". [٢١]

صمم الرسول على الرحيل حتى يمكنه أن يكون في أورشليم ليحضر العيد، ربما لكي يلتقي بالكثيرين من أحبائه ومواطنيه القادمين للعيد. وقد وعدهم بالعودة إليهم إن شاء الرب، وقد فعل (أع ١٩: ١) حيث بقي عندهم ثلاث سنوات (أع ٢٠: ٣١).

"ولمّا نزل في قيصرية،

صعد وسلّم على الكنيسة،

ثم انحدر إلى إنطاكية". [٢٢]

نزل من السفينة في قيصرية، ثم صعد إلى الكنيسة التي في أورشليم وحياها، ثم عاد وانحدر إلى إنطاكية. جاء في زيارة قصيرة إلى الكنيسة الأم في أورشليم في ميناء قريب لها "قيصرية" لم يأتِ إلى ميناء يافا لأنه كان خطرًا، وكان ميناء قيصرية قد جدده هيرودس.

كان الرسول بولس يحرص على المحافظة على أصدقائه في كل مدينة خاصة في أورشليم حيث الكنيسة الأم.

انحدر إلى إنطاكية حيث قضى فيها بعض الوقت مع أصدقائه القدامى حينما أرسل من هناك مع برنابا لخدمة الأمم (أع ١٣: ١). لعله كان يحسب إنطاكية مركزه حيث يجدد نشاطه، ويراجع حساباته، ويتعزى مع الخدام القدامى، ويقدم شكرًا على عمل نعمة الله معه مع كل رحلة تبشيرية يقدم بها مبتدأ من إنطاكية وعائدا إليها.

غلاطية: لا يوجد في التاريخ القديم ذكر مدينة باسم "**غلاطية**"، إنما هي مقاطعة، لذلك يرجح البعض أنه يقصد هنا أهم مدن هذه المقاطعة خاصة أنقرةAncyra حاليًا عاصمة أسيا الصغرى التركية، وهي مركز عبادة سبلة Cybele الحكيمة، المدعوة: "الأم العظيمة" أم الآلهة، لها هيكل مشهور في أنقرة. وهي شخصية أسطورية ترجع عبادتها إلى القرن الثالث قبل الميلاد، وكانت إلهة الخصوبة.

أما المدينة الثانية هي **باسينوس**، وكانت مركز تجمع قبائل الغلاطيين الذين كانوا يسمون أيضا باسم توليستوبىTolestobi أو الغلاطيون المغاربة.

٧. بدء رحلته الثالثة

إذ لم يكن القديس لوقا في صحبة الرسول جاء الحديث عن هذه الرحلة مقتضبًا للغاية.

واضح أنها كانت رحلة افتقاد وتثبيت لمؤمنين وتشديدهم.

١. من إنطاكية سوريا إلى **غلاطية وفيريجية** (١٨: ٢٢-٢٣): مساندة المؤمنين.

٢. ثلاث سنوات **في أفسس** (١٨: ٢٤- ١٩: ٤١). حرق كتب السحر (١٩: ١٩). هناك يوجد هيكل ديانا (١٩: ٣٥).

٣. ثلاثة شهور في **مكدونية** (أع ٢٠: ١٥): مكيدة ضد القديس بولس من اليهود (٢٠: ٣٠).

٤. في **ترواس** (٢٠: ٣-٦): سقوط افتيخوس من النافذة (٢٠: ٦-١٢).

٥. إلى **ميليتس** عبر البحر (٢٠: ١٣-١٥). هناك ودع الرسول قسوس أفسس (٢٠: ١٨-٣٨).

٦. إلى **صور** عبر رودس وباترا (٢١: ١-٣)، حيث ترك بولس التلاميذ في صور بالرغم من إلحاحهم أن لا يصعد إلى أورشليم (٢١: ٣- ٦).

٧. إلى أورشليم عبر **قيصرية** (٢١: ٧-١٥): في قيصرية ربط أغابوس يدي نفسه ورجليه بمنطقة بولس، وتنبأ عن قيوده (٢١: ١٠-١١).

"وبعدما صرف زمانًا،

خرج واجتاز بالتتابع في كورة غلاطية وفريجية،

يشدّد جميع التلاميذ". [٢٣]

يقدر البعض هذا الزمان بثمانية عشر شهر.

عاد يسقى ما زرعه في هذه الكنائس، مثبتا إياهم في الإيمان ومقدما نصائح لهم.

"ثم أقبل إلى أفسس يهودي اسمه أبلوس إسكندري الجنس،

رجل فصيح،

مقتدر في الكتب". [٢٤]

ترك القديس لوقا حديثه عن أسفار القديس بولس ليتحدث عن القديس أبُلوس حيث التقى معه في أفسس. قدم لنا صورة مختصرة عنه حتى يمكننا تفهم عبارات في رسائل القديس بولس، خاصة رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس.

من هو أبُلوس؟

١. يهودي مولود في الإسكندرية من والدين يهوديين، وقد كانت الإسكندرية بها جماعة ضخمة من اليهود يحتلون اثنين من أحيائها الخمسة.

٢. اسمه أبُلوس، وهو اسم إله وثني، ويرى البعض انه ذات الاسم أبيليس Apelles (رو ١٦: ١٠).

٣. كانت شخصيته قوية، قائد حي ومقتدر في أسفار العهد القديم، وفي الثقافة اليهودية.

٤. كان بليغًا، على مستوى عالٍ من العلم، له شهرته في حديثه الجذاب في أي موضوع.

٥. جاء إلى أفسس، وكان يفسر الكتب المقدسة، حيث كان يضرم موهبته، وكان قادرًا على الحوار في المجامع اليهودية.

٦. كانت معرفته قاصرة على معمودية يوحنا المعمدان، الذي كان يهيئ الطريق للرب بكونه الصوت الصارخ في البرية، لكن يبدو أنه لم يكن بعد قد سمع عن صلب المسيح وقيامته وصعوده

إلي السماء، ولا عن حلول الروح القدس على الكنيسة. هو نفسه نال معمودية يوحنا، ولم يتمتع بالمعمودية باسم الرب يسوع، ولا نال الروح القدس.

٧. كما رأينا أضرم موهبته، وكان يعلم بما يخص الرب من العهد القديم، لكن معرفته قاصرة بخصوص عمل السيد المسيح الخلاصي والتمتع بالمعمودية باسم الرب.

٨. كان كارزًا ناجحًا، يعلم بتدقيق وبمثابرة، متحدث عن مجيء المسيا. يتحدث بمجاهرة بكل شجاعة.

"كان هذا خبيرًا في طريق الرب،

وكان وهو حار بالروح يتكلم ويعلم بتدقيق ما يختص بالرب،

عارفًا معمودية يوحنا فقط". [٢٥]

سمعاه أكيلا وبريسكلا يتحدث في المجمع وأدركا قصر معلوماته بخصوص ربنا يسوع، فشجعاه وأوضحا له ما لم يكن قد بلغه. تعرف على شخص الرب وأعماله وتعاليمه. هذا ما عبر عنه القديس لوقا هنا بقوله "**طريق الرب**".

شرحا له أن من يتحدث عنه "المسيا" قد جاء، وأنه تمم رسالته.

"وابتدأ هذا يجاهر في المجمع،

فلما سمعه أكيلا وبريسكلاً اخذاه إليهما،

وشرحا له طريق الرب بأكثر تدقيق". [٢٦]

"وإذ كان يريد أن يجتاز إلى آخائية،

كتب الإخوة إلى التلاميذ يحضّونهم أن يقبلوه،

فلما جاء ساعد كثيرًا بالنعمة الذين كانوا قد آمنوا". [٢٧]

قبل هذا العظيم المقتدر في المعرفة والبليغ أن ينصت إلى أكيلا وبريسكلا، والتهب قلبه حبًا للكرازة بالرب يسوع، لهذا إذ أراد أن يجتاز إلي أخائية كتب للإخوة الذين في أفسس أن يقبلوه، فعمل بكل قوة بالنعمة الإلهية لحساب ملكوت الله.

"لأنه كان باشتداد يفحم اليهود جهرًا،

مبينًا بالكتب أن يسوع هو المسيح". [٢٨]

معرفة أبُلوس للكتاب المقدس سندته ليكرز بيسوع أنه المسيا المنتظر، فصار له دوره الفعّال في حياة الكنيسة.

من وحي أع ١٨

هزيمة الشيطان في كورنثوس

v دخل رسولك إلى كورنثوس بلد الفساد،

دخل كما إلى الشيطان في عرينه.

جذبت عبادة الإلهة أفروديت بكل رجاستها كثيرون من العالم.

لكن هل يقدر إبليس أن يقف أمامك؟

v دخل رسولك إلى المدينة كمحتاج،

يعمل بيديه لكي يأكل،

وأنت تقوت الخليقة كلها بنعمتك.

لبس ثوب الاحتياج.

فاقتدى بك يا من افتقرت لكي بفقرك تغني الكثيرين.

لم تستكنف أن تعمل،

لكي لا نتوقف نحن عن العمل الذي تقدس.

v في دهشةٍ أقف أمام رسولك العجيب!

يمد يديه ليعمل مع أكيلا وبريسكلا ليلاً،

فلا يقبل معونة من أحد!

جاهد في المعركة الروحية كجندي صالح،

وغرس في كرمك بكل اجتهاد،

ورعى القطيع الذي لك بكل قلبه،

لكنه يرفض حتى الضروريات لكي لا يعثر أحدًا!

من أجلك تنازل عن حقه الطبيعي،

بل وحقه حسب الإنجيل!

فخلاص كل نفس في عينيه،

لا يعادله شيء حتى حياته!

- عمل يديه المادي لم يحصر فكره ولا قلبه في الماديات.

لكن بروحك القدوس صار محصورًا،

يعمل بالروح ليحمل الكل إليك.

- هب لي أن أخدمك بكل كياني!

لتكن كل نسمة من نسمات عمري لحسابك!

قلبي وفكري ومواهبي وكل طاقاتي، فلتكرسها لحساب إنجيلك.

- كان يعمل الرسول بيديه في أيام الأسبوع،

ويكرس السبت والأحد للعبادة والكرازة.

لكن قلبه ولسانه لم يتوقفا عن الشهادة لك مع كل من يلتقي بهم.

- كان منحصرًا بالروح حتى في لحظات عمل يديه.

أحاطت به التجارب، لكنه لم يفقد تعزياتك قط.

- طُرد من المجمع وصار اليهود يقاومونه

وأما أنت فأعلنت معيتك له.

الوالي الأممي ترفق به،

والشعب الذي ينسب نفسه إليك أراد الخلاص منه ومنك.

١ و بعد هذا مضى بولس من اثينا و جاء الى كورنثوس
٢ فوجد يهوديا اسمه اكيلا بنطي الجنس كان قد جاء حديثا من ايطالية و بريسكلا امراته لان
كلوديوس كان قد امر ان يمضي جميع اليهود من رومية فجاء اليهما
٣ و لكونه من صناعتهما اقام عندهما و كان يعمل لانهما كانا في صناعتهما خياميين
٤ و كان يحاج في المجمع كل سبت و يقنع يهودا و يونانيين
٥ و لما انحدر سيلا و تيموثاوس من مكدونية كان بولس منحصرا بالروح و هو يشهد لليهود
بالمسيح يسوع
٦ و اذ كانوا يقاومون و يجدفون نفض ثيابه و قال لهم دمكم على رؤوسكم انا بريء من الان
اذهب الى الامم
٧ فانتقل من هناك و جاء الى بيت رجل اسمه يوستس كان متعبدا لله و كان بيته ملاصقا للمجمع
٨ و كريسبس رئيس المجمع امن بالرب مع جميع بيته و كثيرون من الكورنثيين اذ سمعوا امنوا
و اعتمدوا
٩ فقال الرب لبولس برؤيا في الليل لا تخف بل تكلم و لا تسكت
١٠ لاني انا معك و لا يقع بك احد ليؤذيك لان لي شعبا كثيرا في هذه المدينة
١١ فاقام سنة و ستة اشهر يعلم بينهم بكلمة الله

١٢ و لما كان غاليون يتولى اخائية قام اليهود بنفس واحدة على بولس و اتوا به الى كرسي الولاية
١٣ قائلين ان هذا يستميل الناس ان يعبدوا الله بخلاف الناموس
١٤ و اذ كان بولس مزمعا ان يفتح فاه قال غاليون لليهود لو كان ظلما او خبثا رديا ايها اليهود لكنت بالحق قد احتملتكم
١٥ و لكن اذا كان مسئلة عن كلمة و اسماء و ناموسكم فتبصرون انتم لاني لست اشاء ان اكون قاضيا لهذه الامور
١٦ فطردهم من الكرسي
١٧ فاخذ جميع اليونانيين سوستانيس رئيس المجمع و ضربوه قدام الكرسي و لم يهم غاليون شيء من ذلك
١٨ و اما بولس فلبث ايضا اياما كثيرة ثم ودع الاخوة و سافر في البحر الى سورية و معه بريسكلا و اكيلا بعدما حلق راسه في كنخريا لانه كان عليه نذر
١٩ فاقبل الى افسس و تركهما هناك و اما هو فدخل المجمع و حاج اليهود
٢٠ و اذ كانوا يطلبون ان يمكث عندهم زمانا اطول لم يجب
٢١ بل ودعهم قائلا ينبغي على كل حال ان اعمل العيد القادم في اورشليم و لكن سارجع اليكم ايضا ان شاء الله فاقلع من افسس
٢٢ و لما نزل في قيصرية صعد و سلم على الكنيسة ثم انحدر الى انطاكية
٢٣ و بعدما صرف زمانا خرج و اجتاز بالتتابع في كورة غلاطية و فريجية يشدد جميع التلاميذ
٢٤ ثم اقبل الى افسس يهودي اسمه ابلوس اسكندري الجنس رجل فصيح مقتدر في الكتب
٢٥ كان هذا خبيرا في طريق الرب و كان و هو حار بالروح يتكلم و يعلم بتدقيق ما يختص بالرب عارفا معمودية يوحنا فقط
٢٦ و ابتدا هذا يجاهر في المجمع فلما سمعه اكيلا و بريسكلا اخذاه اليهما و شرحا له طريق الرب باكثر تدقيق
٢٧ و اذ كان يريد ان يجتاز الى اخائية كتب الاخوة الى التلاميذ يحضونهم ان يقبلوه فلما جاء ساعد كثيرا بالنعمة الذين كانوا قد امنوا
٢٨ لانه كان باشتداد يفحم اليهود جهرا مبينا بالكتب ان يسوع هو المسيح

الأصحاح التاسع عشر

اضطراب خطير في أفسس

في الأصحاح السابق رأينا القديس بولس يبدأ رحلته التبشيرية الثالثة. وقد سجلها الإنجيلي لوقا باختصارٍ شديدٍ، غير أنه يسجل لنا في هذا الأصحاح عمل الله مع الرسول بولس، كان يصنع على يديه قوات غير المعتادة [١١]. وكأنه كان يسنده ويشجعه لاحتمال ما يحل به بسبب ثورة الأفسسين عليه هو ومن معه. لم يحتمل عدو الخير أن يرى أبناءه الذين أغتصبهم لنفسه يلقون كتب السحر في النار، لكي يرجعوا بالتوبة إلى الآب السماوي. أنها معركة خطيرة بين السيد المسيح وقوات الظلمة.

١. بولس في أفسس ١.

٢. عمادهم باسم الرب يسوع ٢-٥.

٣. حلول الروح القدس عليهم ٦.

٤. خدمته في المجمع ٧-٨.

٥. خدمته في مدرسة تيرانس ٩-١٠.

٦. قوات غير المعتادة ١١-١٢.

٧. أبناء سكاوا المعزمين ١٣-١٨.

٨. حرق كتب السحر ١٩-٢٠.

٩. اضطراب في أفسس ٢١-٤١.

١. بولس في أفسس

"فحدث فيما كان أبلوس في كورنثوس،

أن بولس بعدما اجتاز في النواحي العالية،

جاء إلى أفسس، فإذ وجد تلاميذ". [١]

أفسس: كانت عاصمة آسيا الصغرى بناها أندروكليس الأثيني، كانت في مظهرها مدينة يونانية، لكن طبيعة أهلها وعبادتهم شرقية إلى حد ما. كانت ملتقى الشعوب والحضارات. وهي مدينة ذات طبيعة غنية في أرضها وأنهارها وميناءها، امتازت بالخصوبة والتجارة وملتقى طرق جميع أنحاء العالم.

كانت أفسس مكتظة بالأبنية الفخمة، تفاخر بها أثينا. أعظم الأبنية هيكل أرطاميسArtemis ، والمعروف بديانا Diana . وهو أحد عجائب الدنيا السبع، ولكن ما أن أُكمل بناؤه حتى قام المتعصبون بحرقه، وذلك يوم ولد الاسكندر الأكبر. لكن أُعيد بناؤه بأفخر مما كان عليه. وعند زيارة الاسكندر الأكبر له طلب أن يُنقش اسمه عليه، فرفض الأفسسيون في تشامخ. وبقى هكذا حتى أيام القديس بوليكربس. لكن اقتحمه الغوطيون الذين نزحوا من وراء الدانوب، وهدموه حتى الأساس، وانمحت معالمه، فلا يُعرف موقعه تمامًا. استخدمت أعمدته المرصعة بالأحجار الكريمة في بناء كنيسة آجيا صوفيا بالقسطنطينية (حاليًا اسطنبول)، وبعض الكاتدرائيات في إيطاليا.

كان طول هذا الهيكل ٤٢٥ قدمًا وعرضه ٢٢٠ قدمًا، وارتفاع العامود ٦٠ قدمًا، وعدد الأعمدة ١٢٧ عامودًا، كل عامود أهدي إليها من أحد الملوك. وكان تمثالها في داخل الهيكل بدائيًا يمثل آلهة الصيد، به بروزات عديدة بشكل الثدي، تعبيرًا عن الخصوبة. سماه **القديس جيروم** "عديد الأثداء *multimammeam*، كان المتعبدون له يعتقدون أنه هبط من السماء.

تبارى صناع الفضة في عمل تماثيل مصغرة وهياكل مصغرة من الفضة يشتريها العباد والسياح، وكان ذلك مصدر رزق ليس بقليل (أع ١٩: ٢٤-٢٥). وقد عُثر على نقود في ذلك الموضع نُقش عليها من جانب هيكل أرطاميس، ومن الجانب الآخر نيرون. فإن كان الرسول بولس قد قتل بكرازته أرطاميس فقد أقام عدو الخير نيرون ليقتل قاتل أرطاميس.

حين دخل بولس الرسول إلى أفسس كان أبلوس في كورنثوس (أع ١٩: ١)، هذا الذى كان قبلاً في أفسس قبل دخول بولس الرسول إليها (أع ١٨: ٢٤-٢٨)، وقد دخل القديس بولس أفسس حوالي عام ٥٤ أو ٥٥م ومكث هناك، إما ثلاث سنوات حسب القول: "ثلاث سنين ليلاً ونهارًا لم أفتر عن أن انذر بدموع كل واحد" (أع٢٠: ٣١)، أو سنتين كما جاء في أع ١٩: ١٠.

كما قيض الله لبولس في كورنثوس يسطس المبارك ليفتح له بيته، هكذا دفع صاحب مدرسة، غالبًا لتعليم الأدب والفلسفة، ليقبل بولس ومن معه كأنه ملاك من الله، وهو رجل يوناني يدعى تيرانس، كان قد عمده الرسول (ع ١٩: ٩).

أما عن ثمار الخدمة هناك فيقول القديس لوقا: "حتى سمع كلمة الرب يسوع جميع الساكنين في آسيا من يهود ويونانيين" (أع ١٩: ١٠).

جاء أبلوس يسقي ما قد غرسه بولس، وكان القديس بولس يفرح حين يأتي آخر ليسقى غرسه، واثقا أن الله هو الذي ينمي.

اجتاز الرسول بولس النواحي العالية، وهي المناطق العالية المستوي في آسيا الصغرى، مشيرًا هنا على وجه الخصوص إلى ولايتي فريجية وغلاطية (أع ١٨: ٢٣)، تُدعى هكذا بينما أفسس كانت في مستوي أقل من البحر ودعيت المدينة المنخفضة. جاء متممًا وعده لهم (أع ١٨: ٢١).

٢. عمادهم باسم الرب يسوع

"قال لهم: هل قبلتم الروح القدس لمّا آمنتم؟

قالوا له: ولا سمعنا أنه يوجد الروح القدس". [٢]

التقي هناك بتلاميذ لهم معرفة غير كاملة عن السيد المسيح، مثلهم مثل أبولس، فقد قبلوا تعليم القديس يوحنا المعمدان أن المسيا يظهر قريبًا، لكنهم لم يعرفوا أنه قد ظهر فعلاً، ولا سمعوا عن حلول الروح القدس. وكان عدد هؤلاء المؤمنين اثنى عشر [٧]. هؤلاء لم يكونوا بعد قد تعرفوا على أكيلا وبريسكلا اللذين كان قد تركهما الرسول بولس في أفسس، والآن وجدهما هناك.

يرى البعض أن هؤلاء الاثنى عشر كانوا قد آمنوا بأن المسيا قد جاء لكنهم لم يتعرفوا على حلول الروح القدس ولا حتى سمعوا عنه. كانت قلوبهم مستعدة لقبول الروح القدس والتمتع بالميلاد الثاني وتجديد الطبيعة البشرية لكنهم لم يجدوا من يكرز لهم بذلك. كانوا في حاجة إلى قبول ختم الروح القدس الذي وهب للكنيسة كي ينير لهم الحق، ويثبتوا في تعليم المسيح، ويهبهم ثمر الروح الذي هو الشركة في الطبيعة الإلهية، فيتمتعوا بالحب والفرح والسلام والتعفف والصلاح. يسيروا بالروح وتحت قيادته.

يقول د. لاتيفوت أنه بحسب تقليد أمتهم يعتقدون أنه بعد موت عزرا وحجي وزكريا وملاخي فارق الروح القدس إسرائيل وصعد، وأنهم لم يسمعوا قط أنه عاد. يبدو أنهم كانوا يتوقعون عودته، لكنهم لم يسمعوا أنه جاء، وأنه موجود في وسط المؤمنين.

v لم يكن في سلطان يوحنا (المعمدان) أن يهب الروح، كما أظهر أولئك الذين اعتمدوا بواسطته إذ قالوا: "**ولا سمعنا أنه يوجد الروح القدس**".

القديس يوحنا الذهبي الفم

v المعمودية الأولى هي معمودية الطوفان (في أيام نوح) التي تقطع الخطية. والثانية هي بالبحر الأحمر والسحابة (ا كو ١٠: ٢)، لأن السحابة رمز للروح، بينما البحر رمز الماء. والمعمودية الثالثة هي الخاصة بالناموس (خاصة اللاوي)، إذ تغسل كل شخص غير طاهر بالماء، كما يغسل ثيابه، فيدخل المحلة. المعمودية الرابعة ليوحنا، وهي معمودية للتهيئة، تقود المعمدين إلى الندامة، حتى يؤمنوا بالمسيح.

الأب يوحنا الدمشقي

"فقال لهم: فبماذا اعتمدتم؟

فقالوا: بمعمودية يوحنا". [٣]

طالبهم الرسول بولس بالمعمودية، إذ كانوا لا يعرفون شيئًا عن الروح القدس، فإن من يعتمد يتعلم أولاً على الروح القدس. معموديتهم هي معمودية يوحنا دون معرفة بالروح القدس، لذا لم ينالوا الروح، ولا تمتعوا بالميلاد الجديد.

لا يعني أن الذي عمدهم يوحنا المعمدان، لكنهم اعتمدوا بواسطة أحد تلاميذه، وربما عمدهم باسم يوحنا المعمدان، إذ وجد فريق كانوا يكرمونه بطريقة مُبالغ فيها، وكما رأينا في دراستنا لإنجيل يوحنا أن بعضهم ظنوه أعظم من يسوع المسيح، وأنهم كانوا يغيرون بسبب انتشار اسم يسوع الذي عمده يوحنا، وقد اشتكوا ليوحنا من ذلك (يو ٣: ٢٦).

"فقال بولس: أن يوحنا عمَّد بمعمودية التوبة،

قائلاً للشعب أن يؤمنوا بالذي يأتي بعده،

أي بالمسيح يسوع". [٤]

أوضح لهم القديس بولس معنى معمودية يوحنا بكونها تهيئ للإيمان بالسيد المسيح، وألا يقف الشخص عندها، بل يتقدم لينال ما هو أكمل. لم يسئ القديس بولس لمعمودية يوحنا، إذ هي معمودية للتوبة، حتى يعترف الناس بحاجتهم إلى مخلص يغفر لهم خطاياهم، لهذا وجب عليهم قبول من هدفت إليه معمودية يوحنا. فالقديس يوحنا رجل عظيم، لكنه هو النذير، صديق العريس، أما العريس السماوي الذي له العروس فهو يسوع المسيح.

v عامل الذين طلبوا معمودية التوبة، كما لو كانوا طالبي العماد، يتهيّأون لنوال معمودية المغفرة والتقديس التي جاءت لاحقة لها في خدمة المسيح. عندما كرز يوحنّا بمعمودية غفران الخطايا (مر ١: ٤). كان الإعلان هو عن نوال غفران مقبل. فإن كان الأمر هكذا، فإن دعوة يوحنا للتوبة تقود إلى الطريق، وأما نوال المغفرة فجاء لاحقًا. هذا ما يعنيه "يعد الطريق" (لو ١: ٦٧). لكن من يعد الطريق هو نفسه ليس كاملاً، بل بالأحرى يهيئ لآخر كامل.

العلامة ترتليان

"فلما سمعوا اعتمدوا باسم الرب يسوع". [٥]

إذ عرفوا الحق كاملاً لم يجادلوا مع الرسول، بل قبلوا المعمودية في الحال باسم يسوع الناصري.

v الذين ينالون معمودية يوحنا وحدها وليس لهم معرفة الروح القدس يُعمدون ثانية، لئلا يظن أحد أن ذاك الماء الذي لم يُقدس يستطيع أن يهب خلاصًا ليهودي أو أممي.

القديس جيروم

٣. حلول الروح القدس عليهم

"ولمّا وضع بولس يديه عليهم،

حلّ الروح القدس عليهم،

فطفقوا يتكلّمون بلغات ويتنبّأون". [٦]

بعد العماد وضع الرسول يديه، غالبًا على شكل صليب، عليهم لينالوا سرّ التثبيت، بحلول الروح القدس عليهم، وقد نالوا بعض مواهب الروح مثل التكلم بألسنة والتنبوء. لعل الله سمح هنا بنوالهم هذه المواهب للتأكد من التمييز بين معمودية يوحنا ومعمودية باسم يسوع المسيح. إنها ليست تكرارا ليوم البنطقستي، إنما هو امتداد ليوم البنطقستي، الذي له فاعليته إلى مدى الدهور.

v لقد وضع (اللَّه) عقيدة لا يمكن لهم في ذلك الحين إنكارها، وهي أن يسكن الروح القدس في المؤمنين. أُعلنت هذه العطيّة بواسطة اللَّه لكي يجمع آثار الإيمان، حيث كانت في البداية عندما تمّت بين الرسل وبقيّة التلاميذ... فقد حلّ عليهم الروح القدس وأعطاهم القدرة على التكلّم بألسنة، مع موهبة التفسير، حتى لا يجسر احد أن ينكر حلول الروح القدس فيهم.

أمبروسياستر

٤. خدمته في المجمع

"وكان جميع الرجال نحو اثني عشر". [٧]

"ثم دخل المجمع،

وكان يجاهر مدة ثلاثة أشهر،

محاجًا، ومقنعًا في ما يختص بملكوت اللَّه". [٨]

كعادته بدأ بالخدمة في المجمع اليهودي، مقدمًا لهم الإنجيل، لعله يجمع خراف بيت إسرائيل الضالة، المشتتة على الجبال. وهو في هذا كان يقتدي بالسيد المسيح. كان يشترك معهم في العبادة داخل المجمع كواحدٍ منهم، فينزع عنهم روح الإجحاف، ويستميلهم نحوه لعله يكسب أحدهم. كان يشاركهم عبادتهم في أيام السبوت، حتى تتكون كنيسة العهد الجديد في المدينة وينقل المؤمنين للعبادة في يوم الرب.

بقي لمدة ثلاثة شهور في حوار معهم دون يأس ولا ملل. كان حديثه معهم طوال الثلاثة أشهر يركز على "**ملكوت الله**" الذي يؤسسه في قلوب البشر، ليهبهم الحياة المطّوبة، ويجعل من

أعماقهم أيقونة السماء. كان يصحح مفاهيمهم عن مملكة المسيا الذي كانوا ينتظرونه، إنها ليست مملكة زمنية أرضية، بل مملكة من السماء روحية.

كان يحاججهم، أي يدخل معهم في حوار، ويقدم لها براهين من الكتاب المقدس، ويجيب على اعتراضاتهم، ويقدم لهم أسئلة ويتقبل إجاباتهم. لم يطالبهم بالإيمان دون تفكيرٍ بل "**مقنعًا**" إياهم بدلائل عقلية وفهم.

بماذا كان الرسول يقنعهم؟ بملكوت الله الذي يقيمه الرب داخل قلوبهم. هو تمتع بسكنى الرب فيهم، فإن الملكوت في جوهره هو تمتع بشخص السيد المسيح.

v بماذا يقول الكتاب المقدس؟ الكلمة قريبة منك، في فمك، وفي قلبك (تث ٣٠: ١٤). هذا أشار إليه المخلص بلطفٍ، فلا يطلبوا أمورًا خارجًا عنهم. أو قل: "لا يقولون ههنا، أو هوذا هناك". إذ يقول لهم: "ها ملكوت الله داخلكم" (لو١٧:٢١).

v ملكوت الله حسب كلمة ربنا ومخلصنا لا يأتي بمراقبة، "ولا يقولون هوذا ههنا أو هوذا هناك"، إنما "ملكوت الله داخلكم"... فمن الواضح أن من يصلي لكي يأتي ملكوت الله، إنما يصلي بحقٍ أن يتأسس الملكوت ويكمل في داخله، ويحمل ثمرًا.

العلامة أوريجينوس

٥. خدمته في مدرسة تيرانس

"ولمّا كان قوم يتقسّون ولا يقنعون،

شاتمين الطريق أمام الجمهور،

اعتزل عنهم وأفرز التلاميذ،

محاجًا كل يوم في مدرسة إنسان اسمه تيرانس". [٩]

إذ قسى البعض قلوبهم وقاوموا كلمة الحق لمدة ثلاثة شهور بالرغم من الجهود التي بذلها معهم ترك المجمع اليهودي، وسحب معه الذين أمنوا، ليتتلمذوا على يديه يوميًا في مدرسة تيرانس. لعله اضطر إلى ذلك ليس يأسًا، وإنما خشية تأثر تلاميذه الذين قبلوا الإيمان من المقاومين، فأراد أن يحّوط حولهم، ويثبتهم في الإيمان، لكي ينمو في المعرفة الروحية، ولا يتعثروا بسبب شتائم غير المؤمنين وهجومهم المستمر.

"**محاجًا**": الترجمة الدقيقة "محاورًا" إياهم، أي التعليم خلال الحوار.

يرى البعض أن مدرسة تيرانس هي معهد لاهوتي يهودي، إذ كان لليهود مدارس لاهوتية بجوار المجامع، خاصة في المدن الكبرى، وكانوا يدعونها "بيت مراش" أي بيت المدرسة أو بيت البحث والسؤال، أو بيت الإلقاء والاستماع. كان اليهود يذهبون إليها يوم السبت مع العبادة في المجمع. لا نعرف شيئًا عن **تيرانس**، لكن يبدو أنه كان يهوديًا لا يحمل عداوة نحو الإيمان المسيحي، سمح للرسول بولس أن يستخدم أحد حجرات المدرسة للتعليم، إذ لم يكن بعد توجد كنيسة، فكان المسيحيون يجتمعون في أي موضع لائق يمكن أن يمارسوا فيه العبادة والتعليم.

يعتقد البعض إنها مدرسة فلسفية للأمم تنتمى لتيرانس، وهو شخص كان له مركز كبير وربما كان حاكم المدينة.

انسحابه من المجمع ليس فقط حفظ تلاميذه من العثرة، وإنما أعطاه فرصة للقاء مع التلاميذ ليس يومًا واحدًا في الأسبوع، أي يوم "السبت"، وإنما كان يلتقي معهم يوميًا. هذا وقد انفتح الباب للإيمان أمام الكثيرين، ففي المجمع اليهودي لم يكن ممكنًا أن يحضر سوى اليهود والدخلاء، أما في المدرسة، فكان يمكن لليهود كما للأمم أن يدخلوا أبواب الحكمة الإنجيلية المفتوحة لكل البشرية.

"وكان ذلك مدة سنتين،

حتى سمع كلمة الرب يسوع جميع الساكنين في آسيا،

من يهود ويونانيين". [١٠]

استمر الرسول بولس يكرز ويحاور لمدة عامين في هذه المدرسة، فسمع كثيرون من بلاد كثيرة في آسيا عنها، وجاء يهود ويونانيون من كل آسيا يسمعون للرسول. في هذه الفترة تأسست كنائس في كولوسي ولاودكية وهيرابوليس (كو٢: ١؛ ٤: ١٣)، وربما بعض الكنائس الأخرى التي في آسيا الصغرى والواردة في سفر الرؤيا (رؤ٢: ٣).

إذ كان كثيرون يحضرون إلى أفسس بكونها عاصمة آسيا، لممارسة العبادة أو للتجارة أو للتعليم أو للقضاء، كانوا يسمعون عن الرسول بولس فيستمعون إليه. وهكذا الشعب الجالس في الظلمة رأى نور شمس البرّ، ربنا يسوع مشرقًا عليهم.

٦. قوات غير المعتادة

"وكان اللَّه يصنع على يديّ بولس قوات غير المعتادة". [١١]

ثبت الله كرازة الرسول بولس وتعليمه بصنع الآيات والعجائب.

لم نسمع عن آيات صنعها الرسول بولس منذ إخراج الروح الشرير من العرافة في فيلبي. فلم يذكر أنه صنع آيات في تسالونيكي وبيريه وأثينا، فهل صنع آيات لم يسجلها لوقا البشير؟ غالبًا حيثما كانت كلمة الإنجيل تنجح، لم تكن توجد حاجة لعمل الآيات. أما حينما توجد مقاومة شديدة، فإن الله يسند العمل بالآيات. ففي أفسس وُجدت مقاومة شديدة وشتائم من اليهود والأمم، لهذا "كان الله يصنع على يدي بولس قوات غير المعتادة". هذا وإننا لا نتجاهل أن القديس بولس لم ينشغل بتسجيل كل الآيات والقوات. ففي كورنثوس كما يقول الرسول وجدت آيات على رسولية تمت بينهم بأعمال عجيبة وقوات (٢ كو ١٢: ١٢)، ومع هذا لم يسجل لنا لوقا البشير آية واحدة مما صنعها الرسول هناك.

لقد اقتضت ظروف أفسس أن يصنع الله على يديه قوات غير المعتادة، أي لم يفعلها رسول آخر.

"حتى كان يؤتى عن جسده بمناديل أو مآزر إلى المرضى،

فتزول عنهم الأمراض،

وتخرج الأرواح الشريرة منهم". [١٢]

إذ كان عدو الخير يعمل بكل قوةٍ خلال عظمة أرطاميس، سند الرب كنيسته فأعطى الرسول أن يصنع قوات غير معتادة (أع ١٩: ١١-١٢)؛ وكان اسم يسوع يتعظم (أع ١٩: ١٧)، وجاء كثيرون بكتب السحر يحرقونها أمام الجميع، قُدرت أثمانها بخمسين ألفًا من الفضة. هكذا كانت كلمة الرب تنمو وتقوى بشدة (أع ١٩: ١٩-٢٠).

هكذا قدرما سيطرت قوات الظلمة على أفسس عمل الرب بقوة ليجتذب السحرة أنفسهم للإيمان.

لم يكن بولس الرسول هو الذي يصنع القوات غير المعتادة، إنما كان هو الأداة المقدسة التي يستخدمها الله. إذ يقول: "من هو بولس؟ ومن هو أبولس؟"

لقد قدس الله ليس فقط جسده بل وحتى المناديل والمآزر التي على جسمه الضعيف، فتوضع على المرضى ومن بهم أرواح شريرة. وهكذا حقق الله وعده لتلاميذه أنهم يفعلون أعمالاً أعظم مما فعلها (لكن باسمه). وأكد أنه أعطاهم سلطانًا على الأرواح النجسة وأن يشفوا كل الأمراض (مت ١٠: ١).

v صار الكلمة جسدًا لكي يغير جسدنا إلى روح... ولكي يقدس الجسد كله معه، إذ فيه تقدست البكور.

القديس غريغوريوس النيسي

٧. أبناء سكاوا المعزمين

"فشرع قوم من اليهود الطوّافين المعزمين،

أن يسموا على الذين بهم الأرواح الشريرة باسم الرب يسوع،

قائلين: نقسم عليك بيسوع الذي يكرز به بولس". [١٣]

يقتبس هنا لوقا البشير مثلاً عن مدى تأثير خدمة القديس بولس في أفسس. فإن بعض العزامين الذين يدعون انهم يخرجون الشياطين فيطوفون أفسس للمكسب المادي، ظنوا أنهم يمارسون هذا العمل بقوة اسم يسوع الذي يكرز به بولس، هؤلاء اليهود شاهدوا القوات غير المعتادة التي وهبت للرسول، فعوض أن يؤمنوا أرادوا استخدام قوة الاسم في عمل السحر.

الكلمة اليونانية المترجمة **طوّافين** تشير إلى شخص يطوف وهو عاطل سيئ، ليس له موضع يقيم فيه. هؤلاء كانوا كثيرون في العالم، عملهم أن يطوفوا لعمل السحر والادعاء أنهم يخرجون الأرواح الشريرة، بأن يقسموا عليه باسم الله لكي يخرجوا.

"وكان سبعة بنين لسكاوا رجل يهودي رئيس كهنة الذين فعلوا هذا". [١٤]

v تطلعوا إلى خسة الناس! لقد استمروا كيهود بينما حاولوا الانتفاع من هذا الاسم. كل ما فعلوه من أجل المجد والنفع المادي.

القديس يوحنا الذهبي الفم

كلمة سكاوا يونانية، ولا يُعرف رئيس كهنة بهذا الاسم. وإن كان رئيس كهنة، فلماذا يعيش في أفسس؟ لذا يرى البعض أنه أقام نفسه أو أقامه بعض اليهود رئيس كهنة. ويرى آخرون انه ربما ينتسب لعائلة هرون الكهنوتية، ولعله كان عضوًا في مجمع السنهدرين، وقد ترك أورشليم ليعيش في أفسس، أو كان يجول مع أبنائه من بلد إلى آخر كخدام لإبليس، يدعون القدرة على إخراج الشياطين وممارسة السحر.

هذه الخرافة كما يقول يوسيفوس المؤرخ انتشرت بين اليهود بعد أن وضع سليمان بعض التعاويذ لشفاء الأمراض وإخراج الشياطين، ولعل السيد المسيح قد أشار إلى هؤلاء في مت ١٢: ٢٧.

حقًا إنه لأمر محزن أن السبط الذي قدسه الله لخدمته وبيت هرون الذي خصصه ككهنة له، قد انحرف ليصير منهم خدام لإبليس يمارسون السحر والرقي باسم الله نفسه، ليس تكريمًا لله، ولا إيمانًا بقدرته، وإنما لممارسة السحر الشيطاني. لهذا يصرخ الرسول: "هل من شركة بين المسيح وبليعال؟"

لا نعجب إن كان إبليس وجنوده أحيانًا يُظهرون نوعًا من الغيرة على اسم الله، لكن في كل الحالات ما يودونه هو تدمير خلاص البشر، لهذا لم يقبل السيد المسيح ولا رسله شهادتهم حتى وإن بدت صحيحة.

إن كنا نقاوم إبليس بروح الحق، بالإيمان الحي خلال ميثاقنا مع الله فحتمًا نحطمه؛ أما إن حسبنا أننا بمجرد ترديد اسم الله وخلال الشكل نقاومه، فإنه يقوى علينا ويصيب نفوسنا بجراحات خطيرة ويفضح عرينا الداخلي من نعمة الله.

يمكن سر غلبتنا على إبليس لا في النطق باسم يسوع دون الحياة معه بنعمته. لذا يقول **الأب ثيؤدورت أسقف كورش** [بعد أن أعلن بولس عن العدو أشار إلى المخلص (رو ٦: ٢٠). الذين ينالون نعمة الله لن يُغلبوا قط].

- ليت الله ينصركم، ليس من الخارج على عدوكم، وإنما من الداخل على أنفسكم.
- لا ترهب العدو الذي يأتي من الخارج، فإنك إن غلبت نفسك ستصير غالبًا للعالم.

القديس أغسطينوس

- دُعي الشيطان قويًا ليس لأنه بالطبيعة هو هكذا، إنما بالإشارة إلى سلطانه الذي صار له بسبب ضعفنا.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"فأجاب الروح الشرير، وقال:

أمّا يسوع فأنا أعرفه، وبولس أنا اعلمه،

وأمّا أنتم فمن أنتم؟" [١٥]

لقد أدركت الأرواح الشريرة أنهم يفعلون هذا ليس عن إيمان بقوة يسوع المسيح للخلاص والتمتع بالملكوت، وإنما بإساءة استخدام هذا الاسم، لهذا وإن اقسموا باسم يسوع لا يحملون قوته. فيقول

الروح الشرير: "**وأما أنتم فمن أنتم؟**" يعنى: أين هي قوتكم؟ فإنكم لا تنتمون ليسوع، ولا تدركون إمكانية بولس الكارز باسم يسوع، فليس من حقكم أن تفعلوا آيات باسمه"

v واضح أن الأرواح النجسة لا تقدر أن تجد لها طريقًا في أجساد من اغتصبتهم بأي وسيلة ما لم تملك أولاً علي عقولهم وأفكارهم فتسلب منهم مخافة الله وتذكره والتأمل فيه، وبهذا تتجاسر فتتقدم إليهم كمن هم بلا حصانة إلهية، وتقيدهم بسهولة وتجد لها موضعًا فيهم، كما لو كان لها حق الملكية عليهم.

الأب سيرينوس

"فوثب عليهم الإنسان الذي كان فيه الروح الشرير،

وغلبهم وقويَ عليهم،

حتى هربوا من ذلك البيت عراة ومجروحين". [١٦]

v تظهر قوة الشياطين عظيمة حينما تكون ضد غير المؤمنين، لأنه لماذا لم يقل: "**من هو يسوع؟**" كان خائفًا لئلا هو نفسه أيضًا يسقط تحت العقوبة، لكن سمح له أن ينتقم من الذين سخروا به، لقد قال: "**أما يسوع فأنا أعرفه**". لقد كان خائفًا من بولس. لأنه لماذا هؤلاء البؤساء لم يقولوا له: نحن نؤمن؟

القديس يوحنا الذهبي الفم

"وصار هذا معلومًا عند جميع اليهود واليونانيين الساكنين في أفسس،

فوقع خوف على جميعهم،

وكان اسم الرب يسوع يتعظم". [١٧]

لم يكن يهدف عدو الخير نحو تمجيد الله، لكنه وجد الفرصة متاحة لإيذاء السبعة بنين، أما الله الصالح فحوّل حتى هذا الحدث لبنيان الكنيسة، إذ وقع خوف الرب على جميع اليهود والأمم الساكنين في أورشليم، وتعظم اسم الرب يسوع أمام كثيرين.

v تولد مخافة الرب الحقيقيّة من الإيمان الحقيقي،

فمن يؤمن حقيقة، حقًا يخاف ذاك الذي يؤمن به...

يولد الإيمان من البساطة الطبيعيّة،

كما يحفظ ويثبت أيضًا بتلك البساطة...

تحافظ البساطة على الإيمان،

وتحافظ مخافة الرب على وصايا اللَّه.

v "لنتحدّث عن مخافة الرب بفكر يخاف الرب".

فانه لا يريد أن يقترب إلى هذا الموضوع ليستعرض أفكارا فلسفية، أو ليدخل في حوار عقلاني جاف، وإنما تحت قيادة مخافة الرب يدخل كما إلى المقادس عن العلاقة بين الله والإنسان كحياة عاشها الآباء وتسلّمها جيله. وكأنه يقول: "أتريد أن تتعرف على مخافة الرب؟ أطلب من الرب مخافة الرب هذه لتدخل بفكرك المقدس إلى أعماق نفسك، وتكتشف عمل اللّه العجيب في وفيك!"

إنه لا يريد "مخافة" الجدل والكلام، وإنما مخافة خبرة الروح الحية!

الفكر البشري هو هبة يقدّمها الله للإنسان، تحتاج أن تدخل في دائرة مخافة الرب، تقوده كطفل صغير في رعاية أبيه أو أمه، يسير معها ليتعرّف على أسرار الحياة ويتدرّب وينمو وينضج!

مار فيلوكسينوس أسقف منبج

"وكان كثيرون من الذين آمنوا يأتون مقرين،

ومخبرين بأفعالهم. [١٨]

لعل بعض الذين آمنوا واعتمدوا أخفوا بعض خطاياهم، ولم يقدموا توبة جادة. هذا الحدث أرعبهم، فإنه لا يكفي التمسك باسم الرب يسوع، بل يلزم التجاوب مع عمل روحه القدوس، والسلوك حسب العهد الجديد الذي التزموا به. هؤلاء جاءوا في مخافة لرب يعترفون بكل ما في أعماقهم! هكذا تحول الحدث إلى توبة الكثيرين واعترافهم لدى الرسل والتلاميذ، كما جذب بعضًا من غير المؤمنين إلى الإيمان الحي.

"وكان كثيرون من الذين يستعملون السحر،

يجمعون الكتب،

ويحرقونها أمام الجميع،

وحسبوا أثمانها، فوجدوها خمسين ألفًا من الفضة". [١٩]

٨. حرق كتب السحر

أدرك كثير من السحرة وهواة الأعمال السحرية ضعف قوة إبليس وكل جنوده أمام اسم الرب يسوع، إن صدر عن قلب له شركة معه ونفس مقدسة له. في جدية جاء كثيرون بكتب السحر التي كانوا يستعملونها وكانوا يحرقونها علانية، دون أية اعتبار لبهاظة أثمانها.

كما كانوا يمارسون السحر علانية، حرقوا كتب السحر علانية أمام الجميع، معلنين توبتهم ومعترفين بخطأهم. قدموا كل رصيدهم، كتب السحر الثمينة، ليعلنوا عدم الرجوع إلى السحر، ما كانوا يظنونه مصدر رزقهم بل وغناهم لم يعد ذات قيمة بل صار أشبه بوباءٍ يريدون الخلاص منه. ولعل حرق الكتب علانية كان تعبيرًا عن روح الفرح بالنصرة على عدو الخير والبهجة بخلاص السيد المسيح.

"هكذا كانت كلمة الرب تنمو وتقوى بشدة". [٢٠]

بينما كانت أعمال إبليس التي تجلت بالأكثر في أعمال السحر تتحطم، كانت كلمة الرب تنمو وتتشدد، حيث يدرك المؤمنون أعماق جديدة للكلمة وينجذب غير المؤمنين للتمتع بالكلمة.

٩. اضطراب في أفسس

"ولمّا كملت هذه الأمور،

وضع بولس في نفسه أنه بعدما يجتاز في مكدونية وآخائية،

يذهب إلى أورشليم قائلاً:

أني بعدما أصير هناك ينبغي أن أرى رومية أيضًا". [٢١]

كانت شهوة قلب بولس كرسول للأمم أن يشهد لمسيحه في روما بكونها عاصمة العالم الأممي في ذلك الحين. لقد وضع الله ذلك في قلبه؛ وضع خطة لزيارة كنائس مكدونية وأخائية، خاصة فيلبي وكورنثوس المدينتين الرئيسيتين لهاتين الولايتين [٢١]. أراد زيارة الكنائس التي غرسها ليطمئن على عمل الله في حياة هذه الكنائس. كما وضع في خطته أن يذهب إلى أورشليم لكي يبهج قلوب الإخوة بعمل الله وسط الأمم، ويقدم هبات الكنائس التي جمعها لفقراء أورشليم، ومن هناك يذهب إلى روما وهو في طريقه إلى أسبانيا (رو ١٥: ٢٤، ٢٨).

"فأرسل إلى مكدونية اثنين من الذين كانوا يخدمونه،

تيموثاوس وأرسطوس،

ولبث هو زمانًا في آسيا". [٢٢]

تيموثاوس: كان الشخص المناسب لإرساله إلى مكدونية، إذ سبق أن كان هناك مع الرسول بولس، عندما قام بتأسيسها (أع ١٦: ٣؛ ١٧: ١٤).

أرسطوس أمين خزانة الملك أو المدينة (رو ١٦: ٢٣)، لذلك فهو الشخص المناسب إرساله مع تيموثاوس بغرض الجمع لفقراء أورشليم.

"**لبث زمانًا في آسيا**"، في أفسس، حتى يتهيأ الجمع للفقراء، وبقي مع القديس لوقا.

"وحدث في ذلك الوقت شغب ليس بقليل بسبب هذا الطريق". [٢٣]

قرار بولس الرسول بترك أفسس نفذ بأكثر سرعة، حيث حدث شغب ليس بقليل بسبب الإيمان المسيحي والتعاليم المسيحية التي كان يكرز بها الرسول بولس. فقد كانت أفسس مركز عبادة الآلهة العظيمة أرطاميس (وتدعى باللاتينية ديانا). يحسبونها الإلهة الأم لآسيا الصغرى، تعرف سبلة Cybele، وكان البعض يعتبر هيكل أرطاميس أحد عجائب الدنيا السبع.

"لأن إنسانًا اسمه ديمتريوس صائغ صانع هياكل فضة لأرطاميس،

كان يكسب الصناع مكسبًا ليس بقليل". [٢٤]

كانت هذه الهياكل الصغيرة على شكل الهيكل، وتوضع فيها الآلهة ديانا. تُصنع من الخشب أو المعادن النفيسة ويضعها المتعبّدون في رقابهم كتعويذة لحمايتهم. كان الهيكل به باب واحد من الجنب يُغلق لحفظ الآلهة في الداخل.

كان صناعة هياكل صغيرة من الفضة أو تماثيل للإلهة أرطاميس تجارة مربحة للغاية. وإذ نجحت خدمة الرسول بولس انهارت هذه التجارة، لذلك عقد شخص يدعى ديمتريوس اجتماعًا لصانعي التماثيل الفضية، وأوضح لهم الخطر الذي يحدق بهم. لقد عرف الوثنيون بحمل تماثيل صغيرة، تمثل آلهتهم أينما ذهبوا، كما اشتهر الرومانيون بوضع تماثيل الآلهة في بيوتهم. أشير إلى هذه العادة في أيام لابان (تك ٣١: ١٩) حيث سرقت راحيل ابنته تماثيله. وجاء في سفر القضاة عن ميخا الذي كان له بيت آلهة (قض ١٧: ٥). وذكر مثل هذا في ١ صم ١٩: ١٣ ؛ هو ٣: ٤. هذه التماثيل كانت غالبًا ما توضع في صندوق صغير من الخشب أو الحديد أو الفضة.

أرطاميس: أحد أشهر اثني عشر إلهًا تدعى في السماء لونا Luna أو ميو Meui وتعني القمر، وعلى الأرض أرطاميس أو ديانا، وفي جهنمHecate . أحيانا كانت تُمثل بهلال يوضع على يدها، وترتدى ثياب صيد، وأحيانا تصور بثلاثة وجوه، معها أدوات تعذيب. ينظر إليها بأنها إلهة الصيد. تُعبد خلال أسماء متنوعة مثل بروسيربين Proserpine وتريافا Triavia الخ. تصور بعديد من الثدي إشارة إلى أنها مصدر البركات، توزعها لكل واحد حسب حالته. كانت تعبد في مصر وأثينا وكيليكية وفي وسط أمم كثيرة، لكن مركزها الرئيسي هو أفسس.

"فجمعهم والفعلة في مثل ذلك العمل، وقال:

أيها الرجال،

أنتم تعلمون أن سعتنا إنما هي من هذه الصناعة". [٢٥]

لم يلجأ ديمتريوس إلى الحكام أو القضاة، بل إلى أصحاب المصالح المادية والعمال الذين كل ما يشغلهم في هذه العبادة مكسبهم المادي. إنه الطريق السهل للكسب وأحيانا للغنى أن يسيء الإنسان استغلال الدين، فيصير مصدر غنى وسعة.

"وأنتم تنظرون وتسمعون أنه ليس من أفسس فقط،

بل من جميع آسيا تقريبًا،

استمال وأزاغ بولس هذا جمعًا كثيرًا قائلاً:

أن التي تصنع بالأيادي ليست آلهة". [٢٦]

قيل أنه كان يوجد ٣٣ مركزًا لعبادة الإلهة أرطاميس. يقولون: أنتم تنظرون في أفسس وتسمعون عن بلاد كثيرة في آسيا الصغرى كيف اجتذب جمعًا كثيرًا لرفض العبادة الوثنية. هذه شهادة من الوثنيين أنفسهم عن نجاح خدمته، ليس فقط في أسيا، وإنما في بلاد كثيرة في آسيا الصغرى.

"فليس نصيبنا هذا وحده في خطر من أن يحصل في إهانة،

بل أيضًا هيكل أرطاميس الآلهة العظيمة أن يُحسب لا شيء،

وأن سوف تهدم عظمتها،

هي التي يعبدها جميع آسيا والمسكونة". [٢٧]

يكشف ديمتريوس عن مدى الخطورة التي تحل بهم، حيث أن انتشار الإيمان حتمًا يسبب غلق متاجر هؤلاء الصناع، وتبطل صياغة هياكل أرطاميس الفضية. لا يقف الأمر عند فقدان مصدر رزقهم، وإنما تحصل له إهانة بكونهم يعبدون آلهة باطلة. ولكي يثيرهم دينيًا يعلن لهم أن ما هو أخطر أنه يهين الإلهة التي تتعبد لها جميع آسيا والمسكونة.

كأن كرازة الرسول بولس تسبب لهم ثلاثة خسائر خطيرة:

أولاً: حرمانهم من المكسب المادي، فيصبهم الفقر والعوز.

ثانيًا: فقدانهم كرامتهم بكونهم يعملون لحساب آلهة باطلة، وهذا أخطر من الخسارة المادية.

ثالثًا: تشويه صورة الإلهة العظيمة أرطاميس التي تتعبد لها المسكونة، وهذا ما لا يحتمله أحد!

"فلما سمعوا امتلأوا غضبًا،

وطفقوا يصرخون قائلين:

عظيمة هي أرطاميس الأفسسيين". [٢٨]

إذ سمع الصناع أن مهنتهم وإلهتهم في خطر امتلئوا غضبًا ضد الإنجيل والكارزين به. وإذ لم يجدوا علة حقيقية لقتل الرسول بولس ليشتكوا بها عليه هو ورفقائه، أثاروا ضجيجًا وصخبًا شعبيًا.

"فامتلأت المدينة كلها اضطرابًا،

واندفعوا بنفس واحدة إلى المشهد،

خاطفين معهم غايوس وأرسترخس المكدونيين،

رفيقي بولس في السفر". [٢٩]

خطفت الجماهير غايس وارسترخس، الأول من دربة (أع ٢٠: ٤)، والثاني أشير إليه في أع ٢٠: ٤؛ كو ٤: ١٠. الجريمة الموجهة إليهما أنهما في صحبة الرسول بولس ومرافقان له في سفره. ولعل الجماهير أرادت تقديمهما للوحوش المفترسة في **المشهد** "المسرح". كان المسرح اليوناني هو مكان التجمعات الشعبية، وأيضًا للانتخابات والمحاكمات، وفيه أيضًا يُقدم المجرمون للوحوش المفترسة.

"ولمّا كان بولس يريد أن يدخل بين الشعب،

لم يدعه التلاميذ". [٣٠]

إذ رأى الرسول بولس هذه الصخب الشعبي هرب، لكنه إذ وجدهم قد اختطفوا رفيقيه أراد تسليم نفسه للجمهور، لينقذ حياتهما من خلال محبته لهما، لكن التلاميذ أمسكوه ولم يسمحوا له بهذا. وكأنهم قالوا له ما قاله خدام داود للملك بأنه هو أفضل من ربوة منهم (٢ صم ١٨: ٣).

لعل بولس الرسول أراد بدخوله وسط الجماهير أن يتحدث معهم مدافعًا عن نفسه وعن صديقيه، أو ليشهد لهم بطريق أو آخر عن الإنجيل.

"وأناس من وجوه آسيا كانوا أصدقاءه،

أرسلوا يطلبون إليه أن لا يسلّم نفسه إلى المشهد". [٣١]

لقد سمع بعض الأشخاص من القادة (وجوه) في آسيا وكانوا أصدقاء له فأرسلوا إليه ألا يسلم نفسه، إذ أدركوا خطورة الموقف. "وجوه أسياAsiarchae هم قادة مسئولون عن حفظ الخدمات الدينية المناسبة، يُختارون للإشراف على المقدسات والألعاب العامة التي تُقام تكريمًا للآلهة وللإمبراطور الروماني في الأعياد الشعبية. كان دورهم شبه ديني، كان بعض السلطان يدعونهم كهنة، ويحسبون عملهم كهنوتيًّا. في كل عام كان يُختار عشرة من المواطنين ذوي الشخصيّات السامية للمدن الكُبرى لهذا المركز. هؤلاء يُختارون سنويًا، ويلزم موافقة روما عليهم، ويُمكن إعادة تعيين الشخص. وكانوا يعقدون مجلسًا في المدينة الرئيسية للولايات مثل أفسس وسميرنا وساردس الخ. لتدبير هذه الأمور والتشاور معًا. كانوا بالضرورة أغنياء جدًا لأن هذه الألعاب تكلفتها باهظة، وكان الوجهاء ملتزمين بالانفاق عليها. عند ممارستهم للعمل يرتدون ثيابًا أرجوانيّة، ويحملون أكاليل . أما إن كان العشرة يشرفون معًا على الألعاب أو يقوم أحدهم بالعمل ويساعده الآخرون، فهو أمر غير مؤكّد.

في هذه اللحظات التي كانت الجماهير ثائرة كان المجلس منعقدًا، وكانوا قد سمعوا الرسول بولس وأحبوه وصاروا له أصدقاء. لكن ليس بالضرورة أن يكونوا قد صاروا بعد مسيحيين، إنما كانوا يكنون الحب والتقدير لشخصية الرسول بولس، وكانوا يودون الدفاع عنه. وكان يلزم امتصاص غضب الجماهير حتى يمكن السيطرة على الموقف دون أن يهلك الرسول ورفقاؤه.

يرى البعض أن شخصًا واحدًا كان هو الرئيس الذي يهتم بعبادة الإمبراطور في الاحتفالات الشعبية، لكن البقية كانوا رؤساء سابقين، ربما كان الرئيس في ذلك الحين مجتمعًا معهم للتشاور في بعض الأمور والانتفاع بخبرتهم السابقة.

لعل تلاميذ الرسول وهؤلاء الوجوه رأوا أن تسليم بولس نفسه للجماهير يلهب الموقف بالأكثر، فستعامله الجماهير بعنفٍ شديدٍ وقد تقتله، وليس بذات المعاملة التي يعاملون بها رفيقيه. فالأفضل أن ينتظر حتى يتهيأ الجو للقاء مع الجماهير بعد إقامة محفل للقضاء.

"وكان البعض يصرخون بشيء،

والبعض بشيء آخر،

لأن المحفل كان مضطربًا،

وأكثرهم لا يدرون لأي شيء كانوا قد اجتمعوا". [٣٢]

كان البعض يصرخ مطالبًا بقتل اليهود بوجه عام، وآخرون بقتل بولس ومن معه، والغالبية العظمى لا تعرف لماذا اجتمعت، ولماذا هذه الثورة.

"فاجتذبوا إسكندر من الجمع،

وكان اليهود يدفعونه،

فأشار إسكندر بيده يريد أن يحتج للشعب". [٣٣]

إذ شعر اليهود أنهم في خطر، لأن كثير من المجتمعين لا يميزون بين بولس وبين اليهود، لهذا دفعوا الكسندر للحديث معهم لتهدئتهم. يرى جروتس Grotius أنه الكسندر الحداد الذي صنع شرورًا لبولس الرسول (٢ تي ٤: ١٤)، وإن كان بعض الدارسين يرفضون ذلك. لقد وقف بين الجماهير، فعرفت أنه يهودي. وقف لا ليدافع عن نفسه، وإنما عن اليهود ككل.

"فلما عرفوا أنه يهودي صار صوت واحد من الجميع،

صارخين نحو مدة ساعتين:

عظيمة هي أرطاميس الأفسسيين". [٣٤]

إذ عرفت الجماهير أنه يهودي ثارت بالأكثر وهي تصرخ لمدة ساعتين، لأنهم كانوا يتطلعون إلى المسيحيين أنهم شيعة يهودية. لقد أرادوا أن يبكموا اسكندر فلا يتكلم.

"ثم سكن الكاتب الجمع، وقال:

أيها الرجال الأفسسيون،

من هو الإنسان الذي لا يعلم أن مدينة الأفسسيين متعبدة لأرطاميس الإلهة العظيمة،

والتمثال الذي هبط من زفس". [٣٥]

ظهر كاتب المدينة أو سكرتير مجلس المدينة، كان يقوم بنساخة الكتب، ويلزم أن يكون ضليعًا في القانون وذا ثقافة عالية (٢ صم ٨: ١٧؛ عز ٧: ١١،٦-١٢؛ مت ٥: ٢٠؛ ١٢: ٣٨؛ ١٣: ٥٢؛ ١٥: ١؛ ٢٣: ٣٤؛ ١ كو ١: ٢٠).

تحدث معهم باللغة التي تهدئهم من ثورتهم، مؤكدًا لهم أن هذه الإلهة العظيمة النازلة من السماء لا يمكن أن يدمرها قلة قليلة جدًا من اليهود. لقد وبخهم على مخاوفهم غير اللائقة بعظمة أرطاميس.

"فإذ كانت هذه الأشياء لا تُقاوم،

ينبغي أن تكونوا هادئين،

ولا تفعلوا شيئًا اقتحامًا". [٣٦]

يؤكد لهم أنه إن كان لا يستطيع أحد أن يطفئ غيرة الأفسسين على عبادتهم لأرطاميس، وإخلاصهم لها، وبالتالي فليس من خطر على هذه العبادة بسبب قلة شريرة من اليهود، فلا مجال لهذا الهياج. وكأنه يقول لهم هذا الهياج يهين العبادة فتظهرون كأنها ضعيفة ومعرضة للخطر بلا سبب.

"لأنكم أتيتم بهذين الرجلين،

وهما ليسا سارقي هياكل،

ولا مجدّفين على آلهتكم". [٣٧]

يقول أن هذين الرجلين ليسا منجسين للهيكل، ولا سارقين لهيكل ديانا أو غيرها. لقد كرزا ضد العبادة للتماثيل، لكنهما لم يلزما أحد باستخدام العنف ضد الهياكل ولا حاولا تعطيل العبادة. ما فعلاه إنما بالحوار السلمي.

"فإن كان ديمتريوس والصنّاع الذين معه لهم دعوى على أحد،

فإنه تُقام أيام للقضاء،

ويوجد ولاة فليُرافعوا بعضهم بعضًا". [٣٨]

إن كان ديمتريوس والصناع قد أصابهم أذى، فأبواب القضاء مفتوحة، ويمكن تحديد أيام للمحاكمة في هدوء وبحكمة، والولاة أو القضاة الرومانيون مستعدون أن يسمعوا كل الأطراف.

"وإن كنتم تطلبون شيئًا من جهة أمور أخرى،

فإنه يُقضى في محفل شرعي". [٣٩]

يؤكد لهم الكاتب أنه إن كانت هناك أية شكاوي أخرى، فالقضاء مستعد للاستماع بمحفلٍ شرعي وليس بالهياج والثورة، حتى يمكن تحقيق العدالة وتنفيذ القانون.

"لأننا في خطر أن نحاكم من أجل فتنة هذا اليوم،

وليس علّة يمكننا من أجلها أن نقدم حسابًا عن هذا التجمع". [٤٠]

يوضح الكاتب أن هذا الهياج يسيء إلى سمعة المدينة لدى روما، لأنه بلا ترتيب ولا نظام، ويتجاهل الإجراءات القانونية السليمة. يلزمهم أن يتذكروا أن من يشترك في هياج هكذا يحسب جريمة يعاقب عليها القانون الروماني بالإعدام.

"ولمّا قال هذا صرف المحفل". [٤١]

إذ خشي الكثيرون لئلا يُقبض عليهم، ويُحاكموا بجريمة التظاهر والشغب، انسحبوا، فانصرف المحفل كله.

من وحي أع ١٩

هزيمة الشيطان في أفسس

- وهبت رسولك بولس روح الرجاء المفرح.

لم يهتز للمضايقات التي لم تفارقه.

دخل إلى أفسس، وكأنه دخل إلى عرين آخر للأسد.

كان يعلم أن التجارب تلاحقه،

ويدرك أن نعمتك تهب تعزيات لا حصر لها.

- جذب الكثيرين لقبول المعمودية باسمك،

ووضع يديه عليهم، فحل روحك القدوس عليهم.

نالوا ختم الروح، فصاروا في ملكيتك.

نالوا الختم الملوكي، فصاروا ملوكًا!

حملوا سمتك، فلن يقدر العدو أن يقترب إليهم.

- طُرد بولس الرسول من المجمع.

فتمتع ببركة الطرد خارج المحلة معك.

وكأنه صار يرافقك في طريق الجلجثة، ليصلب معك هناك!

- طُرد من المجمع، الذي لا تجد فيه موضعًا تسند راسك.

انطلق للخدمة بين الأمم،

تسنده نعمتك بعجائبٍ فائقة.

انهارت قوى إبليس وتحطم!

- ظن أبناء سكاوى اسمك سحرًا،

وباسمك حسبوا أنهم يخرجون أرواحًا شريرًا.

كيف يخرجون الشيطان من آخرين،

وهو يقيم في بني سكاوا أنفسهم؟

كيف يستخدمون اسمك الذي ينادي به رسولك،

دون أن يتمتعوا بنعمتك؟

- انكشف عدو الخير تمامًا،

وتعرى ليدرك السحرة ضعفه.

أتوا بكتب السحر وحرقوها،

لكي تعمل نيران الروح القدس فيهم.

وطأوا قوات الظلمة تحت أقدامهم،

فقد أشرق نور برّك عليهم.

- أثار العدو أتباعه.

وظن ديمتريوس الصائغ أنه قادر على الخلاص من سفرائك.

أعمت محبة الفضة عينيه.

فادعى أنه يدافع عن إلهته أرطاميس!

لكن ذراعك الرفيعة تسند على الدوام خدامك.

لك المجد أيها الرب السماوي!

١ فحدث فيما كان ابلوس في كورنثوس ان بولس بعدما اجتاز في النواحي العالية جاء الى افسس فاذ وجد تلاميذ
٢ قال لهم هل قبلتم الروح القدس لما امنتم قالوا له و لا سمعنا انه يوجد الروح القدس
٣ فقال لهم فبماذا اعتمدتم فقالوا بمعمودية يوحنا
٤ فقال بولس ان يوحنا عمد بمعمودية التوبة قائلا للشعب ان يؤمنوا بالذي ياتي بعده اي بالمسيح يسوع
٥ فلما سمعوا اعتمدوا باسم الرب يسوع
٦ و لما وضع بولس يديه عليهم حل الروح القدس عليهم فطفقوا يتكلمون بلغات و يتنبأون
٧ و كان جميع الرجال نحو اثني عشر
٨ ثم دخل المجمع و كان يجاهر مدة ثلاثة اشهر محاجا و مقنعا في ما يختص بملكوت الله
٩ و لما كان قوم يتقسون و لا يقنعون شاتمين الطريق امام الجمهور اعتزل عنهم و افرز التلاميذ محاجا كل يوم في مدرسة انسان اسمه تيرانس
١٠ و كان ذلك مدة سنتين حتى سمع كلمة الرب يسوع جميع الساكنين في اسيا من يهود و يونانيين
١١ و كان الله يصنع على يدي بولس قوات غير المعتادة
١٢ حتى كان يؤتى عن جسده بمناديل او مازر الى المرضى فتزول عنهم الامراض و تخرج الارواح الشريرة منهم
١٣ فشرع قوم من اليهود الطوافين المعزمين ان يسموا على الذين بهم الارواح الشريرة باسم الرب يسوع قائلين نقسم عليك بيسوع الذي يكرز به بولس

١٤ و كان سبعة بنين لسكاوا رجل يهودي رئيس كهنة الذين فعلوا هذا
١٥ فاجاب الروح الشرير و قال اما يسوع فانا اعرفه و بولس انا اعلمه و اما انتم فمن انتم
١٦ فوثب عليهم الانسان الذي كان فيه الروح الشرير و غلبهم و قوي عليهم حتى هربوا من ذلك البيت عراة و مجرحين
١٧ و صار هذا معلوما عند جميع اليهود و اليونانيين الساكنين في افسس فوقع خوف على جميعهم و كان اسم الرب يسوع يتعظم
١٨ و كان كثيرون من الذين امنوا ياتون مقرين و مخبرين بافعالهم
١٩ و كان كثيرون من الذين يستعملون السحر يجمعون الكتب و يحرقونها امام الجميع و حسبوا اثمانها فوجدوها خمسين الفا من الفضة
٢٠ هكذا كانت كلمة الرب تنمو و تقوى بشدة
٢١ و لما كملت هذه الامور وضع بولس في نفسه انه بعدما يجتاز في مكدونية و اخائية يذهب الى اورشليم قائلا اني بعدما اصير هناك ينبغي ان ارى رومية ايضا
٢٢ فارسل الى مكدونية اثنين من الذين كانوا يخدمونه تيموثاوس و ارسطوس و لبث هو زمانا في اسيا
٢٣ و حدث في ذلك الوقت شغب ليس بقليل بسبب هذا الطريق
٢٤ لان انسانا اسمه ديمتريوس صائغ صانع هياكل فضة لارطاميس كان يكسب الصناع مكسبا ليس بقليل
٢٥ فجمعهم و الفعلة في مثل ذلك العمل و قال ايها الرجال انتم تعلمون ان سعتنا انما هي من هذه الصناعة
٢٦ و انتم تنظرون و تسمعون انه ليس من افسس فقط بل من جميع اسيا تقريبا استمال و ازاغ بولس هذا جمعا كثيرا قائلا ان التي تصنع بالايادي ليست الهة
٢٧ فليس نصيبنا هذا وحده في خطر من ان يحصل في اهانة بل ايضا هيكل ارطاميس الالهة العظيمة ان يحسب لا شيء و ان سوف تهدم عظمتها هي التي يعبدها جميع اسيا و المسكونة
٢٨ فلما سمعوا امتلاوا غضبا و طفقوا يصرخون قائلين عظيمة هي ارطاميس الافسسيين
٢٩ فامتلات المدينة كلها اضطرابا و اندفعوا بنفس واحدة الى المشهد خاطفين معهم غايوس و ارسترخس المكدونيين رفيقي بولس في السفر
٣٠ و لما كان بولس يريد ان يدخل بين الشعب لم يدعه التلاميذ
٣١ و اناس من وجوه اسيا كانوا اصدقاءه ارسلوا يطلبون اليه ان لا يسلم نفسه الى المشهد
٣٢ و كان البعض يصرخون بشيء و البعض بشيء اخر لان المحفل كان مضطربا و اكثرهم لا يدرون لاي شيء كانوا قد اجتمعوا
٣٣ فاجتذبوا اسكندر من الجمع و كان اليهود يدفعونه فاشار اسكندر بيده يريد ان يحتج للشعب
٣٤ فلما عرفوا انه يهودي صار صوت واحد من الجميع صارخين نحو مدة ساعتين عظيمة هي ارطاميس الافسسيين
٣٥ ثم سكن الكاتب الجمع و قال ايها الرجال الافسسيون من هو الانسان الذي لا يعلم ان مدينة الافسسيين متعبدة لارطاميس الالهة العظيمة و التمثال الذي هبط من زفس
٣٦ فاذ كانت هذه الاشياء لا تقاوم ينبغي ان تكونوا هادئين و لا تفعلوا شيئا اقتحاما
٣٧ لانكم اتيتم بهذين الرجلين و هما ليسا سارقي هياكل و لا مجدفين على الهتكم
٣٨ فان كان ديمتريوس و الصناع الذين معه لهم دعوى على احد فانه تقام ايام للقضاء و يوجد ولاة فليرافعوا بعضهم بعضا
٣٩ و ان كنتم تطلبون شيئا من جهة امور اخر فانه يقضى في محفل شرعي
٤٠ لاننا في خطر ان نحاكم من اجل فتنة هذا اليوم و ليس علة يمكننا من اجلها ان نقدم حسابا عن هذا التجمع
٤١ و لما قال هذا صرف المحفل

الأصحاح العشرون

إقامة أفتيخوس في تراوس

وخطاب وداعي في ميليتس

كانت الضيقات في رفقة الرسول بولس، وكانت نعمة الله لا تفارقه، وكأنهما أختان ملازمتان له أينما حل. ففي الأصحاح السابق رأينا في أفسس أحرق السحرة كتب السحر، وأثار ديمتريوس الصائغ شغبًا لمحاكمة الرسول. وفي هذا الأصحاح يتمجد الله فيه حيث سقط الشاب أفتيخوس من الطاقة وحُمل ميتًا، لكن الرب أقامة على يدي رسوله. وفي ميليتس ألقى الرسول خطابًا وداعيًا لقسوس الكنيسة كشف عن مفهوم الرسول بولس العملي عن الرعاية.

١. مكيدة في هيلاس باليونان ١-٣.

٢. ذهابه إلى تراوس ٤-٦.

٣. أقامة أفتيخوس الشاب ٧-١١.

٤. ذهابه إلى ميليتس ١٣-١٦.

٤. خطابه الوداعي ١٧-٣٥.

٥. وداع حار مؤثر ٣٦-٣٨.

١. مكيدة في هيلاس باليونان

في تعليقه على هذا الإصحاح يقول متى هنري: [أسفار بولس التي قدمت هكذا في اختصار، لو سجلت كلها لكانت جديرة بالذكر وبارزة تستحق كتابتها بحروف من ذهب، ما كان يمكن للعالم أن يحوي الكتب التي كانت تُكتب، لهذا فما لدينا هو لمحات عامة عن الأحداث، وهي ثمينة لغاية...]

"وبعدما انتهى الشغب دعى بولس التلاميذ وودّعهم،

وخرج ليذهب إلى مكدونية". [١]

المُعتقد أن القديس لوقا تغاضى عن ذكر زيارة ثانية لكورنثوس لأنها كانت قصيرة جدًا، وكانت عبورًا سريعًا، خصوصًا إن القديس لوقا كان غائبًا لمدة ثلاث سنوات أثناء وجود بولس في أفسس. والآن يقوم الرسول بولس بزيارة ثالثة لكورنثوس كما جاء في ٢ كو ١٢: ١٤؛ ١٣: ١-٢.

كتب لكورنثوس لثالث مرة، ولم تسجل الرسالة السابقة للرسالة الأولى (١ كو ٥: ٩، ١١) لأنها كانت قصيرة للغاية، ولأنه كان فحواها ألا يخالط المؤمنون الاخوة الزناة. ويبدو أن أهل كورنثوس ظنوا عدم مخالطة كل الأشرار، وبهذا يحجمون عن التعامل مع أهل العالم تمامًا، لهذا

جاءت الرسالة التي نعتبرها الأولى تؤكد "ليس مطلقا زناة هذا العالم... وإلا فيلزمكم أن تخرجوا من العالم، وأما الآن فكتبت إليكم إن كان أحد مدعوًا أخًا زانيًا أو طماعًا أو عابد وثنٍ أو شتامًا أو سكيرًا أو خاطفًا أن لا تخالطوا ولا تؤاكلوا مثل هذا" (١ كو ٥: ١٠-١١). بهذا ما ورد في الرسالة الأولى بين أيدينا هو توضيح ما ورد في الرسالة السابقة لها المفقودة.

هكذا في مكدونية كتب الرسالة الثالثة لأهل كورنثوس والتي نحسبها الثانية وذلك في خريف ٥٧م. وفي شتاء ٥٨ كتب رسالته إلى أهل رومية.

غادر بولس الرسول أفسس بعد يوم الخمسين، أي في ربيع سنة ٥٧م متجها إلى الشمال.
"وودعهم (في أفسس) وخرج ليذهب إلى مكدونية (برا)، ولما كان قد اجتاز في تلك النواحي ووعظهم بكلام كثير جاء إلى هلاس فصرف ثلاث أشهر" [١-٣].

هنا قدم لنا القديس لوقا وصفًا مختصرًا للغاية، جاءت رسائل القديس بولس تكشف عن تفاصيل دقيقة لم ترد في سفر الأعمال، منها أنه إذ ترك أفسس انطلق الرسول إلى الشمال متنقلاً من مدينة إلى مدينة، ومن جزيرة إلى جزيرة حتى جاء إلى ترواس. غالبًا ما كان في رفقته اثنان من أفسس هما تيخكس وتروفيموس، رافقاه في الذهاب والعودة ومعهما إخوة آخرون.

إذ هدأ الشغب الذي أثاره ديمتريوس وصائغي الفضة (أع ١٩ :٤٠-٤١) حسب إن ما حدث هو إشارة من قبل نعمة الله أن يتحرك للخدمة في موضع آخر. خروجه من أفسس يهدئ من ثورة مقاوميه، ويعطى الكنيسة هناك جوًا من السلام.

يرى البعض أنه كتب رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس قبل خروجه حيث جاء فيها: "حاربت وحوشًا في أفسس"، مشيرًا بهذا إلى الشغب الذي حدث. وإن كان البعض يرى أنه بالفعل أُلقي في وسط وحوش جائعة والرب أنقذه.

لم يترك أفسس فجأة كمن هو خائف، بل في هدوءٍ دعاهم وودعهم بقبلة الحب كما كانت العادة في الكنيسة الأولى.

انطلق إلى الكنائس اليونانية التي قام بإنشائها لكي يسقي ما قد سبق فغرسه، مبتدأ بالكنيسة في كورنثوس كما كانت نيته قبل حدوث الشغب (أع ١٩: ٢١).

سجل لنا الرسول بولس تركه أفسس في رسالته الثانية إلى أهل كورنثوس. عندما وصل إلى ترواس وجد فرصة عظيمة للكرازة بالإنجيل، لكنه كان مغتمًا بالاضطرابات والانشقاقات التي كانت في كورنثوس، وكان الرسول قد بعث بتيطس إلى كورنثوس ليعالج هذه المشاكل الخطيرة بين المؤمنين هناك، وكان يتوقع اللقاء معه في ترواس. لم يستطع أن يصل إلى ترواس فتثقل قلب الرسول بولس وترك ترواس واتجه إلى مكدونية ليلتقي بمعينه (٢ كو ١٢- ١٣). أخيرا جاء تيطس من كورنثوس يحمل أخبار طيبة عن تحسن الأحوال في الكنيسة (كو ٧: ٥-١٦). عندئذ كتب الرسول رسالته الثانية وبعث بها مع تيطس وأخ آخر (٢ كو ٨: ١٧-١٩) وذلك قبل ذهابه إلى كورنثوس.

"ولمّا كان قد اجتاز في تلك النواحي،

ووعظهم بكلامٍ كثيرٍ جاء إلى هلاس". [٢]

من هناك قام بزيارة فيلبي وتسالونيكي، وكان يهتم بوعظهم والكرازة بينهم دون أن يقيد نفسه بزمنٍ معينٍ.

لم يسجل لنا القديس لوقا أنشطة الرسول بولس في هذه المناطق مكتفيًا بالعبارة التي بين أيدينا، وقد بقي ثلاثة شهور يفتقد الكنائس ويكرز في اليونان أو أخائية. هناك كتب رسالته إلى أهل رومية، فيها يعلن لهم عن رغبته في الذهاب إلى أورشليم، ومن هناك يذهب إلى روما (رو ١٥: ٢٢- ٢٩). ولعل الرسول لم يكن يعلم أنه سينطلق من أورشليم إلى روما أسيرًا من أجل الرب.

لم يذكر لوقا البشير غاية ذهاب الرسول إلى أورشليم، وهو أن يقدم ما جمعه بسخاء من مكدونية وآخائية لمساعدة فقراء أورشليم (رو١٥: ٢٥- ٢٧؛ ٢ كو ٨: ١-٩).

"**اجتاز في تلك النواحي**" في مكدونية وما حولها. ربما ذهب إلى مكدونية خلال ترواس حيث توقع وجود تيطس (٢ كو ٢: ١٢)، وإذ لم يجده ذهب إلى فيلبي وتسالونيكي الخ. ثم عاد إلى اليونان.

v لاحظوا كيف أنه في كل موضع يحقق كل وسائل الكرازة بدون معجزات.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"فصرف ثلاثة أشهر،

ثم إذ حصلت مكيدة من اليهود عليه،

وهو مزمع أن يصعد إلى سورية،

صار رأي أن يرجع على طريق مكدونية". [٣]

لم يسجل لنا القديس لوقا ما هي هذه المكيدة التي وضعت ضد بولس. يرى البعض أنها كانت هجومًا على السفينة أو القبض عليه داخل السفينة، لهذا قرر السفر برًا، وكان ذلك في صالح كنائس مكدونية حيث تمتعت بزيارة أخرى للرسول.

"**مزمع أن يصعد إلى سوريا**" في إنطاكية وذلك في طريقه إلى أورشليم.

٢. ذهابه إلى تراوس

"فرافقه إلى آسيا سوباترس البيري،

ومن أهل تسالونيكي أرسترخس وسكوندس وغايوس الدربي وتيموثاوس،

ومن أهل آسيا تيخيكس وتروفيمس". [٤]

أورد أسماء العاملين في كرم الرب المرافقين له في رحلته، غالبًا ما كانوا من تلاميذه.

سوباترس البيري: غالبًا ما يكون هو سوسباتير الوارد في رو ١٦: ٢١، الذي دعاه نسيبه.

تيموثاوس: كان من بين مرافقيه، مع أنه تركه في أفسس حين تركها الرسول، وبعد ذلك كتب له رسالته الأولى لتوجيهه للعمل ليس في أفسس فقط، بل وفي مناطق أخرى. بعد ذلك جاءه تيموثاوس ورافقه.

تروفيموس: من أفسس (أع٢٠: ٢٩). عندما كتب الرسول رسالته الثانية إلى تيموثاوس كان في مريضًا (٢ تي ٤: ٢٠).

تيخيكس: موضع ثقة الرسول بولس ومحبته الشديدة دعاه في رسالته إلى أهل أفسس الأخ المحبوب والخادم الأمين في الرب (أف ٦: ٢١-٢٢).

لماذا كان يسير القديس بولس وفي رفقته كثير من تلاميذه العاملين في الكرم؟

١. كان يقوم هو بالكرازة بالكلمة، وإذ يقبل أحد الإيمان يسلمه لأحد التلاميذ لكي يهتم بتعليمه وتدريبه على الحياة الإيمانية المقدسة.

٢. حيثما حلّ الرسول للخدمة كان عدو الخير يثير متاعب كثيرة في الداخل ومن الخارج. لهذا كثيرًا ما يحتاج الأمر إلى هؤلاء الخدام للعمل الداخلي، حتى لا ترتبك الكنيسة بالثورات ضد الرسول بولس.

٣. كانوا يرافقوه كتلاميذ يتدربون على يديه على الكرازة، ويتهيأوا للخدمة بذات المنهج.

٤. يرى البعض أنه إذ كان ضعيفًا في الجسد بسبب مرضٍ أو آخر، فقد كان تلاميذه سندًا له أثناء أسفاره الكثيرة.

"هؤلاء سبقوا وانتظرونا في ترواس". [٥]

سبقه أصدقاؤه ليلتقوا معه في ترواس، ويرافقه بعضهم، مثل تروفيموس، كل الرحلة حتى أورشليم (أع ٢١: ١٩).

هنا يعود القديس لوقا فيقول "**نحن**"، وقد استمر هكذا حتى أع ٢٠: ١٥ ليبدأ من جديد في أع ٢١: ١، مما يدل على أن الكاتب بقي في فيلبي في رحلة بولس الرسول الثانية التبشيرية (أع ١٦: ١٦)، وها هو يلتحق بالقديس بولس في فيلبي في بيت ليدية ويبقى معه حتى يبلغ أورشليم.

بقية مجموعة الأصدقاء سبقوا الرسول حتى ترواس. بقى الرسول في فيلبي يحفظ أسبوع الفطير، وبعد ذلك أبحر مع لوقا البشير إلى ترواس ليلتقيا مع الأصدقاء، وإن كان البعض يرون أنه يذكر هنا التوقيت لكن ليس بالضرورة قام بحفظ العيد.

يرى البعض أن الذين سبقوا هم تيخيكوس وتروفيموس وحدهما.

"وأمّا نحن فسافرنا في البحر بعد أيام الفطير من فيلبي،

ووافيْناهم في خمسة أيام إلى ترواس،

حيث صرفنا سبعة أيام". [٦]

لقد عبروا بحر الأيجيني، وقد أخذت هذه الرحلة قبلاً يومين فقط (أع ١٦: ١١-١٢)، فالسفر بالبحر غير مضمون لهذا قضى هنا خمسة أيام، لأن الريح ربما كانت غير مواتية.

ما كان يشغل ذهن الرسول بولس في أيام الفطير أن السيد المسيح هو فصحنا الذي ذُبح لأجلنا، والحياة المسيحية هي عيد الفطير الجديد (١ كو ٥: ٧-٨)، فقد جاء الحق ليحل محل الظل.

في ترواس: نقطة الانطلاق الأولى من آسيا إلى أوربا، حيث ظهر للرسول بولس رجل مكدوني في رؤيا يتوسل إليه: "أعبر إلينا وأعنا" (أع ١٦: ٩) وذلك في رحلته التبشيرية الثانية.

لم يتوقف الرسول كثيرًا في هذه المدينة في الرحلة الثانية، لكنه صمم في هذه الرحلة الثالثة أن يمكث فيها زمانًا ليؤسس خدمة ثابتة للمسيح وللإنجيل. "ولكن لما جئت إلى ترواس لأجل إنجيل المسيح، وانفتح لي باب في الرب، لم تكن لي راحة في روحي، لأني لم أجد تيطس أخي، لكن ودعتهم، فخرجت إلى مكدونية " (٢ كو ٢: ١٢، ١٣).

٣. أقامة أفتيخوس الشاب

"وفي أول الأسبوع إذ كان التلاميذ مجتمعين ليكسروا خبزًا،

خاطبهم بولس وهو مزمع أن يمضي في الغد،

وأطال الكلام إلى نصف الليل". [٧]

إذ كان الرسول مزمعًا أن يغادر المدينة في اليوم التالي بقي يعد للاحتفال بسرّ الإفخارستيا (كسر الخبز) يتحدث معهم إلى ساعات طويلة حتى منتصف الليل من فجر الأحد.

كانت الكنيسة الأولى تقدس يوم الرب "الأحد" (١ كو ١٦: ٢؛ رؤ ١: ١٠). هنا إشارة صريحة لتقديس يوم الأحد كيوم الرب في عصر الرسل، فيه تتم خدمة الكلمة والعبادة الجماعية بالاحتفال بسرّ الإفخارستيا. هذا ربما بجانب مشاركة بعض المسيحيين الذين من أصل يهودي اخوتهم اليهود العبادة يوم السبت في الهيكل في أورشليم بكونه الرمز ليوم الرب، حيث تذكار قيامة السيد المسيح وحلول الروح القدس على التلاميذ.

استمرت العظة حتى منتصف الليل، وذلك لأن الرسول كان يستعد للسفر، وكان الكل مشتاقًا إلى كلمة الله. وكأن كلمات الوداع للرسول هي تقديم كلمة الله كمصدر خلاص وتعزية له ولهم.

لا تفصل الكنيسة بين العبادة والاستماع إلى الكلمة، سواء خلال القراءات الروحية أو كلمة الوعظ. فالقراءات وكلمة الوعظ هي جزء لا يتجزأ من العبادة، وغاية العبادة التمتع بكلمة الله، واستنارة الذهن والقلب ليتقبل المؤمن أسرار الكلمة ويعيشها.

يقدم لنا **القديس يوحنا الذهبي الفم** وصفًا رائعًا للموقف كيف كان البيت مملوءً بالمصابيح، وقد وقف الرسول بولس في المنتصف، بينما امتلأ الموضع حتى جلس البعض في الطاقات. وأنه كان يحدثهم إلى منتصف الليل والكل ينصت باشتياق إليه. أما علة سهره هكذا فإنه كان يعلم أنهم لا يعودوا يرونه بعد، وأنه لم يقل هذا لهم بسبب ضعفهم حتى لا يخور. أما هذا الشاب فهو يوبخنا، لأنه كان يقاوم الطبيعة وهو يبذل كل الجهد باشتياق للاستماع للرسول بولس حتى منتصف الليل.

"وكانت مصابيح كثيرة في العُليّة التي كانوا مجتمعين فيها". [٨]

كانوا يجتمعون في العلية لسماع كلمة الوعظ والتمتع بسر الإفخارستيا، أما تأكيد "كانت مصابيح الكثيرة"، فليس بدون معنى، لأن الكنيسة منذ عصر الرسل كانت تهتم بالأنوار، لأنها تدعو للحياة في النور.

"وكان شاب اسمه أفتيخوس جالسًا في الطاقة متثقلاً بنوم عميق،

وإذ كان بولس يخاطب خطابًا طويلاً غلب عليه النوم،

فسقط من الطبقة الثالثة إلى أسفل وحُمل ميتًا". [٩]

افتيخوس، معناها "سعيد الحظ". يلومه بعض الدارسين أنه كان جالسًا في الطاقة، فلو أنه كان جالسًا أرضًا لما سقط، وكان قد بقي في أمان. لكن ربما كان له عذره في هذا فقد ازدحمت العلية بالحاضرين، ولم يكن يوجد موضع له ان يجلس أرضًا. أما تثقله بالنوم العميق فلا يعني عدم مبالاته بما يقوله الرسول، لكنه تثقل بضعف الطبيعة البشرية، فكان يقاوم فغفل في لحظات في نوم عميق.

لعل عدو الخير أراد أن يسبب اضطرابًا بسقوط هذا الشاب ميتًا، لكن الله بعنايته الفائقة حول الأمر لمجده وبنيان الكنيسة.

v الأمر المدهش أنه وهو شاب لم يكن متوانٍ ولا غير مبالٍ، ومع أنه شعر بأنه مثقل بالنوم لم يترك الموضع، ولا خشي أن يسقط. لقد نعس ليس عن توانٍ، إنما بسبب ضرورة الطبيعة. أسألكم أن تلاحظوا كيف كانوا ملتهبين بالغيرة حتى اجتمعوا في الدور الثالث إذ لم يكن لهم كنيسة بعد.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"فنزل بولس ووقع عليه،

واعتنقه قائلاً:

لا تضطربوا لأن نفسه فيه". [١٠]

"**وقع عليه**"، ربما تمدد عليه كما فعل أليشع مع ابن الشونمية (٢ مل ٤: ٣٣- ٣٥)، وهي علامة حنو شديد ورغبة حارة في إعادته للحياة.

v يقول: "**لا تضطربوا**". لم يقل: "إنه سيقوم إلى الحياة لأني سأقيمه"، بل لاحظوا تواضعه وهو يريحهم، قائلاً: "**لأن نفسه فيه**".

القديس يوحنا الذهبي الفم

"ثم صعد وكسر خبزًا وأكل،

وتكلّم كثيرًا إلى الفجر،

وهكذا خرج". [١١]

صعد بولس إلى العلية، وقدم له طعامًا، وليس الإفخارستيا، ثم عاد الرسل ليكمل أحاديثه، ربما تحول الموقف من مجموعة عظات يقدمها الرسل إلى حوارٍ مشترك. بلا شك أن إقامة الشاب قد خلقت جوًا أعظم من الود، وفرصة لأحاديث وأسئلة حول الحياة الإيمانية الحية.

"وأتوا بالفتى حيًّا،

وتعزّوا تعزية ليست بقليلة". [١٢]

بعد انقضاء هذه السهرة الممتعة حتى الفجر جاء كل من الحاضرين يهنئون الشاب على إقامته من الموت. هذا وقد تثبت إيمان الكثيرين بسبب هذه المعجزة.

٤. ذهابه إلى ميليتس

"وأمّا نحن فسبقنا إلى السفينة،

وأقلعنا إلى آسوس،

مزمعين أن نأخذ بولس من هناك،

لأنه كان قد رتّب هكذا مزمعًا أن يمشي". [١٣]

"**آسوس**": كانت توجد بلاد كثيرة تحمل هذا الاسم، مدينة في ليسيا، وأخري في إقليم أيولس، وثالثة في ميسيا، ورابعة في ليديا، وخامسة في ابريس هنا غالبًا ما يقصد المدينة الأخيرة، وهي ما بين ترواس وميتليني. تبعد ٢٠ ميلاً برًا من ترواس بينما إن أخذت بحرًا فتكون المسافة مضاعفة، لذلك فضّل الرسول أن يذهب إليها على الأقدام. كثيرًا ما كان الرسول يفضل السفر على الأقدام إن أمكن ذلك.

يبرر البعض ذهابه مشيًا مع ترك رفاقه أن يذهبوا بحرًا، أنه مع محبته العظيمة لأصدقائه، لكنه بين الحين والآخر يفضل السير وحده ليختلي مع الله. آخرون يرون أنه في محبته لرفاقه كان يختار لهم الطريق السهل المريح، بينما يختار لنفسه الطريق الشاق، ليمارس نوعًا من الإماتة وبذل الذات، مخضعًا جسده للآلام كشركة مع آلام السيد المسيح.

تحت إلحاح المسئولين في ترواس آثر بولس الرسول أن يمكث معهم بضع ساعات زيادة عن إن تنتظره المركب في آسوس. لهذا تخلف عن السفينة، وأخذ طريق البر إلى آسوس. وهناك التقى مع الذين سافروا بحرًا إلى اسوس، وذهب معهم جنوبًا تجاه جزيرة لسبوس ومدينتها ميتليني توقفوا في ميناء الجزيرة، ثم ساروا بأرجلهم حتى وصلوا إلى ميتليني، ثم عادوا وأبحروا من ميتليني في سفينة أخرى.

ظن بعض الدارسين في الرسول بولس أنه لم يكن دقيقًا في حساباته، إذ قيل: "كان يسرع حتى إذا أمكنه يكون في أورشليم في يوم الخمسين". لكن البعض يرى أنه كان في غاية الدقة في حساباته، وأنه نجح في تحقيق وعده، حيث بدأ رحلته من فيلبي بعد أيام الفطير ليبلغ إلى أورشليم في يوم الخمسين. فالمدة كلها من الفصح إلى يوم الخمسين هي ٤٩ يومًا قضاها هكذا:

- أيام الفطير السبعة بعد عيد الفصح، قضاها في فيلبي (أع ٢٠: ٦).
- خمسة أيام استغرقتها الرحلة إلى ترواس، لأن الريح كانت مواتية (أع ٢٠: ٦).
- سبعة أيام في ترواس (أع ٢٠-٦).
- أربعة أيام في جزيرة خيوس Chios إلي ميليتس Miletus (أع ٢٠: ١٣-١٥).
- يومان في ميليتس في وداع مع قسوس كنائس أفسس (أع ٢٠: ١٧).
- ثلاثة أيام استغرقتها الرحلة إلى باترا Patra مارا بكوس Cos ورودس Rhodes (أع ٢١: ١).
- يومان من باترا إلى صور (أع ٢١: ٢٠٣).
- ستة أيام بقي في صور (أع ٢١: ٤).
- يومان من بتولمايس إلى قيصرية (أع ٢١: ٧-٨).

مجموع هذه الأيام ٣٧ يومًا، يتبقى ١٢ يومًا كاحتياطي للتحركات حيث كانت المواصلات في ذلك الحين لا يُمكن ضبط مواعيدها.

- غالبًا ما نجد بولس منفصلاً عن تلاميذه. فقد رتب هكذا مزمعًا أن يمشي، تاركًا تلاميذه يسلكون الطريق الأسهل، ويختار لنفسه الطريق الشاق. سار ماشيًا لكي يدبر أمورًا كثيرة، وفي نفس الوقت ليعطي تلاميذه فرصته للتدرب على احتمال انفصالهم عنه.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"فلما وافانا إلى آسوس أخذناه،

وأتينا إلى ميتيليني". [١٤]

ميتيليني: عاصمة جزيرة ليسبوس تتميز بجمال موقعها ومبانيها الشاهقة الفخمة. جزيرة لسبوس من أكبر الجزائر التي في بحر ايجيني، والسابعة بين جزائر البحر المتوسط ويبلغ محيطها ١٦٨ ميلاً. اسم المدينة حاليا كاسترو.

"ثم سافرنا من هناك في البحر،

وأقبلنا في الغد إلى مقابل خيوس،

وفي اليوم الآخر وصلنا إلى ساموس،

وأقمنا في تروجيليون،

ثم في اليوم التالي جئنا إلى ميليتس". [١٥]

خيوس: تدعى أيضا كوس، وهي جزيرة بين مجموعة جزر، بين ليسبوس وساموس، على ساحل آسيا الصغرى، تُدعى حاليًا سكوي. عُرفت إلى وقت طويل بالمذبحة الرهيبة التي ارتكبها الأتراك عام ١٨٢٣ حيث قتل غالبًا كل سكانها.

ساموس: هي أيضا جزيرة بين مجموعة جزر، تقع على ساحل ليديا، وقد عرفت هذه الجزائر قديمًا بالخمور بطريقة فائقة.

تروجيليون: اسم مدينة ونتوء في أيونيا بآسيا الصغرى، بين أفسس وفم نهر ميندر، مقابل ساموس.

مليتس: تدعى أيضا ميلتيرن وهي مدينة وميناء بحرى، عاصمة ايونيا القديمة. في الأصل تتكون من كولونية الكريتيين. صارت قوية للغاية، وكانت تبعث كولونية لعدد كبير من المدن على بحر ايوكسين تميزت بمعبدها الضخم للإله أبوللو. يدعوها الأتراك حاليا ميلاس. وهي مسقط رأس تاليس أحد حكماء اليونان السبعة، تبعد ما بين ٤٠ و٥٠ ميلاً من أفسس.

"لأن بولس عزم أن يتجاوز أفسس في البحر،

لئلاً يعرض له أن يصرف وقتًا في آسيا،

لأنه كان يسرع حتى إذا أمكنه يكون في أورشليم في يوم الخمسين". [١٦]

اجتياز أفسس، لأنه لو ذهب إليها لتأخر في رحلته، فلا يقدر أن يصل إلى أورشليم في يوم الخمسين. من الصعب أن يقاوم إلحاح أحبائه في أفسس ان يبقى معهم، لهذا تجاوز المدينة.

v لماذا هذه السرعة؟ ليس من أجل العيد، وإنما من أجل الجموع. وفي نفس الوقت بتصرفه هذا استمال اليهود كشخصٍ يكرم الأعياد، راغبًا في كسب حتى المقاومين له، وفي نفس الوقت يقدم الكلمة.

القديس يوحنا الذهبي الفم

٤. خطابه الوداعي

"ومن ميليتس أرسل إلى أفسس واستدعى قسوس الكنيسة". [١٧]

استدعى الرسول بولس وجهاء اليهود بروما ليوضح لهم الموقف أنه لم يأت إلى روما ليشتكي أمته أو رؤساء الكهنة أو مجمع السنهدرين (أع ٢٨: ١٧-١٩)، حتى لا يظنوا فيه أنه خائن لبلده أو دينه. واستدعى قسوس كنائس أفسس، وقد قطعوا رحلة لا تقل عن ٢٠ ميلاً ليذكرهم برسالتهم الرعوية: "لترعوا كنيسة الله التي اقتناها بدمه" (أع ٢٠: ٢٨)، مقدمًا نفسه مثلاً عمليًا في الرعاية.

v طبق كلمة "أساقفة" على الكهنة (القسوس)، فقد كانوا في ذلك الوقت يستخدمون كلا الاسمين... وواضح انه استخدم هذا الافتراض هنا أيضًا (في ١: ١)، إذ يضم الشمامسة إلى الأساقفة دون إشارة إلى القسوس. علاوة على هذا فإنه ليس من المحتمل وجود أساقفة كثيرين على مدينة واحدة، لهذا فمن الواضح أنه يدعو هنا القسوس أساقفة. وفي نفس الرسالة يدعو

الطوباوي أبفرودتس " رسولكم" (في ٢: ٢٥)... بهذا يشير بوضوح انه قد أودع إليه العمل الرسولي إذ أخذ اسم "رسول".

الأب ثيؤدورت أسقف كورش

"فلما جاءوا إليه قال لهم:

أنتم تعلمون من أول يوم دخلت آسيا،

كيف كنت معكم كل الزمان". [١٨]

جاء حديثه يحمل روح الأبوة الحانية، يكشف لهم عن حياته وتعاليمه. يذكرهم بكيفية سلوكه حين كان في وسطهم. فقد عاش بينهم لمدة ثلاث سنوات (أع ٢٠: ٣٠)، وحتمًا لمسوا فيه حياته التي كرسها للإنجيل، وإيمانه الحي وإخلاصه في محبته لله ولهم. ليس من شهادة عن قدسية حياتهم سوى احتكاكهم معه عمليًا، واحتكاك البلاد القريبة منهم (في آسيا) معه.

"**كل الزمان**"، لم يسلك في وقتٍ ما بطريقة، ووقت آخر بطريقة أخرى، إنما كل زمان حياته تشع ببهاء عمل الله فيه.

"اخدم الرب بكل تواضع ودموع كثيرة،

وبتجارب أصابتني بمكايد اليهود". [١٩]

يرى **القديس يوحنا الذهبي الفم** أن الرسول في خطابه هذا لقسوس الكنيسة يستعرض أمرين هامين: الحب والثبات أو الجلدْ. وأن ما قدمه لم يكن بروح الافتخار، وإنما لكي يعلم الكهنة أن يتمثلوا به في خدمته.

أسلوبه في الخدمة أنه **يخدم الرب** لا الناس، ما يشغله هو مجد الله وبنيان كنيسته وتأسيس ملكوته في قلب كل إنسان. لا يداهن ولا يجامل على حساب خلاص النفوس، وفي نفس الوقت لا يخدم في اعتدادٍ بنفسه، بل يخدم "**بكل تواضع ودموع كثيرةٍ وبتجاربٍ**". إنه يشارك سيده تواضعه واحتماله التجارب والآلام من أجل محبته للبشرية.

كثيرًا ما يشير الرسول إلى حنو قلبه الذي يعبر عنه **بغزارة دموعه** من أجل الكثيرين (في ٣: ١٨).

أينما وُجد كان كثير من اليهود يخططون بمكائد لقتله بوسيلة أو أخرى. وقد جاء سفر الأعمال يقدم أمثلة لمقاومة اليهود له، ومحاولة قتله مرات ومرات.

"كيف لم أؤخر شيئًا من الفوائد إلا وأخبرتكم،

وعلمتكم به جهرًا،

وفي كل بيت". [٢٠]

لم يكف عن أن يقدم كل ما فيه نفع لهم، فهو مخلص في محبته وسعيه لسعادتهم في الرب، والتمتع بالمجد الداخلي. لم يخدم عن تعصبٍ، ولا عن زيادة عدد، ولا لافتخارٍ بالنجاح، وإنما في أبوة يطلب ما هو لبنيان بنيه. هذا هو غاية الإنجيل، فالكتاب كله نافع (٢ تي ٣: ١٦).

"**أخبرتكم**"، جاءت الكلمة اليونانية لتعني إعلانها في اجتماعات عامة أو بطريقة علنية، فما يكرز به في الاجتماعات يعلنه **في كل بيت**.

في زيارته لكل بيت ليس له غاية سوى نشر كلمة الله. العجيب أنه كان وهو رسول الأمم على مستوى العالم، يتنقل من دولة إلى دولة، ومن مدينة إلى مدينة، فإنه أينما أتيحت له الفرصة يفتقد البيوت، لا للمجاملات ولا للأحاديث عن أخبار العالم أو حتى أخبار الكنيسة إداريًا، بل نشر كلمة الخلاص. بهذا استطاع القول: "**إني برئ من دم الجميع**" [٢٦].

"شاهدًا لليهود واليونانيين بالتوبة إلى اللَّه،

والإيمان الذي بربنا يسوع المسيح". [٢١]

أمران يشغلان فكر الرسول بولس وقلبه، وهما التوبة والإيمان. فيشهد بإيمانه بالسيد المسيح أمام كل يهودي أو أممي (يوناني)، أي أمام كل البشرية، أما عن التوبة فهي العودة "إلى الله" لأن الخطية في الواقع موجهة ضد الله القدوس الذي بلا خطية فتسحب الإنسان من الحضرة الإلهية، وتحرمه من القادر وحده على مغفرة الخطايا.

"والآن ها أنا أذهب إلى أورشليم مقيدًا بالروح،

لا أعلم ماذا يصادفني هناك". [٢٢]

كان الرسول بولس ذاهبًا إلى أورشليم حسب التدبير الإلهي، لذا يقول: "**مقيدًا بالروح**"، فمع معرفته بأن شدائد وضيقات تنتظره، لكنه لا يعلم ما هي، إلا أنه يذهب بتوجيه الروح القدس له. فهو لا يُلقي بنفسه وسط التجارب بإرادته الذاتية أو عن اعتداد بذاته أو بحكمته أو قدرته. ولم يذهب شوقًا لرؤية مدينة آبائه، أورشليم، ولا للعبادة في الهيكل اليهودي، إنما كمن يقيده الروح، ويسحبه إلى أورشليم، وفي مسرة يسلك حسب توجيه الروح القدس له، مهما تكن النتائج.

إنه منطلق من آسيا ليس هروبًا من التجارب والمتاعب التي أثارها الكثيرون، إنما هو عابر إلى طريق مملوء أيضًا بالتجارب، يدخل إلى معركة أعنف وأشد.

ذهابه إلى أورشليم ليس مقيدًا بالجسد، فإنه ليس له أي احتياج جسدي للذهاب، لكنه مقيد بروح الرب.

كل ما يعرفه أن عواصف شديدة سيجتازها في أورشليم، لكن رب العالم كله حاضر، قادر أن يحول العواصف لمجد اسمه وبنيان الكنيسة.

"غير أن الروح القدس يشهد في كل مدينة قائلاً:

أن وُثقًا وشدائد تنتظرني". [٢٣]

يشهد الروح القدس سواء بالإعلان المباشر له أو نبوات التي يسمعها من أناسٍ لهم موهبة النبوة كما جاء في أع ٢١: ١١، أنه سيقيد ويدخل في شدائد لا يعلم تفاصيلها، وقد أعلن الروح هذا لا في مدينة واحدة، بل في مدن كثيرة.

"ولكنني لست احتسب لشيء،

ولا نفسي ثمينة عندي،

حتى أتمّم بفرح سعيي،

والخدمة التي أخذتها من الرب يسوع،

لأشهد ببشارة نعمة اللَّه". [٢٤]

ليس شيء من كل هذه الشدائد يمكن أن تنزع عن الرسول بولس فرحه الذي يرافقه عبر كل جهاده، حاسبًا أن حياته الزمنية بلا قيمة. يقدمها ذبيحة حب لله. كل ما يشغله أن يحقق هدفه، ويتمم خدمته التى تسلمها من الرب نفسه (غل١: ١٢) شاهدًا ببشارة نعمة الله.

يحسب الرسول نفسه في كمن في سباق جري (٢ تي٤: ٧؛ عب ١٢: ١؛١ كو ٩: ٢٤؛ أع ١٣: ٢٥). ما يشغله في جهاده أن يحتفظ بفرحه في الرب حتى آخر نسمة من نسمات حياته، " **أتمم بفرح سعيي**".

هنا يكشف لهم الرسول بولس عن نظرته للخدمة:

١. لا قيمة للحياة الزمنية أمام بلوغ الإنسان هدفه نحو خلاص نفسه وخلاص إخوته.

٢. الخدمة سباق، لا يتوقف الخادم عن الركوض حتى يتسلم من يد الرب إكليل النصرة.

٣. يتسم الخادم بالفرح الدائم وسط جهاده، حتى في مواجهته للموت.

٤. إدراك أن الخدمة هي دعوة من الله شخصيًا.

٥. عمل الخادم الشهادة المفرحة بنعمة الله التي تعمل بسخاء.

v انظروا فإنه إذ يطرد طاغية الموت يتغلب حتى على قوة الشيطان، فإن ذاك الذي تعلم أن يدرس حقائق لا حصر لها بخصوص القيامة كيف يخشى الموت؟... لهذا لا تحزنوا قائلين: لماذا نتألم هكذا أو كذلك فإنه بهذا تكون النصرة اكثر مجدا.

v لا تظنوا إني أقول هذا لأحزنهم، فإن حياتي ليست ثمينة عندي. قال هذا لكي يرفع أذهانهم ويحثهم ليس فقط ألا يهربوا، بل أن يحتملوا الآلام بنبلٍ. لهذا يدعوها "**سعي**" و"**خدمة**". فمن جانب يظهر أنها مجيدة بكونها سباقًا، ومن الجانب الآخر فهي التزام بكونها خدمة، فإني خادم ليس إلا.

v تألم بولس من أجل المسيح لا لينال الملكوت، ولا لنوال أيّة كرامة، ولكن من أجل محبّته العظيمة للسيّد. أمّا نحن فلا ننسحب من أمور هذه الحياة لأجل بالمسيح... بل مثل حيّات أو الخنازير نبقى نسحب أمور هذا العالم معنا كما في وحلٍ... مع أن اللَّه بذل ابنه لأجلكم.

القديس يوحنا الذهبي الفم

v جحد بولس ذاته عندما عرف أن قيودًا وضيقات تنتظره في أورشليم، وبإرادته قدم نفسه للخطر.

القديس أمبروسيوس

"والآن ها أنا أعلم أنكم لا ترون وجهي أيضًا،

أنتم جميعًا الذين مررت بينكم كارزًا بملكوت اللَّه". [٢٥]

أعلن الرسول بولس أن هذا اللقاء هو لقاء وداعي، فإنهم لن يروا وجهه بعد في هذا العالم. لن يعود إلى أفسس، إنما ستلحق به المخاطر في أورشليم، وتنتظره الشدائد، وسيذهب إلى روما، وأيضًا إلى مدن أخرى مثل أسبانيا.

يصعب التعبير عن مشاعر الرسول وهو يودعهم مدركًا أنه لا يراهم بعد، لكن ما يشغله أنه كرز بينهم بملكوت الله الذي يضم الجميع، ولا يقدر الموت أن يفصل بينهم.

"لذلك أشهدكم اليوم هذا أني بريء من دم الجميع". [٢٦]

يشهد الرسول بولس أنه كان مخلصًا في خدمته لهم، ولم يقصر في حق أحدٍ منهم، بل ويأخذهم هم أنفسهم شهودًا في يوم الدينونة على أمانته وإخلاصه. فإن هلك أحد منهم، فهو بريء أمام الله.

"**برئ من دم الجميع**": يشير الدم هنا إلى الهلاك الأبدي الذي أشبه بسفك الدم، والموت البشع، فلا لوم عليه. إنه بريء من هلاك أي يهودي أو أممي. فليس من خطأ أو إهمال من جانبه.

١. "**إني بريء من دم الجميع**". هذا القول يناسب بولس ويليق به، لكننا لسنا نجسر نحن أن نقوله إذ ندرك أخطاءنا الكثيرة. فبالنسبة له هذا الدائم السهر، مستعد دائمًا، يحتمل كل شيء من أجل خلاص تلاميذه، لهذا فالقول هنا لائق ومناسب له. أما نحن فنقول مع موسى: "الرب غضب عليّ بسببكم" (تث ٣: ٢٦)، لأنكم تقودونا في خطايا كثيرة.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"لأني لم أؤخر أن أخبركم بكل مشورة اللَّه". [٢٧]

لم يمتنع عن تقديم مشورة الله وإرادته التي تطلب خلاص الجميع. لم يعقه خوف من أحدٍ، ولا مداهنة لأحدٍ. كان الإنجيل بالنسبة له مفتوحًا، يقدمه كما هو للجميع، لا يخشى الاضطهادات، ولا يطلب أمجاد زمنية وكرامات. لم يخفِ شيئًا من الحق، بل قدمه بكل صراحة بغير تزييف، في بساطة ووضوح دون فلسفة بشرية.

يقدم الرسول نفسه مثلاً كخادمٍ للسيد المسيح أنه لا يتوقف عن التعليم.

v ليس أحد في الكنيسة، حتى الشخص القديس أن يدعو نفسه راعيًا ما لم يكن قادرًا على تعليم من يرعاهم.

القديس جيروم

"احترزوا إذا لأنفسكم ولجميع الرعية،

التي أقامكم الروح القدس فيها أساقفة،

لترعوا كنيسة اللَّه التي اقتناها بدمه". [٢٨]

يحذرهم الرسول من المخاطر التي سيتعرضون لها مما قد تسبب لهم ولرعية لمسيح دمارًا.

"**لأنفسكم**": فالخادم حتى الأسقف يلزمهم أن يكون حذرًا على خلاص نفسه (كو ٤: ١٧؛ ١ تي ٤: ١٤). يتعرض الأسقف للتجارب أكثر من الشعب، لأن عدو الخير يبذل كل الجهد ليدمره فيدمر الرعية.

"**ولجميع الرعية**": الأسقف ملتزم بكل نفسٍ، يعطي عنها حسابًا أمام الله. لا يكف عن أن ينصح ويعلم ويقود ويحمى كل إنسان من ضربات العدو القاتلة. لا يطلب الراعي ما لنفسه، أي ما هو لحياته الزمنية، بل يبذل ذاته عن الخراف، مقتديًا بالراعي الصالح.

لئلا يضطرب الأساقفة، لأنه من يقدر أن يخدم كل فرد في الرعية أكد لهم أن الروح القدس هو الذي أقامهم، وأن الكنيسة هو كنيسة الله الآب، وأن الابن المتجسد اقتناها بدمه. فالثالوث القدوس، الله القدير محب البشر، هو سند للراعي الجاد في حبه والمخلص في خدمته.

لقد دعاهم الله وأقامهم الروح القدس للخدمة والرعاية. هذا الفكر "دعوة الله للناس" كان يشغل قلب الرسول بولس، لم يفارقه. يرى **العلامة أوريجينوس** أن كل مؤمن يلزمه أن ينشغل بدعوة الله في دورٍ خاص به لبنيان الكنيسة. [يُقال أن بولس مدعو رسولاً، وأهل رومية مدعون، وإن كانوا ليسوا رسلاً. بالأحرى مدعوون أن يكونوا قديسين في الطاعة للإيمان. وقد تحدثنا فعلاً عن أنواعٍ مختلفة للدعوة.]

"**أساقفة**": في هذا الحديث يدعوهم تارة شيوخًا وأخرى قسوسًا (كهنة)، ثم اساقفة. فمن جهة السن هم شيوخ، ومن جهة دورهم للعمل هم كهنة العلي، ومن جهة الرتبة "أساقفة".

جاء تعبير "**كنيسة الله**" هنا في كثير من المخطوطات، خاصة السريانية "كنيسة الرب"، فقد اشتراها الرب بثمنٍ (١ كو ٦: ٢٠؛ ٧: ٢٣؛ ٢ بط ٢: ١).

v ها أنتم ترون إنه يدعو الأمور التي للروح إنها للابن، وما للابن للروح. النعمة والرسولية ليست بالأمور التي ننالها من أجل أنفسنا، فنصير رسلاً. فإنه ليس بالأتعاب الكثيرة والجهاد ننال هذه الكرامة المخصصة لنا، إنما النعمة والنجاح الذي يتحقق هو عطية سماوية.

v "**احترزوا لأنفسكم**"؛ قال هذا ليس لأن خلاصنا أثمن من خلاص الرعية، وإنما لأنه عندما نحترز لأنفسنا تصير الرعية رابحة.

v الأمر خطير للغاية، فإنه يمس "**كنيسة الرب**"، الخطر عظيم لأنه يخص الدم الذي به يخلص. الحرب عنيفة ومزدوجة.

القديس يوحنا الذهبي الفم

v أنتِ لستِ مِلكًا للذين أنجباك، وإنما مِلك ذاك الذي يلدكِ من جديد ويقتنيكِ بثمنٍ عظيمٍ، هو دمه!

القديس جيروم

v بيع، وكان الثمن زهيدًا، ثلاثين من الفضة (مر ٢٦: ١٥)، لكنّه هو اشترى العالم بتكلفة عظيمة التي لدمه. أُقتيد كحملٍ إلى الذبح (أع ٨: ٣٢)، أمّا هو فرعى إسرائيل، وها هو الآن يرعى العالم كلّه أيضًا.

القديس غريغوريوس النزينزي

"لأني أعلم هذا،

أنه بعد ذهابي سيدخل بينكم ذئاب خاطفة لا تشفق على الرعيّة". [٢٩]

يتنبأ القديس بولس عن ظهور معلمين كذبة، أشبه بالذئاب الخاطفة التي لا تبالي بالخراف، بل تفترس وتُهلك، إذ يطلب المعلمون كرامتهم الزمنية، ويتشبثون بإرادتهم الذاتية. كل ما كان يشغل الكثيرين منهم هو "المباحثة"، لا لبلوغ الحق، وإنما لحب الجدال في ذاته.

v تدخل ذئاب خاطفة بين قطعان المسيح، لا تشفق على الرعيّة كما يعلن بولس الإلهي. يتقيّأ العاملون المخادعون والرسل الكذبة مرارة مكر إبليس، فينطقون بأمورٍ مضادة، ليقودوا النفوس الجاهلة إلى الدمار، ويجرحون ضميرهم الضعيف (١ كو ٨: ١٢).

القديس كيرلس الكبير

v يغطى الهراطقة دواء تعاليمهم الشريرة المسمومة بعسل أسم يسوع.

القديس كيرلس الأورشليمي

v المداهنة دائمًا معزية وخادعة ورقيقة. وقد عرَّف الفلاسفة الإنسان المداهن بأنه عبد رقيق. أما الحق فهو قاسٍ ومر وصارم ومحزن ومقاوم للذين يوُبَخون.

القديس جيروم

v إن كان كل إنسانٍ كاذبًا والله وحده صادقًا (رو ٣:٣٩) ماذا يليق بنا كخدام الله وأساقفته أن نفعل سوى أن ننبذ الأخطاء البشرية، وأن نبقى في حق الله، ونطيع وصايا الرب.

القديس كبريانوس

"ومنكم أنتم سيقوم رجال يتكلّمون بأمور ملتوية،

ليجتذبوا التلاميذ وراءهم. [٣٠]

الخطر الذي يصدر من الداخل أمرْ بكثير من الذي يأتي من الخارج، خاصة أن صدر عن معلمين أو خدام داخل الكنيسة. ذكر الرسل أسماء لأشخاص أسأوا إلى كنيسة الله من الداخل، مثل ديوتريفوس (٣ يو ٩)، فيجيلوس أو هيرموجينس (٢ تي ١: ١٥)، وهيمينيس والكسندر (١ تي ١: ٢٠). هؤلاء الذين بسبب الطمع أو حب الكرامة كوَّنوا تحزبات داخل الكنيسة سببت انشقاقات وتشويشًا. فالكنيسة لا ترهب العدو الخارجي إذا لم يوجد أعداء مقاومون في داخلها. كل إمكانيات المضطهدين وخططهم ومقاومتهم تُحسب كلا شيء مادام الداخل مقدسًا في الرب.

"لذلك اسهروا، متذكّرين أني ثلاث سنين ليلاً ونهارًا،

لم افتر عن أن انذر بدموع كل واحد". [٣١]

لم يكف الرسول بولس عن دعوة الأساقفة وكل الخدام كما الشعب للسهر، وكما يكتب إلى أهل تسالونيكي: "لا ننم إذا كالباقين بل لنسهر ونصح، لأن الذين ينامون فبالليل ينامون، والذين يسكرون فبالليل يسكرون، وأما نحن الذين من نهارٍ، فلنصحُ، لابسين درع الإيمان والمحبة وخوذة هي رجاء الخلاص" (١ تس ٥:٦-٨)،

v يلزمنا أن ننام نصف متيقظين... فالإنسان النائم لا يُصلح لشيءٍ، أكثر من الميت. لذا فإنه حتى خلال الليل يلزمنا أن نقوم من النوم، ونسبح الله. طوبى للذين يسهرون مترقبين مجيئه، إذ يجعلون أنفسهم مثل الملائكة الذين نتحدث عنهم أنهم دائمًا في سهر.

القديس إكليمنضس السكندري

v رسول النهار المجنح،

يغني عاليًا مبشرًا باقتراب الفجر.

وبنغمات مثيرة يدعو المسيح نفوسنا النائمة أن تحيا معه.

إنه يصرخ: اتركوا الاسترخاء الغبي،

اتركوا نوم الموت، والكسل المخطئ،

اسهروا بقلوب يقظة، بارة، وطاهرة،

فإنني آت قريب جدًا!

الأب برودانتس

إن كان الرسول لم يكف عن أن ينذر كل واحدٍ بدموع طوال الثلاث سنوات، فكم يليق بكل واحدٍ منهم أن يسهر على خلاص نفسه بجدية.

لقد قضى في أفسس ثلاث سنوات، منها سنتان في مدرسة تيرانس (أع ١٩: ١٠)، وثلاثة شهور يعلم في المجمع أفسس (أع١٩: ٨)؛ وبقية المدة في أماكن أخرى. وربما يقصد بالثلاث السنوات، حسب عادة اليهود أن أي جزء من السنة يعتبر كأنه سنة كاملة.

v عندما يرى المريض طبيبه يشترك في الطعام (الخاص بالمرضى) فإنه يحثه على فعل هذا، هكذا هنا عندما يراكم تبكون يرق ويصير صالحًا ورجلاً عظيمًا.

v أننا نوجه اتهامات، نحن ننتهر، نحن نبكي، نعاني آلامًا مبرحة وإن كان ليس في الظاهر بل في القلب. لكن هذه الدموع الداخلية أكثر مرارة بكثير من الدموع الخارجية. لأن هذه في الواقع تجلب تنفيسًا لمشاعر الحزن، أما الأخرى فتثيرها بالأكثر وتكتمها. فإنه حيث توجد علة للحزن ولا يستطيع الشخص أن يعبر عن حزنه لئلا يظهر أنه محب للمجد الباطل، فلتفكروا كم تكون آلامه... أي رجاء للمعلم حين تهلك رعيته؟ أي نوع من الحياة وأي أمل له؟ بأي نوع من الثقة سيقف أمام الله؟ بماذا يقول؟

القديس يوحنا الذهبي الفم

"والآن استودعكم يا اخوتي للَّه،

ولكلمة نعمته القادرة أن تبنيكم،

وتعطيكم ميراثًا مع جميع المقدسين". [٣٢]

إذ لم تعد هناك فرصة للقاء آخر معهم سلم حياتهم في يدي الله وتحت حمايته ورعايته، ولكلمة نعمته، أي لوعود الله الصادقة المجانية، لا لحفظهم من التجارب والضيقات فحسب، وإنما لبنيانهم وتهيئتهم للميراث الأبدي في شركة مع القديسين. ما يشغل ذهن الرسول بولس على الدوام الميراث المُعد للقديسين (مت ١٩: ٢٩؛ ٢٥: ٣٤؛ مر ١٠: ١٧؛ عب ٦: ١٢؛ رؤ ٢١: ٧؛ أف ١: ١١؛ ٥:٨؛ كو ١: ١٢؛ ٣: ٢٤؛ رو ٨: ١٧؛ غل ٣: ٢٩).

v يذَّكرهم على الدوام بالنعمةٍ لكي يجعلهم في جدية كمدينين (لله) ولكي يحثهم أن تكون لهم ثقة: "**القادرة أن تبنيكم**" لم يقل إنها ستبنيهم بل "أن تبنيكم (الاستمرار في البناء)، مظهرا أنهم مبنيون فعلاً.

القديس يوحنا الذهبي الفم

v إن كان الرسول قد كرز بكلمة الرب نهارًا وليلاً إلى الشعب الذي أؤتمن عليه حتى يكون في حل في عيني الله، ماذا يحدث لنا إن أهملنا خدمة التعليم للقطيع الذي أؤتمنا نحن عليه في أيام الأعياد والآحاد؟ لهذا يلزمنا أن نتعب بعون الله قدر ما نستطيع أن نوزع على الشعب الذي تحت رعايتنا عملة الرب الروحية، ليس فقط في الكنيسة، بل وفي الاجتماعات والولائم، وأينما وجدنا. من جانبنا لنوزع هذه العملة حتى إذ يجيء يطلب منا الرب (الفائدة). إن فعلنا هذا بإخلاص نستطيع عند مجيئنا أمام عرش الديان الأبدي أن نقول بكل تأكيد مع النبي: "ها أنا والأولاد الذين أعطيتني إياهم" (إش ٨: ١٨). عندئذ مقابل تقديم الفائدة المضاعفة لمواهبنا سنسمع باستحقاق: "حسنًا أنت عبد صالح وملتزم، تعال اشترك في فرح سيدك" (راجع مت ١٥: ٢١). ليت الله نفسه يهبنا هذا، الذي يحيا ويملك إلى أبد الأبد.

الأب قيصريوس أسقف آرل

"فضة أو ذهب أو لباس أحدٍ لم اشتهِ". [٣٣]

بعد أن أوصاهم بخصوص الاهتمام بخلاصهم وخلاص الرعية، كاشفا عن حنو ورعايته طوال مدة إقامته في أفسس، وبعد أن حذرهم من المعلمين الكذبة، الآن يقدم نفسه مثلاً عمليًا من جهة عدم طمعه في شيء مما لهم. فإنه لم يطلب ما لنفسه بل ما هو لهم (٢ كو ١٢: ١٤). فمن حقه كخادم للإنجيل ان يأكل من الإنجيل، وبكونه يقدم الروحيات أن يأخذ احتياجاته الزمنية (١ كو ٩: ١٣-١٤)، لكنه لم يطلب شيئًا من هذا، ولا اشتهاه في داخله.

لم يطلب حتى اللباس مكتفيًا بما يرتديه. لم يقل الرسول أنه لم يأخذ فضة أو ذهب أو لباس، إذ أخذ أحيانا للضرورة، كما جمع للفقراء في أورشليم، لكنه لم يشتهِ شيئًا من هذا، فقد تجنب محبة المال التي هي أصل الشرور.

v ليتنا لن نطلب هدايا قط، وبالكاد نقبلها نادرًا حينما يُطلب منا ذلك. "مغبوط هو العطاء أكثر من الأخذ" (أع ٩: ١٥). بطريق أو آخر فإن الإنسان الذي يتوسل إليك لتأخذ هدية يتطلع إليك باستهانة حين تقبلها، بينما إن رفضتها فإنه بالأكثر يحترمك مُعجبًا بك.

القديس جيروم

"أنتم تعلمون أن حاجاتي وحاجات الذين معي،

خدمتها هاتان اليدان". [٣٤]

في كورنثوس عاش مع أبولس وعمل معه، وكان يعول نفسه بعمل يديه (١ كو ٤: ١٢؛ ١ تس ٢: ٩؛ ٢ تس ٣: ٨).

في تعليق **القديس يوحنا الذهبي الفم** على هذه العبارة يكشف عن مدى سمو القديس فقد ارتفع إلى درجة عالية جدًا في هذه الفضيلة، ارتفع فوق الفقر الاختياري.

v الدرجة الأولى هو أن يهرب الشخص من أن تكون له ممتلكات، والثانية أن يكون مكتفيًا بالضروريات اللازمة، والثالثة أن يعطي الآخرين وهو لا يملك إلا الضروريات، والرابعة أن يفعل هذا كله وهو يكرز مع أنه من حقه أن يأخذ.

القديس يوحنا الذهبي الفم

يذكر لنا **القديس يوحنا كاسيان** في مناظرته مع **الأب إبراهيم** الآتي:

[**جرمانيوس:**... كيف يصيب نظامنا ضرر إن تحررنا من كل اهتمام خاص بهذه الحياة تاركين لأقربائنا أن يهيئوا لنا الطعام ونتفرغ نحن للقراءة والصلاة، حتى إذ نزيل عنا العمل الذي يشغلنا الآن نُكرس بأكثر غيرة للاهتمامات الروحية وحدها؟

إبراهيم: إنني لا أقدم لك رأيي الخاص، إنما أذكر رأي **الطوباوي أنطونيوس** الذي أخزي به كسل راهبٍ معينٍ غلبه اللامبالاة...

لأنه إذ جاءه إنسان وقال إن نظام النسك هذا غير كامل، معلنًا أنه يطلب للإنسان فضيلة أعظم، ممارسًا ما يخص الحياة الكاملة وحدها بطريقة أكثر مما يليق بالنسبة لسكان البرية... أردف الطوباوي أنطونيوس قائلاً: هذا النوع من الحياة وهذه اللامبالاة ليس فقط تدفع بك إلى الخسارة السابق ذكرها، ولو أنك لا تشعر بها الآن، كما جاء في سفر الأمثال: "ضربوني ولم أتوجع. لقد لكأوني ولم أعرف" (أم ٢٣:٣٥)، وجاء في النبي: "أكل الغرباءُ ثروتهُ وهو لا يعرف، وقد رُشَّ عليهِ الشيب وهو لا يعرف" (هو ٧:٩)، وإنما أيضًا **يسحبون ذهنك بغير انقطاع نحو الأمور الزمنية**، ويغيرونه حسب الظروف. كذلك إذ يقدمون ثمار أيديهم لك ويمدونك بالمئونة، بهذا يحرمونك من تنفيذ وصية الرسول المبارك، لأنه عندما قدم آخر وصية لرؤساء كنيسة أفسس أكد لهم أنه بالرغم من مشغوليته بواجباته المقدسة الخاصة بالكرازة بالإنجيل إلا أنه كان يعمل من أجل احتياجاته واحتياجات الذين يعملون معه في الخدمة قائلاً: "أنتم تعلمون أن حاجاتي وحاجات الذين معي خَدَمَتهْا هاتان اليدَان" (أع ٢٠:٣٤). ولكي ترى كيف أنه فعل هذا كمثال لنا يقول في موضع آخر: "إذ أنتم تعرفون كيف يجب أن يُتَمثل بنا لأننا لم نسلك بلا ترتيبٍ بينكم... ليس أن لا سلطان لنا، بل لكي نعطيكم أنفسنا قدوةً حتى تتمثَّلوا بنا" (٢ تس ٣:٧، ٩).]

v كثيرون كانوا يرغبون في الحصول على فرصة لتعطيل الإنجيل، وقد أراد أن يضيع عليهم هذه الفرصة، لذلك كان يعمل بيديه، قائلاً: لأقطع فرصة الذين يريدون فرصة" (٢ كو ١١: ١٢).

القديس أغسطينوس

"في كل شيء أريتكم أنه هكذا ينبغي أنكم تتعبون،

وتعضدون الضعفاء،

متذكرين كلمات الرب يسوع،

أنه قال: مغبوط هو العطاء أكثر من الأخذ". [٣٥]

قدم حياته درسًا عمليًا في التعب بعمل اليدين، لا لإشباع احتياجاته فحسب، بل ولكي ينفق على من معه، وعلى الضعفاء المحتاجين. وكان قانون حياته كلمات السيد المسيح: "**مغبوط هو العطاء أكثر من الأخذ**".

v يظهر الرسول كم من الشرور تسببها البطالة، وكم من المنافع يحققها العمل، فالعمل هو علامة الحب للإخوة، به لا نأخذ منهم وإنما نساعدهم... إذ قيل: "مغبوط هو العطاء أكثر من الأخذ" (أع ٢٠: ٣٥).

القديس يوحنا الذهبي الفم

٥. وداع حار مؤثر

"ولمّا قال هذا،

جثا على ركبتيه مع جميعهم وصلّى". [٣٦]

جثا على ركبتيه معهم وصلى، ليودعهم في يد الله، لكي لا تفارقهم الحضرة الإلهية. لم يصل فقط من أجلهم بل وصلى معهم، ليقدم الكل صلاة جماعية، إنها صلاة وداعية جاءت بعد الحديث الوداعي، لكي تبقى البصمات الأخيرة في ذهنهم، أنه لا طريق للنجاة إلا بالصلاة.

اعتاد الرسول بولس أن يصلي جاثيًا على ركبتيه (أف ٣: ١٤). فالركوع يحمل روح التواضع والخشوع أمام الله (٢ أي ٦: ١٣؛ دا ٦: ١٠؛ لو٢٢: ٤١؛ أع٧: ٦٠؛ ٩: ٤٠؛ ٢١: ٥؛ رو١١: ٤؛ في٢: ١٠؛ أف٣: ١٤؛ مر١: ٤٠).

نرى صورة حية لطقس الوداع: "**ولما قال هذا جثا على ركبتيه مع جميعهم وصلى**" [٣٦].

"وكان بكاء عظيم من الجميع

ووقعوا على عنق بولس يقبلونه". [٣٧]

تركهم والدموع منهارة بغزارة منهم، ولعله لم يستطع بولس صاحب القلب الرقيق أن يحبس دموعه وهو يلقي نظراته الأخيرة على محبوبيه، فانهار الكل أمام محبته الحانية، وارتمى الكل على عنقه يقبله. لم تستطع الكلمات أن تعبر عن شكرهم له على كل جهوده ومحبته لهم، فتحدثوا بلغة الدموع والقبلات المقدسة.

يحدثنا **القديس أغسطينوس** عن حياتنا على الأرض بكونها زمن تسميد الأرض حتى تقدم ثمارًا كثيرة، هذا التسميد هو ممارسة التوبة في حزن على خطايانا ورجاء في التمتع ببهجة الثمار. [شكرا لله! فإن التسميد في موقع مناسب، فإنه ليس بلا ثمرة، بل يجلب ثمرًا. هذا هو وقت الحزن المفرح حقًا، لكي نبكي على حال موتنا، وكثرة تجاربنا، وهجمات الخطاة الخفية، والاصطدام مع الشهوات، والصراع مع الأهواء الثائرة ضد الأفكار الصالحة. من أجل هذا ولنحزن. لنحزن على حالنا هذا.]

v إن كنا مدعوين لملكوت الله، فلنسلك بما يليق بالملكوت، نحب الله وقريبنا، لا يتحقق الحب بالقبلة، بل بالحنو الداخلي. فإنه يوجد من لا يفعلون سوى أن تردد الكنيسة صدى القبلة، وهم لا يقتنون الحب في داخلهم. هذا الأمر ذاته، أي الاستخدام المخزي للقبلة، كان يلزم أن يكون داخليًا... لذلك يدعوها الرسول "قلبة مقدسة" (رو ١٦:١٦).

القديس إكليمنضس السكندري

v كيف تكمل الصلاة ان عُزلت عن القبلة المقدسة؟

العلامة ترتليان

يليق ممارسة القبلة المقدسة في للعبادة الكنسية كعلامة على ما يحمله المؤمنون من سمات ملكوت الله، أي الحب المقدس في الرب. لهذا يليق بالمؤمنين أن يسلكوا بروح السلام الحقيقي والحب قبل القبلة، حتى لا تحمل سمة قبلة يهوذا الخائن.

"متوجّعين ولا سيما من الكلمة التي قالها،

أنهم لن يروا وجهه أيضًا،

ثم شيّعوه إلى السفينة". [٣٨]

يا لها من لحظات رهيبة وهم يتطلعون إلى الوجه الذي يحمل كل سمات المحبة الصادقة، يعكس حب الله لهم، وقد أدركوا أنها آخر لحظات لرؤيته.

"**شيعوه إلى السفينة**" وهم يرونه كمن ينطلق من بينهم إلى السماء، لن يروه بعد إلا مع رب المجد يسوع حين يأتي على السحاب، ليضم كنيسته إليه، وينطلق بها إلى حضن الآب.

يقدم لنا الإنجيلي لوقا كشاهد عيان وصفًا رائعًا لمشاعر الجماهير وهي تودع الرسول بولس.

من وحي أع ٢٠

هب لي أن أكون أميناً إلى النهاية

v ماذا فعلت المكائد برسولك العجيب،

زكته أمامك،

وفاحت رائحتك الذكية فيه!

v لم تشغله الضيقات عن الخدمة غير المنقطعة.

يحَّول الليل إلى نهار بكرازته الجذابة.

مشتاقاً أن يصير الكل أبناء نور وأبناء نهار.

ليس بينهم ابن لليل والظلمة.

ولا يكون للظلمة موضع في قلب البشر!

v سقط أفتيخوس الشاب من الطاقة وحملوه ميتاً!

سقط عليه بولس، فوهبه الله الحياة.

آمن الرسول أنك تقيم النفوس من موتها وفسادها،

فهل يصعب عليك أن تقيم الأجساد؟

v سقط الشاب من الطاقة فمات،

وسقط الإنسان من الحياة الفردوسية، ففقد حياته الأبدية.

نزلت إليه واحتضنته،

حملته معك إلى عرشك السماوي!

- في ميليتس قدم رسولك خطابه الوداعي،

حقاً بكل جرأة تحدث مع الأساقفة والكهنة.

فقد عاش أميناً حتى النهاية.

بانسحاقٍ ودموعٍ قضى حياته كخادمٍ لك.

رافق شعبه مستعبدًا نفسه لهم.

لم يستنكف من أن يكون عبدًا،

لأولئك الذين من أجلهم صرت أنت عبدًا.

- كيف لا تنهمر الدموع من عينيه،

وهو يراك في البستان نفسك حزينة حتى الموت من أجل كل إنسان؟

- تمتع بك يا أيها الحق الإلهي،

فلم يصمت عن أن يعلم بلا انقطاع،

لكي يدخل بكل نفسك إليك.

- في كل بيت يدخله لا يشغله سوى كلمتك.

صار كل موضع بالنسبة له منبرًا.

يقف ليكرز بالتوبة دون ملل.

يحث على الإيمان بك ليتمتع الكل بشركة أمجادك.

قدم نفسه رخيصة من أجل الكرازة بإنجيلك.

ووجد في الميتات الكثيرة عذوبة الحياة معك.

- أعلن براءته من دم الجميع،

إذ تحولت حياته كلها إلى عظة عملية لا تتوقف.

حذر شعبك من كل معلم كاذب، ونبي مخادع،

حتى يتمتع الكل برعايتك الإلهية.

- أعلن براءته إذ لم يشته شيئًا عوض خدمته.

لم يعمل كأجير يطلب أجرة،

فهو ابنك يا صاحب الكرم،

تبنيته بنعمتك، ليتمتع بشركة الميراث معك!

- أخيرًا يا له من وداعٍ فريدٍ!

فقد تفجرت منه ومن الخدام ينابيع الحب العميقة.

ركع الكل معًا للصلاة،

يشكرونك يا أيها الراعي الصالح،

إذ وهبتهم الحب الذي لا ينهزم.

- بقبلات مقدسة انصرفوا جسديًا،

لكي يلتقوا معاً في الفردوس،

وينضموا مع كل مؤمنيك يوم مجيئك على السحاب.

وتزفهم الطغمات السمائية كعروس طاهرة عفيفة لك.

١ و بعدما انتهى الشغب دعا بولس التلاميذ و ودعهم و خرج ليذهب الى مكدونية
٢ و لما كان قد اجتاز في تلك النواحي و وعظهم بكلام كثير جاء الى هلاس
٣ فصرف ثلاثة اشهر ثم اذ حصلت مكيدة من اليهود عليه و هو مزمع ان يصعد الى سورية صار راي ان يرجع على طريق مكدونية
٤ فرافقه الى اسيا سوباترس البيري و من اهل تسالونيكي ارسترخس و سكوندس و غايوس الدربي و تيموثاوس و من اهل اسيا تيخيكس و تروفيمس
٥ هؤلاء سبقوا و انتظرونا في ترواس
٦ و اما نحن فسافرنا في البحر بعد ايام الفطير من فيلبي و وافيناهم في خمسة ايام الى ترواس حيث صرفنا سبعة ايام
٧ و في اول الاسبوع اذ كان التلاميذ مجتمعين ليكسروا خبزا خاطبهم بولس و هو مزمع ان يمضي في الغد و اطال الكلام الى نصف الليل
٨ و كانت مصابيح كثيرة في العلية التي كانوا مجتمعين فيها
٩ و كان شاب اسمه افتيخوس جالسا في الطاقة متثقلا بنوم عميق و اذ كان بولس يخاطب خطابا طويلا غلب عليه النوم فسقط من الطبقة الثالثة الى اسفل و حمل ميتا
١٠ فنزل بولس و وقع عليه و اعتنقه قائلا لا تضطربوا لان نفسه فيه
١١ ثم صعد و كسر خبزا و اكل و تكلم كثيرا الى الفجر و هكذا خرج
١٢ و اتوا بالفتى حيا و تعزوا تعزية ليست بقليلة
١٣ و اما نحن فسبقنا الى السفينة و اقلعنا الى اسوس مزمعين ان ناخذ بولس من هناك لانه كان قد رتب هكذا مزمعا ان يمشي
١٤ فلما وافانا الى اسوس اخذناه و اتينا الى ميتيليني

١٥ ثم سافرنا من هناك في البحر و اقبلنا في الغد الى مقابل خيوس و في اليوم الاخر وصلنا الى ساموس و اقمنا في تروجيليون ثم في اليوم التالي جئنا الى ميليتس
١٦ لان بولس عزم ان يتجاوز افسس في البحر لئلا يعرض له ان يصرف وقتا في اسيا لانه كان يسرع حتى اذا امكنه يكون في اورشليم في يوم الخمسين
١٧ و من ميليتس ارسل الى افسس و استدعى قسوس الكنيسة
١٨ فلما جاءوا اليه قال لهم انتم تعلمون من اول يوم دخلت اسيا كيف كنت معكم كل الزمان
١٩ اخدم الرب بكل تواضع و دموع كثيرة و بتجارب اصابتني بمكايد اليهود
٢٠ كيف لم اؤخر شيئا من الفوائد الا و اخبرتكم و علمتكم به جهرا و في كل بيت
٢١ شاهدا لليهود و اليونانيين بالتوبة الى الله و الايمان الذي بربنا يسوع المسيح
٢٢ و الان ها انا اذهب الى اورشليم مقيدا بالروح لا اعلم ماذا يصادفني هناك
٢٣ غير ان الروح القدس يشهد في كل مدينة قائلا ان وثقا و شدائد تنتظرني
٢٤ و لكنني لست احتسب لشيء و لا نفسي ثمينة عندي حتى اتمم بفرح سعيي و الخدمة التي اخذتها من الرب يسوع لاشهد ببشارة نعمة الله
٢٥ و الان ها انا اعلم انكم لا ترون وجهي ايضا انتم جميعا الذين مررت بينكم كارزا بملكوت الله
٢٦ لذلك اشهدكم اليوم هذا اني بريء من دم الجميع
٢٧ لاني لم اؤخر ان اخبركم بكل مشورة الله
٢٨ احترزوا اذا لانفسكم و لجميع الرعية التي اقامكم الروح القدس فيها اساقفة لترعوا كنيسة الله التي اقتناها بدمه
٢٩ لاني اعلم هذا انه بعد ذهابي سيدخل بينكم ذئاب خاطفة لا تشفق على الرعية
٣٠ و منكم انتم سيقوم رجال يتكلمون بامور ملتوية ليجتذبوا التلاميذ وراءهم
٣١ لذلك اسهروا متذكرين اني ثلاث سنين ليلا و نهارا لم افتر عن ان انذر بدموع كل واحد
٣٢ و الان استودعكم يا اخوتي لله و لكلمة نعمته القادرة ان تبنيكم و تعطيكم ميراثا مع جميع المقدسين
٣٣ فضة او ذهب او لباس احد لم اشته
٣٤ انتم تعلمون ان حاجاتي و حاجات الذين معي خدمتها هاتان اليدان
٣٥ في كل شيء اريتكم انه هكذا ينبغي انكم تتعبون و تعضدون الضعفاء متذكرين كلمات الرب يسوع انه قال مغبوط هو العطاء اكثر من الاخذ
٣٦ و لما قال هذا جثا على ركبتيه مع جميعهم و صلى
٣٧ و كان بكاء عظيم من الجميع و وقعوا على عنق بولس يقبلونه
٣٨ متوجعين و لا سيما من الكلمة التي قالها انهم لن يروا وجهه ايضا ثم شيعوه الى السفينة

الأصحاح الحادي والعشرون

في أورشليم

يقدم لنا الإنجيلي لوقا تكملة الرحلة الكرازيّة الثالثة للقدّيس بولس. وقد ركّز الكاتب على استخدام اللّه الأحداث التي تبدو مرة للغاية ليدفع ببولس إلى روما حتى يشهد هناك في القصر الإمبراطوري، في عاصمة العالم في ذلك الحين.

ابرز الكاتب تحدّي الرسول بولس للضيقات حتى الموت من أجل الكرازة، وخضوعه للمشورة المقدّمة له في أورشليم والتي كانت تدفع إلى قتله عند الهيكل، لكن الله استخدمها لينطلق إلى روما.

١. إلى صور ١-٣.

٢. مشورة الإخوة له ٤-٦.

٣. نبوّة أغابوس في قيصريّة ٧-١٤.

٤. صعوده إلى أورشليم ١٥.

٥. مشورة الإخوة له في أورشليم ١٦-٢٦.

٦. شغب في الهيكل ٢٧-٣٠.

٧. تدخّل أمير الكتيبة ٣١-٤٠.

١. إلى صور

"ولمّا انفصلنا عنهم،

أقلعنا وجئنا متوجهين بالاستقامة إلى كوس،

وفي اليوم التالي إلى رودس ومن هناك إلى باترا". [١]

إذ ودع القديس بولس الكهنة الذين جاءوا من أفسس إلى مليتس لكي ينطلق إلى أورشليم، صار على كل فريق أن يترك الآخر. لم يكن من الهين عليه أو عليهم أن يتركهم بسبب رباط الحب القوي. لذا يقول القديس لوقا: "**لما انفصلنا**"، وقد جاء التعبير كما لو كان انطلاق الرسول ومن معه قد تم بالقوة.

انطلق القديس بولس ومن معه مبحرين في قارب بين الجزائر والشواطئ، فكوس ورودس جزيرتان. هذا وأن رودس هو أيضا اسم مدينة على شاطئ الجزيرة التي تحمل ذات الاسم.

كوس: جزيرة صغيرة في المجموعة الجزرية البحرية واليونانية وهي قريبة من جنوب غرب آسيا الصغرى، تدعي الآن ستانكو Stanco، مشهورة بخصوبة أرضها وإنتاجها للخمر والحرير، تبعد حوالي ٤٠ ميلاً من ميليتس.

رودس: وهي أيضًا من مجموعة الجزر البحرية اليونانية تضم مدينة تحمل ذات الاسم، مشهورة بتمثالها النحاسي الضخم، قام ببنائها شاريس ليندیوس Chares Lyndus تُعرف بارتفاعها الشاهق، تسير السفن في وسطها كما بين أقدامها. دامت ٥٦ عامًا، ودمرها زلزال. كانت تحسب أحد عجائب الدنيا السبع. عندما استولى عليها العرب المسلمون باعوا التمثال الساقط لرجلٍ يهوديٍ حمل نحاسه على عدة جمال، وكان ذلك عام ٦٠٠ م أي بعد دمارها بحوالي ٩٠٠ عامًا. اسمها استيريا Asteria، أما تسميتها رودس، فجاء من كثرة إنتاجها للورود.

باترا: مدينة بحرية لليسيا Lycia، بآسيا الصغرى.

"فإذ وجدنا سفينة عابرة إلى فينيقية،

صعدنا إليها وأقلعنا". [٢]

في بترا وجدوا سفينة مبحرة إلى فينيقية، تاركين جزيرة قبرص على شمالهم بهذا لم يعد الرسول بولس يتعجل السفر إلى أورشليم لكي يبلغها في عيد الخمسين.

"ثم اطلعنا على قبرس،

وتركناها يَسرةً،

وسافرنا إلى سورية،

وأقبلنا إلى صور،

لأن هناك كانت السفينة تضع وسقها". [٣]

تركوا قبرص مبحرين إلى سوريا حيث نزلوا في صور لتفريغ البضائع. فقد كانت صور إحدى المدن التجارية الرئيسية في العالم، وقد بقيت هكذا حتى في أيام القديس بولس.

٢. مشورة الإخوة له

"وإذ وجدنا التلاميذ مكثنا هناك سبعة أيام،

وكانوا يقولون لبولس بالروح

أن لا يصعد إلى أورشليم". [٤]

لم يعد يتعجل الرحلة، ففي صور حيث كان يلزم الانتظار سبعة أيام لتفريغ السفينة من البضاعة وجدوا تلاميذ قبلوا الإيمان، تعبير "**وجدنا**" يشير إلى اهتمام القديس بولس ومن معه بالبحث عن المؤمنين أينما وُجدوا، ليلتصقوا بهم ويتعبدوا معًا، ويتعزوا بعمل الله الدائم في كل موضع.

في عصر السيد المسيح لم تكن صور مستعدة لقبوله إذ قال: "ويل لكِ يا بيت صيدا، لأنه لو صنعت في صور وصيدا القوات المصنوعة فيكما لتابتا قديمًا جالستين في المسوح والرماد، ولكن صور وصيدا يكون لهما في يوم الدين حالة أكثر احتمالاً مما لكما" (لو ١٠: ١٣-١٤). الآن صار في صور تلاميذ للرب يسوع، التصقوا بالرسول بولس وترجوه أن يبقى معهم ولا يصعد إلى أورشليم.

يرى البعض أنه قد تحققت النبوة عن صور: "وتكون تجارتها وأجرتها قدسًا للرب" (إش ٢٣: ١٨).

لعله بقي سبعة أيام حتى يجد فرصة للعبادة مع جميع المؤمنين في يوم الرب والكرازة بينهم.

نال بعض مؤمني صور مواهب معينة حتى استطاعوا أن يتنبأوا بالروح عن متاعب القديس بولس التي سيلاقيها في أورشليم، إذ كان الروح القدس يشهد بهذا في كل مدينة (أع ٢٠: ٢٣).

ماذا يعني: "**يقولون لبولس بالروح أن لا يصعد إلى أورشليم**"؟

١. كانوا يتنبأون بالروح عن المتاعب التي ستلاقيه في أورشليم، متوسلين إليه ألا يصعد، حاسبين أن كثيرين محتاجين إلى خدمته وكرازته.

٢. لا يفهم من هذا أن الروح قد أصدر إليه أمرًا بعدم الصعود إلى أورشليم. وقد أدرك الرسول بولس أن ما فعلوه هو من قبيل غيرتهم وحبهم له، فالروح كشف المتاعب، أما عدم الصعود فكان رجاء من الشعب حفظًا على حياته من المخاطر.

العجيب إن الروح القدس الذي وهب بولس أن يصنع عجائب فوق العادة في أفسس (أع ١٩: ١١) نراه هنا في صور وقد مكث معه التلاميذ، وتنبأوا له بالروح عن المتاعب التي سيلاقيها في أورشليم، وطلبوا منه ألا يصعد إليها. لم يكشف الروح لبولس الرسول مباشرة عما سيلاقيه بل اخبره خلال التلاميذ. فمع ما ناله القديس بولس من مواهب وعطايا ونعم وما تمتع به من نجاحٍ فائقٍ، لكن ما أخفي عنه (أع ٢٠: ٢٢) أعلنه الروح للتلاميذ، حتى يشعر الكل بالحاجة إلى بعضهم البعض. لقد تنبأ عن ذلك أغابوس بعد ذلك في بيت فيلبس المبشر (أع ٢١: ١٠-١١).

"ولكن لمّا استكملنا الأيام خرجنا ذاهبين،

وهم جميعًا يشيعوننا مع النساء والأولاد إلى خارج المدينة،

فجثونا على ركبنا على الشاطئ، وصلينا". [٥]

لم يقبل التلاميذ في صور الإيمان على يدي بولس الرسول، ومع هذا فقد اظهروا تقديرًا وحبًا شديدًا له، حتى أنه بعد خدمته بأسبوع واحد خرج الكل رجالاً ونساء وأطفالاً يودعونه، يطلبون بركة الرب خلاله، كما يصلون من أجله. هنا أظهر هذا الشعب حبًا لخدام الكلمة دون تعصبٍ لخادمٍ معينٍ؛ وشعروا بالالتزام أن يصلوا من أجل الخدام والخدمة. هذا وقد نجحوا في تدريب أطفالهم على حمل ذات الروح والشركة في ذات العمل. لقد تحققت فيهم النبوة: "بنت صور أغنى الشعوب تترضى وجهه بهدية" (مز ٤٥: ١٢). ما هذه الهدية التي قدمتها الكنيسة "بنت صور" الغنية لعريسها سوى الحب الصادق للكلمة والخدام، والوحدة للعمل بروحٍ واحدٍ، وتقديم صلوات حتى على الشاطئ من أجل الخدمة والخدام، وأخيرًا قدموا أروع عملٍ وهو أنهم قدموا أطفالهم للرب شركاء معهم في ذات الروح وذات العمل!

في ميلتيس جثا رجال الكهنوت على ركبهم يصلون عند توديعهم للرسول بولس ومن معه (أع ٢٠: ٣٦)، وهنا في صور جثا الشعب الرجال مع النساء والأطفال يمارسون ذات العمل، وبذات الروح.

ركع الكل على شاطئ الميناء الذي بلا شك كان مرصوفًا بالحجارة، وقد امتلأ ترابًا بسبب نقل البضائع، لكن الكنيسة تحول كل موضع، أيا كان حاله، كما إلى مقدس للرب بالركوع للصلاة في كل حين وفي كل موضع.

الركوع للصلاة عمل لا يفارق الكنيسة، يمارسه المؤمن أينما وجد. يقول جورج هربرت: "الركوع لن يفسد الجوارب الحريرية".

v إنّنا نحني ركبنا، لأن الركب المنحنية تهيئ للإنسان نوال المغفرة من الله، وتنزع غضبه، ويتمتع بقبوله النعمة، أكثر من جميع حركات الجسم الأخرى.

القديس أمبروسيوس

v كان (قسطنطين) يدخل مخدعه الخاص في القصر في ساعات معيّنة من النهار، ويغلق على نفسه ليناجي الله، ويظل راكعًا متضرّعًا من أجل شئون مملكته.

يوسابيوس القيصري

v تأمرنا الكنيسة أن نرفع الصلوات لله بلا انقطاع وبكل توسّل، راكعين في الأيّام المحدّدة ليلاً ونهارًا!

القدّيس أبيفانيوس

v تحوّل من مضطهد إلى كارز ومعلّم للأمم (٢ تي١: ١١)، يقول: "كنت قبلاً مجدّفًا ومضطهدًا ومفتريًا". أمّا سبب نوالي الرحمة فهو "ليُظهر يسوع المسيح فيّ أنا أولاً كل أناة، مثالاً للعتيدين أن يؤمنوا به للحياة الأبديّة" (١ تي ١: ١٦). إننا بنعمة الله كما ترون نخلص من خطايانا، التي فيها نحن نضعف. الله وحده هو الدواء الذي يشفي النفس. فالنفس قادرة بحق أن تؤذي نفسها، هكذا أيضًا الناس في قدرتهم أن يصيروا مرضى، لكن ليس ليهم ذات القدرة لكي يصيروا إلى حال أفضل.

القديس أغسطينوس

"ولمّا ودّعنا بعضنا بعضًا صعدنا إلى السفينة،

وأمّا هم فرجعوا إلى خاصتهم". [٦]

في جوٍ من الحب الروحي العجيب تم الوداع لينطلق القديس بولس ومن معه في السفينة بشكرٍ وفرحٍ مع ما ينتظرونه من مضايقات، ورجع الشعب، كل إلى بيته بروح الفرح والشكر على عمل الله الدائم بواسطة خدامه وشعبه. وكما قال موسى النبي وهو يبارك الأسباط: "افرح يا زبولون بخروجك، وأنت يا يساكر بخيامك" (تث ٣٣: ١٨). فقد انطلق بولس الرسول ومن معه متهللين بصلوات الشعب من أجلهم، وعاد الشعب إلى بيوتهم حاملين بركة الرسول بولس وصلواته عنهم.

٣. نبوّة أغابوس في قيصريّة

"ولمّا أكملنا السفر في البحر من صور،

قبلنا إلى بتولمايس،

فسلَّمنا على الإخوة،

مكثنا عندهم يومًا واحدًا". [٧]

بتولمايس: عكا، وهي مدينة قديمة منذ أيام حكم القضاة (قض ١: ٣١)، إحدى مدن سبط أشير، لها سمعتها منذ العصور الوسطى، وهي أحد محطات الحروب الصليبية، وقد دعوها باسم القديس يوحنا St. Jeane d'Acre ، أي أكرا، حيث بنوا فيها قلاعًا وحصونًا بحرية ضخمة، وهي متاخمة لجبل الكرمل.

حين زارها الرسول بولس كانت تُدعى بتولمايس، نسبة لأحد ملوك البطالسة، حيث قام بتجميلها، وكانت في أيام الرسول حائزة على الحكم الكولوني.

نزل الرسول بولس فيها، وسلم على الإخوة، مما يشير إلى وجود كنيسة لها علاقة بالرسول بولس؛ وقد بقي عندهم يومًا واحدًا ثم فارقها إلى قيصرية.

"ثم خرجنا في الغد نحن رفقاء بولس،

وجئنا إلى قيصرية،

فدخلنا بيت فيلبس المبشّر،

إذ كان واحدًا من السبعة،

وأقمنا عنده". [٨]

إذ جاء القديس بولس ورفقاؤه إلي قيصرية استضافهم فيلبس الذي كان مشهورًا بالمبشر، وهو أحد السبعة شمامسة الذين اختارهم الشعب لخدمة الأرامل (أع ٦: ٣ الخ). وهو الذي بشّر في السامرة (أع ٨: ٥٥ الخ)، وبشّر الخصي الأثيوبي (أع ٨: ٢٦)، وفي المدن التي على الساحل في طريقه من أشدود إلى قيصرية (أع ٨: ٤٠). وقد جعل مقره في قيصرية. دُعي المبشر ربما تمييزًا له من فيلبس الرسول.

يندر أن نجد الرسول بولس ينزل في مكان عام؛ لكنه غالبًا ما كان ينزل ضيفًا لدى أحد أحبائه أو أصدقائه، إذ كان الكل يجدون راحة في نزوله عندهم لا للاستضافة، ولكن كان يحول البيت إلى كنيسة ومركز عمل كرازي روحي وتعبدي.

كان لدى فيلبس المبشر بيت يمكن للقديس بولس ورفقائه أن يقيموا معه فيه، كما يمكن استيعاب القادمين للقاء معهم، وكأن بيته كان مركز خدمة.

"**المبشر**": أي الكارز بالأخبار السارة أو بالإنجيل، وقد ورد هذا التعبير مرتين أيضًا (أف ٤: ١١، ٢ تي ٤: ٥). لم يُذكر عن بقية الشمامسة السبعة أنهم حملوا هذا اللقب. لكننا رأينا في حياة القديس استفانوس أنه كان كارزًا في المجامع يحاور اليهود الذين من مناطق أخرى مثل الإسكندرية وكيليكية وروما الخ. لا يمكننا القول بأن التبشير ليس من عمل الشمامسة، فإن كل مؤمنٍ ملتزم بالشهادة لإنجيل المسيح متى حانت له فرصة.

"وكان لهذا أربع بنات عذارى كن يتنبأن". [٩]

تمتعت بنات فيلبس العذارى بموهبة النبوة. لقد سبقهن البعض وتنبأوا له عما سيحل به من متاعب في أورشليم. هذا التكرار في أكثر من موضع كان لتشجيع الرسول بولس وراحته، حيث يؤكد له الروح القدس أن ما سيحدث هو بسماحٍ إلهي. كما يزكيه أمام الكنيسة في بلاد كثيرة لكي لا يضطرب المؤمنون حين يسمعون ما يحل به؛ مدركين أنه وهو عالم بما سيحدث ذهب بكامل حريته متهللاً من أجل شركته في صليب الرب.

كأننا في عهد الأنبياء، فقد تتلمذت الأربع بنات العذارى على يدي أبيهن فيلبس الرسول، ونلن موهبة النبوة.

v لقد أعجبت بغيرة حنة ابنة فينوئيل التي استمرت حتى شيخوخة متأخرة تخدم الرب في الهيكل بالصلوات والأصوام (مت ١١: ٧- ١٤). عندما فكرت في الأربع عذارى بنات فيلبس (أع ٢١: ٩) اشتاقت أن تلحق بجماعتهن، وأن تحسب مع أولئك الذين بطهارتهن البتولية نلن نعمة النبوة.

القديس جيروم

v إن كان الأمر هكذا (أن تصمت النساء في الكنيسة ١ كو ١٤: ٣٤)، فماذا نفعل بخصوص الحقيقة أن فيلبّس كان له أربع بنات تنبّأن؟ فإن كنّ قادرات على فعل هذا، فلماذا لا نسمح لنبيّاتنا أن يتكلّمن؟ نجيب على هذا السؤال هكذا: أولاً إن كانت نبيّاتنا يتنبّأن، فليظهرن علامات النبوّة فيهنّ. ثانيًا حتى إن كانت بنات فيلبّس قد تنبّأن، فإنهنّ لم يفعلن هذا داخل الكنيسة. هكذا كان الحال في العهد القديم، فمع أن دبّورة قد اشتهرت كنبيّة (قض ٤: ٤)، لا توجد إشارة أنها خاطبت الشعب المجتمع معًا بنفس الطريقة التي فعلها إشعياء أو إرميا. نفس الأمر حقيقي بالنسبة لهلدة (٢ مل ٢٢: ١٤؛ ٢ أي ٣٤: ٢٢).

العلامة أوريجينوس

v الآن أيضًا النساء يتنبّأن. في القديم مريم أخت موسى وهرون، وبعدها دبّورة (قض٤: ٤)، وبعدهما هلدة (٢ مل ٢٢: ١٤)، ويهوديت (يهوديت ٨: ١١) - الأولى في ايّام يوشيا والأخيرة في أيام حكم داريوس. تنبّأت والدة الرب أيضًا، ونسيبتها أليصابات وحنّة (لو١: ٤٦؛ ٢: ٣٨)؛ وفي أيامنا بنات فيلبّس. لكن هؤلاء لم يكن يتشامخن على أزواجهنّ، بل يحفظن قدرهن.

قوانين الرسل القدّيسين

"وبينما نحن مقيمون أيامًا كثيرة،

انحدر من اليهودية نبي اسمه أغابوس". [١٠]

كان الوقت لدى الرسول بولس ثمينًا للغاية، فكان يحسب خدمته في أية مدينة بالأيام، ليس في أيامه يوم واحد بلا عمل، حتى وإن كان داخل السجن، أو أثناء تفريغ سفينة الخ.

كان لأغابوس موهبة النبوة، فقد سبق أن نزل من أورشليم إلي أنطاكية وتنبأ عن المجاعة العامة (أع ١١: ٢٧-٢٨).

"فجاء إلينا،

وأخذ منطقة بولس،

وربط يديّ نفسه ورجليه، وقال:

هذا يقوله الروح القدس:

الرجل الذي له هذه المنطقة،

هكذا سيربطه اليهود في أورشليم،

ويسلمونه إلى أيدي الأمم". [١١]

لم يعد بعد الرسول متعجلاً في الذهاب إلى أورشليم، لذلك أقام أيامًا كثيرة في قيصرية. وقد جاء إليه أغابوس النبي، كما كان يفعل أنبياء العهد القديم. ربط نفسه بمنطقة بولس الرسول وتنبأ أيضًا عما سيفعل به اليهود في أورشليم. هذا عادة الأنبياء أن يمارسوا أعمالاً رمزية للكشف عن أحداث مقبلة. كمثال دفن إرميا النبي منطقته عند الفرات إشارة إلى سبي اليهود (إر ١٣: ٤)، كما صنع لنفسه أربطة وانيارًا ووضعها على عنقه، ثم بعث بها إلى ملوك أدوم وموآب وبني عمون وصور وصيدون، ليعلن لهم أن نبوخذنصر سينتصر عليه ويستعبد هذه الأمم (إر ٢٧: ٢-٧). وأيضًا إذ نزل إرميا النبي إلى بيت الفخاري، وصنع إناءً من الطين قد فسد ثم أعاد تشكيله إشارة إلى ما سيحل على أمة اليهود من دمارٍ (إر ١٨: ٤). تعرى أيضا إشعياء من ثوبه الخارجي، وسار حافي القدمين، رمزًا لسبي مصر وكوش (إش ٢٠: ٣-٤). أما حزقيال فيُدعى النبي الرمزي من كثرة أعماله وتصرفاته الرمزية التي تحمل نبوات.

"فلما سمعنا هذا،

طلبنا إليه نحن والذين من المكان،

أن لا يصعد إلى أورشليم". [١٢]

هنا نلاحظ أن القديس لوقا نفسه ومن معه من مرافقي الرسول بولس وأيضًا من المؤمنين المقيمين في قيصرية قد اتفقوا معًا في الطلب من الرسول بولس ألا يصعد إلى أورشليم. مع تأكيد القديس لوقا والذين معه أن الرسول يتحرك بتوجيه إلهي، لكن من أجل محبتهم للرسول واستمرارية خدمته طلبوا هذا. وحسب الرسول ذلك حبًا، لكنه يحمل ضعفًا، فهو مستعد لا أن يُقيد فقط بل وأن يموت من أجل اسم الرب يسوع بفرحٍ وسرورٍ.

v حاولوا أن يحفظوه، لا بقصد إقناعه أن يعدل عن ذهابه (حيث يتعرض للضيق)، وإنما ليظهروا له الحب، فهم يشتاقون أن تحفظ حياة الرسول (للخدمة) لكنهم لا يشيرون عليه أن يرفض الاستشهاد.

العلامة ترتليان

"فأجاب بولس:

ماذا تفعلون؟ تبكون وتكسرون قلبي،

لأني مستعد ليس أن أربط فقط،

بل أن أموت أيضًا في أورشليم لأجل اسم الرب يسوع". [١٣]

إنه يعلم بصدق محبتهم الملتهبة نحوه وشوقهم الشديد لاستمرارية عمله، لكنه انتهرهم لأنه يطلب إتمام مشيئة الله فيه بالشركة مع المصلوب في آلامه بل وفي موته. لم يحتمل أن يرى دموعهم من أجله فحسب قلبه منكسرًا، لكنه لم يجارهم تصرفهم بل بالحب والشجاعة في الرب رفعهم ليدركوا قيمة الألم من أجل الرب.

كان القديس بولس رقيق المشاعر جدًا، لا يحتمل رؤية دموع أحدٍ، لكنها رقة في الرب. لقد مزقت الدموع قلبه، لكنها لم تقدر أن تحوله عن طريق الصليب.

حمل **القديس أغناطيوس الأنطاكي** ذات الروح حين كتب إلى أهل رومية طالبًا منهم ألا يظهروا المحبة في غير أوانها، حيث كانوا يبذلون كل الجهد لمنع استشهاده.

v لا أطلب إليكم سوى أن أكون سكيبًا لله مادام المذبح معدًا... أطلب إليكم ألا تظهروا لي عطفًا في غير أوانه، بل دعوا الوحوش تأكلني، التي بواسطتها يوهب لي البلوغ إلى اللَّه. أنّني حنطة اللَّه. اتركوني أُطحن بأنياب الوحوش لأصبح خبزًا تقيًا للمسيح. هيِّجوا هذه الوحوش الضارية لتكون قبرًا لي، ولا تترك شيئًا من جسدي، حتى إذا ما مُت لا أُتعب أحدًا، فعندما لا يعود العالم يرى جسدي أكون تلميذًا حقيقيًا للمسيح.

v أرجو أن أحظى بمعونة صلاتكم، بمجابهة الوحوش في روما **لأتمكّن من أن أكون حقًا تلميذ المسيح.**

v هيِّجوا هذه الوحوش الضارية لتكون قبرًا لي، ولا تترك شيئًا من جسدي... **حينئذ أصير تلميذًا حقيقيًا ليسوع المسيح عندما لا يرى العالم جسدي**... صلّوا إلى المسيح من أجلي حتى عندما **أعدّو بفضل الوحوش الضارية ضحيّة إلهي.**

القديس أغناطيوس الأنطاكي

لم يجد الرسول بولس في هذا الوصف ما يفزعه، ولا ما يستحق التفكير فيه، إنما بروح القوة التي يتمتع بها خلال النعمة الإلهية حسب ذلك تكميلاً لآلام المسيح ومشاركة حب مع المصلوب. إنها فرصة ممتعة أن ينفتح الباب لينطلق ويكون مع المسيح، ذاك أفضل جدًا (في ١: ٢٣).

في رسالة إلى هيليودورس Heliodorus كتب **القديس جيروم** معبرًا عن ضرورة السمو فوق العواطف البشرية خلال محبة الله. [أجاب بولس على الإخوة الذين جاهدوا في منعه من الصعود إلى أورشليم: **"ماذا تفعلون؟ تبكون وتكسرون قلبي. لأني مستعد ليس أن أربط فقط، بل أن أموت أيضًا في أورشليم لأجل اسم الرب يسوع"** (أع ٢١: ١٣). فالعاطفة الطبيعية التي غالبًا ما تتلف الإيمان، يلزم أن ترتد بلا قوة من حصن الإنجيل "أمي واخوتي هم الذين يعملون مشيئة أبي الذي في السماوات" (لو ٨: ٢١؛ مت ١٢: ٥٠). إن كانوا يؤمنون بالمسيح فليأمروني إذ أذهب لأحارب باسمه، وإن كانوا لا يؤمنون "دع الموتى يدفنون موتاهم" (مت ٨: ٢٢).]

v يا لروعة أن يوصيهم أن يتغلّبوا برجولة على كل اضطهاد، وأن يجتازوا التجارب بجسارة... إن كان إنسان ما مستعدًا أن يحتمل مخاوف الموت ويزدري بها، فهل لو وضع نفسه ورحل أفلا يبقى له شيء مذخّرًا له؟ لأنه فيما هو يضع نفسه يجدها بنوع ما، بينما لو وجد حياته يجلب

الهلاك لنفسه. لهذا أي خوف يمكن أن يشعر به القدّيسون إن كان ما يبدو قبلاً أنه صعب يكون لهم مفرحًا أن يحتملوه.

القديس كيرلس الكبير

"ولمّا لم يقنع، سكتنا قائلين:

لتكن مشيئة الرب". [١٤]

واضح أنهم كانوا يلحون على الرسول بولس ألا يصعد إلى أورشليم، لكنهم إذ رأوا إصرار الرسول بولس مع قبوله هذه النبوة بفرحٍ أدركوا أن هذه هي مشيئة الله، فخضعوا لها. لقد أدركوا أن قرار الرسول ليس عن اعتداد في نفسه أو كبرياء ولا عن تهورٍ، لكنه دخول في طريق الصليب بفرحٍ مع تسليم كل شيء في يدي الله. كما لم يتلمسوا أدنى تردد أو تخوف مما سيحدث، فلمسوا يد الله العاملة في قلبه وفكره وكل حياته.

٤. صعوده إلى أورشليم

"وبعد تلك الأيام تأهبنا وصعدنا إلى أورشليم". [١٥]

أعدوا أنفسهم للرحلة، إنهم أشبه بجنودٍ حملوا ما يلزمهم للضرورة، وربما كان معهم ما جمعوه من مالٍ من كنائس مكدونية وأخائية لحساب فقراء أورشليم. انطلق معه من كان في صحبته وهم يتوقعون ما سيحل بالرسول من ضيقات، وقد أرادوا أن يكونوا في رفقته وسط الآلام.

v إذ سمع بولس أنه سيحتمل مخاطر كثيرة أسرع لا ليضع نفسه في المخاطر، لكنه حسب ذلك أمرًا من الروح.

القديس يوحنا الذهبي الفم

٥. مشورة الإخوة له في أورشليم

"وجاء أيضًا معنا من قيصرية أناس من التلاميذ،

ذاهبين بنا إلى مناسون،

وهو رجل قبرسي تلميذ قديم لننزل عنده". [١٦]

ذهب معهم أيضا مجموعة من مؤمنى قيصرية، وكان من بينهم مناسون القبرصي، له منزل في أورشليم، ينزلون فيه، إذ يصعب أن يجد أحد مسكنًا يستأجره في أورشليم في وقت العيد.

لقد سمع مناسون ما سيحل ببولس من ضيقات في أورشليم، ومع هذا لم يمتنع عن أن يستضيفه هو ومن معه مرحبًا بهم دون اعتبار لأية متاعب قد تحل به بسببهم.

جاء النص اليوناني غير واضح إن كان مناسون جاء معهم من قيصرية ليستضيفهم في بيته في أورشليم، أو جاءوا هم إلى بيته ولم يكن معهم في قيصرية وأنه كان معروفًا للمؤمنين في قيصرية. يرى البعض أنه كان في الطريق ما بين قيصرية وأورشليم مروا به وجاء معهم.

بعد غيبة طويلة عاد القديس بولس إلى أورشليم بعد أن تعرض لمخاطر كثيرة في بلاد كثيرة.

"ولمّا وصلنا إلى أورشليم قبلنا الاخوة بفرح". [١٧]

في عشية عيد الخمسين في ٢٧ مايو من سنة ٥٧م، لأن العيد في تلك السنة كان في ٢٨ مايو، التقى الرسول بتلاميذه القدامى في بيت مناسون وقد ساد الفرح على الكل، وكان معه القديس لوقا وبقية زملاء سفره.

v وإن كان (القادم) ليس بولس بل مؤمن أو أخ، وإن كان الأخير فإن المسيح يدخل إليك به. افتح بيتك واستقبله، إذ يقول: "من يقبل نبيًا فأجر نبي يأخذ" (مت ١٠: ٤١)... هكذا من يقبل المسيح يقبل أجر من يستضيف المسيح.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"وفي الغد دخل بولس معنا إلى يعقوب،

وحضر جميع المشايخ". [١٨]

يبدو أن يعقوب كان في ذلك الحين الرسول الوحيد المقيم قي أورشليم، قام القديس بولس ومن معه بزيارته.

"فبعدما سلّم عليهم،

طفق يحدثهم شيئًا فشيئًا بكل ما فعله اللَّه بين الأمم،

بواسطة خدمته". [١٩]

بروح التواضع لم يستعرض الرسول إنجازاته الفائقة، إنما حدثهم شيئًا فشيئًا، في هدوء وروية عن أعمال الله الفائقة بين الأمم بواسطة خدمته. وكما كان يؤكد "أنا ما أنا، ولكن نعمة الله العاملة بي". كان يؤمن أنه كان يزرع، وآخرون يسقون مثل أبلوس، لكن الله هو الذي ينمي.

"فلما سمعوا كانوا يمجّدون الرب، وقالوا له:

أنت ترى أيها الأخ كم يوجد ربوة من اليهود الذين آمنوا،

وهم جميعًا غيورون للناموس". [٢٠]

بالرغم من سرور القادة بعمل الله على يدي بولس لكنهم أرادوا تحذيره بأن ربوة من اليهود قبلوا الإيمان المسيحي مع غيرتهم على الناموس، وقد بلغهم أن الرسول بولس يكرز بإنجيل النعمة متجاهلاً الناموس. فيطالب اليهود أن يتركوا تهودهم، ويكفوا عن أن يحسبوا أنفسهم يهودًا، أي يصيرون من الأمم، وأنه لا حاجة للختان ولا للعادات اليهودية.

يرى البعض أنه كان من بين المشايخ الحاضرين من قبلوا الإيمان المسيحي لكنهم لازالوا يعتزون بالفكر الفريسي، يحسبون المسيح والكرازة به لخدمة الناموس ومجد إسرائيل مع الاعتزاز

بحرف الطقوس والعوائد اليهودية. لقد مجدوا الرب لانتشار الإيمان في مدنٍ كثيرةٍ بصورة فائقة وسريعة، لكن ما أقلقهم هو ما سمعوه عن الرسول بولس أنه مقاوم للطقوس الناموسية.

- لاحظوا بأي تواضع تحدثوا. "**قالوا له**" ولم يتكلم يعقوب كأسقف له سلطان، بل تحدثوا مع بولس كشريكٍ معهم في وجهة نظرهم: "**أنت ترى أيها الأخ**" كما لو كانوا في الحال يعتذرون عن أنفسهم قائلين: "لسنا نريد هذا، ألا ترى ضرورة هذا الأمر؟" قالوا: "**كم يوجد ربوة من اليهود الذين جاءوا**"، ولم يقولوا: "كم يوجد ربوة من اليهود جعلناهم نحن موعوظين"، إنما هم جاءوا. روى بولس لهم ما حدث مع الأمم ليس لنوال مجد باطل، حاشًا! وإنما لإظهار رحمة الله، ولكي يملأهم فرحًا. انظروا إذ قيل: "**فلما سمعوا كانوا يمجدون الله**" لم يمدحوا بولس ولا أعجبوا به، فقد روى لهم بحكمة ناسبًا كل شيء لله.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"وقد أخبروا عنك،

أنك تُعلم جميع اليهود الذين بين الأمم الارتداد عن موسى قائلاً:

أن لا يختنوا أولادهم،

ولا يسلكوا حسب العوائد". [٢١]

ربما يتساءل البعض: ألم يقرر المجمع المنعقد في أورشليم ألا يُثقل على الأمم، ويكفي الامتناع عن الزنا وأكل الدم (أع ١٥)؟ يجيبون أن هذا القرار يتضمن الآتي:

- أن الطقوس الخاصة بالشريعة، وان كان يجب تطبيقها روحيًا لا حرفيًا، لكنها صدرت بتشريعٍ إلهي.

- أن ما أصدره المجمع خاص بالذين خارج أورشليم.

- أنه يُطبق على الأمم وحدهم دون اليهود حتى الذين في الشتات.

- لم يتعرض المجمع لما سيحدث عند نمو الكنيسة وتزايد عدد القادمين من الأمم، خاصة عندما يُطرد المسيحيون من الهيكل، وعندما تخرب أورشليم.

فالإشاعات التي بلغت أورشليم كانت غير صحيحة، لأن الرسول بولس لم يكن يطالب كل اليهود بهذا، وإنما سمح للأمم القادمين للإيمان بهذا. هذا ومن جانب آخر فقد أكد أن الخلاص لا يقوم على الممارسة الحرفية للطقوس اليهودية بل على الإيمان بالمسيح العامل بالمحبة. فالناموس بحرفيته عاجز عن التبرير.

كانت القيادات الكنسية تدرك أن ما قد بلغ أورشليم من إشاعات كاذبة، لكن لإرضاء هذه الألوف من المؤمنين يلزم تقديم برهان عملي على كذب هذه التقارير.

إننا نقف مع **القديس يوحنا الذهبي الفم** في دهشة أمام هذه الشخصية العجيبة في حبها الفائق للمقاومين، واتساع فكرها وحكمتها. فبينما وقف اليهود حتى الذين تنصروا موقف العداء منه طوال فترة خدمته إلى آخر نسمة من حياته يتهمونه كمقاوم للناموس، بروح الحب يكتب إليهم في

رسالته إلى العبرانيين: "صلوا لأجلنا. لأننا نثق أن لنا ضميرًا صالحًا، راغبين أن نتصرف حسنًا في كل شيء" (عب ١٣: ١٨). [إنه يطلب من الذين يبغضونه ما يطلبه كل الآخرين ممن يحبونه، أي الصلاة من أجله، قائلاً: "لأننا نثق أن لنا ضميرًا صالحًا". فلا تخبرونني عن اتهامات، فإن ضميرنا، كما يقول، لن يسيء إليكم في شيء، ولن نشعر من نحو أنفسنا أننا ندبر مكائد ضدكم. يقول: "لنا ضمير صالح"، ليس فقط من نحو الأمم، بل وأيضًا من نحوكم. لم نفعل شيئًا بخداعٍ، ولا في رياءٍ. إذ يبدو أنه قد بلغ إليهم هذا... أكتب إليكم هذا، ليس كعدوٍ، ولا كخصمٍ، بل كصديق.]

إنه أمر طبيعي أن يجتمع اليهود الذين قبلوا الإيمان، إذ سمعوا أن بولس قد حضر إلى أورشليم، وأنهم سيحتجون بشدة على موقفه كما صورته التقارير الخاطئة.

"فإذا ماذا يكون لابد على كل حال أن يجتمع الجمهور،

لأنهم سيسمعون أنك قد جئت". [٢٢]

"فأفعل هذا الذي نقول لك،

عندنا أربعة رجال عليهم نذر". [٢٣]

اظهروا للرسول كمن لا يصدقون ما قيل ضده، أنه يبرأ نفسه بأن يحتضن العمل الناموسي بالنسبة لليهود المتنصرين، وإن كان الأمم الذين تنصروا هم في حل من هذه الطقوس. يرى البعض انه وُجد بينهم من كانوا خبثاء، لأنهم يعلمون تمامًا فكر الرسول بولس، وهم وأمثالهم تعقبوه في أكثر البلاد ليثيروا اليهود المتنصرين وغير المتنصرين ضده، بكونه مقاومًا للناموس.

v نقول هذا كنصيحة وليس أمرًا... ليكن دفاعك بالعمل لا بالكلام.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"خذ هؤلاء وتطهر معهم،

وأنفق عليهم ليحلقوا رؤوسهم،

فيعلم الجميع أن ليس شيء ممّا أخبروا عنك،

بل تسلك أنت أيضًا حافظًا للناموس". [٢٤]

"وأمّا من جهة الذين آمنوا من الأمم،

فأرسلنا نحن إليهم،

وحكمنا أن لا يحفظوا شيئًا مثل ذلك،

سوى أن يحافظوا على أنفسهم،

مما ذُبح للأصنام ومن الدم والمخنوق والزنى". [٢٥]

يؤكد يعقوب الرسول أن ما يطلبونه من الرسول بولس لا يتعارض مع قرارات مجمع أورشليم (أع ١٥) حيث أنها خاصة بالأمم وحدهم.

v هنا بنوع من الاحتجاج يقولون "نحن" أمرناهم، مع أننا كارزون لليهود، هكذا فلتفعل أنت مع أنك كارز للأمم، فلتتعاون معنا.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"حينئذ أخذ بولس الرجال في الغد،

وتطهّر معهم،

ودخل الهيكل،

مخبرًا بكمال أيام التطهير إلى أن يُقرب عن كل واحدٍ منهم القربان". [٢٦]

لكي يصالح كنيسة أورشليم ويكسبهم ويدخل بهم تدريجيًا إلى المفاهيم الروحية العالية مارس بعض الطقوس الخاصة بالتطهير. وكما سبق فكتب: "صرت للذين بلا ناموس كأني بلا ناموس، مع إني تحت ناموس المسيح، لأربح الذين هم بلا ناموس" (١ كو ٩: ٢١). وهكذا صار أيضًا للذين تحت الناموس كأنه تحت الناموس ليحرر المستعبدين للحرف لحساب المسيح.

"**كمال أيام التطهير**" هي شريعة النذر، فإذا نذر اليهودي نذرًا من أجل ضيقة أو طلبٍ يطلبه يترك خصل شعره لمدة ثلاثين يومًا، ولا يذق خمرًا أو مسكرًا (عد ٦: ٢-٥)، لأنه مقدس للرب. وفي نهاية المدة يأتي بذبائح النذير، وإن كان الشخص غير قادر على تقديمها يلجأ إلى من هو مقتدر لينفق عليه. لهذا قيل لبولس: "**تطهر معهم وانفق عليهم**" وقد وردت ذبائح النذير وتقدمانه في عد ٦: ١٤-٢١.

يقول **القديس يوحنا الذهبي الفم** أنه كان يمكن للقديس بولس أن يُحضر القديس تيموثاوس كمثلٍ، إذ قام هو بختانه بنفسه، لكنه أذعن لرأيهم وفعل كل ما طلبوه، فإن هذا نافع لإزالة كل شيء، متحملاً كل النفقات.

بحسب الشريعة فإن الذين عليهم نذور يلزمهم ملاحظة الآتي في وقت تطهريهم: أن يمتنع الشخص عن الخمر والمسكر، ولا يأكل عنبًا طازجًا أو جافًا، ولا يقترب من جثمان (لشخصٍ ميتٍ) حتى وإن كان الشخص أباه أو أمه أو أخاه أو أخته (عد ٦: ٣-٧)، وأن يقدم تقدمات حتى تكمل أيام نذره. وأن يحلق رأسه في فترة نذره (عد ٦: ٥)

يشير القديس بولس إلى مثل هذا الإجراء الذى مارسه بقوله: "صرت لليهودي كيهودي لأربح اليهود؛ وللذين تحت الناموس كأني تحت الناموس لكي يربح الذين تحت الناموس" (١ كو ٩: ٢٠). فكما في كرازته للأمم رأى ألا يعارضهم في الأمور غير الضرورية، تاركًا لهم حرية اللبس واللغة وعادات الأكل والشرب وغيرها مادامت لا تتعارض مع الإيمان، هكذا يرى ألا يقاوم اليهود فيما هم متمسكون به مادام ليس ضد الإيمان بالسيد المسيح.

v لم يتظاهر بولس بما هو ليس عليه، بل أظهر حنوًّا.

v من يقوم بتمريض شخص مريض، يصير كما لو كان هو نفسه المريض، لا بأن يتظاهر أنّه مصاب بحمّى، بل بالتفكير المتعاطف ماذا يود أن تكون المعاملة معه لو كان هو مريضًا.

القديس أغسطينوس

v في كل موضع يصير المخلّص... "كل شيء لكل أحدٍ". فللجائع يصير خبزًا، وللعطشى ماءً، وللموتى القيامة، وللمرضى الطبيب، وللخطاة الخلاص.

القديس كيرلس الأورشليمي

v هل تظاهر بولس أن يكون كل شيء لكل البشر، بطريقة تحمل مداهنة؟ لا، بل هو رجل اللّه، وطبيب الروح، القادر أن يشخّص كل ألمٍ، وباجتهادٍ عظيم يهتم بهم ويتعاطف مع جميعهم. جميعنا لدينا بطريق أو آخر شيء مشترك مع كل أحدٍ. هذا التعاطف هو ما تبنّاه بولس في تعامل مع كل شخصٍ بصفة خاصة.

أمبروسياستر

٦. شغب في الهيكل

"ولمّا قاربت الأيام السبعة أن تتم،

رآه اليهود الذين من آسيا في الهيكل،

فأهاجوا كل الجمع،

وألقوا عليه الأيادي". [٢٧]

قبلاً كان شاول الطرسوسى معروفًا في الهيكل، أما بعد هذه السنوات الطويلة فكثيرون، خاصة من الشعب، لم يعرفوه، بل صار غريبًا عنهم. بقي تقريبًا كل السبعة أيام في أيام التطهير داخل الهيكل ولم يشعر به أحد من المقاومين للإيمان المسيحي.

دخل الرسول الهيكل ومعه الأربعة ذوو النذر، وقد تطهر الجميع، متجها نحو رواق الكهنة للاتفاق معهم على أثمان الذبائح. وكان يظن أنه بهذا يهادن المتعصبين ضده من جهة الناموس. وإذ كان الوقت هو عيد الخمسين، وقد جاء اليهود من كل العالم، رآه الذين هم من آسيا، خاصة الذين من أفسس، وكانوا قد امتلأوا حقدًا ضد هذا الإسرائيلي المقاوم للناموس. تعرف عليه لا اليهود الذين في أورشليم وإنما الذين في الشتات، في آسيا الصغرى. لم يذهبوا إلى رئيس الكهنة، ولا إلى قضاة المدينة، ليقدموا اتهامات ضده، لأنهم ربما شعروا أن هذا التصرف الحكيم لن يحقق لهم اشتياقهم من جهة الخلاص من بولس، إنما لجأوا إلى شغب شعبي. إذ أحدثوا شغبًا داخل الهيكل دنسوه، وأفسدوا هدوءه وقدسيته تحت ستار الغيرة على الناموس وعلى قدسية الهيكل.

الآن صار في وسطهم بين أيديهم، داخل الهيكل، ليس من أعوان له من الأمم المتنصرين، ولا من قانون روماني يحميه داخل الهيكل، فوثبوا عليه وهيجوا الجمع اليهودي ضده بكونه مدنسًا للموضع المقدس. إنها ساعتهم وسلطان الظلمة (لو ٢٢: ٥٣).

"صارخين: يا أيها الرجال الإسرائيليون، أعينوا،

هذا هو الرجل الذي يُعلّم الجميع في كل مكان،

ضدًا للشعب والناموس وهذا الموضع،

حتى أدخل يونانيين أيضًا إلى الهيكل،

ودنّس هذا الموضع المقدس". [٢٨]

"**صارخين يا أيها الرجال الإسرائيليون**"، أي يا أصدقاء ناموس موسى والمؤتمنون على حفظ الشريعة. "**هذا هو الرجل**"... هو بعينه الذي يشغل أذهان الكل حتى وإن لم يعرفوه بالوجه، هذا هو المقاوم للأمة الإسرائيلية ولناموس موسى والهيكل.

v قالوا: "**أيها الرجال الإسرائيليون أعينوا**"، كما لو كان هناك وحش ضخم يصعب اصطياده، ويصعب التغلب عليه، وقد سقط بين أيديهم. قالوا: "**يعلم الجميع في كل مكان**"، وليس هنا فقط. فالاتهام صار متفاقمًا للغاية في الظروف الحاضرة.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"لأنهم كانوا قد رأوا معه في المدينة تروفيمس الأفسسي،

فكانوا يظنّون أن بولس أدخله إلى الهيكل". [٢٩]

رأوا تروفيموس معه في مدينة أورشليم، وظنوا أنه مرافق له أينما وجد، حتى داخل الهيكل. ما رآه الشعب هو بولس الرسول، لكنهم صدقوا أن في صحبته تروفيموس داخل الهيكل. كثيرا ما يصدق الشعب أكاذيب خلال رؤيتهم لنصف الحقيقة دون التأكد من الحقيقة كاملة. نصف الحقيقة أن بولس في الهيكل والنصف الكاذب أنه أدخل معه تروفيموس إلى الهيكل.

"فهاجت المدينة كلها،

وتراكض الشعب،

وأمسكوا بولس وجرّوه خارج الهيكل،

وللوقت أغلقت الأبواب". [٣٠]

سرعان ما ثارت الجماهير التي في المدينة فسحبت الرسول بولس من دار إسرائيل إلى دار الأمم، ثم أغلقت الأبواب لمنع أي شغب متزايد داخل الهيكل.

إذ جروه خارج الهيكل وأغلقوا الأبواب بين رواق الأمم وباقي الهيكل ليقتلوه، نما الخبر إلى أمير الكتيبة، فأخذ عسكرًا وقواد مئات وركض إليهم. وبكل جهد أنقذوه وحموه بدروعهم وحملوه على أكتافهم.

يمكننا أن نتصور كيف أن اليهود القادمين من كل بلاد العالم قد حضروا إلى الهيكل كأقدس موضع على وجه الأرض، ليحتفل الكل بالعيد، وها هم يمسكون برجلٍ يدنس الهيكل كمن أُمسك

في ذات الفعل. لا يمكن لإنسان أن يتصور مشاعرهم وقد أرادوا الفتك بمرتكب هذه الجريمة، إذ في ذهنهم أنه يود أن يجرد الكل من أعز ما لديهم: الهيكل والناموس والعوائد الدينية.

لقد ألقوا القبض عليه، **وكما يقول القديس يوحنا الذهبي الفم:** [لم يحتاجوا بعد إلى شرائع ولا إلى المحاكم للعدالة، فقاموا بضربه، أما هو فاحتمل بصبر لكي يقدم دفاعه فيما بعد وحججه، لأنهم لم يسمعوا له.]

٧. تدخّل أمير الكتيبة

"وبينما هم يطلبون أن يقتلوه،

نما خبر إلى أمير الكتيبة أن أورشليم كلها قد اضطربت". [٣١]

كانت قلعة أنتونيا Antonia حيث تقيم فيها الكتيبة العسكرية الرومانية، شمال غرب الهيكل، مرتبطة بالهيكل بمجموعتين من السلالم حتى يمكن سرعة تحركها عند الضرورة. كانت الكتيبة تضم ألفا من الجند. إذ سمع أمير الكتيبة بمحاولة قتل بولس أخذ معه على الأقل قائدي مئة ومائتين جنديا وتدخل لإنقاذ حياته.

بُنيت قلعة أنتونيا بواسطة رئيس الكهنة يوحنا هيركانوس Hyrcanus ودعاها باريس Baris، وقام هيرودس الكبير بتجميلها وتقويتها، ودعاها أنتونيا نسبة إلى صديقه مرقس أنطوني Mark Anthony، يصفها يوسابيوس بأن لها أربعة أبراج، أحدها يبلغ ارتفاعه ٧٠ ذراعًا، تكشف كل ما يجري داخل الهيكل، تطل على الهيكل. وهي تحوي قشلاقات تسع لحوالي ألف جندي، كل منهم يتواجد بصفة دائمة على أهبة الاستعداد في أية لحظة.

الكلمة المترجمة "**أمير كتيبة**" وردت عدة مرات في العهد الجديد (مت ٢٧: ٦٥-٦٦؛ يو ١٨: ١٢؛ أع ٥: ٢٦)، تشير إلى من يقود ١٠٠٠ شخصًا. اسم أمير الكتيبة هو كلوديوس ليساس (أع ٢٣: ٢٦).

"فللوقت أخذ عسكرًا وقواد مئات وركض إليهم،

فلما رأوا الأمير والعسكر،

كفّوا عن ضرب بولس". [٣٢]

"حينئذ اقترب الأمير وأمسكه،

وأمر أن يقيد بسلسلتين،

وطفق يستخبر تُرى من يكون وماذا فعل". [٣٣]

لعله أراد بهذا أن يهدئ من روع الجماهير، بأنه لن يفلت أحد من يد العدالة، وفي نفس الوقت إذ يكون مقيدًا بعسكريين يكون في ذلك حماية له حتى تتم محاكمته. وربما قُيدت أيضًا رجلاه ولكن بطريقة تسمح له بالحركة، وبهذا تحققت نبوة أغابوس (أع ٢١: ١١).

إذ كان الأمير قد خُدع من قبل من ذلك المصري الذي قام بثورة سابقًا، وهرب من بين يدي الجنود،احترس ليسياس هذه المرة، وقيد بولس بسلسلتين، كل منهما مربوطة بيد جندي، فاقتاده جنديان وهو مربوط من كلتا يديه، وقد أحاط به الجند حوله.

"وكان البعض يصرخون بشيء،

والبعض بشيء آخر في الجمع،

ولمّا لم يقدر أن يعلم اليقين لسبب الشغب،

أمر أن يذهب به إلى المعسكر". [٣٤]

إذ سأل الأمير الشعب الثائر: "من هو هذا الإنسان؟ وما هي جريمته؟" كانت الإجابة صرخات بلا معنى. لم يعرفوا حقيقة بماذا يتهمون الرسول؟ كان البعض يصرخ بشيء، وآخرون بشيء آخر. ولم يستطع الأمير ولا رجاله أن يتحققوا الأمر.

"ولمّا صار على الدرج اتفق أن العسكر حمله بسبب عنف الجمع". [٣٥]

حُمل بولس إلى القلعة، وقد تزايدت الصرخات، ولم يعرف أمير الكتيبة ماذا وراء هذا كله.

تشجعت الجماهير المحتشدة المتعصبة بلا فهم حين رأت فريستهم قد صارت في القيود. وإذ كان كثيرون منهم قد وضعوا في قلوبهم أن يسحقوه خدمة لله ولشعبه هجموا عليه وهو في وسط الجنود، وصاروا يضربونه ويلكموه بكل عنف من كل جانب وهم يصرخون: اقتله، اقتله. ولولا أن العسكر حملوه إلى الدرج لمزقته الجماهير.

"لأن جمهور الشعب كانوا يتبعونه صارخين: خذه". [٣٦]

كانت الجماهير في حالة هياج شديد، تساندهم بل وتدفعهم القيادات اليهودية الدينية لقتله. وارتبك الأمير ورجاله، إذ لم يجدوا تفسيرًا منطقيًا لما يحدث.

كان العسكر في حيرة بين ثورة الجماهير وعدم مبالاتهم بوجود الحراسة المشددة وبين ترقبهم للأوامر التي تصدر إليهم من الأمير. وفي وسط هذا كله لم يوجد شخص واحد يلتزم بالهدوء مع السلام الداخلي سوى الرسول بولس نفسه. إذ قارب أن يدخل المعسكر أومأ إلى الأمير ليسأله.

موقف غريب لم يره من قبل الأمير ولا توقعه، خاصة وقد لاحظ ما على سمات الرسول من هدوء، لذا اقترب منه يسمع إليه.

"وإذ قارب بولس أن يدخل المعسكر،

قال للأمير: أيجوز لي أن أقول لك شيئًا؟

فقال: أتعرف اليونانية". [٣٧]

تحدث الرسول مع أمير الكتيبة باليونانية، فدُهش لأنه كان يظنه يهودي مصري سبق أن صنع فتنة مدعيًا أنه نبي، خرج وراءه أربعة آلاف شخص إلى جبل الزيتون. وكما يقول يوسيفوس أنه

قال لهم سيظهر لهم كيف تتساقط حصون أورشليم، وأنه سيعبر بهم خلال هذه الحصون الساقطة. كما يقول أنه جَمع ٣٠٠٠٠ نسمة ضللهم وذهب معهم إلى جبل الزيتون، وقال لهم أنه مستعد أن يدخل أورشليم بالقوة. قام فيلكس الوالي بإثباط هذه الحركة بقوى عسكرية قتلت ٤٠٠ شخصًا منهم وأسروا ٢٠٠ شخصًا. هرب المصري ولم يظهر بعد. لهذا كان طبيعيًا أن يظن أمير الكتيبة أنه المصري الهارب، قد عاد فثارت الجماهير عليه.

"أفلست أنت المصري الذي صنع قبل هذه الأيام فتنة،

وأخرج إلى البرية أربعة الآلاف الرجل من القتلة؟" [٣٨]

إن كان يوسيفوس قد ذكر أنه خدع ٣٠٠٠٠ شخصًا، بينما يقول الأمير أنه خرج وراءه ٤٠٠٠ شخصًا، فإن ما ذكره القديس لوقا هو ما نطق به الأمير، وربما كان الأمير لا يود ذكر العدد كاملاً حتى لا يعطي لهذا المصري تقديرًا عظيمًا وقدرة على جذب هذا العدد.

يرى البعض أن تقدير الأمير أقرب إلى الحقيقة من تقدير يوسيفوس، لأن الأخير ذكر أن القتلة ٤٠٠ والمقبوض عليه أحياء ٢٠٠ شخصًا، وهذا العدد يكون قليلاً جدًا لو أن اتباع المصري ٣٠٠٠٠ نسمة.

"فقال بولس: أنا رجل يهودي طرسوسي،

من أهل مدينة غير دنية من كيليكية،

والتمس منك أن تأذن لي أن أكلم الشعب". [٣٩]

حولت العناية الإلهية هذا الاضطراب للخير، فقد وجد الرسول بولس فرصته للحديث معهم، وكما يقول **القديس يوحنا الذهبي الفم** أنه استطاع أن يجتذبهم للاستماع إليه بحديثه معهم بلغتهم المحلية هذا مع رقته ولطفه في الحديث.

اضطر الرسول أن يعلن عن موطنه فهو رجل يهودي شريف المولد، ولد في طرسوس التي اشتهرت بالعلم، وكانت تنافس الإسكندرية وأثينا. دعاها اكسنفون Xenophon مدينة عظيمة مزدهرة. وقال عنها يوسابيوس إنها العاصمة أكثر المدن شهرة بين البلاد الكليليكية. كيهودي من حقه الدخول في الهيكل، وممارسة العبادة فيه، وكرجل متعلم قادر أن يتحدث مع الشعب.

"فلما أذن له،

وقف بولس على الدرج،

وأشار بيده إلى الشعب،

فصار سكوت عظيم،

فنادى باللغة العبرانية، قائلاً:" [٤٠]

وقف القديس بولس وهو قليل في جسمه، لكن كان الجميع يرونه وهو على أعلى درجات السلم. يقف بين العسكر وقد حملوا أسلحة برّاقة. كان مربوط بالسلاسل، لكنه كان سيد الموقف كله. هدوءه العجيب وسلامه الداخلي أدهش الكثيرين حتى من الثائرين ضده.

لم يحسب هذا الموقف مخزيًا له، بل كان في قمة المجد، كأنه قد صعد على سلم يعقوب، وارتفع إلى حيث الرب واقف، يحوط به العسكر السمائيون. ويتطلع بقلب ينبض حبًا نحو مقاوميه، لعل نعمة اللَّه تقتنصهم فيختبروا ما يتمتع به من أمجاد داخلية.

إذ وقف على الدرج المؤدي إلى القلعة أشار بيده للجموع، والعجيب أنه صار سكوت عظيم. هذه نعمة إلهية فائقة أن يصمت الثائرون ليسمعوا له. لم يكن يحلم الرسول بولس بهذه الفرصة الرائعة ليشهد لمسيحه أمام جميع طبقات الأمة اليهودية بكافة علمائها ورؤسائها وأتقيائها، أقام اليهود الذين من أورشليم والقادمين من كل أنحاء العالم. لقد وهبه الرب نعمة، فما أن أشار بيده حتى صار سكوت عظيم. يا له من أسير مربوط بسلسلتين صاحب سلطان، لكنه إذ يشير إلى الشعب ينصت منتظرًا أن يسمع منه كلمة.

تحدث معهم لا بالآرامية، لغة عامة الشعب، وإنما بالعبرانية العامية والتي يدعى سريانية-كلدانية، التي لا يتقنها سوى علماء اليهود والكهنة، لغة العبادة والطقس. سمعوه يتحدث بلغتهم الأصلية، لغة الكتاب المقدس، لغة الهيكل والعظماء، فصار سكوت عظيم.

من وحي أع ٢١

قيود الحريّة الماسيّة!

- كان رسولك بولس في طريقه إلى أورشليم،

وقد التهب قلبه شوقًا للشهادة لك في روما.

اشتهى العمل بين الأمم،

وإن كان سجينًا ومقيّدًا بالسلاسل.

لم يشغله ما سيعانيه في طريقه إلى روما

مادام روحك القدّوس قائدًا له.

- في صور توسّل إليه الإخوة،

ألاّ يصعد إلى أورشليم.

إنّهم مُدركون ما تنتظره من شدائد خطيرة حتى الموت.

والعالم كلّه في حاجة إلى كرازته!

v لم تشغله آلام الطريق،

إنّما بلوغ إنجيلك إلى عاصمة العالم!

في حب خرجت الجماهير رجالاً ونساء مع أطفال،

ليجثوا مع الرسول على الشاطئ،

ويقدّموا صلاة شكر لك يا مدبّر حياة الكنيسة وخدمتها.

v وفي قيصريّة تنبّأت بنات فيلبّس العذارى،

وربّما أعلن عمّا سيحلّ بالرسول.

جاء أغابوس يؤكّد تسليم الرسول للأمم لمحاكمته.

توالت المشورات والنبوّات،

أمّا قلب بولس فكان متعلّقًا بالشهادة لك.

انكسر قلبه بسبب إلحاح الجمع ألاّ يصعد إلى أورشليم.

إنّه مستعد لا أن يُربط فقط،

بل ويموت في أورشليم من أجل إنجيلك.

أحبته الجماهير في كل بلدٍ،

وأدرك الكل أنّهم في حاجة إلى كل دقيقة من حياة رسولك.

وأحبّهم رسولك مشتهيًا أن ينفَق ويُنفِق من أجلهم.

لكن حبّه لأجل نشر الكلمة يسمو فوق كل عاطفة!

v في تواضعٍ قبل رسولك مشورة الإخوة في أورشليم.

هاجت الجماهير في الهيكل ضدّه.

كثيرون اشتهوا قتله مع أنّهم لم يروه من قبل،

لكن تعصبّهم الأعمى أفسد بصيرتهم.

ليهج الكل،

وأمّا رسولك فيقف في سلامك العجيب ليشهد لك.

هب لي يا ربّما قلب بولس الناري للعمل لحساب ملكوتك!

v اسمح لي يا سيدي أن أرى بعينيك ما هو عليه رسولك.

أراه معك ليس واقفًا على درج الحبس،

بل محمولاً على الأذرع الأبدية.

قيوده أبرع جمالاً من كل حلى ذهبي.

قيوده كأنها مرصعة بالماس وكل حجارة كريمة.

يحيط به الجنود بعنفهم،

لكن حوله الملائكة يتهللون فرحًا وبهجة بقديسك!

يقف ليتكلم،

ولكن روحك القدوس هو الموجه لكل أحاديثه!

أي ملك أعظم من بولس؟

وأي رئيس أكثر منه قوة وسلطاناً؟

v تطلعت إليه القيادات اليهودية فرأته مستحق الرجم أو الصلب،

حتى يطهروا الأرض منه!

وتطلعت الجماهير إليه، تود أن تفتك به،

لأنه في نظرهم مجرم،

ولكن لا يدرون ما هي جريمته.

وتطلع إليه الأمير وقد انحنت نفسه أمام هدوءه العجيب وسلام قلبه الفائق.

وتطلع إليه العسكر في حيرة، إذ لم يروا سجينًا مثله!

وتطلعت إليه الطغمات السمائية وهي تطّوبه،

لأنه بفرحٍ يُصلب معك!

وتتطلع إليه أنت يا سيدي،

لترحب به في الملكوت!

طوباك يا بولس العجيب!

١ و لما انفصلنا عنهم اقلعنا و جئنا متوجهين بالاستقامة الى كوس و في اليوم التالي الى رودس و من هناك الى باترا
٢ فاذ وجدنا سفينة عابرة الى فينيقية صعدنا اليها و اقلعنا
٣ ثم اطلعنا على قبرس و تركناها يسرة و سافرنا الى سورية و اقبلنا الى صور لان هناك كانت السفينة تضع وسقها
٤ و اذ وجدنا التلاميذ مكثنا هناك سبعة ايام و كانوا يقولون لبولس بالروح ان لا يصعد الى اورشليم
٥ و لكن لما استكملنا الايام خرجنا ذاهبين و هم جميعا يشيعوننا مع النساء و الاولاد الى خارج المدينة فجثونا على ركبنا على الشاطئ و صلينا
٦ و لما ودعنا بعضنا بعضا صعدنا الى السفينة و اما هم فرجعوا الى خاصتهم
٧ و لما اكملنا السفر في البحر من صور اقبلنا الى بتولمايس فسلمنا على الاخوة و مكثنا عندهم يوما واحدا
٨ ثم خرجنا في الغد نحن رفقاء بولس و جئنا الى قيصرية فدخلنا بيت فيلبس المبشر اذ كان واحدا من السبعة و اقمنا عنده
٩ و كان لهذا اربع بنات عذارى كن يتنبان
١٠ و بينما نحن مقيمون اياما كثيرة انحدر من اليهودية نبي اسمه اغابوس
١١ فجاء الينا و اخذ منطقة بولس و ربط يدي نفسه و رجليه و قال هذا يقوله الروح القدس الرجل الذي له هذه المنطقة هكذا سيربطه اليهود في اورشليم و يسلمونه الى ايدي الامم
١٢ فلما سمعنا هذا طلبنا اليه نحن و الذين من المكان ان لا يصعد الى اورشليم
١٣ فاجاب بولس ماذا تفعلون تبكون و تكسرون قلبي لاني مستعد ليس ان اربط فقط بل ان اموت ايضا في اورشليم لاجل اسم الرب يسوع
١٤ و لما لم يقنع سكتنا قائلين لتكن مشيئة الرب
١٥ و بعد تلك الايام تاهبنا و صعدنا الى اورشليم
١٦ و جاء ايضا معنا من قيصرية اناس من التلاميذ ذاهبين بنا الى مناسون و هو رجل قبرسي تلميذ قديم لننزل عنده
١٧ و لما وصلنا الى اورشليم قبلنا الاخوة بفرح
١٨ و في الغد دخل بولس معنا الى يعقوب و حضر جميع المشايخ
١٩ فبعدما سلم عليهم طفق يحدثهم شيئا فشيئا بكل ما فعله الله بين الامم بواسطة خدمته
٢٠ فلما سمعوا كانوا يمجدون الرب و قالوا له انت ترى ايها الاخ كم يوجد ربوة من اليهود الذين امنوا و هم جميعا غيورون للناموس
٢١ و قد اخبروا عنك انك تعلم جميع اليهود الذين بين الامم الارتداد عن موسى قائلا ان لا يختتنوا اولادهم و لا يسلكوا حسب العوائد
٢٢ فاذا ماذا يكون لا بد على كل حال ان يجتمع الجمهور لانهم سيسمعون انك قد جئت
٢٣ فافعل هذا الذي نقول لك عندنا اربعة رجال عليهم نذر
٢٤ خذ هؤلاء و تطهر معهم و انفق عليهم ليحلقوا رؤوسهم فيعلم الجميع ان ليس شيء مما اخبروا عنك بل تسلك انت ايضا حافظا للناموس
٢٥ و اما من جهة الذين امنوا من الامم فارسلنا نحن اليهم و حكمنا ان لا يحفظوا شيئا مثل ذلك سوى ان يحافظوا على انفسهم مما ذبح للاصنام و من الدم و المخنوق و الزنا
٢٦ حينئذ اخذ بولس الرجال في الغد و تطهر معهم و دخل الهيكل مخبرا بكمال ايام التطهير الى ان يقرب عن كل واحد منهم القربان
٢٧ و لما قاربت الايام السبعة ان تتم راه اليهود الذين من اسيا في الهيكل فاهاجوا كل الجمع و

القوا عليه الايادي
٢٨ صارخين يا ايها الرجال الاسرائيليون اعينوا هذا هو الرجل الذي يعلم الجميع في كل مكان
ضدا للشعب و الناموس و هذا الموضع حتى ادخل يونانيين ايضا الى الهيكل و دنس هذا الموضع
المقدس
٢٩ لانهم كانوا قد راوا معه في المدينة تروفيمس الافسسي فكانوا يظنون ان بولس ادخله الى
الهيكل
٣٠ فهاجت المدينة كلها و تراكض الشعب و امسكوا بولس و جروه خارج الهيكل و للوقت
اغلقت الابواب
٣١ و بينما هم يطلبون ان يقتلوه نما خبر الى امير الكتيبة ان اورشليم كلها قد اضطربت
٣٢ فللوقت اخذ عسكرا و قواد مئات و ركض اليهم فلما راوا الامير و العسكر كفوا عن ضرب
بولس
٣٣ حينئذ اقترب الامير و امسكه و امر ان يقيد بسلسلتين و طفق يستخبر ترى من يكون و ماذا
فعل
٣٤ و كان البعض يصرخون بشيء و البعض بشيء اخر في الجمع و لما لم يقدر ان يعلم اليقين
لسبب الشغب امر ان يذهب به الى المعسكر
٣٥ و لما صار على الدرج اتفق ان العسكر حمله بسبب عنف الجمع
٣٦ لان جمهور الشعب كانوا يتبعونه صارخين خذه
٣٧ و اذ قارب بولس ان يدخل المعسكر قال للامير ايجوز لي ان اقول لك شيئا فقال اتعرف
اليونانية
٣٨ افلست انت المصري الذي صنع قبل هذه الايام فتنة و اخرج الى البرية اربعة الالاف الرجل
من القتلة
٣٩ فقال بولس انا رجل يهودي طرسوسي من اهل مدينة غير دنية من كيليكية و التمس منك ان
تاذن لي ان اكلم الشعب
٤٠ فلما اذن له وقف بولس على الدرج و اشار بيده الى الشعب فصار سكوت عظيم فنادى باللغة
العبرانية قائلا

الأصحاح الثاني والعشرين

أول دفاع أمام اليهود

يقدم لنا الإنجيلي لوقا أول دفاع يوجهه الرسول بولس إلى اليهود، يفند فيه الاتهامات الثلاثة التي وُجهت ضده، وهي أنه ضد الأمة اليهودية، ومقاوم للناموس، ومدنس للهيكل. وقد جاء دفاعه يحوي الآتي:

- أنه عبراني بالمولد، غيور على أمته، ويعتز بلغته. هذه الغيرة يشهد لها مجمع السنهدرين نفسه ورئيس الكهنة، حيث كان يعمل معهم لمقاومة اسم يسوع.

- أن تحوله لم يكن بدعوة بشرية، بل بإعلان إلهي في لحظات مقاومته بكل عنف لاسم يسوع. فقد أنار له يسوع السماوي الطريق، وحوله من مضطهد للكنيسة إلى كارز بإيمانها.

- أنه لم يهجر الهيكل، بل يشارك في العبادة، وأن الرب نفسه ظهر له في الهيكل، يؤكد له أنه سيرفضه اليهود ليكرز بين الأمم.

١. يهودي غيور ١-٣.

٢. مضطهد للطريق ٤-٥.

٣. نور من السماء ٦-١١.

٤. دعوته للشهادة ١٢-١٦.

٥. رؤية في الهيكل ١٧-٢١.

٦. محاولة قتله ٢٢-٢٤.

٧. روماني لا يُجلد ٢٥-٣٠.

١. يهودي غيور

"أيها الرجال الإخوة والآباء،

اسمعوا احتجاجي الآن لديكم". [١]

بدأ دفاعه بالحديث معهم بكونه واحدًا منهم، يتطلع إليهم أنهم إخوته وآباؤه، يكّن لهم كل حبٍ وتقديرٍ بكونهم بني أمته.

يتحدث بكل شجاعة بلا خوف، وكأنه يقول مع النبي: "لا أخاف من ربوات الشعوب المصطفين عليَّ من حولي" (مز ٣: ٦).

"فلما سمعوا أنه ينادي لهم باللغة العبرانية،

أعطوا سكوتًا أحرى، فقال". [٢]

كثيرون ممن نشأوا خارج اليهودية وصارت لهم ثقافة هيلينية كانوا يتحدثون باليونانية أو اللغات المحلية التي تربوا فيها ونسوا العبرانية، أما بولس الرسول فكمحبٍ لوطنه منذ صباه يجيد الحديث بالعبرانية بطلاقة، لذلك إذ خاطب الجموع بها سكتوا، علامة سرورهم بمن يعتز بهذه اللغة مهما كانت ثقافته.

هنا يعني هنا اللغة العامية وليست لغة العهد القديم، وتسمى السريانية، وهي لهجة عامية من العبرية، أو كما يدعوها البعض تحريفًا لها.

كما استراح له الشعب المستمع إليه، اطمأن له أيضًا القائد إذ سمعه يتحدث باليونانية والعبرانية العامية بطلاقة، فهو ليس بذاك المصري الذي يصنع فتنة وسط الشعب.

"أنا رجل يهودي، وُلدت في طرسوس كيليكية،

ولكن رُبِّيت في هذه المدينة مؤدبًا عند رجليّ غمالائيل،

على تحقيق الناموس الأبوي،

وكنت غيورًا للَّه كما أنتم جميعكم اليوم". [٣]

تحدث عن نسبه لشعبه أنه يهودي، وكما كتب في رسالته إلى أهل فيلبي: "من جهة الختان مختون في اليوم الثامن، من جنس إسرائيل، من سبط بنيامين، عبراني من العبرانيين، من جهة الناموس فريسي" (في ٣: ٦). فهو ليس بالإنسان الغريب عنهم ولا سبطه غريب عن بقية الأسباط. مولود في طرسوس، عاصمة كيليكية، أي في بلد جدير بالشرف تتمتع بالحرية، وليس عبدًا كما هو حال بعض اليهود في الشتات، أي له شرف المولد.

هو أيضًا دارس متعلم جاء إلى أورشليم ليتعلم عند رجلي غمالائيل أبرز معلم للناموس اليهودي في عصره. اهتم بناموس الآباء معتزًا بالتقليد الآبائي السليم، فهو يعتز بما تسلمه الآباء وما سلموه جيلاً بعد جيلٍ، وأن ما يمارسه الآن هو امتداد حقيقي للتقليد الآبائي الحق، ليس فيه انحراف. إنه يعلن الأمانة التي تسلمها، ولكن بحسب الفكر الروحي. ومملوء غيرة لله، كما يشهدون، إذ كان يضطهد من كان يظنهم مقاومين لله. غيرته لله على حفظ الناموس روحيًا هي بعينها غيرته في المسيح يسوع مكمل الناموس ومحقق غايته.

- "**عند رجلي غمالائيل**"، لم يقل: "بواسطة غمالائيل"، بل عند رجليه مظهرًا مثابرته واجتهاده وغيرته على الاستماع، وتقديره العظيم لهذا الرجل.

القديس يوحنا الذهبي الفم

- تعلّم بولس الحروف العبريّة، وجلس عند قدميّ غمالائيل، هذا الذي لم يخجل من أن يخبر بذلك. لكنّه أظهر استخفافًا بالخطابة اليونانيَّة أو على الأقل صمت تمامًا عن الحديث بشأنها، وذلك من أجل تواضعه، حتى أن كرازته لا تقوم على قدرة كلماته على الإقناع، وإنّما على قوّة آياته.

القديس جيروم

٢. مضطهد للطريق

"واضطهدت هذا الطريق حتى الموت،

مقيدًا ومسلمًا إلى السجون رجالاً ونساء". [٤]

أوضح كيف بدأ خدمته بقلب ناري في اضطهاده للمسيحيين بلا تمييز بين رجلٍ أو امرأةٍ، غايته في ذلك الكشف عن أن تحوله إلى الخدمة لحساب المسيح لم يكن إلا بقوة إلهية ودعوة سماوية حولت كل فكره واتجاهاته، خاصة وأن هذا قد حدث فجأة خلال إعلان إلهي.

يقدم لنا سفر الأعمال صورة واقعية لشاول الطرسوسي كمضطهد الكنيسة، فقد كان ينفس تهددًا (أع ٩: ١)، وكان يلقي قرعة لقتل من في السجون (أع٢٦: ١٠). لم يضطهد فقط الذين تبعوا هذا الطريق، بل الطريق ذاته حيث كان لا يقبل اسم يسوع ولا الإيمان به. بذل كل الجهد ليرعب

الكل: رجالاً ونساءً، مسلمًا إياهم للسجون، وها هو الآن قد صار مقيدًا في السجن من أجل اسم يسوع والشهادة له.

وضع شاول الطرسوسي في قلبه أن يقاوم المسيحيين حتى وإن أدي الأمر إلى قتلهم، فقد حسبهم لا يستحقون الحياة، ولم يكن يتصور أنه يأتي اليوم الذي فيه يجد لذته في أن يموت كل النهار من أجل مسيحه.

v "أنا الذي كنت قبلاً مجدفًا ومضطهدًا ومفتريًا، ولكنني رُحمت لأني فعلت بجهل في عدم إيمان، وتفاضلت نعمة ربنا جدًا" (١ تي ١:١٣-١٤)... فمن جانب، أكد أنه كان يسلك بلا لوم (في ٣:٦)، ومن جانب آخر، يعترف أنه خاطئ إلى الحد الذي لا يحتاج الخطاة أن ييأسوا من أنفسهم، وعلى وجه الدقة لأن بولس قد وجد غفرانًا.

القديس أغسطينوس

v تحول من مضطهد إلى كارز ومعلم للأمم (٢ تي ١:١١). ويقول: "كنت قبلاً مجدفًا ومضطهدًا ومفتريًا". أما سبب نوالي الرحمة فهو "ليُظهر يسوع المسيح في أنا أولاً كل أناة، مثالاً للعتيدين أن يؤمنوا به للحياة الأبدية" (١ تي ١:١٦). انه بنعمة الله كما ترون أننا نخلص من خطايانا، التي فيها نحن نضعف. الله وحده هو الدواء الذي يشفي النفس. فالنفس قادرة بحق أن تؤذي نفسها، هكذا أيضًا الناس في قدرتهم أن يصيروا مرضي، لكن ليس لديهم ذات القدرة لكي يصيروا إلى حال أفضل.

القديس أغسطينوس

v لماذا لم ينل اليهود الآخرون رحمة؟ لأن ما فعلوه ليس ou جهلٍ، بل بإرادتهم وهم يعلمون ماذا يفعلون... هكذا كانت محبتهم للسلطة عائقًا في طريقهم في كل موضع... لم يفعل بولس كما فعل يهود آخرون، بدافع حب السلطة، وإنما من أجل الغيرة. فماذا كان هدفه من رحلته إلى دمشق؟ لقد ظن أن التعليم مُهلك، وكان يخشى انتشار الكرازة به...لهذا السبب دان نفسه قائلاً: "لست أهلاً أن أكون رسولاً.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"كما يشهد لي أيضًا رئيس الكهنة وجميع المشيخة،

الذين إذ أخذت أيضًا منهم رسائل للإخوة إلى دمشق،

ذهبت لآتي بالذين هناك إلى أورشليم مقيّدين لكي يعاقبوا". [٥]

كان أشبه بوكالة تمثل مجمع السنهدرين ورئيس الكهنة في مقاومة المسيحية. هذا ما لا يستطيع رئيس الكهنة أن ينكره، هو ومن معه. وإذ سمعوا أن كثير من اليهود في دمشق قبلوا الإيمان المسيحي لم يجدوا من يقدر أن يقمعهم مثل شاول الطرسوسي. قدموا له كل إمكانية لكي يحقق هذا الهدف بنجاح.

يقول لهم: "ما تفعلونه الآن هو صورة باهتة لما سبق أن فعلته أنا بالمسيحيين. لي خبرة بما في قلوبهم، وما تحملونه أنتم من مشاعر. وإني اشتهي أن تنالوا ذات خبرتي، لتدركوا الحق الذي أدركته أنا".

٣. نور من السماء

"فحدث لي وأنا ذاهب ومتقرّب إلى دمشق،

أنه نحو نصف النهار،

بغتة أبرق حولي من السماء نور عظيم". [٦]

بعد أن كشف ما كان عليه حين كان مضطهدًا للكنيسة وهي ذات الحالة التي يعيشونها هم، بدأ يحدثهم عن عمل الله معه، وكأنه يطلب لهم أن يعمل الله فيهم كما عمل فيه.

يؤكد الرسول بولس أن تغييره لم يقم على حبه لما هو جديد، ولا لتأثير بشري عليه. لقد تركه الرب يسير طوال الطريق من أورشليم حتى قرب دمشق، وكانت كل أحلام يقظته أن يخدم الله بكل قوة بإبادة المسيحيين ونزع اسم يسوع من على وجه الأرض، متطلعًا إلى المسيحيين كأصحاب بدعة تقاوم الحق الإلهي، وتفسد الأمة.

اشرق عليه نور عظيم من السماء، واليهود يعلمون أن الله نور، ساكن في النور، ملائكته هم ملائكة نور. هذا حدث في الظهيرة حيث لا يمكن أن يكون تخيلاً، ولا فيه خدعة بشرية.

"فسقطت على الأرض،

وسمعت صوتًا قائلاً لي:

شاول، شاول، لماذا تضطهدني؟" [٧]

ناداه الصوت من السماء باسمه، وقد تشكك في الأمر، من هو في السماء يضطهده، وهو يعرفه باسمه.

"فأجبت: من أنت يا سيد؟

فقال لي: أنا يسوع الناصري الذي أنت تضطهده". [٨]

كانت مفاجأة له أن يسوع الناصري حي، هو في السماء، يحسب كل مقاومة ضد كنيسته موجهه ضده شخصيًا. وكأن الرسول يحذرهم حتى لا يسقطوا في ما سقط هو فيه، فإن اضطهادهم للرسول الآن هو اضطهاد مباشر ليسوع الناصري الذي ظنوا أنه قد تخلصوا منه بصلبهم إياه. إنهم يقاومون المسيا السماوي.

"والذين كانوا معي نظروا النور وارتعبوا،

ولكنهم لم يسمعوا صوت الذي كلمني". [٩]

يرى **القديس يوحنا الذهبي الفم** أنه يوجد صوتان، صوت الرب وصوت شاول. هنا يتحدث عن الصوت الذي لم يسمعه المرافقون لشاول، أما فى الأصحاح التاسع [٧] فيتحدث عن صوت شاول الذى سمعه من حوله. أما عن النور فهنا يتحدث عن رؤيتهم للنور الباهر دون تمييز للشخص السماوي الذى يتحدث معه، أما في الأصحاح التاسع فيقول أنهم لم يروا إنسانًا، ولم يقل أنهم لم يروا النور. فبحق شاول وحده ميز الصوت وميز المتحدث معه، أما الذين حوله فرأوا نورًا وسمعوا شاول يتحدث، لكنهم لم يسمعوا صوت السماوي ولا رأوه.

ولئلا يعترضوا: لماذا غيَّر النور والصوت حياتك، ولم يغير حياة الذين كانوا حولك؟ وإن كنا لا نعرف إن كان منهم من تأثروا من الموقف أم لا، لكن الرسول أكد أن الرؤيا كانت له شخصيًا، لقد رأوا النور ولم يميزوه، ولم يسمعوا الصوت الذي كلمه. ربما سمعوا صوتًا رهيبًا لكنهم لم يفسروا الكلمات، لأنه موجه لشاول الطرسوسي.

يرى **القديس أمبروسيوس** أن شاول الطرسوسي دون رفقائه سمع صوت الرب ودخل معه في الحوار لأنه كان في أعماقه مستعدًا لقبول الحق، ومشتاقًا إلى المعرفة. [جاء في أعمال الرسل أن بولس إذ سمع صوت المسيح تقبل دعوة النعمة، ومع وجود رفقاء كثيرين معه في ذات الرحلة وفي نفس الوقت هو وحده قيل عنه أنه سمع صوت المسيح. لهذا أيها العزيز القديس من يؤمن يسمع، ويسمع لكي يؤمن. أما من لا يؤمن فلا يسمع. بلى أنه لن يسمع، ولا يقدر أن يسمع لئلا يؤمن.]

ما أخشاه أن نكون ليس في رفقة شاول الطرسوسي، بل في رفقة موكب الكنيسة، ويتراءى الرب، لكننا لا نراه ولا نسمع صوته. فقد سمع الطفل صموئيل صوت الرب، ولم يسمع الكاهن عالي الصوت الإلهي، وهو في الهيكل.

"فقلت: ماذا أفعل يا رب؟

فقال لي الرب:

قم واذهب إلى دمشق،

وهناك يقال لك عن جميع ما ترتب لك أن تفعل". [١٠]

لم يقبل شاول الطرسوسي الإيمان في الحال، لكنه طلب مشورة السماوي، فقاده إلى الكنيسة لكي يتعرف على الحق. في المدينة التي كان يود أن يخرب كنيستها يصير هو تلميذًا ليتعلم الحق الإنجيلي.

"وإذ كنت لا أبصر من أجل بهاء ذلك النور،

اقتادني بيدي الذين كانوا معي،

فجئت إلى دمشق". [١١]

لم تحتمل عيناه الجسديتان أن تنظرا بهاء نور السيد المسح فأصيبتا بالعمى، حتى تنفتح عين قلبه لرؤية المجد الداخلي.

٤. دعوته للشهادة

"ثم أن حنانيا رجلاً تقيًّا حسب الناموس،

ومشهودًا له من جميع اليهود السكان". [١٢]

"أتى إليّ ووقف، وقال لي:

أيها الأخ شاول أبصرْ،

ففي تلك الساعة نظرت إليه". [١٣]

"فقال: إله آبائنا انتخبك لتعلم مشيئته،

وتبصر البار،

وتسمع صوتًا من فمه". [١٤]

لقد اختاره إله الآباء لكي يتعرف على مشيئته الخاصة بخطة الخلاص، ويدرك رسالته، فيرى المسيح القدوس البار، ويتقبل من فمه الدعوة للرسولية.

"لأنك ستكون له شاهدًا لجميع الناس بما رأيت وسمعت". [١٥]

كرسول مدعو من السيد المسيح يقدم شهادة حية عملية لما رآه وما سمعه، يشهد أن يسوع هو بالحقيقة المسيا المنتظر من الآباء والأنبياء، وقد جاء وتمم عمل الخلاص، فهو مخلص العالم.

- **"لأنك ستكون لي شاهدًا لجميع الناس"**، ليس فقط للأشخاص المحبين، بل ولغير المؤمنين، فإنه لهؤلاء تكون الشهادة، لا أن نحث العارفين، بل الذين لا يعرفون.

  لنكن شهود موثوق فيهم. لكن كيف نكون موضع ثقة؟ بالحياة التى نسلكها.

  لقد اعتدى اليهود عليه، ونحن تعتدي علينا أهواؤنا، فتأمرنا بالتخلي عن شهادتنا. لكن ليتنا لا نطيعها، فإننا شهود من عند الله... إنه يرسلنا لكي نشهد له.

القديس يوحنا الذهبي الفم

يرى **القديس يوحنا الذهبي الفم** أن الشهادة هي للقيامة، لا من جهة التعليم فقط بل ومن جهة الحياة.

"والآن لماذا تتوانى؟

قم واعتمد واغسل خطاياك،

داعيًا باسم الرب". [١٦]

لم يسجل لنا الإنجيلي لوقا هذه الكلمات في الإصحاح التاسع حيث روى لنا قصة تحوله. فإن حنانيا لم يجد داعٍ لتأجيل العماد حتى يتمتع شاول الطرسوسي بالميلاد الجديد وغفران خطاياه.

- لقد نطق بأمرٍ عظيمٍ، إذ لم يقل: "قم واعتمد باسمه"، بل" داعيا باسم المسيح". هذا يظهر أنه هو الله، فإنه لا يجوز أن يدعى بأي اسم آخر غير الله.

القديس يوحنا الذهبي الفم

٥. رؤية في الهيكل

"وحدث لي بعدما رجعت إلى أورشليم،

وكنت أصلّي في الهيكل أني حصلت في غيبة". [١٧]

لم يكن هدف الرسول استعراض أعماله، بل الكشف عن عمل الله لحساب الخدمة، لهذا بعدما تحدث عن دور الله فى تحول شاول للإيمان لم يرو لهم خدمته في دمشق وفي العربية (غل١: ١٧-١٨)، إنما روى لهم دعوة الرب له للعمل بين الأمم، وهو في داخل هيكل سليمان في أورشليم.

أوضح انه ترك أورشليم ليس خوفًا، ولكن بدعوة من الله وهو في الهيكل يصلي مع إخوته اليهود.

"فرأيته قائلاً لي:

أسرع وأخرج عاجلاً من أورشليم،

لأنهم لا يقبلون شهادتك عني". [١٨]

يقول **القديس يوحنا الذهبي الفم** أن بولس أشار إلى الرؤيا أنها كانت في الهيكل وهو يصلي، فكان في حالة يقظة، وأن الرؤيا ليست تخيلاً، كما أوضح أن خروجه من أورشليم لم يكن بدافع الخوف من المخاطر، إنما لعدم قبولهم الشهادة عن السيد المسيح.

إذ أتهم الرسول بأنه مدنس الهيكل، أراد تأكيد أنه تمتع برؤيا سماوية ودعوة لخدمة الأمم وهو في الهيكل.

"فقلت: يا رب هم يعلمون إني كنت أحبس،

وأضرب في كل مجمع،

الذين يؤمنون بك". [١٩]

واضح أن الذي تراءى له في الهيكل اليهودي هو يسوع المسيح، وكان يود أن يبقى شاهدًا له بين اليهود، لأنهم يعرفون سيرته الماضية، وأن تحوله هو عمل إلهي. لم يكن يتوقع شاول الطرسوسي أن بني أمته يرفضون شهادته.

"وحين سفك دم إستفانوس شهيدك،

كنت أنا واقفًا وراضيًا بقتله،

وحافظًا ثياب الذين قتلوه". [٢٠]

وإن كان شاول لم يشترك فى الرجم، لكنه كان مع الراجمين بالروح، فقد قبل هذا الحكم برضى كامل.

"فقال لي: اذهب، فإني سأرسلك إلى الأمم بعيدًا". [٢١]

انطلاقه للخدمة بين الأمم كان بدعوة إلهية، وليس بخطة بشرية وضعها هو أو الرسل.

٦. محاولة قتله

"فسمعوا له حتى هذه الكلمة،

ثم رفعوا أصواتهم قائلين:

خذ مثل هذا من الأرض،

لأنه كان لا يجوز أن يعيش". [٢٢]

رفعوا أصواتهم وصاروا يصرخون حتى يقاطعوه في الحديث، ولا يسمحوا لأحد أن يسمع عن ضرورة الخدمة بين الأمم.

لقد صرخوا أنه غير مستحق أن يعيش على الأرض متطلعين إليه كوباءٍ مدمرٍ، ولم يدركوا أنه في سجل رجال الله الذين لم يكن العالم مستحقًا لهم (عب ١١: ٣٨).

ليس عجيبًا أن يشعر الرسول بأن ما يحل به هو تكميل آلام المسيح في جسده. لقد سمع الصوت الإلهي ينسب ما يحل بالمؤمنين إليه شخصيا: "أنا يسوع الناصري الذي أنت تضطهده". كما صرخت الجماهير: "خذه، خذه! أصلبه (يو ١٩: ١٥) هكذا صرخت بالنسبة لرسوله: "خذ مثل هذا من الأرض، لأنه كان لا يجوز أن يعيش".

لقد أصغوا بكل انتباه حين تكلم معهم بالعبرانية، وحين شهد لظهور السيد المسيح له في الطريق، وكيف اختاره للشهادة له، أما أن يُعلن أنه يذهب إلى الأمم، فهذا ما لم يحتملوه، وحسبوه أنه ليس أهلاً أن يوجد على وجه الأرض، مع أن كل أنبياء العهد القديم تنبأوا عن عودة الأمم إلى الله. لم يكن ممكنًا لتشامخ اليهود أن يقبلوا دخول الأمم إلى الإيمان، فإنهم فى نظرهم نجسون.

> **v** رأى الرسل أنفسهم الكلمة، ليس لأنّهم رأوا جسد ربّنا ومخلّصنا، وإنّما لأنّهم رأوا الكلمة. لو أن رؤية جسم الرب تعني كلمة اللّه، لكان بيلاطس الذي حكم على رؤية يسوع قد رأى كلمة اللّه، وهكذا أيضًا يهوذا الخائن، وكل الذين صرخوا: أصلبه، أصلبه، خذ مثل هذا من الأرض" (يو ١٩: ١٥؛ أع ٢٢:٢٢).

العلامة أوريجينوس

"وإذ كانوا يصيحون ويطرحون ثيابهم،

ويرمون غبارًا إلى الجو". [٢٣]

لم يشيروا إلى اتهامٍ معينٍ، لكنهم تصرفوا هكذا لكي يخيفوا الحاكم. كانوا يصيحون ويمزقون ثيابهم ويرمون غبارًا إلى الجو. كان تمزيق الثياب يسري على رؤساء الكهنة حين يسمعون تجديفًا على الله تبرأ من دم المجدف (مت ٢٦: ٦٥-٦٦). أما إلقاء التراب في الهواء فوق رؤوسهم فتعبير عن ظلمٍ حلّ بهم، وأنهم يستغيثون بالسماء والأرض. هذا المنظر أثار الأمير، فأمر بفحصه داخل القلعة بضربات.

يرى البعض فى تمزيق الثياب تعبيرًا عما في داخلهم، أنهم يودون تمزيقه إربًا إربًا إن سقط بين أيديهم، أو لعلهم بهذا يعلنون أنهم مستعدون لرجمه.

"أمر الأمير أن يذهب به إلى المعسكر قائلاً:

أن يفحص بضربات،

ليعلم لأي سبب كانوا يصرخون عليه هكذا". [٢٤]

إذ كان القديس بولس يتحدث بالعبرانية ربما لم يفهم الأمير خطابه، كما أن هياج الشعب لم يعطه فرصة لدراسة الموقف، فأراد أن يتعرف على الجريمة باستخدام العنف مع الرسول بجلده فيعترف بما ارتكبه.

٧. روماني لا يُجلد

"فلما مدوه للسياط قال بولس لقائد المائة الواقف:

أيجوز لكم أن تجلدوا إنسانًا رومانيًا غير مقضي عليه". [٢٥]

لم يكن هذا الأجراء قانونيًا بالنسبة للمواطن الروماني. لقد استخدم الرسول هذا الامتياز قبلاً حين كان في فيلبي ولكن بعدما جلد (أع ١٦: ٣٧)، أما هنا فاستخدمه قبل جلده. وقد تحدث مع قائد المائة بهدوء ولطف في غير غضبٍ ولا احتدادٍ. كان عند الرومان قانون يدعى lex Sempronia يعَّرض القاضي أو الحاكم الذي يؤدب أو يدين رومانيًا حرًا دون الاستماع إليه أن يسقط تحت الحكم بواسطة الشعب الغيور على حريته.

"فإذ سمع قائد المائة ذهب إلى الأمير وأخبره، قائلاً:

أنظر ماذا أنت مزمع أن تفعل،

لأن هذا الرجل روماني". [٢٦]

"فجاء الأمير وقال له:

قل لي، أنت روماني؟ فقال نعم". [٢٧]

"فأجاب الأمير: أمّا أنا فبمبلغ كبير اقتنيت هذه الرعوية.

فقال بولس: أمّا أنا فقد وُلدت فيها". [٢٨]

كانت الجنسية الرومانية تُمنح للشخص إما بميلاده من والدين رومانيين، أو تُشتري بالمال، أو تُمنح هبة من الحكومة الرومانية. ولعل والدا بولس اقتنيا الجنسية الرومانية هبة مقابل خدماتهما للدولة الرومانية. ويرى البعض أن طرسوس كمستعمرة رومانية كان لها حق الامتياز، فكل مواطنيها يحسبون كرومانيين لهم ذات امتياز الرومان. يقولAppian إن طرسوس نالت امتياز المدينة الحرة من أوغسطس قيصر، حيث وقفت معه في الحروب، وتحملت خسائر كثيرة لحسابه. ويرى البعض أن بولس نال هذا الامتياز لأن بعضًا من أسلافه قدموا خدمات عسكرية للدولة الرومانية.

"وللوقت تنحى عنه الذين كانوا مزمعين أن يفحصوه،

واختشى الأمير لمّا علم أنه روماني،

ولأنه قد قيّده". [٢٩]

ارتعب الأمير لأن في هذا مسئولية خطيرة عليه أمام روما. لقد سبق فظنه المصري المتمرد المثير للفتنة، لكنه دُهش إذ وجده يتحدث اليونانية (أع ٢١: ٣٧)، وازدادت دهشته عندما عرف أنه روماني الجنسية، خاصة وأنها بالمولد، أي يُحسب كمن من أسرة شريفة في نظر روما.

يا للعجب! اختشى الأمير لما علم أنه روماني لأنه قيده. إنه قانون يُرعب القادة والولاة، أما ناموس الله فليس من يعطيه احترامًا ولا من يخشاه بسبب طول أناته!

"وفي الغد إذ كان يريد أن يعلم اليقين،

لماذا يشتكي اليهود عليه حله من الرباط،

وأمر أن يحضر رؤساء الكهنة وكل مجمعهم،

فأحدر بولس، وأقامه لديهم". [٣٠]

لقد حله الأمير من القيود حتى لا يكون كاسرًا للقانون الروماني، لكنه تركه في الحبس ربما خشية أن يتعرض له اليهود الثائرين ضده.

في الغد طلب الأمير أن يقف بولس الرسول أمام مجمع السنهدرين في حضور الأمير، ربما كان هدفه إطلاق سراح بولس الرسول تحقيقًا للعدالة.

وقف بولس الرسول أمام رؤساء الكهنة الذين قتلوا السيد المسيح يشهد لهم بالقيامة من الأموات. صار يتفرس فيهم، فقد عرفهم حق المعرفة، وتسلم منهم خطابات توصية لمقاومة المسيحيين، الآن يدعوهم لقبول الإيمان المسيحي.

من وحي أع ٢٢

نور من السماء

- كان شاول في ظلمة الحرف القاتل،

وظن في نفسه أنه ابن للنور.

أضطهدك يا أيها النور الأزلي، وقاوم أبناء النور.

جدف على اسمك، ولم يدرك أنك القدوس السماوي.

- أشرقت عليه من السماء، فانهار أمام بهاء مجدك.

سقط كميت، وفقد بصره،

لكي تقيمه إنسانًا جديدًا ملتهبًا بالروح.

وتفتح بصيرته بروحك القدوس،

عوض العداوة صارت شاهدًا لك.

عوض المقاومة صار خادمًا للجميع!

- لم يستخف بالهيكل اليهودي، فتراءيت له هناك،

ودعوته ليقيم من الأمم هيكلاً سماويًا.

صارت قصة لقائك معه حجة قوية لدى بنى جنسه.

اشتهى أن يتمتع كل عبراني بما تمتع به،

وأن يصير إسرائيل كارزًا لكل الأمم.

هذا هو لهيب قلبه الذي لن ينطفئ.

ليس من شغب أو جلدات أو قيود ولا حتى الموت

أن ينزع هذه الأحاسيس المقدسة من قلبه

- لتشرق يا رب بنورك علينا،

فنحمل قلب بولس الناري!

١ ايها الرجال الاخوة و الاباء اسمعوا احتجاجي الان لديكم
٢ فلما سمعوا انه ينادي لهم باللغة العبرانية اعطوا سكوتا احرى فقال
٣ انا رجل يهودي ولدت في طرسوس كيليكية و لكن ربيت في هذه المدينة مؤدبا عند رجلي غمالائيل على تحقيق الناموس الابوي و كنت غيورا لله كما انتم جميعكم اليوم
٤ و اضطهدت هذا الطريق حتى الموت مقيدا و مسلما الى السجون رجالا و نساء

٥ كما يشهد لي ايضا رئيس الكهنة و جميع المشيخة الذين اذ اخذت ايضا منهم رسائل للاخوة الى دمشق ذهبت لاتي بالذين هناك الى اورشليم مقيدين لكي يعاقبوا
٦ فحدث لي و انا ذاهب و متقرب الى دمشق انه نحو نصف النهار بغتة ابرق حولي من السماء نور عظيم
٧ فسقطت على الارض و سمعت صوتا قائلا لي شاول شاول لماذا تضطهدني
٨ فاجبت من انت يا سيد فقال لي انا يسوع الناصري الذي انت تضطهده
٩ و الذين كانوا معي نظروا النور و ارتعبوا و لكنهم لم يسمعوا صوت الذي كلمني
١٠ فقلت ماذا افعل يا رب فقال لي الرب قم و اذهب الى دمشق و هناك يقال لك عن جميع ما ترتب لك ان تفعل
١١ و اذ كنت لا ابصر من اجل بهاء ذلك النور اقتادني بيدي الذين كانوا معي فجئت الى دمشق
١٢ ثم ان حنانيا رجلا تقيا حسب الناموس و مشهودا له من جميع اليهود السكان
١٣ اتى الي و وقف و قال لي ايها الاخ شاول ابصر ففي تلك الساعة نظرت اليه
١٤ فقال اله ابائنا انتخبك لتعلم مشيئته و تبصر البار و تسمع صوتا من فمه
١٥ لانك ستكون له شاهدا لجميع الناس بما رايت و سمعت
١٦ و الان لماذا تتوانى قم و اعتمد و اغسل خطاياك داعيا باسم الرب
١٧ و حدث لي بعدما رجعت الى اورشليم و كنت اصلي في الهيكل اني حصلت في غيبة
١٨ فرايته قائلا لي اسرع و اخرج عاجلا من اورشليم لانهم لا يقبلون شهادتك عني
١٩ فقلت يا رب هم يعلمون اني كنت احبس و اضرب في كل مجمع الذين يؤمنون بك
٢٠ و حين سفك دم استفانوس شهيدك كنت انا واقفا و راضيا بقتله و حافظا ثياب الذين قتلوه
٢١ فقال لي اذهب فاني سارسلك الى الامم بعيدا
٢٢ فسمعوا له حتى هذه الكلمة ثم رفعوا اصواتهم قائلين خذ مثل هذا من الارض لانه كان لا يجوز ان يعيش
٢٣ و اذ كانوا يصيحون و يطرحون ثيابهم و يرمون غبارا الى الجو
٢٤ امر الامير ان يذهب به الى المعسكر قائلا ان يفحص بضربات ليعلم لاي سبب كانوا يصرخون عليه هكذا
٢٥ فلما مدوه للسياط قال بولس لقائد المئة الواقف ايجوز لكم ان تجلدوا انسانا رومانيا غير مقضي عليه
٢٦ فاذ سمع قائد المئة ذهب الى الامير و اخبره قائلا انظر ماذا انت مزمع ان تفعل لان هذا الرجل روماني
٢٧ فجاء الامير و قال له قل لي انت روماني فقال نعم
٢٨ فاجاب الامير اما انا فبمبلغ كبير اقتنيت هذه الرعوية فقال بولس اما انا فقد ولدت فيها
٢٩ و للوقت تنحى عنه الذين كانوا مزمعين ان يفحصوه و اختشى الامير لما علم انه روماني و لانه قد قيده
٣٠ و في الغد اذ كان يريد ان يعلم اليقين لماذا يشتكي اليهود عليه حله من الرباط و امر ان يحضر رؤساء الكهنة و كل مجمعهم فاحدر بولس و اقامه لديهم

الأصحاح الثالث والعشرون

القديس بولس أمام مجلس السنهدرين

هذا هو الدفاع الثاني للقديس بولس، ولعله الآن إذ يقف أمام مجمع السنهدرين كان يأمل أن يكشف لهم الحق الإنجيلي، فهم على دراية بالناموس والأنبياء، لكن آذانهم كانت صماء وعيونهم قد أصابها العمي الروحي، لم يكن ممكنًا لهم أن يقبلوا الحق.

١. ضربه على فمه ١-٥.

٢. منازعة في المجمع ٦-٩.

٣. ظهور الرب له ١٠-١١.

٤. مؤامرة لقتله ١٢-١٥.

٥. اكتشاف المؤامرة ١٦-٢١.

٦. إرساله إلى قيصرية ٢٢-٢٥.

٧. رسالة إلى فيلكس ٢٦-٣٠.

٨. بلوغه قيصرية ٣١-٣٥.

١. ضربه على فمه

"فتفرس بولس في المجمع وقال:

أيها الرجال الإخوة،

أني بكل ضمير صالح قد عشت للَّه إلى هذا اليوم". [١]

احتج القديس بولس أمام المجمع مدافعًا عن استقامة قلبه وسلوكه، مؤكدًا تكريس حياته لحساب الله منذ نشأته حتى تلك اللحظات. لم يذكر القديس لوقا لماذا بدأ الرسول بهذا الدفاع، هل سبقه سؤال أو اتهام وُجه ضده من رئيس الكهنة أو غيره من المسئولين أم لا.

في شجاعة عجيبة وجه القديس بولس حديثه إلى أعضاء مجمع السنهدرين، دون إشارة إلى الأمير ورجاله الحاضرين. وكأنه يقف ليُحاكم أمام المجمع، وكان غايته من ذلك تأكيد وجوده في المجمع أكثر من وجوده في حضرة الرؤساء المدنيين، وأنه محب لهم يود أن يقدم لهم الحق باستقامة ضميره .لعل هذه هي المرة الأولى التي يقف فيها الرسول أمام مجمع السنهدرين بعد تحوله إلى الإيمان المسيحي. يقف الآن أمام ذات المجمع الذي كان في صباه يكرمه المجمع ويهبه رسائل وسلطة لاضطهاد كنيسة الله.يتحدث الرسول بكل شجاعة، وكما وعد الله حزقيال النبي: "قد جعلت جبهتك كالماس أصلب من الصوان، فلا تخفهم، ولا ترتعب من وجوههم، لأنهم بيت متمرد" (حز ٣: ٩).

يعلن لهم أن قد عاش بضميرٍ صالحٍ، ليس فقط في الأمور التي يشتكون عليه فيها، وإنما في كل أمور حياته. لقد كرس قلبه وحياته لله، فلم يطلب كرامة ولا غنى، بل ما يرضي الله. بحسب الناموس الموسوي، فهو بار بلا لوم. وحين اضطهد كنيسة الله، كان يظن أنه يقدم خدمة لله، فكان يعمل حسبما يمليه عليه ضميره. وحين ظهرت له الرؤيا في الطريق إلى دمشق ترك ارتباطه

بمجمع السنهدرين خدمة لله. وكما يقول: "لأننا نثق أن لنا ضميرًا صالحًا، راغبين أن نتصرف حسنًا في كل شيء" (عب ١٣: ١٨). ما كان يشغله شيء سوي إرضاء الله دون أية اعتبارات بشرية، وقد ثابر على ذلك منذ صباه إلى آخر نسمة من نسمات حياته.

كأن الرسول يقول إنني شاول الطرسوسي الذي تعرفونه تمام المعرفة كإنسانٍ أمينٍ ومخلصٍ من كل القلب لله ولشعبه، لم يتغير حتى تلك اللحظات، إنما ما تغير فيه هو اكتشافه للحق الإلهي. فبذات الضمير الحي الذي كان يعمل كفريسي لحساب المجمع لا يزال يعمل، ولكن في طريق الحق، وليس خلال الجهل الذي كان يسيطر عليه بسبب تمسكه بالحرف.

"فأمر حنانيا رئيس الكهنة الواقفين عنده أن يضربوه على فمه". [٢]

كان حنانيا رئيس كهنة من سنة ٤٨ إلى سنة ٥٨ م، وقد اشتهر بالجشع والغطرسة والاستبداد.

وقف بولس الرسول أمام نفس رئيس الكهنة الذي وقف أمامه سيده، وربما الذى ضرب الرب على وجهه (يو ١٨: ٢٢) هو نفسه الذي ضرب بولس على فمه. كان رئيس الكهنة يرى في كليهما مجدفين على الله. كان يطلب صلب السيد المسيح لأنه قال الحق أنه ابن الله، وها هو يطلب قتل بولس لأنه يفتح باب الإيمان أمام الأمم. لم يحتمل رئيس الكهنة أن يعلن السيد المسيح عن نفسه بنوته لله الآب ومساواته له، وها هو لا يحتمل بولس وهو يمتدح نفسه كفريسي بحسب الناموس، فإنه لا يجوز أن يمتدح أحد نفسه في حضرة رئيس الكهنة.

لقد سبق أن ضرب صدقيا بن كنعنة ميخا على فكه لأنه نطق بكلمة الرب (١ مل ٢٢: ٢٤)، ولذات السبب ضرب فشحور بن أمير الكاهن إرميا النبي (إر ٢٠: ٢). وقد قيل عن السيد المسيح أنه يقدم قبلات فمه (نش ١: ٢) للذين قبلوا لطمات على أفواههم بسببه.

يطالبنا سليمان الحكيم أن نقَبل الشفاه التي تجاوب بكلام مستقيم (أم ٢٤: ٢٦)، لكن الأشرار يلطمون الشفاه الناطقة بالاستقامة. فالضرب على الفم يشير إلى رغبة الضارب ومن معه في أن يبكم فم الشخص الذي يضربه، لأنه ينطق بكلمات غير لائقة. هذا الأسلوب كان مستخدمًا في الشرق إلى وقت قريب، وهو يحمل إهانة شديدة، كأن الشخص غير أهل أن ينطق في حضرة الموجودين، ويلتزم بالصمت بسبب جهالته أو وقاحته أو تجديفه على الحق.

ولعل ضربه على فمه يشير إلى أن يكذب في حضرة رئيس الكهنة ويخدع الحاضرين، إذ يدعي أنه يحمل ضميرًا صالحًا، بينما يؤمن بيسوع أنه المسيح، وينشر تعاليمه.

"حينئذ قال له بولس:

سيضربك اللَّه أيها الحائط المبيضّ،

أفأنت جالس تحكم علي حسب الناموس

وأنت تأمر بضربي مخالفًا للناموس". [٣]

يذكر آدم كلارك أن Krebs يؤكد أن رئيس الكهنة حنانيا هو نفسه الذي روى عنه يوسيفوس بأن كوادراتس Quadratus حاكم سوريا أرسله أسيرًا إلى روما، لأنه سبب منازعات بين اليهود والسامريين، وإذ أثبت براءته عاد إلى أورشليم واستعاد منصبه كرئيس كهنة.

نزلت كلمات الرسول كالصاعقة على رئيس الكهنة وكل المجتمعين، فإنهم لم يسمعوا قط يهوديًا ينطق بمثل هذه الكلمات عن رئيس الكهنة. إنها إهانة خطيرة لم تحدث في كل تاريخ إسرائيل.

يرى البعض أن الرسول بولس لم ينطق بهذا بدافع الغضب والانتقام، لكن أخذته الغيرة المقدسة أن رئيس الكهنة يفسد سلطته، ويهين العمل الكهنوتي بتصرفاته هذه. لقد حكم حنانيا بخلاف الناموس الذي أوصي ألا يُضرب أحد ما لم يُفحص ويُحكم عليه أنه مستحق للضرب (تث ٢٥: ٢؛ راجع لا ١٩: ٣٥). لذا ما نطق به الرسول كان بدافع النبوة. يرى Grotius بأن نبوة القديس بولس هذه قد تحققت. جاء في يوسيفوس أن حنانيا وأخاه حزقيا قد ذُبحا أثناء الهياج الذي حدث في أورشليم عندما استولي عليها السالبون Sicarii بزعامة مناهيم Manahem؛ فقد حاول أن يختفي لكنهم سحبوه وقتلوه.

كما دعا السيد المسيح الفريسيين المرائيين قبورا مبيضة تحمل في داخلها نتانة (مت ٢٣: ٢٧)، هكذا يقول الرسول أن رئيس الكهنة بريائه حائط مبيض يحمل من الخارج صورة جميلة تخفي تحتها قذارة. ربما يقصد بالحائط المبيض الحائط الذي بدأ يتساقط فعوض وضع أساس سليم له وإعادة بنائه يقومون بوضع طبقة ملس بيضاء حوله تخفي ما تشقق منه فيبدو سليمًا، ويكون خطرًا على من يتكئ عليه أو يجلس بجواره.

يرى **القديس جيروم** أن ما نطق به القديس بولس هو ضعف بشري، فاختياره رسولاً لا ينفي عنه بعض الضعفات بسبب تهاونه ولو في امورٍ صغيرة، مثله مثل كافة الآباء والرسل والأنبياء.

في الرد على أتباع بيلاجيوس الذين يركزون على حرية الإرادة وحدها، ظانين أنه في استطاعة الإنسان بكامل حرية إرادته أن يسلك في الفضيلة في كمالها يقدم **القديس جيروم** أمثلة حية لقديسين عظماء مدحهم الله نفسه إلا أنهم عانوا من الضعف.

v عوض كونه متهمًا وكأنه يقول: "أنت الذي تستحق الضربات بلا عدد. انظروا كيف صُدموا بقوة بشجاعته، وذلك لأن النقطة التي كانوا يلقون كل الأمور عليها صارت مديحًا له.

القديس يوحنا الذهبي الفم

v على سبيل المثال لنأخذ مثلاً واحدًا: "وجدت داود بن يسى رجلاً حسب قلبي، يعمل كل مشيئتي". بلا شك كان داود قديسًا، ومع أنه قد اختير لكي يتمم كل مشيئة الله، لكنه وُجد ملومًا في تصرفات معينة. حتمًا كان ممكنًا له وقد اُختير بقصد تتميم مشيئة الله أن لا يفعل هذا. لا يُلام الله الذي سبق فتحدث عن صنعه كل مشيئة الله كما يؤمر، وإنما يلتصق اللوم بذاك الذي لم يتمم ما سبق أن أُخبر به. فإن الله لم يقل أنه وجده إنسانًا يتمم أوامره بلا فشل ويتمم مشيئته، وإنما إنسان يود أن يتمم كل مشيئة الله. ونحن أيضًا نقول أن الإنسان يمكنه أن يتجنب أن يخطئ إن اختار ذلك حسب ظروفه المحلية المؤقتة وضعفه الجسدي، مادام فكره منصبًا على البرّ والوتر مهيئًا حسنًا في القيثارة. ولكن إن كان الإنسان يمارس تهاونًا بسيطًا. فإنه في قدرته كقائد المركب أن ينسحب في اتجاه مقاوم للتيار، هذا الذي **متى توانى ولو إلى لحظة فإن المركب ترجع، وتحمله المياه المتدفقة حيث لا يريد**. هذا هو حال الإنسان، فإن صار فينا إهمال طفيف ندرك ضعفنا ونجد أن قوتنا محدودة.

هل تظن أن الرسول بولس عندما كتب: "العباءة التي تركتها في ترواس أحضرها عندما تجيء والرقوق" (٢ تي ٤: ١٣)، كان يفكر في الأسرار الإلهية وليس في الأشياء التي تستلزمها الحياة

اليومية، وتشبع احتياجاتنا الجسدية؟ أرني إنسانًا لم يجُع قط ولا عطش ولا عانى من برد، ولا عرف ألمًا أو حمى أو عذاب الغربة وأنا أقدم لك إنسانًا يمكن ألا يفكر في شيء سوى الفضيلة.

عندما لطم العبد الرسول سلم نفسه هكذا أن ينطق ضد رئيس الكهنة الذي أمر أن يلطمه: "**سيضربك الله أيها الحائط المبيض**". ينقصنا صبر المخلص الذي أُقتيد كحملٍ للذبح ولم يفتح فاه، بل قال برحمة لضاربيه: "إن كنت قد تكلمت بالشر فأشهد على الشر، وإن كان حسنًا فلماذا تلطمني؟ " (يو ١٧: ٢٣). إننا لسنا نحط من قدر الرسول، بل نعلن مجد الله الذي احتمل في الجسد، وغلب الضرر الساقط على الجسد وضعف الجسد. لا نقول شيئا عما قاله الرسول في موضع آخر: "الكسندر الحداد صنع بي شرورًا كثيرة، ليجازه الرب الديان العادل في ذلك اليوم" (٢ تي ٤: ١٤).

القديس جيروم

"فقال الواقفون: أتشتم رئيس كهنة اللَّه؟" [٤]

"فقال بولس:

لم أكن أعرف أيها الإخوة أنه رئيس كهنة،

لأنه مكتوب رئيس شعبك لا تقل فيه سوءً". [٥]

كيف لم يعرف القديس بولس أنه رئيس الكهنة الذي يرأس مجمع السنهدرين، وقد كان بولس على علاقة بالمجمع في صباه، ويعرف الكثير عن المجمع؟

١. يري البعض أن هذه الجلسة لم تكن رسمية، ولم يكن رئيس الكهنة يرتدي ثيابه الرسمية، لهذا لم يتعرف عليه.

٢. يرى آخرون أن بولس الرسول لم يرَ من الذي أصدر الأمر بضربه على فمه.

٣. يرى فريق ثالث بأن الرسول نطق بهذا في صيغة تهكم، بمعنى أن من يفعل هذا لا يليق به أن يكون رئيس كهنة، أو ما حدث جعلني لا أحسب أن المتكلم رئيس كهنة، وإلا لكنت قدمت له الاحترام اللائق به. هذا الرأي يقبله كثير من الدارسين لأنه واضح من العبارة السابقة أنه كان يعرف أنه رئيس الكهنة، إذ قال له: "أفأنت جالس تحكم علي حسب الناموس، وأنت تأمر بضربي مخالفا للناموس؟" [٣]

٤. يرى البعض أن القديس بولس لم يقدم اعتذارًا عما قاله لكنه يقدم تبريرًا، وكأنه يقول: "حقا لا يجوز أن نقول سوء في رئيس الكهنة، لكنني لست أحتسب حنانيا رئيس كهنة، بل هو مغتصب للمركز، جاء إلى هذا الموضع بالرشوة خلال الفساد، هذا وقد أوصى الكتاب المقدس ألا ننطق بسوءٍ عن الرئيس الديني أو المدني. جاء في سفر أيوب: "أيُقال للملك يا لئيم، وللندباء يا أشرار؟! (أي ١٨:٣٤) وفي الجامعة: "لا تسب الملك ولا في فكرك" (جا ١٠: ٢٠).

٥. يري آخرون أن بولس الرسول أدرك أنه قد تسرع في الرد على غير عادته فقدم اعتذارًا.

v عندما ضُرب بأمر رئيس الكهنة رد عليه بمحبة، رغم ما يبدو من إجابته أنه كان غاضبًا، إذ قال: "سيضربك اللَّه أيها الحائط المبيض". فرده هذا يبدو شتيمة، أما حقيقة أمره فهو نبوة.

فالحائط المبيض هو الرياء أو التظاهر في مظهر الكهنوت، كما لو كانت هناك قذارة مخبأة في غلاف أبيض. فاحتفظ الرسول بالتواضع بصورة عجيبة. فعندما قيل له: "أتشتم رئيس كهنة الله؟" أجاب: "لم أكن أعرف أيها الاخوة أنه رئيس كهنةٍ، لأنه مكتوب رئيس شعبك لا تَقُل فيه سوءً" (أع ٢٣:٥)، فإجابته هذه تظهر مدى الهدوء الذي كان يتحدث به. فيما حسب أنه يتكلم بغضب فقد أجاب بسرعة ولطف، الأمر الذي لا يحدث من شخصٍ غاضبٍ أو معتذرٍ (بسبب الشتيمة)... كأنه قال: إنني أعرف رئيس كهنة آخر، المسيح، الذي أحتمل أنا من أجله أتعابًا.

القديس أغسطينوس

٢. منازعة في المجمع

"ولمّا علم بولس أن قسمًا منهم صدوقيون والآخر فريسيّون،

صرخ في المجمع:

أيها الرجال الإخوة،

أنا فريسي ابن فريسي،

على رجاء قيامة الأموات أنا أحاكم". [٦]

صرخ الرسول بصوتٍ عالٍ ليسمعه الكل، معلنًا أنه فريسي ابن فريسي، تربى على رجاء القيامة من الأموات.

في أيام خدمة السيد المسيح على الأرض كان الفريسيون أكثر الفئات عداوة للسيد المسيح، متطلعين إليه أنه كاسر لحرفية الناموس، ومقاوم لريائهم. أما بعد صعوده، فإذ صار التلاميذ يشهدون لقيامة السيد المسيح صار الصدوقيون أكثر الفئات عداوة لهم، لأنهم ينكرون قيامة الأجساد، بينما تعاطف أحيانا معهم الفريسيون ضد الصدوقيين، لا للإيمان بالسيد المسيح، وإنما لتأكيد القيامة من الأموات.

"ولمّا قال هذا حدثت منازعة بين الفريسيين والصدوقيين،

وانشقت الجماعة". [٧]

حدث حوار عنيف بين الفريقين، وكما توقع القديس بولس صار الفريسيون في صفه، مدافعين عنه، ضد الصدوقيين المقاومين له. غالبًا ما أخذ رئيس الكهنة صف الصدوقيين مما أثار الفريسيين بالأكثر.

ما إن بدأ الرسول خطابه حتى تغير الموقف تمامًا، فعوض الصرخات المشتركة تطالب بقتل الرسول، إذا بضجيج وخلافات وانشقاقات. ووقف الأمير ورجاله مع العسكر لا يدرون ما قد حدث، وصاروا يتساءلون فيما بينهم لعلهم يجدون تفسيرًا لتغير الموقف تمامًا! أما بولس الرسول فوحده كان يتطلع إلى تلك العاصفة التي أثارها وهو في هدوءٍ تام.

"لأن الصدوقيين يقولون:

أن ليس قيامة ولا ملاك ولا روح،

وأمّا الفريسيّون فيقرّون بكل ذلك". [٨]

أنكر الصدوقيون القيامة من الأموات، كما أنكروا الملائكة الصالحين والأشرار، واعتقدوا أن النفوس تموت مع الأجساد، وبالتالي ليس من مكافأة ولا عقوبة فيما بعد.

مع وجود الفريقين للعمل معًا في مجمعٍ واحدٍ يهتم بالقضايا العظمى لشئون اليهود الدينية، كان لكل فريق فكره الخاص.

* كان الفريسيون متدينون متعصبين غيورين على الطقوس الناموسية، وفي نفس الوقت كانوا مستقيمين في إيمانهم وعقائدهم بخصوص عالم الأرواح والحياة الأبدية وقيامة الأموات.

* كان الصدوقيون غير مخلصين للكتاب المقدس ولا للإعلانات الإلهية. يرون في أسفار موسى أنها تاريخ رائع، وناموس صالح، لكنها ليست على مستوى بقية الأسفار. ينكرون الحياة الأبدية وبالتالي قيامة الأجساد. أما عن ظهورات الملائكة ففي رأيهم هي ضغوط من خيالات لا واقع لها. واللَّه نفسه مادي أو جسدي.

* يتطلع الفريسيون إلى الصدوقيين أنهم متحررون في الفكر وفاسدون في العقيدة.

* كان الأعضاء من الصدوقيين يمثلون الغالبية العظمى في مجمع السنهدرين، لكن الفريسيين مع قلة عددهم كان لهم تأثيرهم على قرارات المجمع، لأن الشعب يكرمهم جدًا كأصحاب فكر وكأبرار غيورين على الناموس والعبادة في الهيكل.

"فحدث صياح عظيم ونهض كتبة قسم الفريسيين،

وطفقوا يخاصمون قائلين:

لسنا نجد شيئًا رديًا في هذا الإنسان،

وإن كان روح أو ملاك قد كلّمه،

فلا نحاربن اللَّه". [٩]

كان بعض الكتبة الدارسين للناموس يتبعون الفريسيين، والقسم الآخر يتبعون الصدوقيين، وهم فئة متعلمة. إذ رأى الكتبة التابعون للناموس ما حدث من صخبٍ شديدٍ نهضوا يدافعون عن الرسول بولس بأنه لا يوجد فيه شر، وأنه ليس مقاومًا للناموس. وأن كرازته بين الأمم هي بأمر سماوي (أع ٢٢: ١٧-١٨)، خلال ظهور ملاك له في الهيكل، فمن يقاومه يقاوم الله.

لعل هؤلاء الكتبة تذكروا ما قاله معلم الناموس غمالائيل الفريسي في المجمع: "احترزوا لأنفسكم من جهة هؤلاء الناس فيما أنتم مزمعون أن تفعلوا... تنحوا عن هؤلاء الناس واتركوهم، لأنه إن كان هذا الرأي أو هذا العمل من الناس فسوف ينتقض، وإن كان من اللَّه فلا تقدرون أن تنقضوه، لئلا توجدوا محاربين للَّه أيضًا" (أع ٥: ٣٥-٣٧).

لم يمل بعض كتبة الفريسيين إلى تبرئة القديس بولس فحسب، وإنما ينسبون إليه تمتعه بالوحي وسمو عقائده. أظهروا استعدادهم لا للعفو عنه فحسب، وإنما إلى مناصرته وحمايته.

٣. ظهور الرب له

"حدثت منازعة كثيرة،

اختشى الأمير أن يفسخوا بولس،

أمر العسكر أن ينزلوا ويختطفوه من وسطهم،

ويأتوا به إلى المعسكر". [١٠]

احتد الموقف جدًا فصار الرسول معرضًا إلى تمزيقه أربًا بواسطة الصدوقيين، فكان لا بد من الأمير أن يتدخل لإنقاذ حيان السجين.

فمع تحول الصرخات من هجوم الجميع على القديس بولس إلى صرخات لهجوم داخلي بين أعضاء المجمع، وأيضًا بين الجمع المحتشد، لكن ربما لكثرة عدد الصدوقيين ظهر خطورة الموقف على حياة الرسول، لذلك أمر ليسياس العسكر أن يختطفوا بولس ويأتوا به إلى المعسكر.

"وفي الليلة التالية وقف به الرب، وقال:

ثق يا بولس، لأنك كما شهدت بما لي في أورشليم،

هكذا ينبغي أن تشهد في رومية أيضًا". [١١]

كلما اشتد الضيق وحلت التجارب قدم الله تعزيات سماوية، فإذ كاد الصدوقيون أن يمزقوا بولس، ظهر له الرب نفسه في المعسكر يطمئنه بأن له رسالة أن يشهد له في روما؛ وأنه لن يُقتل في أورشليم. لم يرسل له ملاكًا ولا رئيس ملائكة ولا شاروبًا بل ظهر له الرب نفسه، لأن بولس الرسول كان في موقف يبدو خطيرًا للغاية، وكأن رسالته ستنتهي في لحظات. ظهر له ليعلن له أنه لم يكمل رسالته بعد. لم يكن وعد السيد له ألا تلحق به تجارب، ولا أن يمد في أيامه على الأرض، إنما الوعد المفرح أنه يقدم شهادة له في روما، وهذه كانت شهوة قلب الرسول بولس، وقد تحققت، فدخلها كسجين منتصر وكارز (أع ٢٨: ٣٠-٣١).

دخل بولس الرسول إلى قلعة أنطونيا في الحبس، ليس من رفيقٍ أو زميلٍ معه، ولم يضع في ذهنه خطة عمل. دخل الحبس في حراسة ملائكة اللَّه، ولم يكن وحيدًا، بل كان في حضرة الرب الذي كان دائمًا يتراءى له يسنده ويوجهه كما حدث معه في بيت أكيلا وبريسكلا في كورنثوس (أع ١٨: ٩-١٠). لقد ظهر له أيضا في القلعة، ولم يعده بسقوط السلستين من يديه، فإن هذا لا يشغل ذهن الرسول، ولا كانت تستطيع أن تقيد الكلمة في فمه، بل على العكس فتحت له مجالات جديدة للشهادة. ما كان يشغل الرسول بولس أن يشهد للسيد المسيح في القصر الإمبراطوري (أع ٢٧: ٢٤).

تحولت محاكمات الرسول إلى كرازة وشهادة للسيد المسيح، فبعد أن شهد أمام الأمير والجند واليهود بعلمائهم وكهنتهم والقادمين من كل أنحاء العالم، فتح الرب له طريقًا للشهادة أمام قيصر روما وعظماء وأشراف روما وكل العالم الأممي.

٤. مؤامرة لقتله

"ولمّا صار النهار صنع بعض اليهود اتفاقًا،

وحرّموا أنفسهم قائلين،

أنهم لا يأكلون ولا يشربون حتى يقتلوا بولس". [١٢]

"وكان الذين صنعوا هذا التحالف أكثر من أربعين". [١٣]

"**حرموا أنفسهم**" أي أقسموا معا قسمًا مقدسًا في نظرهم أنهم يكرسون أنفسهم وكل طاقتهم لتحقيق المؤامرة. لم يخطر على بالهم كيف يبرئون أنفسهم من القسم إذا لم يتحقق الأمر. ربما تخيلوا أنه لن يوجد أي احتمال للفشل. هذا وفي مثل هذه الحالات إن حدث فشل بسبب طارئ ما أسهل أن ينالون حلاً من قَسَمِهم من القيادات الدينية.

إذ فشلت خطة هياج الشعب وإثارتهم كما فشلت خطة اليهود، لجأت جماعة إلى خطة لاغتياله بطريقة بربرية. لقد قدست جماعة من اليهود صومًا وصنعوا قسمًا كمن يشركون الله في خطتهم لقتل بولس الرسول، فيقدمونه ذبيحة لله. وكما سبق فأعلن السيد المسيح نفسه: "سيخرجونكم من المجامع، بل تأتي ساعة فيها يظن كل من يقتلكم أنه يقدم خدمة لله" (يو ١٦: ١-٢). اتفقت هذه الجماعة التى بلغت أكثر من أربعين شخصًا مع رؤساء الكهنة والشيوخ للتحالف معًا لتحقيق المؤامرة (أع ٣٣: ١٤-١٥).

العجيب أنه بالليل ظهر له الرب يؤكد له أنه لن يُقتل في أورشليم، وفي نفس الليلة وربما في ذات وقت ظهور السيد له كان الشيطان يعد أكثر من أربعين شخصًا لاغتياله. فالسيد المسيح ساهر على كنيسته، وعدو الخير لن يكف عن مقاومتها. والعجيب أن الشر سرعان ما يتحالف معًا، إذ كيف يوجد أربعون شخصًا يتحالفون هكذا على اغتيال شخصٍ بروح واحدة، في مدينة أورشليم التي يدعونها "مدينة الله". هذه التي كان يجب أن تأوي البرّ صارت مأوى للشر والقتل.

لقد سلكوا بروح أبيهم، الشيطان، القتال للناس منذ البدء، وقد أظهروا غيرة عجيبة لتنفيذ خطة أبيهم:

١. انهم لم يقفوا عند التفكير والتخطيط، بل وتحركوا سريعًا للعمل.

٢. خططوا معًا بروح الوحدة والعمل المشترك.

٣. استهانوا بعناية الله، فصمموا ألا يأكلوا ولا يشربوا حتى يحققوا خطتهم على وجه السرعة، دون وضع أي حساب لعنصر تدخل الله.

٤. استهانوا بنفوسهم وأجسادهم، لتحقيق خطتهم مهما تكن تكلفتها حتى ولو كانت حياتهم نفسها.

٥. أعطوا صبغة دينية تبدو كأنها مقدسة، إذ التقوا برؤساء الكهنة والشيوخ ليخبرهم بخطتهم، لا لينالوا بركتهم أو ليصلوا من أجلهم، وإنما وقد تأكدوا من إمكانية تحقيقها يتدخلوا لدى السلطات حتى لا يُقبض عليهم ويُحاكموا.

٦. طلبوا من رؤساء الكهنة والشيوخ أن يشتركوا معهم في شرهم، فيكذبوا ويخدعوا الأمير لكي ينزله إليهم فيتمموا الخطة.

"فتقدّموا إلى رؤساء الكهنة والشيوخ وقالوا:

قد حرمنا أنفسنا حرمًا أن لا نذوق شيئًا حتى نقتل بولس". [١٤]

لعلهم أرسلوا مندوبين عنهم خفية حتى لا تتجه الأنظار إليهم وتنكشف خطتهم.

v تطلعوا إلي الصوم كوالد للقتل العمد. وذلك كما فرض هيرودس على نفسه قسمًا هكذا فعل هؤلاء. فهذه هي طرق إبليس، فتحت ستار الظهور بالتقوى ينصب فخاخه.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"والآن اعلموا الأمير أنتم مع المجمع لكي ينزله إليكم غدًا،

كأنكم مزمعون أن تفحصوا بأكثر تدقيق عمّا له،

ونحن قبل أن يقترب مستعدون لقتله". [١٥]

طلبوا سرعة إبلاغ الأمير حتى يسمح بإنزال بولس في اليوم التالي مباشرة. أما القتل فيتم في الطريق قبل بلوغه المجمع حتى لا يشك أحد في أن المؤامرة بتخطيط من المجمع.

٥. اكتشاف المؤامرة

"ولكن ابن أخت بولس سمع بالكمين،

فجاء ودخل المعسكر وأخبر بولس". [١٦]

كيف عرف ابن أخت بولس بالكمين؟ هذا ما لا نعلمه، لكن ما نعرفه أن الله يستخدم كل وسيلة لإبادة خطط إبليس وجنوده. يقول الحكيم: "لأن طير السماء ينقل الصوت، وذو الجناح يخبر بالأمر" (جا ١٠: ٢٠). يرى البعض أن أحد الفريسيين، وهو عضو في مجمع السنهدرين، إذ كان متعاطفًا مع الرسول بولس لأنه يهدم أفكار الصدوقيين أخبر ابن أخت الرسول سرًا. ويرى آخرون أن هذا الشاب جاء إلى أورشليم للدراسة. ولعل أحد أصدقائه في الدراسة، ربما كان ابنا أو قريبًا لأحد أعضاء هذه الجماعة التي صممت على قتله أو لأحد الفريسيين الأعضاء في المجمع قد تحدث مع ابن أخت الرسول، لا لإنقاذ خاله، وإنما كحديث بين شابين صديقين يتحدثان معًا في صراحة عن ما يدور في أورشليم.

لا نعرف أحدا من أسرة القديس سوى ابن أخته هذا، ونحن لا نعرف اسمه، وهل كانت والدته مقيمة في أورشليم أم لا.

في دراستنا لرسائل بولس الرسول خاصة الاصحاح الأخير من رسالته إلى أهل رومية نشعر بأن عائلة بولس الرسول هى الكنيسة كلها، وعلى وجه الخصوص خدام الكلمة. فقد صارت الكنيسة هي أسرته، وهو عضو فيها ملتصق بالجميع.

"فاستدعى بولس واحدًا من قواد المئات، وقال:

اذهب بهذا الشاب إلى الأمير،

لأن عنده شيئًا يخبره به". [١٧]

كان بولس موضع حب وثقة الكثير من القادة، فلا نعجب إن استدعى قائد مائة وطلب منه إن يُدخل بالشاب إلى قائد المعسكر. فان قائد المائة تحت سلطانه مائة جندي يستدعيهم ولا يستدعى، أما أن يستدعيه أسير في الحبس فهذه نعمة من عند الله.

لم يستدع جنديًا عاديًا بل قائد مائة.

"فأخذه وأحضره إلى الأمير، وقال:

استدعاني الأسير بولس،

وطلب أن أحضر هذا الشاب إليك،

وهو عنده شيء ليقوله لك". [١٨]

لم يستنكف قائد المائة من أن يذهب بنفسه ويخبر قائد المعسكر بأن الأسير بولس قد استدعاه، متحدثًا عن بولس بوقارٍ.

"فأخذ الأمير بيده، وتنحّى به منفردًا،

واستخبره ما هو الذي عندك لتخبرني به". [١٩]

نقف بحق في دهشة أمام تواضع قائد المائة وحبه لخدمة المساجين بروح تقوي، وأيضًا أمام لطف قائد المعسكر الذي لم يستهن بالشاب، بل أخذه بيده كصديق له أو كأب مع ابنه، وتنحى به منفردًا يسأله عما عنده ليخبره به.

هذا ولا يمكننا تجاهل شخصية هذا الشاب، فحتمًا حمل على وجهه علامات السلام الداخلي وملامح جذابة، مع فيض عناية اللَّه الفائقة، إذ استطاع أن يدخل المعسكر ويختلي بخاله ليروي له الأمر في سرية، وأن يقتاده قائد المئة، ويمسك الأمير بيده ليتحدث معه على إنفراد، هذه الأمور يصعب حدوثها في مثل هذه الظروف.

"فقال أن اليهود:

تعاهدوا أن يطلبوا منك أن تنزل بولس غدًا إلى المجمع،

كأنهم مزمعون أن يستخبروا عنه بأكثر تدقيق". [٢٠]

ربما كان تلميذا لدى أحد المعلمين اليهود، وقد سمع همسات عن الأمر فتحقق منه.

"فلا تنقاد إليهم، لأن أكثر من أربعين رجلاً منهم كامنون له،

قد حَرّموا أنفسهم أن لا يأكلوا ولا يشربوا حتى يقتلوه،

وهم الآن مستعدّون منتظرون الوعد منك". [٢١]

ليسياس يرسل بولس لفيلكس

٦. إرساله إلى قيصرية

"فأطلق الأمير الشاب،

موصيًا إيّاه أن لا تقل لأحد أنك أعلمتني بهذا". [٢٢]

"ثم دعا اثنين من قوّاد المئات وقال:

أعّدا مائتي عسكري ليذهبوا إلى قيصرية،

وسبعين فارسًا،

ومائتي رامح من الساعة الثالثة من الليل". [٢٣]

إذ عرف القائد بالمؤامرة قرر إرسال القديس بولس تحت حراسةٍ مشددةٍ إلى العاصمة ليسلموه للوالي هناك بعيدًا عن القيادات اليهودية في أورشليم. وقد قام الموكب الضخم في الساعة الثالثة من الليل، أي حوالي الساعة ٩م. بهذا ينقذ حياة الرسول لأنه روماني الجنسية.

خرج القائدان كل منهما معه جنوده الخاضعين له، أي مائة جندي مع كل قائد؛ ولعل هؤلاء الجنود ساروا في الموكب لحماية بولس حتى يخرج من أورشليم وبقي السبعون فارسًا يسيرون مع بولس في الطريق حتى يسلموا بولس للوالي. كما ذهب معه مائتا رامح، وقد جاءت الكلمة اليونانية *dexiolabous* تعني الموكب عند خروجه من أورشليم حوالى ٥٠٠ شخصًا، وهو ليس بالرقم الكبير في ذلك الحين بالنسبة لعادات الرومان، خاصة وأن الذين نذروا قتله كانوا أربعين شخصًا فدائيين. لذا كان يجب أن يكون الموكب مرعبًا حتى لا يكون لديهم أي أمل للبلوغ إلى بولس الأسير مهما كانت غيرتهم.

"وأن يقدّما دواب ليركبا بولس،

ويوصّلاه سالمًا إلى فيلكس الوالي". [٢٤]

كلمة دواب *kteenee* تشير إلى الدواب بصفة عامة، سواء كانت فرس أو جمالاً أو حميرًا، والأخيرة كانت أكثر استخدامًا في اليهودية.

واضح أن الأمير عامل القديس بولس بكل تقديرٍ، فلم يطلب أن يُوضع في مركبة خاصة بالمساجين، ولا أن يقودوه جريًا على قدميه، وإنما أن يعدوا له دوابًا لأجل وصوله إلى قيصرية في سلام وراحة.

المسافة ما بين أورشليم وقيصرية حوالي ٦٠ ميلاً.

فيلكس الوالي: كان اسمه أنطونيوس فيلكس، كان عبدًا أعتقته من العبودية انتونيا Antonia والدة الإمبراطور كلوديوس Claudius، كان يعتز به كلوديوس جدًا، فأقامه واليًا على اليهودية. دعاه يوسابيوس كلوديوس فيلكس. تزوج ثلاثة نساء بالتوالي من العائلات الملكية، إحداهن دروسولا التي سيشار إليها فيما بعد في أع ٢٤: ٢٤. قال عنه تاكيتوس Tacitus أنه كان يحكم بسلطان ملك، ودناءة مع غطرسة عبد. وقال عنه كلارك، أنه كان واليًا ظالمًا، إنسانًا شريرًا دنيئا وجشعًا.

بلا شك كان الأمير يعلم الكثير عن شخصية فيلكس الوالي وخسته، لكنه أدرك أن السقوط في يد فيلكس أهون بكثير من السقوط في يد رئيس الكهنة ومجمع السنهدرين. ولعل الأمير خشي من قتل بولس فيُتهم بالإهمال أو أخذ رشوة لقتل رجلٍ روماني الجنسية.

"وكتب رسالة حاوية هذه الصورة". [٢٥]

٧. رسالة إلى فيلكس

"كلوديوس ليسياس

يهدي سلامًا إلى العزيز فيلكس الوالي". [٢٦]

"هذا الرجل لمّا أمسكه اليهود، وكانوا مزمعين أن يقتلوه،

أقبلت مع العسكر وأنقذته إذ أخبرت أنه روماني". [٢٧]

"وكنت أريد أن أعلم العلة التي لأجلها كانوا يشتكون عليه،

فأنزلته إلى مجمعهم". [٢٨]

حسب القانون الروماني ليس عليه علة أو جريمة ارتكبها ضد الرومان أو الدولة.

"فوجدته مشكوًا عليه من جهة مسائل ناموسهم،

ولكن شكوى تستحق الموت أو القيود لم تكن عليه". [٢٩]

"ثم لمّا أعلمت بمكيدة عتيدة أن تصير على الرجل من اليهود،

أرسلته للوقت إليك أمرًا المشتكين أيضًا،

أن يقولوا لديك ما عليه.

كن معافي". [٣٠]

٨. بلوغه قيصرية

"فالعسكر أخذوا بولس كما أمروا،

وذهبوا به ليلاً إلى أنتيباتريس". [٣١]

أنتيباتريس: مدينة تبعد ما بين ٣٥ و٤٠ ميلاً من أورشليم. يقول يوسيفوس أنها تبعد حوالي ١٧ ميلاً من يافا. وكانت تسمى قديمًا كفر سابا تبعد حوالي ٢٦ ميلاً من قيصرية، غير هيرودس الكبير اسمها إلى أنتيباتريس تكريما لوالده أنتيباتر Antpater. وهى تقع في أرض خصبة بها ينابيع كثيرة.

- كان مثل ملك يرافقه حراسه، هكذا نقل هؤلاء بولس بعدد كبير هكذا ليلاً خشية غضب الشعب.

- هؤلاء العسكر جعلوا بولس مشهورا في قيصرية، إذ جاء ومعه قوة عسكرية ضخمة.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"وفي الغد تركوا الفرسان يذهبون معه،

ورجعوا إلى المعسكر". [٣٢]

إذ لم يعد هناك خطر من المتآمرين ضد القديس بولس عاد العسكر وربما معهم الرامحين، وسار الفرسان بالقديس بولس إلى قيصرية.

"وأولئك لمّا دخلوا قيصرية،

ودفعوا الرسالة إلى الوالي،

أحضروا بولس أيضًا إليه". [٣٣]

"فلما قرأ الوالي الرسالة، وسأل من أيّة ولاية هو،

ووجد أنه من كيليكية". [٣٤]

لما كانت كيليكية ولاية رومانية كان يلزم على الوالي الروماني أن يقوم بفحص القضية دون تشاور مع الأمير الوطني. عندما ظهر يسوع أمام بيلاطس بنطس أرسله إلى هيرودس أنتيباس الذي كان يحكم الجليل حيث كان يسوع جليليًا، أما في قضية بولس فلا حاجة إلى تشاور مع والٍ خارج قيصرية.

"قال: سأسمعك متى حضر المشتكون عليك أيضًا،

وأمر أن يُحرس في قصر هيرودس". [٣٥]

أودعه فيلكس في الحبس الذي في قصر هيرودس حيث توجد قاعة العدالة. أنشأها هيرودس الكبير في قصره ليمارس فيها القضاء، وكان ملحقا بها أماكن للحبس.

من وحي أع ٢٣

ضربات على الفم أم قبلات مقدسة!

v إذ نطق رسولك بالحق،

استحق قبلات فمك الإلهي،

وتلقف ضربات الأشرار!

قبلات فمك اليومية تمتص كل كياني.

فلا أبالي بضربات الأشرار!

v في جرأة انتهر رسولك رئيس الكهنة المرائي،

فحسبه حائطًا مملوء فسادًا!

لم يخجل أن يعتبره ليس برئيس كهنةٍ،

لأنه فاسد، ومفسد للحق.

v ليهج العالم علينا،

وتبقى رعايتك تلازمنا.

فأنت المعزي والمدافع عن خدامك!

v ليصمم العالم على الخلاص منا،

وأنت بنعمتك تحول شرهم لبنياننا.

أنت تبدد مشورة الأشرار!

أنت تكشف أسرارهم الخفية.

ليخططوا كيفما شاءوا،

فحياتنا في يديك لا في أيديهم.

إننا محمولين على الأذرع الأبدية!

حتما تحقق رسالتك بنا يا مخلص العالم!

١ فتفرس بولس في المجمع و قال ايها الرجال الاخوة اني بكل ضمير صالح قد عشت لله الى هذا اليوم
٢ فامر حنانيا رئيس الكهنة الواقفين عنده ان يضربوه على فمه
٣ حينئذ قال له بولس سيضربك الله ايها الحائط المبيض افانت جالس تحكم علي حسب الناموس و انت تامر بضربي مخالفا للناموس
٤ فقال الواقفون اتشتم رئيس كهنة الله
٥ فقال بولس لم اكن اعرف ايها الاخوة انه رئيس كهنة لانه مكتوب رئيس شعبك لا تقل فيه سوءا
٦ و لما علم بولس ان قسما منهم صدوقيون و الاخر فريسيون صرخ في المجمع ايها الرجال الاخوة انا فريسي ابن فريسي على رجاء قيامة الاموات انا احاكم
٧ و لما قال هذا حدثت منازعة بين الفريسيين و الصدوقيين و انشقت الجماعة
٨ لان الصدوقيين يقولون انه ليس قيامة و لا ملاك و لا روح و اما الفريسيون فيقرون بكل ذلك
٩ فحدث صياح عظيم و نهض كتبة قسم الفريسيين و طفقوا يخاصمون قائلين لسنا نجد شيئا رديا في هذا الانسان و ان كان روح او ملاك قد كلمه فلا نحاربن الله
١٠ و لما حدثت منازعة كثيرة اختشى الامير ان يفسخوا بولس فامر العسكر ان ينزلوا و يختطفوه من وسطهم و ياتوا به الى المعسكر
١١ و في الليلة التالية وقف به الرب و قال ثق يا بولس لانك كما شهدت بما لي في اورشليم هكذا ينبغي ان تشهد في رومية ايضا
١٢ و لما صار النهار صنع بعض اليهود اتفاقا و حرموا انفسهم قائلين انهم لا ياكلون و لا يشربون حتى يقتلوا بولس
١٣ و كان الذين صنعوا هذا التحالف اكثر من اربعين
١٤ فتقدموا الى رؤساء الكهنة و الشيوخ و قالوا قد حرمنا انفسنا حرما ان لا نذوق شيئا حتى نقتل بولس
١٥ و الان اعلموا الامير انتم مع المجمع لكي ينزله اليكم غدا كانكم مزمعون ان تفحصوا باكثر تدقيق عما له و نحن قبل ان يقترب مستعدون لقتله
١٦ و لكن ابن اخت بولس سمع بالكمين فجاء و دخل المعسكر و اخبر بولس
١٧ فاستدعى بولس واحدا من قواد المئات و قال اذهب بهذا الشاب الى الامير لان عنده شيئا يخبره به
١٨ فاخذه و احضره الى الامير و قال استدعاني الاسير بولس و طلب ان احضر هذا الشاب اليك و هو عنده شيء ليقوله لك
١٩ فاخذ الامير بيده و تنحى به منفردا و استخبره ما هو الذي عندك لتخبرني به
٢٠ فقال ان اليهود تعاهدوا ان يطلبوا منك ان تنزل بولس غدا الى المجمع كانهم مزمعون ان يستخبروا عنه باكثر تدقيق
٢١ فلا تنقد اليهم لان اكثر من اربعين رجلا منهم كامنون له قد حرموا انفسهم ان لا ياكلوا و لا يشربوا حتى يقتلوه و هم الان مستعدون منتظرون الوعد منك
٢٢ فاطلق الامير الشاب موصيا اياه ان لا تقل لاحد انك اعلمتني بهذا
٢٣ ثم دعا اثنين من قواد المئات و قال اعدا مئتي عسكري ليذهبوا الى قيصرية و سبعين فارسا و مئتي رامح من الساعة الثالثة من الليل
٢٤ و ان يقدما دواب ليركبا بولس و يوصلاه سالما الى فيلكس الوالي
٢٥ و كتب رسالة حاوية هذه الصورة
٢٦ كلوديوس ليسياس يهدي سلاما الى العزيز فيلكس الوالي

٢٧ هذا الرجل لما امسكه اليهود و كانوا مزمعين ان يقتلوه اقبلت مع العسكر و انقذته اذ اخبرت
انه روماني
٢٨ و كنت اريد ان اعلم العلة التي لاجلها كانوا يشتكون عليه فانزلته الى مجمعهم
٢٩ فوجدته مشكوا عليه من جهة مسائل ناموسهم و لكن شكوى تستحق الموت او القيود لم تكن
عليه
٣٠ ثم لما اعلمت بمكيدة عتيدة ان تصير على الرجل من اليهود ارسلته للوقت اليك امرا
المشتكين ايضا ان يقولوا لديك ما عليه كن معافى
٣١ فالعسكر اخذوا بولس كما امروا و ذهبوا به ليلا الى انتيباتريس
٣٢ و في الغد تركوا الفرسان يذهبون معه و رجعوا الى المعسكر
٣٣ و اولئك لما دخلوا قيصرية و دفعوا الرسالة الى الوالي احضروا بولس ايضا اليه
٣٤ فلما قرا الوالي الرسالة و سال من اية ولاية هو و وجد انه من كيليكية
٣٥ قال ساسمعك متى حضر المشتكون عليك ايضا و امر ان يحرس في قصر هيرودس

الأصحاح الرابع والعشرون

محاكمة القديس بولس أمام فيلكس الوالي

كانت المفاجأة مرة للمتآمرين كما لرئيس الكهنة وأعضاء مجمع السنهدرين حين طلب رئيس الكهنة من الأمير ليسياس أن يحاكم أمام مجمع السنهدرين، فإذا بالأمير يهز كتفيه قائلاً: "لقد تحولت القضية لفيلكس الوالي بقيصرية، بولس الآن أمام الوالي!"

لقد فشلت خطتهم ومؤامرتهم لقتله في الطريق.

١. شكاية ترتلس على بولس ١-٩.

٢. احتجاج الرسول بولس ١٠-٢١.

٣. تأجيل القضية ٢٢-٢٣.

٤. عظته للوالي وزوجته ٢٤-٢٦.

٥. عزل فيلكس ٢٧.

١. شكاية ترتلس على بولس

إذ أرسل ليسياس القديس بولس إلى فيلكس والي قيصرية، عاصمة اليهودية مدنيًا في ذلك حين، غالبًا ما أخبر رئيس الكهنة وبعض القيادات الدينية في أورشليم المقاومين للقديس بولس بأنه إن كان لديهم شكوى على بولس فليقدموها في قيصرية.

"وبعد خمسة أيام انحدر حنانيا رئيس الكهنة مع الشيوخ،

وخطيب اسمه ترتلس،

فعرضوا للوالي ضد بولس". [١]

لم يرد رئيس الكهنة والشيوخ أن يخسروا وقتًا، بل تبعوا الرسول بولس، وقد أخذوا معهم ترتلس الخطيب ليقدم الشكوى والاتهامات ضد بولس في قيصرية. وكما نلاحظ في سفر الأعمال إنه لم يكن لدى القيادات اليهودية عمل له أولوية سوى مقاومة اسم يسوع، والتخلص من كل كارز باسمه.

هكذا بلغ بهم الحقد والكراهية حتى أن رئيس الكهنة نفسه ترك الهيكل ومدينة الله أورشليم وكل التزامات الخدمة ليذهب بنفسه إلى القضاء في قيصرية يهاجم بولس الرسول. نسي رئيس الكهنة كرامته، وكما جاء في ملاخي: "أما انتم فحدتم عن الطريق... فأنا أيضا صيرتكم محتقرين ودنيئين عند كل الشعب" (ملا ٢: ٨-٩).

ذهاب رئيس الكهنة ومعه هيئة تمثل مجمع السنهدرين يمثل ضغطًا على الوالي، أن الأمر خطير ويمس الأمة اليهودية بأسرها.

لعل رئيس الكهنة والشيوخ تصاغروا جدًا في أعين أنفسهم، فحسبوا أنهم عاجزون عن تقديم الدعاوى ضد القديس بولس، لذلك أخذوا معهم الخطيب ترتلس.

انحدارهم بعد خمسة أيام يكشف عن تعجلهم في الأمر، فغالبًا لم يبلغهم ليسياس بالأمر فور إرسال بولس الرسول إلى قيصرية حتى لا يتبعوه في الطريق ويحدث اضطراب، إنما انتظر حتى وصول بولس إلي العاصمة. كما ناقش رئيس الكهنة الشيوخ فيمن يذهب معهم لعرض الدعاوى.

ترتلس: اسم روماني؛ غالبًا ما كان خطيبًا رومانيًا، حيث كان اليهود يجهلون إلى حد كبير القوانين الرومانية والإجراءات القانونية في مثل هذه الحالة. غالبًا ما كانوا يوظفون بعض المحامين الرومانيين للدفاع عن قضاياهم، أو لرفع قضايا ضد البعض، لمعرفتهم بالقوانين واللغة الرومانية.

"فلما دعي ابتدأ ترتلس في الشكاية قائلاً:" [٢]

دعي القديس بولس من الحبس ليقف أمام الوالى ويسمع الدعاوى ضده ويدافع عن نفسه.

"إننا حاصلون بواسطتك على سلام جزيل،

وقد صارت لهذه الأمة مصالح بتدبيرك،

فنقبل ذلك أيها العزيز فيلكس بكل شكر،

في كل زمان، وكل مكان". [٣]

يتحدث ترتلس بضمير الحاضر الجمع، إما لأنه كان يهوديًا وهذا الاحتمال ضعيف، أو لأنه يتكلم باسم الموكلين له: مجمع السنهدرين كممثلٍ للأمة اليهودية كلها من الجانب الديني.

بدأ ترتلس خطابه بكلمات التملق والرياء، مع أن فيلكس كان معروفًا بعنفه وشره وطمعه. وإن كان بسبب هذا العنف استتب إلى حد ما الأمن في اليهودية، فقد أمكنه القبض على جماعة لصوص تحت قيادة اليعازر، وأرسل زعيمهم إلى روما. كما قبض على النبي الكذاب المصري

الذى قاد ٤٠٠٠ (أع ٢١: ٣٨) شخصًا إلي البرية، والذي هدد سلام اليهودية، وقمع التحريض على فتنة قامت بين سكان قيصرية وسوريا.

حسب ترتلس أن الخلاص من بولس هو عمل صالح يُحسب امتدادًا لأعمال فيلكس الصالحة لحساب الأمة، إذ اخمد الفتن وحركات التمرد التى تهدد سلام الشعب. وكأن بولس واحد من هؤلاء المثيرين للفتن.

"ولكن لئلاّ أعوقك أكثر،

التمس أن تسمعنا بالاختصار بحلمك". [٤]

لم يكن أحد يجهل مدى كراهية رئيس الكهنة والشيوخ للوالي الروماني، حيث يتطلعون إليه كنيرٍ موضوعٍ على عنقهم. كانت قلوبهم مشحونة بالعداوة ضد فيلكس، لكن في كراهيتهم لاسم يسوع قالوا لبيلاطس أنه ليس لهم ملك إلا قيصر، والآن يحسبون فيلكس حليمًا ومهتمًا بمصالحهم من أجل تحقيق هدفهم من جهة القديس بولس.

هذا الذي يمتدحونه كحليمٍ، وأنهم دومًا في حضرته كما في غيبته يشكرونه على تدبيره لمصالحهم، يقول عن يوسيفوس المؤرخ في قضية يوناثان رئيس الكهنة أنه ظالم وعنيف. وهكذا يصفه تاكيتوس Tacitus وسيتونيوس Suetonius.

"فإننا إذ وجدنا هذا الرجل مفسدًا،

ومهيّج فتنة بين جميع اليهود الذين في المسكونة،

ومقدام شيعة الناصريّين". [٥]

باسم رئيس الكهنة وكل مجمع السنهدرين قدم ترتلس ثلاثة إتهامات خطيرة ضد الرسول بولس: أحدها يخص الأمن العام للدولة بكونه مهيج فتنة بين جميع اليهود، والثاني يمس سلامة الدين اليهودي كمنجس للهيكل وكاسر للناموس، والثالث كقائد حركة لشيعة جديدة تدعى الناصريين.

"**مفسد**"، الكلمة اليونانية تستخدم عن الوباء، هكذا يروا في الرسول أشبه بوباءٍ مفسدٍ لأخلاقيات الآخرين. لم يقل عنه أنه حامل الوباء، بل هو الوباء بعينه. اعتاد المقاومون للإيمان المسيحي أن يدعو الإيمان المسيحي وباءً، والمسيحيين مفسدين.

"**مهيج فتنة**" ادعوا أنه ينادي بتعاليم ضد ناموس موسى والتقاليد والعادات اليهودية مما يسبب انقسامًا وثورة وسط اليهود. جاءت الكلمة "مهيج فتنة" *prootostateen* وهو تعبير عسكري كقائد للجيش، وكأن بولس هو الرجل الأول في حركة الناصريين الثائرة كجيش يحارب. يرى البعض في تعبير "**مهيج فتنة**" تلميحًا خفيًا إلى إثارة فتنة بين اليهود ضد روما، هذا الاتهام لا ينطبق مطلقًا على الرسول بولس، إذ كان يشير إلى جنسيته الرومانية واهتمامه بالأمم.

أما كلمة **شيعة***haireseoos* أي أصحاب بدعة أو هرطقةheresy ، فتشير إلى أنها جماعة منحرفة عن الإيمان.

هكذا قلبوا الحقيقة، فالرسول بولس ككارزٍ بإنجيل المسيح، يسوع الناصري، يدعو إلى الخضوع للسلطات، وتقديم الكرامة لمن له الكرامة، كما يدعو إلى تنفيذ الناموس في كمال مفهومه الروحي، فيطالب بالحب حتى نحو الأعداء والمقاومين.

v لقد ظنوا أنهم يقولون هذا كنوع من التوبيخ "**الناصريون**"، بهذا يريدون تحطيمه، لأن الناصرة موضع وضيع. قال: "**وجدنا هذا الرجل**". انظروا كيف يشوهون سمعته بخبث، فبقولهم "**وجدناه**" يبدو كمن يتسلل دومًا خفيه، وأنه بصعوبة تتبعوه حتى وجدوه، مع أنه كان في الهيكل لمدة سبعة أيام.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"وقد شرع أن ينجس الهيكل أيضًا،

أمسكناه، وأردنا أن نحكم عليه حسب ناموسنا". [٦]

هذا الاتهام بلا أساس، فقد أتهم بأنه دخل بيونانيين إلى المكان المقدس (أع ٢١: ٢٨)، وقد أجاب الرسول على ذلك (أع ٢٤: ١٨).

"فأقبل ليسياس الأمير بعنفٍ شديدٍ،

وأخذه من بين أيدينا". [٧]

اتهموا الأمير ليسياس باستخدام العنف معهم، وأنه لو لم يفعل ذلك لتمت محاكمة عادلة بخصوص بولس. وهم في هذا يخفون الحقيقة، إذ كانوا يدبرون مؤامرة لقتله دون محاكمة.

"وأمر المشتكين عليه أن يأتوا إليك،

ومنه يمكنك إذا فحصت أن تعلم جميع هذه الأمور،

التي نشتكي بها عليه". [٨]

يرى البعض أن حديث الخطيب ترتلس حتمًا كان أكثر من هذا، وأن القديس لوقا اكتفي بتقديم الخطوط العريضة للحديث أو ملخصًا له.

"ثم وافقه اليهود أيضًا قائلين أن هذه الأمور هكذا". [٩]

شهد القادمون من أورشليم صدق كلمات ترتلس، ولا نعلم إن كانت قد أُخذت شهادتهم بصورة فردية، أم اكتفوا بمجرد موافقة الكل معًا على هذه الاتهامات.

٢. احتجاج الرسول بولس

"فأجاب بولس إذ أومئ إليه الوالي أن يتكلم:

إني إذ قد علمت أنك منذ سنين كثيرة قاضٍ لهذه الأمة،

احتج عمّا في أمري بأكثر سرور". [١٠]

هذا هو الدفاع الثالث لبولس الرسول كما ورد في سفر أعمال الرسل. وقد اتسم دفاعه بروح الحكمة والقداسة، وتحقق فيه وعد السيد المسيح أنهم إذ يقفون أمام ملوك وولاة من أجله يُعطون في تلك الساعة ما يتكلمون به.

لم يستخدم الرسول بولس كلمات الإطراء والتملق، كما فعل الخطيب ترتلس، لكنه قدم مديحًا متواضعًا لفيلكس الوالي، مظهرًا أنه صاحب خبرة في شئون الأمة اليهودية، لهذا حتمًا ستكون المحاكمة عادلة. فقد كان فيلكس وكومانوسComanus شريكين في الولاية، وقد أساء الأخير إدارة الأمور بطريقة صعبة، فتحولت كل السلطة في يدي فيلكس، وذلك منذ حوالي سبع سنوات قبل هذه المحاكمة، وهي فترة طويلة أعطت لفيلكس خبرات قوية من جهة أمور الأمة اليهودية. إنها فترة طويلة إن قورنت بالولاة السابقين له. كان القديس بولس يعلم تمامًا شخصية فيلكس، لهذا لم يمدحه إلا بما هو حق دون مبالغة ولا مداهنة.

"**قاض**": تُستخدم هنا بمعنى حاكمٍ، يمارس القضاء الخاص بأمور الأمة العامة magistrate.

"**احتج عما في أمري بأكثر سرور**": إنها لغة الإنسان الجرىء الذي لا يخشى الموت والواثق في أعماقه ببراءته مهما دارت الأحداث.

لم يهتز الرسول بولس من كلمات الخطيب الأجير، ولا أعطى لكلماته اهتمامًا، إنما وجه الحديث بكل توقير للوالي، وقد ظهرت عليه علامات السرور والبهجة لا الاضطراب والخوف.

v هذه ليست لهجة تملق، إنما شهادة لعدالة القاضي. لا بل كان حديث الخطيب فيه تملق: "**إننا حاصلون بواسطتك على سلام جزيل**". فإن كان الأمر هكذا، فلماذا تقوم بالتحريض؟ أما ما طلبه بولس فهو العدالة، إذ يقول: "**إذ أنك قاض عادل احتج عما في أمري بأكثر سرورٍ**". وقد أكد ذلك خلال طول الزمن حيث كان قاضيًا "**منذ سنين كثيرة**".

القديس يوحنا الذهبي الفم

"وأنت قادر أن تعرف أنه ليس لي أكثر من اثني عشر يومًا،

منذ صعدت لأسجد في أورشليم". [١١]

يرى البعض أن الاثني عشر يومًا أو أكثر منذ صعد إلى أورشليم هي هكذا:

١ اليوم الأول الذي جاء فيه إلى أورشليم (أع ٢١: ١٥).

١ اليوم الثاني قضاه مع يعقوب والرسل (أع ٢١: ١٨).

٦ أيام قضاها في تنفيذ نذره (أع ٢١: ٢١، ٢٦).

١ اليوم التاسع، والسابع من نذره حيث حدث شغب، وأنقذه القائد ليسياس (أع ٢١: ٢٧؛ ٢٢: ٢٩).

١ اليوم العاشر: وقف أمام مجمع السنهدرين (أع ٢٢: ٣٠؛ ٢٣: ١٠).

١ اليوم الحادي عشر: دُبرت مؤامرة لقتله، فأرسل في مساء نفس اليوم غلى قيصرية.

الأيام التي قضاها في الحبس لم يحسبها الرسول بولس، لأنه حسب فقط الأيام التى كان يمكن أن يُتهم فيها بأنه يصنع فتنة في أورشليم، إذ لا يمكنه ان يصنع فتنة وهو في الحبس في قيصرية تحت الحراسة. وكأن الاثني عشر يومًا هي الفترة ما بين صعوده إلى أورشليم حتى مجيئه إلى قيصرية تحت الحبس لدى فيلكس، وهي فترة قصيرة للغاية.

أوضح الرسول غاية صعوده إلى أورشليم وهي "**لأسجد**" أو "**لأتعبد**"، وليس ليثير فتنة. صعد بهدفٍ تقويٍ تعبديٍ خاشع.

"ولم يجدوني في الهيكل أحاج أحدًا،

أو أصنع تجمعًا من الشعب،

ولا في المجامع، ولا في المدينة". [١٢]

كان أول اتهام قدمه ترتلس ضده أنه مفسد [٥]، كيف يكون هذا صدقًا، وهو لم يدخل في حوارٍ مع أحد، ولا على مستوي التجمعات، ولا في داخل الهيكل، بل كان في الهيكل ينفذ نذرًا، ويحتفظ بشركته في العبادة مع شعبه، ولم يتحد أحدًا منهم.

v استخدم المتهمون تعبير "**زعيم فتنة**" كما لو كانت القضية هي قضية حرب وعصيان مسلح، لكن تطلعوا كيف أجاب بولس بلطف.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"ولا يستطيعون أن يثبتوا ما يشتكون به الآن علي". [١٣]

ليس لديهم أي دليل على إثارة أي شعب، إذ يحمل كل حب وغيرة على خلاص بني جنسه (رو ٩: ١-٣).

"ولكنني أقر لك بهذا،

أنني حسب الطريق الذي يقولون له شيعة،

هكذا أعبد إله آبائي،

مؤمنًا بكل ما هو مكتوب في الناموس والأنبياء". [١٤]

أما عن الاتهام الثاني الذي قدمه ترتلس فهو أنه زعيم لفئة الناصريين، فقد جاءت إجابته هكذا:

١. إن كان قد لقبهم ترتلس بالناصريين استخفافًا بهم وتحقيرًا لشأنهم، فإن الرسول بولس لم يشغله اللقب، ولا يدخل في حوار غير هادف.

٢. لم ينكر الرسول بولس عضويته في ما يدعونه هم بالشيعة، فهو يعتز بانتسابه للمسيحيين.

٣. إن انتسابه لهم ليس إلا امتدادًا للعبادة بحسب فكر آبائهم، الذين دعاهم **"آبائي"**. دخوله الهيكل دليل عملي على ممارسته للعبادة حسب فكر آبائه.

٤. أن ما يدعونها بالشيعة، إنما تؤمن بما ورد في الناموس والأنبياء، فما يعلنه عن السيد المسيح هو تحقيق للنبوات.

٥. غاية هذه الجماعة ورجاؤها هو التمتع بالقيامة من الأموات [١٥]

٦. ما يدعونه هم شيعة أو بدعة هو في الحقيقة **"الطريق"**، به يعبر البشر إلى الله ويتمتعون بالشركة معه.

٧. أوضح الرسول ما هو الإيمان المسيحي بقوله: **"هكذا أعبد إله آبائي مؤمنًا"**، حيث يربط العبادة بالإيمان معًا.

"ولي رجاء باللَّه فيما هم أيضًا ينتظرونه،

أنه سوف تكون قيامة للأموات الأبرار والآثمة". [١٥]

هنا يشير إلى الفريسيين الذين يؤمنون أيضا بالقيامة من الأموات.

- عزله المتهمون كأنه غريب، أما هو فربط نفسه بالناموس كواحدٍ منهم.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"لذلك أنا أيضًا أدرّب نفسي،

ليكون لي دائمًا ضمير بلا عثرة من نحو اللَّه والناس". [١٦]

في تواضعٍ لم ينسب الرسول لنفسه الكمال، لكنه سالك في الطريق، يدرب نفسه على الدوام، فاحصًا ضميره من جهة علاقته بالله والناس. فإن ما يشغله ليس تبرئة نفسه أمام القضاء، وإنما أمام الديان، العارف بما في ضمائر الناس. يطلب دومًا الاستنارة، ويجاهد ليكون مخلصًا وأمينًا أمام الله وفي حق الناس.

"وبعد سنين كثيرة جئت أصنع صدقات لأمّتي وقرابين". [١٧]

كيف يُتهم بمثير فتن وهو إلى سنوات طويلة لم يصعد إلى أورشليم، والآن إذ يصعد يأتي إلى أورشليم بصدقاتٍ وتقدماتٍ بسبب ما حل بالمدينة من مجاعة.

يعلق البعض على رحلة القدّيس بولس إلى أورشليم ليقدّم العطاء للقدّيسين هناك، قائلين بأنه كان في أورشليم قدّيسون باعوا كل ممتلكاتهم ووضعوها عند أقدام الرسل (أع ٤: ٣٤-٣٥)، مكرّسين أنفسهم للصلاة والقراءة والتعليم. واضح من قول الرسول في موضعٍ آخر: "ولكن الآن أنا ذاهب إلى أورشليم لأخدم القديسين" (رو ١٥: ٢٥) أنّه من أجل سماتهم هذه كقديسين يسافر بولس ليلتقي بهم شخصيًا، وهو يترجّى أنّهم يقبلوا تقدمته مظهرًا أنّه مغبوط بالأكثر هو العطاء عن الأخذ (أع ٢٠: ٣٥).

v كان يوجد قديسون فقراء في كل الموضع، وقد أراد بولس من أهل رومية أن ينمي روح العطاء بسخاء مع الجميع.

العلامة أوريجينوس

v إذا كرس هؤلاء الأمم أنفسهم بالكامل لخدمة الله لم يرتبكوا قط بأمور هذا العالم، مقدمين مثلاً للسلوك الحسن أمام المؤمنين. هكذا أيضاً يريدنا الرسول أن نتعاطف ونكون رحماء، فنشعر بالتزامنا بالعطاء وأن نمارس الأعمال الصالحة بقلبٍ راضٍ، لأن من يترجى الرحمة من الله يلزم أن يكون رحيمًا مبرهنًا على أن لديه علة لرجائه. فإن كان الإنسان رحيمًا كم بالأكثر يكون الله. وكما يقول الرب: "طوبى للرحماء فإن اللَّه يرحمهم" (مت ٧:٥).

أمبروسياستر

"وفي ذلك وجدني متطهرًا في الهيكل،

ليس مع جمعٍ، ولا مع شغبٍ،

قوم هم يهود من آسيا". [١٨]

حين ألقوا القبض عليه كان معه يهود قادمون من آسيا وكان هو متطهرًا منشغلاً بخدمة مقدسة حيث يوفي بنذره، ولم يدخل الهيكل ومعه جمهور أو شغب.

v لماذا صعدوا بك؟ ما الذي أتى بك إلى هنا؟ يجيب: "لكي أعبد، لكي أقدم صدقات. هذه ليست تصرفات شخص مثير للشغب.

القديس يوحنا الذهبي الفم

v أقول بما يقوله الرسول الطوباوي بولس تقريبًا في كل رسائله، وجعله قاعدة لكنائس الأمم أنه في اليوم الأول من الأسبوع، أي في يوم الرب، كانت تُجمع تبرعات من كل أحد تُرسل إلى أورشليم لأجل سدْ احتياجات القديسين، بواسطة أحد تلاميذه أو من يستحسنونهم. وإن رأوا أنه من المناسب يقوم هو نفسه بإرسالها أو يأخذ ما تجمع. أيضًا جاء في أعمال الرسل وهو يتحدث مع الوالي فيلكس: "**وبعد سنين كثيرة جئت أصنع صدقات لأمتي وقرابين، وفي ذلك وجدني متطهرًا في الهيكل...**" ألم يقم بالتوزيع في مناطق أخرى للعالم، وفي الكنائس المبتدئة التي فيها عمل بإيمانه، مقدمًا مما تسلمه من الكنائس الأخرى؟ لكنه اشتاق أن يعطي فقراء الأماكن المقدسة الذين فقدوا ممتلكاتهم القليلة من أجل المسيح، وحولوا كل قلوبهم لخدمة الرب. إنني احتاج إلى وقت طويل جدًا إن كررت كل العبارات من كل دائرة رسائله التي فيها يحث ويؤيد بكل قلبه أن يرسل المال إلى أورشليم وإلى الأماكن المقدسة للمؤمنين، لا ليبعث فيهم الطمع، بل ليسد احتياجاتهم، لا ليكدسوا الثروات، بل ليسندوا أجساد الفقراء الضعيفة، وليدفعوا البرد والجوع عنها.

القديس جيروم

"كان ينبغي أن يحضروا لديك،

ويشتكوا إن كان لهم عليَّ شيء". [١٩]

لو أنه رافقني أحد غريب غير يهودي دخل معي إلى الهيكل، لكان يجب إحضارهم ليشهدوا ضدي أمامك.

استخدم **القديس أثناسيوس الرسولي** العبارات الواردة في سفر الأعمال (أع ٢٤: ١٨-١٩؛ ٢٥: ١٦)، في دفاعه عن الهروب من أمام الأريوسيين.

"أو ليقل هؤلاء أنفسهم ماذا وجدوا فيّ من الذنب،

وأنا قائم أمام المجمع". [٢٠]

التماس جرئ يقدمه الرسول وهو إن كانوا لم يحضروا أحدًا غير يهودي يشهد بأنه دخل به إلى الهيكل فليقدموا دليلاً عمليًا على اتهاماتهم له.

"ألاَ من جهة هذا القول الواحد الذي صرخت به،

واقفًا بينهم،

إني من أجل قيامة الأموات أحاكم منكم اليوم". [٢١]

أراد الرسول بولس أن يوجه أنظارهم إلى أن الأمر الوحيد، ولعله الذي نطق به أمام المجمع، هو التعليم بالقيامة من الأموات.

لماذا أشار القديس بولس إلى إن محاكمته هي من أجل القيامة من الأموات؟ يقول **القديس يوحنا الذهبي الفم** أن الذى ينشغل بالقيامة من الأموات لا يمكن أن يصدر عنه شغب.

٣. تأجيل القضية

"فلما سمع هذا فيلكس أمهلهم،

إذ كان يعلم بأكثر تحقيق أمور هذا الطريق قائلاً:

متى انحدر ليسياس الأمير أفحص عن أموركم". [٢٢]

كان فيلكس على علم بهذا الطريق، أي بالإيمان بالسيد المسيح، ربما من زوجته دروسيلا [٢٤]. وإذ سمع الوالي كلا من ترتلس وبولس أودع بولس في الحبس حتى يفحص الأمر بعد مجيء القائد ليسياس.

ربما كان لدي فيلكس معرفة عن المسيحية أكثر مما كان يظن رئيس الكهنة ومن معه، ففي قيصرية وجد كرينليوس قائد المائة الذي قَبل الإيمان هو وأهل بيته على يدي بطرس الرسول. ولعله احتك عمليًا ببعض المسيحيين وتلامس مع أمانتهم وإخلاصهم في العمل وحسن سيرتهم وسلوكهم.

لقد خاب أمل رئيس الكهنة ومن معه إذ كانوا يتوقعون صدور حكم عاجل من الوالي ضد الرسول بولس.

v لاحظوا كيف أن الحكام في كل المناسبات يريدون أن يبتعدوا عن الأمور المزعجة التي لليهود، الذين غالبًا ما كانوا يُلزمونهم بالتصرف ضد العدالة.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"وأمر قائد المائة أن يُحرس بولس،

وتكون له رخصة،

وأن لا يمنع أحدًا من أصحابه أن يخدمه أو يأتي إليه". [٢٣]

بلا شك كان للرسول بولس أصدقاء كثيرون في قيصرية، يستطيعون خدمته، ويأتون إليه يسمعون له، كما كان له مقاومون كثيرون، فوجوده في الحبس كان بسماح إلهي لسلامته.

يرى البعض أن فيلكس أمر بحبس الرسول لأحد الأسباب التالية:

١. مع معرفته ببراءة الرسول أراد أن يطيب خاطر القيادات اليهودية، فأودعه في الحبس، وإن كان لم يحكم بموته كطلبهم.

٢. ربما كان يتوقع من أصدقاء الرسول، وهم ليسوا بالعدد القليل، أن يقدموا رشوة فيطلق سراحه.

٣. أن يتأكد فعلاً خلال اللقاءات معه ومع غيره عن حقيقة الأمر.

٤. عظته للوالي وزوجته

"ثم بعد أيام جاء فيلكس مع دروسلا امرأته وهي يهودية،

فاستحضر بولس،

وسمع منه عن الإيمان بالمسيح". [٢٤]

واضح أن فيلكس قد أعجب بالرسول بولس، فكان له تقريره في عينيه حتى وهب له حرية اللقاء مع أصدقائه وكل زائريه. هذا يظهر من لقائه هو وزوجته مع بولس على مستوى عائلي. لقد استدعاه ليسمع منه عن يسوع المسيح، وعن الإيمان المسيحي الذي لديه بعض المعرفة عن هذا الأمر. ولعله استدعاه بناء على طلب زوجته التي كان لديها حب استطلاع للتعرف على هذا الطريق من الرسول نفسه.

دروسلا: سيدة يهودية، هي ابنة هيرودس أغريباس الصغرى الذي أكله الدود. كانت محبة للاستطلاع، أما من جهة حياتها فقد كانت قبلاً متزوجة، تركت زوجها وعاشت مع فيلكس كزوجة غير شرعية، يتطلع إليها اليهود كزانية. ما كان يشغلها المعرفة الفكرية لا التمتع بالحياة الإيمانية المقدسة. قيل أنها كانت مخطوبة لابيفانوس ابن الملك انتيخوس بشرط دخوله اليهودية، وإذ رفض بعد ذلك حلت الخطبة. قام أخوها أغريباس الصغير بتزويجها بأزيسيس ملك أميسا وكان موافقًا أن يختتن. وإذ رآها فيلكس والي اليهودية سقط في حبها، وأرسل إليها سمعان أحد أصدقائه وهو يهودي قبرصي المولد الذي تظاهر بأنه ساحر لكي ما يغويها على ترك زوجها

والزواج بفيلكس. لكي تتجنب حسد أختها برنيسكي التي كانت تسيء إلى معاملتها بسبب جمالها، عصت شرائع آبائها وتزوجت فيلكس، فعاشت معه كزانية. يرى البعض أن فيلكس استدعى بولس في حضور زوجته دروسلا، وكان يتوقع من هذا السجين أن يلطف من خاطر دروسلا ويطمئنها على سلامة زواجها من فيلكس.

"وبينما كان يتكلم عن البرّ والتعفف والدينونة العتيدة أن تكون،

ارتعب فيلكس وأجاب:

أمّا الآن فاذهب،

ومتى حصلت على وقت أستدعيك". [٢٥]

لم يداهن الرسول بولس الوالي وزوجته غير الشرعية، بل شهد لإنجيل المسيح بكل قوة، وتحدث عن البرّ والعفة والدينونة العتيدة فارتعب الوالي، ولم يحتمل أن يسمع، لأن ضميره صار يبكته، ولعله خشي من تأثير الرسول بولس على دروسلا فتفكر في التوبة وتترك فيلكس.

شتان ما بين سجان فيلبي الذي سأل: "ماذا ينبغي لي أن أفعل لكي أخلص؟" (أع١٦: ١٣-٣١)، وبين فيلكس المرتعب، لكنه عوض طلب الخلاص، قال: "**أما الآن فاذهب ومتى حصلت على وقت أستدعيك".** فإنه كان مبتلعًا بملذاته وشهواته، وليس لديه وقت للاهتمام بخلاص نفسه.

والعجيب أن دروسلا لم ترتعب لحديث الرسول بولس، ويعلل البعض إنها كيهودية ظنت أنها قادرة بتقديم تقدمات وممارسة بعض الطقوس أن تتمتع بالصفح عما تعيش فيه، لهذا تبلد فكرها وقلبها وضميرها مهما سمعت عن البرّ والعفة وعن الدينونة.

يرى **القديس أغسطينوس** أن حديث الرسول بولس عن "**التعفف والبرّ**" إنما يحوي ثلاثة أمور: الكف عن الشر، وصنع الخير، والرجاء في المكافأة الأبديّة.

v لاحظوا كيف أن بولس تحدث في الحال ليس فقط عن الإيمان ولا عن مغفرة الخطايا وإنما تحدث أيضًا عن نقاط عملية ملزمة.

القديس يوحنا الذهبي الفم

يقارن **القديس يوحنا الذهبي الفم** بين القديس بولس وهو في السلاسل لكنه كحاكمٍ قدير صاحب سلطان داخلي، بينما كان فيلكس واليًا وقاضيًا، لكنه لا يحمل سمات القيادةِ فارتعب أمام السجين. فالمؤمن الحقيقي لا يرتعب من الغير مهما كان سلطانهم، بل يحمل رهبة وسلطانًا.

v ليتنا لا نحسبه بالأمر العظيم إن كان الناس يرهبوننا. ففي الجانب الأول، **لا يستطيع إنسان ما أن يُرعبنا**، وثانيًا فإنه ليس بالأمر العظيم (أن يرتعبوا هم).

الفضيلة هي صلاح عظيم، لتنظروا كم هي عظمتها...

ألا تفكر يا إنسان هكذا كم هي قوتك؟ وأي نوع من القوة تحمل؟ قل لي هل هي تُمنح بميعاد؟ لو كان الأمر كذلك لكنت تأخذ القوة من بشرٍ، رعدْ نفسك هو في داخلك.

فالحاكم ليس من يُدعى حاكمًا، بل من هو بالحقيقة هكذا. كما أن الملك لا يقدر أن يجعل إنسانًا طبيبًا أو خطيبًا، هكذا لا يقدر أن يقيم حاكمًا. فإنه ليس القرار الإمبراطوري ولا الاسم يجعل من الشخص حاكمًا...

إن كان شخص له عدد طبية أيضًا وأدوية، ويزور المرضى، هل هذه كلها كافية لتجعل منه طبيبًا؟ لا، فإنه يحتاج إلى فن (الطب). بدون هذه كلها ليس فقط لا تفيد، بل وتؤذي. فإنه من الأفضل لمن هو ليس بطبيبٍ ألا يقتني أدوية. فمن لا يقتنيها لا ينقذ ولا يدمر، أما من يقتنيها فيدمر إن لم يكن يعرف كيف يستخدمها. فإن قوة الشفاء ليست في طبيعة الأدوية بل في الفن الذي يستخدمه الشخص...

هكذا بالنسبة للحاكم، فربما يكون له الأدوات، صوته كصاحب سلطان، وغضبه، والجلادون، وله العقوبات، وله الكرامات، والهدايا والمديح. لديه أيضًا الأدوية: القانون، ولديه مرضاه وهم الناس. ولديه الموضع الذي يمارس فيه عمله أي ساحة القضاء، ولديه التلاميذ وهم الجند، فإن لم يكن لديه فن الشفاء، فإن هذا كله لا ينفعه شيئًا. القاضي هو طبيب النفوس لا الأجساد، فإن كان شفاء الأجساد يحتاج إلى كل هذه العناية، كم بالأكثر يحتاج إلى شفاء النفوس، حيث أن النفس أثمن من الجسد.

إذن ليس مجرد نوال لقب "الحاكم" يصير الشخص حاكمًا... **هؤلاء هم حكام، الذين يحكمون أنفسهم.**

توجد أربعة أشياء: النفس والأسرة والمدينة والعالم. والأربعة يمثلون تقدمًا منظمًا.

فمن يدير أسرة فلكي يديرها حسنًا يلزمه أولاً أن يحسن تدبير نفسه، لأنها هي أسرته، فإن كان لا يقدر أن يدير أسرته التي تتكون من نفسٍ واحدةٍ، وحيث هو السيد وحيث هو دومًا برفقتها، فكيف يقدر أن يدير الآخرين؟

فمن يقدر أن ينظم نفسه، ويجعل نصيبًا منها يحكم والآخر يخضع، فإن مثل هذا الإنسان يقدر أن ينظم أسرة أيضًا، ومن يقدر أن يفعل ذلك مع الأسرة يستطيع أيضًا مع مدينة ليمكنه أن يفعل ذلك مع العالم.

القديس يوحنا الذهبي الفم

v "أتمشى في رحب لأني طلبت وصاياك، وأتكلم بشهاداتك قدام ملوك ولا أخزى" (مز ١١٩: ٤٥-٤٦). يقول إنه يسافر بسهولة عظيمة ويحيا حسب وصاياه، بعيدًا عن تأثير ملوك رهيبين، متحدثًا معهم في يقينٍ عظيمٍ... في يقين البرّ اتهم العظيم إيليا آخاب بأنه شرير (١ مل ١٨). وبالمثل دانيال الملهم قال لنبوخذنصر: "الآن، أيها الملك فلتكن مشورتي مقبولة لديك، وفارق خطاياك بالبرّ، وآثامك بالرحمة للمساكين" (دا ٤: ٢٧). هكذا بولس الملهم خاطب أغريباس وفستوس وفيلكس (أع ٢٤- ٢٦). ،أيضا استخف الشهداء بالملوك الأشرار.

الأب ثيؤدورت أسقف قورش

"وكان أيضًا يرجو أن يعطيه بولس دراهم ليطلقه،

ولذلك كان يستحضره مرارًا أكثر ويتكلم معه". [٢٦]

مع أنه ارتعب متأثرًا بحديث القديس بولس، لكن محبة المال والمجد الباطل أفسدتا حياته، فكان يستدعي الرسول راجيًا أن يعطيه دراهم فيطلقه. تحقق الوالي أنه ليس من جريمة ارتكبها الرسول، وأنه يلزم إطلاقه. ومع أن الرشوة كانت ممنوعة حسب القانون الروماني، لكنها كانت سائدة، وكان فيلكس يرجو من بولس أن يدفع رشوة له. كان يستدعيه ويعامله بكل لطف لعله يشتري حريته بالمال.

كثير من الولاة الرومان كانوا يتطلعون إلى مراكزهم كمصدر قوي للغنى الفاحش على حساب العدالة.

٥. عزل فيلكس

"ولكن لمّا كملت سنتان،

قبل فيلكس بوركيوس فستوس خليفة له،

وإذ كان فيلكس يريد أن يودع اليهود منة ترك بولس مقيدًا". [٢٧]

ختم ولايته بأن ترك الرسول أسيرًا ليس اعتقادًا بأنه مخطئ، وإنما ليكسب اليهود حتى بعد تركه الولاية. فضل بولس أن يبقى في السجن سنتين عن أن يدفع رشوة ويُطلق سراحه. أما فيلكس فحتى عند تركه الولاية ترك بولس سجينًا ليكسب ود اليهود. يقول يوسيفوس المؤرخ أن فيلكس كان غير محبوب، بلا شعبية. هذا يتفق مع ما ذكره الإنجيلي لوقا عن ترك بولس في السجن كمنة لليهود، أي لكي لا يشتكوه بعد تركه الولاية لدى الإمبراطور.

من وحي أعمال ٢٤

سجين صاحب سلطان!

- اقتناك القديس بولس،

فصار بالحقيقة ملكاً صاحب سلطان،

إذ حملك فيه، يا ملك الملوك.

- دخل الهيكل يوفي نذرًا،

فارتجت الجماهير وخشته.

قُيد كأسيرٍ، وإذا به يخاطب الجماهير بقوة!

ارتبك بسببه مجمع السنهدرين،

وانشقوا وصارت بينهم منازعات.

- اُقتيد إلى قيصرية،

فشعر رئيس الكهنة بعرشه يهتز،

ومجمع السنهدرين بسلطانه ينهار!

- أمام بولس الأعزل السجين،

استأجر المجمع خطيبًا رومانيًا بليغًا!

لعله يقدر أن يسلب بولس سلطانه!

- قدم رئيس الكهنة ورجاله كل الإمكانية

ليحركوا ساكنًا لرسولك بولس!

استخدموا على لسان الخطيب كلمات التملق للوالي الظالم،

لعلهم يسحبون من فم فيلكس كلمة إدانة لبولس.

كيَّلوا اتهامات وجرائم خطيرة.

أما بولس الرسول، فلم يهتز سلامه الداخلي.

بسلطانٍ وشجاعةٍ لم يداهن الرسول الوالي.

قدم له الكرامة كصاحب كرامة،

لكن لم تخرج من فمه كلمة تملق!

- أسر بولس قلب فيلكس الشرير.

جاء إليه بزوجته غير الشرعية، لعله يهدئ ضميرها.

فإذا بفيلكس يرتعب أمام كلمات النعمة.

تُرى من هو الحاكم؟ ومن هو السجين؟

فيلكس هو الوالي الشرعي، لكنه يرتعب أمام السجين.

فيلكس سجين الخطية والشر،

لا يقدر أن يقف أمام برّ الذي في المسيح في بولس.

كان بولس الرسول سجيناً في سلاسل،

لكنه يتكلم مع الوالي كصاحب سلطان.

لم يبرر له زواجه غير الشرعي،

ولا دفع رشوة لينال الحرية،

فالحبس والقيود لم يفسدوا حريته الداخلية!

يا له من سجين صاحب سلطان!

١ و بعد خمسة ايام انحدر حنانيا رئيس الكهنة مع الشيوخ و خطيب اسمه ترتلس فعرضوا للوالي ضد بولس
٢ فلما دعي ابتدا ترتلس في الشكاية قائلا
٣ اننا حاصلون بواسطتك على سلام جزيل و قد صارت لهذه الامة مصالح بتدبيرك فنقبل ذلك ايها العزيز فيلكس بكل شكر في كل زمان و كل مكان
٤ و لكن لئلا اعوقك اكثر التمس ان تسمعنا بالاختصار بحلمك
٥ فاننا اذ وجدنا هذا الرجل مفسدا و مهيج فتنة بين جميع اليهود الذين في المسكونة و مقدام شيعة الناصريين
٦ و قد شرع ان ينجس الهيكل ايضا امسكناه و اردنا ان نحكم عليه حسب ناموسنا
٧ فاقبل ليسياس الامير بعنف شديد و اخذه من بين ايدينا
٨ و امر المشتكين عليه ان ياتوا اليك و منه يمكنك اذا فحصت ان تعلم جميع هذه الامور التي نشتكي بها عليه
٩ ثم وافقه اليهود ايضا قائلين ان هذه الامور هكذا
١٠ فاجاب بولس اذ اوما اليه الوالي ان يتكلم اني اذ قد علمت انك منذ سنين كثيرة قاض لهذه الامة احتج عما في امري باكثر سرور
١١ و انت قادر ان تعرف انه ليس لي اكثر من اثني عشر يوما منذ صعدت لاسجد في اورشليم
١٢ و لم يجدوني في الهيكل احاج احدا او اصنع تجمعا من الشعب و لا في المجامع و لا في المدينة
١٣ و لا يستطيعون ان يثبتوا ما يشتكون به الان علي
١٤ و لكنني اقر لك بهذا انني حسب الطريق الذي يقولون له شيعة هكذا اعبد اله ابائي مؤمنا بكل ما هو مكتوب في الناموس و الانبياء
١٥ و لي رجاء بالله في ما هم ايضا ينتظرونه انه سوف تكون قيامة للاموات الابرار و الاثمة
١٦ لذلك انا ايضا ادرب نفسي ليكون لي دائما ضمير بلا عثرة من نحو الله و الناس
١٧ و بعد سنين كثيرة جئت اصنع صدقات لامتي و قرابين
١٨ و في ذلك وجدني متطهرا في الهيكل ليس مع جمع و لا مع شغب قوم هم يهود من اسيا
١٩ كان ينبغي ان يحضروا لديك و يشتكوا ان كان لهم علي شيء
٢٠ او ليقل هؤلاء انفسهم ماذا وجدوا في من الذنب و انا قائم امام المجمع
٢١ الا من جهة هذا القول الواحد الذي صرخت به واقفا بينهم اني من اجل قيامة الاموات احاكم منكم اليوم
٢٢ فلما سمع هذا فيلكس امهلهم اذ كان يعلم باكثر تحقيق امور هذا الطريق قائلا متى انحدر ليسياس الامير افحص عن اموركم
٢٣ و امر قائد المئة ان يحرس بولس و تكون له رخصة و ان لا يمنع احدا من اصحابه ان يخدمه او ياتي اليه
٢٤ ثم بعد ايام جاء فيلكس مع دروسلا امراته و هي يهودية فاستحضر بولس و سمع منه عن الايمان بالمسيح

٢٥ و بينما كان يتكلم عن البر و التعفف و الدينونة العتيدة ان تكون ارتعب فيلكس و اجاب اما الان فاذهب و متى حصلت على وقت استدعيك
٢٦ و كان ايضا يرجو ان يعطيه بولس دراهم ليطلقه و لذلك كان يستحضره مرارا اكثر و يتكلم معه
٢٧ و لكن لما كملت سنتان قبل فيلكس بوركيوس فستوس خليفة له و اذ كان فيلكس يريد ان يودع اليهود منة ترك بولس مقيدا

الأصحاح الخامس والعشرون

القديس بولس يرفع دعواه إلى القيصر

قضى الرسول بولس سنتين في السجن بلا محاكمة، إرضاءً لليهود، إذ كانت العلاقة بين القيادات اليهودية وفيلكس الوالي يشوبها متاعب كثيرة، فأراد استرضاءهم حتى عندما نزعت عنه الولاية. والآن احتل فستوس مكانه وربما تعجب أن يبقى شخص ما محبوساً هذه المدة بلا علة أو محاكمة.

.1فستوس في أورشليم ١-٥.

.2احتجاج بولس في قيصرية ٦-٩.

.3رفع دعواه إلى قيصر ١٠-١٢.

.4استشارة أغريباس الملك ١٣-٢٢.

.5بولس أمام محفل عظيم ٢٣-٢٧.

.1فستوس في أورشليم

"فلما قدم فستوس إلى الولاية،

صعد بعد ثلاثة أيام من قيصرية إلى أورشليم". [١]

كان بروكيوس فستوس Procius Festus واليًا له تقديره عن فيلكس، وأكثر منه عدالة وحيوية، لكن فلسطين في ذلك الحين كانت مرتعًا لقلاقل ومتاعب كثيرة. وقد مات فستوس وهو في وظيفته دون إمكانية لاستتباب الأمن فيها.

جاء أولاً إلى قيصرية عاصمة اليهودية، وإذ كانت أورشليم هي العاصمة الدينية، لهذا قدم لها أول زيارة في الولاية بعد ثلاثة أيام من ذهابه إلى قيصرية، ليقيم علاقات طيبة مع القيادات الدينية الخاضعة له، ولكي يتعرف على شئون الولاية من الجانب الديني.

"فعرض له رئيس الكهنة ووجوه اليهود ضد بولس،

والتمسوا منه". [٢]

ما أن تولى فستوس الولاية وجاء إلى أورشليم حتى أسرع إليه رئيس الكهنة ووجوه اليهود يطلبون إرسال بولس لمحاكمته. فإنه لم يكن يشغل قلب القيادات اليهودية، وليس من موضوعٍ يتحدثون فيه مع الوالي الجديد مثل الخلاص من القديس بولس .كان بولس في الحبس لمدة سنتين، لكن الحقد الذي ملأ هذه القيادات لم ينطفئ بعد.

كان رئيس الكهنة هو إسماعيل Ismael بن فابيFabi ، عينه اغريباس، يرى البعض أنه كان حنانيا.

"طالبين عليه منة،

أن يستحضره إلى أورشليم،

وهم صانعون كمينًا ليقتلوه في الطريق". [٣]

لم نسمع عن الرسول بولس السجين في قيصرية أنه التمس منه إطلاقه من الحبس، ولا أرسل إليه أحدًا من أصدقائه .

استغلوا جهل فستوس بهذه الأمور، فأرادوا أن يضغطوا عليه، ليصنع معهم عطفًا بأن يرسل لهم الأسير بولس لمحاكمته دينيًا في الموقع الذي ارتكب فيه الجرائم .وكانت نيتهم هي قتله في الطريق قبل وصوله إلى أورشليم. ولعل ذلك كان بإيعاز من الأربعين يهوديًا الذين نذروا نذرًا ليقتلوه.

طلبوا منه منة أو عطفًا وإحسانًا، وعادة الإحسان يقدم لصالح السجين، لكن هنا يطلبون إحسانًا ضد السجين.

"فأجاب فستوس أن يحرس بولس في قيصرية،

وأنه مزمع أن ينطلق عاجلاً". [٤]

لم يجد الوالي الجديد سببًا لإرساله للمحاكمة أمام السنهدرين، بل طلب التشديد على حراسة بولس، وأنه ذاهب سريعًا إلى قيصرية ليقوم هو نفسه بالمحاكمة .ولعل سرّ رفضه إدراكه انه روماني الجنسية، لهذا لا يحاكم أمام المجمع اليهودي السنهدرين، بل يسمعه بنفسه كوالٍ روماني، مسئول على وجه الخصوص عن حياة الرومانيين.

لقد وعدهم بمحاكمته على وجه السرعة حتى لا يكون لهم حجة في شيء .ربما طلب محاكمته في قيصرية مركز الولاية تكريمًا للقضاء هناك، فالأجدر أن يرسلوا من هم مقتدرين إلى قيصرية، وهو يسمع للكل! ولعله خشي من حدوث اضطرابات أثناء محاكمته في أورشليم يصعب السيطرة عليها في غياب الوالي من أورشليم.

"وقال: فلينزل معي الذين هم بينكم مقتدرون،

وإن كان في هذا الرجل شيء،

فليشتكوا عليه". [٥]

أوضح أن رفض طلبهم لا يعني دفاعه عن بولس، لذا طلب منهم أن يرسلوا من هم مقتدرين على تقديم الاتهامات ضده. لقد طلب منهم أن يثبتوا شره، فإن كان مدانًا لن يعفو عنه.

.2احتجاج بولس في قيصرية

"وبعدما صرف عندهم أكثر من عشرة أيام،

انحدر إلى قيصرية،

وفي الغد جلس على كرسي الولاية،

وأمر أن يؤتى ببولس". [٦]

بعد أن قضى الوالي الجديد عشرة أيّام في أورشليم حيث أدرك أنّه ليس من أمر يشغل القيادات اليهوديّة الدينيّة سوى التخلّص من السجين بولس عاد إلى العاصمة. وفي اليوم التالي من وصوله لم يكن ما يشغله بعد خبرة عشرة أيّام في أورشليم سوى أن يبدأ ولايته بالنظر في قضيّة هذا السجين. ومن جانب آخر فإن القيادات الدينيّة لم تعطه فرصة للتأجيل، فقد لحقته ربّما في نفس يوم وصوله. لذلك عقد جلسة في اليوم التالي ليبحث الأمر.

جلس الوالي على كرسي القضاء ليحكم في قضية تمس أمن الدولة، واستدعى بولس وهو تحت الحراسة ليقف ويدافع عن نفسه.

"فلما حضر،

وقف حوله اليهود الذين كانوا قد انحدروا من أورشليم،

وقدموا على بولس دعاوى كثيرة وثقيلة لم يقدروا أن يبرهنوها[7] ."

وقف المتهمون أصحاب الدعوى حول الوالي مما يدل على كثرة عددهم، وقد أرادوا بهذا أن يمارسوا ضغطًا على الوالي بأن القضية لها خطورتها على أورشليم، كما أرادوا بكثرة العدد أن يرعبوا السجين المتهم بولس. لكنهم كانوا كالنحل انطفأوا كنار الشوك (مز ١١٨: ١٢). لقد جاءوا بدعاوى كثيرة، وقد ظنّوا أنّهم جاءوا بنيران كثيرة يلقونها في وسط الشوك، ليس من يقدر أن يطفئها. ولكن كما يقول **القديس يوحنا الذهبي الفم]** :كل القيود انكسرت بالرجاء في الرب... كأن نارًا قد انطلقت، وسراب من النحل التفّ بجنونٍ، أرادوا أن يبيدوه، لكن في عجزٍ لم يبلغوا غايتهم. ها أنتم ترون اسم الله هو سلاح، وسند لا يُقاوم، قد دحرهم جميعًا[.

ويقول **الأب ثيؤدورت أسقف كورش]** :لقد ترجّوا أن يغلبونني بسهولة شديدة، كالنار عندما تلحق بالشوك، و"باسم الرب انتقمت منهم". إذ كانوا يطلبون هذا صاروا في إحباط من جهة رجائهم، الذي غلبه رجائي. أقمت الرب ضدّهم، وبه أنال النصرة[.

قدموا صحيفة دعوى تتضمن اتهامات كثيرة وخطيرة، لكنهم فشلوا في البرهنة على صدقها، وذلك كما فعلوا أمام فيلكس (أع ٢٤: ٥- ١٩.(

"إذ كان هو يحتجّ،

أني ما أخطأت بشيء لا إلى ناموس اليهود ولا إلى الهيكل،

ولا إلى قيصر". [٨]

لعله أجاب بذات الإجابة التي قدمها قبلاً أمام فيلكس (أع ٢٤(21-10 :، لأنهم قدموا ذات الاتهامات .

.1إنه لم ينتهك الناموس الموسوي، ولا قدم تعاليم تخالف الشريعة .فإن الإيمان لا يبطل الناموس بل يكمله. الكرازة بالمسيح حققت غاية الناموس وأكملته روحيًا.

.2لم ينتهك قدسية الهيكل، ولا استخف بالعبادة والخدمة فيه، فالكرازة بالإنجيل تحقق التمتع بهيكل القلب الذي يرمز إليه هيكل سليمان.

.3لم يخطئ في حق قيصر أو الحكومة، بل طالب المؤمن بالخضوع للسلطات.

"ولكن فستوس، إذ كان يريد أن يودع اليهود منة،

أجاب بولس قائلاً:

أتشاء أن تصعد إلى أورشليم لتُحاكم هناك لدي من جهة هذه الأمور[9] ."

إذ لم يكن لدى الوالي دراية بالشئون اليهودية حاول أن يكسب ود القيادات فسأل بولس إن كان يود أن يُحاكم لديه في أورشليم حيث يزعمون أنه ارتكب هذه الجرائم هناك. لم يكن ذلك أمرًا من الوالي وإنما كان اقتراحا، ربما كان يتوق الوالي أن يقبله الرسول.

.3رفع دعواه إلى قيصر

"فقال بولس:

أنا واقف لدى كرسي ولاية قيصر حيث ينبغي أن أحاكم،

أنا لم أظلم اليهود بشيء كما تعلم أنت أيضًا جيدًا". [١٠]

رفض القديس بولس هذا الاقتراح، إذ كان يعلم أن اليهود سيجدون وسيلة أو أخرى لقتله، وأنهم سبق فخططوا لقتله. لم يرد أن يضع حياته بين يدي أناس يحملون له كل كراهية.

إنه كروماني الجنسية يُحاكم أمام الوالي الروماني في عاصمة الولاية، حيث تقام المحكمة باسم قيصر وتحت سلطانه خلال رجاله أو المندوبين عنه.

"لأني إن كنت آثمًا أو صنعت شيئًا يستحق الموت،

فلست استعفي من الموت،

ولكن إن لم يكن شيء مما يُشتكي عليّ به هؤلاء،

فليس أحد يستطيع أن يسلمني لهم،

إلى قيصر أنا رافع دعواي". [١١]

يعلن الرسول أنه لا يهرب من العدالة، ولا أن يهرب من تطبيق القانون، ولا أن يستغل أي موقف، فإنه إن كان مستحقًا للموت فبكل سرور يخضع للعقوبة. في شجاعة طلب رفع دعواه إلى قيصر في روما.

v حمل هذا توبيخًا، لأنه أراد (الوالي) ان يضحي به من أجل اليهود، وفي نفس الوقت لطَّف (الرسول) من لهجة حديثه بقوله" :**لأني إن كنت آثما أو صنعت شيئا يستحق الموت فلست استعفي من الموت** ."إني أنطق بحكم ضد نفسي. لقد أخجل مستمعه إذ تحدث بجرأة عن ضرورة العدالة" .**ولكن إن لم يكن شيء مما يشتكى علي به هؤلاء فليس أحد يستطيع أن يسلمني لهم**[11]"، ليس من يضحي بي لأجل مسرتهم. لم يقل: "إني لست مستحقا للموت، ولا أنه مستحق للتبرئة، وإنما أنا مستعد أن أحاكم أمام قيصر". وفي نفس الوقت أيضا تذكر الحلم مما أعطاه الثقة في استئناف دعواه في روما .هذا ولم يقل له ليس لك أن تضحي بي، بل قال ليس لأحد ما أن يضحي بي، حتى لا يحسب هذا تحديا له.

القديس يوحنا الذهبي الفم

رفع القديس بولس دعواه إلى قيصر، وقد جاء ذلك في اليونانية kaisapa Epikalourai وهو اصطلاح قضائي روماني يفيد وقف استمرار القضية، وإحالتها إلى قيصر نفسه، وهو ما يعادل الالتجاء إلى القضاء العالي Supreme Court هذا الحق خاص بالمواطنين الرومانيين لكي يتحاشوا ظلم الولاة غير الرومانيين.

"حينئذ تكلم فستوس مع أرباب المشورة،

فأجاب إلى قيصر:

رفعت دعواك إلى قيصر تذهب". [١٢]

التجأ فستوس إلى مشيرين قانونيين، إذ كان في حيرة. فمن جانب ليس له ما يكتبه لقيصر بخصوص اتهام معين، لأنه ليس لديه دليل على جريمة ضد الدولة أو ضد إنسانٍ، يستحق عليها عقوبة. وإن تركه يقتله اليهود وهو مواطن روماني مسئول عن حمايته أمام القانون. ومن جهة أخرى يرفض بولس الرسول محاكمته أمام محاكم اليهود إذ صمم اليهود على قتله. وإذ حضر هيرودس أغريباس الثاني ملك مقاطعة خالكيس Chalcis وجد الفرصة للاستفادة بخبرته، إذ كان خبيرًا في شئون اليهود والمسيحيين، وقد رحب الملك بذلك وطلب الاستماع لبولس.

v لنفكر كيف أن الخطط الشريرة الموجهة ضدنا ليست بخطيرة، مادمنا نحن لا نقيم خططًا شريرة ضد أنفسنا. فإنه **لا يستطيع أحد ما أن يضع خططا شريرة ضدنا**، أو بالأحرى قد يفعل الناس ذلك، لكنهم لن يلحقوا بنا ضررًا، بل بالأحرى تنفعنا إلى أبعد الحدود، إذ تهبنا راحة في أنفسنا بأننا نحتمل الشر أو لا يصبنا شر. نعم، إني أشهد وأعلن بأعلى صوت، أعلى من صوت البوق، بل لو أمكن لارتفعت إلى العلا واصرخ عاليًا، فإنني لن أتراجع عن ذلك قائلاً إنه لا يوجد بين كل الكائنات البشرية على الأرض من له سلطان أن يؤذي مسيحيًا. ولا حتى الروح الشرير نفسه، الشيطان الطاغية يمكنه أن يفعل ذلك، ما لم يؤذِ الإنسان نفسه. مهما فعل إنسان ما، إنما

باطلاً يفعل ذلك. فكما أنه لا أستطيع إنسان ما أن يؤذي ملاكًا لو كان على الأرض، هكذا لا يقدر إنسان أن يؤذي إنسانًا. مرة أخرى فإنه لا يقدر أن يؤذي آخر مدام هذا الآخر صالحًا.

v ليس من وسيلة نؤذي بها أنفسنا سوى أذيتنا للغير، فخطايانا الثقيلة تسبب أذية لنا، لهذا فإنه لا يمكن أذية المسيحي، لأنه لا يقدر أن يؤذي أحدًا.

القديس يوحنا الذهبي الفم

بقراره هذا يتخلص من ضغط القيادات اليهودية التي ستكن للوالي كل بغضة إن أطلق القديس بولس، ويتخلص من أي اضطراب قد يحدث، وفي نفس الوقت إذ طلب بولس الروماني الجنسية الوقوف أمام قيصر لا يمكن للوالي أن يكسر القانون.

4.استشارة أغريباس الملك

"وبعدما مضت أيام أقبل أغريباس الملك وبرنيكي إلى قيصرية،

ليسلّما على فستوس". [١٣]

جاء الملك أغريباس الثاني ومعه برنيكي في زيارة ودية لفستوس يهنئونه على استلام ولاية اليهودية.

الملك أغريباس :والدته سيبروص .Cypros وهو ابن هيرودس، وكان لقبه أغريباس، وهو الذي قتل يعقوب الرسول، وكان يود قتل الرسل، وقد أكله الدود، حفيد هيرودس الكبير، الذي قتل أطفال بيت لحم عند ميلاد السيد المسيح ومجيء المجوس ليقدموا له الهدايا .دعا المؤرخ يوسابيوس هذا الملك أغريباس الصغير، وقد أقامه الإمبراطور كلوديوس Claudius ملكًا على خاليس Chalis وحكومةTrachonitis ، المذكورة في لو ٣: ١. حين مات والده، كان في روما مع الإمبراطور كلوديوس، الذى أراد أن يسلمه كل سلطات والده لكن وزراءه نصحوه بالعدول عن ذلك وكانت حجتهم في هذا أنه لا يليق تسليم مملكة ضخمة لشاب صغير بلا خبرة.

يخبرنا د. لايتفوت أن الكتاب اليهود تحدثوا عن الملك أغريباس، ورووا القصة التالية أنه في نهاية سنة الإبراء إذ قُرأت الشريعة، فعندما قُرأ ما ورد في تث ١٧: ١٥ ألا يقيموا ملكًا غريبًا عليهم ليس من إخوتهم، جرت الدموع من عينيه على وجنتيه لأنه لم يكن من نسل إسرائيل، وإذ لاحظ الشعب ذلك صرخوا: "لتهدأ أيها الملك أغريباس، فأنت أخونا، إذ كان من ذات دينهم، وليس من دمهم."

برنيكي :أخته، كانت أرملة، عمة هيرودس، ملك خاليس، بعد موته عاشت مع أخيها الذي توقع أنه ينال شهرة بالتصاقها به. تزوجت للمرة الثانية بوليمون Polemon ملك بنتس وجزء من كيليكية Cilicia وطُلقت منه، فعادت إلى أخيها أغريباس .اتهمها المؤرخ يوسيفوس بعلاقة أثيمة جسدية مع أخيها أغريباس.

"ولمّا كانا يصرفان هناك أيامًا كثيرة،

عرض فستوس على الملك أمر بولس قائلاً:

يوجد رجل تركه فيلكس أسيرًا". [١٤]

وجد فستوس الفرصة مناسبة لمناقشة موضوع الأسير بولس مع أغريباس العالم بالشئون الدينية لليهود، والتي لم يكن ممكنًا لفستوس أن يدركها.

"وعرض لي عنه رؤساء الكهنة ومشايخ اليهود لمّا كنت في أورشليم،

طالبين حكمًا عليه". [١٥]

إذ كان فستوس رومانيًا لا دراية له بما يدور داخل الدوائر الدينية اليهودية استمع إلى أعضاء مجلس السنهدرين، وبسبب مظهرهم ومركزهم الديني وما يظهرونه من تقوى، ربما حسب أنهم موضع ثقة، وأنهم مخلصون في أحاديثهم واتهاماتهم ضد بولس .أما أغريباس فيهودي يعلم ما يدور في هذا الجو من رياء، وما يحملونه من حسدٍ وبغضةٍ بلا سبب.

"فأجبتهم أن ليس للرومانيين عادة

أن يسلموا أحدًا للموت قبل أن يكون المشكو عليه مواجهة مع المشتكين،

فيحصل على فرصة للاحتجاج عن الشكوى". [١٦]

يبدو أن فستوس كاد أن يقتنع بما ادعاه مجمع السنهدرين، لكنه لم يكن ممكنًا أن يحكم على بولس بالقتل دون محاكمته. يقول أبيان Appian في تاريخه الروماني: "ليس من عادتهم أن يدينوا أناسا قبل أن يستمعوا إليهم". وقيل في تاكيتوس" :Tacitus لا يمنع الدفاع من تقديم كل ما يمكن تبرئة المتهم". كان العالم كله يشهد بعدالة التشريع الروماني.

"فلما اجتمعوا إلى هنا،

جلست من دون إمهال في الغد على كرسي الولاية،

وأمرت أن يؤتى بالرجل". [١٧]

"فلما وقف المشتكون حوله،

لم يأتوا بعلةٍ واحدةٍ مما كنت أظن". [١٨]

فوجئ فستوس بما حدث عندما اجتمع حوله المتهمون، إذ لم يستطيعوا أن يثبتوا علة واحدة ضد القديس بولس. وذلك على غير ما توقع، حيث تأثر بثورتهم العارمة .وربما دُهش كيف تركه فيلكس في الحبس سنتين بلا ذنبٍ أو جريمةٍ ارتكبها.

"لكن كان لهم عليه مسائل من جهة ديانتهم،

وعن واحدٍ اسمه يسوع قد مات،

وكان بولس يقول أنه حيّ". [١٩]

"**واحد اسمه يسوع قد مات** :"حتمًا لم يكن فستوس يصدق أن يسوع هذا قد قام، وكان يعتقد أن أغريباس سيشاركه ذات الرأي، لذلك تحدث عن يسوع بصيغة تحمل استخفافًا به.

كان موضوع القيامة من الأموات لا يقبله غالبية الفلاسفة ولا رجال الدولة.

"وإذ كنت مرتابًا في المسألة عن هذا قلت:

ألعلّه يشاء أن يذهب إلى أورشليم،

ويحاكَم هناك من جهة هذه الأمور". [٢٠]

لم يكن فستوس يود أن يلزم بولس بالذهاب إلى أورشليم ليحاكم أمام مجمع السنهدرين، لكنه كان يود أن يقبل بولس ذلك برضاه. هذا يكشف عن تشككه في براءة بولس من الجانب الديني، أو ربما كان يود أن يهرب من المشكلة.

"ولكن لمّا رفع بولس دعواه لكي يحفظ لفحص أوغسطس،

أمرت بحفظه إلى أن أرسله إلى قيصر". [٢١]

كان أوغسطس أو قيصر في ذلك الحين هو نيرون .Nero أما تعبير أوغسطس سيباستوس Augustus Sebastosفيشير إلى التكريم والتقدير. وقد استخدم هذا اللقب لأول مرة قيصر أوكتفيانوس Caesar Octavianus الذي كان إمبراطورًا أيام ميلاد السيد المسيح، فكان يُدعى أوغسطس قيصر. واستمر بعد ذلك مع أسلافه كعلامة تكريم للأباطرة.

"فقال أغريباس لفستوس:

كنت أريد أنا أيضًا أن أسمع الرجل،

فقال غدًا تسمعه". [٢٢]

أظهر الملك أغريباس شوقه إلى الاستماع للقديس بولس، ربما لإشباع حبه للاستطلاع بعد أن سمع الكثير عنه وعن كرازته بيسوع المصلوب القائم من الأموات، كما سمع عن المسيحيين.

"ففي الغد لمّا جاء أغريباس وبرنيكي في احتفال عظيم،

ودخلا إلى دار الاستماع مع الأمراء ورجال المدينة المقدمين،

أمر فستوس فأُتي ببولس". [٢٣]

لعل أغريباس الملك وجد في ذلك فرصة لاستعراض مجده فأقام موكبًا عظيمًا دخل دار القضاء. لم يضف عليها هذا الموكب مجدًا حقيقيًا أو تقديرًا خاصًا. ففي وسط هذا المظهر الخارجي المجيد كان كثيرون يعرفون علاقتهما الأثيمة ,ويتطلعون إليهما في شيءٍ من الاستخفاف، كيف يتزوج الملك أخته!

في المدينة التي أكل الدود أبيهما حيث صدَّق مداهنة الشعب له، فحسب نفسه إلهًا جاء ابنه وابنته بفساد حياتهما يقبلان مجدًا من الناس.

"**الأمراء** "جاءت في اليونانية *chiliarchs* تعنى قواد الألف، وهي تشير إلى القيادات العسكرية العظمى.

إنها فرصة رائعة وجدها الرسول بولس ليشهد للسيد المسيح في احتفالٍ عظيمٍ حضره الملك والوالي والأمراء ورجال الدولة وكل عظماء وأعيان مدينة قيصرية عاصمة البلاد السياسية.

وقف بولس الأسير يتحدث ككارزٍ يدعو الكل للتمتع بالنور الإلهي، وكأنه في اجتماع من موعوظين يعدهم للإيمان المسيحي. لقد حاول الوالي أن ينسب للرسول الهذيان، لكن الرسول نبه ضميره وراجعه في ذلك. إذ حاول الملك أن يتخلص من السهم الذي صوبه الرسول إلى قلبه، رده إليه الرسول بشجاعة، داعيًا له أن يشاركه بما يتمتع به ماعدا القيود التي في يديه.

- انظروا جمهور الاستماع قد اجتمعوا معًا لأجل بولس. جاء الحاكم والملك والأمراء والحرس وعظماء المدينة. إذ أحضر بولس ظهر كمنتصرٍ.

القديس يوحنا الذهبي الفم

5.بولس أمام محفل عظيم

"فقال فستوس:

أيها الملك أغريباس والرجال الحاضرون معنا أجمعون،

أنتم تنظرون هذا الذي توسل إلي من جهته كل جمهور اليهود في أورشليم وهنا،

صارخين أنه لا ينبغي أن يعيش بعد". [٢٤]

يتساءل متى هنري عن موقف برنيكي، وقد جاء الخطاب موجهًا إلى الملك أخيها وزوجها غير الشرعي والى الرجال، وقد استخدم كلمة" **رجال** "بالمعنى الذي يميز بينهم وبين النساء.

"وأمّا أنا فلما وجدت أنه لم يفعل شيئًا يستحق الموت،

وهو قد رفع دعواه إلى أوغسطس،

عزمت أن أرسله". [٢٥]

هنا يدين فستوس نفسه، فإذ يعترف ببراءته لماذا لم يطلقه.

"وليس لي شيء يقين من جهته لأكتب إلى السيد،

لذلك أتيت به لديكم،

ولا سيما لديك أيها الملك أغريباس،

حتى إذا صار الفحص يكون لي شيء لأكتب". [٢٦]

ليس من جريمة يُعاقب عليها القانون الروماني ارتكبها القديس بولس.

منذ سنوات قليلة قبل هذا الخطاب لم يكن أوغسطس ولا طباريوس أن يقبل يلقب أحدهما بلقب "**سيد** "كما لو كان سيدًا يتعامل مع عبيدٍ له، لكن في ذلك الوقت صار أحد الألقاب الإمبريالية لمخاطبة الإمبراطور.

"لأني أرى حماقة أن أرسل أسيرًا،

ولا أشير إلى الدعاوي التي عليه". [٢٧]

اعترف فستوس بأنّها حماقة أن يبعث بأسير إلى الإمبراطور دون صحيفة اتّهام ضدّه، ولم يعترف أنّها حماقة أن يترك بارًا في الأسر ولا يطلقه حرًّا. إنّه يخشى نيرون الإمبراطور ولا يهاب الله!

من وحي أع ٢٥

موكبان إلى المحفل

- بقي رسولك في الحبس سنتين،

لكن كلمة الله التي في قلبه كما على فمه، لا تقيد.

وبقي رئيس الكهنة والمجمع في غليان لا ينقطع!

لن يستريحوا مادام خدّامك يعملون،

حتى وإن كانوا في القيود.

- لم يشغلهم شيء في شئون كل الأمّة.

إلا أن يتخلّصوا من بولس الرسول .

ضغطوا بكل وسيلة على فستوس منذ بدء إقامته واليًا.

أما بولس فبكل هدوء رفع دعواه إلى قيصر،

لكي يشهد لك في روما!

- اشتاق أغريباس الملك وبرنيكي أخته، زوجته غير الشرعيّة، أن يسمعا الرسول.
- أقام لهما فستوس محفلاً عظيمًا في قيصريّة، حيث أكل الدود والدهم وهو حي،

دخل الابن والابنة في مظاهر الأبّهة.

دخلا بموكب رهيب!

لكن فساد حياتهما وعدم شرعيّة علاقتها لن تصلحها مواكب العالم!

- ودخل بولس الأسير،

يحفّه موكب الطهارة والقداسة،

ويتغنّى السمائيّون بعمل نعمة الله فيه.

- موكبان، أحدهما منظور سرعان ما ينحل.

وموكب غير منظور يحمل أنشودة،

تسبيح لحمل اللّه العامل في حياة مؤمنيه.

الرحلة إلى روما

1فلما قدم فستوس الى الولاية صعد بعد ثلاثة ايام من قيصرية الى اورشليم
2فعرض له رئيس الكهنة و وجوه اليهود ضد بولس و التمسوا منه
3طالبين عليه منة ان يستحضره الى اورشليم و هم صانعون كمينا ليقتلوه في الطريق
4فاجاب فستوس ان يحرس بولس في قيصرية و انه هو مزمع ان ينطلق عاجلا
5و قال فلينزل معي الذين هم بينكم مقتدرون و ان كان في هذا الرجل شيء فليشتكوا عليه
6و بعدما صرف عندهم اكثر من عشرة ايام انحدر الى قيصرية و في الغد جلس على كرسي الولاية و امر ان يؤتى ببولس
7فلما حضر وقف حوله اليهود الذين كانوا قد انحدروا من اورشليم و قدموا على بولس دعاوي كثيرة و ثقيلة لم يقدروا ان يبرهنوها
8اذ كان هو يحتج اني ما اخطات بشيء لا الى ناموس اليهود و لا الى الهيكل و لا الى قيصر
9و لكن فستوس اذ كان يريد ان يودع اليهود منة اجاب بولس قائلا اتشاء ان تصعد الى اورشليم لتحاكم هناك لدي من جهة هذه الامور
10فقال بولس انا واقف لدى كرسي ولاية قيصر حيث ينبغي ان احاكم انا لم اظلم اليهود بشيء كما تعلم انت ايضا جيدا
11لاني ان كنت اثما او صنعت شيئا يستحق الموت فلست استعفي من الموت و لكن ان لم يكن شيء مما يشتكي علي به هؤلاء فليس احد يستطيع ان يسلمني لهم الى قيصر انا رافع دعواي
12حينئذ تكلم فستوس مع ارباب المشورة فاجاب الى قيصر رفعت دعواك الى قيصر تذهب
13و بعدما مضت ايام اقبل اغريباس الملك و برنيكي الى قيصرية ليسلما على فستوس
14و لما كانا يصرفان هناك اياما كثيرة عرض فستوس على الملك امر بولس قائلا يوجد رجل تركه فيلكس اسيرا
15و عرض لي عنه رؤساء الكهنة و مشايخ اليهود لما كنت في اورشليم طالبين حكما عليه
16فاجبتهم ان ليس للرومانيين عادة ان يسلموا احدا للموت قبل ان يكون المشكو عليه مواجهة

مع المشتكين فيحصل على فرصة للاحتجاج عن الشكوى
17فلما اجتمعوا الى هنا جلست من دون امهال في الغد على كرسي الولاية و امرت ان يؤتى بالرجل
18فلما وقف المشتكون حوله لم ياتوا بعلة واحدة مما كنت اظن
19لكن كان لهم عليه مسائل من جهة ديانتهم و عن واحد اسمه يسوع قد مات و كان بولس يقول انه حي
20و اذ كنت مرتابا في المسئلة عن هذا قلت العله يشاء ان يذهب الى اورشليم و يحاكم هناك من جهة هذه الامور
21و لكن لما رفع بولس دعواه لكي يحفظ لفحص اوغسطس امرت بحفظه الى ان ارسله الى قيصر
22فقال اغريباس لفستوس كنت اريد انا ايضا ان اسمع الرجل فقال غدا تسمعه
23ففي الغد لما جاء اغريباس و برنيكي في احتفال عظيم و دخلا الى دار الاستماع مع الامراء و رجال المدينة المقدمين امر فستوس فاتي ببولس
24فقال فستوس ايها الملك اغريباس و الرجال الحاضرون معنا اجمعون انتم تنظرون هذا الذي توسل الي من جهته كل جمهور اليهود في اورشليم و هنا صارخين انه لا ينبغي ان يعيش بعد
25و اما انا فلما وجدت انه لم يفعل شيئا يستحق الموت و هو قد رفع دعواه الى اوغسطس عزمت ان ارسله
26و ليس لي شيء يقين من جهته لاكتب الى السيد لذلك اتيت به لديكم و لا سيما لديك ايها الملك اغريباس حتى اذا صار الفحص يكون لي شيء لاكتب
27لاني ارى حماقة ان ارسل اسيرا و لا اشير الى الدعاوي التي عليه

الأصحاح السادس والعشرون

دفاع بولس الخامس

قدم الرسول سلسلة من الاحتجاجات أو الدفاع عن نفسه، جاءت في جوهرها ليست دفاعًا عن نفسه، وإنما كرازة وشهادة حية لإنجيل المسيح. احتجاجاته لم تحمل نوعًا من الخوف أو القلق من الآلام أو حتى من الموت، ولا تحمل كراهية وبغضة نحو مقاوميه، بل وجدها فرصة للتعبير عن حبه لخلاص العالم كله، خاصة مقاوميه.

هذا ومن جانب آخر فإن السيد المسيح أكد حق المسيحي في الدفاع عن نفسه حين عاتب من لطمه أثناء محاكمته، قائلاً: "إن كنتُ قد تكلمت رديًا فاشهد على الردي، وإن حسنًا فلماذا تضربني؟" (لو ١٨:٢٣). وفي نفس كان في طريقه لكي يصلب حتى من أجل من لطمه.

الاحتجاج الأول للرسول بولس كان وهو على الدرج في طريقه مع الأمير إلى القلعة لمحاكمته (٢٢:١-٢١).

الاحتجاج الثاني: أمام الجمع في حضور الأمير (٢٣:١، ٦).

الاحتجاج الثالث: أمام فيلكس الوالي حيث هاجمه ترتلس الخطيب باسم مجمع السنهدرين (٢٤:١٠-٢١).

الاحتجاج الرابع: أمام فستوس في بداية ولايته (٢٥:٨).

الاحتجاج الخامس: الآن في المحفل العظيم في وجود أغريباس الملك وفستوس ورجال الدولة.

١. الإذن له بالحديث ١.

٢. يهودي غيور ٢-٨.

٣. مقاومة لاسم يسوع ٩-١١.

٤. ظهور يسوع له ١٢-١٥.

٥. دعوة إلهية للكرازة ١٦-١٨.

٦. التوبة موضوع كرازته ١٩-٢٣.

٧. اتهامه بالهذيان ٢٤-٢٧.

٨. تأثيره على الملك ٢٨-٢٩.

٩. انصراف المحفل ٣٠-٣٢.

١. الإذن له بالحديث

"فقال أغريباس لبولس:

مأذون لك أن تتكلم لأجل نفسك،

حينئذ بسط بولس يده، وجعل يحتج". [١]

كان أغريباس أكثر الحاضرين كرامة مُنح لقب "ملك"، مع أنه لم يكن له سوى سلطان مشابه لبقية الحكام الخاضعين للإمبراطور. لم يكن له سلطان على فستوس، لكنه كان أكبر منه سنًا. لهذا افتتح فستوس القضية. تكلم أغريباس باسم القضاء هنا، فأعطى بولس تصريحًا ان يدافع عن نفسه. لقد سمح له الملك بالدفاع عن نفسه الأمر الذي لم يسمح له به رئيس الكهنة ولا أعضاء مجمع السنهدرين. بل حينما حاول الدفاع عن نفسه أمر رئيس الكهنة الواقفين عنده أن يضربوه على فمه (٢:٢٣).

لم يبدأ القديس بولس بالحديث حتى نال هذا السماح من الملك. لم يطلب بولس الرسول محاميًا يدافع عنه، وإنما تحدث بروح القوة. بسط يديه ليحتج إشارة إلى أن ليس للرعب موضع في داخله، بل كمن هو في كمال حريته.

لقد رفع بولس شكواه إلى قيصر، ومع هذا حين سمح له الملك أن يتكلم لم يقل: إني لن أتحدث إلا أمام قيصر، فقد وجد الفرصة سانحة للشهادة لإنجيل المسيح أمام هذا المحفل، ولكي يمارس إنجيله بالخضوع لأصحاب السلطة بروح الطاعة والخضوع في الرب.

يرى البعض في بسط يديه وقد رُبطتا بالسلسلتين إيماء لتحية الملك، بجانب كونها حركة يستخدمها الخطباء حين يحدثون الجماهير. فمع إنه يوجه الحديث أحيانًا للملك، لكنه يؤكد أنه يخاطب جميع الحاضرين. ويسألهم أن يتنبهوا لحديثه.

إذ احتج الرسول بولس لم يكن متوقعًا أن يُطلق سراحه، فقد رفع شكواه إلى قيصر، وهو يشتاق أن يذهب إلى روما ليشهد لإنجيل المسيح هناك. كان يعلم أن هذا المحفل إنما لكي يكتب فستوس قضيته ويبعثها معه إلى روما، لكن ما يشغل الرسول هو الكرازة.

٢. يهودي غيور

"إني أحسب نفسي سعيدًا أيها الملك أغريباس،

إذ أنا مزمع أن احتج اليوم لديك،

عن كل ما يحاكمني به اليهود". [٢]

عبَّر الرسول بولس عن امتنانه بأن يسمح له الملك بالدفاع عن نفسه، إذ كان الملك صاحب خبرة بالفكر اليهودي والعادات اليهودية مع أنه تولى العرش من روما ومتعاطف مع الرومان.

تميل حياة القديس بولس وهو رجل الآلام إلى فرح الروح، فيتلمس دومًا يد الله العاملة في حياته. فيعلن هنا عن سعادته أن يقف أمام الملك ليحتج. إنها هبة من الله لكي يشهد ويكرز لإنجيل المسيح. هكذا حمل الرسول نظرة مفرحة في كل الأحداث، حتى إن قيد ووضع في السجن ظلمًا، وكما كتب على أهل فيلبي :"أموري قد آلت أكثر إلى تقدم الإنجيل، حتى أن وثقي صارت ظاهرة في المسيح ..." (في ١:١٢-١٣).

"لاسيما وأنت عالم بجميع العوائد والمسائل التي بين اليهود،

لذلك التمس منك أن تسمعني بطول الأناة". [٣]

في دفاعه في المناسبات السابقة أمام ولاة رومانيين لم تكن لهم معرفة صادقة بالعادات اليهودية وأفكارهم، لهذا لم يكن يشغلهم الإنصات إلى قضيته، ولم يكن ممكنًا لهم أن يدركوا ما وراء ثورة اليهود عليه.

كان أغريباس دارسًا مفحصًا في العهد القديم بناموسه ونبواته والعادات والتقاليد اليهودية، وكان قد قبل الإيمان اليهودي، فهو أقدر من غيره من الحكام على إدراك أن يسوع هو المسيا المنتظر.

"**المسائل التي بين اليهود**"، أي مواضيع المناقشات التي تدور بين فئات اليهود خاصة بين الصدوقيين والفريسيين والكتبة.

بعد أن قدم له الاحترام اللائق به كملك، ومدحه كدارس فريد بين الحكام للفكر اليهودي سأله أن يطيل أناته عليه لأنه مزمع أن يتحدث في شيءٍ من الاستفاضة.

"فسيرتي منذ حداثتي التي من البداءة كانت بين أمتي في أورشليم،

يعرفها جميع اليهود". [٤]

يقدم الرسول بولس حياته شهادة صادقة لجديته في البحث عن الحق. فقد ولد في طرسوس، ليس في وسط أمته، لكن منذ حداثته أُرسل إلى أورشليم بقصد تعليمه في مدرسة غمالائيل (أع ٢٢: ٣). فقد بدأت حياته المبكرة فتشكل حسب الفكر اليهودي القائم على الدارسة الجادة في أعظم مدرسة يهودية دينية، عند قدمي أعظم معلم للناموس. وقد ظهرت أفكاره وآراءه وسلوكه مطابقة لما يعلم به غمالائيل، هذا بشهادة جميع اليهود.

لم تكن نشأته منذ صغره مجهولة، ولا غامضة ولا في مدارس أجنبية عن الفكر اليهودي، بل في داخل أورشليم وتحت قيادة المعلم العظيم غمالائيل.

"عالمين بي من الأول إن أرادوا أن يشهدوا،

إني حسب مذهب عبادتنا الأضيق عشت فرّيسيًا". [٥]

يعلم جميع اليهود أنه لم يكن يهوديًا بالميلاد فحسب، لكنه كان فريسيًا، أي عالمًا ودارسًا للفكر اليهودي، ومدققًا في كل تصرف في حرفية شديدة "**مذهب عبادتنا الأضيق**"، لن يتهاون في الالتزام بالناموس في أتفه الأمور.

لم يكن فريسيًا في الفكر والمعرفة فحسب، بل وفي السلوك"**عشت فريسيًا**".

إنه ليس كسائر الرسل الذين كانوا بلا معرفة أكاديمية للفكر اليهودي، نشأوا في بساطة كصيادي السمك، لكنه دارس متعلم ومدقق من الجانبين الفكري والسلوكي. كان رجل أخلاق وسلوك، بارًا من جهة الناموس كفريسي، لا يسكر ولا يزني ولا يبتز ما للغير، يعيش بلا لوم.

"والآن أنا واقف أحاكم على رجاء الوعد الذي صار من اللَّه لآبائنا". [٦]

كان مستقيمًا في إيمانه كما في حياته، يؤمن بالقيامة من الأموات على خلاف الصدوقيين، ويعترف بوجود الملائكة، يعيش على رجاء الحياة الأبدية. هذا هو رجاء الوعد المقدم للآباء وهو التمتع بالقيامة، وهو رجاء الفريسيين الذي يقاومه الصدوقيون.

هذا الرجاء الذي تحقق بقيامة المسيا المصلوب، إذ لا يفصل الرسول بولس بين الرجاء في القيامة عن الرجاء في المسيح يسوع القائم من الأموات.

"الذي أسباطنا الاثنا عشر يرجون نواله،

عابدين بالجهد ليلاً ونهارًا،

فمن أجل هذا الرجاء أنا أحاكم من اليهود، أيها الملك أغريباس". [٧]

إن كان قد وجد قلة يُدعون الصدوقيين لا يؤمنون بالقيامة، فإن الآباء وكل الأسباط الاثني عشر كانوا يعيشون على هذا الرجاء الذي تحقق الآن، والذي بسببه يقف الآن الرسول بولس يحاكم من اليهود.

كانت الأسباط جميعًا تتعبد بكل غيرة "**بالجهد ليلاً ونهارًا من أجل هذا الرجاء**". فالذبائح والتقدمات كانت تُقدم في الصباح وفي المساء، والعبادة تمارس كل يوم، لا لهدف آخر غير التمتع بالقيامة، التي لن تتحقق إلا بالمسيا القائم من الأموات.

٧ لقد قام من الموت، وبلغ من إقناعه لتلاميذه بحقيقة قيامته ما جعلهم يظهرون لجميع الناس - من خلال آلامهم - أن اهتمامهم مركز على الحياة الأبدية وعلى القيامة، التي تمثلت لهم بالكلمة والفعل. لذلك، فهم يهزأون بكل مصاعب الحياة.

العلامة أوريجينوس

"لماذا يعد عندكم أمرًا لا يصدق،

أن أقام اللَّه أمواتًا". [٨]

هذا لا يعني أن الملك أغريباس لم يكن يعتقد في القيامة من الأموات، لكن واضح أن الرسول يوجه حديثه إلى الكل، وربما في هذه اللحظات وجه الرسول بولس وجهه إلى الحاضرين ليسألهم عن سبب عدم تصديقهم وإيمانهم بالقيامة من الأموات. فإن كانوا يعتقدون بان الله خالق كل شيء من العدم، فهل يصعب عليه أن يقيم الأموات؟

٣. مقاومة لاسم يسوع

"فأنا ارتأيت في نفسي،

أنه ينبغي أن أصنع أمورًا كثيرة مضادة لاسم يسوع الناصري". [٩]

إن كان الحاضرون لا يؤمنون بيسوع القائم من الأموات فليس بالأمر العجيب، لأنه هو نفسه، كما يشهد، قد وضع في قلبه أن يبذل كل الجهد ويكرس كل طاقاته لمقاومة يسوع الناصري بكل عنفٍ ومثابرةٍ. وأن هذا الأمر لم يصدر عن إثارة أحد له، لكنه كان نابعًا عن عقيدة في أعماقه، لذا يقول: "**ارتأيت في نفسي**". وأن ما يفعله هو واجب يمليه عليه ضميره "**ينبغي أن...**" من أجل دفاعه عن إلهه، وديانته وأمته.

هنا يكشف الرسول بولس عن ما وراء اضطهاد المسيحيين عبر كل العصور، فإن الدافع الخفي هو شعور المقاومين أنهم يقدمون خدمة لله والدين والوطن. فالمسيحية لا تزال في نظر الكثيرين جريمة ضد الله والوطن. الاضطهاد موجه ضد الاسم "**اسم يسوع الناصري**"، فالإيمان باسمه هو إيمان بشخصه.

"وفعلت ذلك أيضًا في أورشليم،

فحبست في سجون كثيرين من القديسين،

آخذًا السلطان من قبل رؤساء الكهنة،

ولمّا كانوا يقتلون ألقيت قرعة بذلك". [١٠]

إن كان سفر الأعمال لم يذكر استشهاد أحد بواسطة مجمع السنهدرين، سوى القديس استفانوس، فإنه واضح من حديث الرسول هنا أنه قُتل أيضًا آخرون فيما بعد، بإلقاء قرعة بين المسجونين، وكان شاول الطرسوسي مشتركًا في إلقاء القرعة.

هنا يدعو القديس بولس المسيحيين قديسين.

v من يتنقّى من الشر والخطية يدعى قديسًا. وهكذا فإن غياب الشر عن الإنسان هو كمال أعظم للنفس ويرضى الله جدًا.

القديس أنطونيوس الكبير

v القدّيسون أشبه بمجموعة أشجار، كل شجرة تحمل ثمرًا مختلفًا، لكنها ترتوي من ذات المصدر. ممارسات قدّيس تختلف عن ممارسات آخر، لكن الروح نفسه يعمل في الكل.

أحد آباء البريّة

"وفي كل المجامع كنت أعاقبهم مرارًا كثيرة،

واضطرهم إلى التجديف،

وإذ أفرط حنقي عليهم كنت أطردهم إلى المدن التي في الخارج". [١١]

كان غاية الاضطهاد هو التجديف على اسم يسوع الناصري، بإنكار أنه المسيا المنتظر. وكان شاول الطرسوسي يتطلع إلى الإيمان بيسوع الناصري أشبه بوباء يجب تطهير اليهودية منه.

٤. ظهور يسوع له

"ولمّا كنت ذاهبًا في ذلك إلى دمشق،

بسلطان ووصية من رؤساء الكهنة". [١٢]

"رأيت في نصف النهار في الطريق أيها الملك،

نورًا من السماء أفضل من لمعان الشمس،

قد أبرق حولي وحول الذاهبين معي". [١٣]

أكد الرسول بولس إن النور العظيم كان صادرًا من السماء، ليس بالليل وإنما في نصف النهار، حيث لا يمكن أن يكون مفتعلاً، ولا بصنع يدٍ بشرية. كان في الطريق علانية، وليس في حدود بيت معين. كان أفضل من لمعان الشمس، وكأن الشمس قد انكسفت أمامه (إش ٢٤: ٢٣).

إنه ليس من خيال شاول الطرسوسي، ولا وهم حل به، فقد أبرق حوله وحول الذاهبين معه.

لم تكن رؤيا في زاوية أو في حجرة خاصة، ولا في حلمٍ، إنما علانية في الطريق أمام كل الذين كانوا حوله.

"فلما سقطنا جميعنا على الأرض،

سمعت صوتًا يكلمني،

ويقول باللغة العبرانية:

شاول، شاول لماذا تضطهدني؟

صعب عليك أن ترفس مناخس". [١٤]

لم يكن النور أشبه ببرقٍ إلى لحظة أو لحظات، لكنه حقيقة كان لها أثرها على جميع المرافقين له كما عليه، فسقط الجميع أرضًا، وحدث حوار بالعبرانية بين السيد المسيح وشاول الطرسوسي.

في العهد القديم كان الله يعلن عن ذاته خلال الظلمة الكثيفة والضباب حتى يمكن للشخص أن ينصت إليه، كما من خلال سرداق يحوط بالعظمة الإلهية (٢ أي ٦: ١).

تحدث الله مع أبينا إبراهيم خلال ظلمة عظيمة (تك ١٥: ١٢)، أما الآن وقد نزل الكلمة الإلهي متجسدًا، فصارت الإعلانات الإلهية خلال النور الفائق الإلهي.

ويُلاحظ في حديث السيد المسيح الذي تحدث معه من خلال هذا النور الإلهي الفائق الآتي:

أولاً: تحدث معه باللغة العبرانية، هذا ما لا ينساه شاول الكارز للأمم، والمتحدث باليونانية بطلاقة.

ثانيًا: ناداه باسمه مكررًا ذلك: "**شاول، شاول**"، في وسط الطريق حيث لا يعرف أحد اسمه.

ثالثًا: كشف له عن خطيته الجسيمة: "**لماذا تضطهدني؟**" موضحًا أنه يعلم ما في قلبه، أنه لا يقاوم المسيحيين من أجل جريمة ارتكبوها، وإنما من أجل اسم يسوع الذي التصقوا به. وأن كل مقاومة لمؤمن هي موجهة ضد يسوع المسيح نفسه.

رابعًا: يطالبه بإعادة تقييم الموقف، فإنه ليس من وجه للمقارنة بين كل ما يحمله شاول من إمكانيات وسلطات وبين يسوع الناصري. إنه كمن يرفس مناخس.

"فقلت أنا:

من أنت يا سيد؟

فقال: أنا يسوع الذي أنت تضطهده". [١٥]

كان شاول يظن أن يسوع قد دُفن في القبر وأن التلاميذ قد سرقوا جسده ووضعوه في قبر آخر. لم يكن يتوقع أنه وهو يضطهد اسم يسوع أن يراه في نوره الإلهي يعاتبه. ليس من قوة كانت قادرة أن تجتذبه إلى شخص يسوع بكونه المسيا مثل هذا اللقاء العجيب معه شخصيًا. لقد تأكد صدق قول تلاميذه أنه قام وصعد، وأنه في مجده الإلهي. كان في هذا كل الكفاية، لا ليؤمن فقط بل وأن يشهد له خادمًا وكارزًا بما رآه وما سيراه أيضا خلال الإعلانات المتوالية.

٥. دعوة إلهية للكرازة

"ولكن قم وقف على رجليك،

لأني لهذا ظهرت لك لانتخبك خادمًا وشاهدًا بما رأيت،

وبما سأظهر لك به". [١٦]

السيد المسيح الذي ظهر له في مجده الإلهي هو الذي دعاه للشهادة للإنجيل والكرازة بين الأمم. ما يقوم به ليس بدعوةٍ بشريةٍ، ولا بحماسٍ بشريٍ، لكنه بدعوة إلهية. إن كان شاول قد سقط هو ومن معه أرضًا عندما أبرق مجد الرب عليه، فإن الرب نفسه يدعوه أن يقوم ويقف على رجليه، ينفض رجليه مما تعلق به من تراب خطيته (إش ٥٢: ٢).

"منقذًا إيّاك من الشعب،

ومن الأمم الذين أنا الآن أرسلك إليهم". [١٧]

تسلم شاول مهمة الكرازة من السيد المسيح نفسه، وقد سبق فأعلن له أنها مهمة شاقة، فسيجد مقاومة من اليهود كما من الأمم، مما يعرض حياته للمخاطر الكثيرة، لكن يسوع نفسه قد وعده بإنقاذه.

"لتفتح عيونهم كي يرجعوا من ظلمات إلى نور،

ومن سلطان الشيطان إلى اللَّه،

حتى ينالوا بالإيمان بي غفران الخطايا،

ونصيبًا مع المقدسين". [١٨]

كأن الرسول بولس يقول: "نحن الذين كنا قبلاً في الظلمة"، مدركًا أنه كمن كان في القبر وقد أقامه السيد المسيح.

غاية الكرازة أن تتمتع القلوب بالاستنارة بكونها العيون التي يمكنها أن ترى نور الحق. فالخطية والجهل يغلقان عين القلب فلا تتحقق من النور. وعمل الإنجيل هو إنارة الأعين (أف ١: ١٨). خلال الاستنارة يتحول المؤمن من ظلمة الوثنية والخطية إلى نور الإيمان والتمتع بالبرّ. الظلمة هي شعار الجهل والخطية. لذلك يقال عن الأمم أنهم جالسون في الظلمة.

- النور هو نور الإيمان العامل فينا، حسب خطة الله السابقة.

- النور هو الحق، والأخ ليس هو مجرد قريبنا، لكنه قريب الرب (يسوع) أيضًا.

- بدواء عظيم، بمعمودية الكلمة. إننا بالمعمودية نتطهر من جميع خطايانا، ونصير في الحال مُبرئين من الشر. وهي بعينها **نعمة الإنارة** حتى أننا لا نبقى بعد اهتدائنا (تغيير طريقنا) كما كنا قبل أن نغتسل، نظرًا إلى أن **المعرفة تبزغ مع الاستنارة، وتضيء حول العقل**، ونحن الذين كنا بلا معرفة أصبحنا على التو متعلمين. هذه المعرفة التي قد أنعم علينا بها.. لأن التعليم البديهي يقود إلى الإيمان، والإيمان يُلقَّن لنا بالروح القدس في المعمودية.

- إذ نعتمد نستنير، وإذ نستنير نُتبنى، وإذ نُتبنى نكمل... ويُدعى هذا الفعل بأسماء كثيرة اعني نعمة **واستنارة** وكمالاً وحميمًا... فهو استنارة إذ به نرى النور القدوس الخلاصي، أعني أننا به نشخص إلى اللَّه بوضوح.

القديس إكليمنضس السكندري

الجالسون في الظلمة مستعبدون تحت سلطان إبليس ومحتاجون إلى الانتقال إلى مملكة الله، حيث الحرية والمغفرة والتمتع بالحياة المقدسة مع مصاف القديسين، خلال الطاعة له. بالإيمان يدرك المؤمن سلطانه في المسيح يسوع على إبليس وكل قواته.

v يصوب الشيطان سهامًا ضدي، لكن أنا معي سيف. هو معه قوس، أما أنا فجندي أحمل سلاحًا ثقيلاً. لتتعلم من نهجه، أنه حامل قوسٍ لا يجسر أن يقترب إذ يلقى بسهامه من بعيد.

v خطط إبليس لا أن يسحبنا من البركات التي لدينا، إنما يحاول أن يسحبنا إلى جرف صخري أكثر اندفاعًا. لكن الله في محبته لم يفشل في الاهتمام بالبشرية.

لقد أظهر لإبليس كيف أنه غبي في محاولاته. لقد أظهر للإنسان عظم العناية التي يظهرها الله له، فإنه بالموت وهب الإنسان الحياة الأبدية. لقد سحب إبليس الإنسان من الفردوس، وقاده الله إلى السماء. فإن النفع أكثر بكثير من الخسارة.

v لقد فقدتم الفردوس، لكن الله وهبكم السماء، حتى يؤكد حنوه، وأنه يلدغ إبليس، مظهرا أنه حتى إن سبك عشرات الألوف من الخطط ضد الجنس البشري، فإنها لن تفيده، حيث يقودنا الله دائمًا إلى كرامة أعظم.

أنتم فقدتم الفردوس (جنة عدن)، والله فتح السماء لكم.

لقد سقطتم تحت الدينونة بالتعب إلى حين، وقد كرمتم بالحياة أبديًا.

يأمر الله الأرض أن تنبت شوكًا وحسكًا، إما تربة الروح فتنبت لكم ثمرًا. ألا ترون أن الربح أعظم من الخسارة؟

القديس يوحنا الذهبي الفم

v جلس الشيطان وقوات الظلمة ورؤساؤها منذ تعدي الوصية، في قلب آدم وعقله وجسده كأنه عرشهم. لهذا جاء الرب وأخذ جسده من العذراء. لأنه لو شاء أن ينزل إلينا بلاهوته المكشوف بدون جسد، من كان يستطيع أن يحتمل ذلك؟ لهذا تكلم مع الناس بواسطة الجسد كأداة. بهذه الوسيلة قضى على أرواح الشر التي كانت قد اتخذت لها كرسيًا في الجسد، أي عروش العقل والفكر التي سكنت فيها، فقام الرب بتطهير الضمير وجعل لنفسه عرش العقل والأفكار والجسد.

v كأن الرب يقول للشيطان: "أنا أفتدي الجسد الذي باعه لك آدم الأول، وأُبطل صكوكك بصليبي. لقد دفعت ديون آدم حينما صُلبت ونزلت إلي الجحيم. والآن أنا آمرك أيها الجحيم والظلمة والموت أن تُطلق نفوس أبناء آدم المحبوسة. وهكذا تُصاب القوات الشريرة برعبٍ شديدٍ، وتُضرب بالفزع، وتعيد نفوس آدم وبنيه التي كانت محبوسة.

القديس مقاريوس الكبير

"**ونصيبًا (ميراثًا) مع المقدسين**". الإيمان بالسيد المسيح دعوة لا لنوال غفران الخطايا فحسب، وإنما للتمتع بالبنوة لله، حيث يصير المؤمن ابنًا مقدسًا لله، له حق الميراث مع إخوته القديسين.

هكذا يقدم الرسول دعوة غير مباشرة للملك وكل الحاضرين للتمتع بالإيمان بالسيد المسيح حيث ينالوا:

١. الاستنارة الداخلية.

٢. الرجوع من الظلمات إلى النور.

٣. التحرر من سلطان الشيطان إلى الحرية في الله.

٤. غفران الخطايا.

٥. البنوة لله، والتمتع بالميراث مع القديسين.

في هذا كله ليس لله منفعة خاصة به، بل يعود النفع كله للمؤمنين.

"**نصيب**" أو "قرعة"، حيث يشير هنا إلى توزيع الأراضي في كنعان، إذ تمت بالقرعة.

v إنه يظهر الشرور التي تتملك على غير المؤمنين: "**الشيطان والظلمة**"، والصالحات التي يتمتع بها المؤمنون: "**النور والله وميراث القديسين**".

القديس يوحنا الذهبي الفم

٦. التوبة موضوع كرازته

"من ثم أيها الملك أغريباس،

لم أكن معاندًا للرؤيا السماوية". [١٩]

إذ تأكد بولس الرسول أن يسوع هو المسيح، وتأكد من قيامته وصعوده إلى السماء، لم يكن ممكنًا له أن يتباطأ في الشهادة له، وشعر من واجبه أن يلتزم بالخدمة فورًا. لم يترك له السيد المسيح مجالاً للشك أو عدم الطاعة.

"بل أخبرت أولاً الذين في دمشق وفي أورشليم،

حتى جميع كورة اليهودية ثم الأمم،

أن يتوبوا ويرجعوا إلى اللَّه،

عاملين أعمالاً تليق بالتوبة". [٢٠]

هنا يقدم لنا الرسول مختصرًا لأعماله الكرازية في طاعة لربنا يسوع المسيح. فما فعله في دمشق أو أورشليم وكل اليهودية وبين الأمم ليس إلا طاعة للصوت الإلهي.

v إنه لا يحثهم على التوبة فحسب، بل وأن يظهروا حياة تليق بالإعجاب. انظروا كيف أنه في كل موضع يُضم الأمم إلى الشعب (إسرائيل)، لأن الحاضرين هنا هم من الأمم...

لاحظوا كيف يترك موقف المدافع ويحتل مركز المعلم.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"من أجل ذلك أمسكني اليهود في الهيكل،

وشرعوا في قتلي". [٢١]

لم يكن ممكنًا للوالي فستوس أن يدرك علة عداوة اليهود للقديس بولس. الآن كشف الرسول أن ما يمارسه هو الإعلان عن إتمام ما وعد الله به آبائهم من جهتهم كما من جهة الأمم، الأمر الذي أثار اليهود بسبب كراهيتهم للأمم، وعدم قبولهم الشركة معهم في الإيمان؛ إنهم يعتزون بكونهم شعب الله المختار.

"فإذ حصلتُ على معونة من اللَّه،

بقيتُ إلى هذا اليوم شاهدًا للصغير والكبير،

وأنا لا أقول شيئًا غير ما تكلم الأنبياء وموسى أنه عتيد أن يكون". [٢٢]

يختم الرسول دفاعه بتأكيد أن ما يكرز به ليس إلا ما سبق فأعلن الأنبياء وموسى بخصوص آلام السيد المسيح وقيامته واشراق نوره على اليهود والأمم.

ما ينطق به الرسول هنا أمام الملك والوالي هو بعينه ما يشهد به أمام الصغير والعظيم، أمام الفقراء والأميين، فهو كسيده لا يحتقر أحدًا. وفي نفس الوقت لا يداهن العظماء والأغنياء من ملوك ورؤساء وولاة.

"أن يؤلم المسيح يكن هو أول قيامة الأموات،

مزمعًا أن ينادي بنور للشعب وللأمم". [٢٣]

كان يليق باليهود إن يفهموا النبوات كما ينبغي وأن يدركوا إن المسيا متألم (إش ٥٣: ١ الخ، دا ٩: ٢٧)، وأنه بكر الراقدين (١ كو ١٥: ٢٠ ؛ كو ١: ١٨).

٧. اتهامه بالهذيان

"وبينما هو يحتج بهذا قال فستوس بصوت عظيم:

أنت تهذي يا بولس،

الكتب الكثيرة تحولك إلى الهذيان". [٢٤]

لماذا ظن فستوس في بولس أنه تحول إلى الهذيان؟

١. غيرته الشديدة وحماسه في أمر الخلاص.

٢. تركيزه على شخصية يسوع الناصري وإنجيله، ففي رأيه أن هذا نوع من الخبل الفكري.

٣. ربما ظن أن ما رواه عن الرؤيا هو مجرد تخيل.

يظن البعض أن فستوس تضايق من القديس بولس لأنه وجّه كل حديثه للملك أغريباس وتجاهله.

"فقال: لست أهذي أيها العزيز فستوس،

بل أنطق بكلمات الصدق والصحو". [٢٥]

بروح القوة يؤكد الرسول بولس أنه ليس بمختل العقل، لكنه ينطق بالحق الذي لم يكن ممكنًا لفستوس أن يعرفه لجهله بالنبوات.

v يقول النبي: "لأن عندك ينبوع الحياة. بنورك نرى نورًا" (مز ٣٦:٩). فالذين يشربون من غنى بيت الله، من نهر فرحه ينتعشون. وأيضا انتعش داود العظيم لأنه خرج من نطاق نفسه إلى آفاق الفرح والسعادة الغامرة، فقد رأى الجمال الغير منظور، وصرخ بصوته الذي تقوده القوة المقدسة: "لماذا يقول الأمم أين هو إلههم" (مز ١١٥:٢). يشرح داود بهذا التعبير كنوز الله العظيمة جدًا التي تعلو عن التعبير عنها. وقال بولس، بنيامين الجديد، وهو في نشوة السعادة والفرح العظيم: "لأننا إن صرنا مختلين فلله (تُعتبر النشوة والسعادة حركة تتجه نحو الله) أو كنا عاقلين فلكم" (٢ كو ٥:١٣). وأشار بولس بطريقة مماثلة إلى فستوس، قائلاً: **"لست أهذي أيها العزيز فستوس، بل أنطق بكلمات الصدق والصحو"** (أع ٢٦:٢٥).

القديس غريغوريوس النيسي

"لأنه من جهة هذه الأمور،

عالم الملك الذي أكلمه جهارًا،

إذ أنا لست أصدق أن يخفي عليه شيء من ذلك،

لأن هذا لم يُفعل في زاوية". [٢٦]

يلجأ إلى الملك أغريباس كشاهدٍ أنه ليس بمختل العقل. وكأنه في أدب وحكمة يؤكد لفستوس أن ظنه هذا قائم على عدم إدراكه للنبوات وعدم معرفته لكلمة الله، أما الملك وقد كانت له معرفة دقيقة بها فيمكن أن يتابع الرسول ويفهم ما يقوله.

"أتؤمن أيها الملك أغريباس بالأنبياء؟

أنا أعلم أنك تؤمن". [٢٧]

لعل بولس الرسول أدرك أن الملك أغريباس لم يرد أن يضع زميله فستوس الوالي في موقف حرج. لهذا لم يدافع عن الرسول بولس، ولم يدخل معه في تفاصيل خاصة بالإيمان، كما لم يجب على سؤاله: "أتؤمن أيها الملك أغريباس بالأنبياء؟"

كان الرسول بولس نهازًا للفرص، فقد سأل الملك هكذا حتى لا تضيع الفرصة على أغريباس أن يعود إلى قصره ويراجع النبوات الواردة عن شخص السيد المسيح.

- لم أكن أحد تلاميذ المسيح، بل كنت بين الذين يحاربونه. بهذا يعلن أنه شاهد، له الحق أن يُصدق، لأنه كان إنسانًا قد صنع أمورًا لا حصر لها، أثار حربًا على المؤمنين، وحرضهم على التجديف، وهيج المدن والولاة عليه، وقد فعل هذا كله طوعًا، لكنه فجأة تغير. مرة أخرى فإن الشهود الذين معه الذين كانوا لهم تأثيرهم عليه هم: النور(الذي أشرق عليه) والأنبياء والثمار التي تحققت. انظروا كيف **أنه يؤكد حججه من الأنبياء** ومن هذه الأمور. فحتى لا يبدو كمن يقدم أمورًا مستحدثه مع أن لديه أمور عظيمة ليقولها، لكنه يلجأ إلى الأنبياء، ويجعل هذا موضوع البحث. فمع ما لديه من دعوة عظيمة خاصة بالإيمان، لكنه ترك هذا وجلب برهانه على الإيمان من الأنبياء.

القديس يوحنا الذهبي الفم

٨. تأثيره على الملك

"فقال أغريباس لبولس:

بقليل تقنعني أن أصير مسيحيًا". [٢٨]

لم يكن ممكنًا لاغريباس أن ينكر إيمانه بأنبياء العهد القديم، وأنها قد تحققت في شخص يسوع الناصري.

ولم يكن ممكنًا أن يندد بالرؤيا التي تمتع بها القديس بولس وهو في طريقه إلى دمشق. لقد أوشك أن يقبل الإيمان بالمسيحية. هذا ونلاحظ في الملك اغريباس:

- أنه كان يهوديًا دخيلاً بخلاف الوالي فستوس روماني.

- لم يشترك مع اليهود في مقاومة الرسول بولس.

- يصفه المؤرخ يوسيفوس أنه كان لطيفًا نزيهًا مخلصًا. لم يكن يحمل عداوة للمسيحيين، لكنه لم يطلب أن يكون مسيحيًا. ربما كان مقتنعًا فكريًا بالإيمان بالمسيح. يظن البعض أن الملك نطق بهذا بأسلوب تهكمي.

"فقال بولس:

كنت أصلّي إلى اللّه أنه بقليلٍ وبكثيرٍ،

ليس أنت فقط بل أيضًا جميع الذين يسمعونني اليوم،

يصيرون هكذا كما أنا ما خلا هذه القيود". [٢٩]

يكشف الرسول بولس عن غيرته المتقدة نحو خلاص الملك وكل الحاضرين، مع إيمانه أن قبول الإيمان يحتاج إلى نعمة الله، لهذا يلجأ إلى الصلاة من أجل خلاصهم. يكشف أيضًا الرسول عن مدى السعادة التي يتمتع بها في المسيح يسوع، لهذا فهو يود ألا يُحرم أحد من مشاركته فيها.

كان الرسول لا يشتهي لأحد أن يشاركه قيوده. حقًا إنه يفتخر بهذه القيود ويعتز بها، لكنه كقائد حي ناجح يجد لذته في شركة الآلام مع المسيح طالبًا الراحة للآخرين.

- هكذا هي النفس المجنحة بالحب السماوي. فإن كان الذين يأسرهم الحب الغبي (الشهوات الأرضية التي يدعوها البشر حبًا)، لا يفكرون في شيءٍ مجيدٍ أو ثمينٍ، بل في الأشياء التي تميل نحو إشباع شهواتهم، فيحسبون أنهم ممجدون ومكرمون عندما تكون سيدتهم هي كل شيء بالنسبة لهم، فكم بالأكثر أولئك الذين يأسرهم الحب السماوي لا يبالون بالتكلفة... بالنسبة للمحاكمات فإنه هكذا يستخف بها كما بالجلدات والسجون، كما لو كان الجسم الذي يتألم بهذه الأمور ليس بجسمه، بل جسم إنسان آخر، وكما لو كان قد اقتنى جسدًا من الماس. أما عن ملذات هذه الحياة فيضحك عليها مستخفًا بها لمن لا يحس به، وكما لا تحس الأجسام الميتة هكذا نحن أموات. كان أبعد من أن يأسره ألم، وذلك كما يتنقى الذهب في النار، ويتطهر من الزغل. وكما

أن الحشرات لا تتجه إلى داخل اللهيب بل تطير هاربة منه، هكذا فإن الآلام لا تجسر حتى أن تقترب من هذا الإنسان... لاحظوا ما هي مشاعره نحو العالم كله: "صُلب العالم لي وأنا للعالم" (غل ٦: ١٤). فأنا مت عن العالم، والعالم مات عني. "لا أحيا أنا بل يحيا المسيح فيّ" (غل ٢: ٢٠).

القديس يوحنا الذهبي الفم

٩. انصراف المحفل

"فلما قال هذا،

قام الملك والوالي وبرنيكي والجالسون معهم". [٣٠]

إذ انتهي الرسول من دفاعه قام الملك والوالي وبرنيكي والمشيرون لدراسة الأمر بناء على ما سمعوه.

"وانصرفوا، وهم يكلمون بعضهم بعضًا قائلين:

إن هذا الإنسان ليس يفعل شيئًا يستحق الموت أو القيود". [٣١]

أدرك الكل أن القديس بولس لم يكسر قانونًا ما، وأنه لا يستحق السجن أو الموت، إنما كان يجب أن يطلق حرًا، لكنه إذ رفع شكواه إلى قيصر وجب القيام بالإجراءات القانونية اللازمة.

غالبًا ما كتب فستوس رسالة إلي قيصر بمعاونه الملك أغريباس موضحًا فيها اتهامات اليهود ضده، مزكين تبرئته.

"وقال أغريباس لفستوس:

كان يمكن أن يطلق هذا الإنسان،

لو لم يكن قد رفع دعواه إلى قيصر". [٣٢]

v انظروا كيف أصدروا حكمًا آخر في صالحه، فبعد القول: "**أنت تهذي**" [٢٤] كانوا مقتنعين ببراءته كمن ليس فقط لا يستحق الموت بل ولا القيود. وقد أرادوا بالحقيقة أن يطلقوه تمامًا لو لم يكن قد التجأ إلى قيصر. هذا صدر بعناية إلهية أنه يلزم أن يرحل بالقيود. يقول: "حتى القيود كمذنب" (٢ تي ٢: ٩). فإن كان ربه قد "أحصي مع آثمة" (مر ١٥: ٢٨)، فكم بالأكثر يكون بولس؛ وكما أن الرب لم يشاركهم سمتهم هكذا ولا بولس شاركهم.

القديس يوحنا الذهبي الفم

من وحي أع ٢٦

دفاع أم كرازة

v انطلق الموكب العظيم إلى المحفل،

يرأسه الملك أغريباس والوالي فستوس.

ومعهم رجال الدولة.

دخلوا ليجدوا كلمة يرفعوها إلى قيصر،

وصحيفة اتهام ترافق السجين!

- دخل الأسير بولس مقيدًا بسلسلتين،

يحوط به جندبان، واحد عن اليمين، وآخر عن اليسار.

دخل لكي يسجل في قلوب الحاضرين،

غنى محبة الله الفائقة،

وتحقيق النبوات التي تحدث بها الآباء والأنبياء.

- دخل كما إلى منبر كنيسة،

قلبه يرقص فرحًا،

من أجل هذه الفرصة أن يشهد لمخلصه،

إنها فرصة فريدة لن يجدها هو أو غيره من الرسل للشهادة.

- أعد الرسول نفسه لهذا المحفل،

فصلى ليلة اللقاء من أجل كل المستمعين،

لكي يتمتعوا بما يتمتع به من مجد داخلي،

فيصيرون مثله ماخلا القيود التي في يديه!

طلب لهم الحرية الداخلية، كما السلام الخارجي.

١ فقال اغريباس لبولس ماذون لك ان تتكلم لاجل نفسك حينئذ بسط بولس يده و جعل يحتج
٢ اني احسب نفسي سعيدا ايها الملك اغريباس اذ انا مزمع ان احتج اليوم لديك عن كل ما يحاكمني به اليهود
٣ لا سيما و انت عالم بجميع العوائد و المسائل التي بين اليهود لذلك التمس منك ان تسمعني بطول الاناة
٤ فسيرتي منذ حداثتي التي من البداءة كانت بين امتي في اورشليم يعرفها جميع اليهود
٥ عالمين بي من الاول ان ارادوا ان يشهدوا اني حسب مذهب عبادتنا الاضيق عشت فريسيا
٦ و الان انا واقف احاكم على رجاء الوعد الذي صار من الله لابائنا
٧ الذي اسباطنا الاثنا عشر يرجون نواله عابدين بالجهد ليلا و نهارا فمن اجل هذا الرجاء انا احاكم من اليهود ايها الملك اغريباس
٨ لماذا يعد عندكم امرا لا يصدق ان اقام الله امواتا

٩ فانا ارتايت في نفسي انه ينبغي ان اصنع امورا كثيرة مضادة لاسم يسوع الناصري
١٠ و فعلت ذلك ايضا في اورشليم فحبست في سجون كثيرين من القديسين اخذا السلطان من قبل رؤساء الكهنة و لما كانوا يقتلون القيت قرعة بذلك
١١ و في كل المجامع كنت اعاقبهم مرارا كثيرة و اضطرهم الى التجديف و اذ افرط حنقي عليهم كنت اطردهم الى المدن التي في الخارج
١٢ و لما كنت ذاهبا في ذلك الى دمشق بسلطان و وصية من رؤساء الكهنة
١٣ رايت في نصف النهار في الطريق ايها الملك نورا من السماء افضل من لمعان الشمس قد ابرق حولي و حول الذاهبين معي
١٤ فلما سقطنا جميعنا على الارض سمعت صوتا يكلمني و يقول باللغة العبرانية شاول شاول لماذا تضطهدني صعب عليك ان ترفس مناخس
١٥ فقلت انا من انت يا سيد فقال انا يسوع الذي انت تضطهده
١٦ و لكن قم و قف على رجليك لاني لهذا ظهرت لك لانتخبك خادما و شاهدا بما رايت و بما ساظهر لك به
١٧ منقذا اياك من الشعب و من الامم الذين انا الان ارسلك اليهم
١٨ لتفتح عيونهم كي يرجعوا من ظلمات الى نور و من سلطان الشيطان الى الله حتى ينالوا بالايمان بي غفران الخطايا و نصيبا مع المقدسين
١٩ من ثم ايها الملك اغريباس لم اكن معاندا للرؤيا السماوية
٢٠ بل اخبرت اولا الذين في دمشق و في اورشليم حتى جميع كورة اليهودية ثم الامم ان يتوبوا و يرجعوا الى الله عاملين اعمالا تليق بالتوبة
٢١ من اجل ذلك امسكني اليهود في الهيكل و شرعوا في قتلي
٢٢ فاذ حصلت على معونة من الله بقيت الى هذا اليوم شاهدا للصغير و الكبير و انا لا اقول شيئا غير ما تكلم الانبياء و موسى انه عتيد ان يكون
٢٣ ان يؤلم المسيح يكن هو اول قيامة الاموات مزمعا ان ينادي بنور للشعب و للامم
٢٤ و بينما هو يحتج بهذا قال فستوس بصوت عظيم انت تهذي يا بولس الكتب الكثيرة تحولك الى الهذيان
٢٥ فقال لست اهذي ايها العزيز فستوس بل انطق بكلمات الصدق و الصحو
٢٦ لانه من جهة هذه الامور عالم الملك الذي اكلمه جهارا اذ انا لست اصدق ان يخفى عليه شيء من ذلك لان هذا لم يفعل في زاوية
٢٧ اتؤمن ايها الملك اغريباس بالانبياء انا اعلم انك تؤمن
٢٨ فقال اغريباس لبولس بقليل تقنعني ان اصير مسيحيا
٢٩ فقال بولس كنت اصلي الى الله انه بقليل و بكثير ليس انت فقط بل ايضا جميع الذين يسمعونني اليوم يصيرون هكذا كما انا ما خلا هذه القيود
٣٠ فلما قال هذا قام الملك و الوالي و برنيكي و الجالسون معهم
٣١ و انصرفوا و هم يكلمون بعضهم بعضا قائلين ان هذا الانسان ليس يفعل شيئا يستحق الموت او القيود
٣٢ و قال اغريباس لفستوس كان يمكن ان يطلق هذا الانسان لو لم يكن قد رفع دعواه الى قيصر

الأصحاح السابع والعشرون

إلى روما

يستعرض الإنجيلي لوقا رحلة السجين بولس، لا ليكشف عن مدى المخاطر التي تعرض لها فحسب، وإنما بالحري يكشف عن شخصية الرسول بولس الأسير القائد. فقد حمل مع الأسرى تحت حراسة مشددة من الجنود وقائد المئة. لكن الرسول لم يشعر إنه سجين في مذلةٍ، بل سفير المسيح يشهد له أمام جميع الذين في السفينة.

كانت فرصة السفر بما فيها من مخاطر رهيبة مجالاً طيبًا للبشارة بإنجيل المسيح. شعر الجميع ببركة وجود الرسول في وسطهم، وتلامسوا مع عمل الله في حياتهم من خلاله. وأخيرًا فقد صبغ عليهم لمسات الفرح والشكر لله.

مع أن القائد والعسكر والمسجونين والمسافرين وأيضًا طاقم النوتية يكاد يكون الكل وثنيًا، لكن الرسول بولس في محبته للبشرية يطلب باسمهم أمام الله، وإذ يسلم الأمر في يديه يحسب أن الكل قد سلموا الأمر. هذا هو الحب الخالص الحقيقي!

١. من قيصرية إلى ميرا ١-٥.

٢. من ميرا إلى المواني الحسنة ٦-٨.

٣. من المواني الحسنة إلى مليطه ٩-٤٤.

١. من قيصرية إلى ميرا

لا نعرف إلى أي مدى بقي الرسول بولس يحاور أغريباس، وقد أراد الأخير أن يطلقه دون أي شرط، لولا أن بولس رفع دعواه إلى قيصر، فكان لزامًا كروماني الجنسية أن يرحل إلى روما لمحاكمته هناك. وقد روى لنا القديس لوقا هذه الرحلة في شيء من التفصيل، مظهرًا أهميتها لتحقيق غايته، وهي رفض اليهود للإنجيل وفتح باب الإيمان للأمم في عاصمة الإمبراطورية.

"فلما استقر الرأي أن نسافر في البحر إلى إيطاليا،

سلّموا بولس وأسرى آخرين إلى قائد مائة من كتيبة أوغسطس،

اسمه يوليوس". [١]

آخر مرة يقول الإنجيلي لوقا "**نحن**" في أع ٢١: ١٨ عندما كان في صحبة الرسول بولس عند وصوله إلى أورشليم. هذا يفترض أن لوقا البشير كان في منطقة قيصرية خلال سجن الرسول لمدة عامين. الآن لوقا يصاحبه في رحلته مع أرسترخس التسالونيكي الذي جاء من تسالونيكي إلى أورشليم مع الرسول بولس (أع ١٩: ٢٩؛ ٢٠: ٤).

بدأت الرحلة هنا من قيصرية من ميناء جنوب طرسوس.

"فصعدنا إلى سفينة أدراميتينية،

وأقلعنا مزمعين أن نسافر مارين بالمواضع التي في آسيا،

وكان معنا أرسترخس رجل مكدوني من تسالونيكي". [٢]

أقلعت السفينة مارة بالساحل الجنوبي لآسيا الصغرى، تعبر بالمواني البحرية والمدن الساحلية.

لم يخجل صديقاه لوقا وأرسترخس من قيود بولس، بل حسبا ذلك فخرًا لهما أن يرافقاه بإرادتهما في هذه الرحلة، ويشاركاه مخاطر البحر، معرضين حياتهما للخطر من أجل محبتهما له ولخدمته للكرازة.

"وفي اليوم الآخر أقبلنا إلى صيدا،

فعامل يوليوس بولس بالرفق،

وأذن أن يذهب إلى أصدقائه ليحصل على عناية منهم". [٣]

أول ميناء بلغوا إليه صيدا Sidon من فينيقية، وهو على بعد حوالي ٦٧ ميلاً شمال قيصرية، ويمكن بسهولة الوصول إليه خلال ٢٤ ساعة بحرًا. وهو آخر مدينة على ساحل فينيقية.

قدر ما سمح الله بوجود مقاومين للرسول بولس بعث إليه من يجد نعمة في أعينهم مثل فيلكس الوالي (أع ٢٤: ٢٣) وقائد المائة يوليوس، الذي غالبًا ما عرف قضيته وسمع احتجاجه أمام أغريباس واقتنع ببراءته. كان للرسول أصدقاء في كثير من المدن التي عبر عليها في رحلاته، خاصة عند ذهابه إلى أورشليم أو خروجه منها. اعتني به أصدقاؤه، غالبًا ما قدموا له هو ومن معه مئونة لرحلتهم الطويلة الشاقة والمملوءة بالمخاطر.

مع أن بولس كان في عهدة قائد المائة كأسير، لكن القائد تعامل معه كصديقٍ بار وصاحب معرفة صادقة، وكإنسان مهتم بخلاص النفوس. يقدم لنا هذا القائد صورة حية لمن لا يستغل السلطة بل يسلك بروح التقوى.

" ثم أقلعنا من هناك،

وسافرنا في البحر من تحت قبرس،

لأن الرياح كانت مضادة". [٤]

في فصل الخريف تهب رياح غربية شمالية على البحر الأبيض، خاصة في الجانب الشرقي. هبت عليهم فاضطروا أن ينحرفوا تحت قبرص نوعًا ما ليتقوا الرياح المضادة، ثم داروا حول الجزيرة من شرق في قوس كبير مقابل شواطئ كيليكية ثم بمفيلية وبمحاذاة الشاطئ، فأصبح اتجاههم غربيًا تمامًا حيث استخدموا نفس الرياح لتسوق المركب عوض أن تعوقه.

لو أن الريح كانت مواتية لأبحروا مباشرة وتركوا قبرص على اليمين، لكن لأن الريح كانت غير مواتية، انحرفوا برحلتهم تحت ضغط الريح، فصاروا في اتجاه آخر بحيث صارت جزيرة قبرص على شمالهم. التزم البحارة ألا يعبروا في البحر مباشرة، إنما تحت ضغط الرياح الغربية سلكوا تحت كيليكية وبمفيلية حتى بلغوا إلي ميرا ليكية وهي ميناء هام لاستقبال السفن الكبيرة خاصة الحاملة الغلال من الإسكندرية إلى روما. هناك استبدلوا السفينة وأبحروا في سفينة غلال مبحرة إلى إيطاليا.

كان لا بد لهم أن يسايروا العاصفة قليلاً حتى لا تنشطر السفينة، فاتجهوا مع الريح جنوبًا نحو جزيرة كلودي، وهي تبعد عن كريت ٢٠ ميلاً من ناحية الجنوب الغربي، وذلك لكي يختبئوا فيها.

تعبير "**تحت قبرص**" يحمل معنى الإبحار بقرب ساحلها حتى يتحاشوا خطر الرياح العنيفة في وسط البحر.

"**ليكية**" كانت مقاطعة في جنوب غرب آسيا الصغرى، يحدها شمالاً فريجية وبسيدية، وجنوبًا البحر المتوسط، وشرقًا بمفيلية، وغربًا كارالاCarala .

٧ انظروا كيف لم يغير الله نظام الطبيعة، بل سمح لهم أن يبحروا والرياح مضادة. ومع هذا فقد تمت المعجزة وهي أنهم يبحروا بسلام، ولم يسمح لهم بالدخول إلى البحر (المفتوح)، وإنما ساروا بجوار البر. انظروا كيف تُنسج حياة القديسين (بخيوط التجارب)، فإذ يخرجون من المحاكمة يسقطون تحت التعرض لانكسار السفينة والعاصفة.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"بعدما عبرنا البحر الذي بجانب كيليكية وبمفيلية،

نزلنا إلى ميرا ليكية". [٥]

ميرا لها سمعتها المباركة ومكانتها العظيمة في قلوب أهل اليونان، لأن القديس نيقولاوس شفيع اليونان وبالأخص البحارة ومن في مدينة ميرا Myra . وقد سرق الروس جسده وحملوه إلى مدينة سان بطرسبرج St. Petersburg أثناء ثورة اليونان، وأرسلوا لهم أيقونة متقنة عوضًا عن جسده.

يدعى ميناء ميرا أندرياس Andriace كان من أهم مواني أسيا الصغرى، وكانت السفن الحاملة للقمح من الإسكندرية إلى روما ترسو فيه، لأن خط سيرها هو بحذاء الشواطئ من فينيقية إلى آسيا الصغرى. هذا وكانت السفن الكبيرة تنطلق من هناك إلى إيطاليا حيث التيار المائي يتجه هناك نحو الغرب، بالإضافة إلى الرياح المساعدة. فوجود سفينة إسكندرانية ضخمة أمر طبيعي حسب مسارها في الخط البحري الدائم بين الإسكندرية وروما.

٢. من ميرا إلى المواني الحسنة

"فإذ وجد قائد المائة هناك سفينة إسكندرية مسافرة إلى إيطاليا،

أدخلنا فيها". [٦]

ربما انحرفت هذه السفينة الكبرى إلى شاطئ أسيا الصغرى، وهي في طريقها إلى روما بسبب العواصف والرياح المضادة.

"ولمّا كنا نسافر رويدًا أيامًا كثيرة،

وبالجهد صرنا بقرب كنيدس،

ولم تمكنا الريح أكثر،

سافرنا من تحت كريت بقرب سلموني". [٧]

المسافة بين ميرا وكنيدس ١٣٠ ميلاً، وكانت السرعة بطيئة.

كنيدس Canidus: ميناء على ساحل آسيا الصغرى في الاتجاه الغربي من ميرا، ومسيرتهم كانت بحذاء الساحل، وكان البطء بسبب الرياح الغربية الشمالية المقاومة لاتجاههم، لذلك وصلوا بصعوبة إلى الميناء، وكان يلزمهم الاتجاه جنوبًا حتى تكون لهم ذات الرياح مساندة لهم. كان اتجاه التيار المائي نحو الغرب لكن الرياح الغربية الشمالية كانت تقاوم اتجاه تيار المياه. هكذا اتجهوا جنوبًا نحو كريت، وداروا حول رأس سلمون Salmon أقصى نقطة في شرق كريت، وساروا تحت كريت بحذاء الشاطئ حتى وصلوا إلى المواني الحسنة [٨]. هنا واجهوا نفس الصعوبة التي عانوا منها في رحلتهم من ميرا إلى كنديس.

أبحرت السفينة ببطء لعدة أيام بسبب الرياح الغربية حتى بلغت كنيدس ميناء كارياCaria ، والتزمت أن تسلك تحت كريت كما التزمت قبلاً أن تسلك تحت قبرص. ووجدت صعوبة شديدة أن تبلغ سلموني الساحل الشرقي لكريت. وبالجهد بلغوا المواني الحسنة.

"ولمّا تجاوزناها بالجهد،

جئنا إلى مكان يقال له المواني الحسنة،

التي بقربها مدينة لسائية". [٨]

عبروا حول نهاية الساحل الشرقي للجزيرة إذ لم يكن ممكنًا لهم الإبحار مباشرة ما بين الجزيرة والبر الرئيسي.

"**المواني الحسنة**" في جنوب شرقي جزيرة كريت، كانت شاطئًا غالبًا ما يُعتبر ملجأ مفتوحًا إلى حين، دعاه ستيفن عالم الجغرافيا "الشاطئ الحسن" كما دعيت في طرق السير البحرية في الهولندية والفرنسية "الخليج الجميل" لم يكن بها مدينة، إنما بالقرب منها مدينة مشهورة تدعى لسائية.

٣. من المواني الحسنة إلى مليطه

"ولمّا مضى زمان طويل وصار السفر في البحر خطرًا،

إذ كان الصوم أيضًا قد مضى،

جعل بولس ينذرهم". [٩]

"**وقت الصوم قد مضى**" هو اصطلاح يفيد بأن هذا الميعاد من السنة لا يُبحر فيه، ولا يُستحب فيه السفر مهما كان السبب. فقد كان بدء شهر أكتوبر، وكل الرحالة يؤكدون أن الإبحار في ذلك الوقت مجازفة خطيرة.

واضح أنهم إذ بدأوا الرحلة كان الكل يترجى وصولهم إلى روما قبل موسم الإبحار الخطر في البحر المتوسط، لكن لم يتحقق ذلك.

يرى البعض مثل **القديس يوحنا الذهبي الفم** أن الصوم هنا هو صوم يهودي أي في يوم الكفارة العظيم (لا ٢٣: ٢٧)، في اليوم العاشر من الشهر السابع تشري، نحو نهاية سبتمبر. وذلك بعد الاعتدال الخريفي حيث الإبحار يكون خطرًا.

"قائلاً: أيها الرجال،

أنا أرى أن هذا السفر عتيد أن يكون بضرر وخسارة كثيرة،

ليس للشحن والسفينة فقط،

بل لأنفسنا أيضًا". [١٠]

كان بولس الرسول ليس أسيرًا عاديًا، بل أشبه بقبطان متقاعد له خبرته في الإبحار، متمرسًا في انكسار السفن (٢ كو ١١: ٢٥-٢٦). لقد سد رئيس سلطان الهواء، عدو الخير، أذان الكل عن الاستماع لمشورة القديس بولس لكي يضيف إلى أتعاب بولس أتعابًا جديدة.

كان القديس بولس صاحب خبرة في الرحلات البحرية، وقد ذكر من بين آلامه أنه انكسرت به السفينة ثلاث مرات (٢ كو ١١: ٢٥). هذا ولا يستطيع أحد أن ينكر أن الرسول وهو تحت قيادة الروح القدس أدرك ما سيحل بالسفينة بإعلان الروح له.

بلا شك كان الشحن (القمح المُرسل إلى روما) له تقديره الخاص، لا من جهة قيمته المادية، وإنما لاحتياج العاصمة إليه.

"ولكن كان قائد المائة ينقاد إلى ربان السفينة والى صاحبها،

أكثر مما إلى قول بولس". [١١]

حسب قائد المائة إن ربان السفينة ومالكها، وكلاهما صاحبا خبرة في البحار، ويهمهما سلامة السفينة والشحن، أكثر خبرة من بولس، فمال إلى رأيهما. كان القائد مترفقًا بالرسول بولس، وربما كان معجبًا به لكنه لم يأخذ بمشورته.

"ولأن الميناء لم يكن موقعها صالحًا للمشتى،

استقر رأي أكثرهم أن يقلعوا من هناك أيضًا،

عسى أن يمكنهم الإقبال إلى فينكس ليشتّوا فيها،

وهي ميناء في كريت تنظر نحو الجنوب والشمال الغربيين". [١٢]

لم تكن المواني الحسنة ملائمة لقضاء فترة الشتاء، لذلك فضلوا الإبحار إلى فينكس وهي في غربي كريت. هي مصيف وليست مشتى، ليست ميناء بمعنى الكلمة، إنما مجرد شاطئ، يتعرض من يقطن فيها للرياح الباردة.

"فلما نسمت ريح جنوب ظنّوا أنهم قد ملكوا مقصدهم،

فرفعوا المرساة،

وطفقوا يتجاوزون كريت على أكثر قربٍ". [١٣]

كانت الريح السابقة قادمة من الغرب تقاوم الإبحار، وخطيرة، أما قيام ريح جنوبية هادئة ولطيفة فبعث فيهم الأمل أن الإبحار غير خطر، خاصة بجوار ساحل كريت، حتى يبلغوا فينكس في الغرب، وهذا ما كانوا يأملون فيه.

فجأة توقفت الرياح الشمالية الغربية المقاومة لتهب ريح الجنوب اللطيفة بنسمات هادئة. هذا يحدث بسبب تغيير الضغوط الهوائية، لكن هذه النسمات مؤقتة ومزيفة سرعان ما تزول لتعود الرياح الشمالية الغربية.

"ولكن بعد قليل هاجت عليها ريح زوبعيّة،

يقال لها أوروكليدون". [١٤]

فجأة تحولت نسمات الريح الهادئة القادمة من الجنوب إلى ريح عاصفة مضادة للرحلة تدعى أوروكليدون. يرى البعض أنها تشير إلى ريح أشبه بالهراكين أو الأعاصير حيث تهب الريح من كل جانب، فتصير السفينة كما في دوامة في مهب رياح من كل اتجاه. تدعى هذه الرياح حاليًا Levanters وهي مشتقة من Levant ومعناها "مشرق".

وُضع القديس بولس في ذات ظروف يونان النبي، لكن الأخير كان هاربًا من وجه الرب، أما بولس فكان مقيدًا من أجل الشهادة للرب. كأن يونان يرفض الكرازة للأمم، أما بولس فكان يبذل كل الجهد للشهادة للسيد المسيح أمام الأمم.

"فلما خُطفت السفينة،

ولم يُمكنها أن تقابل الريح،

سلَّمنا فصِرنا نُحمَل". [١٥]

اختطفت الريح السفينة، ولم تعد تحت سيطرة الملاحين. صارت السفينة أشبه بكرة في يد النوء العنيف تتخبط، فقدت توازنها وأصبح لا يمكن توجيهها. توقف البحارة تمامًا عن أية محاولة للسيطرة على الموقف، وسلم كل الحاضرين حياتهم كما في يد ريح لا ترحم، أما بولس الرسول فباسم كل الذين في السفينة سلم الأمر بين يدي الله، فأدرك أن الكل محمولون على الأذرع الأبدية.

"فجرينا تحت جزيرة يقال لها كلودي،

وبالجهد قدرنا أن نملك القارب". [١٦]

لم يستطيعوا التحكم في السفينة الكبيرة، لكن بالكاد استطاعوا أن يتحكموا في القارب. هذا لا يعني أنهم بلغوا به إلى الشاطئ.

"**كلودي**": جزيرة صغيرة تبعد حوالي ٢٠ ميلاً جنوب غرب كريت.

"ولمّا رفعوه، طفقوا يستعملون معونات حازمين السفينة،

وإذ كانوا خائفين أن يقعوا في السيرتس أنزلوا القلوع،

وهكذا كانوا يُحملون". [١٧]

طفقوا يستعملون معونات، أي يستخدمون حبالاً وسلاسل لإنقاذ السفينة. خشوا أن تغرس السفينة في الرمال الناعمة اللينة (سرتس)، فأنزلوا القلوع التي بسبب الريح العاصف كان يصعب التحكم في تويجهها.

"وإذ كنا في نوء عنيف،

جعلوا يفرغون في الغد". [١٨]

في الغد صاروا يلقون بكل البضائع، خاصة القمح، في البحر، فقد أدركوا أن المال لن ينقذهم، وأنه يمثل ثقلاً في سفينة الحياة تبلغ بها إلى الغرق في مياه هذا العالم. وكما يقول الحكيم: "ثروة مصونة لصاحبها لضرره" (جا ٥: ١٣).

يا للعجب! ما أسهل على أهل العالم أن يلقوا في البحر كل ما لديهم لكي ينجوا بحياتهم الزمنية، بينما يستصعبوا جدًا أن يقدم نصيبًا بسيطًا مما لديهم لإخوتهن الفقراء والمحتاجين لأجل حياتهم الأبدية. أما من يتطلع إلى بلوغ الأبدية بأمجادها، فلا ينشغلون بما للعالم، بل كما كتب القديس بولس: "قبلتم سلب أموالكم بفرح، عالمين في أنفسكم أن لكم مالاً أفضل في السماوات وباقيًا" (عب ١٠: ٣٤).

أي إنسان عاقل يحطم السفينة بما عليها لينجو بحياته، لكن كثيرين يفضلون تحطيم سفينة إيمانهم وضميرهم الصالح من أجل أمور زمنية.

في وسط النوء الشديد قام النوتية بتخفيف أحمال السفينة بإلقاء الشحن في المياه حتى ينجو هم ومن معهم. وهكذا في وسط نوء هذا العالم يلزمنا أن نخفف أثقالنا وارتباكاتنا حتى يصير الإنسان خفيفًا كطائرٍ يسبح في الجو، ولا يُقال عنهم ما قيل عن فرعون وجنوده "غاصوا كالرصاص في مياه غامرة" (خر ١٥: ١٠)

"وفي اليوم الثالث رمينا بأيدينا أثاث السفينة". [١٩]

"وإذ لم تكن الشمس ولا النجوم تظهر أيامًا كثيرة،

واشتد علينا نوء ليس بقليلٍ،

أُنتزع أخيرًا كل رجاء في نجاتنا". [٢٠]

مما زاد الحال سوء أنه قد خيم عليهم الظلام، فلم يعرفوا نهارهم من ليلهم إلى أيام كثيرة، حيث لم تظهر الشمس نهارًا ولا النجوم ليلاً، بهذا فقد البحارة إدراكهم لحقيقة موقعهم، والتعرف على الاتجاهات، ليسلكوا الطريق الآمن.

هذا هو حال النفس التي تفقد رؤيتها للسيد المسيح، شمس البرّ، فلا تتمتع بنوره، ولا يحل بها نهار لتصير ابنة النهار. وأيضًا حين فقد رؤيتها لأولاد الله الحقيقيين كنجوم متلألئة، فلا تجد أمامها أمثلة حية في الإيمان تقتدي بها. هنا يصير الموقف في غاية الخطورة، حيث لا يدرك الإنسان بنور الروح القدس حقيقة نفسه، ولا موقعه، ولا يرى نور مخلصه، ولا جمال الكنيسة وبهاء قديسيها.

هذا الموقف الخطير حطم نفسية البحارة، فقد عكست الظلمة الخارجية عليهم ظلمة داخلية مهلكة، إذ حلت بهم ظلمة اليأس وانقطع عنهم نور الرجاء "**انتزع أخيرًا كل رجاء في نجاتنا**". تسلل إليهم أخطر عدو يحطم حياة الإنسان في هذا العالم ويفقده أبديته ألا وهو اليأس، فإنه حين يدخل تدخل معه بقية الخطايا وتجد الشياطين لها عرشًا في القلب تتربع فيه.

"فلما حصل صوم كثير،

حينئذ وقف بولس في وسطهم، وقال:

كان ينبغي أيها الرجال أن تذعنوا لي،

ولا تقلعوا من كريت،

فتسلموا من هذا الضرر والخسارة". [٢١]

وسط هذا الجو الرهيب انزلوا القلوع ليحدوا من تأثير قوة الرياح، إذ صارت السفينة ألعوبة قي يد الأمواج. وأُفرغت السفينة من حمولتها التي تزن ألف طن حتى لا تنفسخ السفينة مع ثقلها من ضربات الأمواج العالية، وفي اليوم الثالث القوا أثاثات السفينة وتجهيزاتها في عملية الإنقاذ المرهقة هذه. صار الكل يصطدم ببعضهم البعض، وينطرحون على وجوههم. علت الصرخات المستمرة وتوترت الأعصاب، وملأت المياه السفينة، وإذ حل بدء فصل الشتاء مع رياح باردة وأمطار غزيرة، وسحب وظلمة متكاثفة صار الموقف لا يمكن وصفه! في وسط هذا الجو وقف بولس الرسول الصائم يصلي لإلهه لينعم بوعد إلهي أن يُوهب له جميع الذين في السفينة، وأن يحقق رسالته بوقوفه أمام قيصر يشهد لمخلصه، وأراه عن بعد الجزيرة التي ستحتضنهم. يرى البعض أن هذا الصوم مارسه كل الذين في السفينة، ليس كعملٍ تعبديٍ، وإنما هو ثمرة الضيق والمرارة، فلم ينشغل أحد بأكلٍ أو شربٍ، مع العمل المستمر لإنقاذ السفينة بكل وسيلة كإلقاء الشحن.

وبخهم الرسول لأنهم لم يسمعوا له، وهو يرى الخطر قادمًا، الآن صاروا يسمعون له، فقد نال وعدًا إلهيًا بخصوص نجاتهم.

v لا يزال بولس يبحر معنا الآن، لكنه ليس مقيدًا كما كان في ذلك الحين؛ إنه ينصحنا إلى الآن... لنطع بولس، وإن كنا في وسط النوء، فإننا بالتأكيد نخلص من المخاطر، حتى وإن بقينا بلا طعام لمدة ١٤ يومًا، فإن الرجاء في الآمان مُقدم لنا؛ وإن كنا في ظلمة وضباب، فإننا إذ نتمم أمره نخلص من المخاطر. لنتطلع إلى العالم كله، إنه سفينة ويوجد بها أشرار لهم رذائل بلا حصر وولاة وحرس، وأيضا أبرار، كما كان بولس مع مسجونين آخرين، مربوطين بخطاياهم. فإن كنا نفعل ما يأمرنا به بولس لن نهلك في القيود بل نتحرر منها، فان الله يهبنا له (لبولس) أيضًا.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"والآن أنذركم أن تُسرّوا،

لأنه لا تكون خسارة نفس واحدة منكم إلا السفينة". [٢٢]

قدم لهم الرسول أخبار سارة أنه لن يهلك أحد منهم، هذه الأخبار ليست من عنده بل هي هبة إلهية.

وسط مرارة المحنة كان بولس كواحدٍ منهم صائمًا وعاملاً معهم، يلقي معهم الشحن، ويبذل كل الجهد لإنقاذ السفينة. أما وقد تمتع بوعدٍ إلهيٍ، فوقف في وسطهم، لا كأحد الأسرى، بل كمشيرٍ صالحٍ ومبشرٍ مفرحٍ. نزع عنهم روح اليأس، وبعث فيهم روح الرجاء، مقدمًا لهم تعزيات من السماء.

"**أنذركم أن تسروا**"، كما أن الله هو مصدر سرور السمائيين والأرضيين، هكذا يهب الله مؤمنيه، ليس فقط أن يفرحوا، بل ويصيروا علة فرح الكثيرين.

"لأنه وقف بي هذه الليلة ملاك الإله الذي أنا له،

والذي أعبده". [٢٣]

حينما كان بولس الرسول على حافة الموت وعندما نال وعدًا بالنجاة هو ومن معه لم يكن يشغله سوى أمر واحد، أنه لله، وأن خدمته الكرازية هي غاية كل حياته. لم يربكه الموت، ولا شغله الخلاص الزمني، بل تكريس كل كيانه لله مخلصه.

لم يقل الرسول: "الذي نحن له، والذي نعبده أو نخدمه" بل "الذي أنا له، والذي أعبده"، فإنه ذاهب إلى روما ليس من أجل عمل تجاري، إنما ليظهر كشاهدٍ وسفيرٍ للسيد المسيح.

بشرهم بأن الله الذي كرس الرسول حياته له وصار منسوبًا إليه، ويتمتع بالعبادة له أرسل ملاكه له كارزًا باسمه.

"قائلاً: لا تخف يا بولس،

ينبغي لك أن تقف أمام قيصر،

وهوذا قد وهبك اللَّه جميع المسافرين معك". [٢٤]

كشف الرسول بولس عن خطة الله من نحوه، فإنه من أجل الشهادة للإنجيل أمام قيصر ينقذه الله، ويهبه كل المسافرين كعطية خاصة به. هنا يكشف الرسول بولس عن مدى شوقه في الكرازة حتى في القصر الإمبراطوري، كما يكشف عن عمل الله خلال خدامه. فإذ كرس بولس قلبه لإنجيل المسيح، صار وجوده في السفينة بركة عظيمة، من أجل تحقيق رسالته وهبه ألا يهلك أحد الحاضرين.

حتمًا لم يكن الرسول بولس خائفًا من الموت، لكن ربما ما حلّ به من خوفٍ، هو مشاركته للذين في السفينة خوفهم وآلامهم، فقد عاش يحسب نفسه مقيدًا مع المقيدين، وضعيفًا مع الضعفاء، وملتهبًا من أجل كل نفسٍ تتعثر.

من يسلك ببرّ المسيح لا يضطرب ولا يخاف، إنما الخوف هو سمة غير المؤمنين الأشرار؛ أما المؤمن فإن اضطرب إنما في شركة آلام مع الضعفاء.

من أجل بولس أنقذ الله كل من في السفينة ٢٧٦ شخصًا، ومن أجل لوط لم يقلب الله مدينة صوغر (تك ١٩: ٢١)، ولو وجد عشرة رجال أبرار لما حرق الله سدوم (تك ١٨: ٣٢).

لو أن بولس ألقى بنفسه وسط الأشرار بإرادته لهلك معهم، لكن إذ وُجد بينهم من أجل الخدمة، ليس عن تهاونٍ أو تراخٍ أو شهواتٍ خاطئة، قام الرب بإنقاذهم بسببه. صار بركة لهم، إذ وهبه الله إياهم أو أعطاه إنقاذهم عطية إلهية مقدمة له شخصيًا.

v إن كان هنا وُجدت سفينة في خطر، تعاني من الغرق، وقد خلص المساجين من أجل بولس، تأملوا ماذا يكون الأمر بالنسبة للشخص القديس في بيته.

فإنه كثيرة هي التجارب التي تهاجمنا، تجارب أكثر خطورة من تجارب الطبيعة، لكن الله قادر أن يهبنا أن نخلص، إن كنا فقط نطيع القديسين كما فعل الذين في السفينة، إن كنا نتمم ما يأمروننا به. فإنهم ليس فقط خلصوا، وإنما ساهموا في إيمان آخرين.

بينما كان القديس في قيودٍ، صنع أعمالاً أعظم ممن هم في حرية.

انظروا فإن الحال هنا هو هكذا: قائد المائة الحر كان في حاجة إلى سجينه المقيد، وربان السفينة الماهر كان في عوزٍ إلى من لم يكن ربانًا، بل بالأحرى كان هو الربان الحقيقي.

فإنه قاد كربان سفينة ليست من هذا النوع (أرضية) بل كنيسة العالم كله، متعلمًا من ذاك الذي هو رب البحر أيضًا. قادها لا بفنٍ بشريٍ بل بحكمة الروح. في هذه السفينة يوجد تحطيم خطير للسفن، أمواج كثيرة، أرواح شر "من خارج خصومات، من داخل مخاوف" (٢ كو ٧: ٥)؛ فكان هو الربان الحقيقي.

v قوله "**قد وهبك الله جميع المسافرين معك**" لم ينطق بها عن تشامخ، وإنما رغبة في كسب الذين يبحرون في السفينة. فإنه كمن يقول هكذا أنهم لا يشعروا بأنهم مرتبطون به بل يصدقون ما يقوله. "**وهبك لله**"، كأنه يقول إنهم مستحقون الموت، إذ لم يريدوا أن يصغوا إليك؛ على أي الأحوال هذا يتحقق كمنحةٍ لك.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"لذلك سُروا أيها الرجال،

لأني أومن باللَّه أنه يكون هكذا كما قيل لي". [٢٥]

آمن الرسول بأن ما يمارسه إنما هو عمل الله نفسه، لذلك تيقن أنه حتمًا سيقف أمام قيصر، لا ليدافع عن نفسه وينال براءة، بل لكي يشهد لمخلصه.

"ولكن لابد أن نقع على جزيرة". [٢٦]

"فلما كانت الليلة الرابعة عشرة،

ونحن نُحمل تائهين في بحر أدريّا،

ظن النوتيّة نحو نصف الليل أنهم اقتربوا إلى بر". [٢٧]

بعد ١٤ يومًا وسط العاصفة يتوقعون فيها الموت، صاروا الآن بالقرب من البر، صاروا تائهين في بحر الأدرياتيك وهو جزء من البحر المتوسط. ويرى البعض إن تعبير "بحر الأدريا" لا يشير إلى بحر الإدرياتيك على وجه الخصوص، وإنما إلى الجزء الشرقي كله للبحر المتوسط، من جهة إيطاليا واليونان وإفريقيا، يضم فيه بحر الإدرياتيك.

"فقاسوا ووجدوا عشرين قامة،

ولمّا مضوا قليلاً،

قاسوا أيضًا، فوجدوا خمس عشرة قامة". [٢٨]

القامة عبارة عن ٦ أقدام، يقيسها البعض من الإصبع الذي في منتصف اليد إلى الإصبع الذي في منتصف اليد الأخرى.

"وإذ كانوا يخافون أن يقعوا على مواضع صعبة،

رموا من المؤخر أربع مراسٍ،

وكانوا يطلبون أن يصير النهار". [٢٩]

إلقاء أربع مراسٍ يشير إلى مدى عنف العاصفة حتى لا تتحرك السفينة. وأما طلبهم أن يصير النهار فلكي يستطيعوا أن يميزوا النور أنهم بالفعل قد صاروا أكثر أمانًا.

"ولمّا كان النوتيّة يطلبون أن يهربوا من السفينة،

وأنزلوا القارب إلى البحر،

بعلّة أنهم مزمعون أن يمدّوا مراسي من المقدم". [٣٠]

فضّل بعض النوتية أن يستقلوا بقارب ويهربوا إلى الشاطئ، عن أن تصطدم السفينة بصخرة ما فيهلكون. فقد تظاهروا بأنهم يستقلون بالقارب ليمدوا المراسي.

"قال بولس لقائد المائة والعسكر،

إن لم يبق هؤلاء في السفينة،

فأنتم لا تقدرون أن تنجوا". [٣١]

كشف الرسول بولس خطتهم لقائد المائة والعسكر، فقاموا بقطع الحبال ليغرق القارب، ويبقى البحارة في السفينة، حتى يبحرون بها إلى الشاطئ.

غالبًا ما كنت السفينة حكومية، وكان لقائد المائة الكلمة الأولى في إدارة السفينة.

مع أن الرسول بولس قد نال وعدًا إلهيًا بأنه قد وهبت له كل الأنفس التي في السفينة، فإن هذا لا يعني تراخيه في العمل، إنما يلتزم أن يفكر ويتحرك، مستخدمًا كل وسيلة ممكنة للنجاة. فالوعود الإلهية تتحقق حتمًا في الذين يتجاوبون عمليًا مع العمل الإلهي، ويبذلون كل الجهد للسلوك حسب مسرة الله. فالخلاص المجاني لا يعني تهاون الإنسان أو تراخيه وعدم جديته، لهذا يحدثنا الرسول بولس عن "الإيمان العامل بالمحبة".

v أراد البحارة أن يهربوا، إذ لم يكن لهم إيمان فيما قاله، لكن قائد المائة صدق بولس، إذ قال إنهم إن هربوا "**لا تقدرون أن تنجوا**". قال هذا لكي يمنعهم من الهروب ولا تسقط النبوة أرضًا. انظروا كيف كما لو كان في كنيسة يعلمهم بسلوك بولس الهادئ، كيف خلصهم من وسط المخاطر. إنها عناية الله المدبرة أنهم لم يصدقوا بولس حتى بالأحداث الواقعية يصدقونه. هكذا كان الحال.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"حينئذ قطع العسكر حبال القارب،

وتركوه يسقط". [٣٢]

إذ قطع العسكر الحبال التي تربط القارب بالسفينة، وترك القارب يسقط ألزم البحارة أن يبقوا في السفينة، وأن يعملوا لإبحار السفينة إلى الشاطئ.

"وحتى قارب أن يصير النهار،

كان بولس يطلب إلى الجميع أن يتناولوا طعامًا قائلاً:

هذا هو اليوم الرابع عشر وأنتم منتظرون،

لا تزالون صائمين، ولم تأخذوا شيئا". [٣٣]

لم يعد بولس بالأسير الذي يئن من القيود، لكنه صار في نظر الكل الربان الحقيقي للسفينة، والمشير الحكيم، والأب المترفق بأولاده، وراعي نفوسهم، والشفيع عنهم أمام الله، والمهتم حتى بأكلهم وشربهم!

إذ أشرق النور فاستطاعوا أن يدركوا حقيقة الموقف، نصح بولس البحارة والمسافرين أن يكفوا عن هذا الصوم الإلزامي، وأن يتناولوا الطعام حتى يتقووا به. لا يعني هذا أنهم لم يأكلوا طوال الأسبوعين، وإنما إذ كانوا في قلقٍ شديدٍ يترقبون الموت لم يشغلهم الأكل والشرب، إن آكل أحدهم فليس خلال وجبة معينة بل يأكل قليل القليل أثناء ارتباكه.

"لذلك التمس منكم أن تتناولوا طعامًا،

لأن هذا يكون مفيدًا لنجاتكم،

لأنه لا تسقط شعرة من رأس واحدٍ منكم". [٣٤]

هذا تعبير عن عدم حدوث أي ضرر بل تبقى حياتهم محفوظة في آمان.

قال هذا أخذ خبزًا وشكر اللَّه أمام الجميع،

وكسر وابتدأ يأكل. [٣٥]

لم يخجل بولس الرسول وهو في وسط الوثنيين والمسجونين والجند وقائد المائة من أن يشكر الله قبل أن يمد يده للطعام، معبرًا عن امتنانه بعمل الله معه ومعهم.

v لاحظوا أن تقديم شكره بعد كل ما قد حدث قواهم، لأن هذا أظهر فكرًا يقينيًا أنهم سيخلصون.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"فصار الجميع مسرورين،

وأخذوا هم أيضًا طعامًا". [٣٦]

تصرفات الرسول ويقينه بعمل الله أشع فرحًا على الجميع من نوتيه وحراس ومسجونين ومسافرين.

"وكنا في السفينة جميع الأنفس،

مائتين وستة وسبعين". [٣٧]

إذ أكلوا وشبعوا صارت فيهم قوة لطرح الحنطة في البحر، إذ لم يكن هناك أي أمل لإنقاذ الشحن أو البضائع. بإلقاء البضائع تصير السفينة خفيفة، ويمكنها أن تعبر في مياه ضحلة دون خطر من أن تغرس في الرمال تحت المياه. بهذا يمكن أن يبلغوا بالسفينة إلى الشاطئ.

[في رده على فيجيلانتيوس الذي أنكر إمكانية صلاة الراقدين عن المجاهدين معتمدًا على العبارة: "كلب حي أفضل من أسد ميت".]

v إن كان الرسل والشهداء وهم بعد في الجسد يمكنهم أن يصلوا عن آخرين، وهم لا يزالوا في قلق من أجل أنفسهم، كم بالأكثر أن يفعلوا هذا عندما ينالوا أكاليلهم وهم غالبون ومنتصرون؟ موسى، رجل واحد، غالبًا ما نال صلحًا من الله عن ٦٠٠ ألفًا رجلاً مسلحين (خر ٣٢: ٣٠ الخ). واسطفانوس الذي تبع الرب وأول شهيد مسيحي طلب صفحًا عن مضطهديه، فهل عندما دخلا إلى حياتهما مع المسيح يكونا أقل قوة مما كانا عليه؟ يقول الرسول بولس أن ٢٧٦ نفسًا قد وُهبت إليه الذين كانوا في السفينة (أع ٢٧: ٣٧)، فهل بعد انحلال (جسده) وقد صار مع المسيح يغلق فمه، ويصير عاجزًا عن أن ينطق بكلمة عن الذين في كل العالم يؤمنون بإنجيله؟ هل فيجيلانتيوس الكلب الحي أفضل من بولس الأسد الميت؟... الحق أن القديسين لا يدعون أمواتًا، بل يُقال عنهم أنهم راقدون.

القديس جيروم

"ولمّا شبعوا من الطعام،

طفقوا يخففون السفينة،

طارحين الحنطة في البحر". [٣٨]

إذ شبعوا ألقوا ما تبقى من الحنطة في البحر، فإنها لم تعد تصلح للأكل ولا للتجارة، فقد غرقت من المياه.

"ولمّا صار النهار،

لم يكونوا يعرفون الأرض،

ولكنهم أبصروا خليجًا له شاطئ،

فأجمعوا أن يدفعوا إليه السفينة إن أمكنهم". [٣٩]

كانوا بلا شك بلا معرفة لجغرافية الموضع، ليس لهم إدراك للشاطئ ولا للجزيرة، لكنهم رأوا خليجًا له شاطئ يمكن أن ترسي السفينة عنده، إذ اطمأنوا أنه لا توجد صخور يمكن أن تحطم السفينة.

"فلما نزعوا المراسي،

تاركين إيّاها في البحر،

وحلّوا رُبط الدفة أيضًا،

رفعوا قلعًا للريح الهابّة،

وأقبلوا إلى الشاطئ". [٤٠]

رفعوا المراسي الأربع التي ألقوها في البحر [٢٩]، وقد جاء التعبير في اليونانية يحمل احتمال نزعها عن السفينة بقطع سلاسلها تاركين المراسي مغروسة في أعماق المياه. كما حلوا ربط الدفة حتى يمكنهم توجيه السفينة نحو الشاطئ.

جاءت كلمة "**الدفة**" هنا في اليونانية في صيغة الجمع مما يبدو أنه كان للسفينة أكثر من دفة.

ترجم البعض الكلمة اليونانية المترجمة هنا "**قلعًا**" بأنه سارية، والبعض "شراعا" أو "الصارية الأمامية" أو "شراع السارية".

"وإذ وقعوا على موضع بين بحرين،

شططوا السفينة،

فارتكز المقدم ولبث لا يتحرك،

وأمّا المؤخر، فكان ينحل من عنف الأمواج". [٤١]

يرى البعض أن مقدم السفينة ارتطم بلسانٍ بحريٍ رمليٍ والمياه من الجانبين كأنها بين بحرين، وكانت الأمواج بعنفها تحطم مؤخر السفينة.

v قد يسأل أحد: لماذا لم ينقذ السفينة؟ لكي يدركوا مدى الخطورة الشديدة التي خلصوا منها، وأن الأمر كله لا يعتمد على عونٍ إنسانٍ، بل على يد الله التي خلصتهم دون السفينة. هكذا وإن كان الأبرار يتعرضون للتجربة، ولو في البحر، في الأعماق، لكن لن يحل بهم أمر مخيف، وإنما بالأحرى يخلصون ومعهم آخرون.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"فكان رأي العسكر أن يقتلوا الأسرى،

لئلاً يسبح أحد منهم، فيهرب". [٤٢]

حسب النظام الروماني كان الأسرى يُقتلون ولا يُتركون لئلا يهرب أحد منهم، فيتعرض العسكر للاتهام بالإهمال أو الاختلاس مع الأسرى. كان في رأي العسكر أن يُقتل الأسري فيحسبون كمن ماتوا بالغرق خير لهم من أن يهرب أحد، فيُحاكمون بجريمة التواطؤ. هكذا بينما يفيض الله بمراحمه على الجميع، وينقذ الحراس من موتٍ محقق إذا بهم يُظهرون كل عنفٍ نحو المسجونين الذين في أعينهم لا يساوون شيئًا.

"ولكن قائد المائة إذ كان يريد أن يخلص بولس منعهم من هذا الرأي،

وأمر أن القادرين على السباحة يرمون أنفسهم أولاً،

فيخرجون إلى البر". [٤٣]

كان قائد المائة لطيفًا للغاية في تعامله مع الأسير بولس [٣]. وإذ تلامس مع حكمته وسلوكه المقدس أراد أن ينقذ حياته مهما تكن التكلفة. من أجل بولس البار أبقى على حياة كل الأسرى.

"والباقين بعضهم على ألواح،

وبعضهم على قطع من السفينة،

فهكذا حدث أن الجميع نجوا إلى البر". [٤٤]

تحقق الوعد الإلهي للقديس بولس [٢٢]، فما حدث هو خلال عناية الله الفائقة.

من وحي أع ٢٧

سلمنا فصرنا نحمل!

- صعد الرسول بين الأسرى إلى السفينة.

وكان هو القائد الخفي،

احتل آخر موضع، وهو الأول في عيني الله.

- أعطاه اللَّه نعمة في عيني القائد.

فسمح له أن يذهب إلى أصدقائه في صيدا.

- بروح الرب سبق أن كشف الرسول لهم عن المخاطر،

لكنهم حسبوه أسيرًا لا خبرة له بالبحر،

- هاجت الرياح وأشدت العاصفة.

انسحق الرسول أمام اللّه،

باسم من معه، لوقا وارسترخس، كما باسم الوثنيين:

القائد والجند والمساجين والمسافرين والنوتية،

سلم حياة الكل في يدي الضباط الكل!

- لم يغضب ولا ثار لأنهم لم يسمعوا له.

لكنه تذلل أمام الله من أجلهم.

إنه بالحق أب يرى في الكل أبناء أعزاء جدًا لديه.

تألم إذ فقد الكل كل رجاء لهم في النجاة،

أما هو فوجد في المسيح، قائد السفينة الحقيقية، مصدر رجاء مفرح.

- أرسل اللّه له ملاكه،

وبشره بأن وهبه كل الذين في السفينة،

لن يهلك منهم أحد قط!

وهبه الجميع لأنه محب للكل!

وأعطى نجاة لهم، حتى يقف بولس أمام قيصر،

ليشهد للإنجيل في القصر الإمبراطوري!

- بعث روح الرجاء والفرح في وسط العاصفة المرة،

أخذ خبزًا وشكر الله أمام الجميع،

وسألهم أن يأكلوا ببهجة قلب!

إنه كسيده مصدر فرح للكل!

١ فلما استقر الراي ان نسافر في البحر الى ايطاليا سلموا بولس و اسرى اخرين الى قائد مئة من كتيبة اوغسطس اسمه يوليوس
٢ فصعدنا الى سفينة ادراميتينية و اقلعنا مزمعين ان نسافر مارين بالمواضع التي في اسيا و كان معنا ارسترخس رجل مكدوني من تسالونيكي
٣ و في اليوم الاخر اقبلنا الى صيدا فعامل يوليوس بولس بالرفق و اذن ان يذهب الى اصدقائه ليحصل على عناية منهم
٤ ثم اقلعنا من هناك و سافرنا في البحر من تحت قبرس لان الرياح كانت مضادة

٥ و بعدما عبرنا البحر الذي بجانب كيليكية و بمفيلية نزلنا الى ميرا ليكية
٦ فاذ وجد قائد المئة هناك سفينة اسكندرية مسافرة الى ايطاليا ادخلنا فيها
٧ و لما كنا نسافر رويدا اياما كثيرة و بالجهد صرنا بقرب كنيدس و لم تمكنا الريح اكثر سافرنا من تحت كريت بقرب سلموني
٨ و لما تجاوزناها بالجهد جئنا الى مكان يقال له المواني الحسنة التي بقربها مدينة لسائية
٩ و لما مضى زمان طويل و صار السفر في البحر خطرا اذ كان الصوم ايضا قد مضى جعل بولس ينذرهم
١٠ قائلا ايها الرجال انا ارى ان هذا السفر عتيد ان يكون بضرر و خسارة كثيرة ليس للشحن و السفينة فقط بل لانفسنا ايضا
١١ و لكن كان قائد المئة ينقاد الى ربان السفينة و الى صاحبها اكثر مما الى قول بولس
١٢ و لان المينا لم يكن موقعها صالحا للمشتى استقر راي اكثرهم ان يقلعوا من هناك ايضا عسى ان يمكنهم الاقبال الى فينكس ليشتوا فيها و هي مينا في كريت تنظر نحو الجنوب و الشمال الغربيين
١٣ فلما نسمت ريح جنوب ظنوا انهم قد ملكوا مقصدهم فرفعوا المرساة و طفقوا يتجاوزون كريت على اكثر قرب
١٤ و لكن بعد قليل هاجت عليها ريح زوبعية يقال لها اوروكليدون
١٥ فلما خطفت السفينة و لم يمكنها ان تقابل الريح سلمنا فصرنا نحمل
١٦ فجرينا تحت جزيرة يقال لها كلودي و بالجهد قدرنا ان نملك القارب
١٧ و لما رفعوه طفقوا يستعملون معونات حازمين السفينة و اذ كانوا خائفين ان يقعوا في السيرتس انزلوا القلوع و هكذا كانوا يحملون
١٨ و اذ كنا في نوء عنيف جعلوا يفرغون في الغد
١٩ و في اليوم الثالث رمينا بايدينا اثاث السفينة
٢٠ و اذ لم تكن الشمس و لا النجوم تظهر اياما كثيرة و اشتد علينا نوء ليس بقليل انتزع اخيرا كل رجاء في نجاتنا
٢١ فلما حصل صوم كثير حينئذ وقف بولس في وسطهم و قال كان ينبغي ايها الرجال ان تذعنوا لي و لا تقلعوا من كريت فتسلموا من هذا الضرر و الخسارة
٢٢ و الان انذركم ان تسروا لانه لا تكون خسارة نفس واحدة منكم الا السفينة
٢٣ لانه وقف بي هذه الليلة ملاك الاله الذي انا له و الذي اعبده
٢٤ قائلا لا تخف يا بولس ينبغي لك ان تقف امام قيصر و هوذا قد وهبك الله جميع المسافرين معك
٢٥ لذلك سروا ايها الرجال لاني اومن بالله انه يكون هكذا كما قيل لي
٢٦ و لكن لا بد ان نقع على جزيرة
٢٧ فلما كانت الليلة الرابعة عشرة و نحن نحمل تائهين في بحر ادريا ظن النوتية نحو نصف الليل انهم اقتربوا الى بر
٢٨ فقاسوا و وجدوا عشرين قامة و لما مضوا قليلا قاسوا ايضا فوجدوا خمس عشرة قامة
٢٩ و اذ كانوا يخافون ان يقعوا على مواضع صعبة رموا من المؤخر اربع مراس و كانوا يطلبون ان يصير النهار
٣٠ و لما كان النوتية يطلبون ان يهربوا من السفينة و انزلوا القارب الى البحر بعلة انهم مزمعون ان يمدوا مراسي من المقدم
٣١ قال بولس لقائد المئة و العسكر ان لم يبق هؤلاء في السفينة فانتم لا تقدرون ان تنجوا
٣٢ حينئذ قطع العسكر حبال القارب و تركوه يسقط
٣٣ و حتى قارب ان يصير النهار كان بولس يطلب الى الجميع ان يتناولوا طعاما قائلا هذا هو اليوم الرابع عشر و انتم منتظرون لا تزالون صائمين و لم تاخذوا شيئا

٣٤ لذلك التمس منكم ان تتناولوا طعاما لان هذا يكون مفيدا لنجاتكم لانه لا تسقط شعرة من راس واحد منكم
٣٥ و لما قال هذا اخذ خبزا و شكر الله امام الجميع و كسر و ابتدا ياكل
٣٦ فصار الجميع مسرورين و اخذوا هم ايضا طعاما
٣٧ و كنا في السفينة جميع الانفس مئتين و ستة و سبعين
٣٨ و لما شبعوا من الطعام طفقوا يخففون السفينة طارحين الحنطة في البحر
٣٩ و لما صار النهار لم يكونوا يعرفون الارض و لكنهم ابصروا خليجا له شاطئ فاجمعوا ان يدفعوا اليه السفينة ان امكنهم
٤٠ فلما نزعوا المراسي تاركين اياها في البحر و حلوا ربط الدفة ايضا رفعوا قلعا للريح الهابة و اقبلوا الى الشاطئ
٤١ و اذ وقعوا على موضع بين بحرين شططوا السفينة فارتكز المقدم و لبث لا يتحرك و اما المؤخر فكان ينحل من عنف الامواج
٤٢ فكان راي العسكر ان يقتلوا الاسرى لئلا يسبح احد منهم فيهرب
٤٣ و لكن قائد المئة اذ كان يريد ان يخلص بولس منعهم من هذا الراي و امر ان القادرين على السباحة يرمون انفسهم اولا فيخرجون الى البر
٤٤ و الباقين بعضهم على الواح و بعضهم على قطع من السفينة فهكذا حدث ان الجميع نجوا الى البر

الأصحاح الثامن والعشرون

رحلة القديس بولس إلى روما

الآن قد اقترب وقت وصول الأسير بولس إلى روما، وبالرغم من كثرة المتاعب التي لحقت به في هذه الرحلة، لكن ما كان يشغله هو ووصوله إلى روما للشهادة هناك، وشهادته للسيد المسيح أمام رفقائه في السفينة أيّا كان دورهم أو مركزهم أو علاقتهم به، وأيضًا الشهادة لإنجيل المسيح أينما حلّ.

١. في مليطة ١.

٢. إحسان أهل مليطة ٢.

٣. نشوب أفعى في يد الرسول ٣-٦.

٤. شفاء أبي بوبليوس ٧-١٠.

٥. في سفينة إسكندريّة ١١-١٥.

٦. تحديد إقامة في روما ١٦.

٧. لقاء مع وجوه اليهود ١٧-٢٢.

٨. سهرة حول إنجيل المسيح ٢٣.

٩. انشقاق بين اليهود ٢٤-٢٩.

١٠. كرازته لمدّة سنتين ٣٠-٣١.

١. في مليطة

"ولمّا نجوا وجدوا أن الجزيرة تُدعى مليطة". [١]

جاءوا إلى جزيرة مالطة؛ لم يكن في حسبان الرسول بولس أن يذهب إليها ويشهد لإنجيل المسيح، لكن الله سمح بالعاصفة لكي ما يذهب هو ومن معه في السفينة ليشهد للكل.

مالطة أو مليطة، غالبًا مشتقة من الكلمة اليونانية التي معناها "عسل"، حيث كانت قبلاً مصدرًا غنيًا لإنتاج العسل. ويرى البعض أن اصل الكلمة كنعاني معناها "ملجأ Refuge" قطنها الفينيقيون.

طول الجزيرة حوالي ١٧ ميلاً تمتد من الشرق إلى الغرب، وعرضها ١٠ أميال من الشمال إلى الجنوب. محيطها حوالي ٦٠ ميلاً. تبعد حوالي ٦٠ ميلاً من ساحل سيسلياSicily .

توجد جزيرة أخرى كانت تدعى مليطة Meleda ، حاليًا في البحر الأدرياتيكي بجوار ساحلIlluricum .

إذ نجوا إلى البرّ ووجدوا أنفسهم في مليطة، لم ينشغل القدّيس بولس كيف يُسرع بالذهاب إلى روما، بالغم من شوقه للخدمة هناك، لكنّه حسب أن الله قد بعث به إلى الجزيرة لرسالة إنجيليّة، كما نلمس في هذا الأصحاح.

لم يكن القدّيس بولس يخطط للعمل، لكن في تسليمٍ كاملٍ كان الله يعمل به، بكل وسيلة. كانت حياته ملتهبة بالشهادة والعمل لحساب ملكوت الله ليلاً ونهارًا.

v كان بولس يقضي بعض الليالي بلا نوم باختياره، وبعضها كان يلتزم بها عن ضرورة. عندما كان في متاعب مريرة كان يلتزم أن يسهر يطلب عون اللَّه. مرّة أخرى كان يُعَّلم ليس فقط في وقت النهار بل وأيضًا بالليل. كان في بردٍ ومعرض للخطر عند انكسار السفينة عند جزيرة مالطة عندما جاء الشعب المحلي لينقذوه.

أمبروسياستر

٢. إحسان أهل مليطة

"فقدّم أهلها البرابرة لنا إحسانًا غير المعتاد،

لأنهم أوقدوا نارًا،

وقبلوا جميعنا من أجل المطر الذي أصابنا،

ومن أجل البرد". [٢]

كان سكان مالطة بلا شك متحضرين، لكنهم كانوا يُدعون برابرة بالنسبة لليونانيين والرومانيين، لأن لغتهم لم تكن مفهومة لهم. فكلمة "**برابرة**" هنا تقابل "أجانب". خضعت للفينيقيّين واليونان والقرطاجنيّين والرومان. يرى البعض أنه إذ سكنها بعد الفينيقيين جالية من قرطاجنة، فكانت لغة المالطيين من أفريقيا مع خليطٍ من لغات أخرى.

أية ضيافة لجماعة يبلغ عددها ٢٧٦ فردًا عانوا كل هذا الزمن من رياحٍ باردةٍ وأمطارٍ غزيرةٍ، مع أمواجٍ عاتيةٍ هددت حياتهم، وظلمة سوى إيقاد نارٍ لتدفئتهم وتجفيف ملابسهم. أي منظر هذا لهذا الحشد وقد التفوا حول النار كمن هم حول وليمة ثمينة أثمن من الطعام والشراب في مثل هذه الظروف. لم يسأل البرابرة عن جنسيات القادمين ولا عن دياناتهم، لكنهم أظهروا حنوًا فائقًا، وقبلوا الجميع.

نقف في دهشة أمام أهل مالطة الذين لم يسألوا شيئًا عن أخبار الرحلة، ولا استخفوا بالمسجونين، لكنّهم وهو وثنيّون بذلوا كل الجهد لخدمة الجميع بلا تمييز بين قائد جيش وسجين؛ وقائد سفينة ومسافر. ولعلّ الله أعطى للقدّيس بولس دفعة جديدة للعمل بين الأمم، فرأى في قائد المائة لطفًا وحبًّا واهتمامًا، الأمر الذي افتقد إليه في اليهود بني جنسه. وها هو يرى البرابرة في الجزيرة يقدّمون إحسانًا بسخاءٍ عظيمٍ دون مقابل.

لقد نال ذات خبرة يونان النبي في البحر، حيث أظهر النوتيّة الوثنيّون تقوى، وطالبوا النبي بالصلاة إلى إلهه، وعندما اكتشفوا أنّه هو سرّ كارثتهم بذلوا كل الجهد لإنقاذه بالرغم من طلبه منهم أن يُلقوه في البحر. لكن شتّان ما بين نبيٍ هارب من خدمة الأمم لتعلّقه بشعبه، وبين رسول يتّسع قلبه بحب كل إنسان، أيّا كانت جنسيّته!

v ليخزى القائلون: "لا تحسنوا إلى الذين في السجن". ليت هؤلاء البرابرة يجعلوننا في خزي، فإنهم وهم لا يعرفون من هم هؤلاء الناس، لكن في بساطة لأنهم كانوا في ضيقة، أدركوا أنهم بشر، واهتموا بهم من أجل بشريتهم.

القديس يوحنا الذهبي الفم

٣. نشوب أفعى في يد الرسول

"فجمع بولس كثيرًا من القضبان،

ووضعها على النار،

فخرجت من الحرارة أفعى،

ونشبت في يده". [٣]

كانوا في حاجةٍ شديدةٍ إلى نيران كثيرة، فمن جانب إذ سبح أغلبهم أو جاءوا على ألواح خشبية، امتلأت ثيابهم ماءً، خاصة مع غزارة المطر وشدة الرياح العاصفة الباردة. لذا كان الكل محتاجين إلى النار أكثر من الطعام والشراب، خاصة وأنهم قد أكلوا وشبعوا كمشورة القديس بولس قبل مغادرتهم السفينة. لم يميز الرسول بولس نفسه عنهم بكونه كان السبب في نجاتهم، لكنه انهمك بكل سرورٍ في جمع قضبان الخشب لراحة الكل.

مع اهتمام القديس بولس بانتهاز كل فرصة للشهادة للسيد المسيح، مهما تكن الظروف، فقد اتسم بروح النشاط والعمل لخدمة الآخرين، فمع كونه مقيدًا ظلمًا لم تتحطم نفسيته، بل "**جمع كثيرًا من القضبان، ووضعها على النار**" [٣].

كانت الأفعى وهو حية قاتلة في حالة سبات أشبه بمن قد تخدر بسبب البرد القارص، لكن ما أن استدفأت بالنار حتى انطلقت تنشب في يد القديس بولس لتنفث فيها يده.

"فلما رأى البرابرة الوحش معلقًا بيده،

قال بعضهم لبعضٍ:

لابد أن هذا الإنسان قاتل،

لم يدعه العدل يحيا،

ولو نجا من البحر". [٤]

في حسبان هؤلاء البرابرة أن من نجا من مخاطر عاصفة كهذه وجاء إلى البر، فتنشب في يده حية سامة، حتمًا إنسان ارتكب جريمة خطيرة. إنه سفاح أو قاتل، لهذا لم يفلت من يد العدالة الإلهية. ولعلهم فكروا هكذا، لأنهم اعتقدوا بأن العدل الإلهي يأخذ مجراه، فإذ امتدت يده للقتل لحق به الموت خلال هذه اليد السافكة للدماء. نال العقوبة من ذات صنف الجريمة التي ارتكبها، وخلال ذات العضو الآثم. هذا ما تلقنوه خلال الناموس الطبيعي، لكنهم تعجلوا في الحكم، لأن ما حدث للرسول بولس لم يكن ممكنًا لأحد في مثل هذه الظروف أن يتوقعه.

"**العدل**" كان تمثله عند بعض الوثنيين ابنة الإلهةJupter جوبيتر التي عملها هو الانتقام من الظالمين، والحكم على مرتكبي الجرائم.

يخطئ الوثنيون إذ يظنون إن العدل الإلهي حتمًا يتحقق في هذا العالم، مع أن بعض القتلة يعيشون إلى زمنٍ طويلٍ ويتمتعون بصحة جيدة وقوة، ولا يؤمنون بيوم الرب العظيم، حيث يسقطون تحت الدينونة. كما يخطئون إذ يحسبون أن كل من يصيبهم أذى حتما هم تحت عقوبة عادلة، فكل مرض أو تجربة إنما تسقط على الخطاة.

ولماذا نتحدّث عن الوثنيّين، فإنّه حتى الأنبياء يقفون أحيانًا في دهشة إذ يظنّون أن العدالة الإلهيَّة تأخذ مجراها حالاً في هذا العالم، فيدهشون حين يروا الأشرار ناجحين. فيقول المرتّل: "قد رأيت الشرّير عاتيًا وراقًا مثل شجرة شارقة ناضرة" (مز ٣٧: ٣٥)... لكن لن يبقى الحال هكذا، إذ "عبر فإذا هو ليس بموجود، والتمسته فلم يوجد" (مز ٣٧: ٣٦).

تحدثوا عن القديس بولس كمن قد مات فعلاً، فإنه لا يمكن لمن تنشب به مثل هذه الحية أن يحيا.

"فنفض هو الوحش إلى النار،

ولم يتضرر بشيءٍ رديءٍ". [٥]

"**نفض الوحش**": سمح الرب بذلك لكي يكرز لهم القديس بولس بالسيد المسيح الذي يهبنا سلطانًا على الحيات، فلا تقدر أن تبث سموم الموت فينا.

نفض الرسول الأفعى دون أي انزعاج أو اضطراب، ودون طلب أية معونة، لأن السيد المسيح واهب الحياة وغالب الموت هو في داخله.

v "تطأ الحية والصل، وتدوس الأسد والتنين" (مز ٩١: ١٣). اختار أقوى الحيوانات والمهلكة أكثر من الكل، إذ أراد أن يقدم العمل الشيطاني بكل صور الشر، فبذكر الأسد والتنين أشار إلى القوة، فإن هذه الحيوانات جميعها معًا عنيفة، أما بالإشارة إلى الحية والصل فيلمح إلى التطرف في الشر. الأولى تبث سمًا قاتلاً، والأخيرة تسبب موتًا بالتطلع إليها. بالطبع كثيرون ممن وثقوا في الله أكدوا ذلك حتى في علاقتهم بالوحوش المفترسة. هكذا دانيال المشهور سدّ أفواه الأسود. وبولس الملهم لم تضره الحية، ولكي نضع ذلك في إيجاز، فلنرجع إلى نوح الذي عاش بين الحيوانات وكان محفوظًا من أي ضرر. هكذا توجد أعداد لا حصر لها من الناس الذين احتضنوا الحياة الزاهدة مع الوحوش، وكانوا محميين من أي ضرر يصيبهم، وذلك خلال رجائهم في الله.

الأب ثيؤدورت أسقف قورش

v لهذا كان ولسببٍ معقول أن يصير الرب أيلاً، حتى تعد كلمة الرب مثل تلك الأيائل لنفسه؛ التي يقول عنها: "يخرجون الشياطين باسمي، ويتكلمون بألسنة (لغات) جديدةٍ، يحملون حياتٍ، **وإن شربوا شيئًا مميتًا لا يضرهم"** (مر ١٦: ١٧-١٨). وقد حملوا حيَّاتٍ فعلاً وذلك حين طرح رسله قوة الشر الروحية (قابل أف ٦:١٢) من أماكن خفية في أجسادهم، حين نفخوا فيها، ولم ينلهم ضرر من سمومها المميتة. وحينما قفزت أفعى من حزمة عصى ولدغت بولس، وإذ رأى الأهالي تلك الأفعى، وهي تتدلى من يده، ظنوا أنه ميِّت لا محالة (أع ٢٨: ٣-٦). لكنه وقف دون فزعٍ، ولم يتأثرْ بالجُرح، ولم يسر السُم فيه. لهذا نظروا إليه معتقدين أنه ليس من بني البشر، إن جاز التعبير. لكنه مولود حقًا بنعمة الله، وأنه يفوق البشر. تأملوا الأيل **وهو يطرح الأفاعي من أماكن اختبائها**، كما قال: "بروح الله الذي في أنفه" (أي ٣:٢٧)، "والتفت بولس بالروح، وإذ نظر خلفه، قال في حزن للروح العَّراف: "أنا آمرك باسم يسوع المسيح أن تخرج منها، فخرج في تلك الساعة" (أع ١٦: ١٨). انظروا إلى الأيل حينما جاء إلى المعمودية (مز ٤١ [٤٢]: ٢)، التي صارت طاهرةً بالغسل الذي من النبع المقدس، فطرحت كلَ سموم الاضطهاد، انظروا إلى الأيل الرب يسوع، حينما أتى إلى يوحنا المعمدان. فقال له يوحنا: "أنا محتاج أن أعتمد منك، وأنت تأتي إليَّ (مت ٣:١٤)، فأجابه: "اسمح الآن!" [أو حرفيا ليكن الآن] (مت ٣:١٥). وحين قال ذلك، نزل بكل شوقٍ إلى المياه، **لأنه عطش إلى خلاص البشرية.**

القديس أمبروسيوس

v ليس للأرواح الشريرة سلطانًا أن تضر أحدًا، يظهر ذلك بوضوح في حالة الطوباوي أيوب، حيث لم يتجاسر العدو أن يجربه إلا حسبما سمح الله به... وقد اعترفت الأرواح نفسها بذلك كما جاء في الإنجيل إذ قالت: "إن كنت تُخرجنا فَأْذَنْ لنا أن نذهب إلى قطيع الخنازير" (مت ٨:٣١). **فإن كان ليس لديهم السلطان أن يدخلوا الحيوانات النجسة العُجم إلا بسماح من الله، فكم بالأحرى يعجزون عن الدخول في الإنسان المخلوق علي صورة الله؟!**

لو كان لهؤلاء الأعداء (الشياطين) سلطان علينا والإضرار بنا وتجربتنا كما يشاءون لما كان يستطيع أحد أن يعيش في الصحراء بمفرده... ويظهر ذلك بأكثر وضوح من كلمات ربنا ومخلصنا الذي احتل آخر صفوف البشر، إذ قال لبيلاطس: "لم يكن لك عليَّ سلطان البتَّة لو لم تكن قد أُعطِيت من فوق" (يو ١٩:١١).

٧ واضح أن الأرواح النجسة لا تقدر أن تجد لها طريقًا في أجساد من اغتصبتهم بأي وسيلة ما لم تملك أولاً علي عقولهم وأفكارهم فتسلب منهم مخافة الرب وتذكره والتأمل فيه، وبهذا تتجاسر فتتقدم إليهم كمن هم بلا حصانة إلهية، وتقيدهم بسهولة وتجد لها موضعًا فيهم، كما لو كان لها حق الملكية عليهم.

الأب سيرينوس

أمران متكاملان يشغلان قلب الكارز بإنجيل المسيح: التمتّع بالشركة مع الله، وتحطيم قوّات الظلمة. قدر ما ينفتح القلب لسكنى الله، ويتمتّع بالمصالحة معه، ويحمل الطبيعة الجديدة، لا يكون لعدو الخير سلطان على المؤمن. هذه هي كرازتنا: النصرة بالرب على إبليس وكل جنوده!

وأمّا هم فكانوا ينتظرون أنه عتيد أن ينتفخ أو يسقط بغتة ميتًا،

فإذ انتظروا كثيرًا ورأوا أنه لم يعرض له شيء مضرّ،

تغيروا، وقالوا: هو إله". [٦]

ما يراه الناس نقمة يراه الله نعمة، وما أثاره عدو الخير إبليس ليضيف إلى آلام الرسول آلامًا بل وموتًا يتحول إلى مجد لله وتكريم بولس الرسول. فبهذه الحية التي كان العدو يود أن يخلص بها من الرسول بولس في فضيحةٍ وعارٍ انفتح له باب الكرازة والشهادة، وبقي بولس في هذه الجزيرة لا يكف عن خدمة شعبها.

يُقال أن الرسول بولس لعن الحية، فاختفت كل الحيات، ولم يعد في مالطة حيات أو ثعابين.

حسب خبرتهم العملية كانوا يتوقعون انتفاخ جسم بولس وموته فورًا، وإذ لم يتحقق ذلك حسبوه إلهًا قادرًا أن يحطم الموت. كانوا يعبدون آلهة مجهولة، ولم يكونوا يتوقعون في آلهتهم أعظم مما لمسوه في بولس.

إن كان السيد المسيح قد انتهر الشيطان، قائلاً له: "ابعد عني شيطان"، فقد وهب تلاميذه روح النصرة والغلبة. لهذا في غير افتخار ولا تردد ألقى الحية في النار لتحترق. أعطانا سلطانًا أن نُلقى بالتجارب كما في نار ولا نخشاها.

٤. شفاء أبي بوبليوس

"وكان في ما حول ذلك الموضع ضياع لمقدم الجزيرة الذي اسمه بوبليوس،

فهذا قبلنا، وأضافنا بملاطفة ثلاثة أيام". [٧]

وجد في حفائر هذه المنطقة حجر منحوت عليه اسم بوبليوس مقدم الجزيرة.

يذكر القديس لوقا إن بوبليوس مقدم الجزيرة، لكننا لا نعرف إن كان من أهل الجزيرة أو كان مندوبًا عن قيصر بروما، ربما كان حاكم الجزيرة.

"فحدث أن أبا بوبليوس كان مضطجعًا مُعترى بحمى وسحج،

فدخل إليه بولس وصلّى،

ووضع يديه عليه فشفاه". [٨]

كان والد بوبليوس مريضا بحمى ونزف دم bloody flux.

"فلما صار هذا كان الباقون الذين بهم أمراض في الجزيرة،

يأتون ويشفون". [٩]

"فأكرمنا هؤلاء اكرامات كثيرة،

ولمّا أقلعنا زوّدونا ما يحتاج إليه". [١٠]

تطلع أهل الجزيرة وقادتهم إلى بولس الرسول ومن معه كرجالٍ قد بعثت بهم السماء إليهم، فتمتعوا ببركات كثيرة وتعزيات سماوية مع آيات وأشفية، لهذا قدموا للجميع كرامات، أي هدايا، كما زودوهم بما تحتاج إليهما الرحلة.

v انظروا كيف أن هذا كله قد حدث من أجل بولس، بقصد أن يؤمن المسجونون والعسكر وقائد المائة. فلو كانوا جامدين كالحجارة تمامًا، فمن المشورة التي قدمت لهم، والنبوة التي سمعوه يتنبأ بها، والمعجزات التي علموا أنه قد صنعها، ومن أجل الزاد الذي تمتعوا به من أجله، تصير لهم نظرة سامية من نحوه.

القديس يوحنا الذهبي الفم

٥. في سفينة إسكندريّة

"وبعد ثلاثة أشهر أقلعنا في سفينة إسكندرية موسومة بعلامة الجوزاء،

كانت قد شتّت في الجزيرة". [١١]

انكسرت السفينة في النصف الأول من شهر نوفمبر، وبعد ثلاثة أشهر، أي في منتصف فبراير بدأت نسمات موسم الربيع المبكر حيث يكون الإبحار فيه آمان. وجدوا سفينة قادمة من الإسكندرية إلى روما حيث قضت فترة الشتاء في الجزيرة.

كانت السفن تسمى حسب العلامة التي توسم بها. كانت علامة هذه السفينة هي الجوزاء.

"**الجوزاء**" ترجمة للكلمة اليونانية ديوسقورس Dioscuri، وتعنى "أبناء زيوس Zeus" وتشير إلى أخوين توأمين يعتبران شبه إلهين، شفيعا البحارة، يدافعان عنهم ضد العواصف الخطيرة. اسم التوأمين Castor. Pollux وهما ابنا الإله جوبتر وليدا زوجة تينداروس ملك سبارتا، بعد موتهما رحلا إلى السماء، وعهد بهذين الأخين كرامات إلهية، وتسلما إدارة شئون البحارة والالتزام بحمايتهم.

"فنزلنا إلى سراكوسا ومكثنا ثلاثة أيام". [١٢]

إذ أبحرت السفينة نحو الشمال جاءت إلى سراكوسا Syracuse، أهم مدينة في Sicily تقع جنوب شرقي الجزيرة.

"ثم من هناك درنا وأقبلنا إلى ريغيون،

وبعد يومٍ واحد حدثت ريح جنوب،

فجئنا في اليوم الثاني إلى بوطيولي". [١٣]

إذ كانت الريح غير مواتية التزموا بأن يطوفوا على شكل دائرة أو يرجعوا إلى الوراء ليبلغوا إلى ريغون.

ريغون: مدينة في إيطاليا في مواجهة ميسينا Messina في Sicily، وهي تتبع مملكة نابلس أو Calabria، تُدعى حاليًا Reggio.

قضوا في هذه المدينة يومًا واحدًا، وقد جاء في الروايات الرومانية أن بولس الرسول كرز في هذا اليوم، وأن سمكة جاءت إلى الشاطئ تسمع له، وقد دُهش الشعب لعمل معجزات صنعها فقبلوا الإيمان واعتمدوا، فسام أحد رفقائه في الرحلة يُدعى استفانوس أسقفًا عليهم، هذا كله تحقق في يومٍ واحدٍ.

بعد يوم إذ هبت ريح مواتية، فأمكن بسهولة أن يبحروا إلى بوطيولي.

"**بوطيولي**" معناها "الآبار"، ميناء بحري قريب من نابس Naples، قد عرفت بالحمامات الساخنة، حاليًا تُدعى Pozzuoli أو بوزالانا Pozzolana على بعد ٨ أميال شمال غرب نابلس.

"حيث وجدنا إخوة،

فطلبوا إلينا أن نمكث عندهم سبعة أيام،

وهكذا أتينا إلى رومية". [١٤]

جاء إليهم إخوة مسيحيون، لم نعرف كيف بلغ إليهم الإيمان، لكن ما نعرفه أن الله يعمل في كل مكان، وله شهود مجهولون. هل سمعوا عن الرسول بولس، فجاءوا يلتقون به، ويتعزون أم سمع هو عنهم فاستدعاهم ليتمتع الكل بالشركة معًا؟ لقد ساد روح الحب بين المسيحيين في العالم، فكان كل مؤمنٍ يجد تعزيته في الشركة مع اخوته في المسيح يسوع.

طلبوا من الرسول بولس أن يمكث معهم سبعة أيام، ربما لكي يشتركوا معه في العبادة في يوم الرب، وقد توقعوا ألا يلتقوا به ثانية. والعجيب أن قائد المئة الذي كان في عهدته الرسول بولس والمساجين وافق على ذلك، ربما لأنه كان له أصدقاء في بوطيولي، أو له عمل معين، ولعله وجد في ذلك فرصة للاستماع للرسول بولس قبل أن يسلمه في روما.

"ومن هناك لمّا سمع الإخوة بخبرنا،

خرجوا لاستقبالنا إلى فورن أبيوس والثلاثة الحوانيت،

فلما رآهم بولس شكر اللّه وتشجّع". [١٥]

لعل أهل بوطيولي أرسلوا إلي روما، يخبرونهم بقدوم الرسول بولس.

خرجت كنيسة روما تستقبل السجين بولس، فذهب البعض إلى فورن أبيوس، وهي تبعد أكثر من ٥٠ ميلاً من روما، وآخرون ذهبوا إلى الثلاثة حوانيت، وهي تبعد أكثر من ٣٠ ميلاً من روما. لم تخجل الكنيسة من الخروج لتكريم السجين العجيب الشاهد للحق الإنجيلي، ولم يخشوا السلطات، بل حسبوا قيوده كرامة مضاعفة.

فورن أبيوس Apii Forum مدينة مشهورة بفنادقها ذات الطابق الواحد، وسوق للبحارة، وهي مركز تجمع هائل للآتين من أنحاء العالم. فيها وجد المسيحيون فرصة للتقابل والتعارف بالآتين من مشارق الأرض ومغاربها، حيث كانوا يستضيفون الغرباء، ويقيمون ليتورجيا الإفخارستيا (خبز الشكر).

إذ كان خبر مجيء القديس بولس قد انتشر، تقاطر عليه كثيرون كانوا قد التقوا به في رحلاته السابقة، وتتلمذوا على يديه، حيث ولدهم في إنجيل المسيح، كما جاء إليه من سمعوا عنه ولم يروه من قبل. ولعل أول المستقبلين له بريسكلا وأكيلا اللذين كتب عنهما في رسالته إلى أهل رومية: "سلموا على بريسكلا وأكيلا العاملين معي في المسيح يسوع اللذين وضعا عنقيهما من أجل حياتي، اللذين لست أنا وحدي أشكرهما، بل أيضا جميع كنائس الأمم، وعلى الكنيسة التي في بيتهما" (رو ١٦: ٣-٥).

وقد جاء الإصحاح الأخير من رسالته إلى أهل رومية يكشف عن وجود جماعات مقدسة، أو كنائس كثيرة، ولم تكن توجد كنيسة متمركزة في روما، وكان لهذه الجماعات علاقات قوية مع الرسول بولس، دون وجود انشقاقات أو تحزبات فيما بينهما كما كان الحال في كورنثوس. وقد ذكر الرسول خمس جماعات:.

١. الكنيسة التي في بيت بريسكلا وأكيلا (رو ١٦: ٥).

٢. الكنيسة التي من أهل ارستوبولوس (رو ١٦: ١٠).

٣. الكنيسة التي من أهل نركيسوس (رو ١٦: ١١).

٤. الإخوة الذين مع اسينكريتس وفليغون وهرماس وبتروباس وهرميس (رو١٦: ١٤)

٥. القديسون الذين مع فيلولوغس وجوليا ونيريوس وأخته وأولمباس (رو ١٦: ١٥).

كما ذكر في هذا الإصحاح أسماء أفراد يبدو أنهم لم يكونوا بعد قد التصقوا بكنيسة معينة، ولم تكن توجد كنيسة مركزية تجمعهم، فذكرهم أفرادًا.

الثلاثة حانات: مدينة تبعد حوالي عشرة أميال من مدينة فورن أبيوس.

هكذا تجمع المسيحيون في المدينتين وانطلقوا مع الرسول بولس إلى روما، يتحدثون عن عمل الله المفرح وسط الآلام طوال سبعة عشر ميلاً حتى دخلوا روما، وقد تهللت نفوسهم بأعمال الله الفائقة، وخبرة الجميع لقوة قيامته وسط شركة الصلب معه.

v استقبلته روما مقيدًا، صاعدًا من البحر، وقد خلص من انكسار السفينة، وخلصت روما من انكسار السفينة الذي للخطأ. دخل المدينة الإمبريالية العظمى كإمبراطور قام بمعركة حربية وغلب. الآن صار أكثر قربًا من إكليله. استقبلته روما مقيدًا، ورأته متوجًا، وأعلنت عن نصرته. هكذا قال: سأستريح معكم، لكن هذا كان بداية حلقة أشد ليضيف نصرات إلى نصرات، إنه إنسان لا يُغلب!

القديس يوحنا الذهبي الفم

تعزى الرسول بولس بلقائه مع الإخوة المؤمنين، ولم يكن يشغله شيء بالرغم مما عُرف عن نيرون من طغيان، لكن لمس محبة الله الفائقة طوال الرحلة الخطيرة، كما لمسها في شعب كنيسة روما، فقدم ذبيحة شكر لله الذي يعمل على الدوام لبنيان ملكوته. ولعله تعزى لما رأى جماهير المؤمنين، فشكر الله العامل في كل موضع، خاصة في عاصمة الإمبراطورية التي كانت تسود العالم. لقد سبق أن سمع عنهم فشكر الله على إيمانهم (رو ١: ٨)، وها هو الآن يراهم في دفء الإيمان.

"**وتشجع**" : تعبير عجيب يسجله القديس لوقا عن القديس بولس الذي قدم ذبيحة شكر لله. هل كان الرسول العجيب في خدمته يحتاج إلى من يشجعه على العمل؟ لقد دخل روما متهللاً، وإذ تلاقى مع نفوس متهللة بالروح، لا تنشغل بقيوده، بل بإنجيل المسيح تشجع للعمل أكثر. وجدهم أحباء أصدقاء يتباحث معهم. كرفقاء له في رحلته إلى السماء في طريق الصليب المفرح.

٦. تحديد إقامة في روما

"ولمّا أتينا إلى رومية،

سلّم قائد المائة الأسرى إلى رئيس المعسكر،

وأمّا بولس فأذن له أن يقيم وحده مع العسكري الذي كان يحرسه". [١٦]

"**وهكذا أتينا إلى رومية**": هكذا تحقق الوعد الإلهي لبولس رسول الأمم، أن يشهد للسيد المسيح أمام قيصر، في عاصمة العالم الأممي. لقد جاء كأسير، لكن لم يكن يشغله الدفاع عن نفسه، وإنما العمل لحساب ملكوت المسيح. شعر رسول بأنه قضي رحلة ممتعة، وإن كان في مظهرها رحلة عذاب، لكن في داخلها رحلة أمجاد سُجلت في السماوات، وحررت كثيرين من قيود الظلمة، ودخلت بكثيرين إلى النور. اختبر فيها شركة الآلام مع المسيح، كما تمتع بقوة قيامته الغالبة للموت.

جاء الرسول بولس إلى نهاية رحلته، وكم كان شوقه أن يكرز في روما، وقد حقق الرب له أمنيته، لكنه دخلها كأسير بين المسجونين. لم يدخل العاصمة كما يدخلها كثير من الأباطرة والعظماء تتقدمهم مواكب فخمة، إنما دخلها ليقيم من شعبها موكبًا سماويًا متهللاً بالروح.

أعطاه الله نعمة في عيني قائد المائة، كما سبق فأعطى السجين يوسف نعمة في عيني حافظ السجن (تك ٣٩: ٢١).

سلم قائد المائة الأسرى إلى رئيس المعسكر، كان رئيس المعسكر يدعى بارهوس أفرانيوس Burrhus Afranius. أما بولس فقد وهبه الله نعمة في قلوب آسريه، لكي يأسر قلوب الناس بحب المسيح. فقد انفتحت القلوب له، وسمح له المسئولون أن يقيم وحده مع العسكري الذي كان يحرسه. أقام بالقرب من المعسكر العام في قلب روما المدعو البريتوريومPraetorium بجوار قصر البالاتين Palatine الذي كان يقيم فيه قيصر، وقد بقي فيه لمدة عامين. لقد كسب كثيرين للمسيح من بيت قيصر، فقد جاء في رسالته إلي أهل فيلبي: "يسلم عليكم جميع القديسين، ولاسيما الذين من بيت قيصر" (في ٤: ٢٢)، كما كتب: "حتى أن وثقي صارت ظاهرة في المسيح في كل دار الولاية، وفي باقي الأماكن أجمع" (في ١: ١٣). وجاء في التقليد الكنسي أنه عمد زوجة نيرون التي قتلها نيرون فيما بعد. وعن طريقها اجتذب كثيرين من أسرة نيرون "**كل دار الولاية**".

يرى البعض أن القديس بولس جاء إلى روما ليشجع الكنيسة وهي تعاني من اضطهاد نيرون. يروي لنا **القديس يوحنا الذهبي الفم** أن إحدى النساء في قصر نيرون قبلت الإيمان على يدي بولس الرسول، فتركت حياة الفساد التي عاشت فيها في القصر. اغتاظ نيرون فأمر بسجنه ثم قتله.

تحولت كل متاعب الرسول بولس لصالحه، لحساب ملكوت الله، فقد كسب قائد المائة كما كسب الكثيرين ممن في السفينة، وفي روما لم يُودع في السجن العام كسائر المسجونين، بل سُمح له أن يبقى في مسكن خاص يقيم فيه ومعه حارس. وجود الحارس يعطي شيئًا من الحصانة حتى لا يعتدي عليه أحد. هكذا اختبر الرسول بولس يد الله التي تحول كل الأمور للخير للذين يحبونه (رو ٨: ٢٨). وجود بولس الرسول في روما وتحت حراسة خاصة مع إعطائه حرية لمن يزوره يقدم له فرص للكرازة في جو آمن، إذ لا يمكن قيام ثورة ضده في العاصمة حيث الإمبراطور مقيم.

v الأمور التي تبدو أنها لإماتتنا، بل وبما يضادها، الكل يعمل لصالحنا. ولكي تتعلموا هذا فقد أمر فرعون بطرح كل الأولاد في النهر (خر ١: ٢٢). لو لم يكن الأمر قد صدر بطرحهم ما كان قد خلص موسى، ولما نشأ في القصر. لم يكن مكرمًا حين كان في آمان، ولكن إذ طُرح نال كرامة. لقد فعل الله ذلك لكي يُظهر غنى مصادره ووسائله. لقد هدده اليهودي: "أمفتكر أنت بقتلي؟!" (خر ٢: ١١). هذا أيضًا كان لنفعه، فقد كان ذلك بعناية الله لكي يتمتع بالرؤيا في البرية، ولكي يتم الوقت المعين ليتعلم الحكمة (الفلسفة) في البرية ويعيش فيها في آمان. وفي كل مكائد اليهود ضده حدث له نفس الشيء، فصار أكثر شهرة... ها أنتم ترون أن كل المحن في كل حالة تقدم لنا صلاحًا عظيمًا في هذه الحياة، وما هو أعظم في الحياة العتيدة.

القديس يوحنا الذهبي الفم

٧. لقاء مع وجوه اليهود

"وبعد ثلاثة أيام استدعى بولس الذين كانوا وجوه اليهود،

فلما اجتمعوا قال لهم:

أيها الرجال الإخوة،

مع أني لم أفعل شيئًا ضد الشعب أو عوائد الآباء،

أسلمت مقيدًا من أورشليم إلى أيدي الرومانيين". [١٧]

اليهود في روما: أول من وطأت أقدامهم روما هم من اليهود المكابيين عام ١٦٨ ق.م، تبعهم كثيرون كوَّنوا لأنفسهم أول مجمع هناك، وكان يمثلهم في أورشليم مجمع الليبرتينيينLibertines ، أي الأحرار، أو المحررين، لأنهم أُخذوا إلى روما كأسرى بواسطة بومبي Pompey في غزوته للشرق سنة ٦٣ ق.م، نالوا بعد ذلك الحرية، وتزايد عددهم خلال التجارة، إذ انضم إليهم تجار أغنياء كثيرون، وكانوا يهتمون بإرسال معونات إلى وطنهم بانتظام. كثيرون منهم نالوا المواطنة الرومانية مثل يوسيفوس المؤرخ. وكان لهم أثرهم على روما. وكما قال سنيكا الفليسوف: "إن المقهورين أعطوا الذين قهروهم القوانين". هذا وقد تهود كثير من الرومانيين. مع هذا فكانت إيطاليا تكره اليهود، وزادت الكراهية حتى طردوهم، لكن سرعان ما عادوا وصارت لهم حظوة وتمتعوا بالحرية والمساواة في الحقوق وصارت لهم سبعة مجامع.

حتى في روما عاصمة العالم الأممي في ذلك الحين أخلص الرسول لمبدأه وهو الكرازة "لليهودي أولاً ثم اليوناني"، لذلك بدأ الرسول شهادته أولاً أمام وجهاء اليهود، ومع ما سبق أن سمعوه قبلاً اقتنع بعضهم بما قيل [٢٤].

v كانت هكذا غيرة الإخوة، حتى أنهم لم يضطربوا لأن بولس كان مقيدًا.

v بعد ثلاثة أيام استدعى وجهاء اليهود... لكي ما لا يصل إلى مسامعهم (أمرًا مخالفًا للحقيقة). وما شأنه بهم؟ فإنهم لم يكونوا يودون تقديم اتهامات ضده. ومع هذا فإن هذا الأمر لم يكن يشغله، إنما دعاهم لكي يعلمهم بما يشغله، وأن ما ينادي به لا يعارضهم.

القديس يوحنا الذهبي الفم

استدعى الرسول بولس وجوه اليهود للأسباب التالية:

١. ليوضح لهم أنه لا يزال يعتز بانتسابه لهم، وأنه لن يأخذ موقفًا مضادًا لشعبه، مهما كان الأمر.

٢. أنه وإن كان قد طلب رفع قضيته أمام قيصر، لكنه كان ملزمًا إذ سلموه للرومان، وكان في خطر حيث وجدت محاولات لقتله.

٣. كان كعادته يود أن يبدأ كرازته بين اليهود ثم ينتقل بعد ذلك إلى الأمم. فإن كان قد جاء مقيدًا إلى روما، فهو يعلن لليهود هناك الحق الإنجيلي. إنه يؤكد أن إنجيل المسيح هو غاية التقليد اليهودي السليم، فهو لم يأخذ موقفًا مضادًا للآباء والأنبياء والناموس كما اتهموه كذبًا.

تحدث معهم بروح الأخوة كصديق لهم وواحد منهم، "**أيها الرجال الإخوة**".

"الذين لمّا فحصوا كانوا يريدون أن يطلقوني،

لأنه لم تكن فيَّ علّة واحدة للموت". [١٨]

أوضح الرسول براءته، فإنه لم يرتكب جريمة تستحق الموت، وقد شهد الحكام الرومان أنفسهم بذلك. لم يهاجم الرسول الناموس ولا الأنبياء، إنما ينصب كل اتهامهم له في صداقته مع الأمم وفتح الباب لهم للخلاص، لأنهم يحملون كراهية للأمم (غل ٢: ١٢). هنا يحدث يهودًا يعيشون في دار الأمم، في روما عاصمة العالم الأممي.

"ولكن لمّا قاوم اليهود،

اضطررت أن أرفع دعواي إلى قيصر،

ليس كأن لي شيئًا لأشتكي به على أمتي". [١٩]

بروح مسيحي يحمل كل محبة لمقاوميه، فهو لم يرفع شكواه إلى قيصر ليهاجم من يهاجمه، إنه يؤكد بأنه لن يشتكي بشيء على أمته.

v انظروا تعبيره الودود "**أمتي**"، إذ لم يتطلع إليهم كغرباء عنه. إنه لم يقل: "لا اشتكي" بل "ليس كأن لي شيئًا لاشتكي به" (أي ليس من حقه أن يشتكي) مع أنه عانى شرورًا كثيرة من أيدهم. لم يقل شيئًا من هذا، ولا جعل حديثه هجوميًا، ولا كمن يستجدي منهم إحسانًا. فإن النقطة الرئيسية أن يظهر أنهم سلموه سجينًا لروما هؤلاء الذين كان يجب أن يقوموا هم بمحاكمته.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"فلهذا السبب طلبتكم لأراكم وأكلمكم،

لأني من أجل رجاء إسرائيل موثق بهذه السلسلة". [٢٠]

كان يتحدث معهم وهو موثق بالسلاسل مع العسكري المرافق له. إنه لا يبالي بهذا، فقد وضع الآلام تحت قدميه. وها هو يعلن لهم أنه موثق بهذه السلسلة من أجل الكرازة بالمسيا الذي طالما كان الآباء والأنبياء يترجون ظهوره، وقد جاء.

"فقالوا له:

نحن لم نقبل كتابات فيك من اليهودية،

ولا أحد من الإخوة جاء فأخبرنا،

أو تكلم عنك بشيءٍ رديءٍ". [٢١]

"ولكننا نستحسن أن نسمع منك ماذا ترى،

لأنه معلوم عندنا من جهة هذا المذهب أنه يُقاوم في كل مكان". [٢٢]

يرى بعض الدارسين أن هؤلاء القادة لم يقولوا الحقيقة كاملة؛ فقد صدقوا في القول بأنه لم تصلهم رسائل ولا مندوبون من أورشليم لمهاجمة الرسول. لكنهم دون شك قد احتكوا بالمسيحيين في روما، وأدركوا فكر القديس بولس منهم، إذ كثير من قادة الكنيسة هناك التصقوا بالرسول، وتعرَّفوا عليه في مدن أخرى أو قبلوا الإيمان على يديه. لعل القادة اليهود أخفوا هذا لكي يسمعوا بآذانهم فكر الرسول بولس.

حتى ذلك الحين كان اليهود كما الرومان يتطلعون إلى المسيحية إنها أحد المذاهب اليهودية، وليست ديانة مستقلة عن اليهودية.

٨. سهرة حول إنجيل المسيح

"فعيّنوا له يومًا،

فجاء إليه كثيرون إلى المنزل،

فطفق يشرح لهم شاهدًا بملكوت اللَّه،

ومقنعًا إيّاهم من ناموس موسى والأنبياء،

بأمر يسوع من الصباح إلى المساء". [٢٣]

يكشف لنا القديس لوقا دور الرسل وعملهم، وهو الشهادة للسيد المسيح من خلال العهد القديم، والكشف عن حقيقة ملكوت الله.

كان كصاحب سلطان، يعمل الروح القدس به، وإذ لم يكن قادرًا على الذهاب إلى المجامع والالتقاء مع اليهود في أماكن عامة، وكانوا يأتون إليه جماعات، حددوا يومًا كاملاً لا عمل له فيه سوى الكرازة بملكوت الله، وتأكيد أن يسوع هو المسيا المنتظر.

v مرة أخرى انظروا كيف أنه أبكمهم لا بالمعجزات وإنما بالناموس والأنبياء، وكيف أننا نجده دائمًا يفعل هذا. ومع هذا ربما صنع آيات أيضًا، لكنها لم تكن عندئذ موضوع إيمان. بالحقيقة هذا عينه هو آية عظيمة: حواره معهم من الناموس والأنبياء.

القديس يوحنا الذهبي الفم

v يعلّمنا أن خلاصًا واحدًا من الأنبياء إلى الإنجيل يحققه الرب الواحد عينه.

القدّيس إكليمنضس السكندري

v يقال عن الأنبياء الطوباويين أنهم عيوننا، إذ سبق فرأوا خلال الإيمان أسرار الكلمة، وصاروا خدامًا لتلك الأمور الخاصة بالأجيال المتعاقبة، فلا يتحدثون فقط عن الأمور الماضية، بل ويعلنون الحاضر والمستقبل...

لأن هؤلاء انتعشوا بالروح القدس، وتكرّموا كثيرًا بالكلمة ذاته، وهكذا كانوا كآلات موسيقى، وكانت لهم الكلمة دائمًا مثل آلة *plectrum* يعملون معًا في انسجام، وإذ كان الكلمة (المسيح) يحثهم يعلنون إرادة اللَّه، لأنهم لم يكونوا يتكلمون من ذواتهم، ولا حسب أهوائهم.

الأب هيبوليتس

٩. انشقاق بين اليهود

"فاقتنع بعضهم بما قيل،

وبعضهم لم يؤمنوا". [٢٤]

تحدث الرسول بولس معهم بكل وضوح، لكنهم لم يتفقوا معًا، فقد حدث بينهم شقاق، وكما قال السيد المسيح أنه جاء ليلقي نارًا (لو ١٢: ٤٩، ٥١). وكما يقول الرسول بولس أن إنجيل المسيح يحمل رائحة حياة لحياة، ورائحة موت لموت (٢ كو ٢: ١٦). قبل البعض النور، بينما أغلق الغالبية أعينهم الداخلية عن معاينته.

"فانصرفوا وهم غير متفقين بعضهم مع بعض،

لمّا قال بولس كلمة واحدة،

أنه حسنًا كلم الروح القدس آباءنا بإشعياء النبي". [٢٥]

"قائلاً اذهب إلى هذا الشعب،

وقل ستسمعون سمعًا ولا تفهمون،

وستنظرون نظرًا ولا تبصرون". [٢٦]

"لأن قلب هذا الشعب قد غلظ،

وبآذانهم سمعوا ثقيلاً،

وأعينهم أغمضوها،

لئلاّ يبصروا بأعينهم،

ويسمعوا بآذانهم،

ويفهموا بقلوبهم،

ويرجعوا فاشفيهم". [٢٧]

سرّ عدم سماعهم للحق وعدم رؤيتهم للنور الإلهي هو إرادتهم الشريرة؛ فإنهم لا يريدون أن يسمعوا ولا أن يروا (زك ٧: ١١-١٢). إنهم يسدون آذانهم ويغمضون أعينهم، فيسمعون بآذانهم الجسدية، ولا تستطيع آذان قلوبهم أن تصغي، ويرون بأعينهم الجسدية، وتبقى أعين قلوبهم مصابة بالعمى. لقد أحبوا المرض الروحي وعشقوه وخشوا لئلا يشفيهم الله. إنهم كبابل التي أراد الله أن يشفيها، لكنها رفضت ذلك (إر ٥١: ٩)، فلن يلزمها بالشفاء قسرًا.

اقتبس الرسول بولس ما نطق به إشعياء النبي بالروح القدس (إش٦: ٩-١٠).

"فليكن معلومًا عندكم أن خلاص اللَّه قد أرسل إلى الأمم،

وهم سيسمعون". [٢٨]

هنا بلغ سفر الأعمال إلى الذروة، إذ غايته تأكيد أن السيد المسيح قد جاء لخلاص العالم كله، وليس قاصرا على اليهود.

كما أن اليهود رفضوا يسوع ولم يقبلوه مسيحًا لهم، بل خرجوا به إلى الصليب للخلاص منه، إذا بالقادة حتى بعد قيامته، سواء في أورشليم أو روما يحملون ذات الاتجاه ويصرون على رفضه، فانفتح باب الإيمان على مصراعيه أمام الأمم.

هنا يعلن رسول الأمم أن تمرد اليهود على السيد المسيح وإنجيله قد كمل، فصار للإنجيل أن يعبر إلى الأمم ليجد فيهم مسكنًا له.

لا يعرف الرسول بولس اليأس، فإن رفضت فئة ما الخلاص اتجه إلى فئة أخرى. إنه يؤمن بإن يسوع لم يُصلب باطلاً، وأن عمله حتمًا سيأتي بثمرٍ كثير. ليس من مقاومة تقدر أن تثبط همته أو تفقده غيرته على الكرازة.

v من هي هذه التي كانت قبلاً عاقرًا ومستوحشة؟ واضح أنها كنيسة الأمم، إذ كانت قبلاً محرومة من معرفة الله. من هي هذه التي لها زوج؟ واضح أنها مجمع اليهود. لكن أولاد العاقر صاروا أكثر منأولادها، لأن الأخيرة ضمت أمة واحدة أما أبناء الكنيسة فملأوا مدن اليونانيين والبرابرة، والأرض والبحر وكل المسكونة.

لاحظ كيف قدمت سارة بأعمالها (إنجاب اسحق) والأنبياء بنبواتهم ما قد تحقق معنا (تمتع الكثيرين بالبنوة لله). لاحظ كيف أن الذي دعاها إشعياء عاقرًا برهن بولس أن لها أولادًا كثيرين، الأمر الذي حدث رمزيًا مع سارة، فمع كونها عاقرًا صارت أمًا لأبناء كثيرين.

على أي الأحوال هذا لم يكفِ بولس، بل تتبع بدقة الطريقة التي بها صارت العاقر أمًا، إذ جاء الرمز مطابقًا للحق. لهذا أضاف "**وأما نحن أيها الإخوة فنظير اسحق أولاد الموعد**" [٢٨]... لقد قصد بذلك الكنيسة التي لم تعرف الله، لكنها ما أن عرفته حتى فاقت المجمع الذي كان مثمرًا.

v إن كان إله الكل فإنه يعتني بالكل وبالتالي يخلص الكل بذات الطريق، أي طريق الإيمان.

القديس يوحنا الذهبي الفم

"ولمّا قال هذا مضى اليهود،

ولهم مباحثة كثيرة فيما بينهم". [٢٩]

اشتد الحوار بين الفريقين، بين الذين قبلوا الإيمان والذين رفضوه.

١٠. كرازته لمدّة سنتين

"وأقام بولس سنتين كاملتين في بيت استأجره لنفسه،

وكان يقبل جميع الذين يدخلون إليه". [٣٠]

بقي الرسول لمدة عامين يكرز بلا عائق، لم يكن ممكنًا للسلسلتين، ولا للعسكر، أن يقيدوا بولس عن عمله. لم يكن ملتزمًا أن يعمل بيديه المقيدتين، بل كان الطعام والشراب يصل إليه بمقتضى القانون. صارت القيود علة لنجاح الكرازة إذ كتب: "ثم أريد أن تعلموا أيها الاخوة أن أموري قد آلت أكثر إلى تقدم الإنجيل، حتى أن وثقي صارت ظاهرة في المسيح في كل دار الولاية، وفي باقي الأماكن أجمع" (في ١: ١٢-١٣).

v هنا تظهر الحرية التي صارت له دون أي عائق في روما، هذا الذي وجدت عوائق لخدمته في اليهودية، وقد بقي عامين يعلم هناك.

القديس يوحنا الذهبي الفم

v إنه يدخل إلي روما في قيود لكي يحرر الذين هم في قيود الخطأ والخرافات. سكن لمدة سنتين في بيت أستأجره لكي يعطينا بيتًا أبديًا تحدث عنه العهدان (القديم والجديد).

القديس جيروم

"كارزًا بملكوت اللَّه،

ومعلمًا بأمر الرب يسوع المسيح،

بكل مجاهرة بلا مانع". [٣١]

تركنا القديس لوقا في نهاية السفر دون أن يسجل لنا مصير القديس بولس، لأن ما يشغله ليس تأريخ حياة بولس الرسول، بل الكشف عن خدمته وكرازته، فقد قضى العامين لا يمارس الحرية الكاملة، إذ لم يكن يستطيع أن يتحرك، لكنه يستقبل كل من يرغب في اللقاء معه، وذلك في حضرة الحارس الروماني.

غالبًا ما كتب الرسول رسائله إلى أهل فيلبي وأفسس وكولوسى وفليمون وتيموثاوس (الثانية) وربما إلى العبرانيين وهو في السجن أو أثناء الاعتقال في روما في خلال هاتين السنتين.

جاء أيضًا في التقليد أنه إذ نال براءة انطلق من إيطاليا إلى أسبانيا ومنها إلى كريت، وبعد ذلك ذهب مع تيموثاوس إلى اليهودية. افتقد بعد ذلك الكنائس في أفسس، وأخيرا جاء إلى روما للمرة الثانية حيث نال إكليل الشهادة في أيام نيرون ربما عام ٦٤م أو بعدها بقليل. يرى **القديس كيرلس الأورشليمي** أن القديس بولس قام بالتبشير في أسبانيا.

- ذهب من روما إلى أسبانيا وأخذ إليهم معه أيضًا الإنجيل، ثم عاد وفي وقت متأخر قطعت رأسه.

الآب ثيؤدورت أسقف كورش

شهد الرسول بولس أن هاتين السنتين في روما كانتا مشحونتين بالثمار، فآمن كثيرون حتى من داخل القصر (في ١: ١٢-١٤).

- أود أن أرى تراب هذا القلب. إن أراد شخص أن يدعوه قلب العالم كله فهو لا يخطئ. هذا القلب كان يحتضن الكل، فيضم كل المدن والشعوب، وكانت الأمم تجتمع معًا فيه. "قلبنا متسع لكم" (٢ كو ٦: ١١). ومع كونه عظيمًا هكذا، فإن الحب الذي يصدره كان يسبب حزنًا لبولس يملأ قلبه. يقول: "أكتب إليكم في حزنٍ ووجع قلبٍ" (٢ كو ٢: ٤). كان قلب المسيح هو قلب بولس. إنه حديث عن الحب!

- من يهبني الفرصة أن أحتضن جسد بولس، وألتصق بقبره، وأتطلع إلى رماد هذا الفم الذي من خلاله تكلم المسيح؟

القديس يوحنا الذهبي الفم

ختم القديس يوحنا الذهبي الفم عظاته على سفر الأعمال بالحديث عن القديس بولس قائلاً:

[رأيتم أعماله جزئيًا، هكذا كانت كلها محتشدة بالمخاطر.

كان سماءً فيها شمس البرّ، ليس كالشمس التي نراها؛ فإن هذا الإنسان هو أفضل من السماء عينها...

لا يخطئ إنسان أن دعا قلب بولس بحرًا وسماءً. إنه بحر فيه رحلات لا تبحر من مدينة إلي مدينة، بل من الأرض إلى السماء؛ وأن أبحر إنسان في هذا البحر فستكون رحلته مزدهرة. في هذا البحر لا توجد رياح بل عوض الرياح الروح القدس الإلهي يسوق النفوس التي تبحر فيه. ليس فيه أمواج ولا صخرة ولا حيوانات مرهبة، كل شيء في هدوء... من يرغب في أن يبحر في هذا البحر لا يحتاج إلى غواصين، ولا إلى رتب، بل الحب المترفق يفيض، يجد كل الصالحات التي في ملكوت السماوات. يصير أيضًا قادرًا أن يكون ملكًا، ويملك العالم كله، ويكون في أعظم الكرامات. من يُبحر في هذا البحر لن يعاني من انكسار سفينته، بل كل الأمور تسير حسنًا...

ليتنا نحاكي بولس، ونتمثل بسموه، تلك النفس الماسية، فنتقدم في إثر خطوات حياته، حتى يمكننا أن نبحر في بحر هذه الحياة الحاضرة، ونبلغ الميناء حيث لا أمواج، وننال الصالحات الموعود بها، والحب لله بنعمة ورحمة ربنا يسوع المسيح له المجد مع الآب والروح القدس والقدرة والكرامة الآن وإلى أبد الأبد. آمين.]

من وحي أع ٢٨

كازر أينما وجد!

- نجا كل من كانوا في السفينة،

تحقّقت رؤيا قدّيسك بولس،

وفي تواضع لم يتفاخر أنّه علّة خلاصهم من الدمار.

بل بروح الحب جدًا صار يجمع حطبًا ليتمتّع الكل بالتدفئة.

كانت أعماله، حتى البسيطة للغاية،

تتناغم مع كلماته وتعاليمه.

شهد لك بحبّه العملي، كما بكلماته.

- نشبت في يده أفعى ولدغته.

حكم عليه البرابرة في أنفسهم،

أنّه قاتل، سافك دماء.

اليد التي امتدّت للقتل نشبت فيها أفعى.

انتظر الكل أن يتم فيه العدل الإلهي بموته.

حسبوه قاتلاً لن يفلت من يد الله،

وإذا به ينفض الوحش بكل يقين واطمئنان.

حسبوه إلهاً قديراً لن يقدر سم الأفعى أن يقتله.

كشف عن سرّ السيد المسيح الساكن فيه.

- شهد لمسيحه أمام حاكم الجزيرة بشفاء أبيه.

تحولت الجزيرة إلى مستشفى،

وصار بولس طبيباً يقدم السيد المسيح دواءً للنفس والجسد.

- دخل روما بفرح وتهليل.

رآه الإخوة في القيود،

فطوَّبوه من أجل شركة الصلب مع مسيحه.

- اهتم بإخوته اليهود،

وإذ رفضوه كما رفضوا سيده،

بدأ يكرز بكل قوة بين الأمم.

- طوباك يا أيها العجيب في الكرازة.

لم تعرف للكرازة حدود!

ترى في كل إنسان مسيحك مخلص النفوس.

وتشتهي أن تحمل بالحب كل البشر،

تحتضنهم لتحمل بروح الله القدوس إلى أحضان الآب!

ملحق للأصحاح الثامن والعشرين

عن

خراب أورشليم

ختم سفر الأعمال بأسر القديس بولس في روما، حيث قضى عامين خلالها قام بالشهادة في القصر الإمبراطوري وكسب نفوسًا للسيد المسيح، علامة انطلاق الخدمة إلي قلب العاصمة، وانفتاح باب الإيمان للأمم علي مصراعيه، هنا نقدم موجزًا للأحداث في أورشليم حتى تم خراب المدينة في عام ٧٠.

دمار الهيكل

إذ رفض اليهود الإيمان بيسوع بكونه المسيا المخلص، ظهرت بعض الشخصيات المخادعة التي إدعت الرسالة من الله لإنقاذ أمة اليهود من الاستعمار الروماني، الأمر الذي في نظر اليهود لم يشغل ذهن يسوع. اجتذب هؤلاء كثير من اليهود حولهم، ولكنهم قُتلوا هم وأتباعهم.

اشتد التنافر بين اليهود والولاة الرومان، إذ شعروا بالمذلة أن يدفعوا جزية لدولة غريبة، كما أهان بعض القادة الرومان الهيكل حين أدخلوا بعض التماثيل فيه. ثار الشعب علي الولاة، وحلّ الفساد بين كل الطبقات وسادت الفوضى البلاد.

تعاقب الولاة الواحد علي الآخر بسرعة، وكان هدفهم جمع الثروات علي حساب الشعب، وأخيرًا ففي عام ٦٦ م صار ظلم جسيوس فلوروس وسلبه الأموال علة قيام جميع الأمة بالحرب علي الرومان. بدأت الحرب في قلعة مسَّدا بالقرب من البحر الأحمر حيث دخل جماعة من الجنود اليهود علي

العسكر الرومان وقتلوهم جميعًا بالسيف. عندئذ أعلن رؤساء اليهود عصيانهم علي الدولة الرومانية ورفض كهنة اليهود تقديم ذبائح لإنجاح الإمبراطور الروماني، وقام الشعب علي العسكر الرومان أينما وجدوهم وقتلوهم. انضم السريان إلي الرومان كطرفٍ، واليهود طرف آخر وانتشبت الحرب بين الفريقين.

إذ سمع سستيوس كالوس والي سوريا بالأمر انطلق بجيش عظيم إلي أورشليم، فخرج إليهم اليهود، وقتلوا كثيرين، غير أن الرومان دخلوا القسم السفلي من المدينة وحرقوه.

رجع سستيوس إلي معسكره، فتشجع اليهود وانطلق عدد كبير إلي المعسكر، وقتلوا كثيرين من جندِه، وحصلوا علي كميات ضخمة من الأسلحة الحربية شجعتهم علي التمادي في المعركة. في ذلك الوقت انطلق البعض إلي الجبال من بينهم المسيحيون حسب وصية السيد المسيح (مت ٢٤: ١٥-١٦)، هؤلاء نجوا من الحرب التالية عندما حوصرت المدينة.

أخبر سستيوس نيرون بما حدث فأرسل سباسيانوس أعظم قواده في ذلك الزمان؛ انطلق ومعه ٦٠ ألفًا من الجند لاسترداد الحصون من أيدي المتمردين. وقد دافع اليهود عنها مستميتين، وكان من بينها مدينة جوتباتا، فحماها يوسيفوس المؤرخ الكاهن اليهودي من العائلة الأسمونية، أقامه اليهود واليًا للجليل. وإذ فتحت المدينة سجل يوسيفوس تاريخ أمته وسقوطها المّر. أسقط الرومان بقية حصون الجليل بالرغم من البسالة التي أظهرت اليهود في الحصار.

في شتاء وربيع ٦٩/٦٨م فتحوا بيريا وأيدوميا وجنوب اليهودية، ولم يسرع فسباسيانوس في السير نحو أورشليم، فأخبر قادته أنه متمهل علي المدينة حيث حدث انشقاق بين اليهود في أورشليم، وصاروا يقاتلون بعضهم البعض، حيث انقسموا إلي أحزاب، واستولى كل حزب علي قسمٍ من المدينة. تحولت المدينة إلي شبه حرب أهلية أفسدت قوتهم وبردت طاقتهم.

رجع فسباسيانوس إلي روما بسبب قيام الفتن التي سبقت ارتقائه العرش، وفوَّض قيادة الحرب لابنه تيطس. حاصر تيطس أورشليم في عيد الفصح سنة ٧٠م، حيث كان قد اجتمع فيها حوالي مليوني يهوديًا للاحتفال بالعيد. وإذ فرغت المئونة حدث جوع شديد فتمت النبوة الخاصة بالمجاعة الواردة في (تث ٢٨: ٤٨) الخ. قيل أن حوالي ٦٠٠ الفًا قد هلكوا، وحاول تيطس ان يقنعهم بالتسليم لكن رؤساء الأحزاب رفضوا، وقتلوا كل من أبدى ميلاً للاستسلام.

بسبب حصانة المدينة طبيعيًا وجد الرومان صعوبة شديدة في اقتحامها فدخلوا أولاً أطرافها، ثم القسم السفلي منها، ثم الهيكل الذي كان قلعة حصينة، وأخيرًا بعد خمسة أشهر من بدء الحصار فتحوا المدينة العليا. إهتم تيطس بالاحتفاظ بالهيكل كقطعة فخمة يفتخر بها، لكن جنديًا أشعل فيه النار خلافًا للأوامر الصادرة، فاحترق الهيكل كله، ولم ينجُ منه سوى الأواني الذهبية المقدسة. قُتل الكثيرون وبيع الكثيرون عبيدًا وأرسل البعض للعمل في المناجم بمصر وغيرها.

إذ تحققت كلمات السيد المسيح عن خراب أورشليم والهيكل، وسقطت دولة إسرائيل تمامًا استقلت الكنيسة في العالم كله عن اليهود، وأدرك كثير من المسيحيين ضرورة التحرر عن الطقس اليهودي الحرفي.

١ و لما نجوا وجدوا ان الجزيرة تدعى مليطة
٢ فقدم اهلها البرابرة لنا احسانا غير المعتاد لانهم اوقدوا نارا و قبلوا جميعنا من اجل المطر الذي اصابنا و من اجل البرد
٣ فجمع بولس كثيرا من القضبان و وضعها على النار فخرجت من الحرارة افعى و نشبت في يده
٤ فلما راى البرابرة الوحش معلقا بيده قال بعضهم لبعض لا بد ان هذا الانسان قاتل لم يدعه العدل يحيا و لو نجا من البحر
٥ فنفض هو الوحش الى النار و لم يتضرر بشيء ردي
٦ و اما هم فكانوا ينتظرون انه عتيد ان ينتفخ او يسقط بغتة ميتا فاذ انتظروا كثيرا و راوا انه لم يعرض له شيء مضر تغيروا و قالوا هو اله
٧ و كان في ما حول ذلك الموضع ضياع لمقدم الجزيرة الذي اسمه بوبليوس فهذا قبلنا و اضافنا بملاطفة ثلاثة ايام
٨ فحدث ان ابا بوبليوس كان مضطجعا معترى بحمى و سحج فدخل اليه بولس و صلى و وضع يديه عليه فشفاه
٩ فلما صار هذا كان الباقون الذين بهم امراض في الجزيرة ياتون و يشفون

١٠ فاكرمنا هؤلاء اكرامات كثيرة و لما اقلعنا زودونا ما يحتاج اليه
١١ و بعد ثلاثة اشهر اقلعنا في سفينة اسكندرية موسومة بعلامة الجوزاء كانت قد شتت في الجزيرة
١٢ فنزلنا الى سراكوسا و مكثنا ثلاثة ايام
١٣ ثم من هناك درنا و اقبلنا الى ريغيون و بعد يوم واحد حدثت ريح جنوب فجئنا في اليوم الثاني الى بوطيولي
١٤ حيث وجدنا اخوة فطلبوا الينا ان نمكث عندهم سبعة ايام و هكذا اتينا الى رومية
١٥ و من هناك لما سمع الاخوة بخبرنا خرجوا لاستقبالنا الى فورن ابيوس و الثلاثة الحوانيت فلما راهم بولس شكر الله و تشجع
١٦ و لما اتينا الى رومية سلم قائد المئة الاسرى الى رئيس المعسكر و اما بولس فاذن له ان يقيم وحده مع العسكري الذي كان يحرسه
١٧ و بعد ثلاثة ايام استدعى بولس الذين كانوا وجوه اليهود فلما اجتمعوا قال لهم ايها الرجال الاخوة مع اني لم افعل شيئا ضد الشعب او عوائد الاباء اسلمت مقيدا من اورشليم الى ايدي الرومانيين
١٨ الذين لما فحصوا كانوا يريدون ان يطلقوني لانه لم تكن في علة واحدة للموت
١٩ و لكن لما قاوم اليهود اضطررت ان ارفع دعواي الى قيصر ليس كان لي شيئا لاشتكي به على امتي
٢٠ فلهذا السبب طلبتكم لاراكم و اكلمكم لاني من اجل رجاء اسرائيل موثق بهذه السلسلة
٢١ فقالوا له نحن لم نقبل كتابات فيك من اليهودية و لا احد من الاخوة جاء فاخبرنا او تكلم عنك بشيء ردي
٢٢ و لكننا نستحسن ان نسمع منك ماذا ترى لانه معلوم عندنا من جهة هذا المذهب انه يقاوم في كل مكان
٢٣ فعينوا له يوما فجاء اليه كثيرون الى المنزل فطفق يشرح لهم شاهدا بملكوت الله و مقنعا اياهم من ناموس موسى و الانبياء بامر يسوع من الصباح الى المساء
٢٤ فاقتنع بعضهم بما قيل و بعضهم لم يؤمنوا
٢٥ فانصرفوا و هم غير متفقين بعضهم مع بعض لما قال بولس كلمة واحدة انه حسنا كلم الروح القدس اباءنا باشعياء النبي
٢٦ قائلا اذهب الى هذا الشعب و قل ستسمعون سمعا و لا تفهمون و ستنظرون نظرا و لا تبصرون
٢٧ لان قلب هذا الشعب قد غلظ و باذانهم سمعوا ثقيلا و اعينهم اغمضوها لئلا يبصروا باعينهم و يسمعوا باذانهم و يفهموا بقلوبهم و يرجعوا فاشفيهم
٢٨ فليكن معلوما عندكم ان خلاص الله قد ارسل الى الامم و هم سيسمعون
٢٩ و لما قال هذا مضى اليهود و لهم مباحثة كثيرة فيما بينهم
٣٠ و اقام بولس سنتين كاملتين في بيت استاجره لنفسه و كان يقبل جميع الذين يدخلون اليه
٣١ كارزا بملكوت الله و معلما بامر الرب يسوع المسيح بكل مجاهرة بلا مانع